احمد الشرباصي

أيام الكويت

مطابع دار الكتاب العربي بمصر

al-Sharabāsī, Aḥmad

أحمد الشرباصي

Ayyām al-Kuwayt

أيام الكويت

مطابع
دار الكتاب العربي بمصر
محمد حلمي المنياوي



بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تبارك وتعالى ، وأصلى وأسلم على أنبيائه ورسله ، وأستفتح بالذى هو خير ، وأسأله سبحانه الصواب فى القول ، والرشاد فى العمل ، والإخلاص فى النية .

الطبعة الأولى

١٣٧٣ هـ — ١٩٥٣ م



صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح
حاكم الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب « أيام الكويت » ، جمعت فيه بين رواية التاريخ ووصف المشاهدة ولمحة الذكرى ؛ وقد يكون فى هذه النواحى الثلاث قسط يشترك فى تقديره أو تصويره أكثر من كاتب ؛ ولا تثريب ، فليست شئون الأمم أو الموضوعات العامة مما ينفرد به كاتب أو مؤرخ .

وقد شاءت الأقدار ألا أُظهر كتاباً عن الكويت — على الرغم من صلتى الأدبية القديمة بها وبأبنائها — إلا بعد أن أقضى بين ربوعها عاماً دراسياً هو عام ١٩٥٣ م ، حيث كنت مبعوثاً للأزهر الشريف هناك ؛ ولعل هذا من الخير ، فأنباء الرواية والاستماع غير أنباء اللقاء والاجتماع .

والكويت الآن فى مفترق الطرق ، كانت بالأمس تجاهد فى سبل الحياة صابرةً بما تهيأ لها من وسائل أوأسباب ،ثم تفجَّر فيها ينبوع الثروة «النفط»، فتفتحت أمامها أبواب النهضة ، وأسرف فى تزيين الدعاوى لهذه النهضة من أسرف ، وحدا ركبها بحسن الظن وصدق التوجيه وتوقع الخيروتجنب الشرمن حدا ؛ والله المسئول أن يجعل مستقبل هذه الإمارة العربية الإسلامية أكثر مما عليه حاضرها من خير وتعمير .

وسنتنا فى الحديث هى الطريق الوسط . فنحن لا نكيل المديح لإنسان مهما كان ، إذ لا غرض عندنا ولا مرض ، ونحن لا نسرف فى التحامل أو التثبيط ، إذ لا حقد ولا تشاؤم ، بل نزكى الأعمال حينما تزكو ، ونشكر للعاملين ما قدموا ، ونستزيدهم وغيرهم من الخير ، ونحذرهم من مواطن الخطل فى رفق ولين ، بالتلميح حيناً وبالتصريح حيناً آخر ، شأن الصديق يخاطب الصديق . . .

وقد يستقى القلم فى بعض المواطن من ينابيع العاطفة والشعور ، فتكتسى كلماته بألوان الأزاهير ، والقلم حينئذ يناجى المبادئ لا الأفراد ، ويستثير كوامن الإحساسات النبيلة المتصلة بالوطن والقومية والعقيدة .

والكمال لله وحده ، والعصمة لأنبيائه ورسله ، والتصحيح خير من التجريح ، ونحن فى الطريق . . .

أحمد الشرباصى

معنى كلمة الكويت

الكويت تصغير كُوت — بضم الكاف — والكوت كلمة عراقية تطلق عادة على جملة من بيوت الفلاحين المتجاورة المعدَّة لخزن الزاد والمتاع والوقود ؛ وقد يكون الكوت محاطاً بسور ، وقد لايحاط به . ويقال إن الكلمة تطلق عند العراقيين على البيت المربع المبنى كالقلعة والحصن ، ثم يبنى حوله بيوت صغيرة بالنسبة إليه ، ويكون هذا البناء عادة على الشاطئ ، ليتخذ فُرضة أو ميناء للبواخر والسفن ، تقف عنده فتمتار منه ، وتأخذ ما تحتاج إليه . ولا تطلق الكلمة إلا على مثل هذه الأبنية القريبة من البحر أو النهر أو البحيرة ، وقد يسمى النهر الصغير بالكوت ، وكذلك تسمى به بعض القرى مجازاً وتوسعاً .

والكلمة — فى المشهور — ليست عربية الأصل ، ولذلك لم تذكرها المعاجم العربية ، وإن كان المتكلمون بالعربية قد صرَّفوها تصريف الكلمات العربية ، فجمعوها وقالوا : أكوات ، وصغَّروها فقالوا : كويت ؛ وأعربوها إعراب الكلمات المماثلة .

وقد تكون كلمة كوت فى الأصل عربية ، ولكنها حُرِّفت فى النطق واللهجة ؛ فربما كانت محرفة عن كلمة (القوت) وهو مايقتات به كالبر والتمر والشعير وغيره ، وإطلاق كلمة القوت على مخزن الأقوات مأنوس فى المجاز العربى ، وإبدال القاف كافاً مألوف فى كثير من الكلمات قديماً وحديثاً . . وربما كانت محرفة عن كلمة (كوتى) بمعنى قصير ، ففى القاموس المحيط : « الكوتى كرومى القصير » . . ولا يستغرب إطلاق معنى القصير على مخزن العتاد والزاد ، لأنه يكون غالباً أقل ارتفاعا من بقية المساكن ، وحذف الياء الأخيرة واقع قديماً وحديثاً فى أكثر من كلمة .

سبب تسمية الكويت

عرفنا معنى الكلمة وأصلها ، فلماذا سميت بهذا الاسم تلك الإمارةُ العربية الإسلامية المعروفة لنا اليوم ؟ . . إنما سميت بذلك الاسم لوجود حصن صغير كان قائماً مكان بقعتها ، وقد بناه فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى محمد بن عريعر زعيم

بنى خالد ، وجعله مستودعا للذخيرة والزاد ، فإذا ما هَمَّ بالغزو جهة الشمال ، أو بالمرعى قريباً منه ، أخذ ما يحتاج إليه من طعام أو سلاح ، ولما قدم آل الصباح هذه البقعة وهبه لهم ابن عريعر ، فاتخذوه نقطة ابتداء لإنشاء الكويت . ويروى أن ذلك الحصن كان يقع فى المكان الذى يحتله (المستشفى الأمريكى) بالكويت .

كما يروى أن ابن عريعر لم يهب آل الصباح حصنا ، وإنما وهبهم الأرض خلاء ، وهم الذين قاموا ببناء الحصن وغيره ؛ لأنهم — حسب الرواية — أول من شاد البيوت الحجرية فى الكويت ، وهذا كلام منمق — كما يلوح — والراجح الأول .

متى تأسست الكويت ؟

ليس هناك قول يقينى قاطع فى تعيين السنة التى تأسست فيها الكويت ، أو بتعبير آخر : السنة التى نزل فيها الكويتَ آلُ الصباح وآل خليفة . فمن قائل سنة ١٠٢٢هـ ، ومن قائل سنة ١٠٨٣هـ ، ومن قائل سنة ١١٢٥هـ ؛ وهذا التعدد لا غرابة فيه ، لأن نشأة مدينة ، أو إقامة مجتمع ، لا تتم فى عام واحد ، وخصوصاً فى بيئة كجزيرة العرب ، والراجح أن الكويت أسست سنة ١١٠٠ ، وبدأ بناؤها بعد ذلك يتزايد بمرور الأيام .

والبانى للكويت هو براك أمير بنى خالد ، وقد بنى ما بنى فيها ليكون مستودعا للذخيرة والزاد .

طبيعة الكويت

تقع إمارة الكويت على الضفة الغربية للخليج العربى (أو الفارسى) ، فى طرفه الشمالى ، وهى على هيئة مثلث ، يتصل ضلعه الشمالى بالعراق ، وضلعه الجنوبى بالمملكة العربية السعودية ، وضلعه الثالث الشرقى هو شاطىء الخليج ، وتبلغ مساحة الإمارة نحو عشرين ألف كيلو متر مربع ، وأرضها صحراء قاحلة غالباً ، لا نبات فيها يُذكر ولا ماء ، والإمارة كلها تُسمَّى الكويت ، والعاصمة أيضاً تسمى الكويت ، وهناك فى الكويت ما يقرب من خمس عشرة قرية متوسطة أو صغيرة ، وهى متناثرة

خلالها ، وأغلبها على شاطىء الخليج ، ومن هذه القرى : الدمنة — أوالسالمية الآن — والفنطاس ، والفحاحيل ، والجهرة ، والشعيبة ، وأبو حليفة ، والمقوع ، والحولى ، والشعب ، والبدع ، والفروانية .

وتتبع الكويت فى الخليج بعضُ الجزر الصغيرة ، وأهمها « فيلكة » و« بوبيان » .

وقد كانت صناعة القوم قديما صيد السمك والبحث عن اللؤلؤ ، ثم برعوا فى التجارة بحراً وبرا ، ولا يزال العمل التجارى صبغة غالبة عليهم .

وأرض الكويت تظل عارية طيلة السنة إلى أيام الشتاء ، فتنزل عليها الأمطار فتنبت بعض الحشائش والنباتات ، ولكن الأمطار ليست كثيرة ولا غزيرة ، فهى تنزل بضع مرات وبكميات غير كبيرة ، وهم يستبشرون بالمطر،ويودون المزيد منه ، لنفعه إياهم فى الزرع والشرب .

وهواؤها جاف لاتناله الرطوبة إلا نادراً ، ويعتدل الجو فيها من منتصف أكتوبر إلى أواخر إبريل ، ثم تتبدى فيها الحرارة بعد ذلك ، حيث تقسو فى شهرى يوليه وأغسطس ، وأحيانا تصل درجة الحرارة فى أيام الصيف القاسية إلى ثمانية وأربعين .

ومشكلة المشكلات فى الكويت هى قضية الماء ، فلو وُجد الماء لأمكن زرع الإمارة ، لأن التربة صالحة لذلك ، وهى ممهدة مستوية ، وإذا زرعتْ وُجدت الأشجار والخمائل ، وهذه من غيرشك تلطف الحرارة فى أيام الصيف ، وتخفف حدة «السموم» الذى يهب أحياناً قرب الظهيرة ، ما بين الغرب والجنوب . . .

ولا يكثر فى الكويت ما يكثر فى غيرها من البعوض والبق ، ولذلك يحلو لأهليها النوم على سطوح المنازل صيفاً ، حيث يكفر نسيم الليل جوانب مما جناه لفح النهار .

وفى الكويت بعض آبار متناثرة ، وخاصة فى القرى ، ويُزرع على ماء هذه الآبار بعض النباتات كالبرسيم[1] والطماطم والكراث والفجل . ولكن هذه الآبار غير كاملة العذوبة ، وأهل الكويت إذا حفروا فى الأرض باحثين عن الماء خرج لهم ماء ملح ، فإن أمعنوا فى الحفر خرج لهم النفط ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ! ! . . .

---

(١) ويسمى فى الكويت القت و نطعونهاه الجت ، وأعواده أصلب من أعواد البرسيم المصرى .

آل الصباح

يلمع فى تاريخ الكويت اسم عائلة كبيرة ، هى الحاكمة ، وهى المتصرفة ، وهى الدافعة ، تلك هى أسرة الصباح التى لا يزال أفرادها ينهضون بتبعات الحكم والتوجيه فى الإمارة إلى اليوم .

وآل الصباح الحاكمون فى الكويت ينتسبون إلى قبيلة (عنزة) العربية المعروفة ، وإليها ينتسب آل سعود الحاكمون فى المملكة العربية السعودية ، وآل خليفة الحاكمون فى البحرين ، ولذلك يُعتبر الحكام فى البلاد الثلاثة أبناء عمومة ، وتراهم يشيرون إلى ذلك عند ما تأتى المناسبة .

وقبيلة (عنزة) من كبريات القبائل العربية المشهورة ، وهى تنقسم كغيرها من القبائل إلى أفخاذ ، ومن بين هذه الأفخاذ (جُمَيِّلة) — بالتصغير — وتنقسم جميلة إلى فروع منها الشملان ، والشملان تنقسم إلى عشائر ، وآل الصباح هم عشيرة من هذه العشائر .

من أين جاء آل الصباح ؟

لم تكن الكويت الوطنَ الأصلى القديم لآل الصباح ، بل نزحوا إليها من مكان يسمى (الهدَّار) فى مقاطعة (الأفلاج) من أرض نجد ، وفى هذه الأرض نبتوا ، وذاقوا طعوم النزاع بينهم وبين غيرهم من البطون ، فمرة تحلو هذه الطعوم ومرة تمر .

ويلوح أن المقام لم يطب لهم فى ذلك الوطن القديم ، لطموحهم من جهة ، ومحاولة غيرهم العدوان عليهم من جهة أخرى ، فخرجوا يطلبون العزة لأنفسهم ، والاستقلال فى أرضهم وشئونهم . . . خرجوا من نجد ، ومروا بقَطَر — وهى من بلدان الخليج بين القطيف وعمان — وكان يحكم قطر حينئذ آل مسلم ، فخشوا سطوة آل الصباح ، وخافوا أن ينتزعوا أمر قطر من أيديهم ، فألجأوهم إلى الخروج ، فركبوا السفن ومخروا بها عباب الخليج ، وبدا لآل مسلم فاتبعوا آل الصباح ، وعند (رأس تنوره) الواقعة بين البحرين والأحساء وقعت بين الأسرتين معركة

عنيفة انتصر فيها آل الصباح ، وواصلوا بعد هذا مسيرهم حتى نزلوا (المخراق) ، ولـكنها لم ترقهم ، فنزحوا عنها إلى (الصَّبِّيَّة) ، وهى أرض تقع فى الشمال الشرق للـكويت وتقرب منها .

ولم يرق للحكومة العثمانية المسيطرة حينئذ نشاط هؤلاء الطارئين ، فأرغمتهم على الخروج من الصبية ، فتركوها وتوافدوا على الـكويت ، ومعهم غيرهم من عرب وعجم .

ورُوى فى سبب خروجهم من الصبية أن قبيلة (الظفير) همت بالاعتداء عليهم ، وبدأت ذلك ، وفى طريقها قبضت على رجل من آل الصباح ، فسألها أن تطلق سراحه وتشترط عليه ، فأخذت عليه المواثيق ألا يبوح بشىء من الأمر لقومه فأقسم ، ولما جاء الرجل قومَه أراد أن يرمز إليهم ، دون أن ينقض عهده ، وكان لهم زعيم يسمى « دُوله » ، فقال الرجل يخاطبه :

عمّر الغليون يا دوله ترى دنياك معلوله
إنى حلفت بالله ما أقوله

فأدرك القوم الشر الذى يتهددهم ، وعرفوا أن مكانهم لا يصلح للتحصن به ، فتركوه إلى أرض الـكويت ، حيث كان ابن عريعر يشرف عليها ويحميها .

حكام الـكويت

منذ أنشئت الـكويت وحكمها محصور كما عرفنا فى أسرة الصباح ، ولعله من حق التاريخ أن نسرد لمحات سريعة عن الحكام السابقين من هذه الأسرة ، فإن تلك اللمحات تلق أضواء على ماضى الـكويت :

الحاكم الأول صباح الأول

هو أول الحاكمين فى الـكويت ، وهو زعيم أسرة الصباح ، وإليه تُنسب ، وفى عهده تأسست الـكويت ، ولم يتول الحكم فى بدء تأسيسها ، بل مضت مدة عقب نزوح آل الصباح إلى الـكويت ، ولما تكاثر الناس حولهم فكروا فى اختيار أمير عليهم ، فاختاروا صباحاً لذلك بعد سنة ١١١٠ هـ تقريباً ؛ ويظهر أنه كان أهلاً

للامارة ، حسن السيرة محمود الطباع ، بدليل اختيار القوم له ؛ وقد مكث فى الإمارة مدة طويلة ، ويقال إنه توفى سنة ١١٩٠ هـ .

وأولاده هم : صباح وعبد الله (الذى حكم بعده) وسلمان ومالك ومحمد ومبارك .

الحاكم الثانى عبد الله بن صباح

بعد وفاة الحاكم الأول صباح الأول تولى الحكم ابنهُ عبد الله الأول ، وكان فيما يروى شجاعاً حكيماً سريع الخاطر ، وقد استمر فى الإمارة قرابة سبعين عاماً ، وقد نشطت تجارة الكويت فى عهده مع العراق والهند واليمن ، وفى عهده حدثت واقعة (الرقة) ، وهى قطعة من البحر قرب فيلكة ، يقل فيها الماء عند الجَزْر ، فلا تستطيع السفن السير فيها . وسبب الواقعة أن أعداء الأسرة الحاكمة من (كعب) تطلعوا إلى امتلاك الكويت ، واحتالوا لذلك بالتظاهر بخطبة (مريم) ابنة الأمير عبد الله لأحد أبنائهم ، ولكن عبد الله وقومه فطنوا لذلك ، وخرجوا للقوم مناجزين ، وحدثت بين الفريقين واقعة الرقة ، وانتهت بانتصار الكويتيين .

وكذلك هاجم الكويت فى عهده إبراهيم بن عفيصان ، مع أهل الخرج والعارض وسدير ، وكان ذلك سنة ١٢٠٨ ؛ كما هاجمها سنة ١٢١١ هـ أبورجلين من أهل الأحساء .

وتوفى عبد الله سنة ١٢٢٩ هـ ، وليس له من الأولاد الذكور إلا جابر ، وهو الذى تولى الحكم بعده .

الحاكم الثالث جابر بن عبد الله الصباح

لما توفى عبد الله الأول كان ابنه جابر الأول فى البحرين مغاضباً له ، فأناب الكويتيون (محمد السلدان) عنه فى الإمارة حتى يعود ، وقد رجع جابر ، وبويع بالإمارة سنة ١٢٢٩ هـ ، وظل فيها إلى سنة ١٢٧٦ هـ .

وكان جابر مفكراً بعيد النظر سمح اليد ، ولذلك سموه (جابر العيش) ، والعيش بلغة الكويت هو الأرز ، وقد شهد بكرمه كبار عصره فى الكويت وغيرها .

وقد غزا جابر قبيلة (النصار) ، وهى من القبائل العربية القاطنة فى الجهة

الشرقية من شط العرب ، وكانت تقيم بمكان (البريم) . وسبب الغزو أن النصار قتلوا كويتياً بلا سبب ، فأراد جابر تأديبهم ، ومشى إليهم فى جيش متحمس ، وأراد أن يهاجمهم عند ميقات معين ، ولكن الحماسة جعلت رجلا كويتياً اسمه (سالم) يعض سيفه بأسنانه ، ويهرول نحو الأعداء ، فهتف الناس : (سالم ! سالم !) ، فاندفع الجنود ، وحدثت المعركة ، وانتهت بانتصار الكويتيين ، وفى هذه المعركة يقول الشاعر النبطى :

خاسر يا اللى قعد فى الديره[1] ما حضر يوماً على النصار

وقد ساعد جابر الحكومةَ العثمانية فى استردادها البصرة ، وإخماد الفتنة بها ، وقد كافأته الحكومة العثمانية بمئة وخمسين (كارة) من التمر كل سنة ، وقدمت إليه (فرماناً) وعلماً أخضر ، وظل الراتب المذكور يجرى إلى أول أيام مبارك الصباح .

وفى عهده جاء بعض الإنجليز الكويت ، وفاوضوه فى رفع العلم البريطانى ، وفى بنائهم بعض المبانى فى الكويت ، فرفض حرصاً على حسن الجوار مع الحكومة العثمانية الحاكمة حينئذ فى العراق ، وقد أحسنت الحكومة العثمانية شكره على هذا .

وكان جابر عادلا مع رعيته ، فقد فرض ابنُه صباح دون علم منه ضريبة على الحوانيت ، ولما علم جابر بذلك عنّف ابنه عليه ، وقال له :

« إن لأهل الكويت علينا حقوقاً عظيمة ، ولو كان تحت يدى ثروة طائلة لقمت بحاجات الفقراء والمحتاجين منهم إلى أن يموتوا » .

وقد توفى جابر سنة ١٢٧٦ هـ ، وله من الأولاد الذكور اثنا عشر : صباح (وهو الذى حكم بعده) وسلمان وخليفة ومحمد ومجرن وعلى وحمود وجراح ومبارك وشملان ودعيج وعبد الله .

الحاكم الرابع صباح الثانى ابن جابر الأول

حكم عقب وفاة أبيه ، فسعدت البلاد بحكمه ، وتقدمت التجارة فى أيامه ، وفى عهده هاجم عبدُ الله آل سعود قبيلةَ العجمان ، فالتجأوا إلى الكويت ، فأرسل

(١) الديرة بلهجة أهل الكويت البلد .

عبد الله رسولا يطلب من الأمير صباح طردَ العجمان ، ولـكن الرسول أساء التعبير ، فقال لصباح الثانى : « إن معزبك (سيدك) الإمام يأمرك بإخراج العجمان إليه » ! فغضب صباحَ الثانى وهاج ، وأمر بالنداء للحرب ، وبلغ الخبر عبدَ الله فأظهر أسفه ، واعتذر عن سوء الخطاب الذى بدر من رسوله .

وكان أهل الـكويت قبل ذلك يصلون العيد خارج البلد ، فأصبحوا يصلون داخل المدينة ، وجرت بذلك العادة ، وكان السبب فى هذا التغيير هو خوفهم من هجمات الأعداء .

وقد أراد صباح الثانى فى عهده أن يقرر ضرائب على البضائع المـارة بالجمرك ، فرفض أهل الـكويت ذلك ، فاستجاب لرغبتهم ، ونزل على رأيهم .

وتوفى سنة ١٢٨٣ هـ محمود السيرة مرضياً عنه . وأولاده هم : عبد الله (الذى حكم بعده) وجابر وجراح ومبارك ومحمد وأحمد وعذبى وحمود .

الحاكم الخامس عبد الله الثانى ابن صباح الثانى

ولد سنة ١٢٢٩ هـ ، وتولى حكم الـكويت بعد أبيه سنة ١٢٨٣ ، وكان رقيق الطباع ميالا عن المظاهر ، وقد سمت الحـكومة العثمانية حتى جعلته (قائم مقام) فى الـكويت تحت حمايتها ، ولذلك ساعدها فى غزوها القطيف والأحساء وإخماد حركات المقاومة فيهما .

وفى عهده لجأ إلى الـكويت الشيخ محمد آل خليفة حاكم البحرين حينئذ ، بعد نزاع حدث بينه وبين شقيقه على آل خليفة ، وسعى عبد الله الثانى لإزالة الخلاف من بين الشقيقين ، حتى إنه رحل مع الشيخ محمد إلى البحرين من أجل ذلك ، ولـكن عليًا نقض وعده ، وأخلف ظن عبد الله ، فرجع عبد الله الثانى مع شقيقه محمد ، وسافر الشيخ محمد آل خليفة إلى (دارين) .

وتوفى عبد الله الثانى سنة ١٣٠٩ هـ . وله ولدان : خليفة وجابر .

الحاكم السادس محمد بن صباح الثانى

تولى الحـكم سنة ١٣٠٩ هـ ، بعد وفاة أخيه عبد الله الثانى ، واشترك معه أخوه جراح فى تصريف الأمور ، بصفة غير رسمية ؛ وكان محمد رقيق الطباع عفيفاً وقوراً ميالا إلى الهدوء ؛ وكان لمحمد هذا أخوان هما جراح ومبارك ، وكان مبارك رجلا طموحاً

مقداماً ، بخلاف أخويه محمد وجراح اللذين كانا يضيقان بطموحه ، ويضيقان عليه فى النفقة ، ويحرمانه الاشتراك فى تدبير الأمور . . .

ويروى أن مباركا اشترى — وهو يغزو بنى هاجر — إبلا للمركة ، وحوّل البائع على أخيه ليقبض منه الثمن ، فرفض محمد أن يدفع شيئاً ، وبلغ ذلك مباركا فغضب ، وأسرها فى نفسه ، وحول البائع إلى السيد ناصر البدر ، فقبل ناصر دفع النقود ، على أن يكون التسديد على يد الأمير محمد بن صباح ، فرفض محمد ذلك ؛ فقال له ناصر : « إننى سأسدد الحوالة مهما كانت ، ولكننى جئت إليك وطلبت أن يكون تسديدها باسمك أمام الناس لئلا يكثر منهم القيل والقال فيك وفى أخيك » .

فاقتنع محمد بهذا ، وقبل تسديد المال .

وكان لمبارك حقوق مالية طالب بها أخويه ، فرأياه مسرفا فيها حسب ظنهما ، وثارت خلافات عنيفة بين الإخوة الثلاثة بسبب ذلك ، وتدخلت الأطماع والأحقاد والدسائس فى الموضوع ، وكان مبارك قليل المال كثير الإنفاق ، وكان إذا احتاج إلى لحم ، دخل السوق وأخذ ما يريد على ذمة أخويه ، فذهب أخوه جراح إلى السوق ، وصاح بين أهله قائلا : « إياكم أن تعطوا مباركا شيئاً ، فقد تبين أنه من المفلسين ، وأن عليه ديوناً عظيمة » .

حينئذ ثارت ثائرة مبارك ، ووسوس له الشيطان اللعين أن يقتل أخويه ، وفى ليلة من ليالى ذى القعدة سنة ١٣١٣ هـ اندفع مبارك لقتل أخويه ، ومعه ابناه سالم وجابر ولفيف من الخدم ، وجعل مبارك نفسه لقتل محمد ، وجابراً وبعض الخدم لقتل جراح ، والباقين للحراسة .

ودخل مبارك على أخيه محمد فأيقظه من نومه ، وأطلق عليه بندقيته ، واستنجد محمد بأخوة شقيقه فلم يستجب له ، وأطلق عليه البندقية مرة أخرى حتى قضى عليه .

وذهب جابر إلى عمه ، فوجده مع زوجته ، فسدد البندقية إليه ، ولكنها لم تنطلق ، وقبض عليه عمه بمعاونة زوجته ، ولكن بعض الخدم أطلق الرصاص على جراح فقتله .

وبذلك وقعت أفظع حادثة فى تاريخ الكويت ، وقد دفع إليها إهمالُ الحقوق وتغافل الشقيق من جهة ، والثورة الهائجة مع الغضب الأعمى من جهة ثانية .

الحاكم السابع مبارك الصباح

فى صبيحة الليلة التى قَتل فيها مبارك أخويه محمدا وجراحا جمع مبارك وجهاء الكويت وقال لهم : « قد قُضى الأمر ، وما قضى لا مرد له ، فماذا ترون ؟ وعلى ماذا أنتم عازمون » ؟ . فأخذ القوم بسياسة الأمر الواقع وبايعوه ، وعاهدهم على العدل والإصلاح والاستشارة .

ولم تكمل راحة مبارك بتلك المبايعة ، فلا يزال هناك أبناء أخويه ، لن يغفلوا عن ثأرهم مهما أكرمهم ولاطفهم ، وهناك يوسف آل إبراهيم الداهية الغنى الواسع السلطان ، وهو ممن كانوا فى صف محمد وجراح ، وممن يكرهون مباركا ويضادونه ؛ وقد حاول مبارك استدراج يوسف ، فخاف الأخير وفر إلى البصرة ليرفع قضية ضد مبارك هناك ، متهما إياه فيها بقتل أخويه ، ومستعينا فى ذلك بحمدى باشا والى البصرة ، ولكن مباركا اتصل بصديقه رجب باشا مشير بغداد الذى أقنع ولاة الأمور بعدم التدخل فى هذه الحادثة العادية الداخلية حسب تعبيره

ولكن يوسف آل إبراهيم لم يكتف بما كان ، بل أخذ يقلق خاطر مبارك بمكايد ومؤامرات يستعين فيها بكل ما يستطيع وبكل من يستطيع . .

وقد حدثت مصادمات بين مبارك وآل الرشيد ، ومنها حادثة الصريف أو الطرفية (وهما موضعان متقاربان قرب القصيم) ، وقد خرج مبارك فى هذه المعركة بنفسه ، ومعه الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، وابنه عبد العزيز آل سعود حاكم المملكة العربية السعودية الآن . وبدأ القتال بعد مراوغة من عبد العزيز ابن الرشيد ، وقد انتهت المعركة الفظيعة بانتصار ابن الرشيد ، بعد كثير من القتلى ، وقد أسرف ابن الرشيد بعد انتصاره فى انتقامه ، فلم يرعَ أدبا من آداب القتال .

ويرجع انهزام مبارك إلى إعجابه بنفسه ، وإلى أن المقاتلين معه من البادية لا يؤمنون بما يقاتلون من أجله ، وأن ابن الرشيد دافع دفاع المستميت عن وطنه وحياته ، وأن مباركا لم يكن على علم بقوات ابن الرشيد .

ورجع مبارك إلى الكويت بعد أن فقد رجاله ، وليس معه إلا اثنان من خدمه ، ولكنه مع ذلك لم ييأس ، بل عزم على الانتقام .

وعلمت الحكومة العثمانية عقيب ذلك أن مباركا له صلة بالجانب الإنجليزى ، يستعين به لحمايته ، فأغضبها ذلك ، وأرسلت إليه السيد رجب النقيب نقيب الأشراف بالبصرة يعرض عليه واحداً من أمور ثلاثة : إما أن يسافر إلى الآستانة ليعين عضواً فى مجلس شورى الدولة ، وإما أن يسافر إلى أى بلدة يختارها والحكومة تقضى له ما يحتاج إليه ، وإما القوة ! ! . . .

وعلمت انجلترا بذلك ، فأرسلت طرادين رابطا بالقرب من الكويت ، وحاول مبارك أن يقنع السيد رجب بعدول الحكومة العثمانية عن هذه الطريقة المهينة فلم يجد قبولا ، فأعلن مبارك معاهدته مع انجلترا ، بعد أن خاب فى محاولة التفاهم مع الحكومة العثمانية ؛ وقد عقدت ثلاثة اتفاقات بين مبارك وانجلترا ، الأول فى رمضان سنة ١٣١٦ ، والثانى فى محرم سنة ١٣١٨ هـ والثالث فى ذى الحجة سنة ١٣٢١ هـ .

وخلاصة المعاهدات هى أن الحكم محصور فى أسرة الصباح ، وأن الكويت لا ترتبط بشىء خارجى إلا بموافقة انجلترا ، وأن انجلترا تقوم بحماية الكويت من العدوان الخارجى ، وليس لانجلترا تدخل فى شئون الكويت الداخلية ، وعلى الكويت أن تكون صديقة لأصدقاء انجلترا ، وعدوة لأعدائها ، وألا تهرَّب الأسلحةُ عن طريقها . . .

ويلوح من ظروف المعاهدة أنه لا يجب إلقاء التبعة كلها على مبارك وحده فيها ، بل تشاركه فى ذلك الحكومة العثمانية الطامعة ، مع أن مباركا فى هذا الوقت كان يجاملها ، ويتجنب استثارتها بكل ما يستطيع .

وأراد مبارك أن يقضى على عدوه ابن الرشيد فأوحى إلى ابن سعود بمحاولة امتلاك الرياض ، وكان ابن سعود شديد الرغبة فى ذلك ، فتم له احتلال الرياض ، وكان مبارك يعاونه بالسلاح والميرة والمشورة ، حتى استقر أمره فى الرياض ونجد ، وقضى على خصمه عبد العزيز بن الرشيد .

وفى الوقت الذى احتل فيه ابن سعود الرياض كان والده عبد الرحمن الفيصل فى الكويت ، فخرج منها إلى الرياض فى صفر سنة ١٣٢٠ هـ ، وزوّده مبارك بالطعام والسلاح والهدايا .

وفى عهد مبارك زار الكويت اللورد كيرزن الإنجليزى بأسطول ضخم ، وقد احتفل به مبارك احتفالاً واسعاً مشهوداً .

وفى ربيع الأول سنة ١٣٢٨ هـ حدثت معركة (هدية) . وكانت بين أهل الكويت وبين سعدون باشا السعدون ، وقد سميت الحادثة بهذا الاسم لأن أهل الكويت انهزموا وسلموا أمتعتهم وسلاحهم بلا قتال يُذكر ، فكأنهم جعلوها لأعدائهم (هدية) ! . . . ولكن مباركاً استرد الهدية فيما بعد بمناوشاته المتكررة .

وفى عهده فرض رسوماً على أهل تجارة اللؤلؤ ، فضج من ذلك ثلاثة هم هلال المطيرى وشملان بن على وإبراهيم بن مضف ، فهجروا الكويت ، ولكن مباركاً استرضاهم بعد ذلك حتى عادوا .

وقد تبرع مبارك فى سنة ١٣٢٩ هـ لمنكوبى حريق الآستانة بمبلغ خمسة آلاف ليرة ، بوساطة المرحوم سعود الخالد الخضير فى البصرة ، فوهبته الحكومة العثمانية الوسام المجيدى من الدرجة الأولى ، ووصل وفد يحمل هذا الوسام إلى الكويت فى ١٥ صفر سنة ١٣٣٠ هـ ، برياسة العلامة عبد الملك الشواف مفتى البصرة ، فأقيم له احتفال كبير .

وكذلك تبرع مبارك بثلاثة آلاف ليرة عثمانية لإعانة الحكومة العثمانية فى حرب طرابلس الغرب . . .

ومما يؤخذ عليه أنه أخرج الشيخين الفاضلين محمد الشنقيطى وحافظ وهبه من الكويت ، بتهمة أنهما يحرضان أهل الكويت على مقاومة الإنجليز .

وفى آخر عهد مبارك ساءت العلاقات بينه وبين ابن سعود بسبب المطامح والمطامع .

وكان مبارك حازماً جريئاً داهية ، وكان جباراً عنيفاً جمّاعاً للمال كثير الإنفاق ، ويلوح أنه من أصحاب الشخصية المزدوجة ، ولم تنشط الحياة العلمية فى عهده .

وتوفى مبارك سنة ١٣٣٤ هـ . وأولاده هم : جابر وسالم (وقد حكما بعده) وصباح وفهد وناصر وحمد وعبد الله (وهذا الأخير هو سمو الشيخ عبد الله المبارك الصباح رئيس الأمن بالكويت الآن) .

الحاكم الثامن جابر الثانى ابن مبارك الصباح

تولى الحكم فى ١٢ محرم سنة ١٣٣٤ عقب وفاة أبيه مبارك ، وكان رجلا سليم الصدر مصلحا ، افتتح عهده بإعفاء الناس من ضريبة الثلث على العقارات التى فرضها والده عليها ، وأرجع بعض البيوت المغصوبة إلى أهلها ، وبسط يده بالإنفاق من خزانة الإمارة ، بعد أن كان معروفا قبل توليه بالحرص وقلة الإنفاق .

وسعدت البلاد فى عهده ، ونشطت التجارة ، واتصل تجار الكويت بأسواق نجد والحجاز والشام والعراق والآستانة ، ولكن التعليم ظل راكد الريح .

توفى فى ربيع الأول سنة ١٣٣٥ هـ ، وله ولدان : أحمد وحمود .

الحاكم التاسع سالم بن مبارك الصباح

تولى سالم الحكم بعد أخيه جابر فى ربيع الأول سنة ١٣٣٥ هـ ، وكان عفيفا متديناً أديباً ، وقد افتتح عهده بتخفيض رسوم الجمرك إلى أربعة فى المئة ، وأسقط الرسوم على الخارج من البضائع ، وطهر البلد من المنكر ، ونصب لذلك مشرفين يسهرون على الأخلاق والآداب ، مما ألهج ألسنة الشعراء بمدحه . وقد قرب إليه شاعر الكويت الشيخ صقر الشبيب ، وجدد له بيته واستمع منه .

وفى عهده مدت انجلترا خط (التلغراف) من العراق إلى الكويت ، بعد مشاورات وتردد .

وفى ربيع الأول سنة ١٣٣٦ هـ سعت انجلترا لإدخال لجنة إشراف ، تكون مهمتها مراقبة البضائع الداخلة إلى الكويت والخارجة منها ، حتى لا يحدث شىء يضرها والحرب قائمة بينها وبين أعدائها ، وقد قبل الشيخ سالم دخول اللجنة بعد محاولات ، وسمى عمل هذه اللجنة (الحصار التجارى) . واستمر هذا الحصار إلى ١٦ صفر سنة ١٣٣٧ هـ . ودفعت انجلترا للشيخ سالم تعويضاً عن ذلك قدره أربعمائة وسبعة وثمانين ألف روبية ، وأهدت إليه (نيشانا) فى جمادى الثانية من السنة نفسها .

ومما يؤخذ على الشيخ سالم قسوته فى لقائه للبحاثة المحقق الشيخ محمد الشنقيطى

حين رجع من نجد إلى الكويت بعد خروجه منها بضغط الإنجليز . . . أساء لقاءه وسبه وطرده مهينا . . . ومن العجيب أن الشيخ الشنقيطى زار الكويت بعد ذلك فى رمضان سنة ١٣٤٣ هـ ، وأقام له النادى الأدبى حفلة تكريم اشترك فيها الرجل الحر الكريم السيد سليمان العدسانى (مدير المالية بدائرة المعارف فى الكويت الآن) بقصيدة نثبتها هنا للذكرى والتاريخ ، وقد كان السيد سليمان حينئذ فى ريعان الشباب ، قال :

يا قوم ، إن نزيلكم هـذا هو الرجل الوحيدْ
النـاطق الحـق الصراح وإنـه فى ذا فـريد
إنى وقفت خطيبكم يا ليت شعرى هل أجيد ؟
يا شيـخ أنت رجاؤنـا فى نهضة النشء الجديد
عصر الخـرافة قوضـت أركانُه حـتى أبيـد
يا شيخ أنت سهامنـا إن كابرَ الخصمُ العنيد
ثابر لخلفـك عصبة قد أقسمت أن لا تحيـد
فتخـطَّ للعليـا بهـا يا صاحب الرأى السديد

***

إن الـكويت لبُعـدكم كادت لبلـواها تميـد
فاصفح لماضيهـا ، وغض الطرف عن ذاك البعيـد
هذى الـكويت تنسمت أرجاؤها لك من جـديد
واستبشرت بقـدومكم فـكأنما كانت بِعيـد
وأقام نادِيها لـكم ذا المهرجان مع النشيد
أما « الزبير » فكم لـكم فيها من الأثر الحميد
فلـكم أشدت مدارسا فيها ، وكم أثر مجيد
لو كان مثلك عشرةٌ فينا لما بعد البعيـد
عجبى لقوم أغضبوك ، أما بهم رجل رشيد
آذوك لما أن دعوتهمُ إلى أمرٍ مفيـد

***

وفى عهد سالم ساءت الملاقات بين الكويت وابن سعود ، وأدى ذلك إلى حدوث واقعة (حمض) [١] التى وقعت فى شعبان سنة ١٣٣٨ ، وانتصر فيها السعوديون على الكويتيين أولا ، وفى رمضان من هذه السنة ، شرع الكويتيون فى بناء السور المحيط بمدينة الكويت ، لوقايتها من هجمات الهاجمين ، وقد اشتغل أهل الكويت جميعاً فى بناء السور ، كل فريق من جهة ، وكانوا يشتغلون ليلاً ، وكان بناء السور فى الأسفل من الطين ، وفى الأبراج التى أقاموها عليه من الطين واللبن ، وجعلوا فى هذا السور جملة أبواب للخروج منها والدخول ، وتغلق الأبواب عند اللزوم ، وطول هـذا السور نحو خمسة أميال ، وطرفه الأول فى الشاطىء الشرق ، والطرف الآخر فى الشاطىء الغربى ، وقام الأهلون وحدهم بنفقات هذا السور كلها .

وكذلك وقعت فى عهده حادثة الجهرة ، فقد أمر ابن سعود قائده فيصل الدويش بمهاجمة (الجهرة) ففعل صباح الأحد ٢٦ محرم سنة ١٣٣٩ هـ ، وبنحو أربعة آلاف من الجند ، وقد لاق (الإخوان السعوديون) من مجاهدى الكويت مقاومة عنيفة عسيرة ، ولكنهم استطاعوا دخول (الجهرة) فلجأ الكويتيون إلى (القصر الأحمر) بها رجالاً ونساء وأطفالا ، وكان الشيخ سالم موجوداً معهم ، وجاء من يفاوضه فى الصلح باسم الدويش إذا ترك الكويتيون « المنكرات والدخان وكفَّروا الأتراك ودخلوا فى الإسلام من جديد لأنهم صاروا كفاراً بما ارتكبوه من موبقات » !!...

وكان الإخوان يهتفون إذا هجموا : « إبراهيم يا عمود الدين ، محمد يا رسول الله ، هبت هبوب الجنة ، وين أنت يا باغيها ؟ » . وقد وقعت خسائر فى الأرواح من الفريقين ، وإن تكن خسائر الإخوان أكثر ، وانتهت الموقعة بالانسحاب من الجهرة على شروط ، ثم بُذلت محاولات للصلح بين الفريقين . . .

ومن أبرز المجاهدين فى هاتين الموقعتين سمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح (رئيس المعارف والمحاكم والأوقاف بالكويت الآن) ، وقد استشهد والده الشيخ جابر عبد الله فى موقعة الجهرة . ويروى لنا سعادة الشيخ عبد الله الجابر فيما يرويه

---

(١) اسم مكان يقع جنوبى الكويت ، على مسافة سبعين ميلا تقريباً .

عن ذكرياته الكثيرة فى هذه المواقع أنهم كانوا ذات ليلة محاصَرين فى (القصر الأحمر) ، وجاء من يخبرهم أن (الإخوان) سيتخذون حيلةً للإيقاع بالكويتيين على غرة ، وتلك الحيلة هى أن (الإخوان) سيؤذنون للفجر خداعاً ، ويكبرون للدخول فى الصلاة خداعاً ، وحينئذ يقبل الكويتيون على الصلاة آمنين ، فينقض عليهم الإخوان مفاجئين .

وعمل من فى (القصر الأحمر) على اكتساب الخديعة لصالحهم ، فلما جاء الفجر أذّن مؤذن الكويت من داخل القصر ، واستعد القوم جميعاً بالسلاح ووقفوا على منافذ القصر ، وكبّر الشيخ عبد العزيز الرشيد إمام القوم ، كأنه يؤمهم فى الصلاة ، وبدأ يقرأ بصوت جهير . . .

وإذا بالإخوان يقبلون وهم يكبرون ويرددون : « هبت هبوب الجنة ، وين أنت يا باغيها »؟. وفجأة لاقاهم رصاص الكويتيين ودفاعهم العنيف فارتدوا منكسرين !!..

ومما يذكر أن الإخوان أرسلوا إلى الشيخ سالم وهو فى القصر الأحمر يطلبون منه أن يخرج هو ومن معه من القصر ، ويترك لهم كل شىء سليماً ، حتى يأمن على حياته ، فأجاب الرسول : « قل لهم : الوعد غداً ، فإما أن أدفنكم فيها ، وإما أن أخرجكم منها ، وإما أن تدفنونى فيها بالقوة ، والوعد غداً » . وجاء الغد بالنصر له ! ! . .

وتوفى الشيخ سالم سنة ١٣٣٩ هـ . وأولاده هم : عبد الله (الحاكم الحالى للكويت) وعلى وفهد وصباح ودعيج . .

الحاكم العاشر أحمد بن جابر الصباح

تولى الحكم فى ١٤ رجب سنة ١٣٣٩ هـ بعد وفاة عمه سالم ، وكان عزيزا لبيبا صبورا ، أدى الحج فى شدة الحر سنة ١٣٣٦ ، وكان محبا لسماع العلم ومطالعة الصحف ، وسافر إلى بومبى سنة ١٣٣٧ هـ ، وإلى لندن فى صفر سنة ١٣٣٨ ، وأهدى إلى ملك انجلترا هدايا ، وزار مصر فى عودته من لندن ، وفى السنة التى تولى فيها قام بالسفارة بين أمير الكويت وبين أمير نجد ابن سعود ، وبينما هما فى المباحثات مات عمه سالم

أمير الكويت ، فقال ابن سعود للشيخ أحمد : « مادمت قد صرت الأمير فلك ماتشاء ، ولا حاجة إلى شروط أو معاهدات بيننا » .

وفى عهده ظهر الأدباء والشعراء ، وأنشىء مجلس للشورى اشترك فيه السادة حمد آل مقر (رئيسا) والشيخ يوسف بن عيسى القناعى وأحمد الفهد آل خالد والسيد عبد الرحمن النقيب ومشعان الخضير وأحمد الحميضى ومرزوق الداود آل بدر وشملان بن على بن سيف وهلال المطيرى وإبراهيم بن مضف وخليفة بن شاهين آل غانم والشيخ عبد العزيز الرشيد ، ومما يؤسف له أن هذا المجلس لم يستمر طويلا .

وفى عهده صدرت صحيفة (الكويت) للشيخ عبد العزيز الرشيد ، وكتابه (تاريخ الكويت) المرجع السابق لتاريخ هذه الإمارة ، وطالما رجعنا إليه ، وكذلك أنشئت المدرسة الأحمدية ونُسبت إليه ، والمكتبة الأهلية والنادى الأدبى .

وفى رمضان سنة ١٣٤٣ هـ تقدم السيد خالد بك النقيب إلى الأمير يطلب منه منحه امتيازا لتسيير السيارات البرية بين الكويت والبصرة لمدة خمسين سنة ، وسمح الأمير بذلك ، وأنشئت لذلك شركة ، أبيح الاشتراك فيها لكل كويتى ، وكان رأس مالها مائة ألف روبية ، وكل سهم فيها بمائة روبية ، وبدأت الشركة عملها فى اليوم الرابع من شعبان سنة ١٣٤٤ هـ ، وبذلك سهلت المواصلات بين الكويت والبصرة .

وفى عصره بدأت البعثات العلمية ، فأرسلت بعثة إلى العراق مكونة من الشيخ فهد السالم الصباح وخالد بن سليمان العدسانى وأحمد بن عبد العلى ومحمود بن عبد الرازق الدوسرى وعبد الكريم بن محمد آل بدر وسليمان العنزى وعبد الله المدير ؛ وقد لقيت هذه البعثة فى الكلية الأعظمية أكرم مقابلة ؛ وكان يهتم بشئون البعثة بعد الأمير مصلح الكويت الشيخ يوسف بن عيسى القناعى وكان إرسال هذه البعثة فى سنة ١٣٤٣ هـ .

وقد عاون الأمير الشيخ أحمدُ بن سعود فى حصار (حائل) ، إذ أرسل إليه ستين ألف ريال وألف كيس من الأرز .

وفى عهده أعطى الامتياز لشركة النفط بالبحث عن النفط فى أرض الإمارة وفى المنطقة المحايدة .

وتوفى الأمير سنة ١٩٥٠ م ، وشيعت جنازته يوم الاثنين ٣٠ يناير من هذا العام . ومن أولاده عبد الله ومحمد وجابر وصباح وخالد ونواف ومشعل وفهد .

وقد رثت الفقيد مجلة (البعثة) ، وسجلت خلاصة لحياته نوردها فيما يلى :

— ولد المغفور له الشيخ أحمد الجابر الصباح سنة ١٨٨٥ م فى الكويت .

— كان منذ صباه فارساً رياضياً محباً للقنص والصيد بأنواعه .

— ذهب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج عام ١٣٣٦ هـ ، وهو عام لم يكن الأمن فيه مستتباً ، وكان الجو قائظاً شديد الحرارة ، وذلك فى عهد الشريف حسين بن على الذى أكرمه ، واستقبله أحسن استقبال .

— فى ذى الحجة سنة ١٣٣٧ هـ قبيل توليه الحكم قام برحلته الأولى إلى لندن ، وفى طريقه إليها أقام فى بومبي فترة من الزمن ، ثم غادر الهند إلى انجلترا ، فوصلها فى صفر سنة ١٣٣٨ هـ (سنة ١٩١٩ م) وفى عودته مر بمصر .

— توفى عمه الشيخ سالم بن مبارك الصباح بداء القلب فى رجب سنة ١٣٣٩ هـ (سنة ١٩٢١ م) ، فخلفه سموه على كرسى الحكم فى ١٤ من شهر رجب .

— كان الفقيد عند وفاة عمه موفداً من قبله إلى الملك ابن السعود للمفاوضة معه فى خلافات تتعلق بالحدود بين الكويت ونجد ؛ وكان الملك ابن السعود أول المهنئين له بتولى الإمارة .

— فى أول عهده تأسس مجلس الشورى الأول ، ولكنه لم يعمر طويلا .

— فى سنة ١٩٢٢ م حددت الحدود بين الكويت ونجد فى ميناء (العقير) .

— قامت فى أول عهده بالحكم نهضة أدبية طيبة ، كان من نتائجها تأسيس النادى الأدبى ، والمكتبة الأهلية التى نمت فأصبحت الآن مكتبة المعارف العامة ، كما أنشئت باسمه المدرسة الأحمدية ، على غرار المدرسة المباركية التى سميت باسم جده الكبير الشيخ مبارك .

— قامت مشكلة المسابلة بين المملكة العربية السعودية والكويت سنة ١٣٤٠ هـ حيث عزم الملك ابن سعود على منع رعاياه من أهل نجد والبادية من التزود والشراء

من الكويت ، وقد بقيت المشكلة قائمة عشرين عاما جرت خلالها مفاوضات عديدة ، حتى تم الاتفاق التجارى بين البلدين فى محرم ١٣٥٩ هـ (مارس سنة ١٩٤٠ م) .

— وفى عام ١٩٣٤ م قام سموه برحلته الثانية إلى لندن ، وقد زار خلالها مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن .

— وفى سنة ١٩٤٠ عقدت معاهدة حسن جوار وصداقة واتفاقية تسليم المجرمين بين الكويت والمملكة السعودية .

— وفى عام ١٩٤١م نشأت مشكلة أخرى بين المملكة السعودية والكويت . وذلك أن المملكة وضعت رسما على سفن الغوص الكويتية التى ترسو فى موانئها ، ولكن السفن الكويتية امتنعت عن الرسو فى تلك الموانى ، فألغى الملك ابن سعود تلك الرسوم .

— قام ابن حثلين والغم بهجوم على أطراف الكويت ، وقد نهب بعض العربان .

— حدثت واقعة « الرقعى » الشهيرة سنة ١٣٤٧ هـ ، وقد ذهب ضحيتها من الكويت سمو الشيخ على السالم الصباح ابن عم الأمير الراحل ، وأخو الأمير الحالى ، وستة من الرشايدة ، كما جرح آخرون بينهم المرحوم الشيخ على الخليفة .

— أرسلت فى عهد سموه أول بعثة علمية من الكويت للدراسة فى الخارج ، وذلك فى سنة ١٣٤٣ هـ ، وكانت إلى العراق ، وهى مكونة من سبعة أعضاء ، بينهم سمو الشيخ فهد السالم الصباح .

— أسست فى عهده الدوائر المختلفة التى تقوم مقام الوزارات فى البلاد الأخرى ، وكانت أول دائرة أسست هى دائرة البلدية ، وآخر دائرة هى دائرة الأوقاف التى أسست فى العام المنصرم (١٩٤٩م) .

— أنشىء فى سنة ١٩٣٨ المجلس التشريعى المنتخب برئاسة سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح المعظم .

— ابتدأ استقدام البعثات التعليمية من فلسطين وسوريا ومصر من عام ١٩٣٦ .

— فى سنة ١٩٤٥ أنشىء بيت الكويت بمصر ، وتوسعت الحكومة فى إرسال البعثات .

— زار الفقيد جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود فى أول يونية سنة ١٩٤٧ بالرياض، وقضى فى ضيافته ٢١ يوماً ، وكان معه نجلاه جابر وصباح .

— وفى عام ١٩٤٧ تقرر إبعاد اليهود من الكويت إثر ما أبدوه من نشاط ليس فى صالح العرب .

— فى ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٧ م زار الفقيد كراتشى عاصمة الباكستان ، ومعه نجلاه جابر وصباح وبعض حاشيته ، وفى طريقه إليها مرّ بالبحرين لفترة قصيرة ، وقد اجتمع فى الباكستان بالقائد الأعظم المرحوم محمد على جناح ، وكذلك زار بومبى زيارة خاصة .

— وُقعت فى عهده اتفاقيتا شركة الكويت ، وشركة بترول المنطقة المحايدة .

— عمل على تشجيع التجارة ، بعد أن تدهور اللؤلؤ بصفة خاصة .

— من أهم صفاته أنه ذكى غاية الذكاء ، ممتاز بحصافة التفكير ، بعيد الغور ، يعرف كيف يصل إلى ما يريد ، ومن طباعه البارزة الأناة والتمهل ، فلا يصدر الحكم ولا يقدم على أمر إلا بعد أن يقلبه على وجوهه ، وينعم فيه التفكير . متبصر فى أعماله يأخذها بالحكمة ، ويقلب الرأى فيها بالروية ، ميال إلى السلم ، وقلما يلجأ إلى العنف إلا إذا لم يجد مجالاً إلا فى اللجوء إليه . رزين فى طبعه ، مهيب فى مظهره ومخبره . رحمه الله رحمة واسعة .

الحاكم الحادى عشر عبد الله السالم الصباح

هو الحاكم الحالى للكويت ، وفيما يلى أيضاً خلاصة صورتْ بها لمحات خاطفة عن سموه :

— ولد سموه سنة ١٨٩٥ م . فله من العمر الآن ثمان وخمسون سنة ، أمد الله فى حياته .

— له من الإخوة الأحياء صاحبا السمو الشيخ فهد والشيخ صباح ، وقد قتل أخوه المرحوم الشيخ على فى وقعة (الرقعى) .

— له من الأبناء الكبار صاحبا السمو الشيخ سعد والشيخ خالد .

— فى عام ١٣٤٠ توجه إلى الرياض لمفاوضة جلالة الملك ابن سعود فى مشكلة

المسابلة بين نجد والكويت ، ورغم ما بذله سمو الأمير من جهود لحل هذه المشكلة فإن تلك المحاولات لم تنجح فى ذلك الحين .

— رأس المجلس التشريعى عام ١٩٣٨ م ، ثم مجالس الشورى التالية .

— تولى الإشراف على مالية الكويت .

— زار مصر عام ١٩٤٥ م مع بعض أفراد الأسرة الحاكمة .

— زار سموه الهند عام ١٩٤٧ ، وبقى فترة من الزمن فى بومبى .

— قصره المحبب إليه هو قصر (الشعب) على ساحل البحر خارج مدينة الكويت من الشرق .

— مجلسه الذى يأتى إليه فيه الناس وهو ولى العهد فى ديوان بيت الأسرة القديم قرب قصر السِّيف .

— أحب الأماكن الهادئة إلى سموه جزيرة (فيلكه) ، وسموه يقضى فيها كثيراً من أوقات فراغه ، ويعجب بجوها وهدوئها .

— يقصد سموه قبل عصر أغلب أيام الأسبوع ديوان الشيخ يوسف بن عيسى ، حيث يدور الحديث فى الغالب حول الشئون الأدبية ، أو الاطلاع على المؤلفات الحديثة أو القديمة .

— بعد أن تولى الإمارة صار يذهب إلى قصر دسمان ، حيث يجلس فى الديوان كما كان يفعل المغفور له سلفه لاستقبال زواره ، ثم يذهب بعد ذلك إلى قصر السيف ، والجلوس فى هذا القصر عادةٌ جرى عليها حكام الكويت منذ عهد الشيخ مبارك . وبعد هذه الجلسة يذهب سموه إلى دائرة الأمن حيث يجتمع هناك بصاحبي السمو الشيخ عبد الله الأحمد ، والشيخ عبد الله المبارك .

— يعطف سموه على النابغين من أبناء الكويت على وجه العموم ، والأدباء على وجه الخصوص .

— حجة فى شئون الكويت المختلفة ، وفى معرفة أسرها ورجالها ، وذو حكم صائب فى اكتناه الأشخاص وتقديرهم .

وفيما يلى أثبت الكلمة التى أذاعها من محطة الإذاعة اللاسلكية الكويتية فى اليوم السادس والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٥٣ م ، وذلك بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاده :

أمير الكويت

يا أبناء الكويت ، يا أبناء لؤلؤة الخليج ، يا أبناء العروبة والإسلام ...

احتفلت الإمارة الغالية فى الأمس القريب بعيد من أعيادها ، وذكرى من ذكرياتها القومية العزيزة عليها ، الحبيبة إليها ، وهى ذكرى تولى سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح مقاليد الحكم فى هذه القطعة الكريمة المفدّاة من الوطن العربى الإسلامى الأكبر ؛ ولقد هممت أكثر من مرة بأن أتحدث عن أمير الكويت ، وجاء أكثر من مناسبة لهذا الحديث ، وأقربها إلى الذكر والذاكرة عيد الأمس القريب ، ولكن هزة الاحتفال ، مع موجة التهانى ، مع كثرة الأصوات ، لم تدع للصوت الضعيف المتواضع مجالا — وإن يكن محبا وصديقا — لكى ينبثق وينطلق ، فيعتنق الخواطر مع الأسماع ؛ والآن وقد خفت حدة الزحام وروعة الكلام ، أيستطيع الضعيف أن يكون قويا ؟! ...

لكنى عدت فى هدأة الفكر واستعراض الأمر أقول فى نفسى : ولماذا تتحدث عن رجل لا يريد أن يتحدث عنه الناس ، ولا يرغب فيما يرغب فيه سواه من الطموح إلى سعة الشهرة وطيب الأحدوثة وذيوع الصيت ، بل لعل أبعد الكلام عن همه وقصده كلام فيه تنويه به أو ذكر له ، سواء أجاء هذا الكلام عن محبة أو رغبة أو رهبة ؟..

فتقول لى نفسى : من أجل هذا ، ولعله من أجل هذا وحده ، يجمل أو يجب أن تتحدث عنه ، فما بك نزعة الزلفى إليه ، ولا مظنة الرهبة منه ، وإنما هى الحقيقة ذات الخطر والأثر ، يجب أن يُعرف أمرها ويكشف سترها ، بلا تزيد أو إسراف ، وما أجمل الحقيقةَ حين تأتى صريحةً مطمئنة ، فتؤثر بقوتها فى تجردها ، أكثرَ مما تؤثر فى مظهرها بتزيدها ، والحق أبلج والباطل لجلج : « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال » .

ثم إن القائد بين أتباعه ليس ملكا خالصا لنفسه ، إنه مِلْك لقومه ، ورمز لبلاده ، وكلما ازداد هذا الرمز سموا بمعناه ومبناه ، ومخبره ومظهره ، وقوله وعمله ، ازدادت

الطاقة الروحية المعنوية فى نفوس الأفراد ، فصدقت غيرتُهم على بلادهم ، وعمقت محبتهم لأوطانهم ، واتسقت عاطفة الوئام والانتظام فيما بينهم وبين ولاة الأمر منهم ؛ فلم يبق هَمُّ الغيورِ محصوراً هنا إذن على شخص يتحدث عنه ، له أو عليه ، وإنما يتجه همه هنا إلى الجماعة ينصح لها ، ويرتجى عندها رفعة البلاد وهناء العباد ...

* * *

إن كثيراً من الناس يطمعون فى القيادة ، ويطمحون إلى الولاية ، ولكن ابن سالم لم يسع إليها ولم يحرص عليها ، ولعله بسبب ذلك قد وليها ، ولست أدرى ما الذى جعلنى أتذكر وأنا أعرض لهذه الناحية من شأنه ما روى عن أبى موسى رضى الله عنه قال : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من بنى عمى ، فقالا : أمِّرنا على بعض ما ولاك الله . فقال الرسول : إنا والله لانولى على هذا العمل أحداً سأله ولا أحداً حرص عليه . وقال : لا نستعمل على عملنا من أراده . وقال : تجدون من خير الناس أشدهم كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه ! ...

وما أردت عقد مقارنة أو مفارقة بين موقفين ، ولكنه الخاطر يفضى إلى الخاطر ...

وكأنى بالمخلصين من أبناء لؤلؤة الخليج لو سئلوا : من يصلح لتولى أمركم فى عفته ويمن نقيبته ؟ . لأجابوا : شيخنا ابن سالم ... ولكن الشيخ العَوْد[1] — حفظ الله عليه دينه — فى وادٍ غير واديهم ، فهو لايحرص على ذلك منهم ولا يجاريهم ؛ ولقد أقبلت عليه الولاية ودعته إليها ، فنهض بها مستعيناً ربه عليها .

ولقد روى التاريخ أن الخليفة الخامس والإمام العادل سيدنا ومولانا عمر بن عبد العزيز رضى الله تبارك وتعالى عنه فرَّ من الخلافة ولم يطمح إليها ، ومع ذلك جاءته منقادةً تجرر أذيالها ، وقد كانت لعمر قبل الخلافة نفس تواقة ، تأكل الطيب اللذيذ ، وتشرب القراح السائغ ، وتلبس الخز وتعده خشنا ، وتعلو المراكب الفارهة وتعدها دون ما يناسبها ، فلما جاءه أمر الناس على غير طلب منه ولا رغبة فيه ، تقبله واستعان

---

(١) هذا لقب أمير الكويت عند العامة ، واللفظ عربى فصيح ، فالعود هو المسن من الإبل والقديم من السؤدد .

الله عليه ، وتبدلت نفسه فأصبحت عازفة زاهدة ، تؤثر ما عند الله على ماعند الناس ، وتقتصد فى الطعام والشراب والثياب والركاب ، بل وتقتر فيها تقتيراً ملحوظا ، بينما تنبسط يدها الخيِّرة البارة بالجميل والإحسان والإكرام إلى المستضعَفين والمحتاجين من أفراد الرعية المسلمة .

وصوَّر أمير المؤمنين العادل عمر دستورَه فى حكمه ، وسياسته بين قومه ، بخطبته الأولى الوجيزة التى قال فيها : « أيها الناس ، أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خَلَف من كل شىء ، وليس من تقوى الله عز وجل خلف ، واعملوا لآخرتكم ، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه ، وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم ، وأكثروا ذكر الموت ، وأحسنوا الاستعداد له قبل أن ينزل بكم ، فإنه هادم اللذات ؛ وإن من لا يذكر من آبائه — فيما بينه وبين آدم عليه السلام — أبا حيًّا لمعرق فى الموت . وإن هذه الأمة لم تختلف فى ربها عز وجل ، ولا فى نبيها صلى الله عليه وسلم ، ولا فى كتابها ، وإنما اختلفوا فى الدينار والدرهم ، وإنى والله لا أعطى أحداً باطلا ، ولا أمنع أحدا حقا . . .

أيها الناس ، من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعونى ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم » .

ومن هنا كانت أظهر صفة من صفات عمر بن عبد العزيز بعد توليه أمر الناس هى الزهد فى متاع الحياة ، والرغبة عن مظاهرها الكاذبة ، وعدم المبالاة بزخرفها وزينتها ؛ ونحسب — ونحن لا نزكى بذلك على الله أحدا أبدا — كأنما شيخ الإمارة الناهضة يحاول أن يتشبه بعمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه ، والفضل لله وحده الذى فسح أمام الأخيار من عباده ساحة التقرب من حمى رحمته ورضوانه ، حتى يتلاقى السابقون واللاحقون عند مشرع الخير والبر ، مع تفاوت الطاقات والأقدار : « وما منا إلا له مقام معلوم » .

ترى الشيخ العوْد — أدام الله عليه توفيقه — فإذا رجل ربعة ، فيه سمرة الصحراء ، ووقار العرب الحاكمين ، وإذا سهولة ويسر فى الثياب والمظهر ، فلا زهو ولا تفاخر ، بل تواضع وتياسر . يستطيع أى ابن من أبناء لؤلؤة الخليج أن يسعى من بين الجموع فيصافحه ، ويقبله فى جبينه أو كتفه إن شاء ، ولقد سمعت ، ولعلى لمست

أيضاً : أن الأمير لا يضيق بشيء كضيقه بالتكلف والاصطناع ، ولا يعزف عن شيء كعزوفه عن مواطن الخيلاء فى ملأ الاجتماع ؛ وأشهد لقد رأيته فى يوم اجتمع له الناس ، وأقبلت عليه الحشود تصافحه وتهنئه ، وتعبر عن شعورها نحوه ، والموسيق تصدح بعذب النغم ، والحاكم الوقور صامت هادئ ، كأنه يفكر فى شيء آخر ، بل كأنه فى أفق آخر ، وإن يده لتمتد إلى مصافحيها — وهم كُثْر — ولو نطقت لقالت : حسبكم وحسبى ، فقد سلّمت القلوب والأرواح ، قبل تحرك الجنوب والأشباح ! . .

ولقد تنقل الأمير شرقاً وغرباً ، ورحل هنا وهناك ، وشاهد مدناً وعواصم ، وزار أقطاراً وأمصاراً ، ولقى رجالاً حاكمين وولاة مسلّطين ، وأقيمت له مآدب وحفلات ، ولكن الذى يروى عنه أن أسعد اللحظات عنده وأشهى الساعات لديه ، تلك اللحظة التى يسند فيها ظهره إلى جدار بيته ، فى جلسة بعيدة عن الكلفة والتزمت ، ثم يطلق بصره كما يطلق خاطره على سجيتهما ، يتأمل أو يفكر ، فما يستخفه مايستخف غيره من روعة اللعب أو هزة الطرب ؛ ولعله حين يجلس تلك الجلسة ، وينظر تلك النظرة ، ويستغرق فى تلك الفكرة ، لا يفرغ إلا من ضجيج الحياة ، وينصرف بعد ذلك إلى جد الأمور ولبها ، وذلك أمر يدل على ما يؤثره الشيخ الأمير من الأخذ فى المفيد المثمر ، والبعد عن الزخرف والمظهر ، ومن هنا يردد الأمير فى أغلب الأحيان قول أبى الطيب العبقرى :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام !

وما دامت سيرة المتنبى قد عرضت ، وهى التى ملأت الدنيا وشغلت الناس ، فلأشر إلى ناحية لها دلالتها فى حياة الشيخ الأمير ، تلك هى نزعته الأدبية ، وحبه للشعر العربى ، وعنايته بشعر المتنبى بوجه خاص ؛ حتى يكاد يحفظ أغلب ما للمتنبى من قصائد ؛ وأذكر يوماً جلست فيه إلى الأمير المودّ ، وتلونت أفانين الحديث ، وقال قائل عنى : إن فلانا يا طويل العمر[1] يرى أن شوقى أكثر أغراضاً فى الشعر من المتنبى . . . وإذا بالحاكم المثقل بأعباء الولاية والتوجيه وتصريف الأمور ، يأخذ

(١) هذا هو النداء الذى ينادى به الأمير وإخوته .

فى حديث عذب لطيف عن أبى الطيب وشاعريته ، ويروى من شعره الكثيرَ الممتع ، ويحكم عليه بما هو أهله ، وبعد أن يوفيه حقه ، يعدل إلى شوق فينصفه هو الآخر ، ويذكره بالتقدير والثناء ، مما تدلنا على النزعة الأدبية فى نفس الشيخ الأمير التى قد يجهلها بعض الناس حاسباً أن شئون الإمارة تشغله عن هذه الناحية .

أما بعد ، فالحديث إن مددنا له الأسباب أفضى إلى الإسهاب ، وإن لم ينله الذم أو المعاب ، فلأحمل إلى أمير الكويت من حمى مصر العربية المسلمة ، بل من حمى وادى النيل الأبىّ الفتى ، بل من حمى كنانة الله فى أرضه ، تحية أبناء النيل لشخصه النبيل ، وإن الملايين من أبناء الوادى السعيد فى مصر ليرمقون نهضة لؤلؤة الخليج بعيون الإعجاب والإطراء ، ويأملون أن تُسْهم الإمارةُ الناهضة بنصيبها الملحوظ فى بعث الوعى العربى السليم ، المستقيم على سنن العزة والكرامة والاعتدال ، وفى إحياء المفاخر العربية المبنية على يقين العقيدة ومكارم الأخلاق وفضائل الأعمال ، حتى تكون الكويت المتوثبة للعلى والمجد ، ركناً ركيناً فى مجد العرب وعزة الإسلام .

يا شيخنا عبد الله بن سالم !.. إنى لم أمدحك ، فأنت لا تحب المديح ، ولن أذمك ، فما عرفت عنك شيئاً يعاب ، فلم يبق إلا الدعاء وحسن الرجاء لك من مولاى ومولاك رب الكون سبحانه ، الذى ألقى عليك ما ألقى من تبعة وأمانة . . .

أسأله جل وعلا — وهو وحده واهب الملك والقوة — أن يُحسن لك الجمع دائماً بين دينك ودنياك ، وأن يلهمك دائماً الرشاد والسداد ، فى النهوض بقومك ، وتثبيت أمرهم ، وأخذ الحق من قويهم لضعيفهم ، ونشر السلام والخير والعدل بين صفوفهم ، إنه أكرم مسئول وأفضل مأمول .

التاريخ الميلادى

للمدة التى حكم فيها كل أمير

ذكرنا فى ترجمة حكام الكويت تواريخ حكمهم بالتاريخ الهجرى ، وفيما يلى نذكرها بالتاريخ الميلادى :

١ — الشيخ صباح الأول : من سنة ١٧٥٦ م إلى سنة ١٧٦٢ م .

٢ — الشيخ عبد الله بن صباح : من سنة ١٧٦٢ إلى سنة ١٨١٢ م .

٣ — الشيخ جابر بن عبد الله : من سنة ١٨١٢ إلى سنة ١٨٥٩ م .

٤ — الشيخ صباح بن جابر : من سنة ١٨٥٩ إلى سنة ١٨٦٦ م .

٥ — الشيخ عبد الله بن صباح الثانى : من سنة ١٨٦٦ إلى سنة ١٨٩٢ م .

٦ — الشيخ محمد بن صباح الثانى : من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٨٩٦ .

٧ — الشيخ مبارك : من سنة ١٨٩٦ إلى سنة ١٩١٥ م .

٨ — الشيخ جابر بن مبارك : من سنة ١٩١٥ إلى سنة ١٩١٧ م .

٩ — الشيخ سالم بن مبارك : من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٢١ م .

١٠ — الشيخ أحمد الجابر : من سنة ١٩٢١ إلى سنة ١٩٥٠ م .

١١ — الشيخ عبد الله السالم : تولى الحكم سنة ١٩٥٠ م .

نهضة الكويت[1]

الكويت اسم يطلق على الإمارة كلها ، وعلى عاصمتها ، وهى المدينة الوحيدة فيها . وفى أطراف مدينة الكويت قرى صغيرة ، وعلى بعد ٣٦ ك م منها نشأت مدينة أخرى اسمها (الأحمدى) عند منابع البترول ، وهى مركز شركة النفط الكويتية (K. O. C) ولها ميناء خاص بها اسمه (ميناء الأحمدى) تنتهى عنده أنابيب النفط الخام ، وتصبه فى حاملات البترول ، لتنقله إلى شتى أقطار العالم .

وتقع إمارة الكويت فى الزاوية الشمالية الغربية من الخليج العربى ، ومساحتها نحو ٢١ ألف ك م . وأرضها صحراء قاحلة ، فإذا هطلت عليها أمطار غزيرة فى الشتاء اكتست فى الربيع حلة خضراء ، ونبتت فيها الأزهار من مختلف الألوان ، ويفرح القوم بالغيث إذا جاءهم ، لأنه يزودهم بالماء ، يحفظونه بالبرك والصهاريج ، وينتفعون به فى أشهر القيظ ، ويُنبت العشب لماشيتهم ، وذلك لأن أرضهم لا تجود عليهم بالماء العذب ، فإذا حفروها خرج عليهم منها ملح أجاج ، وإذا أمعنوا فى الحفر ، تدفق عليهم الذهب الأسود فى كل مكان من منطقة البترول الواسعة . وأمطارهم عادة قليلة جداً لا تكفيهم ، ولذلك صاروا يجلبون الماء بالمراكب من شط العرب ، ومنذ سنة قامت الحكومة بمشروع عظيم لتقطير مياه البحر ، لتضمن للناس حاجتهم من الماء ، وسوف يزودهم هذا المشروع بنحو (١,٢٠٠,٠٠٠) جالون من الماء العذب كل يوم ، أما درجة الحرارة فإنها عالية ، قد تبلغ فى أشهر الصيف ثمانية وأربعين درجة سنتغراد بالظل ، وتهبط فى الشتاء فتبلغ درجة الصفر .

أما مدينة الكويت فإنها مسورة بسور من طين له خمسة أبواب ، يحيط بها من ثلاث جهات ، ويقابلها البحر من الجهة الرابعة ، وقد بنى هذا السور سنة ١٩٢١م ،

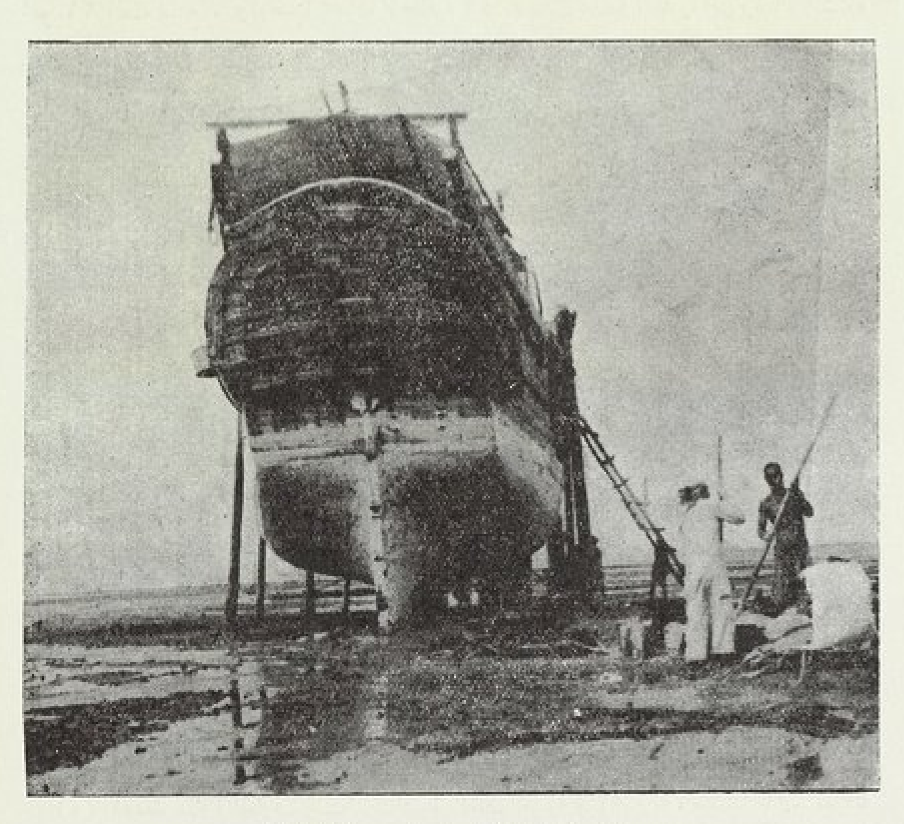
---

(١) أعدت دائرة المعارف بالكويت نشرة باللغتين العربية والإنجليزية ، ضمنتها ما تجب معرفته عن الكويت ونهضتها ، ونحن نقتبس هنا هذا الجانب من معلوماتها لتزيد القارىء اتصالا بماضى الكويت وحاضرها .

وتطوع لبنائه أهل الكويت جميعاً ، صغيرهم وكبيرهم ، حتى أتموه فى شهر واحد لحماية أنفسهم من غارات الإخوان الوهابيين . وطول هذا السور ميلان ، وارتفاعه ١٢ قدما ، وله خمسة أبراج كبيرة ، و ٥٧ برجا صغيراً .

وتقع مدينة الكويت على الضفة الجنوبية من خليجها الصغير ، وهو من أحسن الموانىء الطبيعية فى المنطقة ، وهو صالح لرسو البواخر الكبيرة فى أكثر جهاته .

وموقعها على البحر صيَّر أهلها من رواد البحار ، ومن أمهر أهل الخليج فى صنع المراكب الصغيرة والكبيرة ، التى وصلوا بها فى أسفارهم التجارية إلى الهند وأفريقيا ، ولهم جاليات بالهند حتى يومنا هذا ، ولهم صلات تجارية بمعظم البلدان المصدرة فى أميركا وأوربا وآسيا .



نوع من السفن الشراعية يسمى (البغلة)
يستخدمه الكويتيون أحيانا فى رحلاتهم التجارية الطويلة المدى

والكويت متصلة بالعالم الخارجي عن طريق البحر ، ومتصلة بالأقطار العربية عن طريق البر ، فكانت تخرج منها القوافل تحمل ما يستورده تجارها من الخارج ، وتأتيها قوافل من أطراف بادية الشام ومن حائل ونجد واليمن ، فلما كثرت السيارات والطائرات ، قل اعتماد القوم على الإبل ، وزاد اتصالهم بالعالم بالسيارات براً وبالطائرات جوا .

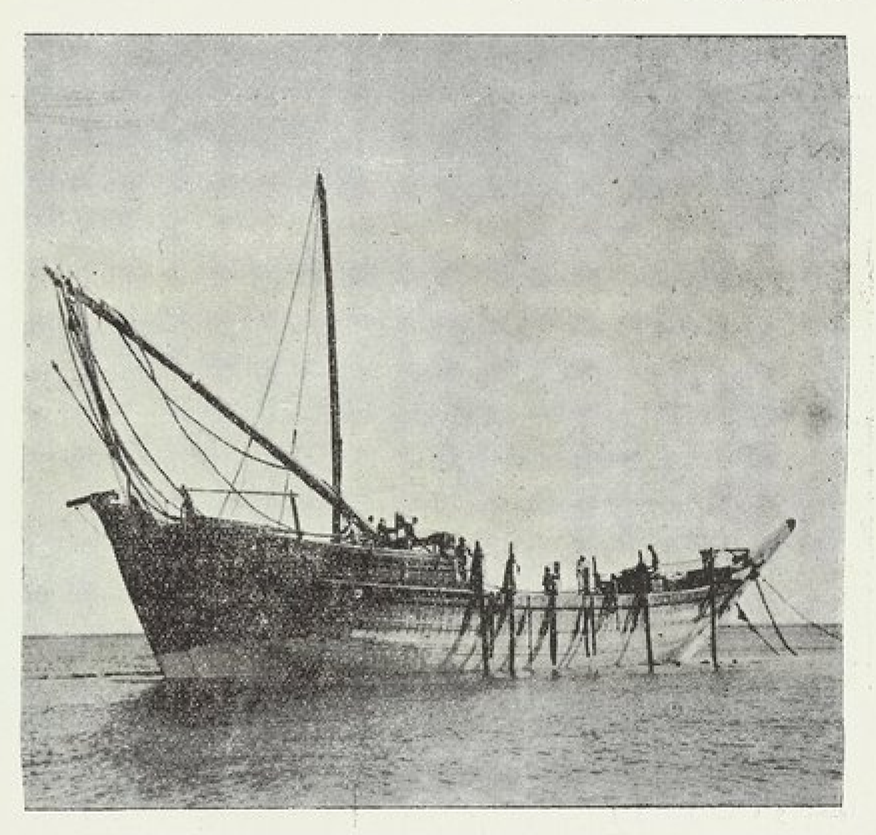


الجمل ، سفينة الصحراء ... أين هو الآن ؟ !

والكويت اليوم مدينة تجارية عظيمة ، تأتيها البواخر والطائرات ، وتدخلها السيارات كل يوم من جميع أطراف العالم ، وهي تشبه أخواتها من المدن العربية التجارية كصيدا وصور وقرطاجنة والرقيم (بطرا) وتدمر ومكة في تاريخنا القديم ، وكبيروت والعقبة وعدن وطنجة في تاريخنا الحديث .

ولقد عرف أهل الكويت العالم ، واشتغلوا بالتجارة واستخراج اللؤلؤ ، فأثروا قبل ظهور البترول في أرضهم ، فهم تجار وثقافتهم تجارية ، وهم بحاجة إلى مدارس تجارية تعلم أبناءهم أساليب التجارة الحديثة ، وإلى مدارس صناعية تعلمهم الأساليب الفنية في صنع المراكب والعناية بآلاتها ، والتمهيد لإنشاء أسطول تجاري فيها .

وليس عدد سكانها بأكثر من مائتى ألف فى الوقت الحاضر ، وهم أصلا من أبناء الجزيرة العربية ، خرجوا منها كما خرج إخوانهم وأجدادهم إلى الهلال الخصيب . وأمراؤهم من فروع قبيلة عنزة ، وهى القبيلة التى تنتمى إليها الأسرة المالكة فى نجد والبحرين من آل سعود وآل خليفة .



نوع من السفن الكويتية يسمى (بوم)

والكويت مدينة حديثة لا ذكر لها فى تاريخ العرب القديم ، ولكنها تقع فى منطقة تاريخية قريبة من موقع (كاظمة) التى ورد ذكرها فى حوادث الفتح العربى ، وعندها وقعت معركة بين العرب بقيادة خالد بن الوليد ، وبين الفرس بقيادة هرمز سنة ١٢ هـ .

وفى القرن السادس عشر جاء البرتغاليون إلى ساحلها ، ولكنهم لم يذكروا اسمها ، والراجح أن مدينة الكويت أسست فى أوائل القرن الثامن عشر ، عندما نزحت

إلى أطرافها القبائل العربية ، والثابت أنها كانت مدينة تجارية عامرة فى أواسط القرن الثامن عشر ، بحسب رواية نيبور السائح الدنمركى الذى ذكر أنه كان لها (٨٠٠) مركب ، وأن سكانها كانوا عشرة آلاف . ثم عظم شأنها خاصة بعد استيلاء الفرس على البصرة سنة ١٧٧٦ م ، إذ تحولت إليها المراكب التى تحمل البضائع من الهند لتنقل منها برا إلى بغداد وحلب .

وفى سنة ١٨٠٥ م حاول الإنكليز جعل الكويت تحت حمايتهم ، لصد هجمات الوهابيين عنها فلم يفلحوا . وفى أوائل القرن التاسع عشر كانت الكويت تابعة للدولة العثمانية ، وكانت ترفع العلم التركى ، وفى سنة ١٨٦٩ م تمكن مدحت باشا والى بغداد المشهور من إقناع الشيخ عبد الله بن صباح بأن ينضم إلى الحملة التى سارت إلى الأحساء وأخضعت أهلها ، وقد اشترك فى هذه الحملة رجال من عشائر المنتفك بالعراق ، وكان فيها من رجال الكويت مبارك (وهو الشيخ مبارك المشهور) على رأس القوة البرية .

وكان أمراء حائل من آل رشيد أصحاب السطوة والنفوذ فى الجزيرة يومئذ بعد أن تغلبوا على آل سعود ، وهزموا عبد الرحمن بن سعود أمير نجد ، واضطروه إلى أن يلجأ إلى الشيخ مبارك أمير الكويت . وكان أمراء حائل هؤلاء بحاجة إلى مرفأ خاص بهم يكون تحت حمايتهم أو ملكا لهم ، للاتصال بالخارج لاستيراد الأسلحة والمؤونة لهم عن طريقه ، لا سيما وأن الأمراء السعوديين المشردين بالكويت والأحساء صاروا يعاكسونهم ، ولا يسهلون لهم الاتصال بالعالم الخارجى عن طريق الكويت وموانىء الأحساء . وكان الشيخ مبارك فى تلك الأيام قد أخذ يخالف سياسة الباب العالى ، فاغتنم آل رشيد الفرصة ، وأعلنوا الحرب على الشيخ مبارك سنة ١٨٩٥ م . وكان الأتراك قد غضبوا على الشيخ مبارك لتمرده على والى البصرة رئيسه بعد أن عيّن من قبلهم سنة ١٨٩٧ م قائم مقام تابع لوالى البصرة .

ثم ظهر عامل جديد فى النزاع بين الكويت والأتراك ، وهو أن الأتراك منحوا الألمان امتياز خط برلين — بغداد المشهور ، وبدأ هؤلاء يعملون لمد الخط حتى ينتهى عند الكويت على الخليج العربى ، مما أقلق الإنكليز وجعلهم يتدخلون فى الأمر ، ويضعون العراقيل فى طريق هذا المشروع الخطير ، وذلك بالسيطرة على الكويت التى أراد الألمان أن ينتهى خطهم الحديدى عندها أو بقربها . وكان لورد كيرزن نائب

الملك بالهند يقظاً ، ومطلعاً على مجرى الحوادث فى الدولة العثمانية وفى منطقة الخليج ، وحريصاً على أن لا تسيطر دولة غير انكلترة على سواحل الخليج ، فأصدر أوامره إلى المقيم البريطانى فى (بوشهر) الكولونيل ميد (meade) ليسارع بعقد معاهدة مع الشيخ مبارك ، وقد تم ذلك ، ووقعت المعاهدة يوم ٢٣ يناير سنة ١٨٩٩ م . وكان من أهم بنودها : أن أمير الكويت يتعهد بأن لا يؤجر ولا يمنح أى جزء من منطقته وإمارته لأية دولة غير دولة انكلترة ، أو رعايا غير رعاياها ، وأنه لا يقبل ممثلين للدول الأجنبية إلا بعد موافقتها . مقابل ذلك تقدم له انكلترة معونة مالية ، وتحميه من هجمات أعدائه .

وفى مطلع سنة ١٩٠٠ م جاء شتيمريخ (Stemrich) القنصل العام الألمانى من الآستانة ، على رأس (بعثة مساحة) لخط برلين — بغداد ، وأراد مفاوضة الشيخ مبارك من أجل تحديد موقع نهاية الخط عند رأس كاظمة ، ولكن الشيخ رده بحسب شروط المعاهدة . وفى سنة ١٩٠٠ اشتعلت نيران الحرب مرة أخرى بين الشيخ مبارك وآل رشيد ، وأخذ الشيخ مبارك يهاجم قوافلهم التى كانت تتوجه إلى السماوة بالعراق ، لنقل الطعام والثياب والسلاح منها إلى حائل . غير أن قوات عبد العزيز بن رشيد قضت على قوة له تصدت لقوافله فى معركة الصيف ١٧ مارس سنة ١٩٠١ . وعلى أثر هذه الهزيمة أراد ابن رشيد مهاجمة مدينة الكويت ، ولكنه اضطر إلى العودة لقيام بعض القبائل عليه فى الجنوب ، كما أن قوة تركية أرادت مساعدته فى مهاجمة الكويت ، ولكنها اضطرت أيضاً إلى الانسحاب ، بعد أن بعث الإنكليز بارجة لهم لحماية الشيخ ، وأنذروا الأتراك بوجوب سحب جنودهم .

وفى سنة ١٩١٣ اعترفت تركيا بالمعاهدات والاتفاقيات التى عقدت بين انكلترة وأمير الكويت ، وبأن الكويت قضاء مستقل فى أموره الداخلية ، وتابع للدولة العثمانية ، وتحت حماية انكلترة ، على أن يكون للدولة ممثل لدى أمير الكويت . كذلك قبلت انكلترة بأن يقوم الألمان بتمديد خط برلين — بغداد إلى البصرة ، على أن تتولى شركة انكليزية مد فرع للخط من البصرة إلى الكويت .

وفى سنة ١٩١٥ عقدت معاهدة بين الشيخ مبارك والأمير عبد العزيز بن سعود ، تم فيها اعتراف آل سعود بوضع الكويت الجديد وبحدودها .

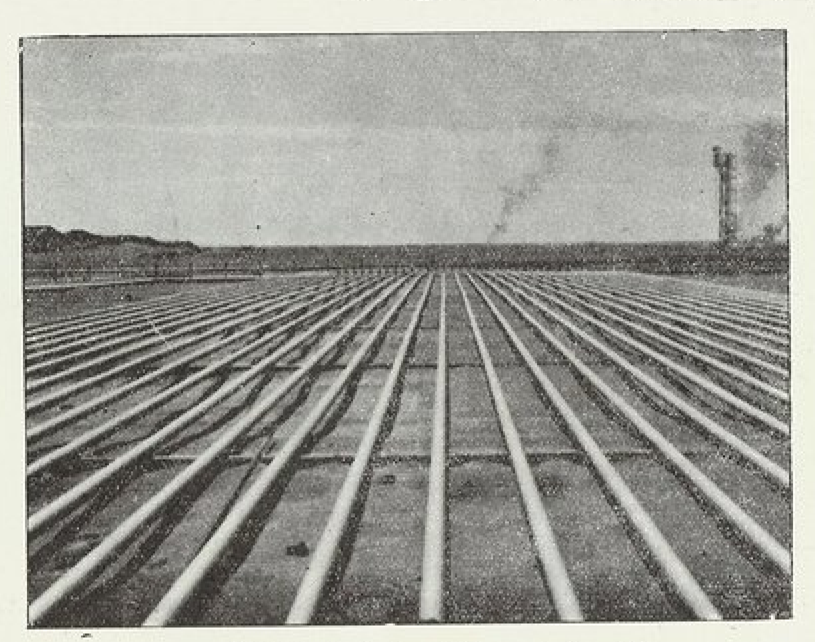
وفى ٣ يناير سنة ١٩١٦ توفى مبارك الكبير ، وتولى الإمارة من بعده لمدة قصيره ابنه جابر سنة ١٩١٦ ، ثم تولاها ابنه الآخر سالم لمدة خمس سنوات ، وتوفى سنة ١٩٢١ ، وجاء من بعده الشيخ أحمد بن جابر الذى بقى فى الحكم نحو ٢٠ عاما ، نظم خلالها البلاد ، وفى عهده ظهر البترول ، وأعطى امتيازاً لشركة انكليزية أميركية ، وآخر لشركة أميركية ، وتوفى سنة ١٩٥٠ ، وتولى بعده الأمير الحالى الشيخ عبد الله السالم .

بقيت إمارة الكويت محافظة على كيانها ، بسبب ما كان بين آل سعود وآل رشيد من منافسة ، جعلت كل فريق منهم يرغب فى الاستيلاء عليها . فتمكن شيوخها من استغلال هذه المنافسة ، كما أنهم أفادوا أيضا من المنافسة الكبرى التى ظهرت بين انكلترا وألمانيا بمناسبة مشروع خط برلين — بغداد . وكان لدهاء الشيخ مبارك وحسن سياسته أثر فى بقاء هذه الإمارة مستقلة ، وقد أبدى أمراؤها وأبناؤها شجاعة تذكر فى الدفاع عنها ، وصد غزوات الطامعين فيها .

* * *

لقد برزت الكويت فى ميدان السياسة العالمية مرتين ، فى المرة الأولى بمناسبة مشروع خط برلين — بغداد ، الذى أخذ امتيازه الألمان ، وأرادوا به اختراق الدولة العثمانية من الشمال إلى الجنوب ، واستغلال المناطق الواقعة على جانبى الخط الحديدى ، على أن ينتهى هذا الخط عند رأس كاظمة على خليج الكويت ، فيكون لهم فى هذا الخليج ميناء عظيم لبواخرهم التجارية ، ومرسى طبيعى أمين لبوارجهم ، يهددون بها الامبراطورية البريطانية فى الهند ، مما أدى إلى تخوف انكلترة من هذا المشروع ، الذى يعد من أهم أسباب نشوب الحرب العالمية الأولى . وبعد الحرب العالمية الأولى خلا الجو لبرطانيا فى هذه المنطقة العربية ، وعادت الكويت إلى عزلتها ، إلى أن برزت مرة أخرى عندما اكتشفت آبار البترول فيها قبيل الحرب العالمية الثانية : ثم سدت هذه الآبار ، وبعد نهاية الحرب عادت إليها الشركة صاحبة الامتياز

وهى أميركية انكليزية ، وأخذت تحفر الآبار حتى بلغ عددها نحو ١٤٠ بئراً ، يتدفق منها النفط ، وينقل فى أنابيب ضخمة إلى حاملات النفط الراسية فى ميناء الأحمدى على بعد بضعة كيلو مترات . وقد بلغت كمية مايصدر من النفط كل يوم نحو مليون برميل . ويعادل الاحتياطى الثابت من النفط فى أرض الكويت نصف احتياطى نفط الولايات المتحدة الأميركية . وبحسب الاتفاقية الجديدة بين شركة الزيت الكويتية وبين حكومة الكويت تقدر حصة حكومة الكويت من أرباح البترول بنحو ٥٣ مليون جنيه ، وهى نصف أرباح الشركة .



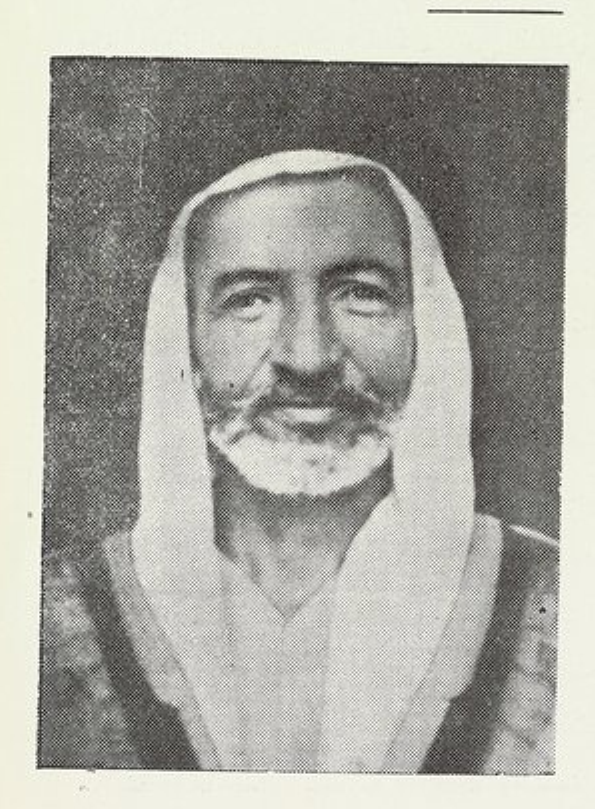
أنابيب النفط ، من المنابع ، إلى الميناء ، إلى الخارج ...

وأدى اكتشاف منابع البترول فى أرض الكويت إلى ذيوع اسمها فى جميع أنحاء العالم ، فجاءها الناس من مختلف الأقطار . ونشأت بها مدينة جديدة للبترول سموها (مدينة الأحمدى) نسبة إلى الشيخ أحمد الجابر أميرها الراحل الذى أعطى امتياز البترول فى زمنه ، فلما حل فيها القوم وعرفوا أهلها اكتشفوا فيهم كنوزاً أخرى غير كنوز الأرض ، فوجدوا مدينة معظم أهلها من سلالة القبائل العربية التى أتت من نجد ، ومعها تقاليدها التى حافظت على الكثير منها .

وفى البلد هدوء البادية وصفاؤها ، لاتسمع فى شوارعها لغواً ولا تأثيما ، كما تسمع

فى بعض المدن العربية . فلا اعتداء ولا مشاجرات بين سكانها الأصليين . كان فى سجنها فى شهر نوفمبر سنة ١٩٥٢ سبعة وستون سجينا ، ثمانية وخمسون منهم من غير أهلها ، وتسعة من أهلها ؛ ثلاثة من البادية ، وستة سُجنوا بسبب حوادث السيارات ، أو لأنهم عجزوا عن تأدية ديون . وقلما تقع فيها السرقات ، والأمان فيها منتشر ، ورجالها مغامرون ، ركبوا البحار كما ذكرنا ، وعرفوا العالم ، ولم يقنعوا بصيد الأسماك ، بل جابوا الآفاق فى سبيل المتاجرة ، وغاصوا فى أعماق البحار فى سبيل اللآلى .

وهم متضامنون كأنهم أبناء أسرة واحدة ، تسودهم الألفة ، ولا تفرق بينهم الثروة ، ولا تجد فارقا بين أميرهم وصغيرهم ، إذا أفلس تاجرهم جمعوا له المال حتى يعود إلى عمله أو تجارته ، وإذا غرقت سفينة ملاح ساعدوه على بناء سفينة غيرها ، وإذا احترق بيت أحدهم هبوا لإطفاء النار ، وجمعوا له ماتيسر من المال ، والسائق إذا أحدث ضرراً فى سيارة أخرى ، أو سبب تلفها ، أو مقتل صاحبها ، جمعت له الأموال اللازمة ، ليعوض صاحب الخسارة ، وليدفع الدية لأهل القتيل .



وجه كويتى سمح

إنه المرحوم سلطان إبراهيم الكليب ، المتوفى فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٥٢ م ؛ علم من أعلام الكويت ، وهب نفسه وماله لبلاده ، وكان مثلا للنشاط والحيوية . تولى إدارة البلدية فى الكويت بنزاهة وإخلاص ، وكان وهو مدير لها يهب من نومه فى ليالى الشتاء الممطرة فيحمل المجرف ويشترك مع العمال فى فتح المجارى وتنظيف الشوارع ... كان متوضعا محبوبا من الجميع . رحمة الله عليه .

التجارة فى الكويت

تعتبر الكويت من أنشط البلاد فى التجارة ، وأخبرها بفنون الاتجار ، وقد ظن الكثيرون أن العثور على النفط فى الكويت سيقضى على ازدهار التجارة فيها ، أو يعوق نشاطها ، ولكن الذى حدث كان عكس ذلك ، فحالة التجارة الآن قوية جداً ، وهى تسير من حسن إلى أحسن ، والمتوقع أن تظل تجارة الكويت تطفر طفراتها المتتابعة ، وتسير إلى الأمام بقوتها واتساعها ، ما دامت الأعمال العمرانية سائرة ، وما دامت الشركات الموجودة بالكويت قائمة ، وما دامت حركة الهجرة والانتداب العلمى والصناعى موصولة ، وما دامت أنابيب النفط تحمله من جوف الإمارة إلى ميناء الأحمدى ، ثم إلى الخارج هنا وهناك . . .

وقديماً كان تجار الكويت يجعلون نشاطهم فى الداخل مقصوراً على ما حولهم من قطع الجزيرة العربية ، وكان « الطلب » من القاطنين فى هذه الأجزاء محدوداً ومقصوراً على أنواع خاصة من السلع تتصل بالغذاء والضرورى من الكساء وحاجات الحياة ؛ ولما جاء « النفط » جاء معه بالحياة المدنية وتبعاتها ، وجاء معه بالمنزل الحديث ومستلزماته ، وجاء معه بالأوربى الذى يحاول أن يجعل حياته فى جوف الصحراء قريبة من حياته هناك فى الغرب ، وجاء معه بمئات ومئات من عرب وشرقيين ، كانوا يعيشون عيشة فوق المتوسط فى بلادهم ، وهم يحاولون الاحتفاظ بها داخل الإمارة . . .

فكان هذا الجديد سبباً فى كثرة « الطلب » ، وفى تنوع السلع المطلوبة وكثرتها. ولذلك نرى الكويت الآن تتاجر فى الحديد والخشب والأسمنت ، وجميع مواد البناء ومستلزماته وتوابعه ، وفى السكر والشاى والتبغ والمعلبات بسائر أنواعها ، والمواد الغذائية الأخرى بما فيها الأرز والحنطة والتوابل ، وفى الأقمشة على اختلاف أنواعها ومراتبها ، وفى أدوات الزينة للنساء والرجال ، وفى الكماليات بشتى ألوانها .

وأهم وسائل النقل فى التجارة هى السفن على اختلاف أنواعها .

وتعتبر الكويت من أهم الموانىء فى حركة الاستيراد والتصدير . . إنها تستورد من شتى أنحاء العالم التجارية ، القريبة والبعيدة ، وتصدر أكثر هذه الواردات

إلى العراق والمملكة العربية السعودية وإيران وإمارات الخليج العربى المختلفة .

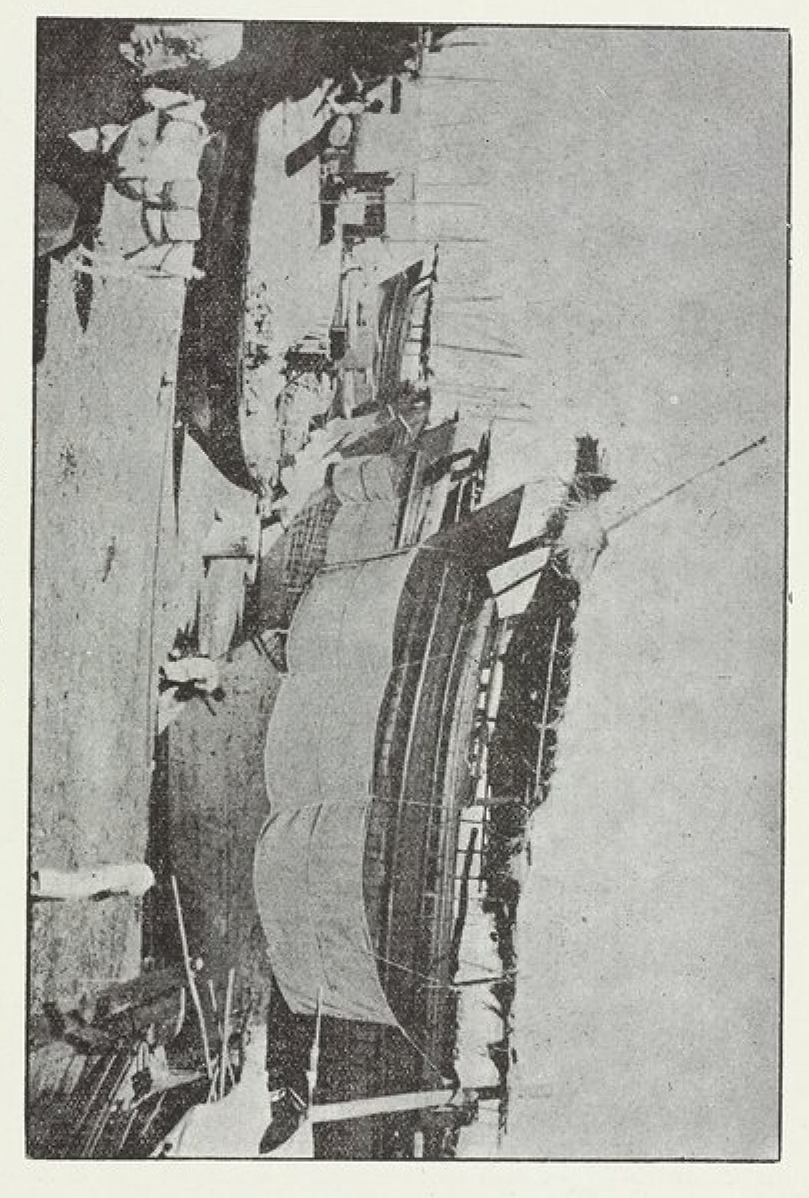
وطريقة الاستيراد المتبعة هى كالمألوف من الطرق التجارية العالمية ، إذ يتم فيها دفع أثمان المشتريات بوساطة المصارف (البنوك) أو تدفع رأساً ؛ وليس هناك ضرائب تذكر على التجار أو التجارة ، لأن يسار الحكومة الكويتية لا يجعلها تفكر فى ذلك ، وكل ما يدفع هو « رسم » قليل للجمرك مقداره أربعة فى المائة .

وطرق التوزيع ليست منظمة كما هى فى البلاد الحديثة ، سواء فى ذلك التوزيع بالجملة والتوزيع بالقطاعى ، وهذا عيب أعتقد أنه سيزول بمضى الزمن ، وخاصة بعد هذا الاقتحام الجرىء لميدان التجارة من شبان كويتيين مثقفين ، درسوا فى الخارج دراسة اقتصادية عالية .

وعلى الرغم من أن الأرباح التى يحصل عليها التجار — وخاصة الكبار — لا تزال — وقد تظل — سراً من أسرار أصحابها ، إلا أنه يمكن القول بأن نسب الأرباح نسب عالية ممتازة ؛ ولا سيما أرباح الأصناف التى يتولى بعض التجار استيرادها وحده ، فيكون عنده توكيلها مقصوراً عليه ، فيصبح مختصاً بتوزيعها ، وقد تصل هذه الأرباح أحياناً إلى مائة فى المئة أو تزيد .

ومن عيوب التجارة فى الكويت عدم دراسة حاجة المتعاملين لمدة طويلة ، فيحدث أن يستورد تاجر صنفاً من الأصناف يحسبه مطلوباً رائجاً ، فيسرف فى الاستيراد ، حتى يستورد ضعفى اللازم ، فيكسد الصنف عنده ، فيخفض ثمنه ثم يخفضه وهكذا ، ثم يحذر بعد ذلك من استيراده ، فلا يستورده فى العام التالى أو الذى بعده ، بينما يكون الناس قد احتاجوا إليه ، فيرتفع الثمن ارتفاعاً سريعاً . فالواجب هو تنظيم الاستيراد وتنظيم التوزيع حسب دراسة بعيدة المدى ، وأعتقد أن إنشاء « غرفة تجارية » فى الكويت من ألزم الأمور لتنظيم هذه الشئون .

والصلة بين تجار الجملة وباعة التجزئة فى الكويت صلة تعاون من الجانبين ، ولا يوجد لها نظير إلا فى بلاد قليلة تذيع فيها الثقة والأمانة ، فإن تاجر الجملة مثلا يعطى تاجر التجزئة البضاعة ، ولا يلزمه بدفع ثمنها فوراً ، بل يصبر عليه حتى يوزعها ويجمع ثمنها ، وقد يمتد هذا الصبر إلى نصف عام ، ثم يأتى تاجر التجزئة ، ويدفع ما عليه ، ويأخذ سلعاً جديدة ، وهكذا .



بعض السفن الكويتية رابضة في المياه

والتاجر الكويتي يقل أن تجد له نظيراً ، لما يتحلى به من الأمانة وصدق المعاملة والثقة والشرف التجاري ، فقد يعقد التاجر الكويتي صفقات بالآلاف أو الملايين بالمخاطبة الشفوية فحسب ، ودون اللجوء إلى كتابة صكوك أو أوراق ، ومع ذلك يلتزم ما وعد به ، مهما حاق به من خسارة ، أو حرمه من ربح .

وهناك صفقات عقدها تجار كويتيون ، ولم يسلموا فيها البضائع ، وارتفعت الأسعار ارتفاعاً سريعاً مغرياً ، وليس ثمة عقود مكتوبة ، ومع ذلك أبت لهم أمانتهم وشرفهم أن يخلوا بشيء مما التزموه شفوياً ، وكم من صفقات عقدوها مشترين ، ولم يتسلموا البضائع ، وانخفضت الأسعار انخفاضاً كبيرا ، ومع ذلك حفظوا عهدهم ، ونفذوا ما أخذوه على أنفسهم .

وأكثر التجار الكويتيين يسهمون بالمساعدة والمعاونة فى جهات البر والنواحى الاجتماعية ، وهم فى هذا لا يتطلعون إلى جاه أو شهرة أو منصب ، ولكنهم يفعلون ذلك لاعتقادهم أنه واجب ، ولإيمانهم بأن الله يُخلف عليهم ما ينفقونه أضعافاً مضاعفة .

ولا توجد مع الأسف معاملات تجارية — كما نتمنى — بين مصر والكويت ، وذلك لأسباب كثيرة ، وقد حدثت بعض الصفقات التجارية لاستيراد السكر المصرى ، ولكن هذه الصفقات تعثرت وهى فى أول الطريق ، ولكن مما يبشر بالخير أن جهوداً قد بذلت أخيراً لتوطيد العلاقات التجارية بين مصر والكويت ، ومن الممكن أن تمد مصر شقيقتها الكويت بكثير مما تحتاج إليه .

ومن واجب التجار الكبار فى الكويت أن يبذلوا جانباً من نشاطهم لتيسير استيراد الفاكهة والخضراوات إلى الكويت ، لأنهما الصنفان العزيزان فيها ، ومن الممكن ذلك ، خاصة إذا نجحت المساعى المخلصة لتطهير العقبات من الطريق بين الكويت والعراق ، ومن الطريق بين الكويت والمملكة العربية السعودية ، وما ذلك على الله بعزيز .

ومن كبار التجار الذين يشتغلون بالتجارة العامة فى الكويت السادة : الشيخ يوسف بن عيسى القناعى وإخوته والحاج ثنيان الغانم وخالد العبد اللطيف الحمد وإخوته وعبد العزيز العلى المطوع وعبد الله العلى والسيد على السيد سليمان وخالد الزين وأحمد هاشم الغربلى وسلمان المسلم وسلطان بن عيسى ودخيل الجسار وفهد الفليج

وإخوانه وفليج العلى الفليج وعبد اللطيف الثنيان ومحمود الحمود الشايع ويوسف الصالح الحميضى وفهد المرزوق ومحمد المرزوق وإخوته وفهد الزبنى ومحمد العبد الرضى البحر وعبد الرحمن المحمد البحر وراشد العبد الغفور.

ومن تجار التعهدات والسيارات أحمد الغانم وأولاده ، ومن تجار الأقمشة صالح المسلم وأولاده ، ومن تجار العملة أحمد ومحمد الحمود الخالد وعبد العزيز وعلى اليوسف المزينى وفهد السلطان[١] . وهؤلاء جميعاً كويتيون أصلاً ، وهناك كثير غيرهم من الكويتيين والطارئين على الكويت .



التلاميذ الكويتيون بكلية فيكتوريا بالإسكندرية سنة ١٩٤٩ م ... متى تضمهم مدارس عربية إسلامية ؟

---

(١) يضيف الكويتيون إلى اللقب كلمة (آل) ، وينطقونها مثل (ال) التي للتعريف .

قصة اللؤلؤ

للؤلؤ فى تاريخ الكويت قصة يجب أن تروى ، فقد كان منذ عشرات قليلة من السنين عمادَ الكويتيين فى التجارة والحياة ، وكان لهم أشبه بماء النيل فى مصر ، فهو سبب النشاط ومصدر الأرزاق ، وقد جاء اللؤلؤ الصناعى الذى أنتجته اليابان ، فنافس لؤلؤ الكويت الطبيعى منافسة قاسية قضت على ازدهاره ، حتى أصيب كثير من الكويتيين بخسائر فادحة ، وانصرف الكثير منهم عن صيد اللؤلؤ والاتجار فيه ، إلى الاتجار فى غيره من السلع والبضائع .

وكان جل أهل الكويت — إن لم يكونوا كلهم تقريبا — يشتغلون فى تجارة اللؤلؤ ، إما صيداً وإما شراء وإما بيعا فى الداخل أو فى الخارج ، وكانت هناك طائفتان : الأولى تقوم بصيد اللؤلؤ من أعماق الخليج ، وتسمى (الغواويص) ، والأخرى تقوم بالاتجار فيه شراء وبيعا ، وتسمى (الطواويش) . وهذه الطائفة الأخيرة قسمان : قسم يشترى اللؤلؤ فور استخراجه من الغواصين ، ويبيعه فى عرض البحر ، وهؤلاء صغار التجار ، والقسم الثانى يأخذ هذا اللؤلؤ ليبيعه فى الأسواق خارج الكويت ، وهؤلاء هم الكبار .

ويخرج الغواصون لصيد اللؤلؤ فى سفن تختلف أحجاماً وأسماء ، فبعضها يتسع لثمانين ، وبعضها يتسع لثمانمائة ، ويبدأ صيد اللؤلؤ بعد زوال البرد وانقضاء الشتاء ، ويظلون فى عملية الصيد نحو أربعة أشهر ، لا يدخلون الكويت خلالها ، وإن كانوا يذهبون لبعض الشواطىء القريبة ، لقضاء بعض الحاجات ، ثم يعودون لمواصلة البحث عن اللؤلؤ .

ولا يخرج الغواصون للصيد إلا بإذن من الأمير الحاكم ، يحدد فيه ميقات البدء وميقات العودة ، خوفا عليهم من الإجهاد أو شدة البرد ، ولا عجب فى ذلك ، فالبحث عن اللؤلؤ عمل متعب مرهق . وإذا انتهى موسم الصيد أطلق زعيم الغواصين بندقية أو مدفعا ، فيكون ذلك علامة على الرجوع ، فيعودون بين مظاهر البشر والسرور ، ويخرج القوم من المدينة لاستقبالهم على الشاطىء فى جموع كثيرة .

ولكل فرد أثناء الصيد وظيفة ، فهناك من يغوص ، وهناك من يخدم هذا الغواص ، وهناك من يستخرج اللؤلؤ من المحار المستخرج ، وهناك المشرف على الجميع ، ويسمى « نوخذا » .

وللغوص إلى قاع البحر طرق مختلفة ، أهمها الاعتماد على حجر ثقيل مربوط برجل الغواص ، يهبط فوقه إلى القاع ثم يتخلص منه ، ويتمسك بالأرض ، ويبحث عن اللؤلؤ حتى ينتهى نفَسه ، فيضرب الأرض بقدمه ، ويصعد إلى وجه الماء وهو فى غاية الإجهاد والاحتياج إلى الراحة والعناية من المساعدين .

وصاحب السفينة يأخذ فى مقابل استخدام سفينته وإقراضه المال المحتاج إليه فى الغوص خُمس ما يحصل عليه الغواصون من لؤلؤ ، قلّ أو كثر ، ويأخذ الغواص فى مقابل الغوص مثل ما يأخذ الرئيس (النوخذا) ، وللحاكم كذلك سهم يماثل سهم (النوخذا) .

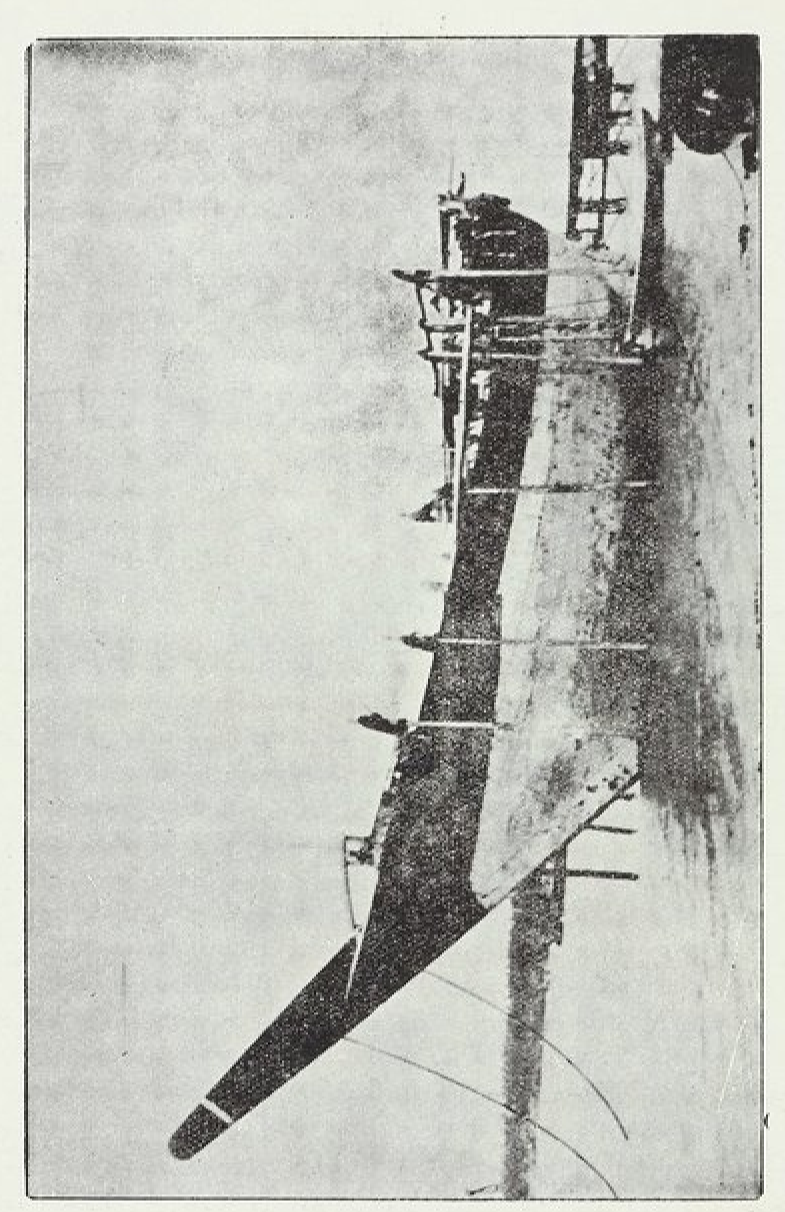
وكان الغواصون يلاقون الأمرين من أهوال البحر وأخطاره ، وصخوره وحيواناته وأسماكه الخطيرة مثل (الجرجور والدجاجة واللخمة والدول والرماى) . ولهم وسائل كثيرة للتخلص من هذه الأخطار .

ومحار اللؤلؤ يوجد بعضه ملتصقا بالصخور أو الأشجار المائية ، وهذا يتعب الغواص فى نزعه ، وبعضه يكون ملق على القاع بلا اتصال ، فإذا جمع الغواصون المحار أقبل المختصون يشقونه بآلة كالسكين تسمى « المفلقة » ، ويستخرجون منه مافيه .

واللؤلؤ أصناف لها أسماء منها (الفص والجيون والخشن والناعم والبوكة وبطن الهند والتنبول والكاووكى) . وأجود هذه الأصناف ما كان كامل التدوير خفيف الاحمرار ، وبعض هذه الأصناف خداع ، فقد تتغير اللؤلؤة من وصفها الأول إلى وصف ينبىء عن ضآلة قيمتها ، فتسبب الخسارة أو خيبة الأمل لصاحبها ، وبعض اللؤلؤ يكون ظاهره موجبا للزهد فيه ، ولكنك إذا كشفت عن داخله برزت لك لؤلؤة غالية تعود بطائل الأرباح[1] ...

---

(١) قد تمر خلال الكتاب أحاديث أخرى عن اللؤلؤ .



سفينة كويتية تتهيأ لرحلة في عرض الخليج

قصة النفط

كانت الكويت قبيل أن تبدأ قصة النفط تعيش هادئة ناعمة البال ، فى شبه عزلة عن المعترك الدولى العام . وكانت تتصل من حين إلى حين بما قرب منها من أسواق ، لتستورد البضائع أو تبيع فرائد اللؤلؤ ، ولكن هذا الاتصال كان محدوداً ، ولم يكن يثير اهتماماً خاصاً بشأن هذه الإمارة الصغيرة الرقعة ، الرابضة على شاطئ الخليج فى طرف الجزيرة الغربى .

ثم بدأت قصة النفط ، فإذا هى تلفت الأنظار والأفكار ، وإذا الكويت تصبح حديث العام والخاص ، وإذا أنباؤها تحتل مكاناً بارزاً فى الصحف والكتب والمحافل ؛ ولم يكن ذلك لأن الكويت اكتسبت ما كانت محرومة منه من جد واجتهاد ، أو كفاح وجلاد ، فإن لها من ذلك ذخرها الموروث ، ولكن الذى أوجد هذه الضجة هو ذلك الذهب الأسود (النفط) ، الذى أصبح يقيم الدنيا اليوم ويقعدها ، وأصبح يتحكم فى التجارة والسياسة والاقتصاد ، وأصبح يجلب السوء كما يجلب الخير سواء بسواء ...

ولقد استفاض الحديث عن نفط العالم عامة ، ونفط الكويت خاصة ، فلسنا بحاجة إلى تفصيل القول عنه هنا ، أو لعلنا بحاجة ، ولكننا ما نريد أن نذكره لا نستطيع الوصول إليه ، فلنكتف بسرد القصة فى كلمات ، ولو كما تصورها (الرسميات) ! . . .

بدأت قصة (النفط) فى الكويت عام ١٩٣٣ م ، حيث حاولت شركة النفط الإنجليزية وشركة جولف الأمريكية اللتان أصبحتا فيما بعد (شركة نفط الكويت المحدودة) الحصولَ على امتياز من أمير الكويت للبحث عن النفط فى بلاده واحتكار استخراجه والتصرف فيه ؛ وفى شهر ديسمبر من سنة ١٩٣٤ استخلصت الشركة من حاكم الكويت المرحوم الشيخ أحمد الجابر الصباح موافقةً على منحها امتيازاً لاستخراج النفط ، واستثماره فى جميع أنحاء الكويت لمدة خمسة وسبعين عاماً ،

وما كادت هذه الموافقة تتم حتى سُجلت الشركة فى لندن عاصمة انجلترا باسم (شركة نفط الكويت) . وبهذا بدأ القدر يخط فى تاريخ الكويت سطوراً ما كانت تخطر لها ببال ، وكأنما أرادت الأقدار أن تعوض هؤلاء القوم عما فقدوه فى لآلئ البحار ، فساقت إليهم اللآلئ الذائبة ، تتفجر عليهم باستمرار من أعماق الأرض ، فينال بلابلَ الدوح منها رذاذ ، وتمضى البقية إلى الخارج .

ولا شك أنه قد سبقت هذه المرحلة العملية مرحلة بحث ودراسة ، وبذلت جهود علمية وفنية . تبين منها أن إمارة الكويت ما هى إلا سفينة كبيرة تطفو فوق بئر عميقة هائلة من (النفط) . وفى عام ١٩٣٥ بدأت الشركة أعمال الحفر والاستكشاف ، وبعد مضى فترة قصيرة حفرت الشركة أول بئر للتجربة فى منطقة (بحره) الكويتية ، وبدأ الحفر فعلا فى اليوم الثلاثين من شهر مايو سنة ١٩٣٦ ، ووصل الحفر إلى عمق ٧٩٥٠ قدما ، وهنا تفجر النفط من الأرض ، ولكن تفجره كان بنسبة لا ترضى طموح الحافرين المتاجرين ، فانتقلوا إلى منطقة (برقان) التى تبعد عن شاطئ الخليج نحو عشرين كيلو متر — وينطقونها (برجان) — وهناك اكتشفت الشركة نحو عشرة آبار ، كلها تتدفق بالنفط بلا ضغط ولا نازع ، ولكن هذا لم يرض طموح الشركة أيضاً .

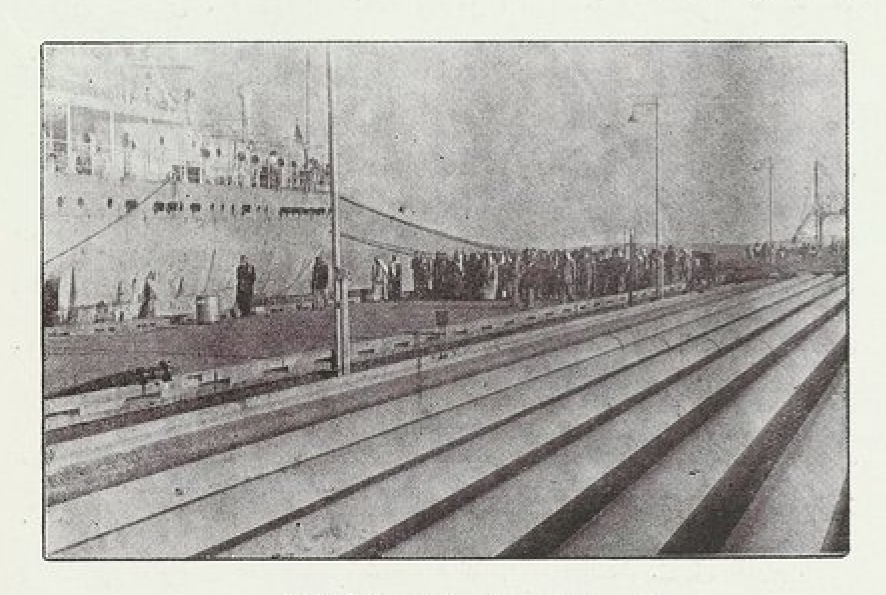
وشاء ربك أن تقوم الحرب العالمية الثانية ، ولعبت أصابع السياسة فى الموقف ، فتوقفت أعمال الحفر تماماً سنة ١٩٤٢ ، وسدت جميع الآبار التى تم حفرها بصب (الأسمنت) فيها . ووضعت الحرب أوزارها فى أوربا ، فعادت الشركة إلى نشاطها ، وفى أكتوبر سنة ١٩٤٥ وضع مشروع لاستخراج كميات النفط الخام ، بمعدل ثلاثين ألف برميل يومياً ، ونفذ هذا المشروع فعلا فى ٣٠ يونيه عام ١٩٤٦ ، وأقيم احتفال حضره حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر ، وفتح بيده صماماً خاصاً ، فأخذ الذهب الأسود يتدفق من بطن الإمارة العربية إلى جوف السفينة البريطانية الضخمة الراسية على الشاطئ ، وحملت هذه الباخرة شحنة هائلة من نفط الكويت إلى الخارج .

واتسع نطاق استخراج النفط وشحنه ، فبينما كان مقدار المأخوذ منه عام ١٩٤٦ هو ثلاثة ملايين وثلاثة أرباع مليون طن ، بلغ هذا المقدار فى سنة ١٩٥١م ثمانية وعشرين مليون طن ، وبذلك صارت الكويت سادسةَ دول العالم فى إنتاج النفط ، وأخذ الباحثون الخبراء من رجال انجلترا وأمريكا يذكرون فى تقريراتهم الخاصة الفنية

أن منطقة البرقان يوجد فى باطنها من (البترول) المترجرج مائة وخمسون مليون برميل ، وهو مايعادل السدس من الاحتياطى العالمى للبترول،أومايعادل الاحتياط الأمريكى تماماً.

وفى عام ١٩٥٢ بلغ عدد الآبار التى تم حفرها مائة وإحدى وثلاثين بئرا ، منها مائة وسبع عشرة بئرا صالحـة للإنتاج . ويتراوح عمق البئر بين ثلاثة آلاف وخمسمائة قدم وأربعة آلاف وثمانمائة قدم ، ومع ذلك فالنفط يخرج مضغوطا ضغطا ذاتيا بدون احتياج إلى روافع أو جواذب ، وهذه ميزة من أفضل الميزات فى حقول النفط .

ولا توجد أية صعوبة فى نقل النفط من الآبار إلى الميناء الذى يبعد عن الآبار نحو عشرين ميلا. أتدرى لماذا ؟. لأن سطح الأرض فى الكويت يرتفع عن مستوى سطح البحر ارتفاعا تدريجيا ، على شكل تموجات خفيفة متباعدة ، بحيث لا تشكل إلا منحدرا واحداً يصل حقل النفط بالساحل، ويرتفع عنه نحو أربعمائة قدم ، وحينئذ يكفى أن تفتح صنابير الأنابيب الضخمة الممدودة إلى الساحل ، فيتدفق منها النفط إلى البواخر بلا أقل مجهود . . .

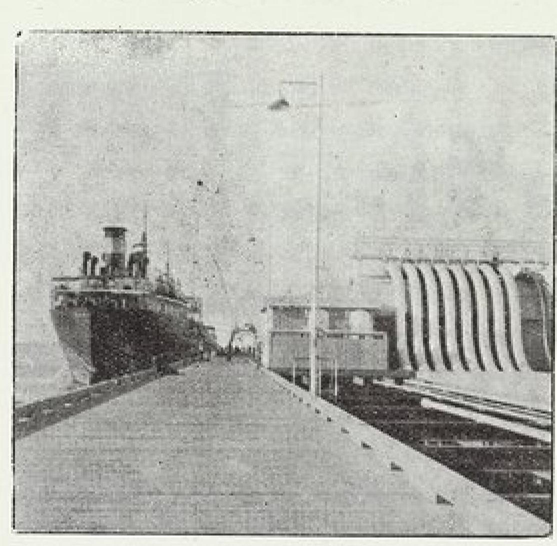


أنابيب النفط ، وإحدى السفن تتهيأ للامتلاء ...

وصار هناك فى الميناء خمسة مراكز للشحن بوساطة تلك الأنابيب ، وصار معدل الشحن فى كل مركز من هذه المراكز هو سبعة آلاف وخمسمائة وأربعين برميلا فى الساعة الواحدة ! . . .

وسمى ميناء الشحن باسم « الأحمدى » نسبة إلى المرحوم الشيخ أحمد الجابر الصباح ، وإن كان الأجانب يطلقون عليه اللفظة الانجليزية « جيتى » . وأنشىء فى الميناء رصيف ضخم ، ويتألف هذا الرصيف من لسان يمتد مسافة ٤١٤٠ قدما داخل البحر ، وهو على شكل حرف (T) الإنجليزى ، وتكوّن الشعبة الشمالية من هـذا الرأس رصيف أنابيب النفط ، أما الشعبة الجنوبية فتكون رصيف الشحن ، وتتسع الشعبة الأولى لرسو ست سفن من أكبر السفن الناقلة للنفط جنبا إلى جنب(١) ، وتمتد هذه الشعبة مسافة ٢٨٠٥ أقدام ، ويبلغ عرضها ١٠٥ أقدام ، وهذا الاتساع يضمن توفير المكان اللازم للسفن ، ويكفل عدم العرقلة لعمليات الشحن .

وتمتد الشعبة الثانية القصيرة إلى الجنوب ، ويبلغ طولها ١٠٧٧ قدما وعرضها ١٠٠ قدم ، وفيها موضعان لرسو السفن ، يستعملان عادة لرسو سفن الشحن المحيطية ، إلا أنهما مجهزان أيضا بما يلزم لتعبئة ناقلات النفط . ويوجد على رصيف الشحن هذا طريق يبلغ عرضه ٢٤ قدما ، وهناك أيضا طريق آخر للأنابيب ، تمتد عليه ثمانية أنابيب متوازية قطر كل منها ٢٤ بوصة ، وفيها ينساب النفط الخام ، ويسير على محاذاة هذه الأنابيب أنبوب آخر قطره ١٦ بوصة ، لنقل نفط الوقود للسفن ، وأنبوب قطره ١٢ بوصة ، ينقل النفط لآلات الديزل .



منظر آخر من ميناء الأحمدى

وفى ميدان الأحمدى يوجد أيضا مصنع تكرير النفط الذى يستطيع إنتاج ٢٥٫٠٠٠ برميل فى اليوم الواحد ، وهناك محطة لتوليد الكهرباء ، ومصنع تقطير مياه البحر .

وأنشأت شركة النفط مدينة لموظفيها وعمالها أسمتها (مدينة الأحمدى) ويوجد فى

(١) اعتمدنا فى استقاء هذه المعلومات على نشرة (نفط الكويت) . والله أعلم .

هذه المدينة الماء والنور والأشجار والملاعب والمسابح والسينمات والمستشفيات والمعامل والمصانع والمطاعم والمشارب ، وكل ما يوجد فى مدينة حديثة فى دولة ناهضة وكل ما تحتاج إليه الحياة الرافهة ؛ ويوجد فى الأحمدى نحو ٧٢٠٠ موظف أجنبي وفيها ستمائة عائلة بريطانية وأمريكية .

وأما عن نصيب الكويت من دخل النفط فقد كانت هناك اتفاقية بين حاكم الكويت السابق والشركة ، ولكنها كانت هاضمة لحقوق الكويت ، ولذلك عُدلت هذه الاتفاقية فى عهد أمير الكويت الحالى الشيخ عبد الله السالم الصباح ، وأصبح ما ينال الكويت من دخل النفط يبلغ ما يزيد عن خمسين مليون جنيه فى العام . . .

الينابيع السود(١)

تقـــديم :

كانت إمارة الكويت العزيزة بالأمس هادئة مطمئنة ، يأتيها رزقها من خليجها ممثلا فى الأسماك وفرائد اللؤلؤ ، وكانت التجارة بجانب النضال مع البحر عملا يجيده أبناء الكويت ، ويقنعون بما يفيئه عليهم من ربح محدود ، ثم شاءت إرادة العلى الأعلى أن تسعى الأقدام الباحثة إلى صحراء الكويت ، لتستنبىء باطنها وتستخرج مدفونها ، وصدق محمد العظيم عليه الصلاة والتسليم يوم قال : « التمسوا الرزق فى خبايا الأرض » . وما هى إلا سنوات معدودات ، حتى تفجرت الأرض المجدبة فى ظاهرها ، فسال منها الذهب الأسود (النفط) غزيراً متدفقاً ، وإذا الثروة تقبل على غير انتظار ، وإذا المسئولون فى الكويت يفتتحون بعهد النفط عصراً جديداً للإمارة العربية الإسلامية ، إمارة الكويت ، أو لؤلؤة الخليج . وهم الآن مع شعبهم فى فاتحة فترة الانتقال ، وكل ما نرجوه لهم أن يبارك الله أعمالهم ، وأن يجنبهم البطء والطفرة معاً ، وأن يتطلعوا إلى المستقبل البعيد والقريب بعين الخبرة والبصيرة ، وأن يشيدوا بنيان نهضتهم على دعائم ثلاث هى : العقيدة ، والعلم ، والنظام فى العمل . وليس ذلك الرجاء بعزيز ، فإنهم أبناء الشرق ،

(١) أثبت هنا ما نشرته لى مجلة "الشبان المسلمين الغراء فى عدد مارس سنة ١٩٥٣ م

وأشبال العروبة ، وفتية الإسلام ، وللشرق حكمته ، وللعروبة رجولتها ، وللإسلام إيمانه وجلاله .

ولقد صار (النفط) اليوم في الكويت حديث الخاص والعام ، في الداخل والخارج ، وها هو ذا صديقنا الشاعر الكويتي الموهوب الأستاذ محمود شوقي عبد الله الأيوبي المدرس بمدرسة (الشعبية) بالكويت يصوغ قصيدة في هذا (البترول) ويسميها كما شاء : (الينابيع السوداء ، المتفجرة من مجادب الصحراء) .

وقد أحببت أن أبعث بها إلى وادي الكنانة — حرسه الله وصانته عين رعايته — لتوضع بين أيدي القراء مثلا من أمثلة الشعر الحديث في الكويت ، الذي يتجاوب مع ما يجد في الحياة من حوادث وأحداث ! . . .

أحمد الشرباصي

قال الشاعر :

تكلم الصمت لما جاءه القدر ... بساعة لم تنل من سرها العُصُرُ
أطياف جن أتت للبيد سارية ... ذل الكثيب لها ، والوعر ، والحجر
جاست خلال القفار المحل باحثة ... لم يصمها في رزايا بحثها الضجر
من عبقر الغرب جاءتنا مجنحة ... صخابة العزم لم تقعد بها الغير
تكافح القسوة المرداء معلنة ... حربا على الصمت ، لا تبقي ولا تذر
في جفوة العيش لم يوهن عزائمها ... كرب العناء ، فلا لغو ولا هذر
ولا السراب ، ولا لفح السموم ، ولا ... ضراوة القر توهيها ، ولا العسر
كأنما العزم في أجنان موكبها ... مولد أبدا تأتي به الفكر
حمس لدى البحث عن سر الطبيعة ، كم ... من رقعة نبشوها فهي تنفجر
في كل صقع من الدنيا لهم نبأ ... يحير العقل ما جاسوا وما عثروا
ساروا إلى (القطب) يستندون معرفةً ... في الزمهرير وفي تنقيبهم شُهِرُوا
وطوفوا بين أحراج الجحيم ، لهم ... في كل دغل وفي شم الذرا أثر
وقد أذلوا وحوش الغاب لم يدعوا ... شيطان وحش على الأعقاب ينتحر
كأنما هم إلى الأقطار تجذبهم ... جذبا إليها كنوز الأرض تعتذر
لم يتركوا أحقر الأشياء منفعة ... إلا له عندهم في علمهم خبر

رأوا بأعينهم ما تحت تربتنا الجـ ... رداء من نعم لم تفنها العصر
تعج بالذهب الثجاج هـــادرة ... كالبحر ، أو أنها فى شكلها سقر
كانت مرابعنـــا قــدما محجبة ... فى خدرها كعروس أهلها نفـروا
ناموا على الفقر والدنيا برقـدهم ... تغلى ، تحـــدثهم همسا وتشتجر
لم يسمعوا همسها السحرى تحتهمو ... وأوسعوا ظهرها جهلا ، وما عذروا
فجاءها من صغى للهمس وهو على ... بعــد المسافة ، لى ، ساقه الوطر
ونحن ... ما نحن إلا قولة كتبت ... فى أسفل الشرح لا خَير ولا خِير
ونحن ... ما نحن إلا أمة كرمت ... قولا ، وللفعل منها الهون والخور
هل يستوى عالم منهم بلا كسل ... وجاهل لم يصب من طرفه السهر
من نحن يا قوم حتى ندعى كذبا ... بأننا أمـــة للعز ندخَر ؟ !
مرت علينا دهور ملؤها عـــبر ... فلم تفدنا على طول المـدى النذر
بتنا على الضيم حراساً لشهوتنا ... وبات من حولنا جـد ومصطبر
حتى إذا انكشفت دنيا جزيرتنا ... بمعول الغـير قلنا : جاءنا اليسر
أفق هديت فتى المغنى ألست ترى ... معى بأن الـكرى هذا هو الخطر ؟ !
ما هـــذه النومة الدجياء فى دمنا ... تسرى فتعقبها الآلام والحـــذر ؟
ما هـذه الفـكر العمياء نلمسها ... كالآل تخفق ، لا ماء ولا شجر ؟
ما هـذه السيرة العوجاء نطلبها ... كأنمـا يطبينا منهم القشر ؟
لقـــد قبسنا من الغربى مظهره ... يسير فى كل حى شـكله النضر
يلقى القشور لنا ، واللب فى يده ... ومن حمانا إليه الورد والصـــدر
أضحكتم المــلأ الغربى فى سنة ... عن واقع الأمر فى الدنيا وقد نظروا
همُ رأوكم سكارى لا مساك لـكم ... فزودوكم بشتى اللهو وانتظـروا
أفسدتم الدين والدنيا بدارتـكم ... والناس فى الغرب لاستعبادكم نذروا
تمـــر فى كل يوم حولـكم فرص ... لو أنـكم صنتموها لانتهى الحسر
هذى الـكويت وفى أفعالها مثل ... عليا لمن فى دُجا غفلاتهم سدروا
فى كل يوم لها طب ومدرســة ... معاهـد بينها الإحسان ينتشر
تحدثت بجميل النعميات ضُحًى ... بين الرعية لا مَنٌّ ولا كِبَرُ

مدينة النور يحميها وينهضها ذاك الذى غردت أفعاله الغرر
السافر الوجـــه لا قصر يحجبه عن الرعايا ولا سجف ولا جدر
الصالح الشاكر المحبوب من بذلت يداه للعلم ، لم يهبط به الصَّعَر

***

يا قوم هبـــوا لحرياتكم ودعوا هذى الطواغيت يغشى وجهها الوضر
هـــذى ينابيعكم بالتبر سائلة سوداء خيراتها للغير تنحصر
فأنتم أهلها ، صونوا منـــابعها بالعلم والهمم الشماء ، واذكروا
إنى أرى فى رءوس البدو فى غدنا علما من الغرب للأوطان ينتصر
إنى أرى أرضنا الجـــدباء وارفةَ الظلال ، يزخر فيها المـاء والثمر
إنى أرى الشعب غير الشعب فى سعةٍ من المعارف تروى عنده الذكر
يا ليلة النور هل يمتـــد لى عمر لـكى أرى العز ، أو يأتى لى القدر؟
الفجر والنشوة الفيحاء تفعمنى ونجمة الصبح يهفو حولهـا القمر
لبيك ياوطن الأمجاد فى الزمن الـ جديد ، ثمَّ مضى عن أفقنا السحر



فريق من أبناء الـكويت أمام بيت الـكويت فى مصر (حى الزمالك) عام ١٩٥٠ م
وفى الوسط الأميران الشيخ جابر والشيخ صباح

أغنى دولة فى العالم[1]

على الحد الشرقى للعالم العربى وعلى شواطىء الخليج الفارسى تقع إمارة الكويت الصغيرة التى بنيت من الطين ، ويتراوح عدد سكانها بين ١٥٠ ألفاً و ٢٠٠ ألف نسمة ، تفصلها عن جاراتها آكام من الصحراء . وهى إمارة مستقلة تربطها ببريطانيا معاهدة منذ نهاية القرن التاسع عشر . وكان الكويتيون قبيلة من العرب الرحل استقر بها المقام هنا فى أوائل القرن الثامن عشر ، والعائلة التى قادت الكويتيين إلى الكويت هى عائلة الصباح ، التى لا يزال رجالها يتوارثون الحكم منذ ذلك الزمن بتغيير بسيط فى نظام الحكم .

وقد كانت الكويت فقيرة ، تعتمد اعتماداً كبيراً على مئات قليلة من آلاف الجنيهات التى كانت تكسبها من رسوم الجمارك خلال السنة ، ولكن الآن وفجأة أصبحت المستحقة لثروة تقدر بـ ٥٠ أو ٦٠ مليون جنيه فى كل عام . فرمالها الصحراوية تخفق تحتها حقول من البترول أثبتت أنها أعظم حقول فى العالم ، تنتج حالياً مليون برميل من البترول يومياً ، وهو أكثر مما أنتجته آبار البترول الإيرانية . وقد استنبطت المصلحة الأنجلو أميركية البترول مبدئياً فى عامى ١٩٣٩ — ١٩٤٠ ، ثم أصبح الأمير يتقاضى ٥٠ فى المائة من دخل شركة البترول الكويتية ، وذلك بمقتضى اتفاقية وقعت بعد النزاع الإنجلو — إيرانى مباشرة فى العام الماضى . وهكذا ستغدو الكويت من السنة القادمة فصاعداً أغنى دولة بالنسبة لعدد سكانها ، وهذا تطوراً أكثر غرابة من أية خزعبلة فى ألف ليلة وليلة .

وتكوين الكويت الاجتماعى يمكن تشبيهه بعهد[2] Tudons ، الذى مر بانكلترا ، فالمجتمع الكويتى يتكون من طبقات ثلاث : العائلة الحاكمة والتجار والعامة . والحاكم يتمتع بسلطة مطلقة ، وقد اختير من بين أفراد عائلته لنسبه الأصيل ولسنه ، ومن ثم لحكمته ومقدرته على الحكم ومحبة شعبه له .

---

(١) كتب هذا المقال اللورد كنروس ونشر فى مجلة « المستمع » الإنجليزية بعد زيارته للكويت . وترجمه بتصرف السيد يوسف الشايجى .

(٢) ملوك وملكات انجلترا خلال أعوام ١٤٨٥ — ١٦٠٣ .

ولا يزال التجار فى الكويت يوازنون بثروتهم رصيد القوة فى الدولة ، وهم يشبهون فى هذا وإلى حد كبير سكان مدينة فى انجلترا ، وقد ظلت الكويت حتى عصر البترول خالية من المصادر الطبيعية ، حيث تحيط بها الصحراء من جهات ثلاث ، مما جعلها تتطلع إلى البحر ، واستطاع الكويتيون — وهم وحدهم فى هذا بين جيرانهم — أن يكونوا جماعة بحرية ، فنجد أبناء السندباد من بحارة وصيادى السمك وغطاسى اللؤلؤ قد ذاع صيتهم للسفن التى يصنعونها ، هذه السفن التى لا تزال منذ عهد بعيد تكسو بأشرعتها المنتشرة بين الخليج الفارسى والهند والشواطىء الإفريقية ، واستطاع التجار أن يخلقوا تجارة ناجحة إلى حد ما ، حيث يشترون الأطعمة والبضائع للمستهلك من الشرق الأقصى وأوربا واستراليا والقارة الأميركية ثم يبيعونها للبلدان المجاورة . وقد فطروا على ممارسة التجارة فى شىء من الخطورة ، والكويت بالنسبة للخليج الفارسى كميناء بيروت بالنسبة للبنانيين على البحر الأبيض المتوسط .

ولا يزال الكويتيون يعيشون فى شىء يشبه المعيشة البدوية الجافة ، وبنيتهم ضعيفة إلا أنهم أقوياء ، يتمتعون بكثير من مقدرة البدوى على المقاومة ؛ وفيهم قليل من خمول غيرهم من الشعوب العربية ، والطابع الذى يميز ميناء الكويت وسوقها هو السرعة والهدوء ، وهذا طابع غير مألوف فى الجزء الشرقى للبحر الأبيض المتوسط أو فى وادى دجلة ، وإذا نظرنا إلى الكويتيين خلال المقاييس العربية وجدناهم شعباً نشيطاً عملياً أميناً يحترمه جيرانه ، والتاجر الكويتى (مفاصل) شديد ولكنه أمين ، ولذلك فزبونه لا يطلب منه تعهداً كتابياً .

ولقد أصبحت الخصائص الشخصية لهذا الشعب عرضة لتطور مفاجىء جاء نتيجة لانقلاب اقتصادى كبير ، وهو منطق بالنسبة إلى ذلك الانقلاب الذى ترتب على الكشوف العظيمة للمعادن الثمينة فى أوربا وأمريكا فى القرن الخامس عشر ، فلقد أدى ذلك الانقلاب إلى تقهقر عهد الإقطاع فى الغرب ونشوء عهد اقتصادى جديد ، على أنه احتاج إلى قرون حتى وصل إلى مرحلته الاشتراكية خلال التطور الرأسمالى . بيد أن الكويت ليست فى حاجة إلى مثل هذا النمو المتدرج ، لأنها تملك ٦٠ مليون جنيه ؛ وشكراً لسياسة أميرها فهو رجل متعبد حكيم ذو مبادىء حازمة ، ورغباته وميوله دينية أكثر منها إلى رغبات وميول حاكم عصرى . وهو وإن كان يبدو أنه

لا يؤمن كثيراً فى قيمة التقدم المادى إلا أنه حاكم كريم كما ينبغى أن يكون عليه حاكم مسلم يتق الله فى مصالح شعبه ، فهو يرى أن انتشار الشيوعية يهدد العالم ، وتهديدها للعالم العربى بوجه خاص ، ولذلك فقد صمم على أن يستغل ثروته الجديدة لصالح شعبه مباشرة ليطفر ببلاده من الإقطاعية رأساً إلى الاشتراكية متخطيا بذلك جميع النظريات السياسية ، وعلى هذا فقد أمر بأن تصرف الأموال على أحسن وجه .

وهكذا نرى اليوم أن المدينة القديمة التى بنيت من الطين يطن هواء خليجها المغبر برطانة الأجانب الغربيين من واضعى الخطط ومستشارين ومقاولين وبائعين ، كما يتحدث الناس عن حلقة الطرق ووحدة الأحياء ومدارس الحضانة وروضات الأطفال وكل ازدهار مادى لمدينة Utopia [1] القرن العشرين ، وقد تم بين الهدم والبناء رسم الشوارع الواسعة المعبدة حيث روعى فيها تنظيم الأرصفة وخطوط المرور وكذلك المتنزهات وأماكن النافورات وأبراج الساعات والحدائق . وسوف ينعم الكويتى قريباً ببيت جديد يحل محل كوخه الذى بنى من الطين ، وسيكلفه بمطبخه وحمامه وكل لوازمه ألف جنيه ، كما سيتقاضى الموظف الكويتى راتباً لا بأس به ، وسيتناول وجبتين مجانيتين فى كل يوم ، وسيمنح الخدمة الصحية المجانية التى ستشمل خدماتها أوسع مستشفى مزود بالتهوية فى العالم ، بل له الحق فى أن يتمتع بكل وسائل الراحة الحديثة سوى السينما .

فإذا كان ولا بد أن يحدث كل هذا التطور فتصب الحنفيات فى البيوت الحديثة وتلعب النافورات فى الحدائق العامة فإن الكويت يجب أن تحصل على ماء أكثر ، فحتى عهد قريب كان كل ماء الشرب يجلب من شط العرب بواسطة السفن ثم ينادى على بيعه فى الشارع محمولا بالقرب ، ثم وضعت خطة لترشيح ماء صالح للشرب من البحر بالاستعانة بالفائض من قوة الغاز المنطلقة من حقول البترول ، والتى تحترق هباء فى الصحراء فتحيل سماءها إلى قطعة من اللهب الأحمر فى الليل ، ولو أمكن الوصول إلى اتفاقية مع العراق فمن المحتمل جلب الماء إلى الكويت بواسطة الأنابيب أو بحفر قناة من نهر الفرات . ومثل هذا المشروع سيشغل مساحة تقدر بـ ٧٥ ألف فدان

---

(١) اسم لجزيرة خيالية وصفها السير توماس مور عام ١٥١٦ فى كتاب (أتوبيا) حيث يتخيل فيها أكمل نظام اجتماعى وسياسى .

من الصحراء فى الزراعة . ويتحدث الخبراء بابتهاج أن هذا المشروع ربما كلف ٤٠ مليون جنيه فقط ، كما يتحدثون بما يشبه الحلم عن إمكانية تهوية كل بيت من السقف بواسطة الطاقة الشمسية ، أو باستمطار الغيوم التى تنم عن الخير فى تلبدها فوق الخليج ، ولا تعد هذه الأشياء أوهاما فى مكان يخفى منابع ضخمة كالكويت التى قد تتطور حتى تصبح دولة للتجارب العلمية والاجتماعية .

ومن الطبيعى أن تحتاج الكويت إلى تعميم التعليم ، بحيث لا يكون مقصورا على الأولاد فحسب بل والبنات أيضاً ، فقد أنشأت المدارس فى أقصى سرعة لتحل محل المدارس القديمة التى ظلت مقصورة على تدريس القرآن والخط . وهناك على سواحل الخليج تشيد مدرسة عامة واسعة حديثة تتكون من خمس بنايات متفرقة تتسع لـ ٥٥٠ طالب داخلى قد تتحول إلى جامعة فى المستقبل . . ومن المشروعات أيضاً إنشاء مدرسة للفنيين والكهربائيين والنجارين والبرادين والسباكين الذين سيساعدون المدينة الفتية الجديدة على التقدم .

هذه الإمارة ماذا يحدث لها فى عشر سنين حيث يتم بناؤها ؟ .

أما الخبراء فإنهم لم ينسوا أن يضعوا فى تقديرهم أن الكويت جزء من بترولها الذى يديره الأجنبى وأنها ليست مدينة صناعية ، وليس هناك مصادر تسند مواهب الشعب وكفاءاته ، فإذا قدر له — أى لهذا الشعب — أن يبقى فى المؤخرة يتفرج على ثروته الجديدة ، فإن مواهبه وكفاءاته يجب أن تحفظ حية بتصريفها فى قنوات صناعية ، فإذا لم توجد الصناعة فيجب أن تخلق لاستثمار ثروة البلاد لخيرها ، فالتناقض الوهمى أن الطبقة الصناعية هى الغلة الطبيعية لمجتمع غنى . ولعل فى إنشاء ميناء كبير جديد إحياء للتجارة الناجحة التى لم تزدهر حتى الآن ، وينبغى كذلك أن تشيد المصانع لتجفيف الأسماك وحفظها فى العلب ، ولصناعة الزجاج من رمال الصحراء والأحذية من جلود الأغنام التى يملكها البدوى بكثرة ؛ ومن الممكن أيضا تنمية اللؤلؤ واستخراجه من محار الخليج ليزاحم شبيهه من اللؤلؤ اليابانى ، وقد حولت السفينة القديمة إلى زورق بمحرك يطلق عليه الكويتيون اسم « لنج » ، فلماذا لا يبنون زوارق ساحلية حديثة ذات محركات ، أو يضيفون إلى سفن الملاحة القديمة أسطولا من حاملات البترول وسفن الشحن لينموا بتجارتهم على نطاق عالمى واسع ؟ ؟ .

مهما حدث فأمام الأمير مسائل ضخمة تضطره أولا لخلق القوى القادرة على تنفيذها ، إذ ينقصه مجلس دولة ونظام واحد يربط دوائر البلاد ، كما ينقصه إدارة مالية متسعة قادرة على الإدارة ، ونظام معين لربط الميزانية . وباختصار ينقصه (الخدمة المدنية) المعروفة لدى الغرب ، الأمر الذى سيضطره فيما يظن إلى خلق مجلس شبيه بمجلس الوزراء يشمل أفراد العائلة والتجار . والواقع أن كل من يساعده فى مهمته من المدنيين أشخاص يختارهم على أساس المبادئ الشريفة العربية لاستعدادهم الشخصى للتعاون معه ، فالطبقة الوزارية والفنية يجب أن تخلق من الكويتيين .

كما تعتمد الكويت اعتماداً كبيراً فيما تحتاجه لخدماتها المدنية من أطباء ومهندسين ومدرسين ومدرسات على الأقطار العربية ، وبخاصة على الفلسطينيين الذين تمرنوا على يد الانكليز وأخرجهم اليهود من بلادهم، وكذلك اللبنانيين الذين ينحدرون من الفينقيين الذين عرفوا بباعهم الطويل فى عالم التجارة ، وهؤلاء يتطلعون إلى كويت اليوم على أنها مدينة قرطاجنة (Carthage)(١) الثانية .

لقد جُلبت هذه العناصر لتغير وجه الكويت القديم ، وهى وإن كانت البداية إلا أنها ليست النهاية على أية حال ، فالفلسطينيون من موظفى حكومة فلسطين السابقة التى يرى فى استخدامهم بالكويت ضرورة للبلاد فى الوقت الحاضر لا مفر من أن تصدم إن عاجلا أو آجلا بالطبقة المثقفة الناهضة من الكويتيين . إن الكويت تواجه كل هذه المشاكل الاجتماعية والسياسية التى هى نتيجة منطقية للتطور السريع فى العالم الصناعى الحديث ، ومن سياق الكلام أن الأمير يتبنى مشروعا شعبياً محاولا بذلك تطعيم شجرة الإقطاع برمية اشتراكية مباشرة ، وهو رد فعل لضغط الشيوعية الخارجية التى تنكر على بلاده أن تتطور على هذا المنوال الذى يكمن فى النظرية الشيوعية نفسها . أيمكنه أن ينجح ؟ .

المعروف اجتماعياً أنه لا توجد مناقضة ملازمة بين الإقطاعية الإسلامية وخير الدولة ، وتعاليم القرآن تنص على أن مبدأ مسؤولية الدولة قائم على المصلحة المشتركة للأفراد ، وقد كان الخليفة عمر أول مسلم صالح اشتراكى طبق هذا المبدأ ، بيد أن الطبقة الرأسمالية التى أعقبته فى كثير من الدول الإسلامية تمثل التهاون فى مبادئ

(١) مدينة مشهورة فى شمال أفريقيا من تونس كانت تدل على القوة فى عهد الرومان .

القرآن ، ومذهب التعصب العربى هو العقبة التى تعترض سعادة الدول الشرقية من الوجهة الاقتصادية ، وكما قلنا إن الكويت سوق حرة ولو قيدت تجارتها وصناعتها فإن الشيوخ والتجار سيسارعون إلى استنكار أية صورة من صور التقييد ، وسوف يحدث ذلك قريباً عند ما يجد الأمير أن لا مناص من تجنب التضخم المالى وحماية مستوى المعيشة لشعبه فيسعى للحد من تصدير الأطعمة التى يجلبها التجار إلى الكويت ثم يربحون منها بتصديرها إلى الخارج ، أو لتحديد أسعار مايبيعونه ومن ثم أرباحهم .

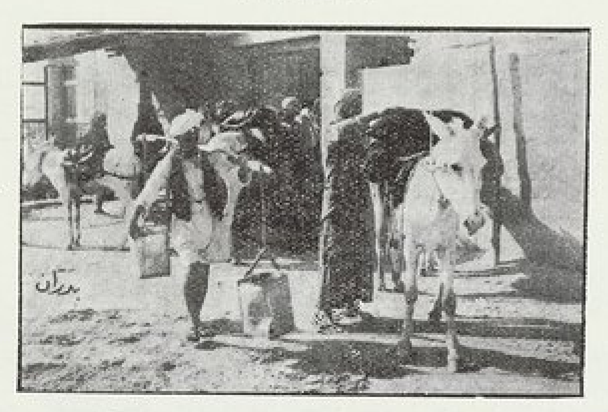
إن التجربة التى تمر بها الكويت فى الوقت الحاضر تعضدها نصيحة بريطانيا وتوجيهها ، ولقد كان من الطبيعى أن تخدش هيبة بريطانيا فى الخليج الفارسى ، بيد أنها لم تصب حتى الآن بضرر جسيم بانسحابها من عبادان ، وبالرغم من ذلك كله لا تزال إمارات الخليج الفارسى تتطلع إلى بريطانيا للقيادة والمساعدة ، ويستعين الأمير بلجنة صغيرة من المستشارين الإنجليز الخبيرين بالشرق ، تضع الخطط وتساعد على تنفيذها فى مرحلتها الأولى ، وقد حصلت هذه اللجنة على خبرتها فى الهند وفى أماكن أخرى ، وهى تزاول عملها بجدارة وبروح أخوية آن لها أن تحل محل النظام الاستعمارى القديم فى الأقطار العربية ، وينبغى على هؤلاء المستشارين أن يبدأوا منذ الآن فى خلق الوسائل الناجعة لحل مسائل الكويت وتصريف ثروتها . فهذه الإمارة الجديدة وإن كانت فى عصر النمو إلا أنها قد لا تهضم خمس أو على الأكثر ربع دخلها الضخم ، فإذا صرفت للسنة القادمة عشرين مليون جنيه فإن الفائض يقدر بأربعين مليون جنيه ، وهذا الفائض السنوى سيزداد بتنميته سنة بعد أخرى حتى يصل إلى الذروة فى سنوات قليلة ، ومن الطبيعى أن الأمير عند ما يضع لائحة الإصلاح لبلاده لا بد وأن يفكر بأن البترول بضاعة لا يمكن الاعتماد عليها نهائياً فى العصر الذرى ، فيدخل فى حسابه تنفيذ المشروعات المثمرة لمستقبل بلاده ، وإن كانت هذه المشروعات لن تحتاج إلى كل ملايينه .

وربما كان هناك ميل إلى الاقتراح فى تنفيذ لائحة الإصلاح على أساس منفعة عالمية إذ لم يقصد بمدارس الأمير ومستشفياته المجانية الشعب الكويتى وحده ، بل ستفتح أبوابها على مصراعيها لكل جيرانه من السعوديين والعراقيين والإيرانيين وعرب البحر ومسقط ، حتى لعرب الجزء الشرقى من البحر الأبيض المتوسط ، وربما سيطير اللبنانيون من بيروت إلى الكويت ليجنوا من ثمرات مستشفياتها الحديثة . وقد

يأتى الطلاب أيضاً من جميع الأقطار العربية ليلتحقوا بمدارس الأمير ومن ثم بجامعته ، وإذا أراد الأمير فإن الكويت ستصبح حينئذ الدولة المعينة لبقية العالم العربى على أوسع نطاق . وقد ظلت الكويت حتى الآن فى عزلة عن السياسة العالمية ، وإذا اتجهت باتصالاتها التى بقيت مقصورة إلى حد كبير على الهند إلى العالم العربى فإنها ستكون فى مركز يمكنها من أن تلعب دوراً هاماً فى الشرق الأوسط كله .

ولا يزال البترول بين وجوده وعدمه يغير فى الحالة الاقتصادية للعالم العربى تغييراً كبيراً ؛ فأولاً نرى كثرة السكان وقلة المال فى أقطار كمصر وشرق الأردن ولبنان ، وثانياً قلة السكان وقلة المال فى سوريا ، وثالثاً قلة السكان وكثرة المال فى العراق والكويت — هذا إذا تركنا جانبا المملكة العربية السعودية التى هى قادرة على أن تعين نفسها فقط — والعالم العربى بعيد عن كونه وحدة سياسية ، ولو قامت العلاقات بين شعوبه على الأسس الاقتصادية وتبادل المنافع لأمكن جمع شمله ؛ فالمال موجود ، ولكنه يحتاج إلى الوقت لكى يثمر بين هذه القوى الجديدة للبترول العربى ، ويمكن لهذه الشعوب من النهوض بمسئولياتها الداخلية أولاً ومن ثم الخارجية حيث يتطلب المركز المالى .

ومهما يكن الأمر فالحقيقة أن مثل هذا التطور يعتمد إلى حد كبير على عامل واحد فقط ، ذلك هو : القيادة الصحيحة من الغرب .



الحاجة إلى الماء الكافى الميسور هى مشكلة المشكلات فى الكويت ...
هاهوذا الماء قد حملته السفن من شط العرب ، ثم صبته فى (البركة)
ثم حمله الحمالون والدواب ليوزع على الأفراد بالثمن ! ! ...

المحاكم فى الكويت

بدأ القضاء فى إمارة الكويت متواضعاً ، فلا قضاة ولا محاكم ، وإنما يحتكم المتخاصمون إلى رجل يختارونه من بينهم يسمونه (العارف) أو (السالفه) كالشأن فى البادية تماما ، وعندما تكوَّن المجتمع الكويتى المحدود أخذ القضاء طريقه إلى الاستقرار والتقعيد نوعا ما ، ومما نكاد نقطع به حسب المعلومات التى بين أيدينا أن آل الصباح ظلوا مدة دون أن يكلوا القضاء رسمياً إلى شخص مسئول أو هيئة معلومة ، ولكنهم أخذوا بعد ذلك يعطون هذه الناحية حقها من العناية ، فعهدوا بالقضاء إلى أناس مشهورين بالعلم والعدل ، ولو بالقياس إلى بيئتهم ومواطنيهم .

ولا يستطيع الباحث أن يلقى ضوءاً كافياً لتجلية بداية القضاء فى الكويت ، من ناحية الأشخاص أو الأحكام ، ولكن المعروف أن أقدم القضاة فى الكويت هو الشيخ محمد بن فيروز ، لأنه توفى سنة ١١٣٥ هـ ، ثم تولى القضاء بعد ذلك — كما قيل — رجل من آل عبد الجليل ، ثم نزحت أسرة العدسانى من البحرين إلى الكويت ، فاستقر فى أفرادها القضاء قرابة مائتى سنة ، تولاه أولا زعيمها الشيخ محمد بن عبد الرحمن العدسانى من سنة ١١٧٠ وتوفى سنة ١١٩٧ هـ ، فالشيخ محمد بن محمد العدسانى إلى سنة ١٢٠٨ ، فالشيخ محمد صالح العدسانى إلى سنة ١٢٢٥ ، فالشيخ على بن شارخ إلى سنة ١٢٢٨ ، فعاد الشيخ محمد صالح العدسانى إلى سنة ١٢٣٣ ، فالشيخان على بن نشوان ومحمد بن محمود إلى سنة ١٢٣٥ ، فالشيخ عبد الله العدسانى إلى سنة ١٢٧٤ ، فالشيخ محمد بن عبد الله العدسانى إلى سنة ١٣٣٨ ، فالشيخ عبد العزيز ابن محمد بن عبد الله العدسانى (ويساعده عبد الله بن خالد العدسانى) إلى سنة ١٣٣٩هـ . فالشيخ عبد الله بن خالد العدسانى إلى سنة ١٣٤٨ هـ .

ومن حق التاريخ علينا أن ننقل هنا عبارة للرجل الغيور الشيخ يوسف بن عيسى القناعى عن الأحكام فى الكويت ، قال :

« منذ تأسست الكويت إلى يومنا هذا [1] ، أحكامها جارية على غير دستور

---

(١) نشر هذا الكلام سنة ١٩٤٦م .

شرعى أو قانون تطبق عليه الأحكام بلا مخالفة له ، كما هو الحال فى البلاد المتمدنة ، ولئن التمسنا العذر للمتقدمين لقربهم من البداوة فلا عذر للمتأخرين .

مرجع الأحكام فى الكويت الأمير وقاضى الشرع ، مع قطع النظر عن أهلية الاثنين وعدمها ، فإذا صار الأمير عادلاً والقاضى نزيها جرت الأحكام على وجه العدالة الشرعية ، وإن بليت بأمير ظالم وقاضٍ مرتشٍ فقدت العدالة وحصل الظلم . والحق يقال إن ما يحصل فى بعض الأزمان من ظلم وتعدٍ فى أحكام الكويت فهو لا ينسب[1] لما فى البلاد القانونية من التلاعب فى الأحكام وكثرة الرشوة ، ومضى السنين العديدة على الدعوى ، حتى إن صاحب الحق يترك حقه وإن كان ظاهراً خوفاً من التردد على المحاكم ؛ وعندى على ذلك حوادث عديدة أعرض عن ذكرها خوفاً من التطويل .

وأرى أن السبب فى ذلك أمران : الأول النزاهة فى أغلب أمراء الصباح الذين بيدهم الحل والعقد ؛ والثانى فطرة الكويتيين على الإنصاف وعدم التعدى ، ولهذا إذا نظرت إلى سعة الكويت وكثرة السكان ترى أن المرافعات قليلة جدا ، وأغلب ما يجرى من الخلاف بين الكويتيين يحل عند المرتضين من الأهالى بلا مرافعة للمحاكم ، فالتجار لهم لجنة من أهل التجارة ، وينتهى الأمر بالرضا بحكمها ، وكذلك أهل الغوص وأهل السفر لهم ناس يرتضونهم لحل مشكلاتهم .

والخلاصة أنه لو كان فى الكويت قانون شرعى أو عرفى محترم تجرى عليه فى جميع الأحكام لكانت أسعد بلد فى العالم ، وأملى بالله جميل بأن يتم إحسانه فأرى الكويت فى جميع دوائرها تمشى على نظام مدوّن له حرمة وسلطة ، بحيث لا يستطيع أحد ما مخالفته ، ويتساوى فيه الرفيع والوضيع » . اهـ

* * *

وقد شكلت المحاكم الحديثة فى الكويت سنة ١٣٤٩ هـ ، وأسست بنايتها القريبة الآن من ميدان (الصفاة) سنة ١٣٥٨ ، وهى تشتمل على المحكمة العليا ورئيسها سعادة الشيخ عبد الله الجابر الصباح ، وهو الحاكم المنفذ لما تحكم به المحكمة الشرعية .

وتبدأ المقاضاة برفع الدعوى إلى رئيس المحاكم ، فيأمر سعادته بإحضار المدعى عليه ، حتى إذا حضر رفع المدعى دعواه أمام المدعى عليه ، ويرد المدعى عليه دعوى

(١) لايتناسب ولايقرب .

المدعى ، فيسعى رئيس المحاكم جهده للإصلاح بينهما وفض الخصومة وديا ، وتنتهى خصومات كثيرة بهذه الصورة السهلة ، فإن لم يرض أحد الخصمين بالصلح أحالهما الرئيس إلى المحكمة الشرعية ، أو إلى جهة من جهات الاختصاص والتحكيم .



سمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح رئيس المحاكم

ورجال هذه المحكمة هم الرئيس والمساعد وعشرة كتاب ، منهم محاسب ، وحافظ المقابلات ، وكاتبان للآلة الطابعة ، وكتبة مساعدون .

وهناك المحكمة الشرعية وتتكون من رئيس القضاء الشرعى ، وهو الآن فضيلة الشيخ محمد كامل الشمسى من رجال القضاء الشرعى المصريين ، ومن عضوى قضاء هما الآن فضيلة الشيخ أحمد خميس وفضيلة الشيخ أحمد عطية ، ومهمتهم النظر فى عامة

الدعاوى على منهاج الشريعة الإسلامية ، ويعتمدون فى الأحكام على (مجلة الأحكام العدلية الشرعية) فإذا لم يجدوا فيها حكما يناسب القضية المعروضة عليهم ، فصلوا فيها على مذهب الإمام مالك ، ومذهب الإمام مالك هو المتبع أيضاً فى قضايا الأحوال الشخصية ، وفى هذه المحكمة ما يقرب من عشرة كتاب .

وتوجد جهات أخرى غير المحكمة الشرعية للفصل فى الخصومات ، إذ يوجد قاضيان جعفريان مختصان بالنظر فى قضايا الأحوال الشخصية الخاصة بأبناء الشيعة المقيمين فى الكويت .

وتوجد لجنة تجارية تنظر فى الخصومات التى تنشأ بين التجار ، ويتوقف بدؤها فى نظر القضية على رضا الخصمين بتحويل القضية إليها ، فإذا ارتضياها وحكمت صدّق رئيس الحاكم على حكمها فيصبح نافذا ، لأن الأحكام تصدر باسم الرئيس ، وله الحق فى تعديل الحكم قبل تنفيذه .

وتوجد هناك لجان أخرى ليست دائمة ، ولكنها تؤلَّف عند الحاجة من ذوى الخبرة والمعرفة ، للنظر فى القضايا التى تنشأ بين الغواصين والبنائين والملاك وغيرهم .

وإذا صدر حكم ولم يقبله المحكوم عليه كان من حقه أن يستأنف الحكم ، ويكون ذلك بأن يطلب من رئيس الحاكم تحويل القضية إلى الشيخ يوسف بن عيسى القناعى الذى يمثل محكمة الاستئناف فى الكويت ، ويكون رأى الشيخ فاصلا فى الموضوع بعد ذلك .

ويتبع الحاكم دائرة تسجيل الأملاك ، وقوامها مدير وعشرة كتبة ، وهى تقوم بتسجيل العقار من دار أو دكان أو أرض خالية ، فيأتى البائع ويثبت أمام الدائرة ملكيته للعقار المبيع بالشراء أو الهبة أو الميراث ، فإذا ثبتت له ملكيته بدأ فى بيعه لمن يريد أمام الدائرة فيسجل البيع ، ويوقع الطرفان على السجل .

وإذا كان الشىء المبيع لا يزال على ملك المورث ، ولم يتخالص البائع مع بقية الورثة فإن الدائرة تحيل الأمر إلى المحكمة الشرعية لحصر الورثة وتقسيم العقار حسب الميراث الشرعى ، وبعد ذلك يبيع كل واحد سهمه فى هذا الملك إذا شاء ، والجميل فى الموضوع أن كل هذه الإجراءات تتم بسرعة ، فلا تتجاوز عادة اليومين .

وهناك دائرة الأيتام التى شكلت سنة ١٣٥٨ هـ ، ووظيفتها تثمير أموال الأيتام

والقاصرين عن سن الرشد وحفظها من الضياع أو التلف ، وتتكون من مدير ومحاسب وكاتبين .

ويتبع المحاكم أيضاً دائرة الأوقاف ، وقد أسست سنة ١٩٤٩م ، ووظيفتها النظر في استثمار عقارات الأوقاف وتعمير المساجد وتأثيثها والإنفاق عليها وعلى موظفيها ، وتعاون الحكومة دائرة الأوقاف بمنح هبات مالية كبيرة ، ففي سنة ١٩٥١ منحتها نصف مليون روبية وفي سنة ١٩٥٢ منحتها مليون روبية ، وفي سنة ١٩٥٣ منحتها أربعة ملايين روبية .

ورئيس الأوقاف هو رئيس المحاكم ، ولدائرة الأوقاف مجلس شورىٌ إداري في وقت واحد ، وهو يتكون من اثني عشر عضوا ، على رأسهم الرئيس ثم المدير .

ويظهر أن الكويت قد صارت تحتاج إلى محاكم منفصلة منظمة ، لتستطيع أن تواجه الضغط الشديد عليها ، ومن الممكن تقسيم المحكمة إلى جهات اختصاص ثابتة لحسن توزيع العمل مع ضمان إتقانه . ومهما يكن فلا بد للكويت في نهضتها الحاضرة من محكمة جزئية للأحوال الشخصية والأمور المستعجلة ، ومحكمة كلية ، ومحكمة استئناف ، على أن يكون لكل محكمة اختصاصها ، حتى لا يكون هناك تنازع بين الاختصاص ، وأن يتبع كل محكمة قلم كتاب ؛ ويجب أولا وقبل كل شيء أن يكون للمحاكم قانون مكتوب مفصل ، لتيسير المهمة وضمان القسطاس .



الأستاذ خالد أحمد الجسار أول كويتي يتخرج في تخصص القضاء الشرعي بكلية الشريعة بالأزهر الشريف ، وقد عيِّن أخيراً قاضياً بالمحكمة .

المساجد فى الكويت

الكويت إمارة عربية إسلامية ، جميع أهلها مسلمون ، وأغلبهم سنيون سلفيون ، وفيهم قلة من الشيعة ، ولا يوجد من أهل الإمارة أحد من اليهود ، ولا أحد من المسيحيين ، اللهم إلا الذين جاءوا ليعملوا فى شركة النفط أو ما تبعها ؛ وأغلبية القوم متدينون متعبدون محافظون على الشعائر الدينية ، وتوجد قلة من الشبان الذين يُعرف عنهم لون من الاستخفاف بالواجبات الدينية ، وهم ممن تلوثت عقولهم أو أرواحهم بنزعات خبيثة أو أفكار خطيرة ، وواجب ولاة الأمور فى الكويت أن يُعطوا هذه الناحية الخطيرة حقها من الاهتمام والعناية ، فإن الدين هدية الرحمن إلى بنى الإنسان ، ولو لم يكن لنا دين لكان من واجبنا أن نبحث عن دين ، ولو أن نخترعه اختراعاً أو نبتدعه ابتداعاً ، ليكون الضابطَ لنا فى أعمالنا ، والمهيمن علينا فى حركاتنا ، والمحاسب لنا فى تصرفاتنا ، فكيف وقد أنعم الله علينا بخير دين وأفضل ملة ، وعلّق على اتباع ذلك الدين سعادة الدنيا والآخرة ، وهو الذى يقول : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » ؟ ! .

نعم من واجب الولاة أن يعطوا الناحية الدينية فى الكويت كل اهتمام ، وأن يضربوا لها القدوة الصالحة الحسنة ، وأن يدققوا فى اختيار المشرفين والموجهين والمرشدين فى هذه الناحية ، وأن يقفوا فى وجه التيار الإلحادى الذى لو تفشى لكان خطراً على الأفراد والمجموع ، وعلى الحاكمين والمحكومين ، فنحن نعرف أن الإلحاد يصاحبه التحلل ، وأن التحلل يقتضى الانعتاق من حدود الأخلاق ، وإذا انعتق المرء من الأخلاق كان بلاضمير ، وإذا صار بلاضمير خلع ثوب الحياء ، وغرق فى الشهوات والأهواء ، وكانت حياته بلاءً أى بلاء . وهنا تنتشر المبادئ الهدامة ، وتكثر النزعات الخبيثة ، وتفشو جرائم التهديم والتحطيم فى الكيان العام والخاص . وإذن يجب على الحاكمين أن يطبوا لهذه العلة الطارئة قبل أن تستفحل ، وأن يغرسوا الشعور الدينى فى الأبناء منذ صغرهم ، بالقدوة الكريمة والتوجيه السليم والتأديب القويم ؛ وإلا فمعظم

النار من مستصغر الشرر ، وقد أعذر من أنذر ، وإن مع اليوم غدا يا مسعدة ! . .

ومما يدلك على تأصل النزعة الدينية والطبيعة الإسلامية فى هؤلاء القوم كثرة المساجد فى الإمارة ، وازدحامها بالمصلين حتى تضيق بهم على كثرتها وسعتها فى صلاة الجمعة ، وكثرة الساعين إليها فى الفروض اليومية ، وحرصهم على سماع العظات الدينية والتأثر بها .

ويوجد فى إمارة الكويت ما يقارب ثمانين مسجداً ، وفى النية تأسيس غيرها ، ومن هذه المساجد ما يقرب من سبعة عشر مسجداً فى القرى ، والباقى فى المدينة وهو يزيد على الستين ، وتقام الجمعة فى أغلب مساجد القرى ، وأما فى المدينة فتقام فى نحو ثلاثين مسجداً .

توجد مساجد فى الفنطاس والجهرة والشامية وأبو حليفة وحَوَلّى والراس والفروانية ؛ وتوجد جوامع فى الدمنة (السالمية) والفحاحيل والشعب وأبرق خيطان وقليب الشيوخ والفنيطيس والشعيبة .

* * *

والجوامع التى تقام فيها صلاة الجمعة فى مدينة الكويت هى مسجد : البدر الذى أسسه الحاج ناصر البدر حوالى سنة ١٣١٥ . ومسجد هلال الموجود فى حى العوازم ، وقد أسسه عزران الدماج ، وكان صغيراً فوسعه هلال المطيرى من كبار الأثرياء فى الخليج العربى سنة ١٣٣٦ ﻫ ، وقال بعض الشعراء عقب توسيعه :

مسجد قد أُسست أساسُه   من هلال الخير بدر الآمنين
نطق السعد لدى تاريخه   أسس البيت على التقوى المبين

ومسجد آل خليفة وهو على شاطىء الخليج ، وينسب إلى آل خليفة حكام البحرين ، وكان صغيراً فوسعه الشيخ مبارك الصباح فى زمن السلطان عبد الحميد وسماه (الحميدى) نسبة إليه ؛ ومسجد الغربللى وقد بنى سنة ١٣٥٠ ﻫ من تبرعات المحسنين ، وإنما سمى الغربللى لوقوعه قريباً من محلة الغربللى ، ومسجد على العبد الوهاب بناه سنة ١٣٦٠ ﻫ . ومسجد فضالى بناه صالح فضالى قبل سنة ١٣٢٠ ﻫ . ومسجد الملا صالح وقد بناه السيد الملا صالح بن محمد الملا رئيس الكتاب فى ديوان الأمير سابقاً ، وكان البناء سنة ١٣٣٨ ﻫ ، وكلفه نحو ثلاثة وعشرين ألف روبية ،

ووقف عليه أوقافاً كبيرة ، ووضع حجر الأساس فيه الشيخ سالم الصباح ، وقد جددت الأوقاف بناءه سنة ١٩٥٢م . ومسجد الساير القبلى أقامه المرحومان عبد الله ومبارك الساير قبل الحرب العالمية الأولى . ومسجد الساير الشرق ، أسسه المرحوم عبد العزيز الجسار ، وأتمه المرحومان عبد الله ومبارك الساير سنة ١٣٥٤ هـ . ومسجد الخالد ، أسسه آل يعقوب ، وبعد أن عراه الخلل وضاق بجماعته جدده ووسعه حمد الخالد الخضير وإخوته من ثلث أخيهم سعود الخالد سنة ١٣٤٣ هـ ، وقد أصلحت دائرة الأوقاف سقفه سنة ١٣٧٢ هـ . وفى آل خالد هؤلاء يقول الشيخ يوسف بن عيسى القناعى بمناسبة إصلاحهم هذا المسجد :

لو قيل : من هم فى الكويت أولو المكارم والمحامد
الطيبون المحسنون على المدارس والمساجد
الراحمون الثابتون على المبادىء والمقاصد ؟
لأجبتهم : هذى الخلال تجمعت فى آل خالد !

ومسجد العبد الرزاق ، ومسجد العثمان ، ولا نعرف من أسسه ، ولكن فى أوائل سنة ١٩٥٢م جدد بناءه عبد الوهاب وعبد اللطيف العثمان بإشراف من دائرة الأوقاف . ومسجد سعد أخو ناهض ، ويعرف بمسجد أبو رسلى ، ولا يعلم بالضبط من أسسه ، والراجح أنه موجود من قبل الحرب العالمية الأولى . ومسجد النصف وهو موجود فى وسط الحى الشرق ، وقد أسسه أولا رجل من آل بطى ، وقد قام راشد آل النصف بتوسيعه وتعميره سنة ١٢٨٤ هـ . ومسجد الوزان ، وقد أقيم من تبرعات المحسنين بعد أن عمرت محلته ، وقام بتأسيسه والجمع له وملاحظة بنائه عبد العزيز العلى الوزان حوالى سنة ١٣٦٥ . ومسجد القصمة ، وقد أسس كسابقه سنة ١٣٦٥ ، وقام بالجمع له وتأسيسه وملاحظة بنائه عبد العزيز بن عبد الرحمن القصمة . ومسجد العدسانى وهو من المساجد القديمة فى الكويت ، ويقال إنه بنى قبل سنة ١٢٥٠ هـ وينسب إلى أسرة العدسانى التى تولت القضاء فى الكويت مدة طويلة . ومسجد السوق وهو من المساجد القديمة أيضاً ، وسمى بذلك لأنه يتوسط السوق ، وقد زاد فيه يوسف البدر زيادة مهمة سنة ١٢٥٣ ، وأسست بجواره مدرسة لتعليم القرآن كان يعلم فيها المرحوم الشيخ محمد بن فارس ، وقد جددته المحسنة البرة شاهه

بنت حمد الصقر بملاحظة المرحوم سلطان كليب ، وبنت فيـــه أول منارة بنيت في الـكويت ، ولا يزال إلى الآن على ذلك . ومسجد عبد العزيز المطوع ، بناه عبد العزيز المطوع الجد الأعلى لآل مطوع القناعى ، وجدد بناءه السيد عبد العزيز بن على بن عبد الوهاب بن عبد العزيز المطوع سنة ١٣٦٤ هـ . ومسجد الحمد ، بناه فى سنة ١٣٧١ هـ خالد العبد اللطيف الحمد وإخوته عندما عمرت محلتهم واحتاجت إلى جامع . ومسجد دسمان أسسه المرحوم الشيخ أحمد جابر الصباح لصلاته وصلاة حاشيته . ومسجد نايف وهو فى دائرة الأمن العام الآن . ومسجد محمد البحر ، وقد أسسه المرحوم محمد البحر سنة ١٣٢٨ هـ ، وجددت الأوقاف بناءه سنة ١٣٧٢هـ .

وأما المساجد التى لا تقام فيها الجمع فهى مسجد قطامى والنومان والنبهان والفهد والفارس والصقر والعبد الجليل وابن شرف وعلى شملان وناهض والمديرس وابن بحر وأحمد العبدان وابن حمده وابن هبله ومحمد الشايع وابن حمدان وابن شرهان وابن عبد الإله وسعيد والسعود ومبارك الجناعات والمطران وابن سلامه والمناعى والحداد وسرحان ومرزوق البدر وابن إسماعيل والعجيرى والخميس . وقد عاوننى فى حصر هذه الأسماء السيد عبد الله النورى جزاه الله خيراً .

والمساجد فى الـكويت الآن تبنى أو تجدد بمواد البناء الحديثة ، وينقسم المسجد عادة إلى ثلاثة أقسام ، الأول الأمامى الذى فيه المحراب والمنبر ، وهو مسقوف محاط بالجدران ، ولـكن الجدار الخلفى منه فيه عدة أبواب تفتح على القسم الثانى من المسجد ، وهو مسقوف ولـكنه من الجهة الخلفية لا يوجد فيه جدار ، بل يتصل مباشرة بالقسم الثالث ، وهو ساحة مكشوفة كصحن المساجد فى مصر ؛ وقد بنيت المساجد على هذا الطراز ليمـكن استخدامها صيفا وشتاء وربيعا ، وليمـكن دخول الهواء إليها من كل جهة ، والقسم الثالث يكون فيه عادة أبواب المسجد الخارجية والمئذنة ، وهذا القسم يغطى بستائر أثناء الصيف فى صلاة الجمعة ، لأن المساجد تـكتظ يوم الجمعة بالمصلين ، ومحراب المسجد ومنبره يكونان عادة داخلين فى الجدار الأمامى للمسجد ، ويصعد الخطيب المنبر بوساطة سُلَّم حلزونى موجود بداخل المحراب ؛ وتفرش المساجد عادة بالحصير فى الصيف ، وبالحصير من فوقه السجاد فى الشتاء ، لأن أرض المسجد ترصف (بالأسمنت) .

ومساجد الكويت متوسطة من ناحية السعة ، وفيها الكهرباء ومكبرات الصوت ، ولكن دورات المياه لا تزال تتطلع إلى تحسين مأمول . وخطباء المساجد هناك عادة لا يطيلون الخطبة ، وهم ينهجون مناهج السالفين فى خطبهم ، ولا يدعون لشخص الحاكم فى الخطبة الثانية ، وصلاتهم متوسطة ، وجرت العادة أخيراً بإلقاء كلمات وعظية عقب الصلاة من مبعوثى الأزهر الشريف هناك ، ومرتبات الأئمة والخطباء لا بأس بها ، والجمهور يحترمهم كثيراً ، ولهم فيه تأثير كبير ، ومن المرتجى أن تساير المساجد روح النهضة الجديدة على أساس من الفهم الصحيح للدين الكريم . كما أنه من المأمول أن تنظَّم المكتبات الإسلامية فى هذه المساجد لتعميم النفع بها .

وأعود فأكرر الرجاء لأولى الأمر فى الكويت بأن يعطوا الناحية الدينية أهميتها ، لكى يطبعوا الشبيبة الجديدة من أول أمرهم على نزعة التدين السليم ، وأعتقد أنه يمكن التجديد فى رسالة المسجد ، فلا نكتفى فى أمره بأداء تلك الفروض فحسب ، بل نتخذه دار تعليم وتقويم وتوجيه ، وهذا العمل ليس من صالح الأفراد وحدهم ، بل هو من صالح الحاكمين أنفسهم ، لأنه يهيئ لهم رعية قويمة سليمة ، لا تشاكس ولا تنحرف ، بل تسير على الصراط المستقيم .

أمراء الكويت ووظائفهم

١ — صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصَّباح — الأمير الحاكم .
٢ — سمو الشيخ عبد الله الأحمد الصباح — رئيس قوات الدفاع .
٣ — سمو الشيخ عبد الله المبارك الصباح — رئيس الأمن العام .
٤ — سمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح — رئيس المعارف والمحاكم والأوقاف .
٥ — سمو الشيخ فهد السالم الصباح — رئيس الأشغال والصحة والبلدية .
٦ — سمو الشيخ صباح السالم الصباح — رئيس الشرطة العامة .
٧ — سمو الشيخ مبارك الحمد الصباح — رئيس الميناء البحرى .
٨ — سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح — رئيس القضايا فى الأحمدى .

صورة وصفية :

فى مجلس أمـــير

سمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح

تعال بنا ياصاحبي نشهد مجلساً من مجالس أمير العلم والعدل والأوقاف فى الكويت ، سمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح . إنه يجلس عادة من الصباح حتى الظهر ، فى دار المحاكم الحديثة الواقعة فى الطرف الغربى من ميدان (الصفاة) . . ذلك الميدان التاريخى الذى شهد مجالس الكثيرين من أمراء الصباح فى مختلف العهود . .

ها نحن أولاء نجتاز السور الخارجى لدار المحاكم ، فنرى عربة الشيخ الكبيرة واقفة بالفناء ، فنعرف أن الشيخ قد سبق بالتبكير إلى مكتبه ، ليشرف بنفسه على تصريف الشئون العامة . . وها نحن أولاء نرى ونحن نجتاز الممر الداخلى عدداً من الجنود والحرس ، وجماعات من البدو وأهل الحضر . إنهم أشكال وألوان ، منهم من يظهر عليه الغنى ، ومنهم من يتجمل بتواضع الفقر ، والكل قد جاءوا ينشدون كلمة الحق وفصل العدل فى رحاب الشيخ . .

فلندخل قاعة المجلس الخاص بالشيخ . إنه ليس هناك من يمنعك عن ذلك ، فليس بين الشيخ وطالبى لقائه حجاب أو أبواب ، وخاصة إذا كنت ضيفاً فى الكويت ، وإذا كنت من أبناء مصر العزيزة بوجه أخص . .

إن القاعة فسيحة قد بسطت فيها النمارق ، وصفت المقاعد الطويلة المريحة فى غير ترف أو إسراف . . وها هو ذا الشيخ يراك داخلا فيلقاك بابتسامته الكريمة ووجهه المشرق ، وتدنو منه للسلام عليه ، فتصافحه بيدك ، وتقبله فى أنفه أو جبهته إن كنت من خاصته ، والشيخ يردد كلمات التحية : « يا هلا يا هلا . . . يا مرحبا يا مرحبا . . . صبحك الله بالخير . . كيف أصبحت ؟ » . . وتهم بعد السلام أن ترجع إلى الوراء قليلا لتبحث لك عن مكان بين الحاضرين فتجلس فيه ، ولكن الشيخ يتلطف ويشير إلى جانبه قائلا : « هنا هنا . شرّف هنا » . وتجلس عن يساره وأنت ترى

عن يمينه سكرتيره الخاص السيد عبد الله النورى وبعض الموظفين ، وأمامهم مجموعات من الأوراق والملفات . .



سمو الأمير ، وبجواره المؤلف ، فالأستاذ محمود جبر ، فأحد الأدباء ،
فالأستاذ عبد العزيز حسين مدير معارف الكويت

وينادى الشيخ قائلا : « قهوة . . » فيردد هذا النداء جملة من الحرس والخدم قائلين معاً : « قهوة . . » . وماهى إلا لحظة قصيرة حتى يدخل خادم أسمر اللون يحمل إناء القهوة الأصفر اللامع ، وبيده الأخرى أقداح القهوة البيضاء المزركشة . . ويتقدم الخادم منك بأدب واضح ، ويعرض عليك القهوة العربية المرة الحلوة . . نعم إنها مرة ، فليس فيها سكر ، ولكنها حلوة بهذه المرارة ، لأن رائحتها ونكهتها ومذاقها ولونها يبعث فى نفس شاربها شعوراً غريباً ولذة خاصة ؛ ولقد كاد الإنسان ينسى بهذه القهوة المرة القهوةَ الحلوة التى تعودها من قبل . .

إنها القهوة . . . الشراب الذى لايزال مفضلا عند أهل الكويت ، يقدمه الغنى والفقير لضيفانه إذا ماغشوا (ديوانه) وهو مكان لقائه لزواره ... وإنها القهوة التى يتفننون فيها تفنناً عجيباً ، حتى تثير قرائح الشعراء ، فيقول فيها الشيخ عبد الله ابن عبد القادر الأحسائى :

أغثني أيها الساقى ، لعلى — إذا أظمتك نازلةٌ سقَيْتُ
بكأس من جنى البن اليمانى — متى آنستُ رياها انتشيت
تمد نباهةً عقلى ، كما قد — يمد ذُبالةَ النبراس زيْتُ

وهى القهوة التى يقول فيها شاعر الكويت الشيخ صقر الشبيب حينما شربها فى مجلس شملان بن على بن سيف :

محل الشهم شملان المفدى — به لذوى المفاقر أى حظوه
به (كانونه) يدفى فيكفى — فتى لم يلق فى مشتاه فروه
يؤجج ناره فيـه إلى أن — يغادر فى حسام القر نبوه
وحول النار قد صفت (دلال) — بهن لشاربيها خير قهوه
وهل كالنار فى المشتى إذا ما — بها حفت (دلال) البن شهوه ؟

وهى القهوة التى اشترك فى مدحها السيد عبد الجليل والشيخ عثمان بن سند فقالا :

مُرا لى صاحبيَّ بكأس قهوة — كذوب التبر صافيةً بغدوه
من البن الأريج شذا بعطر — يعطّر عرفُه مَنْ رام حسوه
علاه جوهرٌ كفرندِ عضب — جلاه القَيْن لا لحذار نبوه
تنقط من فم الإبريق خالاً — بوجنة جامها وشما مموه !

وهى القهوة التى يقول فيها الشيخ عبد العزيز آل مبارك :

قم يارفيق فاسـقنى يمنية — أذكى من الورد الجنىِّ وأضوعا
وأدر علينا من جناها قهوةً — حمراء تستصبى العفيف الأورعا
بكراً تعير الكأسَ لونَ متيم — فتخاله بجمالها متولعا !!

وهى القهوة التى يقول فيها الأستاذ محمود شوق عبد الله الأيوبى :

اســقنيها يا حبيبى — فى شروق وغروب
قهـــوة الأنس ، أدرها — حسوةً فى بطن كوب
إنهــا الإكسير للمحـ — ـزون ذى القلب الكئيب
هى كالمسك ســـوادا — مُزجت مزجا بطيب
أنا أهـــواها حلالا — ما بها أصـــغر حوب
تنعش الروح ، وليست — كالطلا أمِّ الذنوب !

سيصب الخادم لك قليلا من شراب القهوة فى القدح ، وهذا أسلوب جميل ، فقد تكون ممتلئاً ولا ترغب فى الكثير ، وقد تكون شربت قهوة قبل حضورك فى بيتك ، أو فى مكان آخر ، وإذن فلن يضيرك أن تشرب هذا المقدار القليل ، وسيعود الخادم إلى تقديم القهوة لك مرة ومرة ومرات ، حتى تكتفى ، وإذا اكتفيت هززت القدح الفارغ أمام الخادم ، فيعرف أنك لا تريد بعد ذلك . حذار أن تكون جديداً على هذه العادة فتخجل ، فتهز القدح قبل أن تكتفى ، فليس هنا تكلف ، بل من أمثال الكويت : « ربيع النفس هواها » . وحذار أيضاً أن تخجل ، فتظل تأخذ القدح من الخادم مرات ، وأنت لا تريد ، بل هزه وأرح نفسك . .

سيقرع الخادم طرف القدح بعد صب القهوة فيه بفتحة الإناء النحاسية المنحنية ، فتسمع صوتاً لطيفاً وجرساً خفيفاً ، كأنه نغم منبه سريع ؛ وستحاول أن يبدأ الخادم بتقديم القهوة إلى الشيخ فيرفض ؛ إنك ضيفه ، ولذلك صرت رب المنزل كما يقولون ، فتناول قدحك فى سهولة ويسر . . .

شربنا القهوة ، منّا من شرب مرة ، ومنّا من شرب مرتين ، ومنا من شرب مرات ، كل حسب هواه ؛ ويلتفت إليك الشيخ بوجهه الباسم ، فترى عينين نافذتين تلمعان من وراء المنظار الأبيض ، والملامح كلها تشعرك بالسماحة ودماثة الأخلاق ، ويسائلك الشيخ عن الحال والأخبار ، ويقص خلال ذلك بعض الطرائف أو الأنباء ؛ ويتقدم إليه سكرتيره أو أحد القضاة أثناء ذلك يعرض عليه أوراقاً ؛ فيعتذر إليك ويستأذن منك ، ويقبل على الأوراق يفحصها ويستعرضها ، ولا يكتفى بالنظرة العجلى ، بل يطالع من البداية إلى النهاية مدققاً محققاً ، وهو خلال ذلك يوجه إليك من حين لحين بعض العبارات ، ليشعرك أنه معك . . .

لقد دخل بعض أبناء مصر الذين أرسلتهم إلى الكويت رسلا للعقيدة والثقافة ، فإذا الشيخ هاش باش ، يحسن لقاءهم وتحيتهم ، ويتحدث عن مصر وروابطها الروحية مع شقيقاتها العربية ، ويتحدث عن ذكرياته الجميلة فى مصر ، ويتحدث عن البعثات العلمية التى ترسلها مصر من الأزهر الشريف ومن وزارة المعارف العمومية ، وعن جهود تلك البعثات فى التربية والتعليم . . .

ويدق التليفون ، ويرفع الأمير السماعة ليتحدث . . . إنه مدير المعارف الشاب يعرض على رئيس المعارف الأعلى بعض الشئون الخاصة بالتعليم والمدارس ، ويرى الشيخ أن هذه الأمور لا يفصل فيها بطريق التليفون ، فيطلب من مدير المعارف أن يحضر إليه ومعه أوراقه ، وما هي إلا دقائق حتى يدخل مدير المعارف ومعه الأضابير التي تضم هذه الشئون ، فيفحصها الشيخ ويفصل فيها ، ثم يقدم له المدير مئات من خطابات الجوائز الخاصة بالمهرجانات الرياضية أو المعارض السنوية ، فيمهرها الشيخ بإمضائه ، وقد تقترح أن يريح الشيخ نفسه ، ويتخذ له خاتما يمهر به هذه الأوراق ، فيجيبك بأن الواجب يجب أن يؤدى ، وأن التوقيع فى خطاب الجائزة له رمزه ووقعه فى نفس صاحب الجائزة . . .

وهذا بدوى عجوز ، يدخل قاعة الشيخ حافى القدمين ، متواضع الثياب ، قد لفحت الشمس وجهه حتى ضاعفت سمرته . . . وتسمع البدوى ينادى الشيخ باسمه محيياً : « صبحك الله بالخير يا أبا جابر . . . حياك الله يا طويل العمر » . ويجيب الشيخ التحية فى تلطف ورفق ؛ ويتذكر سمو الشيخ أن هذا البدوى كان أحد أتباعه وجنوده الذين اشتركوا معه فى المواقع الحربية التى دارت بين الكويت وبعض جيرانها بسبب المطامع أو الأهواء ؛ فيشير الشيخ إلى ذلك إشارة خاطفة ، فيثور عندك حب الاستطلاع ، فترجو الشيخ أن يذكر بعض هذه الذكريات التاريخية الهامة فى حياة الكويت ، فيقص عليك طرفاً من المواقع التى دارت فى (الجهرة) و (حمض) وغيرها من الأماكن ، فتزداد معرفة بتاريخ الماضى ، وإعجاباً ببطولة الأمير الشجاع الذى ظل مرابطاً أربع سنوات على حدود الكويت قديماً بالقرب من (الدمام) ، وهو يتوقع فى كل حين معركة أوزالاً . . .

وتعرض المناسبة فيتحدث الشيخ عن ذكرياته السابقة . . . إنه يتحدث مثلا عن (ندوة الأحرار) التى كانت تجتمع منذ سنوات طويلة فى بيته ، والتى كانت تضم طائفة من خيرة شباب الكويت ، والتى فكرت فى إنشاء (بلدية الكويت) . . . ويحدثك كيف استقر عزمهم على ذلك ، وكيف ذهب هو نائباً عن رفاقه لمحادثة الأمير فى الموضوع ، وكيف نشأت (البلدية) بعد جهود وجهود ، وكيف ظل الشيخ رئيساً لها فى أول أمرها عشر سنوات .

وإنه ليتحدث عن تاريخ المحاكم فى الكويت . . . لقد كانت المحكمة بلا بناء فى أول الأمر ، وكان الشيخ يعقدها فى ميدان الصفاة ، يجلس على فراش مبسوط على الأرض ، ومن حوله بعض الموظفين ، ثم يقبل أهل القضايا فيعرضون عليه قضاياهم . . . ويبتسم الشيخ حين يذكر لنا قضية رجل كفيف البصر ، جاءه يشكو زوجته ، لأنها توقد مصباح الغاز فى الليل ، وهو لا يرى ، فلا فائدة له فى السراج . . . ويجيبه الشيخ : ولكن زوجتك مبصرة ، وهى تحتاج بالليل إلى السراج . . . فيجيب الرجل : ولكنى أعمى ، فلا فائدة لى فى المصباح ، وهذا مالى ، فكيف تسيء هى استعماله ؟ ! . . .

ويذكر أيضاً من بين القضايا قضية رجل اتهم فى مسألة أخلاقية ، فلما أخذ الشيخ فى لومه ، قال الرجل : إن التهمة ملفقة ، لأننى سيد وطاهر ومن نسل الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فيقول الأمير : ولكن الشهود حضور ، وهم عدول ، فماذا تقول ؟ . . . وفجأة يخرج الرجل المتهم سلكا مدببا طويلاً من الصلب ، ويدخله فى جدار فمه من جهة ويخرجه من الأخرى . . . كعادة المشعوذين ؛ ويقول : هذا هو الدليل ، وهذه هى الكرامة ، ألا تصدقون أنى من نسل الرسول ؟ . . . ويضحك الشيخ ويقول له : تهمتك شيء ، ومسألة السلك شيء آخر . . . ويستمر فى نظر القضية . . .

ويدخل علينا ونحن جلوس مع الأمير شيخ كبير السن طويل اللحية مهيب الطلعة . . . إنه عالم كبير من البحرين ، قد جاء منها ليعالج نفسه من مرض شديد فى المستشفى الأميرى الحديث بالكويت ، فينهض الشيخ لتحيته مرحباً ، ويحدثه عن علاقات القرابة والمودة بين أمراء الكويت وأمراء البحرين ، ثم يسأله عن مرضه وأطواره سؤالَ المهتم الخبير ، ثم يشير عليه من تجربته وخبرته بما يحسن عليه اتباعه فى العلاج .

وهذا بدوى آخر يدخل على الشيخ ، ويحادثه بصوت مرتفع ، وفى بساطة وعدم كلفة ، والشيخ لا يضيق بهذا . . . إن هذا البدوى له قصة . . . لقد أراد الزواج ، فترك الكويت كلها ، ورحل بعيداً حيث تزوج من الخارج ، وحصل نزاع بينه وبين أهل الزوجة ، فأخذوها منه ولم يردوا إليه الصداق . . . ويراجعه الشيخ فيذكره

بأنه أخطأ فى كذا وكذا وكذا ، ويعترف البدوى بأخطائه كلها ، ولكنه طامع فى كرم (أبو جابر) . . . إنه يريد من الشيخ أن يعمل لإعادة زوجته إليه ، وأن يهب له بيتاً يسكن فيه ، وأن لا يحرمه من فضله . . . ويعده الشيخ وعدا حسناً ، ويجلس البدوى على الأريكة ، ويضع ساقاً على ساق ، ويشعل لفافته (سيجارته) ويظل من حين لحين يخاطبه بلا كلفة وبصوت مرتفع قائلا : « والله يا عبد الله يابو جابر مالها غيرك . . . » ! . . .

ويتطلع الشيخ إلى مجموعة الظلامات والالتماسات والشكاوى والخطابات التى أمامه . . بعضها من الكويت ، وبعضها من مصر ، وبعضها من إمارات الخليج . . إنها تضم مطالب مختلفة وأموراً كثيرة ، ويطالع الشيخ ما فيها بدقة ، وقد يتلطف من حين لحين فيطلعك على بعض هذه الشكاوى ، ويقول لك : « ما رأيك فى هذا الموضوع ؟» . أو يقول : « هل تعرف صاحب هذه الرسالة ؟ » . وهذا نوع من الاستشارة المجاملة التى تدل على الذكاء والذوق معاً . .

ويدق التليفون مرة أخرى . . . إنه مدير المعارف أيضا يذكّر (طويل العمر) باحتفال يقام الليلة ،وسيكون تحت رياسة الأمير ورعايته ... وما أكثر هذه الاحتفالات التى يرأسها ... بالأمس كان فى مهرجان رياضى ، واليوم سيكون فى معرض مدرسى ، وغدا سيكون فى مباراة رياضية ، وبعد غد سيكون على رأس مأدبة كبرى فى قصره لطائفة من ضيوفه . وهكذا .

* * *

وهذه عجوز تتخطى باب القاعة فى خطوات مضطربة تريد مقابلة الشيخ ، فلها مظلمة تريد أن تعرضها على سموه . . . ويهم أحد الحرس أن يستمهلها قليلاً ، فيأمره الشيخ بأن يتركها تدخل . . . لقد تأدبت العجوز فخلعت نعلها ، وأقبلت تسعى على بساط الحجرة ، ولكنها أمسكت بنعلها فى يدها ، ولما دنت من مكتب الشيخ استندت عليه ، ومالت نحو الشيخ والنعل فى يدها تلامس المكتب وتبدو ظاهرة أمامها ، ولا يضيق الشيخ بل يبتسم . . . إن المرأة قد أكل منها الدهر وشرب ، فتغضن وجهها ، وضعف بصرها ، وتهدم جسمها ، وانخفض صوتها ، وسقطت أسنانها ، وهى لذلك تتكلم بلهجة قديمة غريبة لا تكاد تفهمها ؛ ولكن الشيخ

يقبل عليها فى صبر ، ويميل نحوها بأذنه ، ويسمع منها قصتها ، ويفهم ما تريد ، وينادى الشيخ على أحد الموظفين فيستجيب حالاً فى سرعة ، فيأمره يبحث قضية العجوز كما تريد . . . ويبلغ التأثر بالمرأة مبلغه ، فترفع صوتها بالدعاء للشيخ ، وتخرج الدعوات مؤثرة ولو لم تفهم بعضها ، وكأن كلمات الدعاء قد اختلطت بدموع البكاء — بكاء التأثر — فكان لها روعة أى روعة ، ورواء أى رواء .

ويدخل الحرس برجل يلبس ملابس الصناع الميكانيكيين ، ويعرضون على الشيخ جريمته . . . لقد تجارأ فأقام بعض الآلات الميكانيكية فى أرض مملوكة لدائرة المعارف ، وهذه الأرض مطلوبة فوراً لبناء مدرسة جديدة ، وكان يحتل هذه الأرض قبل ذلك بعض الناس ، فأمرهم الشيخ بإخلائها فأخلوها للغرض السابق ، فجاء هذا الصانع الجرىء ، واحتل الأرض . . .

وبدا الغضب على وجه الشيخ ، وهمّ أن يوقع بالرجل جزاء ما فعل ، ولكنه عاد وكظم غيظه ، وقال للصانع : « غداً فى الساعة العاشرة إذا لم تكن الأرض خالية فستلق جزاءك » ! . . . وأراد الصانع بعد هذا كله أن يتعلل بضيق الوقت وكثرة الآلات ، فقال الشيخ فى حزم وصرامة : « لا جدال ، غداً فى العاشرة يجب أن تكون الأرض خالية ، لقد أذنبت فسارع بإصلاح خطئك ، وتستطيع أن تستعين فى نقل الآلات بمن تشاء » . . .

***

ونختلس نظرة خاطفة إلى الساعة خشية أن نكون قد أثقلنا على الأمير ، ويلحظ الشيخ ذلك بسرعة فيبتسم قائلا : « أمشغول أنت يا شيخ ؟ . . . » . يالله ، لقد ذهب الوقت سريعاً دون أن يشعر المرء بفواته ، وكذلك لحظات الهناء قصار . . . وتعتذر إلى الشيخ وتصافحه فيحسن وداعك ، وتخرج من لدنه مغموراً بلطفه وحسن لقائه ، وتقول لنفسك : لقد شهدنا نموذجاً سريعاً من مجلس سمو الشيخ عبد الجابر الصباح أمير العلم والعدل والأوقاف فى الكويت ! . . .

نهضة التعليم

لعل أكبر مظهر من مظاهر النهضة الحديثة فى الكويت هو نهضة التعليم ، فقد كان فى الكويت منذ سنوات بضع مدارس تعد على أصابع اليد ، وكان الاهتمام بالمنهج واختيار المدرس والتدريس حسب أصول التربية الحديثة معدوماً أو كالمعدوم ؛ وأما اليوم ففى الكويت ما يزيد عن ثلاثين مدرسة ابتدائية للبنين والبنات ، وفى مدارس البنات فصول للدراسة الثانوية ، ومن المنتظر إنشاء مدرسة ثانوية للبنات قريباً ، وهناك مدرسة ثانوية كبيرة للبنين ، ومعهد دينى يسير على نظام الأزهر الشريف تقريباً ، وقسم تجارى ليلى ، وأقسام حرة لمكافحة الأمية بين الكبار .

وقد شيدت الكويت فى منطقة (الشويخ) مدرسة ثانوية بكل مرافقها ، وأنفقت فى ذلك ملايين الروبيات ، وهى تعتبر بلا مبالغة أكبر مدرسة عرفناها فى الشرق الأوسط ، ففيها حجرات الدراسة وأبهاء الاستراحة وقاعات المحاضرات والسينما والمسرح والطعام ، وقاعات النوم المستقلة ومساكن المدرسين المتزوجين ومساكن المدرسين الأعزاب ، وسائر المرافق العامة والخاصة ، وفيها الملاعب الواسعة المتعددة ، وفى وسط حماها مسجد كبير أسس على طراز جميل فى البناء والنقش .

وأرسلت الكويت بعثات علمية كثيرة إلى مصر والعراق وسوريا ولبنان وانجلترا ، وافتتحت مدرسة عربية فى الباكستان وأخرى فى الهند ، والعلم فى مدارس الكويت مهيأ لكل عربى ولكل مقيم فيها ، وهو بالمجان فوق إعطاء الأدوات والملابس والعلاج المجانى والمراقبة الصحية المستمرة .

وهناك المشروع الضخم الذى وُضعت أسسه للكلية الصناعية التى ينتظر أن تكون نواة لجامعة كويتية ملائمة فى المستقبل ، والمطلع على تفصيلات هذا المشروع يعجب كل الإعجاب بهذه النهضة الواسعة فى ميدان العلم والصناعة ، وحسبك أن تعلم أن هذه الكلية ستكون من خمس طوابق ، وستشتمل على مختبرات للكيمياء وعلم المعادن والبناء والحركات الحرارية والفيزياء والمحولات والكهرباء . وستكون فيها معامل لأشغال الجبس والزخرفة والراديو والتليفون واللاسلكى والطلاء

الكهربائى والصفيح والسباكة والحدادة واللحام والنجارة والأشغال اليدوية والنماذج الخشبية وغيرها .



فتيات الكويت يأخذن طريقهن الى المعرفة والثقافة

ونريد أن نعطى فكرة واضحة عن نهضة التعليم الآن فى الكويت عن طريق المعلومات الدقيقة المعتمدة على الدراسة والمشاهدة والإحصاء ، ونذكر بأن هذه النهضة فى ازدياد مستمر وكثرة مطردة — ولنبدأ باقتباس جانب مما ذكرته دائرة المعارف عن نهضة الكويت فى بياناتها الرسمية :

المعارف فى الكويت

هناك شىء آخر تجده فى الكويت ، وهو هذا الإقبال العظيم على العلم ، والرغبة الشديدة فى خلق نهضة حديثة تشمل جميع نواحى الحياة . وكان أهل الكويت قبل إنشاء المدارس العصرية قد اتبعوا أساليب خاصة لتنشئة الأجيال الصاعدة ، وكانت هذه الأساليب التى اتبعوها مستمدةً من بيئة بلادهم وتقاليدهم العربية . كما أن للإسلام الفضلَ الأكبر فى دعوتهم إلى طلب العلم ، وحثهم على تعلم القراءة ،

كى يتمكنوا من تلاوة القرآن الكريم . وقد ظهرت بينهم فئة تولت تعليمَ الناشئة تلاوةَ القرآن والكتابة والحساب فى الكتاتيب والبيوت ، كذلك تكونت الحلقات فى المساجد ، يُلقى فيها العلماء دروساً فى الوعظ وأصول الدين . ولكن نظام التربية والتعليم الذى نشأ بالكويت لم يكن فى الكتاتيب والبيوت والحلقات فقط ، بل ظهر فى أشكال أخرى ، إذا نظرنا إلى التربية وأساليبها بمعناها الواسع ، وأنها ترمى إلى تهيئة الناشئة ليكونوا أعضاء صالحين فى بيئتهم .

لقد كان لموقع الكويت بين البحر والبادية أثر فى تعيين طراز معيشتهم وأعمالهم وصفاتهم : فتعلم صغارهم السباحة فى البحر ، وركبه كبارهم للغوص والسفر ، وأفادوا من الغوص فجمعوا اللؤلؤ ، وصار لهم نظام فى الغوص : فاعتاد صغار البحارة إطاعة رؤسائهم من ربابنة المراكب عند خروجهم للغوص والمرانة على العمل وتحمل المشاق فى المراكب لعدة أشهر . وأتقن الربابنة قيادة المراكب وسياسة الناس فى أصعب الأحوال ، وحملهم البحر إلى البلدان القريبة الواقعة على ساحل الخليج العربى ، وإلى البلدان البعيدة الواقعة على سواحل المحيط الهندى والبحر العربى . وكان نفعهم من الأسفار التجارية كبيراً ، ربحوا الأموال وعرفوا العالم . ولا نغالى إذا قلنا إن أعمالهم التجارية كانت لهم بمثابة دراسة جامعية ، تخرج فيها رجال أصحاب دراية وحكمة وثقافة عامة ، كما حصل لأهل مكة قبيل الإسلام بفضل أسفارهم ورحلاتهم فى الصيف والشتاء .

ومن جهة أخرى جعلتهم حياتهم فى البادية يتحملون مشاق العيش فيها ، وأسفارهم التجارية البرية والبحرية والصيد والقنص كل ذلك عرّفهم بديارهم ومواقعها ، وكان لهم من هذا كله دروس فى الجغرافيا العملية ، وفى معرفة النجوم ومسالكها .

ومن الأعمال الأخرى التى هذبت شبابهم ، وثبتت فيهم روح الجماعة والتضامن الاجتماعى ، محافظتهم على نظام الأسرة والأحياء القَبَلية ، والاشتراك فى صلاة الجماعة وحضور المجالس ، وبذلك صاروا كتلة واحدة ، ظهر فضلها فى تعاونهم جميعاً على بناء سور بلدتهم ، حتى أتموه فى خلال شهر واحد ، وبفضل تعاونهم هذا حافظوا على توزيع زكاة أموالهم على فقرائهم ، وصار من تقاليدهم جمع الأموال لمن يفلس فى تجارته ، أو تغرق سفينته . . . إلخ .

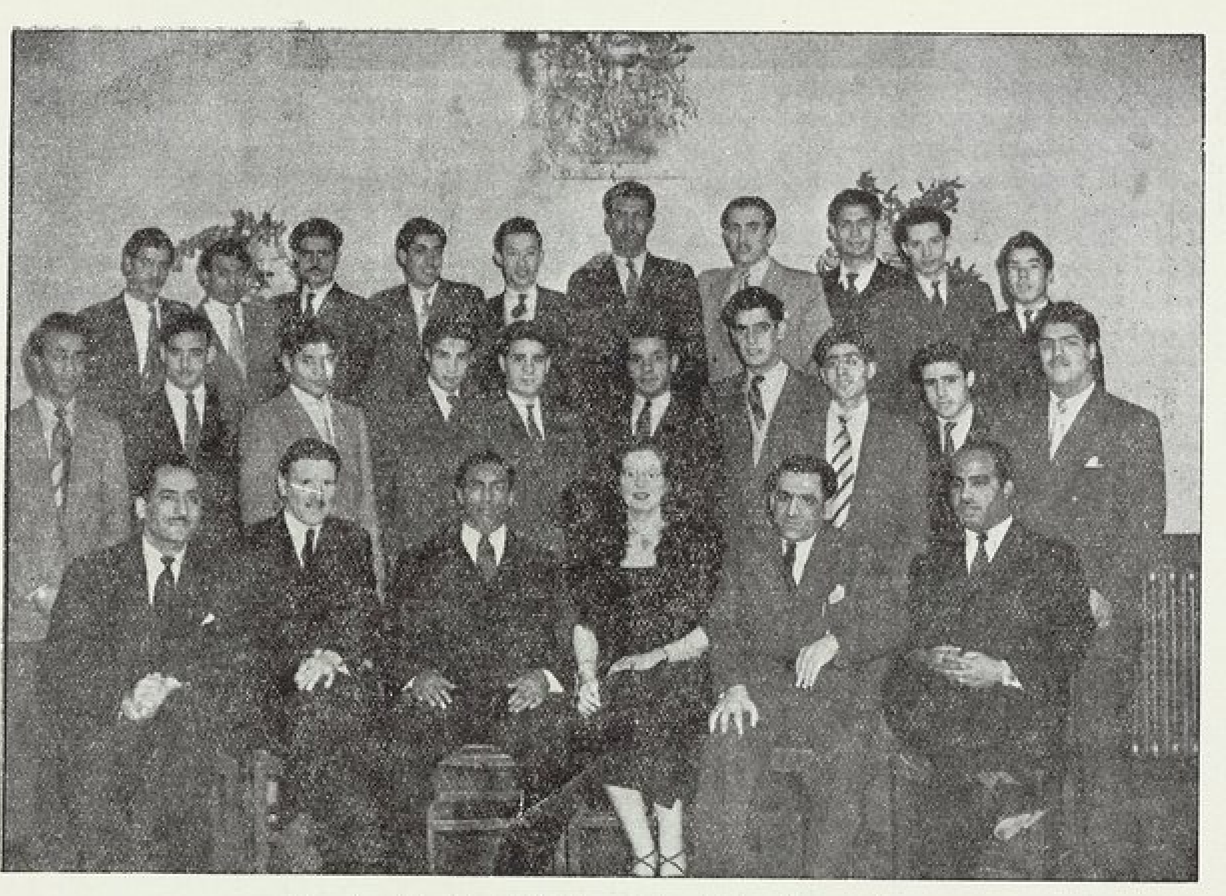
تنظيم المعارف

بدأت الكويت نهضتها فى مطلع القرن العشرين فى عهد الشيخ مبارك ، فهو الذى جعل له كيانا مستقلا ورد الغزاة عنها ، وتمكن بدهائه وحسن سياسته أن يجعل لها مكانة رفيعة بين دول الجزيرة العربية وإماراتها ، وإليه لجأ الأمير عبد الرحمن ونجله عبد العزيز (صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية اليوم) حين أخرج آل سعود من نجد ، بعد استيلاء آل رشيد عليها . والشيخ مبارك هو الذى ساعد الأمير عبد العزيز بماله ورجاله وسلاحه ونفوذه ، حتى تمكن من استرداد ملكه من آل رشيد بنجد . وفى عهد الشيخ مبارك بنيت أول مدرسة بالكويت سنة ١٩١٢ م ، إذ قام بعض التجار بتشجيع من الشيخ بجمع التبرعات لها ، وقد بنيت هذه المدرسة فى وسط المدينة ، وأطلق عليها اسم (المباركية) نسبة إلى الشيخ مبارك ، وعين لهذه المدرسة عدد من العظماء ، منهم الشيخ حافظ وهبه سفير المملكة العربية السعودية فى لندن اليوم .

غير أن التعليم فى ذلك الوقت كان مقصوراً على العلوم الدينية والعربية والحساب ؛ تدرس فى المدرسة المباركية وبعض الكتاتيب الأهلية بصورة بسيطة جداً . وفى سنة ١٩٣٦ تكوّن أول مجلس معارف بالكويت ، واستقدم أول بعثة من فلسطين لتنظيم المدارس ، ووضع مناهج عصرية لها ، ثم زاد إقبال الطلاب على المدارس ، فكثر عددها وزاد عدد المعلمين والمعلمات الذين استقدموا من مصر وسوريا وفلسطين ، وأوفدت بعثات علمية للدراسة فى الخارج ، وأسس (بيت الكويت) بالقاهرة للاشراف على شئون الطلبة الكويتيين بمصر .

توسع المعارف وميزانيتها

فى الإحصائية رقم (١) بيان بوضع المعارف ونموها ، يظهر منه أنه كان بالكويت سنة ١٩٣٦/١٩٣٧ أربعة مدارس للبنين فقط ، عدد طلابها ٦٠٠ وعدد معلميها ٦٢ ؛ أما فى هذه السنة ١٩٥٣/٥٢ فقد صار عدد مدارس البنين فيها ٢٥ مدرسة ، منها مدرسة ثانوية ومعهد دينى ومدرسة معلمين ومدرسة تجارية ، وعدد طلابها جميعاً ٧١٨٨ وعدد معلميها ٣٩٤ . وفيها فى الوقت الحاضر ١٥ مدرسة



طائفة من أبناء الكويت الذين رحلوا إلى لندن لطلب العلم منذ سنوات

للبنات ، عدد طالباتها ٣٥٥٠ وعدد معلماتها ١٧٠ معلمة ؛ كذلك زادت ميزانية المعارف كما يتضح من البيان التالى : —

سنة ١٩٤٩/١٩٥٠ ٥ ملايين روبية.
« ١٩٥٠/١٩٥١ ١٢ مليون روبية .
« ١٩٥١/١٩٥٢ ٢٧ مليون روبية .
« ١٩٥٢/١٩٥٣ ٤٢ مليون روبية .

(والروبية تساوى ٧٥ مليما أو فلساً ، والدولار يساوى ٧٦و٤ روبية)

وتقدر واردات حكومة الكويت بـ ٥٣ مليون جنيه استرلينى ، ينتظر أن ينفق منها على ميزانية المعارف لسنة ٥٢/٥٣ نحو ٣ ملايين جنيه ، ما عدا ما ينفق على المشاريع الإنشائية للمعارف ، ويقدر بسبعة ملايين لمدة عامين .

إدارة المعارف

ويشرف على جميع شئون المعارف بالكويت مجلس معارف مؤلف من ١٢ عضوا منتخبا ، ويعمل هذا المجلس تحت رئاسة صاحب السعادة الشيخ عبدالله الجابر الصباح ، فيجتمع مرة كل أسبوع ، إلا فى الحالات الاستثنائية التى تتطلب اجتماعات مستعجلة ، وهو المسئول الأول عن توجيه سياسة المعارف والإشراف عليها ومراقبتها وتقرير ميزانيتها ، وفتح المدارس الجديدة وإيفاد البعثات العلمية . ويتولى إدارة المعارف مديران — أحدهما للشئون الإدارية والمالية ، والآخر للشئون الفنية والعلمية . أما مدير الإدارة فهو المسئول عن تصريف الأموال المخصصة للمعارف ، وعن تزويد المدارس بما تحتاج إليه من معدات ولوازم ، وأثاث وكتب مدرسية وقرطاسية ، وعن بناء المدارس وتغذية الطلبة وكسوتهم ، والإشراف على الحسابات والمخازن والنقليات ، وتأمين المساكن للمعلمين والمعلمات .

أما المدير الفنى فهو المسئول عن جميع المسائل الفنية فى المعارف ، خاصة فيما يتصل بالسياسة التعليمية واقتراح الأنظمة والمشروعات ووضع مناهج الدراسة ، والإشراف على التفتيش الفنى ، وإعداد المعلمين والمعلمات للمدارس ، ومراقبة البعثات التعليمية ، وتقرير الكتب المدرسية ، والإشراف على سير العمل فى المدارس والنشاط المدرسى ، وتنظيم مكتبات المدارس والمكتبات العامة والمختبرات ، وتنظيم الامتحانات العامة .

ويساعد مدير المعارف مساعد مدير المعارف ، ومفتشة مسئولة عن مدارس البنات ، وأربعة مفتشين لتفتيش مواد الدراسة فى مدارس البنين والبنات : مفتش للدين واللغة العربية ، وآخر للغة الإنـكليزية ، وثالث للرياضة والعلوم ، ورابع للعلوم الاجتماعية . وهناك مفتش للتربية البدنية يشرف على تدريسها ، وعلى النشاط الرياضى فى جميع مدارس البنين .

أبنية المعارف ومشروعاتها الجديدة

جميع أبنية المدارس فى مدينة الـكويت ملك للمعارف ، ماعدا بعض أبنية مدارس القرى ، استأجرتها الإدارة إلى أن يتم بناء مدارسها الخاصة . ومع أن هذه الأبنية لم يتم بناؤها بموجب خرائط عصرية إلا أنها تفى بالغرض المطلوب ، وخاصة إذا قيست بأمثالها من المدارس فى سائر البلاد العربية .

وإقبال أهل الـكويت على المدارس شديد ، وعدد طلبة المدارس فى ازدياد مُطَّرِد ، ولذلك تضطر الإدارة إلى توسيع مدارسها فى كل عام أو زيادة عددها ، وهذا ماجعلها تضع مشروع خمس سنوات ، قد ينجز القسم الأول منه ، وهو القسم المستعجل ، فى خلال سنتين ، ويشمل بناء ثلاث مدارس ابتدائية كبيرة ، وثلاثة بساتين أطفال ومدرسة صناعية ومطبخ مركزى . وقد تم وضع الخرائط العصرية لهذه الأبنية وبُدِئ فى بنائها . أما المدرسة الصناعية فإنها من أهم المشروعات التى يحتاج إليها البلد ، وسوف تـكون كبيرة فى أقسامها ومعاملها ، وكافية لتأمين الدراسة لخمسمائة طالب فى النهار ، وغيرهم من العمال الراغبين فى الدراسة ليلا . وأما المطبخ المركزى فإنه سوف يقوم بتحضير وجبات الطعام والشرائح بطريقة صحية ، ثم ينقل كل ما يحتاج إليه الطلبة فى أوعية خاصة نظيفة ، تحمَل فى السيارات وتوزع عليهم فى أوقات معينة . ومن المشروعات التى سوف تتم فى العام المقبل مشروع المدرسة الثانوية الداخلية ، ولعلها أكبر مدرسة ثانوية داخلية فى الشرق العربى ، بدئ فى بنائها فى مطلع عام ١٩٥١ ، وقد تم القسم الأكبر منها ، أى البناء الرئيسى ومساكن الأساتذة ومساكن الطلبة والجامع ، وهى تتسع لنحو ٦٤٠ طالب داخلى ، وتقع هذه المدرسة على ساحل البحر ، على بعد ستة كيلومترات من مدينة الـكويت ، ومساحة أرضها (٢٥٠٠) دونم — ٦٢٥ فداناً — ، وهى مؤلفة من البناء الرئيسى ، وفيه طابقان وقبة ، وله ثلاثة أجنحة ،

ويشتمل على ١٩ غرفة للدراسة ، وثلاثة معامل واسعة للكيمياء والطبيعة والأحياء ، ومتحف ومدرج وقاعة كبيرة للحفلات ومطعم كبير ، ومن أبنية هذه المدرسة أيضاً الجامع والمكتبة ومساكن الطلبة وعددها ثمانية ، يتسع كل مسكن لثمانين طالباً ، وبيوت للمدرسين (وجمنازيوم) ألعاب . وبالإضافة إلى هذا سوف يكون فى المدرسة حوض للسباحة وملعبان لكرة القدم ، وملعبان لكرة السلة، وثلاثة ملاعب للتنس .

مراحل التعليم

مراحل التعليم فى الكويت تكوّن سلما واضحاً (راجع الرسم رقم ٢) ، وأولياء الطلاب يبعثون أبناءهم إلى المدارس صغارا فى الرابعة والخامسة من أعمارهم ، فقد بلغ عدد هؤلاء الصغار نحو ثلاثة آلاف فى السنة الدراسية ١٩٥٢/١٩٥٣م ، ولهذا عزمت



وأشبال الكويت أيضا قد رحلوا فى سبيل العلم

إدارة المعارف على إنشاء بساتين أطفال مدتها سنتان أو ثلاث ، والغاية من تأسيسها توجيه الأطفال الصغار إلى الأعمال والعادات الصحيحة الصالحة من الصغر ، والعناية بتنمية غرائزهم وتعويدهم الطاعة والنظام ، والعناية بصحتهم ونظافتهم ومراقبة نموهم وإعدادهم لدخول رياض الأطفال . والخطة الجديدة تهدف إلى إيجاد أكبر عدد ممكن من بساتين الأطفال هذه ، حتى يكون فى كل بستان عدد قليل من الأطفال ، يذهبون صباحاً إلى بساتينهم ويلعبون فيها ، ويأكلون وجبة خفيفة صباحاً ووجبة أخرى ظهراً ، وينامون قليلا بعد الظهر ، ويكونون طيلة النهار تحت مراقبة معلمات قديرات .

ويلي مرحلة بساتين الأطفال (وهي غير مذكورة في مراحل التعليم رقم ٢) مرحلة رياض الأطفال ، ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات ، ثم مرحلة الدراسة الابتدائية ومدتها أربع سنوات ، وفي نهاية السنة الأخيرة من الدراسة الابتدائية يُعقد امتحان عام تحت إشراف إدارة المعارف للطلاب الذين أنهوا دراستهم الابتدائية ، فإذا نجحوا في هذا الامتحان حصلوا على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية ، ويحق لهم بعدها دخول المدرسة الثانوية ، ومدة الدراسة بها خمس سنوات ، وإذا أنهى الطالب دراسته الثانوية أكمل دراسته الجامعية في الخارج ، والشهادة الثانوية الكويتية تؤهل حاملها لدخول كلية العلوم والآداب في الجامعة الأمريكية في بيروت والقاهرة ، وكذلك السنة الأولى من الكليات العراقية ببغداد .

أما المدرسة الصناعية فالمنتظر أن تقبل الطلاب من حملة الشهادة الابتدائية ، أو من هم دون ذلك بحسب درجة الإقبال عليها . وفي المدرسة الثانوية (المباركية) صفوف تجارية ، يدخلها الطلاب بعد إنهاء الدراسة في السنة الثانية الثانوية ، ويبقون فيها سنتين ، ويتعلمون فيها أصول إمساك الدفاتر ، والكتابة على الآلة الكاتبة العربية والإنكليزية ، والحساب التجاري ، وغير ذلك من المواد التي تؤهلهم للعمل كُتابا أو محاسبين في المحلات التجارية بالكويت . وفي المدرسة الثانوية (المباركية) أيضاً عدد من الطلاب في صفوف المعلمين ، يدخلونها بعد السنة الثانية الثانوية ، ويبقون فيها ثلاث سنوات ، يدرسون دراسة ثانوية ، يضاف إلى ذلك دراسة نظرية وعملية لعلوم التربية . أما المعهد الديني فإن الطلاب يدخلونه بعد الصف الأول الابتدائي ، أو من هم في مثل هذا المستوى ، ويدرسون فيه خمس سنوات قبل أن يوفَد الأوائل منهم إلى الأزهر بمصر لإكمال دراستهم الدينية .

أما خطة الدراسة والمناهج في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية والثانوية فإنها كالتي بمصر من حيث الجوهر ، إلا أن عناية القوم بتدريس الدين واللغة الإنكليزية أعظم .

وأهم مشكلة تواجهها إدارة المعارف هي قلة عدد المعلمين الكويتيين ، فقد بلغ عددهم في هذا العام ١٢١ ، بينما بلغ عدد المعلمين من أبناء الأقطار العربية الأخرى أكثر من ضعف عددهم . فعدد المعلمين من الخارج ٢٧٣ ، أما عدد المعلمات



فتيات المدرسة العربية الكويتية في بومبي بالهند ، وفي وسطهم سمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح رئيس المعارف
والأستاذ عبد المجيد أبو غربية ناظر المدرسة

الكويتيات فإنه قليل جداً بالنسبة إلى عدد المعلمات من الخارج ، فإن عدد المدرسات الكويتيات ١٧ ، وعدد غير الكويتيات ١٥٣ ، ولذلك تبذل إدارة المعارف جهدها فى تشجيع الطلاب على دخول صفوف المعلمين ، وترسل البعثات إلى الخارج فى كل عام ، ليعود فريق من أعضائها وعددهم (١٥١) إلى هيئة التعليم .

وهذا بيان بعدد أعضاء البعثات الكويتية خارج الكويت :

نوع الدراسة	مصر	انكلترة	العراق	لبنان	أمريكا	المجموع
دراسات جامعية	٣٣	٢٠	—	٩	٢	٦٤
معاهد المعلمين	٢	١	٢	—	—	٥
المدارس الثانوية	١٢	١٠	٨	—	١	٣١
المدارس الابتدائية	٥٠	١	—	—	—	٥١
المجموع	٩٧	٣٢	١٠	٩	٣	١٥١

وتُعنى الإدارة بتعليم أبناء القرى وبناتها ، وفى القرى الواقعة فى أطراف الكويت وفى جزيرة فيلكة ١٣ مدرسة ، أربع منها للبنات وتسع للبنين ، وكذلك أنشئت فى هذا العام مدرسة للبنين والبنات فى بومبى (بالهند) لتعليم أولاد الجالية العربية فيها .

ومن الأمور الحيوية بالكويت العناية بصحة تلاميذ المدارس ، وتسهيل معالجتهم ، لذلك خُصص لهم عدد من الأطباء والممرضات للبنين والبنات ، يشرفون على الحالة الصحية ، ويعالجون أمراض العيون والأسنان ، ويتخذون أسباب الوقاية اللازمة . وأهم خطوة اتخذتها الإدارة فى هذه السبيل هى إنشاء المطبخ المركزى ، الذى سوف يزود أبناء المدارس بكل ما يحتاجون إليه من المواد الأساسية لتغذيتهم .

كذلك أدخلت الألبسة العصرية فى المدارس ، وأصبح الطلبة يرتدونها ، ويوزع عليهم فى كل عام كسوة للشتاء وأخرى للصيف .

وفيما يلى نقدم نماذج من الإحصاء تصور مدى النهضة التعليمية بالكويت :

إحصائية عامة تبين ازدياد عدد المدارس والطلاب والطالبات والمعلمين والمعلمات فى الكويت بين عامى ١٩٣٦ و ١٩٥٣ م

السنة الدراسية	مدارس البنين			مدارس البنات		التلاميذ			المعلمون		
	ثانوية	ابتدائية	مهنية	ابتدائية	ثانوية	البنون	البنات	المجموع	المعلمون	المعلمات	المجموع
٣٦ / ٣٧	—	٤	—	—	—	٦٠٠	—	٦٠٠	٢٦	—	٢٦
٣٧ / ٣٨	١	٤	—	١	—	٦٢٠	١٤٠	٧٦٠	٣٠	٥	٣٥
٣٨ / ٣٩	١	٨	—	٢	—	١٢٢٠	٣٠٠	١٥٢٠	٥٢	١١	٦٣
٣٩ / ٤٠	١	٨	—	٢	—	١٥٠٠	٣٣٠	١٨٣٠	٥٢	١١	٦٣
٤٠ / ٤١	١	٩	—	٣	—	١٦١٢	٤٠٠	٢٠١٢	٦٤	٢٠	٨٤
٤١ / ٤٢	١	٩	—	٣	—	١٧٠٠	٤٦٠	٢١٦٠	٦٧	٢٢	٨٩
٤٢ / ٤٣	١	١٠	—	٣	—	٢٠٠٠	٥٢٠	٢٥٢٠	٧٧	٢٤	١٠١
٤٣ / ٤٤	١	١٠	—	٣	—	٢٣٠٠	٥٩٠	٢٨٩٠	٨٤	٢٧	١١١
٤٤ / ٤٥	١	١١	—	٣	—	٢٤٢٠	٦٧٠	٣٠٩٠	٨٩	٣٠	١١٩
٤٥ / ٤٦	١	١٢	—	٤	—	٢٨١٥	٨٢٠	٣٦٣٥	١٠٨	٣٤	١٤٢
٤٦ / ٤٧	١	١٢	١	٤	—	٣٠٢٧	٩٣٥	٣٩٦٢	١٢٦	٣٧	١٦٣
٤٧ / ٤٨	١	١٢	٢	٤	—	٣١٠٠	٩٨٠	٤٠٨٠	١٣٠	٤١	١٧١
٤٨ / ٤٩	١	١٣	٢	٥	—	٣٤٥٠	١٢١٥	٤٦٦٥	١٥٠	٤٨	١٩٨
٤٩ / ٥٠	١	١٥	٢	٥	—	٣٩٠٦	١٣٣٤	٥٣٤٠	١٧٠	٥٢	٢٢٢
٥٠ / ٥١	١	١٦	٣	٦	—	٤٥٢٠	١٧٧٢	٦٢٩٢	٢١٢	٨٢	٢٩٤
٥١ / ٥٢	١	١٩	٣	١٠	١	٥٥٩٥	٢٤٤٧	٨٠٤٢	٢٨٧	١١١	٣٩٨
٥٢ / ٥٣	١	٢٠	٣	١٣	٢	٧١٨٨	٣٥٥٠	١٠٧٣٨	٣٩٤	١٧٠	٥٦٤

عدد طلاب مدارس البنين

فى مدينة الـكويت للعامين الدراسيين

٥٢/٥١ و ٥٣/٥٢ م

اسم المدرسة	عدد الطلاب العام ٥٢/٥١	عدد الطلاب ٥٣/٥٢	الزيادة هذا العام
المعهد الدينى	٢٧٣	٣٣٣	٠٦٠
المباركية	٢٤٢	٣٠٧	٠٦٥
القبلية	٢٣٨	٣٢٢	٠٨٤
الشرقية	٧٥٣	٧٦٧	٠١٤
الأحمدية	٢٣٧	٢٣٨	٠٠١
المثنى	٥٠١	٧٣٣	٢٣٢
المرقاب	٦١٤	٨٦٤	٢٥٠
الصباح	٥٦٩	٨٢٦	٢٥٧
النجاح	٣٥٠	٦٧٧	٣٢٧
روضة البنين	٣٣٤	٣٠٠	٠٠٠
عمر	٣٦٦	٤٦٤	٠٩٨
قتيبة	٢٧٦	٣٠٠	١٢٤
خالد	٢٩٢	٢٧٠	٠٠٠
المجموع	٤٩٤٥	٦٣٠١	١٣٥٦

عدد طالبات مدارس البنات

فى الكويت للعامين الدراسيين

٥١/٥٢ و ٩٥٢/٩٥٣

اسم المدرسة	عدد الطالبات عام ٥١/٥٢	عدد الطالبات عام ٥٢/٥٣	الزيادة هذا العام
القبلية	٥٣٦	٦٧٩	١٤٣
الشرقية	٣٩٢	٣٧٢	—
المرقاب	٢٩٥	٥٠٨	٢١٣
الوسطى	٢٦٨	٣٥٤	٨٦
الصالحية	١١٠	١٧٠	٦٠
الميدان	٢٧٢	٢٣١	—
الزهراء	٢٢٦	٣٣٠	١٠٤
خديجة	—	٣٧٠	٣٧٠
عائشة	٢٥٠	٣٤١	٩١
الفحيحيل	٧٢	٧٨	٦
الفنطاس	٤١	٤٤	٣
حولى	—	٤٣	٤٣
الدمنة (السالمية)	—	٣٠	٣٠
المجمـــوع	٢٤٦٢	٣٥٥٠	١٠٨٨

عدد طلاب مدارس البنين فى قرى الكويت خلال العامين الدراسيين ٥١/٥٢ و ٥٢/٥٣ م

اسم المدرسة	عدد الطلاب عام ٥١/٥٢	عدد الطلاب عام ٥٢/٥٣	الزيادة هذا العام
حولى	٠٣٤	٠٤٥	٠١١
الدمنة	٠٧٥	٠٩١	٠١٦
الفنطاس	٠٤٢	٠٤٨	٠٠٦
أبو حليفة	٠٥٠	٠٤٢	٠٠٠
الفحيحيل	١٣٦	١٧٠	٠٣٤
الشعيبة	٠٥٩	٠٨٢	٠٢٣
فيلكا	١١٦	١١٠	٠٠٠
الجهرة	٠٦٤	٠٧٢	٠٠٨
الفروانية	٠٠٠	٠٢٧	٠٢٧
المجموع	٥٧٦	٦٨٣	١١١



لعبة كرة القدم محبوبة فى الكويت ، منتشرة فى مدارسها . . وهؤلاء جمع من اللاعبين

عدد الطلاب والطالبات

بمدارس الكويت للعامين الدراسيين

٥٢/٥١ و ٥٣/٥٢

نوع المدرسة	عدد الطلاب والطالبات ١٩٥١ — ١٩٥٢	عدد الطلاب والطالبات ١٩٥٢ — ١٩٥٣	الزيادة هذا العام
المباركية الثانوية	٢٤٢	٣٠٧	٦٥
المعهد الديني	٢٧٣	٣٣٣	٦٠
الرياض والمدارس بالمدينة	٤٤٣٠	٥٦٦١	١٢٣١
مدارس البنات بالمدينة	٢٣٤٩	٣٣٥٥	١٠٠٦
مدارس البنين بالقرى	٥٨٤	٦٦٧	٨٣
مدارس البنات بالقرى	١١٣	١٩٥	٨٢
المجموع	٧٩٩١	١٠٥١٨	٢٥٢٧



فريق دائرة المعارف لكرة القدم بالكويت

المعهد الدينى بالكويت(١)

فرق المعهد

بالمعهد الآن ٣٣٣ طالبا ، وهم سبع فرق : الفرقة التجهيزية وعددها ١١٢ وبها ثلاثة فصول ، والفرقة الأولى وعددها ١٠١ وبها ثلاثة فصول ، والفرقة الثانية وعددها ٤٢ ، والثالثة وعددها ٣٣ ، والرابعة وعددها ٢٦ ، والخامسة وعددها ١٣ ، وبكل واحدة من هذه الفرق فصل واحد ، ثم الفرقة الأولى من شعبة إعداد الأئمة والخطباء وعددها ٦ .

فالفرق السبع مكونة من اثنى عشر فصلا ، وكل فرقة تنقسم عند دراسة الفقه إلى ثلاثة أقسام ، وهى : المالكية والشافعية والحنابلة .

شروط القبول بالمعهد

لا يقبل بالفرقة التجهيزية من المتقدمين الجدد إلا الطالب الذى ينجح فى المطالعة والإملاء والحساب ، بحيث يكون فى هذه المواد الثلاث فى مستوى الطالب المنقول من السنة الأولى إلى الثانية الابتدائية بالمدارس المدنية ، لكن إن كان الطالب كفيفاً يقبل بدون امتحان ، بشرط أن لا تنقص سنه عن ١١ سنة ، لكى يتسنى له تفهم دروس المعهد .

المواد التى تدرس بالمعهد

المواد التى تدرس بالمعهد ٢٥ مادة . يدرس الآن منها ٢٢ فقط وهى :

(١) القرآن حفظاً وتلاوة وأداء وتجويدا . (٢) السيرة النبوية وسيرة كبار الصحابة والتاريخ الإسلامى وتاريخ الكويت وبلاد العرب ونبذة من تاريخ الأمم . (٣) التوحيد والدفاع عن العقيدة الإسلامية . (٤) التهذيب . (٥) التفسير وغريب

---

(١) هذه نبذة عن المعهد الدينى بالكويت اعتمدنا فى بياناتها على فضيلة الشيخ على حسن البولاق .

القرآن . (٦) الحديث وشرحه ومصطلحه . (٧) الخطابة والدروس الدينية . (٨) الشعائر (بيان الأذكار والأدعية المتعلقة بالصلاة وآداب المساجد وتلاوة القرآن ، والبدع التى ينبغى التحرز منها ، وكل ما يهم المؤذن والإمام) . (٩) الفقه مع حكمة التشريع (يدرس لكل أهل مذهب فقه مذهبهم فقط) . (١٠) النحو والصرف . (١١) علوم البلاغة (البيان والمعانى والبديع) . (١٢) الأدب وتاريخه . (١٣) المحفوظات . (١٤) المطالعة . (١٥) المحادثة للفرقة التجهيزية ، والإنشاء لسائر الفرق . (١٦) الخط . (١٧) الإملاء . (١٨) المنطق . (١٩) الصحة . (٢٠) الجغرافيا . (٢١) الحساب . (٢٢) اللغة الإنجليزية .

ومن المنتظر أن يدرس بالسنوات الآتية ثلاث مواد وهى :

(١) العروض والقوافى . (٢) آداب البحث والمناظرة . (٣) التربية وعلم النفس .

مستوى الطلبة

« ا » الطلبة المنقولون من الفرقة الثالثة إلى الرابعة مكثوا بالمعهد أربع سنوات ، ودرسوا فيها مايجعلهم فوق مستوى حملة الشهادة الابتدائية بالمدارس ، وذلك فى القرآن والعلوم الدينية والعربيـــة . وأما العلوم الأخرى كالحساب والصحة والجغرافيا واللغة الإنجليزية فهم فى هذه المواد فى مستوى طلبة السنة الثالثة الابتدائية بالمدارس .

« ب » والطلبة الذين نجحوا من الفرقة الخامسة قد درسوا ما يجعلهم فى مستوى الشهادة الابتدائية بالمدارس فى العلوم المدنية كالحساب والصحة والجغرافيا واللغة الإنجليزية ، وأما سائر العلوم من القرآن والعلوم الدينية والعربية والمنطق فهم فيه فوق مستوى السنة الثالثة الثانوية بالمدارس المدنية .

« ج » ومن المنتظر تقسيم الناجحين من السنة الخامسة إلى ثلاث شعب :

الأولى : شعبة إعداد البحوث ، ومقدارها سنتان ، وتتكون من المبصرين المتفوقين ، والمتخرج فيها يكون فى قوة حامل الثانوية « التوجيهية » أو ثانوية الأزهر .

الثانية : شعبة إعداد المعلمين ، ومقدارها سنتان ، وتتكون من باقى المبصرين . والمتخرج فيها يكون أهلا للتدريس بمدارس الكويت الابتدائية ، غير أنه يحسن البداءة

بالتدريس فى الروضة ، ثم التدرج حتى أواخر الصفوف الابتدائية ، والمتخرج فى هذه الشعبة ينبغى أن يعامَل فى الكويت عند التحاقه بالخدمة معاملة حامل التوجيهية .

الثالثة : شعبة إعداد الأئمة والخطباء ، ومقدارها سنتان ، وتتكون من المكفوفين وكذا من المبصرين الذين يرغبون فيها بدلا من الشعبتين السابقتين ، ويصلح خريجوها للإمامة والخطابة والتدريس بمدارس الكويت ، وينبغى أن ينالوا من إدارة الأوقاف راتباً كالراتب الذى يناله حامل التوجيهية فى إدارة المعارف .

(ملحوظة) : المتخرج فى شعبة إعداد البعوث يبعث إلى كليات الأزهر الثلاث ، ومن لم يرغب منهم فى ذلك يعامل عند توظيفه بالكويت معاملة حامل التوجيهية . وهو لا ينقص عن حامل التوجيهية إلا فى علوم الكيمياء والطبيعة والحياة والرسم ، وقد عوض هذا النقص وزاد عليه بالتوسع فى القرآن الكريم وعلوم الدين واللغة العربية .

بعثة الأزهر الشريف

إلى المعهد الدينى بالكويت سنة ١٩٥٣

أصحاب الفضيلة المشايخ : على حسن البولاقى ورياض هلال وعلى عبدالمنعم عبد الحميد وعبد الحفيظ حبيب ومحمد السيد فقره ومجلى على محمد سلامة والسعيد الشربينى الشرباصى وعبد الغنى أحمد سليمان وعبد العال أحمد عبد العال ومختار عمر سليم وأحمد السعيد بدور وعبد العظيم عبد السلام .

وهناك ثلاثة علماء استعارتهم دائرة المعارف من الأزهر الشريف لمدارسها ، وهم أصحاب الفضيلة المشايخ : زكى إبراهيم سويلم ومحمد يوسف إبراهيم ومؤلف الكتاب .

وكذلك يوجد بالمعهد الدينى طائفة من القراء الذين يشتغلون بتحفيظ القرآن الكريم وتدريس التجويد والقراءات وهم المشايخ : أحمد محمود الداغوش وعبدالرءوف على عوض وأحمد عثمان أحمد عثمان ومحمود محمد الطارق ومحمد البحيرى ومحمد محمود ربيع وعبد الفتاح محمد المنوفى الصباغ والسيد صلاح عبد الله الشربينى .

أسماء المدرسين المصريين المندوبين بالكويت

سنة ١٩٥٢ — ١٩٥٣ م الدراسية

العدد	الاسم	المؤهلات العلمية	مدرسته الحالية أو عمله
١	عبد المجيد مصطفى	المعلمين العليا	ناظر المباركية
٢	أحمد أبو بكر إبراهيم	دار العلوم	مفتش اللغة العربية
٣	مصطفى أمين محمد	المعلمين العليا	مفتش الرياضيات
٤	يوسف عليوة أبو الخير	المعهد العالى	مفتش الاجتماعيات
٥	حسن عبد الفتاح	دار العلوم ١٩٣٩	المباركية
٦	أحمد محمد عنبر	دار العلوم ١٩٣٧	المباركية
٧	عبد العظيم بدوى	دار العلوم ١٩٣٩	المباركية
٨	أحمد أحمد اللباد	كلية اللغة ١٩٤٥	ناظر الصباح
٩	عبد الله الدشلوطى	دار العلوم ١٩٤٠	المباركية
١٠	محمد أحمد فتيح	إجازة التدريس ١٩٤٦	المرقاب
١١	عبد المجيد أبو غربية	دار العلوم ١٩٤٠	مدرسة بومبى
١٢	نصر عبد الرحيم سلامه	كفاءة التعليم الأولى ١٩٥١	النجاح
١٣	محمد زكى الخطيب	« « « «	الشرقية
١٤	لبيب سالم	ليسانس جغرافيا ١٩٣٧	المباركية
١٥	سعد زغلول محمد عطية	بكالوريوس رياضة ١٩٤٥	المباركية
١٦	مصطفى صافى محمد	معهد الزيتون الابتدائى	الصباح
١٧	عبد الرحمن أبو العلا محمد	بكالوريوس علوم ١٩٥٠	المباركية
١٨	محمد أمين عبد الرحمن	بكالوريوس زراعة ١٩٤٥	المباركية
١٩	محمد بهجت حسن البلبيسى	بكالوريوس تجارة ١٩٣٩	المباركية
٢٠	عبد الحميد الحبشى	المعهد العالى جغرافيا ١٩٤٥	ناظر المرقاب
٢١	عبد العزيز محمد حسن هنداوى	المعهد العالى تاريخ ١٩٤٨	المباركية

مدرسته الحالية أو عمله	المؤهلات العلمية	الاسم	العدد
الصباح	ليسانس جغرافيا ١٩٥٠	محمود محمد إبراهيم	٢٢
المباركية	المعهد العالى تاريخ ١٩٥٠	صديق عثمان محمد	٢٣
المرقاب	المعلمين الابتدائية ١٩٥٠	مصطفى شعيره	٢٤
النجاح	المعلمين الابتدائية ١٩٥٠	طلعت حسن الخامى	٢٥
المباركية	ليسانس تاريخ ١٩٥٠	حسين عبد الحميد عبد الرحمن	٢٦
المباركية	ليسانس تاريخ ١٩٥٠	محمد قاسم عبد العزيز	٢٧
المرقاب	فنون وصناعات ١٩٣٩	رياض السعيد محمد الجندى	٢٨
الصباح	دبلوم الدراسات الصناعية	منصور أحمد سالم	٢٩
المثنى	فنون وصناعات ١٩٣٠	عبد العزيز عفيفى	٣٠
الأحمدية	فنون تطبيقية ١٩٣٦	أبو المعاطى إبراهيم الحصرى	٣١
الصباح	دبلوم الدراسات التكميلية	محمد عزت أحمد سليمان	٣٢
المباركية	بكالوريوس زراعة ١٩٤٤	محمد فؤاد محمد متولى	٣٣
الشرقية	بكالوريوس زراعة ١٩٤٦	بهجت أحمد رفعت	٣٤
المرقاب	بكالوريوس زراعة ١٩٤٥	عمر حسن الروبى	٣٥
المرقاب	بكالوريوس زراعة ١٩٤٥	فوزى محمد الدسوقى	٣٦
النجاح	بكالوريوس زراعة ١٩٤٥	حسن إكرام شكرى	٣٧
الشرقية	فنون تطبيقية ١٩٤٠	عبد الفتاح حامد موسى	٣٨
المرقاب	معلمين ابتدائية الزيتون	محمد حسن كامل الجندى	٣٩
عائشة — بنات	ليسانس لغة إنجليزية ١٩٤٣	وهيبة عبد الرحمن خلف	٤٠
المرقاب — بنات	دبلوم الفنون الطرزية	سعاد محمد الشبينى	٤١
عائشة — بنات	فنون طرزية راقية ١٩٤١	سعدية محمد رشدى	٤٢
القبلية — بنات	فنون طرزية عالية ١٩٤٧	معتزه محمد الغمراوى	٤٣
المرقاب — بنات	الفنون الطرزية ١٩٥٠	ثريا حامد محمد الغزنوانى	٤٤
القبلية — بنات	دبلوم الفنون الطرزية	رسمية صالح حسن	٤٥
الشرقية — بنات	فنون طرزية عليا ١٩٤٦	فاطمة حسن محمد	٤٦

العدد	الاسم	المؤهلات العلمية	مدرسته الحالية أو عمله
٤٧	إصلاح يوسف محمد	فنون طرزية راقية ١٩٤٢	الشرقية — بنات
٤٨	زينب حنفى محمود	فنون طرزية ١٩٤٦	القبلية — بنات
٤٩	ناهد أحمد أمين إبراهيم	فنون طرزية ١٩٥٢	الوسطى — بنات
٥٠	نعمات محمد عفيفى	دبلوم إضافى ١٩٣٥	المدرسة العربية بالهند
٥١	سعاد جاب الله	كفاءة التعليم الأولى	المرقاب — بنات
٥٢	فاطمة رمضان	دبلوم إضافى ١٩٣٧	الزهراء — بنات
٥٣	سعاد الجبرتى	معهد التربية الابتدائى ٤٢	عائشة — بنات
٥٤	فاطمة محمد حسن	المعهد العالى فلسفة ١٩٥٠	القبلية — بنات
٥٥	فاطمة رمضان صبحى	المعهد العالى تاريخ ١٩٥٠	القبلية — بنات
٥٦	خديجة حافظ أمين	ليسانس تاريخ ١٩٤٩	القبلية — بنات
٥٧	أحمد عبد الكريم مرعى	دار العلوم ١٩٥٠	الصباح
٥٨	فوزية عبدالعزيز محمدعثمان	فنون طرزية ١٩٤٨	الزهراء — بنات
٥٩	منيرة حمدى	دبلوم السنية ١٩٣٢	مفتشة مدارس البنات
٦٠	فاطمة أمين	دبلوم إضافى ١٩٤٦	عائشة — بنات
٦١	محمد عبد الغنى الطحاوى	كفاءة أولى ١٩٣٥	النجاح
٦٢	محمد على أبو زيد	دار العلوم	الصباح
٦٣	محمد يوسف خلف الله	معلمين ابتدائى ١٩٤٨	الصباح
٦٤	عادل مهران	ليسانس فلسفة	المباركية
٦٥	محمد عبد الحليم النحاس	بكالوريوس تجارة	المباركية
٦٦	محمد السيد رجب	دار العلوم	الصباح

ويلاحظ أن هذا العدد سيزيد فى كل عام عشرات وعشرات ، بسبب الاطراد فى زيادة التلاميذ وعدد المدارس . ولم يراعَ ترتيب ما فى ذكر هذه الأسماء ، بل ذُكرت حسبما وردت فى قوائم دائرة المعارف .

تقرير وفد الكويت[1]

هذه هى الحلقة الاجتماعية الثالثة التى تعقدها الدول العربية ، وكانت الأولى بالقاهرة ، والثانية فى لبنان . ويقوم بإعداد هذه الدراسات اللجنة الاجتماعية بجامعة الدول العربية ، بالتعاون مع هيئة الأمم المتحدة .

حضر هذه الحلقة مندوبون من دول الجامعة العربية السبع وليبيا أعضاء أصليين ، والكويت وبعض الدول الإسلامية مراقبين ، ورأسها وزير الاقتصاد السورى ، وكان نائب الرئيس الأستاذ محمد حسن العشماوى رئيس وفد الجامعة ، وقام بإدارة الحلقة مدير عربى من قبل هيئة الأمم لأول مرة ، هو الدكتور سليمان حزيّن مدير عام الثقافة بوزارة المعارف المصرية ، وإلى جانب هؤلاء هناك عدد كبير من الخبراء والفنيين الغربيين والعرب .

موضوع بحث هذه الحلقة هو (التكافل الاجتماعى) ووسائل تحقيقه فى المجتمعات العربية ، وقد كان العمل يجرى خلال انعقاد الحلقة على نظام دراسة المشكلات منفردة فى لجان وندوات واجتماعات عامة . ولهذا الغرض شكلت سبع لجان لدراسة النقاط السبع التى تكون جوانب الموضوع ، وندوتان لموضوعين هامين يتعلقان بصلب موضوع التكافل ، ثم تمت الصورة بالمحاضرات والمناقشات العامة والمؤتمرات النهائية ، وقد استعانت اللجان بالخبراء والفنيين ، وما أعدوه من البحوث والمقالات التى وزعت على المؤتمرين بادئ ذى بدء .

وقد اشترك وفد الكويت فى ست من اللجان السبع ، وهو أقصى ما يمكن أن يشترك به ويتسع له وقته ، كما حضر جميع المحاضرات العامة والمؤتمرات النهائية .

---

(١) بعثت الكويت فى العام الماضى وفداً برياسة الأستاذ عبد العزيز حسين مدير المعارف وعضوية الأستاذ درويش المقدادى والأستاذ يعقوب الحمد : للاشتراك فى حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية التى انعقدت فى دمشق من ٨ إلى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٢ ، وهذا هو التقرير الذى قدم به الوفد توصيات الحلقة إلى المسئولين فى الكويت .

ويسر الوفد أن يشيد بالروح الطيبة التى استقبل بها من إدارة الحلقة ، ومن الهيئات العربية جميعها وبالأخص من رجال الجامعة العربية . وقد أبدى الجميع أملهم فى أن تكون للكويت صلة دائمة بأخواتها البلاد العربية ، وأن تضرب بسهم وافر فى كل ما من شأنه توثيق الروابط بينها ، وضمان نهضتها السريعة .

وقد لمسنا بوضوح ما يمكن أن تجنيه الكويت من اشتراكها فى المحافل العربية والدولية ، من التعرف على أحوال شقيقاتها ، ومن تقديم نفسها لها كما هى فى نهضتها الحديثة ، ومن تنسيق تعاونها معها ومن الاستفادة من خبرتها ، ومن دراسة مشكلاتها الخاصة فى ضوء مشكلات البلاد العربية المشابهة . لكل هذا ولغيره من الأسباب فإن الوفد يرى وجوب مسارعة الكويت بالاشتراك فى كل مؤتمر أو حلقة دراسية من هذا القبيل ، محققة بذلك ما يجب أن تهدف إليه من احتلال المكانة اللائقة بها فى صف شقيقاتها من الدول العربية وفى المحافل الدولية معاً .

وقد انتهت هذه الحلقة الدراسية بإصدار توصيات تكاد تكون إجماعية موجهة إلى الدول العربية جميعاً ، روعى فيها أن تكون عامة بحيث تدخل فى نطاقها جميع أقطار الوطن العربى الكبير ، وعملية بحيث لا يتعذر تحقيقها فى كل مجتمع عربى على حدة .

وبما أن البيئات العربية على اتحادها فى المبادئ والأصول والغايات واشتراكها فى كثير من الخصائص ، تختلف فى بعض ألوان الحياة الاقتصادية والطبيعية ، فقد رأينا أن نقوم بتلخيص واختصار تلك التوصيات لتقريبها من طبيعة احتياجات الكويت فى الوقت الحاضر . ونحن نقدمها — مع هذا — للمسئولين ، راجين أن يقوم كل حسب اختصاصه ومقدرته ، بالاستفادة منها أبعد استفادة ممكنة . على أننا نفضل أن تؤسس بالكويت دائرة للشؤون الاجتماعية أو مكتب يتولى العناية بها ، ويكون من واجباته دراسة التكافل أو التضامن الاجتماعى ، والعمل على تنفيذ ما يمكن من توصيات الحلقة الاجتماعية .

وهذه التوصيات خلاصة قيمة لدراسات دقيقة وضعت بعد تمحيص وتجريب . والكويت فى وضعها الحاضر وبما لديها من وسائل مادية لا تكاد تتوافر لغيرها ،

أقدر البلاد العربية على وضع هذه التوصيات موضع التنفيذ ، وعلى الإفادة منها وجنى ثمرتها فى أسرع وأقرب فرصة . هذا وستقوم الجامعة العربية بطبع جميع البحوث التى قدمت للمؤتمر ، وستكون فى متناول المهتمين بموضوع التكافل الاجتماعى عما قريب وهذه البحوث بلا أدنى شك ، ثروة علمية قيمة ، ننصح بأن يهتم بها المسئولون بالكويت ، فهى توضح التوصيات المرفقة ، وتنير السبيل عند التطبيق .

إننا نأمل من حكومتنا الرشيدة أن تهتم بنتائج هذه الدراسات الاجتماعية ، وأن تشرع ، وهى العاملة المجدة فى رِفاه الشعب وسعادته ، بتنفيذ هذه التوصيات ، لتضرب مثلا يحتذى للبلاد العربية فى مجال الإصلاح الاجتماعى .



الكويت مع العالم العربى ... سمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح ، وعن يمينه كبير علماء الجزائر الشيخ البشير الإبراهيمى ، وعن يساره الأستاذ الكبير عبد العزيز على من رجال الشبان المسلمين بمصر ، وحولهم بعض أبناء العروبة والإسلام

مع الأستاذ عبد العزيز حسين [1]

«أوفدت مجلة اليقظة ثلاثة من محرريها التلاميذ هم : عبد الحميد الصايغ ، وطارق البراك ، ومحمد سمير الدشلوطى ؛ إلى الأستاذ عبد العزيز حسين مدير المعارف ، وقد وجهوا إليه أربعة أسئلة ، أجاب حضرته عن كل سؤال إجابة واضحة طمأنت المندوبين على مستقبل النهضة التعليمية فى الكويت ، وهاهى ذى الأسئلة وأجوبتها» :

تعليم البنت

١ — لا زال تعليم البنات فى الكويت يسير متعثراً ، ونحن نرجو أن يكون لدى المعارف مشروعات فى المستقبل للنهوض بهذا النوع من التعليم .. فهل لحضرة المدير أن يحدثنا عما تنويه المعارف إزاء ذلك التعليم ؟ .



الأستاذ عبد العزيز حسين مدير المعارف

المعارف جادة فى تعليم البنات

ج — لم يعد تعليم البنت بالكويت يسير متعثراً لحسن الحظ ، بعد أن وحدت مرحلتا التعليم الابتدائى للبنين والبنات ، وفتحت فصول ثانوية فى مدرستى القبلية والشرقية للبنات ، وبعد أن أصبح هناك وعى محمود عند الآباء لتعليم أبنائهم وبناتهم على السواء . ولقد زاد عدد التلميذات هذا العام أكثر من ألف تلميذة عما كان عليه فى العام الماضى ، مما يدل دلالة واضحة على اقتناع الآباء بتعليم بناتهم ، وعلى استعداد المدارس لاستيعاب أى عدد من طالبات العلم مهما كبر . والمعارف بعد هذا جادة فى تدعيم تعليم البنات بكل الوسائل التى

---

(١) هذا لون من الأحاديث التى تلقى ضوءاً على النهضة فى الكويت ، وقد نشر فى مجلة اليقظة ، مجلة المدرسة المباركية ، عدد ديسمبر سنة ١٩٥٢ م .

تضمن نجاحه ، مدركةً أهمية المرأة فى الأسرة والمجتمع، وأثرها العميق فى إعداد ناشئة البلاد ، ومبلغ ما يمكن أن تُسهم به فى مجال تقدم الوطن ورفاهته .

قسم المعلمين

٢ — فى المدرسة المباركية قسم للمعلمين ، ولا يخفى عليكم أن (الكويت) فى حاجة إلى كثير من أبنائها للنهوض بالتعليم والمساهمة فى ثقافة الشعب . . .

فهل لحضرة المدير أن يشرح لنا ما خفى علينا من خطة المعارف إزاء قسم المعلمين ، حتى نطمئن على مستقبلنا ومستقبل وطننا ؟ ؟ .

ج — لعل مشكلة تخريج العدد الكافى من المعلمين الكويتيين الأكفاء من أكثر المشكلات التى تواجهها معارف الكويت تعقيداً . فالنمو السريع فى عدد المدارس وعدد التلاميذ لا يقابله نمو ملموس فى عدد الكويتيين الذين ينتسبون إلى مهنة التعليم . ورغم شرف هذه المهنة السامية وخطرها وأهميتها لمستقبل البلاد ورفعة شأنها، فإن الإقبال عليها من أبناء الكويت ليس معادلاً لهذه الأهمية . وقد أنشىء قسم المعلمين بالمدرسة المباركية لكى يتلافى بعض هذا النقص . وخطة المعارف أن يتقوى هذا القسم بالعناصر الصالحة من الطلبة المؤمنين برسالة المدرس وأهمية التعليم فى بناء صرح الوطن وإرساء أركانه . وإذا كان هذا القسم صغيراً بعدد طلابه الآن فإننا نرجو أن ينمو مع الأيام ، ويجتذب إليه المتحمسين للعمل المنتج فى حقل التعليم .

التعليم التجارى

٣ — لايخفى على حضرتكم أننا أمة تجارية بطبعها ، ويهم أبناءها أن يحصلوا على ثقافة تجارية راقية تتمشى مع روح العصر الحديث . ترى ماهى خطة المعارف إزاء هذا النوع من التعليم ؟ .

اهتمام المعارف بالتجارة المتوسطة

ج — يدرك القائمون على شئون المعارف أهمية الدراسات التجارية لأمة تجارية بطبعها . وهذه الدراسات على نوعين : دراسة تجارية متوسطة تهتم بالنواحى العملية ، وتعادل فى نهايتها مرحلة إنهاء الدراسة الثانوية ، ودراسة تجارية جامعية تهتم بالمبادىء

والنظريات ، والتخصص فى فرع تجارى أو آخر . والنوع الأول هو الذى فى طوق معارف الكويت إعداد وسائله للراغبين فيه من الذين أتموا دراسة السنة الثانية الثانوية ، ويتمثل فى القسم التجارى الموجود حالياً فى المباركية . ويبدو أن بعض الطلبة وأولياء أمورهم قد أخطأوا فهم الغرض الحقيقى من إنشاء هذه الفصول التجارية ، وهو تخريج طبقة من الشبان الذين نالوا ثقافة تجارية عملية بعد سنتين أو ثلاث من دخولهم هذا القسم ، تساعدهم على العمل فى المؤسسات التجارية ، أو تعطيهم المبادىء التى تساعدهم على استهلال حياة تجارية ناجحة . أما الدراسة التجارية الجامعية فإن هناك عديداً من أعضاء بعثات الكويت يقومون بها فى الجامعات العربية والأجنبية .

وهناك نوع ثالث من الدراسات التجارية ، هو الذى بدأت تأخذ به معارف الكويت هذا العام ، وذلك بتهيئة المجال من الراغبين فى الاستزادة من العلوم التجارية ، بوساطة مناهج مسائية تعد فى المدرسة المباركية . ويقتصر الانتساب إلى هذه الدراسات على الذين أخذوا بقسط من الثقافة ، وغادروا المدرسة منذ مدة أقلها ثلاث سنوات . ونتوقع لهذا المشروع إقبالاً وافراً ونجاحاً كبيراً .

مدرسة الشويخ

٤ — يقال إن العمل فى مدرسة (الشويخ) ، يسير (ببطء) غير محمود ، فهل يستطيع مدير المعارف أن يدخل إلى نفوس أبنائه التلاميذ شيئاً من الطمأنينة ، فيبرهن لنا على أن المدرسة ستكون معدة للطلاب فى أوائل العام المقبل ؟ .

احتمال إعداد مدرسة الشويخ فى العام المقبل

ج — لقد كان العمل يسير حقاً فى مدرسة الشويخ ببطء ترجع أسبابه إلى عدم توافر الكثير من المواد الضرورية لاستمرار الإنشاء بالسرعة المطلوبة . وسبب آخر فى عدم إنجاز البناء هو التوسع فى طلب الكمال من حيث ضروريات المبانى وكمالياتها . إلا أن الخطى الآن أخذت تسرع نحو الغاية بعد تلافى نقص المواد وحذف ما لا ضرورة ماسة إليه . وليس معنى هذا أننى واثق كل الثقة من أن المدرسة ستكون معدة للطلاب فى أوائل العام الدراسى المقبل ، إلا أن احتمال ذلك أصبح أكبر والأمل فى ذلك أقرب .

أول مدير معارف كويتي [1]

فضيلة الشيخ يوسف بن عيسى القناعي

فضيلة الشيخ يوسف بن عيسى القناعي شخصية كويتية معروفة، لها في ماضي الكويت وحاضرها أثر كبير، ونحن نقدم للقراء في هذا العدد ناحية من نواحي هذه الشخصية، فقد كان فضيلة الشيخ أول مدير للمعارف في الكويت، وقد عرض الأستاذ عبد المحسن محمد الرشيد باسم (الرائد) الأسئلة التالية على فضيلته فأجاب عليها مشكوراً .

١ — في أي عام ولدتم ؟ .

— ولدت في سنة ١٢٩٦ هجرية .

٢ — سبق لكم أن درستم في الخارج، فأين كان ذلك ومتى ؟ .

— ذهبت لطلب العلم في الأحساء سنة ١٣٢٢ هـ . ومكثت هناك تسعة أشهر، سافرت بعدها إلى الحجاز، ومكثت في مكة المكرمة سنتين، ثم عدت إلى الكويت في ١٣٢٥ هـ . ففتحت مدرسة في منطقة (المناخ) لتعليم الكتابة والحساب ومبادىء علوم الدين وتجويد القرآن، وفي سنة ١٣٢٩ سعيت لتأسيس المدرسة المباركية .

٣ — هل تذكرون أشهر مدارس الكويت القديمة، وما هي ؟ .

— لم تكن توجد قبل إنشاء المدرسة المباركية مدارس بالمعنى الصحيح، بل كانت هناك (كتاتيب) في الواحد معلم واحد، وهؤلاء المعلمون لا يحسنون الكتابة الصحيحة ولا قراءة القرآن قراءة سليمة . وكانت تلك الكتاتيب تسمى بأسماء أصحابها .

٤ — درّستم في المدرسة المباركية بعد انقطاعكم عن التدريس مدة، فما هي أسباب انقطاعكم عن التدريس، وماهي الدوافع إلى العودة إليه ؟ .

— لم أعد إلى التدريس في المباركية بعد تركي لها، وإنما أخذت — ولا أزال — أدرّس الفقه والنحو لمن يأتيني في منزلي .

٥ — هل صحيح ما يقال من أنه كان في الكويت نوع من التعليم المختلط بين الإناث والذكور ؟ ومتى كان ذلك وكيف ؟ .

---

(١) عن مجلة الرائد الكويتية الغراء .

— ليس ذلك بصحيح ، وإنما قد يذهب الطفل الصغير مع أخته التي هي أكبر منه إلى مدرسة البنات التي تدرس فيها .

٦ — هل تذكرون لنا بعض الطرائف التي صادفتكم أثناء حياتكم التعليمية ؟ .

— هذه كثيرة ، وتحتاج إلى تذكر وجمع ، وسأفعل ذلك .

٧ — كيف تكونت فكرة التعليم على الطريقة الحديثة ؟ ومن الذي أشار بها ؟ وكيف بدأت ؟ .

— كتبت مقالا أطالب فيه ألا تكون الدراسة دينية صرفة كما كانت من قبل بل تكون جامعة ، وعرضته على (التجار) فجرى الاكتتاب لذلك على ورقة المقال ، كما بينت ذلك في كتابي (صفحات من تاريخ الكويت) .

٨ — كيف تم تأليف أول مجلس للمعارف في الكويت ، وهل جرى ذلك بالانتخاب أم بالتعيين ، وكم عدد أعضاء ذلك المجلس ، وهل تسمح بتعداد أسمائهم ؟ .

— تم تأليف أول مجلس للمعارف في الكويت بطريقة التعيين ، والذي كان يعين الأعضاء زيد الخالد ، لأنه كان أول من تبرع بمبلغ كبير لإنشاء المدرسة المباركية . وكان أعضاء ذلك المجلس غير صالحين ، لأنهم كانوا بعيدين كل البعد عن التعليم ، وإنما كانوا يتبرعون له بأموالهم ، وهم : حمد الخالد وبشر بن رومي وسالم أبو غماز وناصر البدر وإبراهيم المضف وشملان وهلال .

وكان أعضاء ذلك المجلس يريدون أن تكون الدراسة دينية بحتة ، وما كانوا يجتمعون ويقررون شيئاً ، بل كان عبء العمل كله ملقى على عاتقي .

وفي سنة ١٣٥٦ أخذ جماعة منهم محمد الأحمد الغانم يدعون التجار إلى اجتماع لمساعدة التعليم الذي نضبت موارده ، بسبب تخلي الذين كانوا يمدونه عن مساعدتهم له ، فاجتمع كثيرون في المدرسة المباركية ، وقرروا أن تستحصل ضريبة على الأموال المستوردة مقدارها ٢/١ ٪ لمساعدة التعليم ، واختير أعضاء جدد لمجلس المعارف . وطلب إليّ مخاطبة الشيخ أحمد الجابر (الحاكم حينذاك) في أمر فرض ضريبة التعليم تلك فوافق عليها . ثم أرسلنا إلى الحاج أمين الحسيني نطلب إرسال معلمين إلى الكويت للتدريس فيها ، فجاءت أول بعثة من المعلمين الفلسطينيين .

٩ — هل كان اختيار أعضاء ذلك المجلس بطريقة التصويت ؟ وهل تسمح بذكر أسمائهم ؟ .

— إن طريقة الانتخاب بالتصويت ابتدأت فى الكويت بانتخاب مجلس الأمة التشريعى ، وقبل ذلك لم تكن معروفة .

١٠ — كيف عينتم مديراً للمعارف ؟ وفى أى عام ؟ وكم سنة مكثتم فى هذا المنصب ؟.

— فى سنة ١٣٤٠ هـ كنت مديراً للمباركية ، وفى سنة ١٣٥٦ كنت مديراً للمدرسة الأحمدية ومشرفا على التعليم فى المدرسة المباركية ، فاختارنى مجلس المعارف مديراً عاما للتعليم ، فاشترطت فى قبولى لهذا المنصب ألا يتدخل المجلس فى المسائل العلمية البحتة، وإنما يقصر عمله على النظر فى الأمور المالية والإنشائية، فوافق جميع الأعضاء .

١١ — كم عدد المدارس التى كان يشرف عليها أول مجلس للمعارف، وما هى ؟ .

— المدارس الموجودة فى سنة ١٣٥٦ هـ هى المدرسة المباركية ، والمدرسة الأحمدية ، ومدرسة واحدة للبنات .

١٢ — هل كان التعليم فى ذلك الحين بالمجان أم بالأجر ؟ .

— كان التعليم مجانياً فى المدارس السابقة .

١٣ — كيف أرسلت أول بعثة من الطلبة الكويتيين للدراسة فى الخارج ؟ .

— فى سنة ١٣٤٣ سافرت إلى بغداد فأعجبنى نظام التعليم فى مدرسة الكاظمية ، فاتفقت مع القائمين عليها على إيفاد بعض الطلبة الكويتيين للدراسة فيها ، ولما عدت إلى الكويت اخترت خالد العدسانى وسليمان العنزى وعلى عمر العلى ومحمود الدوسرى وآخر اسمه عبد الكريم صحبتهم إلى بغداد ، وقد تكفلت بنفقات سفرهم وإيابهم .

١٤ — مارأيكم فى تعليم المرأة، وإلى أى مدى، ومارأيكم فى السفور والحجاب ؟.

— التعليم فضيلة ، فلا يجب حرمان المرأة منه ، أو إيقافها عند حد معين . وأنا لا أرى التعليم المختلط ولا السفور المخالف للشرع ، وإنما أرى السفور المحتشم .

١٥ — كم كتابا ألفتم ، وما هى أسماؤها ؟ .

— الكتب المطبوعة التى ألفتها هى : ١ — المذكرة الفقهية ٢ — صحائف من تاريخ الكويت ٣ — الملتقطات الجزء الأول والثانى — ولا أزال فى إعداد الثالث .

وهناك رسالتان : الأولى فى حكم (النوط) ، والثانية فى التحكيم بين الشيخين (بين الشيخ عبدالله الخلف والدكتور الشيخ تقى الدين الهلالى) ، وهما غير مطبوعتين .

الندوات الثقافيـــة[1]

الندوات العلمية والثقافية مظهر من مظاهر النشاط الفكرى، وعنوان على اليقظة الأدبية، ولذلك نورد فيما يلى ما دار فى خمس ندوات كويتية، عُقدت الثلاث الأول منها فى المدرسة المباركية الثانوية، وعقدت الرابعة فى لندن حيث تقيم بعثة الكويت العلمية والخامسة فى القاهرة، وقد أردت أن أجمع بين ما دار فى الكويت وما دار فى لندن، وما دار فى القاهرة، لنأخذ فكرة عامة عن الروح الثقافية عند النشء الجديد:

النَّدوة الأولى:

العلم، أهو نعمة أم نقمة؟

فى تمام الساعة الخامسة من مساء يوم الاثنين ٢٣ من نوفمبر سنة ١٩٥٢ م اجتمع أعضاء جمعية (علم الأحياء) بالمدرسة المباركية بحجرة الكشافة، وحضر لفيف من أساتذة المدرسة، وبعض أساتذة المعهد الدينى بالكويت، برئاسة حضرة ناظر المدرسة المباركية، وقد اشترك فى هذه الندوة حضرات الأساتذة:

عبد المجيد مصطفى، أحمد الشرباصى، حسن عبد الفتاح، جميل الصالح، عبد الله الدشلوطى، زهير الكرمى.

وبدئت الندوة بكلمة من الطالب بدر سلطان أمين سر جمعية (علم الأحياء) شكر فيها حضرات المشتركين، لاشتراكهم فى هذه الندوة التى أتاحت للطلبة فرصة التعرف على الآراء المختلفة فى موضوع هام له مساس بالحياة العامة؛ ثم قدم الندوة على أنها نقاش حر فى عالم الفكر لموضوع: (العلم، أهو نعمة أم نقمة؟!).

---

(١) تقول اللغة: ندا القوم ندواً اجتمعوا كانتدوا وتنادوا، وندى القوم حضروا الندى، والندوة الجماعة، ودار الندوة بمكة معروفة، وناداه جالسه، وناداه بسره أظهره، والندى كغنى والنادى والندوة والمنتدى مجلس القوم نهارا، أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه، وتنادوا نادى بعضهم بعضا وتجالسوا فى النادى (انظر القاموس المحيط).

وبدأ الحديث بكلمة من الأستاذ عبد المجيد مصطفى قال فيها :

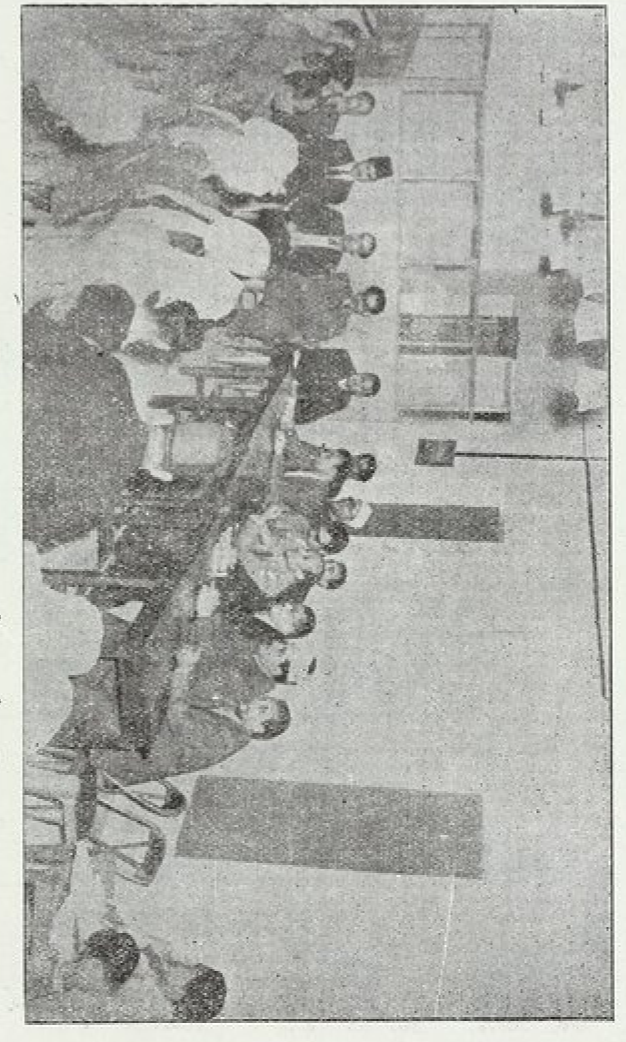
الواقع أنها فرصة ثمينة أن يتاح لنا فى هذه الندوة — وهى كما قال الطالب النجيب فى تقديمه للموضوع — لون جديد من النشاط ، فرصة التعرف على آراء بعضنا البعض فى مواضيع عامة ، وهى تعد ضرورية وهامة ، إذ أنها ستعطى الطالب فرصة النقاش مع أساتذته وإخوانه . وكل ما أرجوه هو أن أجد فى الندوات القادمة عدداً أكبر من الطلاب مشتركا فى النقاش . كما لا يفوتنى أن أرحب بالزملاء الكرام من غير أسرة المباركية الذين شرفوا هذا الحفل .

موضوع الندوة هو العلم ، وإلى أى حد يعتبر العلم نعمة أو نقمة على الإنسانية ، والعلم صفة يجب أن يتحلى بها الجميع لأن القوانين الدينية مجدت العلم والعلماء . وقد قال فى بيان ذلك الله عز وجل فى كتابه العزيز وهو أصدق القائلين : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

ولو نظرنا إلى الوراء مئات السنين حيث الإنسان القديم البدائى يعيش عيشة قاسية ملؤها الآلام ، ثم نظرنا إلى حالته الحاضرة التى أوصلته إليها الحضارة والعلم ، لعرفنا ما للعلم من أثر وفضل أرجو أن يجليه النقاش ويوضحه .

على أن للعلم مآسيه ، فيجب أن نبحث ماسببه العلم للانسانية من ضرر ونكبات . فإلى أى حد تسبب العلم فى حرب الميكروبات ، وإلى أى حد تسبب فى القنبلة الذرية التى ألقيت على هيروشيما وناجازاكى ، وإلى أى حد يعتبر العلم مسئولا عن هذه الرفاهية التى سببت ضعف الصحة فى عامة الناس .

الأستاذ الشرباصى : يجب أن نعرف أولا أن العلم كلمة مطاطة واسعة ، يفهمها كلٌّ حسب مقدرته وفكرته وهواه ، أو هى كلمة ذات معان متعددة ، إذ لها مدلول ينصرف عند الماديين إلى المعرفة ، وهو الفضيلة عند بعض الفلاسفة ، فقد قال الفيلسوف اليونانى أفلاطون على لسان أستاذه سقراط : إن الفضيلة هى المعرفة ، ومدلول كلمة العلم عند رجال الدين ينصرف إلى العلوم الدينية والفقه ، أما مدلولها عند العلماء المعاصرين فواسع ، إذ يشمل كل ما وصل إليه المرء أو اكتشفه من مساتير الطبيعة وخفايا الكون والنسب بين الأشياء ... إلخ .



فريق من الأساتذة وأمامهم فريق من الطلاب المشتركين في الندوة

ولهذا أحب أن نتفق أولا على مدلول ثابت معين للعلم الذى نبحث أثره الآن فى الإنسانية ، ثم نتساءل بعد ذلك : أنعمة هو أم نقمة ؟ فإنى أحب التحديد دائما .

الأستاذ الدشلوطى : فى رأيى أن العلم هو كل ما يتعلم ، فاللغة علم والتاريخ علم والعلوم علم .

الأستاذ الشرباصى : لقد قال الأستاذ الناظر إن القنبلة التى وقعت على هيروشيما نقمة ، والبعض يظن أنه يمكن اعتبارها نعمة ، لأن الحرب بدونها كان ينتظر أن تستمر ، وتأخذ ضحايا لا يعلم عددها إلا الله ، ولهذا فإن تلك القنبلة وقد أهلكت ألوفاً عدة قد جعلت الأفعوان اليابانى ينكمش ، وبذلك وقفت المعركة ، ولولاها لظلت الحرب تحصد الألوف كل يوم ، والملايين كل حين ، فما يعتبر نقمة من جهة أو عدة جهات ، قد يعتبره الآخرون نعمة من جهة أو عدة جهات ، فكيف نأخذ سبيلنا بين هذه العوامل المتضاربة ؟ وهل يمكن أن يوجد خير محض ، أو شر محض مثلا ؟.

الأستاذ حسن : إن العلم هو سبب الحروب وسبب الخراب أو الدمار الذى يصاحبها. إنه سبب الحرب قبل أن ينهيها ، وهو الذى ساق الناس للحرب أو الدمار ، ولذا فأنا أقول إن العلم شر كله ، وليس فيه خير أبدا ... فالحرب فى أولها قامت على أسس من العلم ، فكيف نقول إن القنبلة الذرية أوقفت الحرب ؟ .

الأستاذ الناظر : أنا أوافق الأستاذ حسن عبد الفتاح وأخالف الأستاذ الشرباصى فى هذه النقطة ؛ فالقنبلة لم تنه الحرب ، وإنما تركت العالم الآن فى هدنة ، الكل يعد العدة فيها ويتسلح لاستئناف الحرب .

الأستاذ الدشلوطى : إذاً فرأى الأستاذ الناظر هو أن العلم نقمة !؟.

الأستاذ الناظر : لا ، ففيه جانب نعمة وفيه جانب نقمة .

الأستاذ الدشلوطى : لا فائدة من النعمة بجانب النقمة .

الأستاذ الشرباصى : أرى أننا سائرون فى سبيل ستظلم العلم ، وهذا مالا يجوز لدى الحكماء ، فإذا كان بعض المنحرفين أو المفسدين قد استغلوا العلم استغلالا سيئاً ، فليس معنى ذلك أنه نقمة فى ذاته ، ومن الخير أن نفرق بين العلم وبين مستغلى العلم ...

الأستاذ حسن : العنوان هو هل العلم نقمة أو نعمة ، وأنا أرى أنه بسبب العلم قامت

حروب مدمرة ، وبسبب العلم ضاعت حريات واستُعبدت شعوب ، وعلى ذلك فلا يمكن أن يكون العلم إلا نقمة وأية نقمة ! .

الأستاذ زهير : الحقيقة أنه لا يمكن أن يذهب المرء فى تعريف العلم إلى ما قاله الأستاذ الدشلوطى من أنه كل شيء يتعلم ، فالعلم بمفهومه الحديث إنما هو مجموعة الحقائق والقوانين العلمية والأسلوب الخاص أو الطريقة التى تمكن الإنسان بواسطتها من الوصول إلى هذه الحقائق والقوانين ، وإلى اكتشاف خبايا الطبيعة وخفاياها .

فالعلم بهذا المفهوم لا يمكن إلا أن يكون خيرا كله ، إذ ليس فى الحقائق والقوانين العلمية ولا فى أسلوب الكشف عنها ما يكون شرا . ولكن الإنسان وقد كشف عن هذه الحقائق والمخترعات قد يستعملها فيما يعود بالخير عليه وعلى بنى البشر ، وقد يستعملها فيما يعود بالضرر على غيره من بنى البشر ، وهنا ثار الهجوم الشديد على العلم ، والعلم برىء من هذا ، فالواجب أن يكون الهجوم على الإنسان نفسه الذى اختار أن يستعمل مخترعات العلم وحقائقه فى ضرر إخوانه فى الإنسانية .

الأستاذ الدشلوطى : هل تريد أن تقول إن العلم كله نعمة ؟ .

الأستاذ زهير : نعم ، العلم بمفهومه الذى ذكرت نعمة كله ولا نقمة فيه .

الأستاذ الدشلوطى : لقد سير الساسة العلماء ودفعوهم إلى إنتاج القنبلة الذرية بعلمهم ، وعلى هذا فالعلم والعلماء نقمة لا نعمة .

الأستاذ الشرباصي : أنا أخالف الأستاذ زهير الكرمى بعض الشيء فى هذه الناحية ، فالواقع أنه لا يمكن أن نحكم على العلم ولا على أى شيء بأنه نعمة كله من كل وجه ، فالخيرات نفسها لا يمكن أن نعتبرها نعمة كلها من كل وجه وعلى أية صورة ، وأود أن أروى قصة فى هذا المجال توضح لنا أن بعض العبادات — وهى مشروعة للخير ومن الخير — قد يساء استغلالها فتصبح غير نعمة ولو على مستغلها :

دخل رجل المسجد ، فإذا بأحد المصلين يصلى ويطيل الصلاة ، ويتعبد مستغرقا ، فلما فرغ قال له الداخل: « ما أجمل صلاتك » . فأجابه الرجل : وفوق ذلك فإنى صائم أيضاً !. فانصرف الرجل عنه قائلا : « لا خير فى صلاتك ولا صومك ، أفسدت عبادك بقولك » قاصدا إلى أن إشهار ذلك والمن به مما يفسدها .

الأستاذ زهير : إن العلم كشف عن إمكان تفجير الذرة وإنتاج قوى هائلة من وراء هذا التفجير ، ولكن الساسة وهم الذين وجهوا استخدام هذه القوى فى مناحى الشر وصنع القنبلة ، وكان يمكن وما زال ممكنا كما يود العلماء استخدام هذه القوى فى فائدة الإنسانية لا ضررها . ثم إننا نتكلم عن القنبلة الذرية بشىء كثير من الحماسة والمرارة والألم ، ولو كنا نحن الذين اخترعناها لما كان كلامنا بهذا الشكل ، بل لاعتبرناها كما اعتبروها هم نوعا من الدفاع عن النفس ، فالجميع كان فى سباق لإنتاجها ، ومن أراد الدفاع عن نفسه تسلح بسلاح خصمه .

ثم إننا نتكلم عن العلم والحرب كما لو كان العلم مسؤولا عن الحرب وهو الذى سببها ، لا طمع الناس وغرائزهم المختلفة فقد قتل هابيل قابيل قبل أن يعلم شيئاً من العلم .

الأستاذ الشرباصى : ولهذا احتار فى دفنه ، فاحتاج إلى غراب يعلمه طريقة الدفن فاستفاد منه ، يقول القرآن الكريم : « فطوعت له نفسُه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ، فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه ، قال: ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى ؟ فأصبح من النادمين » .

الأستاذ الناظر : قبل أن نهاجم العلم بهذه الشدة فلنتذكر ما سببه العلم من نعم : وأرجو أن نسمع تعدادا لشىء من نعم العلم الكثيرة .

الأستاذ جميل : لقد كان للعلم الفضل الأول على الإنسانية فهو المسبب لما نرفل فيه من أثواب الهناء والرفاهية . ثم إن كنتم تعتبرون الحرب نقمة فقد يعتبرها الكثيرون من العلماء نعمة ، لأن سكان العالم يزدادون بكثرة هائلة ، ولولا الحروب والأوبئة التى تحصد عدداً هائلا منهم لما وجد الناس ما يأكلون ، ولأكل بعضهم بعضاً أو ماتوا من المجاعات .

الأستاذ الدشلوطى : لو نُظمت موارد الثروة واستغلت الأرض استغلالا منظما لما حدثت المجاعات : « وفى السماء رزقكم وما توعدون » .

الأستاذ الناظر : أنا أوافق الأستاذ الدشلوطى على أن استغلال الأرض استغلالا منظما يسبب الكثير من الوفرة فى إنتاج الغذاء لسكان العالم . ولكن لا يجب أن ننسى أن الإنتاج الوفير هذا لن يكون إلا بالعلم وبوساطته . فالعلم مع ضرره له فوائد كثيرة كما قال الأستاذ جميل .

الأستاذ جميل : قصدت أن أقول إن سكان العالم يزدادون ، وسيأتى يوم إذا استمرت زيادتهم على منوالها دون نقصان فلن تكفى الأرض لإطعامهم غذاء ولو زرع كل شبر فيها بما فى ذلك الصحارى والجبال .

الأستاذ حسن : أنا أعارض الأستاذ جميل فالموت الطبيعى ينقص من زيادتهم ، ثم إننى أعتبر العلم نقمة وهذا الحديث عن تحسين الصحة نتيجة جهود العلم مبالغ فيه . فالواقع أن الإنسان أيام كان يسكن الكهوف وهو اليوم فى القرية حيث يعمل وحيث المرأة تعمل مع زوجها أقول إن الإنسان أحسن صحة وأنعم بالاً من سكان المدن الذين يتمتعون بما يسمونه خدمة العلم ومكتشفات العلم من طب وأدوية . إن صحتهم أحسن وحالتهم أفضل ونسبة الوفيات فيهم أقل . لا دخل للعلم فى طول العمر .

الأستاذ زهير : وأنا بدورى أعارض الأستاذ حسن عبد الفتاح كل المعارضة فقوله إن صحة الإنسان فى القرون الأولى وصحة سكان القرى اليوم أحسن من صحة أهل المدن لا يستند إلى أساس . فالموت يحصد الكثيرين من سكان العالم الذين لا يجدون مساعدة من مكتشفات العلم الطبية والدوائية . ولا أعتقد أننا بحاجة للتدليل على أن الطب والدواء وهما من العلم قد ساعدا الإنسان على عيش أصح وعمر أطول .

الأستاذ حسن : وما رأيك فى المحرومين الذين نسمع عنهم فى القرى ، والذين عاشوا دون اللجوء إلى طبيب ؟ .

الأستاذ زهير : هذه حالات فردية توجد فى كل مكان وفى كل زمان ، وإنما نحن نتكلم عن القاعدة العامة ، وقد يكون فى السن التى عاشوا إليها مبالغة أساسها عدم قيد تاريخ الميلاد وميل الكبار فى السن إلى المبالغة فى أعمارهم .

الأستاذ الناظر : يجب ألا ننسى ياأستاذ حسن أن الغالبية من الأطفال فى القرية حيث تنعدم وسائل الأخذ بالطب الحديث تموت فى طفولتها ، وأن من يعيش منهم هو الصالح القوى بالفطرة تطبيقاً للقاعدة المعروفة « تنازع البقاء وبقاء الأصلح » .

الأستاذ حسن : إن الأطفال فى القرية يربون بين التراب ووسط الميكروبات فتكسبهم هذه مناعة ضد الأمراض : « وبعض السم ترياق لبعض » فلا يحتاجون إلى طبيب ولا إلى دواء .

الأستاذ الشرباصى : وهذه الجملة (وبعض السم ترياق لبعض) علم أيضاً يا أستاذ حسن ، فأنت تنتفع بثمار العلم فى استشهادك على ما تريد ، فكيف تسرف فى مهاجمة العلم على هذه الصورة ، ولولاه لما استطعت تعليل المقاومة عند هؤلاء ؟ ! .

الأستاذ حسن : لندع الحرب جانباً ولنطرق باباً آخر . الإنسان فى هذه الحياة لا يهمه فى حياته إلا أمران لا ثالث لهما : (العمر والرزق) . وهما بيد الله ، ولا دخل للعلم فيهما ، وأزيد على ذلك فأقول إن العلم سبب كثيراً من البطالة ؛ فالآلة الميكانيكية الواحدة تعمل عمل مائة رجل ، فقد تعطل بسببها تسعة وتسعون رجلا ، وليس من الصالح أن يضيع الكثيرون ليحل محلهم فرد واحد وهو الذى يدير الآلة .

الأستاذ الناظر : أنا لا أوافق الأستاذ حسن ، فصنع الشىء يستلزم أدوات وعمالاً كثيرين يتخصص كل منهم فى شىء على حدة ، فطبع كتاب مثلا يستلزم عمالاً للورق وعمالاً لصنع آلات الطباعة وآخرين للطباعة عليها ، وغير هذا كثير .

الأستاذ زهير : إن العلم فى الصناعة جذب كثيراً من العمال الذين كانوا يعملون فى الأرض ليشتغلوا فى الصناعة ؛ ولذلك ترى أن المدن مزدحمة بالسكان للعيش والعمل وطلب الرزق ؛ فالآلة إذاً لم تسبب البطالة بل فتحت مجالاً واسعاً من أبواب العمل وكسب العيش .

الطالب سليمان النصف : أنا لا أوافق الأستاذ حسن على ماذهب إليه من أن سكان القرية أقوى من سكان المدن وأحسن من الناحية الصحية ، لأننا نجد المستشفيات مملوءة بالقرويين ، ونراهم صفر الوجوه ضعاف الأجسام ، فالمدن أنظف من القرى والصحة تستلزم النظافة .

الطالب يوسف الشلفان : وأنا أعارض الأستاذ حسن فى أن الآلة سبب البطالة ، لأن الآلة بعد أن جذبت عمالا من الأرض زادت فى إنتاج الأرض باستخدام الآلات الزراعية الحديثة .

الأستاذ الشرباصى : إننى أود أن يفهم الطلاب السامعون أننا نتناول جوانب

الرأى المختلفة لإفهامهم هذا اللون من النقاش ، ولتوضيح جوانب التفكير المختلفة يمينا وشمالا ، وليس فينا من يغمط العلم حقه ، وأعتقد أن الأستاذ حسن بمهاجمته للعلم يريد أن يجلى معنا ناحية من نواحى المجادلة والمحاورة ، وبذلك نعوِّد طلابنا كيف يستقصون وجهات النظر فى كل موضوع يطرقونه .

الطالب عبد الله إسماعيل : قال الأستاذ حسن إن الإنسان يهمه فى هذه الحياة أمران وهما : العمر والرزق ، ونفى أثر العلم فيهما ، والحقيقة أن للعلم كل الأثر فى كل منهما ويكفى أن ننظر حوالينا لنجد أثر العلم فى كل شىء من صحتنا إلى أرزاقنا ومعاشنا .

الأستاذ الشرباصى : أريد أن أسأل سؤالا لننقل الحديث إلى مجال آخر : إن الحكومات الآن تبالغ فى إحاطة بحوث الذرة بالكتمان والإسرار ، فهل للعالِم الحر أن يُخضع علمه للعوامل القومية والدوافع النفعية فيكتمه ويخفيه ، أم أن العلم حقيقة يجب أن تقال وتذاع ، فإذا كتمها أهلوها كانوا آثمين ؟ . وبتعبير آخر : هل الذين يبحثون فى الذرة ويكتمون نتائج بحثهم خاطئون ؟ .

الأستاذ زهير : أعتقد أن هذه حوائل تضعها السياسة فى طريق العلماء ، وواجب العالم أن لا يكتم شيئاً ، لأن العلم كالماء والهواء .

الأستاذ الناظر : إننى أشعر أن البحث قد شرِّح تشريحاً دقيقاً ، وأوافق الأستاذ الشرباصى على أنه مهما قيل فللعلم فوائده التى لا تنكر ، وأرجو أن يكون الطلاب قد سعدوا من هذا البحث والنقاش ، وآمل أن أرى عدداً أكبر من الطلاب يناقش فى الندوات القادمة ، كما أكرر شكرى للحاضرين أساتذة وطلاباً ، والله ولى التوفيق .

« وقد انفض الاجتماع فى تمام الساعة السادسة والنصف وقام بتسجيل محضر هذه الندوة الطالبان : عبد الحميد الصايغ وطارق البراك » .

الندوة الثانية :

الشرق شرق والغرب غرب

دعت جمعية الإحياء فى المدرسة المباركية بإشراف الأستاذ زهير الكرمى إلى ندوة علمية ثقافية عقدتها بدار المدرسة فى مساء الأحد ١١ ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ هـ الموافق ٢٨ من ديسمبر سنة ١٩٥٢ م ؛ وكانت هذه الندوة هى الندوة الثانية ، وقد اشترك فيها حضرات الأساتذة :

عبد المجيد مصطفى ، أحمد الشرباصى ، زهير الكرمى ، عبد الله الدشلوطى ، لبيب سالم ، حسن عبد الفتاح ، أحمد عنبر ، صديق عثمان ، محمد أمين .

وشهد الندوة جمع كبير من طلاب المباركية ، واشترك بعضهم فى الحوار والسؤال ، وحضر فى آخر الندوة الأستاذ عبد العزيز حسين مدير معارف الكويت ، فكانت فرصة طيبة ليرى صورة من نشاط المدرسة الثقافى .

وقد استهل الأستاذ عبد المجيد مصطفى ، ناظر المدرسة ، الندوة بأن دعا الطلاب للاشتراك فى المناقشة ثم قال : إن نجاح الندوة السابقة وقد كان عنوانها هل العلم نعمة أم نقمة على الإنسانية ؟ قد شجعنا على أن نعمل لنلتقى فى هذه الندوة فى مناقشة أخرى لموضوع : الشرق شرق والغرب غرب .

وهذه العبارة : « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » من قول الشاعر الإنجليزى رديارد كبلنج ؛ فالشرق بعاداته وتقاليده ومثله وحضاراته يختلف تمام الاختلاف عن الغرب بعاداته وتقاليده ومثله وحضاراته . فهل سيأتى اليوم الذى سيندمج فيه الشرق والغرب وتتوحد فيه حضارتهما وتقاليدهما ومثلهما ؟ أم هل هناك صعاب تحول دون ذلك ؟ هذا هو موضوع ندوتنا اليوم .

الأستاذ الشرباصى : أحب أن نحدد الموضوع أولا ، لأننا قد نتساءل : من أين يبدأ الشرق ؟ وأين ينتهى ؟ ومن أين يبدأ الغرب ؟ وأين ينتهى ؟ . وإذا كنا نسمى أمريكا وأوروبا بالغرب ، ونسمى بلاد العرب وما حولها بالشرق ، فهذا لا يرتضيه الجغرافيون ، لأن خطًّا عند الجغرافيين هو الذى يفصل بين الشرق والغرب على وضع آخر

معروف ، وهذا الفصل أيضا خطأ جغرافى ، لأن الخط الذى يفصل الشرق عن الغرب خط وهمى لايحدد الأماكن الواقعة على جانبيه أو عليه . كما أن اللغة لاتساعد على ذلك ، فمادة الشرق لغةً قد تؤدى فى الأصل معنى الشروق ، ولكنها قد تؤدى أيضاً معنى الغروب ، فإنه يقال : شرقت الشمس بمعنى أنها جنحت للمغيب ، كما ورد ذلك فى بعض النصوص اللغوية على ما أذكر .

وبلاد اليونان مثلا التى تقع فى بلاد الغرب عُرفا كانت على صلة وثيقة بالشرق وخاصة مصر ، وكثير من علمائها مثل طاليس وأرشميدس تعلموا فى مصر ، كما أن بعض رجال الغرب حكموا الشرق ، وكذلك حكم رجال الإسلام أقطاراً من الغرب ، فوصل هؤلاء بين الشرق والغرب منذ القديم ، والبشرية ذات المصدر الواحد تتلاق وتتلاءم ، فكيف نفصل بين الشرق والغرب ، والكرة الأرضية مستديرة ، والصلات قديمة ، والناس هم الناس وإن اختلف المكان ؟!..

الأستاذ الناظر : فى الواقع أنه قد يصعب علينا تحديد الشرق والغرب ولكن المصطلح عليه أن أوروبا وأمريكا واستراليا من الغرب . بينما آسيا وأفريقيامن الشرق.

الأستاذ لبيب : أذكر أننى قرأت مقالا يلقى على هذه النقطة شيئاً من التفسير . فمن المرجح أن القارات القديمة هى الموطن الأول للإنسان ، ومن الثابت أنه فى مكان ما فى جنوب غرب آسيا . . . وفى هذه الجهات (أشرقت) الحضارة ، ثم تقدمت وانتشرت إلى أوروبا وغيرها من القارات . هذا إلى أن الشمس أول (إشراق) لها رآه هذا الإنسان الذى حمل لواء الحضارة فى هذا الجزء القديم من العالم . . . فكأن العامل الفلكى ، وهو شروق الشمس ، وعامل الحضارة التى أشرقت فى هذه الجهات القديمة من العالم ، قد اجتمعا معاً ليفسرا سر هذه التسمية .

الأستاذ عنبر : إن من قال إن الشرق شرق والغرب غرب هو غربى استعمارى ، لا يريد أن يلتقى الشرق بالغرب ليظل الشرق فى ركوده ولا يسعى لمنافسة الغرب .

الأستاذ زهير : أعتقد أن أسس الحياة ومثلها العليا وأساليبها واتجاهات التفكير تختلف اختلافاً واضحاً بين الشرق والغرب ، وفى نفس الوقت أعتقد أن هذا الاختلاف لا يرجع بحال من الأحوال إلى اختلاف فى إنسانية الفرد فى الشرق والغرب ، ولا إلى اختلاف فى إمكانياته هنا وهناك ، ولكن الواضح أن هناك اختلافاً

ملحوظا بينهما ، ونحن نريد أن نجلو فى هذه الندوة سر هذا الاختلاف وهل هو اختلاف جوهرى أساسى أم اختلاف ظاهرى سطحى ؟. لقد لخص الفيلسوف الصينى الحديث (لين يوتانج) هذا الاختلاف تلخيصاً شديداً بعرضه للنقد فى قوله : إن فلسفة الشرق مركزة فى معدته ، بينما فلسفة الغربى مركزة فى عقله .

هل هذا هو الاختلاف أم ما هو ؟ مع العلم بأن الواقع أثبت أن إمكانيات الشرق والزنجى لا تختلف عن إمكانيات الغربى لو أتيح لها مجال الانطلاق .

الأستاذ الدشلوطى : ما معنى أن فلسفة الشرق فى معدته وفلسفة الغربى فى عقله ؟ .

الأستاذ الناظر : إن هذا القول مبالغ فيه جداً ، لأن الشرق فى جهاده وحضارته وفلسفته يناهض هذا القول ، فالشرق مهد الروحانيات والعواطف أما الغرب فهو مهد الماديات ، كما أن الشرق هو الذى أعطى الروحانية للغرب فهو الذى أعطاه المسيحية .

الأستاذ الشرباصى : إن الشرق مهبط الروحانيات وأصلها ، وهو مهبط الرسالات ومدرجها وناشرها ، وهو يهتم بالعقل وترويض النفس بالتهذيب وبالصيام وبالتأمل وغير ذلك ، مما يثبت لنا أن الشرق هو الذى يفكر بعقله ، وأما الغرب فقد سيرته المادة إلى التفكير فى معدته ، ولذا أرى أن يُعكس القول ، فهذا هو الصحيح . . . يجب أن يقال : إن الشرق يفكر بروحه ، والغرب يفكر ببطنه ! ! .

الأستاذ الدشلوطى : هل كان أبو العلاء مثلا يفكر بمعدته ؟ إن الشرق فكر بعقله قبل الغرب ، وأرى أن الفيلسوف الصينى لم يتعمق فى دراسة الشرق ، أو أنه لم يكن يقصد ذلك لأن العرب مثلا أول من فكر فى ساعة العميان وتمليمهم باللمس كما قال أبو العلاء المعرى :

كأن منجم الأقوام أعمى لديه الصحف يقرؤها بلمس

الأستاذ لبيب : أعتقد أنه من غير المعقول أن يهاجم هذا الفيلسوف الشرق الشرق ، أفليست الصين فى آسيا وآسيا من الشرق ؟ لابد أنه يرى من وراء ذلك شيئاً ، أعتقد أنه يفيدنا كثيراً إذا ما اهتدينا إليه ! ! .

الأستاذ الشرباصى : إن الهجوم من هذه الناحية معقول جداً ، لأن المرء قد يهاجم بلاده بغية إصلاحها ، وليس معنى ذلك أنه يكرهها أو يحقِّرها ، بل معناه أنه يغار عليها ، وينشد لها الكمال ، فهو يبرز مساوئها لتتجنبها .

الأستاذ عنبر : قد يكون فقر الشرق — وخاصة الصين — وسعى الناس للحصول على ما يسد رمقهم له أثر فيما قاله الفيلسوف الصينى . . . ولكننى أعارضه فى ظاهر هذا القول ، إذ المعروف أن وجبات الطعام عند الشرقيين ثلاث فقط بينما تجدها عند الغربيين خمس وجبات ، مما يدل على اهتمام الغربيين بمعداتهم أكثر من الشرقيين .

الأستاذ حسن : إن الاختراعات الحديثة التى يتعب فى اختراعها وصنعها الغربيون تصل إلى الشرقيين ليتنعموا بها جاهزة ، وأظن أن هذا هو ما دفع الفيلسوف لقوله ، كما أن المعروف أن أكل الغربيين الكثير راجع إلى جوهم ومناخهم . فمن المحتمل أنه قصد إلى أن الغرب الآن يفكر ويعمل والشرق يأكل فقط . . .

الأستاذ الشرباصى : إنى أخالف الأستاذ عنبر ، فالشرق أغنى من الغرب عشرات المرات منذ القدم ؛ ولكن السياسة الاحتلالية هى التى أوجدت مظاهر الفقر فى الشرق ، وركود الشرق هو الذى أدى إلى نهوض الغرب ، ولو كان الشرق حراً لاتضح غناه وثراؤه . وكنوزنا وخيراتنا لا تزال مدفونة ، والمكشوف منها أغلبه فى أيدى سوانا .

الأستاذ حسن : أنا أوافق الأستاذ عنبر فى القسم الثانى من كلامه ، فبالإضافة إلى أن الغربى يأكل خمس وجبات فى اليوم بينما الشرق ثلاث وجبات فإن كمية أكل الغربى فى الغذاء مثلا تساوى ما يأكله الشرق فى الغذاء .

الأستاذ زهير : ليست المسألة مسألة عدد وجبات ولا كمية الأكل ولكنها الفكرة الكامنة خلف ذلك . . .

الأستاذ الناظر : أنا أوافق الأستاذ زهير لأن الأكل ليس الفارق المهم ، وإنما الفوارق أسمى من ذلك وأعظم .

الأستاذ الشرباصى : فى الغرب المادى روحانية ، وفى الشرق الروحانى مادية ، ومادية الشرق برزت مثلا فى ازدهار العمران فى دمشق وبغداد والقاهرة ومكة وتونس والقيروان ؛ فالشرق لم يحو روحانيات وفلسفات فقط ، بل حوى ماديات كذلك ... وكم أخطأ أحد الأدباء عند ما طلب أن يترك الشرق فلسفاته وروحانيته ، وأن يولِّى وجهه شطر الغرب ، ليقدم إليه هذا الزاد الروحى ، ويأخذ من الغرب بدله دبابات وطيارات ... إلخ .

الأستاذ الدشلوطى : الذى قضى على مادية الشرق هو الاستعمار ، لأنهم بذلك ينجحون فى بيع مصنوعاتهم ، فكما أن فى الشرق روحانية ففيه مادية . .

الأستاذ زهير : أرى أننا نقسو على الفيلسوف الصينى مع أنه لم يقصد ما ذهبنا إليه ، فالمادية والروحية فى الإنسان أمران ضروريان يتفاعلان فى نفسه ويعتملان فى كيانه دوماً ، والفيلسوف الذى ذكرت لم يشر إلى الروحانية وإنما قصد المادية وحدها فى الإنسان بجملته التى أشرت إليها .

إننى أعتقد أن أسباب الاختلاف بين الشرق والغرب ترجع إلى عاملين أحدهما مادى والثانى غير مادى . أما العامل المادى فهو المناخ وأثر المناخ على النشاط الإنسانى والمزاج الإنسانى معروف ، وقد نشرت مجلة (تايم) منذ أمد غير بعيد بحثاً لطبيب أمريكى ملخصه أن النشاط الإنسانى الجسمانى والعقلى ينخفض نسبة لا بأس بها عند اشتداد الحرارة وأن نسبة الانخفاض قد تصل إلى ٢٥٪ فى قيظ الصيف ، والعامل الثانى راجع إلى انطلاقهم من أسر الخيال والعاطفة إلى نظام التفكير والأسلوب العلمى المنطق ، كما أنه يرجع إلى أنهم استخلصوا فلسفة حياة من دينهم قامت عليها أسس حضارتهم ، بينما لم يهتم فى الشرق الإسلامى بمثل هذا غير الأفغانى ومحمد عبده .

الأستاذ حسن : أعارض فى أن الحضارة الغربية مبنية على أساس من الديانة المسيحية ، فالإسلام والمسيحية متشابهان فلماذا لم يقم فى الإسلام ما قام فى الغرب .

الأستاذ الشرباصى : وأنا أعارض أيضاً .. فأين فى الغربيين اليوم من يعمل بفلسفة المسيحية حين تقول : من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ؟ . وهل إذا شاهدت ناطحات السحاب تمثل لك الفن المسيحى ؟ .. إن الغربيين اليوم فى حضارتهم أبعد الناس عن روح المسيحية ؛ بينما فلسفة الإسلام موجودة ، وقبل جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده كان يوجد ابن القيم وابن تيمية وابن رشد والغزالى . . وأنا قد أوافق على أن الغربى حين يفكر يفكر بالطريقة العلمية ، بينما الشرق يفكر بالطريقة العاطفية . وليس معنى هذا أنى أنتقد الشرق فى ذلك ، بل قد أؤيده ، فوجود الدافع الإيمانى أثناء البحث يضاعف النشاط ويقوى الهمة ويسهل الصعاب .

الأستاذ الناظر : هذا صحيح فالغربى ينزع إلى الناحية العلمية يمحص ويبحث بينما ينزع الشرق إلى الناحية العاطفية ، وقد يغالط تحزباً مع عاطفته فلا يصل إلى الحقيقة .

الأستاذ صدِّيق : إن الشرق والغرب متشابهان فى كل شىء تقريباً ، والشرق كان متقدماً فى الصناعات والحضارة وكان الغرب قبائل تعيش على أطراف تلك الحضارة ، وتأخر الشرق بينما تقدم الغرب لأنه استطاع أن يأخذ هذه الحضارة ويزيدها ، وكان للاستعمار أثر كبير فى طمس حضارة الشرق .

الأستاذ الناظر : وقبل الاستعمار ؟ .

الأستاذ صديق : كان هناك فترة انتقال وفترة ركود ، والدولة العثمانية هى سبب ذلك .

الأستاذ أمين : يرجع كل تأخرنا إلى استغلال الغرب لحضارتنا وعمله بها بينما نحن تركناها .

الأستاذ الدشلوطى : ولكن هل سيظل الشرق شرقاً والغرب غرباً ؟ .

الأستاذ لبيب : لا ياسيدى ، لن يظل الشرق شرقاً ، ولن يظل الغرب غرباً . . . وإنى لا أحب أن تختتم هذه الندوة الطريفة دون أن أشير إلى ما لمسته فى إحدى رحلاتى فى أوروبا عندما أتيحت لى فرصة حضور مؤتمر من مؤتمرات اليونسكو الذى كان يدوى فيه (الضمير العالمى) لتقريب وجهات النظر حتى لا يبقى الشرق شرقاً ولا الغرب غرباً . وقد اتخذ الأعضاء قراراً خيل إلى أن تنفيذه أقرب إلى الخيال . . . ولكن اتضح لى بعد ذلك بوقت قصير أن (الضمير العالمى) كان جاداً فيما نادى به . فقد اتفق المؤتمرون على إنشاء مراكز ثقافية إقليمية فى أنحاء مختلفة من العالم يديرها خبراء عالميون لتدريب نوع معين من المدرسين على لون خاص من التربية يشمل القدر الكافى من الثقافة التى يجب بثها فى المواطن بحيث يمكن الالتقاء بشعوب العالم جميعاً فى أسلوب واحد من التفكير لا هو شرق ولا هو غربى وإنما أسلوب يعد (المواطن العالمى الصالح) الذى يعمل لصالح العالم أجمع .

لم يكن هذا القرار الخطير سراباً لا يمكن تحقيقه ، وإنما تمخض عن حقيقة تروعكم نتيجتها ، فقد تأسس المركز الأول فى المكسيك سنة ١٩٥١ ، وتأسس المركز الثانى فى مصر فى صيف سنة ١٩٥٢ ، ولم ينته عام واحد حتى يكون رسل خلق (المواطن العالمى) فى الشرق الأوسط قد أخذوا يشقون طريقهم للالتقاء بزملائهم الآخرين فى (عالم جديد) لا يحده شرق ولا يحده غرب . فالمواطن العالمى سيعمل على محو هذه

الاتجاهات الوهمية التى رسمها الإنسان المغرض لا لشىء إلا ليفرق بين الإنسان وأخيه الإنسان . وإننا نرجو أن نحيا حتى نرى (العالم الكروى) الذى لا تحده حدود ، يعيش مواطنوه فى أمن وسعادة ورضاء ..

الأستاذ مدير المعارف : أؤيد قول الأستاذ لبيب ، وأحب أن أقول إن الفكرة ستطبق فى البلاد العربية ، وسينال منها كل عربى حظاً وافراً ، ويجب علينا أن نسوى بين الحكومات ونقويها حتى يكون لدينا مواطن عالمى ، لأنه ما دام هناك دول مستضعفة فمن الصعب الوصول إلى هذه النتيجة .

الأستاذ الدشلوطى : وماذا ينفع تعليم هؤلاء الأفراد مع وجود الأكثرية القديمة ؟... إن هذا لا يمكن .

الأستاذ الشرباصى : معنى هذا أنك تريد خلق عالم جديد سليم فاضل خلال يوم وليلة ، وذلك محال ، وإنما يجب علينا أن نبدأ ، وأن نبذل جهودنا ، وأن نستمر فى خطواتنا ، وبمواصلة الجهود ودوام الإخلاص يتضاعف القليل ، ونحقق ما نرجو .

الأستاذ الناظر : اعتقد أن ما سمعناه كافٍ لأن نرى أن الشرق والغربى كلاهما من بنى الإنسان ، فإنك إذا قرأت لغربى تتأثر به وهو كذلك ، وما دام الأمر كذلك فالشعور الإنسانى واحد ، وما رأيناه فى التاريخ من تفاعل الحضارات يؤيد ذلك كل التأييد .

الندوة الثالثة :

الفقر والجهل والمرض

فى الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٣ م عقدت جمعية علوم الأحياء فى المدرسة المباركية الندوة الثالثة ، وكانت بعنوان : « الشرق يعانى أمراضاً ثلاثة : الفقر والجهل والمرض . . . بأيها نبدأ فى العلاج ؟ » .

وقد اشترك فى الندوة الأساتذة : عبد المجيد مصطفى ، وأحمد الشرباصى ، وبهجت البلبيسى وحسين نجم وخيرى أبو الجبين وزكى سويلم وزهير الكرمى وصديق عثمان وعبد الله الدشلوطى ولبيب سالم ومحمد قاسم ولفيف من الطلبة . واستهل الناظر الندوة بقوله : هذه هى الندوة الثالثة تعقدها المدرسة ، بعد أن لمست نجاح ندوتيها

السابقتين ، فقد كانت الأولى كما تذكرون بعنوان : « العلم : أهو نعمة أم نقمة على الإنسانية » ؟ . وقد خلصنا منها إلى أن العلم فى حد ذاته لا يمكن إلا أن يكون خيراً ، ولكنه إذا تسلط عليه الإنسان بنزعاته وشهواته وسيره إلى الشر فقد تنتج عنه نقمة . وكانت الندوة الثانية عن « الشرق والغرب ، وما هى أسس الاختلاف بينهما ، إن كانت هناك اختلافات » ؟ وخلصنا منها إلى أن الإنسانية واحدة فى الشرق والغرب .

وهذه هى ندوتنا الثالثة : « الشرق مصاب بأمراض ثلاثة ، الجهل والفقر والمرض ، فبأيها نبدأ فى العلاج » ؟ وأود قبل أن نبدأ أن نرجو من أبنائنا الطلاب الاشتراك فى هذه الندوة والإدلاء بآرائهم فى النقاش الذى سيدور .

إن الشرق مصاب بالجهل وهو الظلام الكثيف الذى أوصلنا إلى هذه الحالة السيئة ، والفقر وكلكم يعرف ما معنى الفقر ، هذا العدو الذى يهبط بالإنسانية إلى الحضيض ، والمرض هذا الداء العضال الذى يفتك بأبناء الشرق ، فيضعف قوتهم ويجعل مستواهم أقل من الأصحاء ؛ نريد أن نعرف بأى هذه الأمراض نبدأ بالعلاج لنعيد إلى الشرق مجده السابق .

الأستاذ الشرباصى : أحب قبل البدء فى صميم الموضوع أن نمهد له ببعض الملاحظات . وأولها : أن هذه الأمراض الثلاثة حظوظ مقسومة بين مجتمعات البشر فى الشرق والغرب ؛ وإننا لنجد فى كل من الشرق والغرب مصابين بها ؛ ولكن نسبة الإصابة تتفاوت وتختلف ، فهى فى الشرق أكثر منها فى الغرب . وثانيها : أننا نود أن نعرف ما هو أحق هذه الأمراض بالعلاج أولا مع سرعته وتقديمه ، لا على معنى إهمال المرضين الآخرين ، بل على معنى توجيه عناية أكبر إلى أعظم هذه الأمراض وأخطرها . . وثالثها أن نتساءل : ألا يجوز أو يحسن أن نتعرف إلى السبب الجوهرى فى تفشى هذه الأمراض بصورة فاحشة فى الشرق ، لنوفَّق من ذلك إلى مفتاح العلاج؛ إذ لو عرفنا السبب لأمكننا أن نعرف طريقه وأسلوبه ، وربما قاومناه فى مكمنه ، فقضينا على العلة ومصدرها معاً ؟ ! . . .

الأستاذ الدشلوطى : إن المناقشة تتركز فى أى داء نبدأ بعلاجه ، لا أن نقارن بين شرق وغرب ، ولا نسبة الإصابة فى كل منهما .

الأستاذ الناظر : إنى أرى مايراه الأستاذ الشرباصى ، فمعرفة أصل الداء خير وسيلة للعلاج .

الأستاذ زكى : إن بلاد الشرق مصابة بهذه الأمراض ، ولكننا لا نستطيع التخلص منها دفعة واحدة ، ولو أمكن ذلك لتخلصنا منها جميعها دون إبطاء ، ولكن المفروض أننا لا نقوى إلا على علاج واحد منها نظراً لإمكانياتنا ، فأيها أجدر بذلك ؟ فلنبدأ بالأهم قبل المهم .

الأستاذ الشرباصى : الذى نفهمه أن الدولة لن تنصرف بكليتها إلى محاربة مرض واحد ، وتترك المرضين الآخرين كلية ، وإنما الموضوع موضوع أهمية وأكثرية عناية ، وكل من الأمراض الثلاثة خطير وخبيث بلا نزاع ، وكل منها نلاقى من جرائه النكال والأهوال ، فليكن بحثنا للموضوع على هذا الأساس .

الأستاذ الناظر : نفهم أنها موازنة ، أى أنه إذا كان لدى الدولة أموال فهل تقسم هذه الأموال بالتساوى بين هذه الأمراض ، أو أى واحد منهم يأخذ من العناية نصيباً أكثر من الآخر مع عدم إهمال الآخرين . المسألة مسألة تفاوت أهمية .

الأستاذ لبيب : إن هذه الأمراض الثلاثة شاملة عامة فى جميع أنحاء العالم ، وقد ثبت أن نصف سكان العالم مشلولون بواحد أو اثنين منها أو بها جميعاً ، وقد اتجهت الدول الكبرى التى تبحث عن وسيلة ما لإسعاد الإنسانية إلى ضرورة محاربة الجهل أولا ، فإن الثابت هو أن العلم لهؤلاء الناس المصابين بالأمراض الثلاثة علاج شاف ، وهو ما يجب أن يهتم به المسئولون كل الاهتمام ، لأنه بالعلم يمكننا القضاء على الجهل وبالعلم نمنع المرض ونتقى شره ، وبالعلم يفهم الإنسان واجباته فيؤديها فى تعاون تحقيق السلم والرخاء ، وبالعلم يفهم الإنسان حقوقه فيحرص عليها ، ويظهر فضل العلم قول العلامة (ليبنتز) وهو قول مشهور : « سلمنى قيادة التربية أغير لك وجه أوربا فى جيل واحد من الزمان » . وقياساً على هذا أقول أدخلوا الروح العلمية فى رؤوس الناشئين تصبح الخرافة علماً والفقر ثراء ، والمرض صحة وعافية .

الأستاذ الدشـلوطى : أنت ترى إذن أن الجهل هو الذى يجب أن نوليه العناية دون الآخرين .

الأستاذ لبيب : أنا لا أعنى ترك الداءين الآخرين وإهمالهما ، بل يجب الاهتمام بهما

بنسبة أقل من العناية بمقاومة الجهل ، فالجهل عندى هو أس البلاء ، ومصدر باق الأمراض ، فعلاج هذا يعطينا مفتاح علاج الباق كما قال الأستاذ الشرباصي . وقد اهتمت هيئة الأمم بذلك . فأنشأت هيئة اليونسكو فى سنة ١٩٤٧ لمحاربة الجهل ، وجعلت من ضمن برنامجها إنشاء مراكز تثقيفية تعليمية يحضرها معلمون من مختلف الأقطار ، ليتمرنوا على وسائل منظمة موحدة فى محاربة الجهل ، وقد أنشىء المركز الأول فى المكسيك والثانى فى هذا الصيف فى القاهرة . . . فى هذه المراكز الثقافية تقوم (التربية الأساسية) بإعطاء الإنسان المعاول التى يحطم بها الأغلال التى تقيده ، وتثير فيه حيوية ونشاطاً فيدرك حقائق بيئته ومشاكلها إدراكا يعاونه على الاستفادة من قوى المجتمع الكائنة حتى يتمكن من الالتئام مع بيئته والتطور معها . هنا تبذل التربية الأساسية جهوداً جبارة لقطع أوصال الجهل والفقر والمرض .

الأستاذ بهجت : أعتقد أن ما وصل إليه الغرب ومؤسساته التى يشير إليها الأستاذ لبيب ليس حدثاً جديداً ، كما أننى أعتقد اجتهاداً منى أن فى ترتيب نزول القرآن على الرسول صلوات الله عليه معنى خاصاً يفيدنا فى تفهم أمراض الشرق الثلاثة . فقد نزل القرآن هدى للناس ، وليرفع عنهم ما كانوا فيه يتخبطون من جهل وفقر ومرض . . .

ولو تدبرنا القرآن الكريم لوجدنا فيه علاجا لكل آفة ، ومن ترتيب نزوله نستطيع أن نقرر أى الأمراض أولى بالبدء بالعلاج ، لأن الله العليم الحكيم أدرى بعباده . فقد كانت أولى الآيات التى نزلت هى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » وفى هذا فى رأيى توجيه من الخالق لمحاربة الجهل كأول داء تجب محاربته .

ثم نزلت سورة المزمل وهى السورة الثانية من سور القرآن الكريم ، وفيها علاج الفقر والمرض فى أسبابهما ومظاهرهما وأعراضهما حيث يفرض القرآن الزكاة وغيرها لرفع مستوى الطبقات الفقيرة الكادحة إذ يقول : « علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرأوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً » .

الله سبحانه وتعالى يبين لنا أنه سيكون فى المجتمع مرضى وفقراء ، ومن على شا كلتهم ، ففرض لهؤلاء جميعاً نصيباً فى الزكاة التى فرضها ، إذ يقرر فى آية أخرى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .

وفرضية الزكاة إقرار بوجود مستحقيها ، والفقراء فى رأس قائمة المستحقين هم وإخوانهم الذين عناهم الله بقوله : « والذين فى أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » ومن كل ما تقدم نستنتج بسهولة أن نشر التعليم النافع والثقافة المجدية أولى بالبدء لمحاربة الآفة الأولى من آفات المجتمع البشرى وهى الجهل .

الأستاذ الناظر : أشكر الأستاذ بهجت لتذكيرنا بالقرآن الكريم .

الأستاذ لبيب : أؤيد شكرى للأستاذ بهجت الذى أرانا آيات بينات من كتاب الله الكريم تدل على أنه يحوى كل أسباب سعادة ورفاهية البشر .

الأستاذ الشرباصى : كنت أود التعجل ببعض الملاحظات على بعض ما ذكره الأستاذ بهجت من الناحية الإسلامية ، ولكنى أحب أن أسمع أولا رأى الأستاذ زهير ، إذ أراه صامتاً منذ البدء .

الأستاذ زهير : أنا لا أود التعرض فى هذا المجال للقرآن الكريم أو الاجتهاد فى تفسير ترتيب نزول آياته ، ولا أود كذلك أن نستمر فى البحث فى حلقة مفرغة فى أى الأمراض الثلاثة هو السبب للمرضين الآخرين ، وأخشى أن نندفع وراء العلم بحكم عملنا كمعلمين . إن الطبيب إذا ووجه بمريض يشكو من ثلاثة أمراض تهدد حياته بدأ بعلاج المرض الذى يؤثر على المريض أكثر ، وتكون نتيجته وخطره أشد على حياة المريض ، فالقياس الذى يجب اتباعه هو نتيجة المرض على المريض . وأنا على هذا الأساس لاأعتقد أن العلم وحده يستطيع منع الفقر والمرض ، ولا الغنى وحده يستطيع منع الجهل والمرض ، ولا مصحة وحدها تستطيع مقاومة الجهل والفقر ، وقد يستطيع العلم أكثر من المال وأكثر من الصحة أن يساعد فى منع الفقر المدقع ، والإصابة بالأمراض المعدية المعروفة ، ولكنه يقف عاجزاً وحده عن أن يوفر الغنى ويعمم الصحة ، وأنا أعتقد أنه من الضرورى مزج شىء من الأخلاق مع العلم ليكون

له سنداً فى كفاح الفقر والمرض ، وعلى هذا فإنى أرى أنه يجب أن نبدأ بعلاج مرض الجهل بالعلم والأخلاق .

الأستاذ الشرباصى : عندما بدأ الأستاذ زهير كلته ظننت من سياقها أول الأمر أنه سيتطرق إلى مايدور بخلدى ، وهو موضوع الناحية الاقتصادية ، ولكنه فى ختام كلته أتى بحديث الأخلاق المثالية السامية ، وهذا مع جلاله وأهميته ليس داخلا فى موضوع الندوة ، فنحن قد اجتمعنا لنتباحث فى علاج الفقر والجهل والمرض ، وبأيها نبدأ فى اهتمام زائد وعناية أكثر .

وأما الأخلاق فموضوع آخر ، يجب أن نخصص زمانه ومكانه . . . وعندى أن المسألة الاقتصادية لها أهميتها هنا ، وعلاج الفقر فى الواقع نوع من العلاج للجهل والمرض ، فالتعليم يحتاج إلى المال ، وفهم المعلومات أوهضمها يحتاج إلى جسم شبعان ، والعلاج من الداء يستلزم النفقة ، فكيف يتعلم أو يتداوى فقير معدم ، محطم البدن ، واهن القوى ؟ . ولنتذكر الحوادث المدللة على ذلك من التاريخ ... لماذا قامت بعثة محمد صلوات الله عليه فى حينها ؟ وما هو السبب الذى نهضت عليه ؟ . . . نستطيع أن نتذكر فى هذه البعثة بجوار عقيدة التوحيد سبباً اقتصادياً له أهميته ، فالمجتمع يومئذ كان متحللا فى اقتصادياته ، مندفعا من وراء ذلك إلى جرائم القتل والوأد والميسر والسلب والنهب والظلم وغيرها ؛ والدين الإسلامى مع روحانيته دين اقتصادى مادى ، دنيوى أخروى ، يعرف كيف يهيىء السعادة للإنسان فى الدارين ، والمادة هنا لاتعارض الروح إطلاقا ، فالإسلام روحى مادى ، روحانيته تزكى ماديته ، وماديته تساوق روحانيته .

ولذلك نرى الإسلام — مثلا — ينفرنا من أداء الفروض الدينية عند اضطراب الوضع المادى للإنسان ، فكره الصلاة والمرء جائع ، أو وهو مشغول الفكر بعمله أو عياله ، إذ لابد لمناجاة الصلاة من تفرغ وإقبال وهدوء بال .

ولقد جاء الإسلام فحدد النظم الاقتصادية التكافلية اللازمة ، ووضع لها قوانينها العادلة ، وبذلك حقق المبدأ الأساسى لسعادة المجتمع ، وهو العدالة الاقتصادية ، إذ لا ينهض علم ولا تنتشر صحة بدون هذه العدالة ، ولو حورب الفقر حربَ الصدق لسلم المجتمع من أمراض كثيرة ، فالتاجر الفقير الذى يكذب يدفعه إلى الكذب

حب الربح ليدفع عنه فقره ، والسارق الذى يسرق كثيراً ما يسرق لحاجته أولجوعه ، والغشاش يغش لاحتياله على الرزق . . وهكذا .

ولقد ذهب كثير من الباحثين إلى تفسير التاريخ البشرى تفسيراً ماديا بحتا ، ومع غلو هؤلاء غلوا فاحشا فى منهجهم ، نرى أن علاج الفقر والجوع والحاجة والتفاوت الشنيع بين طبقات المجتمع يهيىء الفرص الذهبية المواتية لعلاج الجهل ، وعلاج المرض ، فكم من راغب فى علم أو طالب لعلاج لا يقعد به إلا الحاجة وقلة النفقة .

الأستاذ قاسم : قال الأستاذ زهير إنه يخشى أن نندفع فى تحبيذ العلم ، لأننا معلمون ، ولكن الشخص عندما يكون مثقفاً ، وأعنى فى ذلك أى نوع من الثقافة ، فإنه يستطيع أن يقى نفسه من الأمراض ، ويستطيع أن يكسب عيشه ، ولذا فإنى أؤيد العلم .

الأستاذ نجم : فى رأيى أن هذه الأمراض التى تتكلمون عنها هى أعراض لمرض واحد ، وعلاجها يكون بعلاج المرض الأساسى ، فالمصاب بالزائدة الدودية يشكو من ارتفاع فى الحرارة وارتفاع فى ضغط الدم وألم البطن ، فهل نعالجه بعلاجات ارتفاع الحرارة والضغط وألم البطن ؟.. الواجب معالجته باستئصال الزائدة الدودية وهى أساس المرض ، وأساس المرض فى الشرق اقتصادى بحت ، فلو كان النظام الاقتصادى يسوى الفرص بين الناس لما كان هناك فقر ولا جهل ولا مرض .

الأستاذى خيرى : لقد ذكر الأستاذ نجم ما أردت أن أقول ؛ فإن الجهل والفقر والمرض ليست أمراضاً ، وإنما هى أعراض ، فإن سوء توزيع الثروة بين الناس هو الذى يجعل المرض والجهل والفقر فى طبقة دون الأخرى ، وعلى ذلك فيجب تسوية هذا الاختلاف المادى مع البدء بالعلم ، لكى يتفهم الإنسان ماله وماعليه . .

الأستاذ الدشلوطى : أرى أنكم تضربون على وتر غير حساس ، فكل إنسان يكسب بقدر جهده . إننى أرى توزيع الثروة هذا فوضى اقتصادية ، والقرآن لم يأمرنا بذلك ، فإن واجب الإنسان أن يكفى نفسه بنفسه ، وقد فرض الله الزكاة فحسب ، فمن لم يؤدها يعاقَب كما يعاقب تارك مايؤمر به .

الأستاذ الناظر : ولكن هذا لا يمنعنا أن نعالج الناحية الاقتصادية كعلاج .

الأستاذ الشرباصى : إن علاج الفقر كما ذكرت من قبل يجب أن تكون له الأهمية ، وأن نبدأ به فى عناية ، مع علاج الجهل والمرض أو قبلهما ، والإسلام لم يأمر بفوضى فى الاقتصاد ، ولم يدع إلى شيوعية هادمة ، ولـكنه دعا إلى التقريب الصحيح بين الطبقات ، والتراحم بين الأغنياء والفقراء ، وإخراج الجزء المعلوم المفروض فى أموال القادرين وهو الزكاة ، ودعا إلى الأخوة فى الله ، والتعاون الصحيح ، والتكافل المجدى . . . وعندى أن الفقر قد يعوق التعليم والإنتاج وسلامة البدن ، والأمثلة على ذلك متعددة . . . إن أكثرية التلاميذ فى بلادنا لايهضمون دروسهم بسبب القلة فى الغذاء ، وضعفُ الغذاء سمة الفقراء ، والعمال فى المصانع يبذلون جهوداً مضنية لايعوضها غذاء مناسب ، فلا يستقيم الإنتاج ولايتوافر النشاط ، وأكثر الأمراض انتشاراً فى بلادنا هى فقر الدم والتـدرن الرئوى وضعف الأعصاب والـكساح ولين العظام وتداعى البنية ، وكلها تتعلق بالناحية الاقتصادية للإنسان .

وعلاج الفقر يعتبر (تخلية) والعلم مثلا يعتبر (تحلية) والتخلية تسبق التحلية كما نقول فى الأزهر الشريف . والعقل السليم وهو ثمرة العلم لا يكون إلا فى الجسم الصحيح السليم ، وهو ثمرة العلاج والطب والوقاية ، والجسم السليم آلة تحتاج إلى الوقود ، والوقود هنا طعام وغذاء ، فـكيف نخرج جسما سليما ونـكوّن عقلا قويما ، والآلة فيها عطب أو خلل ، أو ليس عندها وقود ؟ . . قدموا الغذاء أولا ، ثم اعمروا الجسم بعد ذلك بالصحة والعلم .

الأستاذ الدشلوطى : قال الأستاذ الشرباصى إن داء الفقر هو سبب داءى المرض والجهل ، فهل ياأستاذ شرباصى كل المرضى فى العالم فقراء ، أولايصيب المرض الأغنياء ؟ .

الأستاذ الشرباصى : إنه لواضح من كلامى السابق أننى لم أقصد كل هذا التعميم .

الأستاذ بهجت : حديثى الآن ذو شعبتين ، أولاهما : أن الله حين برأ الخلق منّ على آدم بالنعمة الأولى بعد نعمة الخلق وهى نعمة العلم ، فقال : « وعلم آدم الأسماء الأسماء كلها ... » علمه ليكون فى مستوى يستطيع عنده أن يقف على ماهية حقوقه وكنه واجباته ، ولم يتركه طويلا بعد تعليمه ، بل أتبع التعليم ببيان حقوق آدم فى هذه الحياة ، إذ يقول له : « إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى » . وبدون العلم يتعذر تفهم الحقوق والواجبات التى لايستقيم بغير تفهمها

والتزامها أمر أى مجتمع بشرى فى هذه الحياة ، ومن ثم تضيع الفائدة المرجوة من مكافحة المرض فى علله وأسبابه ومظاهره . والعلم إلى جانب المال حارس يقظ وموجه أمين وعماد الملك المستقر ، ألا ترون شوقى يقول :

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم   لم يبن ملك على جهل وإقلال

هذه واحدة والثانية هى أن إخوانى تعرضوا للناحية الاقتصادية وللمذاهب التى تتناول توزيع الثروات فى المجتمع بشكل معين أو غيره ، وإنى فى هذا المقام أقدر أن القرآن الكريم المرشد إلى السعادة حين فرض الزكاة أراد تعديل توزيع الثروات عن طواعية واختيار نفوس راضية من أصحاب الثروات ، وهى كما قيل أخذ فائض الأموال لدى الأغنياء وإعطاؤه لمن يحتاجون إليه من الفقراء أو غيرهم . فبذلك تطيب نفوس هؤلاء ، وترتفع عوامل الحقد والبغضاء ، ولاتكاد تخلو سورة من سور القرآن من فريضة الزكاة أو الإشارة إليها أو عقاب عدم دافعيها ، الأمر الذى يؤكد اهتمام العليم الخبير بمكافحة أمراض المجتمع الخبيثة المنبثقة عن جهل أفراد المجتمع وفقرهم إلى العلم والمال والدواء ، لذلك أرى فى مقام التفضيل أن نبدأ فى مكافحة الجهل .

الأستاذ زكى : إننى أرى أن الواجب أن نبدأ بمعالجة المرض أولا والجهل ثانياً والفقر ثالثاً ، إننا نتكلم عن الشرق ، والشرق كالفرد فى هذا السبيل ، فالمريض الذى يهده المرض لاينفعه المال ولا ينفعه العلم . ولنأخذ مثلا حياً : هذا رجل فقير جاهل مريض هل يقول لكم أعطونى المال أوامنحونى العلم ؟ أويقول لكم أعطونى الصحة ؟ ولو فتحت أمام هذا الرجل باب المدرسة وباب المستشفى فإلى أيهما يذهب ؟ طبعاً إلى المستشفى ، لأن الصحة أثمن شىء فى هذا الوجود .

لقد ذكر الأستاذ الشرباصى التخلية والتحلية ، وإنى أقول إن المرض هو التخلية والعلم والمال هما التحلية ، فلنقم بتخليته من الداء الذى يتهدده بالفناء أولاً ، ثم نحليه بحلية المال والعلم ثانياً .

الطالب أحمد العتيق : يقول الأستاذ زكى إن المرض هو الداء الأساسى الذى يجب أن نتنبه إليه ، ولكن كيف يمكن لجاهل مريض أن يفهم أوامر الطبيب ويقرأها ليشفى ؟ . .

الطالب يوسف الشلقانى : هل نحن نبحث كتمهيد للمستقبل أو كإصلاح للحاضر ؟.

الأستاذ الناظر . إننا نعالج الحاضر والمستقبل .

الطالب أحمد دعيج : الواجب أن نعلم المريض سبب مرضه ، وبهذا نكون قد بدأنا بمكافحة الجهل قبل المرض .

الأستاذ الشرباصى : أحب أن أعود إلى ما ذكره أخى الأستاذ بهجت من شأن آدم عليه السلام ، حينما علمه الله الأسماء أولا ، ثم حدثه عن مطالب البدن ثانياً ...

فقد يقول الباحث هنا إن آدم كان فى دار غير دارنا ؛ لقد كان فى جنة النعيم التى لا يحتاج فيها إلى ما نحتاج إليه فى هذه الدنيا من مطالب المعدة والبدن ، وقد كان آدم حينئذ سليما معافى بارئاً من الآفات الثلاث : الجهل والفقر والمرض ، ومجتمعنا الآن مصاب بها جميعها ، لا بواحدة منها ؛ فكان أمر آدم مقصوراً إذن على تحلية الله له وتجميله إياه ، حتى يظهر فضله وقدره ؛ وقد ضمن الله له فى الجنة خير الرزق حينما قال له :

« وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منها رغداً حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » .

ثم نلاحظ أن الذى أخرج آدم من الجنة مع حواء ، وكان سبباً فى عمار الدنيا وتتابع النسل البشرى ، هو (الأكل) من الشجرة ، وهذا عمل اقتصادى معوى ، فكأن فاتحة الدنيا كانت مسألة جسمية اقتصادية !!.

والأستاذ بهجت يقول إن الله قد علم آدم حقوقه الاقتصادية فى هذه الحياة ثانياً بقوله تعالى : « إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى » . ولكن هذه الحقوق لم تكن فى الأرض كما ظن أخى الكريم ، بل كانت فى الجنة قبل نزول آدم إلى الأرض التى نعيش عليها الآن ، لأن الآيات الكريمة هنا تسير هكذا : « فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك ، فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، إن لك ألا تجوع فيها (أى فى الجنة كما هو واضح) ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى » . فالحديث هنا يدور حول الجنة ، لا حول الحياة الدنيا التى انتقل إليها آدم بعد ذلك .

وبعد هذا أكرر التذكير بأننا لا نريد قصر الجهود كلها فى الدولة على معالجة الفقر وحده ، بل نريد أن نوجه إليه أكبر اهتمامنا ، مع إعطاء جانب ملائم من العناية

أيضاً لعلاج الجهل والمرض ، لأن الأهم والأجدر بالبدء فى العلاج هو الفقر الذى كاد أن يكون كفرا كما قال الأولون .

الأستاذ لبيب : إن من يرى البدء بعلاج المرض يفترض أن العالم كله مرضى وأن جميع الناس ممددون على الأرض لا يقدرون على الحركة . . . وأن من يرى البداية بعلاج الفقر يعتبر أن جميع الشوارع ملأى بالشحاذين الذين يطلبون الإحسان ؛ والواقع غير ذلك ، فإن هناك مئات من المرضى يروحون ويجيئون ويعملون ويكتسبون ، ولـكن فى مستوى لا يناسب البشر ، وحياة كثير منهم أشبه بحياة الحيوان ، بل إن كثيراً منهم يهتم بحيوانه أكثر من اهتمامه بنفسه . إنه الجهل يا سادة الذى يعمى أبصارهم ، ويجعلهم لا يتمكنون من فهم أنفسهم ولا يشعرون بكيانهم ، إنما العلم يفتح أبصارهم ويفتق أذهانهم ، ويجعلهم يحققون حياة إنسانية كريمة صحيحة ، راغدة العيش ، وتعتبر الدانمرك من الأقطار التى آمنت بسلاح العلم ، فقد قضت على الجهل منذ مدة طويلة بفضل مدارسها الشعبية التى راعنى نظامها عند زيارتى لها ، وإذا كنا نمل هنا فى هذه الندوة من ذكر الفقر والجهل والمرض ، فى الدانمرك تتحول هذه إلى أصدقاء ثلاثة هى : الرخاء والعلم والصحة ، فيجب أن تعرف الشعوب حقوقها ! .

الأستاذ الشرباصى : أعتقد أن شعوب الشرق على جهلها وفقرها ومرضها تعرف حقوقها وواجباتها ، وأن وعيها من هذه الناحية حسن ، فهناك الصحف والمجلات والـكتب والخطب والإذاعة والمحاضرات والأحاديث وغيرها ، كان لها أثر فى تعريف المجتمع بحقوقه وواجباته ، وأظن أن أغلب الشعوب تعرف الآن حقوقها المغصوبة ، وتتهامس بذلك أحياناً ، وتجهر به حيناً ، وإن لم تستطع الوصول إلى حل المشكلة .

الأستاذ الناظر : وعلى هذا فأنت تقرر ياأستاذ شرباصى أن المعرفة قد وصلت إليهم فعلا ، خلافا لما تطالب به من مكافحة الفقر أولا .

الأستاذ بهجت : يستوى لدىَّ الشرق والغرب فى وجود هذه الأعداء الثلاثة ، فالجهل والفقر والمرض لا يسلم منها الشرق ولا الغرب ، وإنما المسألة مسألة نسبية ، ويتوقف علاجها ومكافحتها على مدى ظروف وإمكانيات كل دولة ، وأما الأفضلية من ناحية أيها نبدأ بمكافحته فإننى أستشفها من ميزانيات الدول المختلفة ، فإذا ما طالعنا أرقامها وضح لنا المقام الذى تمثله مكافحة كل من هذه الأعداء لدى المسئولين فى كل

دولة . فميزانية المعارف فى أمريكا تحتل المقام الثانى بعد ميزانية الدفاع ، ومن هنا يفهم مدى ما توليه أمريكا من عناية لنشر العلم والمعرفة . وأحب أن أضيف بعض ما ورد بأقوال أخى الأستاذ زكى فأقول إن كل ميزانية يضعها المسئولون فى الدولة يخصص فيها نصيب لمكافحة الفقر ، وآخر لمكافحة الجهل ، وثالث لمكافحة المرض ، وإنما يختلف مقدار كل من هذه الأنصبة حسب اختلاف الرأى والظرف والإمكانية والمصلحة .

وأستطيع أن أؤكد ما يروى فى الأثر : « والله لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها : كتاب الله وسنة رسوله » فلو أخذنا بما فى القرآن من تعاليم ونفذناها ، وأقمنا اقتصادياتنا على دعائم النظام الاقتصادى الإسلامى المتين الأركان ، لوجدنا مجتمعنا سليما من هذه الشوائب الثلاثة التى تحد من نهضته ، ولعشنا نجنى ثمار العلم والمعرفة ، فلنكافح الجهل والأمية ليتحقق لنا ما نصبو إليـه من أمن وتعاون ومحبة .

الطالب يوسف الشلفان : لابد أن نبدأ بمكافحة المرض على أساس أنها الخطوة الهامة ، فـكيف نطلب من مريض الاستفادة من العلم الذى نعطيه له ؟ ! .

الأستاذ الناظر : إن الشلفان يرى أن الصحة هى أهم الأمور والوقاية خيرمن العلاج .

الطالب الشلفان : إنى أرى أن الوقاية لا تأتى إلا عن طريق العلم .

الأستاذ الناظر : قصدك أن تقول إن العلم أهم من الصحة ! .

الطالب سليمان النصف : أريد أن أعرف نوع العلم الذى يجب أن نـكافح به الجهل .

الأستاذ الناظر : إن العلم المقصود هو العلم الذى تحتاجه الأمة والأمة تعرف حاجتها .

الأستاذ نجم : أتريدون مكافحة المرض ؟ كافحوه بالوقاية ، والوقاية تـكون بحسن التغذية ، وهذا يقودنا إلى مكافحة الفقر أولا .

الأستاذ قاسم : سأل سليمان النصف أى نوع من الثقافة نقدمه للأمة ، ولـكننا نريد أن نجعل الإنسان ملما بثقافة عامة لا بتعليم خاص ، قرأت مقالا باللغة الإنجليزية عنوانه مدارس الحضانة ، وخلاصة المقال أنه وجد أن معظم الأطفال فى سن الطفولة يموتون بسبب جهل أمهاتهم ، ومعنى هذا أن النشء الجديد فى خطر ، ويجب أن نحافظ على هذا النشء بضرورة تعليم الأمهات أو على الأقل تثقيفهن ، ولهذا عند ما ألمت

الأمهات بشىء يسير من الثقافة احتفظن بنسبة أكبر من هذا النشء ، وفى هذا أكبر دليل على أن الثقافة شىء مهم والتعليم شىء أهم .

الأستاذ لبيب : إن ظاهرة جهل الوالدين التى أثارها زميلى الأستاذ قاسم تحتاج إلى شىء من العناية والترتيب فى بحثها . فقد دلت التجارب على أن جميع ما ينفق على المدارس لتعليم الأطفال يذهب هباء ، إذا كان الوالدون يعيشون فى ظلمات الجهل ، ذلك لأن الجيل الجديد يتفاعل مع الجيل القديم ، وعلى ذلك فالعناية بتربية الكبار مما يسهل مهمة المدرسة ، وهذا أمر تهتم به الدول الغربية اهتماماً واضحاً للغاية ، وبدأ مثل هذا الاهتمام أخيراً فى مصر ، وهذا عمل جليل تقوم به المؤسسات الثقافية الشعبية المنتشرة فى عواصم القطر المصرى ...

الأستاذ زكى : إن الافتراض الذى بدأنا به هو أن الدولة لا تستطيع علاج الأمراض الثلاثة دفعة واحدة ، وإلا لكان ذلك خيراً وبركة ، والافتراض يقول بأى الأمراض نبدأ بالعلاج وأيها هو الأهم ، ثم قول الأستاذ بهجت عن الميزانية الأمريكية لا ينطبق علينا ، لأن لكل دولة ظروفها ، وأى دولة عندما تضع ميزانيتها تراعى الظروف الراهنة عندها .

الأستاذ صديق : يجب أن نفرق بين دولتين إحداهما عندها إيراد ، وأخرى لا يوجد عندها إيراد ، أما الدولة التى عندها إيراد فإنها تستطيع أن تكتل قواها فى محاربة الجهل والمرض والفقر دفعة واحدة ، أما الدولة التى ليس لها إيراد فيجب أن تبحث عن كيفية خلق إيراد ، وذلك عن طريق تعليم الشعب تعليما يساعده على تحسين وضعه الاقتصادى ، وفى الوقت نفسه فهمه لكيفية المحافظة على صحته وصحة عائلته .

الأستاذ الشرباصى : إن المال فى يد رجال مخلصين يسيِّرون البلاد يوجد العلم ويوفر الصحة ، وتصوروا معى مجتمعا فيه تفاوت شنيع واسع بين أغنيائه وفقرائه ، فلا تقارب ولا تكافل ولا تكافؤ فى الفرص ، ماذا يكون فيه؟ إنه يفيض بالبلايا والمظالم ؛ ولو وُجدت فيه وثبة للخير فجاءت يد العدالة والقسطاس ، وسوَّت أو قاربت بين الطبقات فى شجاعة وحكمة وإخلاص ، لسعت النهضة الحقيقية فى أرجاء ذلك المجتمع .

وإننى أرجو أن نبحث فى أى هذه العلل يمكن علاجه فى أقصر وقت وبأسرع ثمرة ونتيجة فعلية فنبدأ به ، وعندى أن علاج الفقر فوق أهميته وخطورة شأنه

لا يستغرق وقتاً طويلا مثل الجهل والمرض، فما هى إلا نهضة من المظلومين ونية حسنة من القادرين ، ورد للمظالم إلى أهلها ، وتنفيذ لمبدأ العدالة الاجتماعية ، ونستطيع بذلك أن نصلح الاختلال الفظيع الموجود فى الأوضاع الاقتصادية العامة والفردية ، ثم نخلو بعدها لعلاج الجهل والمرض ، وإن كنا فى الواقع لم ننسهما ، ولن نغفلهما من حسابنا ونحن نعالج الفقر ...

الأستاذ الناظر : لقد سمعنا الآراء المختلفة فى علاج كل من الأمراض ، وأريد أن أختتم هذه الندوة بقولى : إن واجب الأمة فيما أرى أن تبدأ بالتعليم ومعه علاج المرض ، لأن المريض لايستطيع أن يتعلم ، وكذلك علاج الفقير لأن الفقر لا يستطيع هضم العلم ، وها نحن نرى أن الأمراض الثلاثة يجب محاربتها جميعاً وبكل قوة .

الندوة الرابعة :

الصناعة والرياضة فى الكويت

« وهذه ندوة أخرى دارت حول الكويت ، وإن كانت قد عُقدت فى مكان بعيد عنها .. هناك فى لندن .. » :

فى أحد أحياء لندن الشمالية الغربية الهادئة تقع شقة جميلة يقطنها الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ، وقد اعتاد أن يدعو بين حين وآخر ، وفى عطلات نهاية الأسبوع ، لفيفاً من الطلبة الكويتيين القاطنين فى إنجلتره ، وكذا بعض الزائرين ، إلى حفلات غداء جميلة يقوم بإعدادها بعض الزملاء الذين يجيدون فن الطبخ ، فيقضون يوماً جميلا فى جو كويتى صرف . وكان أحد تلك الأيام المشهودة يوم الاثنين السادس من شهر إبريل سنة ١٩٥٣ ، حيث اجتمع عدد كبير من الطلبة ، وذلك بمناسبة عطلة الربيع . وكان من بين المدعوين الأستاذ صادق جلال المدير الفنى والمشرف على تأسيس كلية الصناعة فى الكويت . وقد انتهز بعض الزملاء هذه الفرصة فاقترحوا إعادة الندوات التى كنا نقوم بها فى العام الماضى فرحب الجميع بذلك ، وخاصة وقد كان لهذه الندوة طابع خاص ، إذ دارت هذه الندوة حول موضوعين هامين هما الصناعة والرياضة :

الأول لوجود الأستاذ جلال بيننا ، والثانى لمناسبة قرب سفر الزميل مهلهل مضف بعد إنهاء دراسته للتربية البدنية ، فكانت ندوة شيقة ننقلها على صفحات (البعثة) راجين أن تليها ندوات وندوات فى شتى الموضوعات الحيوية التى تهم البلاد .

(كاتبا الندوة) عبد الرزاق اليوسف ومحمد خلف

ترأس الندوة الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح . واشترك بها : الأستاذ صادق جلال ، والزملاء : صباح العبد الله الجابر ، مهلهل مضف ، سعد السلطان ، جاسم الغانم ، عبد الحميد الناصر ، حامد عبد السلام ، عبد الوهاب راشد عبد الغفور ، فرج العجيل .

ابتدأ الندوة الشيخ سعد بأن شكر للجميع تلبيتهم هذه الدعوة ، ثم أردف قائلا : بمناسبة حضور الأستاذ جلال نجد أنها فرصة سعيدة للتحدث عن مستقبل الصناعة فى الكويت . وإذا كان الأمر كذلك فإننى أرجو أن يكون هذا على هيئة أسئلة توجه للأستاذ جلال ، فأحب أن أسأل الأستاذ عن الأشياء التى نستطيع بها سد الفراغ الذى سوف ينشأ عند ما ينضب معين البترول فى الكويت ؟ .

الأستاذ جلال : إن الصناعة فى أى بلد من بلاد العالم تتوقف على أسباب كثيرة ، منها حركة البلد الإنتاجية كتأسيس المصانع ، أو بحركة تجارية ، فمثلا إذا أردنا أن نوجد مصنعاً للزجاج فإنه من الواجب علينا فى أى بلد كنا وقبل إنشاء هذا المصنع أن نرى العوامل الأولية الخاصة بهذا المصنع ، وهل هى متوفرة أم لا . فهذا المصنع فى حاجة إلى أناس لهم إلمام بفنون عدة تتصل بالزجاج ، فقسم للمتاجر الكيماوية ، وقسم للمكائن ، أى فنيون لإدارة دفة العمل . فى هذه الحال وما دام عندنا نقص فى هذا المضمار فإننا نضطر إلى جلب أجانب أكفاء ليقوموا بإدارة العمل حتى يوجد أناس وطنيون يحلون محلهم ، والأجانب مع الأسف الشديد ، إذا لم نحسن اختيارهم وتوجيههم أيضاً فإنهم يحدثون لنا مشاكل خاصة ولنسمها مشاكل كيفية ، أى أنهم يحاولون البقاء فى إدارة المصنع أكثر مما يمكن ، وذلك لأسباب كثيرة أهمها الأرباح الطائلة التى يتحصلون عليها من جراء ذلك . وحينما زرت الكويت وبقيت فيها مدة لكى أرى نقص البلاد من هذه الناحية ، وجدت أنه مع الأسف الشديد أن

دوائر الكويت الحكومية جميعها بلا استثناء تفتقر إلى الأيدى الوطنية العاملة ، بل وزد على ذلك فإن إدارة هذه الدوائر نفسها بيد أجنبية وفى بعضها أناس ليسوا عرباً . ولذلك إننى أضع نصب عينى هذا النقص الذى يجب علينا أن نسده بأسرع ما يمكن بأياد عاملة مخلصة تتقن العمل ، ولذلك كان همى الأول أن أوجد الأهم فالمهم . .

عبد الحميد الناصر : لقد علمنا أن إدارة الكلية قررت فتح فروعها للكيمياء والميكانيكا وأشياء أخرى ، ولكنها مع الأسف الشديد أهملت ناحية هامة وهى صناعة الجلود عامة والدباغة خاصة . مع أن معارف الكويت كانت قد أرسلتنى للتخصص فى هذا الفرع منذ أكثر من سبع سنوات إلى مصر ، ثم أتيت إلى هنا لإتمام عملى . فماذا ترى من موقفى الآن وقد قضيت هذه السنين أدرس وأعمل فى هذا الاتجاه ؟ .

الأستاذ جلال : ليست هناك فكرة فى الوقت الحاضر لفتح هذا النوع فى كلية الصناعة ، ولكنى على يقين بأننا سوف نفتح جميع فروع الصناعة فى هذه الكلية الناشئة حسب أهميتها ، فإننا كما أسلفت نعمل للأهم فالمهم وهكذا . ولكن ما دام الأمر كذلك فإننى أقترح عليك أن توجه اختصاصك بعض الشيء ، وذلك بأن تتخصص فى صناعة الجلود التى تتصل بالأثاث وما إلى ذلك ، حتى تفيدنا كثيراً فى فرع الأثاث الذى هو فى نظرى أهم الصناعات للكويت فى الوقت الحاضر .

عبد الحميد الناصر : أليس من الممكن فتح مدبغة صغيرة فى الكويت ؟ .

وقد اشترك الشيخ سعد بهذا السؤال بأن أضاف : هل يوجد فى الوقت الحاضر أية فكرة لفتح مصنع صغير للجلود أو حتى فرع فى الكلية ؟ .

الأستاذ جلال : للأسف لا توجد فكرة فى الوقت الحاضر .

الشيخ سعد : بصفتك مدير الكلية ولك اطلاع واسع على الصناعة هل ترى إنشاء مثل هذا المصنع فى الوقت الحاضر ؟ .

الأستاذ جلال : إننى لا أرى فتح مثل هذا المصنع فى الوقت الحاضر ، وخاصة ونحن الآن فى أول الطريق .

عبد الوهاب : هل هناك فكرة إرسال بعثات خاصة للصناعة ؟ .

الأستاذ جلال : إن سبب وجودى هنا فى لندن هو دراسة هذا الموضوع ، وقد قررت إدارة المعارف إرسال أربعة من الطلبة لذلك ، وسوف تكون مدة دراستهم خمس سنوات السنتان الأوليان منها لدراسة اللغة الإنجليزية ومعلومات عامة ، ثم يتخصص الطالب فى السنة الثالثة فى استخدام مكائن خاصة للنجارة وسبك بعض القطع الميكانيكية .

الشيخ سعد : أعرف أن إدارة المعارف عاملة جهدها على فتح المدرسة الصناعية ، والسرعة طبعاً تضطرنا إلى استخدام الأجانب بصرف النظر عن جنسيتهم .

الأستاذ جلال : هذا ما سنقوم به ، وحينما يرجع الطلبة الذين درسوا فى الخارج يكونون تحت إشراف هؤلاء الأجانب الذين سيسلمون العمل لهم بعد أن تثبت كفاءتهم وقدرتهم على ذلك .

صباح العبد الله : هل تعتقد أن هؤلاء الأربعة عدد كاف لهذا العمل ؟ .

الأستاذ جلال : لا ، وإننا جادون فى إيجاد أكبر عدد ممكن لإرسالهم إلى الخارج للدراسة ، وهنا أحب أن أذكر أننى لا أقصد بالخارج أى بلد بالذات فإننى لخبرتى وتجاربى العديدة فى كثير من بلاد العالم سواء فى الشرق أو الغرب أرى أن لا نتوقف بالإرسال إلى بلد واحد ، بل يجب علينا أن نرسل إلى كل بلد فى الشرق والغرب عدداً من الطلبة ليعودوا إلينا حاملين صناعات مختلفة من بيئات متباينة وأقطار مختلفة كل الاختلاف فى كل أمر ، حتى نجنى ثمرة هذا التباين فى الثقافة الصناعية ، وحبذا لو عملت المعارف على إرسال بعض الطلبة إلى كل من بلاد أوربا الوسطى كألمانيا ، والنمسا ، وسويسرا ، وفرنسا ، وغيرها من البلاد الصناعية .

(وهنا تعالت أصوات بعض الطلبة بأنه ليس فى الوقت الحاضر أى أمل فى إرسال أى طالب كان للدراسة فى تلك البلاد التى ذكرها الأستاذ) .

الشيخ سعد : إننا نشكر الأستاذ جلال على معلوماته القيمة التى أوضحها لنا ، ونتمنى له كل التوفيق فى مهمته الحيوية للكويت فى نهضتها الحديثة ، كما نرجو أن نلمس ثمار عمله وزملائه فى القريب العاجل إن شاء الله .

(وبهذا انتهى الجزء الأول من هذه الندوة الخاص بالصناعة ، وطلب الشيخ سعد من المجتمعين إبداء أى موضوع هام لكى تتم به ندوتنا ، ولتكون ذات طابع

خاص بصفتها الأولى بعد غياب طويل ، وهنا برز أحد الزملاء وعرض موضوع بعثاتنا ووضعها الراهن ، وخاصة بعثاتنا الموجودة حالياً فى انجلترة ، فرحب الجميع بذلك ، إذ أنهم جميعاً ينتظرون ساعة كهذه يبدون فيها ما يختلج فى نفوسهم بهذا الصدد ، ولكن الشيخ سعد عارض ذلك ، لأن هذا الموضوع شائك وطويل وسوف نتطرق به إلى شخصيات ومسائل شخصية لايجب علينا مساسها ، وإن العمل هو عمل مجلس المعارف وليس لنا حق فى مناقشته إلا إذا طلب منا شخصياً ، أما إذا كان الأمر كذلك فعلى كل طالب عرض مشكلته على انفراد ، ثم أردف الشيخ سعد قائلا : إنه يرى أنها مناسبة لكى نقوم نحن بتوجيه الأسئلة إلى الأخ مهلهل بمناسبة قرب سفره بعد أن أتم دراسته للتربية البدنية ، فنسأل الأخ مهلهل أسئلة عن الرياضة فى الكويت .

حامد : هل تعتقد أن كثرة النوادى الرياضية فى الكويت سوف ترفع مستوى الرياضة فى الكويت ؟ .

مهلهل : كثرة النوادى الرياضية فى الكويت لها فوائد محققة . فالنوادى الرياضية ماهى إلا مصانع للرجولة ، وما أشد حاجتنا إلى شباب رياضى نشط يتحلى بأخلاق فاضلة ، وروح رياضية عالية .

جاسم : مارأيك فى تدريب الناشئين فى النوادى ؟ .

مهلهل : يوجد فى الكويت هواة لكرة القدم ، ولكن لا يوجد مدربون ، والواقع أن أغلب اللاعبين الحاليين وخصوصاً لاعبى كرة القدم لا يوجد لديهم الوقت الكافى للتدريب لانشغالهم فى أعمالهم الخاصة ، وزد على ذلك تقدمهم فى السن ، وإذا بقيت النوادى على وضعها الحالى بدون تدريب الناشئين فسوف يكون إنتاجها الرياضى ضئيلا ، لذلك لابد من إيجاد مدربين فنيين لتحقيق الهدف .

الشيخ سعد : أوافق على أن هناك نقصاً كبيراً فى المدربين ، ونحن نأمل أن الأخ مهلهل بمساعدة المسئولين هناك سيولى هذه النقطة حقها ويسدُ ذلك الفراغ الشاغر .

حامد : لو ساهمت المعارف فى حل مشكلة المدربين بإعانات مالية تدفعها لمدربى النوادى ، فهل تعتقد أن النوادى فى حاجة إلى مثل هذه المساعدة ؟ .

مهلهل : النوادى الرياضية ماهى إلا مدارس شعبية تحمل على عاتقها نفس الرسالة التى تؤديها المعارف ، ولا أعتقد أن المعارف سوف تتوانى عن مثل هذه الواجبات .

الجميع : إننا واثقون من أن مجلس المعارف سوف لايتردد عن إجابة مثل هذه الطلبات الهامة .

جاسم : مارأيك فى الرياضة فى مدارس البنات فى الكويت ؟ .

مهلهل : أستطيع أن أقول إن الرياضة فى مدارس البنات عندنا متأخرة جداً ، وقد سمعت مؤخراً بأن الرياضة قد أدرجت فى مناهج هذه المدارس ابتداء من العام الدراسى الحالى . وكلى أمل أن إدارة المعارف سوف تعمل على جلب مدرسات متخصصات فى التربية البدنية ، فالسن الحالية لبنات مدارسنا هى السن المثلى لذلك .

حامد : يعتقد بعض الناس فى الكويت أن الرياضة غير لائقة لمدارس البنات .

مهلهل : كان الناس لايؤمنون بالطب والطبابة ويفضلون العلاج بالأدوية الشعبية العقيمة ، أما الآن وبعد أن تبينوا فوائد الطب فقدهجروا تلك العقاقير القديمة وأخذوا يتسارعون إلى المراكز الصحية . وكذلك لم يكونوا يؤمنون بتعليم البنت بمدارس المعارف ، أما الآن فعلى العكس ، فالوعى العام جعلهم يؤمنون بضرورة تعليم الفتاة على الطريقة الحديثة ، وكذلك الرياضة سوف تواجه نفس هذه الخطوات ، ونرجو أن تتبعها أخرى أهم منها وهى رفع الحجاب .

الشيخ سعد : ماهى الألعاب الرياضية المعدومةعندنا وترى إدخالها فى الكويت ؟.

مهلهل : هى ألعاب القوى التى تحوى الجرى بأنواعه ، والوثب على اختلافه والرمى بأنواعه المتعددة . وهذه هى أقدم الألعاب الرياضية والتى من أجلها أنشئت الألعاب الأولمبية ، وأرجو أن تنتشر فى المدارس والنوادى وفى كل مكان إذ لدينا الاستعداد لذلك .

الجميع : إننا جميعاً نشكر الأخ مهلهل على هذه المعلومات القيمة التى ستفيدنا رياضياً فى الكويت ، ونرجو له كل توفيق مع زملائه الآخرين فى هذا المضمار ، وكذلك نرجو له سفراً سعيداً ، واسلم وسلم يا مهلهل . وإلى اللقاء فى ندوتنا التالية .

النـدوة الخامسة :

مع وفد الـكويت فى الدورة الرياضية

« ولابد من أحاديث تدور عن الـكويت فى مصر ،
وهـــذه ندوة عُقدت فى مدينة القاهرة . . » :

تاريخ الندوة : ١٩٥٣/٧/١٩

مقر الندوة : سكن الأستاذ عبد الله زكريا الأنصارى .

أعضاء الندوة : الأستاذ مهلهل محمد المضف رئيس الوفد ، والزملاء : مرزوق العجيل — خالد منيس — على العمر — على ناصر — راشد الراشد — عبد اللطيف الياقوت — محمد الحمد — فهد الصرعاوى — محمد مدوه — سليمان القضيبى — محمد بوقماز — إبراهيم عبد الله .

***

الأستاذ عبد الله : ما هى الأشياء التى لفتت أنظاركم أثناء زيارتـكم هذه لمصر ؟ .

محمد مدوه : مما لفت نظرنا تعدد النوادى الرياضية ، وتجهيزها بالأدوات اللازمة التى يعتمد عليها النادى وبكل ما يتعلق بالرياضة .

على ناصر : فعلا ، فالنوادى فى مصر يتوافر فيها كل ما ذكر الزميل ، وقد رأينا عدة أندية ، وشاهدنا فيها عدداً كبيراً من الملاعب ، ولاحظنا توافر المدربين والأدوات الرياضية على اختلاف أنواعها .

على العمر : ووجدنا مدى اهتمام الشركات المصرية والأجنبية بتكوين نواد خاصة لأعضائها للتغلب على أوقات الفراغ بممارسة الألعاب الرياضية ، ومزاولة مختلف أنواع النشاط . ولقد قمنا بزيارات فى نادى شركات (بنك مصر) ، وأدهشنا ما قامت به هذه الشركات من اهتمام بالغ بموظفيها .

على ناصر : من المؤسف أن نرى (البنك البريطانى) فى الـكويت وقد مضى على تـكوينه عدة سنين ، وجنى أرباحاً طائلة من الـكويتيين ، ولم يفكر فى إنشاء أى ناد لموظفيه .

علي العمر : وما الفائدة من إنشاء ناد إذا اتبع سياسة (شركة النفط الحالية) بالكويت ، فهى شركة أجنبية ، وبأرض الكويت ، وتجنى أرباحاً طائلة ، وتنشىء نادياً لفئة خاصة من موظفيها الأجانب ، وهم من الأوربيين ، وقد حرم هذا النادى على باقى الموظفين من الكويتيين الذين أنشىء النادى فى وطنهم ، وهذا دليل على إهمالنا نحن الكويتيين فى المطالبة بحقوقنا ، فأنت ترى أنه لا يوجد للموظف والعامل الكويتى أى قيمة ! .

الأستاذ عبد الله : مهما وجد الإهمال والتجاهل فى مثل هذه الأشياء فلابد أن يأتى اليوم الذى يستطيع فيه أبناء الكويت المتعلمون القضاء على ما تشعرون به من نقص ، وذلك بعزيمتهم وإيمانهم ، إذا ما كرسوا جهودهم بصدق وإخلاص ، فى خدمة وطنهم العزيز .

محمد مدوه : لماذا لا يطالب الموظفون والعمال بحقوقهم ؟ .

علي العمر : نعم فقد تمكنهم هذه الفكرة من الحصول على مطالبهم .

محمد مدوه : العمال فى الكويت مظلومون ، ينتقص من حقوقهم ، ولا يستطيعون المطالبة بها ، فقد ينالهم من الضرر ما يقطع عليهم سبل العيش .

الأستاذ عبد الله : برغبة العاملين على رفع مستوى العمال ، وبالاتحاد والإيمان بالفكرة والعمل لها يتحقق كل شىء .

محمد مدوه : العامل لا يستطيع أن يعمل بنفسه كل شىء إذا كان هناك عليه ضغط من المسئولين .

علي العمر : الاتحاد والإيمان لا يفيداهم إلا إذا وجدت لهم نقابة أو هيئة تقوم بالدفاع عنهم ، وتطالب بجميع حقوقهم .

فهد الصرعاوى : هذا صحيح ، لكن لا يوجد لدينا الموجهون الأكفاء لمثل هذه الفكرة ، فيجب أن نتمهل .

علي العمر : من الطبيعى أننا حالياً ينقصنا الأكفاء ، لكن يجب أن توجد الفكرة مصغرة ، وفى المستقبل يستطيع العمال أنفسهم القيام بالدفاع عن أنفسهم .

الأستاذ عبد الله : يجب أن نعمل ولا نتهاون فى العمل مهما فشل ، فمثلا النادى الأهلى بالكويت ، قام وفشل عدة مرات ، حتى استقر الآن ، وأصبح له مركز مرموق

وذلك حينما توافرت لديه الأسباب من شباب أحرار مخلصين عاملين ، وأصبح أيضاً يؤدى خدمات جليلة نحو الوطن ، وهذا دليل على الإيمان بالفكرة ، ومتى وجد المبدأ ، ورسخت العقيدة ، وتوافر الإخلاص ، استطاع الإنسان أن يصل إلى هدفه المنشود .

سليمان القضيبي : العمال مهملون فى الكويت .

الأستاذ عبد الله : يجب أن نكون جماعة من الأحرار للنظر فى حقوقهم .

على العمر : العامل الأجنبي فى الكويت يزاحم العامل الكويتى .

راشد الراشد : المشرفون على العمال أثناء العمل أجانب ، لهذا نرى كثيراً من العمال الكويتيين يطردون من العمل دون أن يدافع عنهم أحد .

الأستاذ عبد الله : مع الأسف الشديد أن كثيراً من شخصيات الكويت هم الذين يتوسطون للعمال الأجانب ، دون التأكد من حسن سلوكهم وأخلاقهم . وهنا يجب أن ننتقل إلى موضوع آخر ، وأرى أن نتحدث قليلا عن الرياضة .

محمد مدوه : تأسست الرياضة فى الكويت عن طريق خاطىء غير منظم .

مرزوق : لاحظت فى مصر أن المدرب يعامل اللاعب كأحد أبنائه ، واللاعب يتقبل كلام المدرب بكل رحابة صدر ؛ لهذا يجب أن نرسل أكبر عدد ممكن من البعثات الكويتية لدراسة فنون الرياضة وقوانينها .

الأستاذ عبد الله : يجب عليكم أن تبدوا هذه الفكرة للمسئولين ، وتطالبوا بتنفيذها ، وتعملوا على إرسال بعثات إلى الخارج للاطلاع والاستفادة .

محمد الحمد : الاتحاد الرياضى فى الكويت ضعيف ، ولا سيما فى النوادى ، لدرجة أن اللاعب يترك ناديه وينتسب إلى ناد آخر بدون مبرر .

على العمر : يجب أن نوجد موسماً خاصاً للاستقالات والانتسابات .

الأستاذ عبد الله : آمل أن تعملوا بجد على تطبيق كل ما رأيتموه فى مصر من أنظمة وقوانين صالحة مفيدة ، وأن تتاح لكم زيارات أخرى لجميع أنحاء الوطن العربى ، كما أرجو أن تستغلوا هذه الزيارة للاطلاع على كل ما من شأنه رفع مستوى الرياضة فى الكويت .

القضيبي : لا توجد لدينا أنظمة للحكام .

علي العمر : يجب تدريب أناس للقيام بمهمة التحكيم .

الأستاذ عبد الله : إن شاء الله يُسد هذا النقص بجهودكم المخلصة ، وسنرى النتائج الحسنة لزيارتكم هذه .

علي ناصر : يجب إيفاد بعثات أهلية إلى الخارج أيضاً لا حكومية فقط .

علي العمر : نعم ، كأن تقوم هذه البعثات بزيارة كزيارة النادى الأهلى هذا الصيف للعراق . والواقع أنها كانت زيارة مشرفة ، ونأمل من النوادى الأخرى القيام بمثل هذه الزيارة .

محمدمدوه : يجب تحديد عددالنوادى ليستطيع المسئولون فيها إدارتها بدقة ونظام .

راشد الراشد : ويجب أيضاً أن نوجد وسيلة للدعاية عن الكويت .

الأستاذ عبد الله : لقد قمنا بأول خطوة فى هذا الموضوع فى عدد (البعثة) الخاص بالشقيقة البحرين ، ونفكر أيضاً فى إصدار أعداد خاصة من (البعثة) بالأقطار الشقيقة ، إذا ما توافرت لدينا الأسباب ، ولا شك أن زيارتكم لمصر تعتبر دعاية للكويت ، كذلك زيارة رئيس المعارف لمصر كانت خير دعاية للكويت .

راشد الراشد : من أهم وسائل الدعاية إرسال البعثات ، وتبادل الزيارات بين أبناء الأمة العربية .

الأستاذ عبد الله :

لا تقل قد ذهبت أربابه   كل من سار على الدرب وصل

والآن نحب أن نتحدث عن بعض مالفت أنظاركم .

عبد اللطيف الياقوت : مما لفت نظرنا انتظام المواصلات وتوافرها .

خالد المنيسى : لو وجدت مواصلات منتظمة فى الكويت لانحلت أزمة المساكن ، أو لخفت على الأقل .

الأستاذ عبدالله : لو تقدمت لهذا المشروع شركات أهلية جادة لانفرجت الأزمة حتماً .

علي العمر : الدول تتقدم فى مختلف النواحى العامة كل سنة ، والملاحظ فى الكويت أن نظام المرور يتدهور سنة بعد أخرى .

الأستاذ عبد الله : المسئولية تقع على عاتق المشرفين على سير حركة المرور طبعاً .

علي العمر : إن الكويت صغيرة ، وباستطاعتنا أن نطبق أحدث النظم العالمية في بلادنا .

مرزوق : كذلك يجب تنظيم الكهرباء ، وتوزيع الأسلاك بانتظام ، بحيث لا تكون خطراً على المارة فى الشوارع العامة بالكويت .

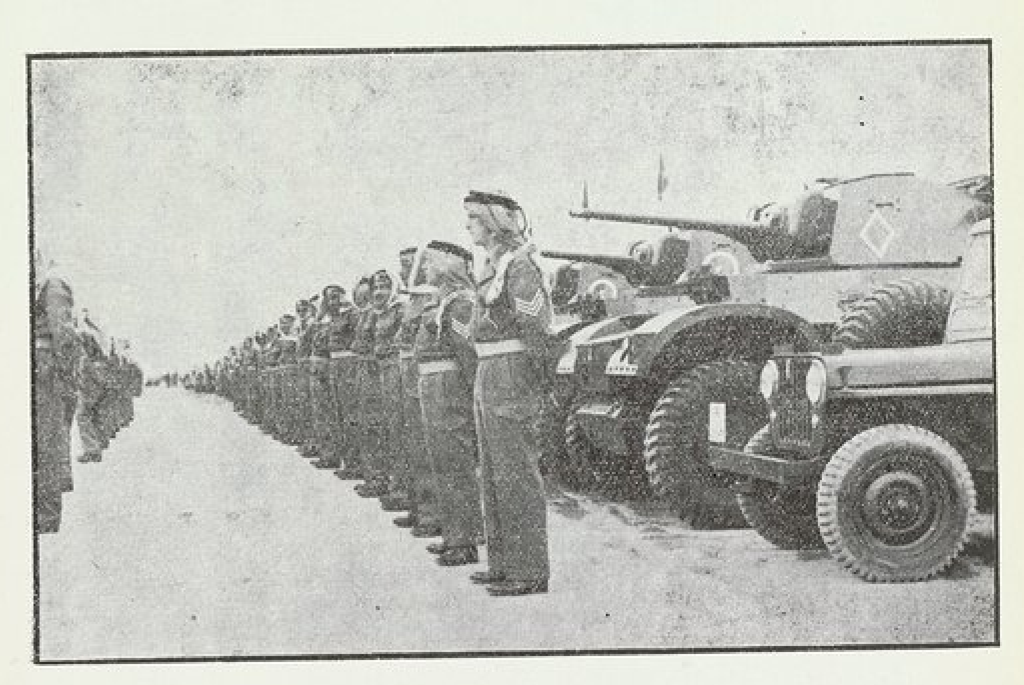
على العمر : يجب أن تساهم الحكومة فى ذلك .

محمد مدوه : ولقد لفت نظرنا توافر دور السينما العامة والمسارح ، فالثقافة ليست مقصورة على المدارس ، بل هناك وسائل تساعد على ذلك ، منها السينما والمسرح .

الأستاذ عبد الله : نعم ، ولقد قال الدكتور طه حسين : خير للحكومة أن تقفل مدرسة من مدارسها ، ولا تقفل مسرحا كمسرح الريحانى رحمه الله .

أرجو أن يتكرر الاجتماع بكم مرات كثيرة ، والواقع أن هذه الندوة هى أول ندوة نقيمها منذ أن وليت الإشراف على (البعثة) ، وإنى لشاكر لكم تلبية الدعوة .

الجميع : يشكرون على إتاحة الفرصة لهم لإبداء آرائهم .



جانب من قوة الكويت العسكرية

شعراء الكويت

الشعر مرآة الشعور ، وهو مظهر أصيل من مظاهر الحياة الأدبية فى المجتمع ، وإذا كان فى الكويت أدباء مثقفون يغذون الأندية من حين لحين بكلماتهم ، ويعمرون الصحف من حين لحين ببحوثهم ، أمثال الأساتذة السادة أحمد البشر ومحمد الملا حسين ويوسف السيد هاشم ويعقوب يوسف الحمد وعبد الله أحمد حسين وفاضل خلف ومحمد رجيب وفهد الدويرى وخالد العدسانى وعبد العزيز الغربلى وعبد الرازق البصير وعبد الحميد الصانع وأحمد الخطيب وعبد الصمد التركى ؛ وإذا كان فيها من شعراء النبط الشعبيين من يتجاوب مع الأمة فى مشاعرها مثل فهد أبو رسلى وزيد الحرب ، وإذا كان فيها أديبات ناهضات مثل غنيمة المرزوق وفاطمة يوسف الغانم وبدرية مساعد وهيفاء هاشم ؛ إذا كان فيها أمثال هؤلاء ، ففيها أيضاً نخبة من الشعراء الذين يصوِّرون بشعرهم جوانب متعددة من نهضة بلادهم الأدبية والاجتماعية ، وسنتحدث فيما يلى عن طائفة من هؤلاء الشعراء حديثاً أُريدَ به العرض والتاريخ ، أكثر مما أريد به التحليل أو الحكم ، وسنورد لكل شاعر منهم نماذجَ من شعره تعطى فكرة عن منهجه وطريقته ، ولم نلتزم بين الشعراء ترتيباً نقدم به ونؤخر ، وإنما هو مجرد التتابع فى الحديث ؛ وبعض هذه الفصول عن شعراء الكويت قد أذاعها المؤلف من محطة الإذاعة اللاسلكية بالكويت ، خلال العام الدراسى الماضى (فى شهر مايو سنة ١٩٥٣) :

الشاعر أحمد العدوانى (١)

الشاعر أحمد مشارى العدوانى هو المدرس بالمدرسة القبلية للبنين بمدينة الكويت ، وقد ولد سنة ١٩٢٢ م فى الجهة القبلية (أو حى القبلة) من مدينة الكويت ، فى حى تسكنه كبريات العائلات ، وفى مكان قريب من الخليج ، وفى وسط أسرة كبيرة كثيرة الأفراد ، وقد أصيب الشاعر فى صغره بأمراض متعددة ، أهمها مرض عينيه الذى استمر مدة طويلة ؛ وبدأ تعليمه أولاً فى (كُتَّاب) بالمدينة ، يديره حينذاك الشيخ عبد العزيز حمادة ، فقرأ فى المكتب القرآن الكريم سرداً وتلاوة ، ثم انتقل إلى المدرسة التحضيرية التى تهيئ للمدرسة الأحمدية ، ثم دخل المدرسة الأحمدية ، وكانت على الطراز القديم قبل تنظيم دائرة المعارف .

ثم ترك الشاعر المدرسة الأحمدية إلى (الكُتَّاب) مرة أخرى ، وكان شيخ (الكُتَّاب) هذه المرة هو الشيخ أحمد خميس ، ثم حدث أثناء ذلك أن استقدمت الكويت بعثة مدرسين من فلسطين ، فعاد الشاعر إلى الصف الخامس فى المدرسة الأحمدية ، وهو الذى يعادل الآن السنة الثالثة الابتدائية ، وأتم الشاعر الدراسة الابتدائية ، وانتقل إلى السنة الأولى الثانوية بالمدرسة المباركية سنة ١٩٣٨ م .

ويتذكر الشاعر من أساتذته فى المباركية الشيخ عبد المحسن أبو بطين . . . يتذكره جيداً فله معه قصة . . . طلب الشيخ من طلابه أن يعدوا كلمات لاحتفال المولد النبوى ، وطلب من العدوانى أن يحفظ قصيدة البوصيرى (بانت سعاد) لينشدها فى الاحتفال ، ولم يحفظ العدوانى قصيدة البوصيرى ، بل أعد للاحتفال قصيدة من نظمه ، وعرضها على الشيخ المدرس أمام زملائه ، فقرأها الشيخ ممتعضا ، والطالب ينتظر مصيره من فم أستاذه ، فلما انتهى من مطالعتها طواها عدة طيات ، ووضعها فى جيب العدوانى ، وقال له فى لهجة الآمر المتهكم المهدِّد : « فى الحفلة تنشد (بانت سعاد) ، وأما قصيدتك هذه فتنشدها على أبيك وأمك إذا رجعت إليهما » ! ! . . .

وكان ذلك ذَنوباً من ماء صُبَّ على الشاعر الناشىء المتحمس ، فخجل واستحيا ، وظل يذكر ذلك الموقف ولا ينساه ! ! . . .

---

(١) أذيع هذا الحديث من محطة الإذاعة بالكويت ، مساء الأربعاء ١٣ مايو سنة ١٩٥٣ م .

وفى منتصف سنة ١٩٣٩ سافر الشاعر فى بعثة للدراسة فى الأزهر الشريف بمصر ، وبدأ حسب المتبع حينذاك بالدراسة فى القسم العام ، ثم انتسب إلى كلية اللغة العربية — حرسها الله معقلا للغة القرآن وأدب العرب — ومكث بها ثلاث سنوات ، ونظم الشاعر بعدئذ مسرحية هزلية اجتماعية عنوانها : (مهزلة فى مهزلة) وشاركه الأستاذ حمد رجيب بوضع فكرة هذه المسرحية .

ثم حصل الشاعر على الشهادة الأهلية من الأزهر الشريف ، ورجع إلى الكويت سنة ١٩٤٩ ، واشتغل عقب عودته مدرساً فى المدرسة القبلية للبنين ؛ وأصدر مع زميله الأستاذ حمد رجيب سنة (١٩٥١) مجلة (البعث) التى كانت تطبع فى بيروت ، وكانت مجلة شهرية ، وقد طُبع أول عدد من هذه المجلة فى الكويت ، ثم صدر منها بعد العدد الأول عددان طُبعا فى بيروت ، ثم تكبد الزميلان خسارة مادية أدت بهما إلى التوقف عن إصدارها ؛ وكان هدفهما فى هذه المجلة أدبياً اجتماعياً ، واستقبلها أهل الكويت استقبالا حميداً عند صدورها .

ثم اشترك الشاعر مع زميليه الأستاذين فهد الدويرى وحمد رجيب فى إصدار مجلة (الرائد) الشهرية ، التى لا تزال تصدر حتى الآن بانتظام وحسن جمع بين الوطنية الكويتية ، والقومية العربية ، والنزعة الإنسانية[1] .

وقد أثر فى الشاعر من الشعراء الماضين — كما يقول — : ابن الرومى والمعرى والمتنبى والشريف الرضى وأبو تمام . ومن الشعراء المعاصرين : خليل مطران وإيليا أبو ماضى وعلى محمود طه وإلياس أبو شبكة . كما أثر فيه من الكتاب الماضين : الجاحظ . ومن المعاصرين : جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وعباس محمود العقاد وأحمد حسن الزيات . وأحبُّ شاعر فى الكويت إليه هوعبد المحسن الرشيد .

وقد دفع الشاعرَ إلى قول الشعر والدُه ، لأن والده كان يحفظ شعراً كثيراً ويترنم به ، ومن هنا بدأ الشاعر يقول الشعر وهو فى سن الثانية عشرة من عمره ، ومن أوائل شعره قصيدة كانت فى الهجاء ، وقد فُقِدت هذه القصيدة والحمد لله . ولا يذكر منها الشاعر إلا أبياتاً فى مطلعها ، هى :

لقد ذهب الصبا إلا أقلَّه ... ولم تُطفأ لنار الشوق غُله

---

(١) عنينا بتفاصيل فى حياة الشعراء نعتقد أنها أيضا تفاصيل لجوانب من المجتمع الكويتى .

وأحلامى كما كانت قديماً　　خيالات على نفسى مُطله
ولم أر فى طعام أو شراب　　ولا فى ملبس إلا تعلّه

وأبياتاً منها هى :

ومن متكبر وبه اتضاع　　أدلَّ بنفسه فاختان أصلَه
له نسب الرغام إذا المعالى　　من الأنساب نيطت بالأهله
يقبل نعل من يعتو عليه　　ويطلب أن تجل الناس نعله !
وأحقر منه قوم آزروه　　وأعلَوْا فى مجالسهم محله

ويعتقد الشاعر أن أجمل قصائده قصيدة (بين الطيف والصدى) ، وقصيدة (عبرات قلب) فى رثاء والده ، وقصيدة (رعاء الشاء) . وللشاعر حتى الآن نحو ألفى بيت من الشعر ، صاغها خلال سنوات ، ولذلك نراه متوسطاً فى الإنتاج الشعرى ؛ وقد نشر جانباً من قصائده فى مجلات السياسة الأسبوعية ، والأديب ، والوحدة العربية ، والبعثة ، والرائد . .

وتتبدى على الشاعر فى أغلب أحيانه سمات من الشجى ، لعلها مربوطة الأواصر بمأساة عاطفية مطوية ، ويقضى الشاعر وقته فى بيته ومدرسته ونادى المعلمين ، ولا يُرى خارج هذه الأماكن الثلاثة إلا نادراً . .

وتلمح فى شعر الشاعر بسهولة أنه صورة للتعبير عن نفسه ، وحصاد مكشوف أو مستور لما يعتمل فى صدره من ثورات مكبوتة توقدها الحياة أو الأحياء ، وكأن الشاعر يحس بعد نظمه القصيدة بزوال كابوس ثقيل كان يجسم على صدره ويرهق أنفاسه ؛ ويشيع فى بعض قصائده التعريض الملتوى الذى يحتال الشاعر فى زخرفته وتحويره ، حتى لا يجرح به جراحاً ظاهرة ، أو حتى لا يجر به إلى حماه متاعب غامرة ، ولعل هذا هو السر فى التجاء الشاعر إلى نظم القصة الرمزية التى تدور حول (الشاء) مرة ، وحول (رأس الحمار) مرة ثانيـة ، وحول (الضبع وبقايا الجيفة) مرة ثالثة ، وهكذا . . .

ويلوح أن الشاعر كثير التأثر والتشبه بإيليا أبى ماضى ، حتى إن بعض قصائده تذكرك بقصائد قرأتها فى (الجداول) أو (الخمائل) أو غيرهما من شعر أبى ماضى ؛ والشاعر كثير السخرية فى شعره ، ولا أدرى أذاك حسنة أم عيب ، وكذلك تتبدى

روح التشاؤم فى شعره ، وخصوصاً إذا ضاق الشاعر برغابه ، أو وقفت الحوائل دون طِلابه . .

والشاعر تهمه الفكرة أكثر من الصورة ، والهدف أكثر من الصدف ، ووحدة القصيدة أكثر من روعة الأبيات المستقلة ، وقد ثار بينه وبين زملائه حوار على صفحات (البعثة) حول هذا الموضوع ، وقد نتج عن اهتمام الشاعر بالفكرة ووحدة القصيدة أن طغت المعانى عنده على حدود الألفاظ ، أو بتعبير آخر عجز عن إيجاد ما يلائم من الألفاظ لما يفيض فى صدره من المعانى ؛ ولذلك لا نراه يخضع دائما للأوضاع اللغوية ...

***

ها هو ذا الشاعر ينظم قصيدة بعنوان : (البحيرة الخالدة) — نشرتها مجلة البعثة فى عدد مايو سنة ١٩٤٨ م — وهى قصيدة فيها روح فلسفية ، تدل على شاعر يقرأ ويهضم ، وينظر ويفكر ، ثم يصوغ وينظم ، وقد يكون فيها شىء من التشاؤم ، ولكن فيها أيضاً شيئا من المتعة ، وفيها يقول :

فياهول ما زخرف الكاذبو … ن ، وحسبك أفعالهم شاهده
ولو سايروا بعض ما يهرجوا … إذن ألجموا الهمم الواقده
وأموا المقابر ، واستوطنوا … عليها مع الجثث الهامده !

وهذه قطعة أخرى — نشرتها البعثة فى عدد أكتوبر سنة ١٩٥١ م — وهى بعنوان (سراب) ، وفيها يشيع اليأس والتشاؤم وضعف الاستجابة للحياة والضيق بها ، فيقول فى آخرها :

مرت الأيام تترى … وقُوانا باستلاب
لم نجد إلا عناء … وشقاء فى الطلاب
أين أحلام العذارى ؟ … أين آمال الشباب ؟
أجهز اليأسُ عليها … فطواها فى التراب
إن من ظَنَّ سحابا … لم يكن غير سراب !

وقد جاوبه فى نفس العدد أخوه الشاعر الفاضل الأستاذ عبد الله زكريا الأنصارى بقصيدة نشرت بجوارها ، وفيها يقول :

ما لنـــا فى أمرنا أبدا غير ما يأتى به الزمنُ
نغتـدى والموت يطلبنا كلنا بالمــوت مرتهنُ
ليس يجدى النائحات إذا شُقَّ فى يومى لى الـكفن
فادَّرع بالصــبر محتسبا « إن دهاك الهم والحزنُ »
« وادفن الآلام فى كبد ما لهـا سر ولا علن » !

أترى أخا الشاعر نصحه ، أم زاده شجنا على شجن ؟!...

وللشاعر قصيدة نشرتها البعثة — فى عدد نوفمبر سنة ١٩٤٨ م — وهى بعنوان (همسات) وكأنها لون من التكفير عن كآبة الشاعر ، ونظرته السوداء إلى الحياة أحياناً ، إذ فيها تحبيب فى الحياة ، وتحريض على انتهاب خيراتها وثمراتها ، ونصح بقوة الإقبال عليها والشعور بها ، فيقول منها :

قالت الدنيا لأهليهـــا مقـــال الناصحينا :
جهـــل الحكمة قوم تخذوا الأحزان دينا
عرف القصــــد أناس تخـــذوا الأفراح فنَّا
كلما أجـــدب مغنىً لهمُ حلوا بمغنى
وإذا ضـــاقت بهم دا ر مضَوْا عنهـا لدار
وهبوا أنفســهم للأنـ ـس ، حتى فى القفار
كلُّ ما جدد فى النفـ ـس شـــعوراً بالوجود
وأراهـا صـــوراً تفـ ـصح عن حسٍّ جديد
فاجعليه هدف المســ ـعى ، وعنوان السـعادهْ
ولتــكن منك استجابا ت إليــــه وعبــاده

والمقصود هنا طبعاً — يا شاعر — هو عبادة رب الوجود . أليس كذلك ؟ .

ولـكننا نطالع الشاعر فى مقطوعته (غنوة) التى نشرتها البعثة فى عدد ينـاير سنة ١٩٤٨ م ؛ فإذا روح عمرية خيامية ، تدعو إلى (المتعة) على طول الطريق ، ونحن نفهم فرقا بين الاستجابة للحياة والمتعة المطلقة ، فالأولى تأثر وتأثير ، مع عقل وتدبير ، والثانية انطلاق من القيود ، وانعتاق من الحدود . . . يقول الشاعر فيما يقول :

تمتع قبل أن تطفىء ريحُ الموت مشمالك
تمتع قبل أن يغمر ظل الشيب آمالك
فلا تبقى سوى الحسرة والعبرة ، والدمعهْ
تمتع أيها الطائر ما دامت لك المتعه !

حذار أيها الطائر . . تنقل بحذر وبمقدار ، فليست الأفنان كلها لك بدار ، ونحن نخشى عليك إصابة (الحمى) أو تكرر العثار !...

وتتجلى سخرية الشاعر فى قصيدته (أمجادالورى) التى نشرتها البعثة — فى عدد فبراير سنة ١٩٤٨ م — والتى يقول فيها :

قالت : جليل القدر ، لو شاهدته ... شاهدت تمثال الجلالة نيرا
ملأ القلوبَ سناؤه وبهاؤه ... وغدت لهيبته الوجوه تحذرا
فأجبتها : أيكون أهيب طلعة ... وأجلَّ من طود تناطحه الذرى ؟
إن كنت أكبرت الجلالة وحدها ... فالطود أولى أن يكون المكبرا

* * *

قالت : هو الإنسان يعبد نفسه ... فأجبت : ما أحراه أن يتحررا
قالت : عليك إذن إثارة عزمه ... فأجبتها : وعليك أن يتبصرا
قالت : وهل لى أن أنير ضميره ... حتى يرى فى دهره مالا يرى ؟
فأجبت : تلك قضية لا تنتهى ... دار الكلام بها ، وعاد مكررا
قالت : إذن خلِّ الورى وشئونهم ... واربأ بنفسك أن تكون مثرثرا
ياصاح ، لو غربلت أمجاد الورى ... ألفيت أكثرها حديثاً يفترى
إن كنت أكبرت الحقيقة وحدها ... فالآل أولى أن يكون المكبرا

هذا شعر شاعر ، مع أن هذه القصيدة تذكرنى بقصيدة (الطين أو السلطان والشاعر) لإيليا أبى ماضى ، وهى فى ديوانه (الجداول) فارجع إليها إن شئت . .

وفى قطعة الشاعر (نصيحة) التى نشرتها البعثة فى عدد ديسمبر سنة ١٩٤٧ م يسخر الشاعر أيضاً سخرية لاذعة ونافعة فى تصوير النفاق الأثيم اللئيم ، والموازين الكاذبة المختلة بين الناس ، فيقول فيما يقول :

وقــل للفأر : يا نمر وقــل للفيل : يا نمــله
وكن إمعةَ القوم إذا أشكلت العــله
تجد حولك من يهـ ـتف فى أفضالك الجزله
ومن يخلع نعليــك ومن يلبسك الحــله
وأنت البــدر فى النادى وأنت الشمس فى الحفله !

ويتزوج الأستاذ عبد العزيز حسين مدير المعارف سنة ١٩٤٨ م — وكان يومئذ فى مصر يشرف على بيت الـكويت — ويحييه الشاعر بقصيدة باسمة مرحة ، تنسينا قليلا حزنه وشجنه ، ويحض فيها على الزواج بطريقته فيقول :

عبَّ كأسَ الزواج خيرُ الصحاب فعزاء يا معشــــر العــزاب
حال عن ندوة العزوبة قطب كان فيها من أبرز الأقطــاب
أيها العازبون ، قد وضح الصبح وكان الزواج عين الصواب
اعمروا الأرض بالزواج ، وإلا فعليــكم معرة الإجــداب !

***

وفى سنة ١٩٥١ م يصاب الشاعر بنـكبة تهز كيانه ، وتجرح جنانه ، وتفجر بيانه ، وتجرى بنانه ، فإذا شعر أسيف حزين وجيع . . . لقد مات والد الشاعر . . . والده الذى ربَّاه وأدبه ودفعه إلى قول الشعر . . . والده صاحب الفضل الأول والأخير عليه ... وقد استقبل الشاعر المصابَ بذهول ودهشة ، وكان ذلك خيراً لدولة الشعر ، إذ لم يستنفد الشاعر مشاعره فى بكاء وعويل ، بل صاغها فى قصيد طويل ، فأنشأ قصيدته (عبرات قلب) التى تهز العواطف والمشاعر بفـكرتها وعبرتها ، وفيها يقول :

قدرٌ يُصيب ولا يعيب آمنت بالقدر المصيب
شرع المنيــة كلها منه على وِرد قريب
قد نستريب من الحيا ة ، وبالردى لا نستريب
ونطب أدواء الوجو د ، وأين للعدم الطبيب ؟
شلت يد الآسى ، وحار بكنهه عقل الأريب

في هذه الدنيا نعيش   كأننا بعض الذنوب
أبدا تطـاردنا غوا   ئلها على كل الدروب
وتظل تعبث في أما   نينا العِذاب بلا حسيب
سيان من لبس الشبا   ب، ومن تسربل بالمشيب
حتى نغيَّب في الثرى   والهول في ذاك المغيب

وبعد قليل يصف أباه فيقول :

أين الطلاقة ، والبشا   شة للقريب وللجنيب ؟
أين المروءة والنـدى   أين النجيب ابن النجيب ؟
أين الضمير العفُّ عزَّ   بأن يحاكيه ضريب ؟
أَوَ كل هاتيك الصفا   ت حبيسة القبر الجديب ؟

والقصيدة طويلة النفَس على غير عادة الشاعر ، وهى باكية مشجية ، ويعجبنى ختامها حين يخاطب أباه قائلا :

نم في ثرى (الفنطا   س) قد جاورت علام الغيوب
وتركت بعدك سيرة   صفحاتهـا زهر وطيب
قد كنتَ نوراً للعيون   فصرت نوراً للقـلوب

إيه أيها الشاعر . . . أحسنت التقسيم والتصوير في قولك :

قد كنتَ نوراً للعيون   فصرت نوراً للقـلوب !

ويظهر أن انطواء الشاعر ، وعزلته عن الناس ، وحزنه المطوى فى صدره ، ومأساته التى يطوى أطرافها بالصمت البليغ ، يظهر أن هذا كله جعله يجيد الرثاء ويطيل فيه ، وكأنه يضمنه بعض ما يضيق به صدره ، ولذلك نراه مؤثرا فى رثائه للمرحوم عبد الوهاب حسين فقيد شباب الكويت ، وضجيع ثرى مصر الخالدة ، فيقول عنه فيما يقول :

أين ذاك الطروب ، والفكه المراح ، يضفى على المجالس بشره ؟
باسما للحيـاة مذ كان ، وعبء الهموم ينهك صـدره ؟
وعميق الإحساس ، لم يخطىء الغاية يوماً بنظرة أو بخطره

لم يخنه فكر على مشكل غَمٍّ ، ولم تغلب الهزاهز صبره !
ذاك عبد الوهاب ، ما أعظم المعنى ، طوته من جانب الأرض حُفره !

* * *

يا رفيقاً فقدته ، ونصيرا كنت أرجو على النوائب نصره
كلما مر خاطرى بليالٍ جمعتنا بها على النيل سهره
وتراءيت لى وضىء المحيا مرحا تنشد المغانى سحره
عصفت بى الذكرى وهز كيانى شجن ما حملت قبلك وقره
وكأن الردى علىَّ غريب لم أشاهده مرة إثر مره

* * *

إيه يامصر ، قد حوى تربُك الطاهر من باركتْ ربوعُك طهره
فاحفظيه ، فإنه كوكب المجد لقوم بهم إلى المجد سوره
عقدوا حوله الأمانى ، وباتوا يترجون بالمشارق فجره
فإذا الموت دون ما قدروه ، يتصدى لهم بأفجع غدره
غال من علقوا عليه الأمانى ، وتحداهمُ فأبعد قبره
فاحفظيه يا مصر ، إنك أم الخلد ، قد قدست رحابك سره
احفظيه ذكرى شباب شهيد ؛ كان فى مطلع المكارم غره !

* * *

وتستقبل الكويت الناهضة عهداً جديداً تظهر فيه سمات الشورى ، ويشترك الشعب فى حكم نفسه ، ويرى الشاعر هذا حدثا مباركا جليلا ، فيحييه بقصيدة وطنية ، احتشدت فيها آمال المجموع ، وظهرت رغبة الشاعر فى الإصلاح والنهوض ، ولنقطف منها هذه الأبيات :

تلكم منازلكم ، وأنتم أهلها وعليكمُ عقد الأمور وحلُّها
أولتكم الثقةَ البلادُ ، ومثلكم من يصطفيه لدى المفاخر مثلها
وتباشرت بقدومكم ، وتباركت بخطاكمُ بين المرابع سبلها
وتهلل الشعب الوفى ، فكله فرح وأحلام تشابك غزلها
فتحسسوا آماله ، وتجسسوا آلامه ، لا كان منكم جهلها

أنتم علـى أقداره ، وعليكم   شهدت ملائـكة السماء ورسلها
فتجنبوا سبل الشقاق ، فإنهـا   مثل المشانق ما تعطَّف حبلها
وارعوا بلادكمُ ، فإن ديونها   مما يشق على الأكارم مطلها
إن الـكويت لأهلها ، وهم لها   قامت مآثرهم عليهم كلُّهـا
ورجالها مثل البدور ، فأيهم   تبعته سـار إلى النجاة يدلها
حامى الإمارة ، لاعدمنا حكمه   سحت عوارفه ، وأهضب وبلها
ظفرت على يده البلاد بمنحة   صك الشعوب إلى المعالى نيلها
فالعدل قاض ، والحقوق عزيزة   ومجالس الشورى أتاها أهلها
والشعب حر ، كللته حكومة   شعبية ، يسع المواطنَ عدلها !

* * *

ثم ننتقل إلى الملاحظات التى نلاحظها على الشاعر . . .

يؤخذ على الشاعر أولا أنه لاينشد شعره ، بل يكتفى بنشره ، مع أن إلقاء الشعر من الشاعر فى مناسبته يلقى عليه ظلا خاصاً من تأثر الشاعر وتأثيره .

ويؤخذ على الشاعر عزلته ، وخاصة فى ميدان الشعر ، فهو لا يختلط بزملائه ، ولا يحضر الأحفال ، ولا يشارك فيها ، وقد يساء تفسير هذه العزلة عند الـكثير .

والشاعر يعيش فى مجتمع عربى إسلامى ، ولـكن قراءه لا يرون شعره فى العروبة والإسلام .

والشاعر يناقض نفسه فى قصيدته (همسات) ، فبينما هو يدعونا كما سبق إلى الأغانى وتعمير المغانى والاستجابة للحياة ، والابتسام لها ابتسام الزهر ، والفرح الواسع الشامل ، إذ به يعود فيتنـكر لصدق الحياة وحقيقتها ، فيقول :

غير أنى لا أرى فيما   جرى حولى ويجرى
غير أطياف ستمضى   قبل أن أفقد صبرى

وفى مطلع قطعته (نصيحة) يصور اختلال الأوضاع فى بيئته ، فيقول :

إذا غنيتَ للحب   فيا للجهل والغفـله
وإن غنيت للمجد   فـا أحراك بالقتله

والبيتان يجب — ليصدقا فى تصوير البيئة — أن يحدث فيهما تقديم وتأخير ، فيكونان هكذا :

إذا غنيت للمجـــد فيا للجهل والغفله
وإن غنيت للحب فما أحراك بالقتله

ويقول الشاعر فى رثاء والده :

أين الضمير العف عزَّ بأن يحاكيه ضريب ؟

والمعتاد هنا فى اللغة (عزَّ على كذا) لا (عز بكذا) ، وليته قال :

أين الضمير العف عزَّ ، فلا يحاكيه ضريب ؟

ويقول فى القصيدة نفسها :

لم تشك ، لم تبد العياء تأبيا عما يعيب

واللغة تقول : تأبى عليه ، لا تأبى عنه . جاء فى لسان العرب : « ويقال تأبى عليه تأبيا إذا امتنع عليه ، ورجل أبَّاء إذا أبى أن يضام » . ولو قال الشاعر :

لم تشك ، لم تبد العياء ، تنائيا عما يعيب

لسلم من محظور الاستعمال ! ...

ويقول الشاعر فى قطعة (سراب) :

حدثونا عن سحاب غدق زاكى العباب

والسحاب جمع سحابة فهى مؤنثة ، وفى التنزيل المجيد : « وينشىء السحاب الثقال » . وفى لسان العرب : « والسحابة الغيم ، والسحابة التى يكون عنها المطر ، سميت بذلك لانسحابها فى الهواء ، والجمع سحائب وسحاب وسحب ، وخليق أن يكون سحب جمع سحاب الذى هو جمع سحابة ، فيكون جمع جمع » .

ويقول الشاعر فى القصيدة نفسها :

إن من ظُنَّ سحاباً لم يكن غير سراب

و (من) للعاقل عادة ، و (ما) لغير العاقل ، فليته قال : « إن ما ظن سحابا ... » .

قد يقال إن الشاعر هنا قصد شخصاً أحسن به الظن ثم خاب ظنه فيه . . . فليكن الأمر كذلك ، فإن «ما» أيضاً هنا مستحسنة ، لاستكمال صورة السراب الذى

ظنه الشاعر سحابا أول الأمر ، وأظن أن إطلاق «ما» وهى لغير العاقل على الشخص المذموم المخيِّب للظن هنا أبلغ .وفى القصيدة نفسها يقول الشاعر :

أو كل هاتيك الصفات حبيسة القبر الجديب ؟

وهذا يذكرنا بقول العقاد فى رثاء (مَىّ) :

كل هذا فى التراب   آه من هذا التراب !

الشاعر عبد المحسن محمد الرشيد[1]

الشاعر عبد المحسن محمد الرشيد هو المدرس فى المدرسة القبلية للبنين ، وقد ولد سنة ١٣٤٦ ﻫ الموافقة سنة ١٩٢٧ م فى مدينة الكويت ، بمحلة البدر من الجهة القبلية ، فى أسرة كبيرة العدد ، وكان والده يشتغل بالتجارة ؛ وقد بدأ الشاعر تعلمه فى (كُتَّاب) الملا الشيخ أحمد خميس ، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة ، ثم قرأ القرآن الكريم سرداً وتلاوة فى (كتاب) الملا عبد العزيز العنجرى . ثم دخل المدرسة القبلية وهو فى نحو الثانية عشرة من عمره ، ومكث بها سنتين ، ثم انتقل إلى المدرسة المباركية ، حيث مكث بها ثلاث سنوات .

ثم اشتغل الشاعر معلماً فى المدرسة الأحمدية التابعة لدائرة المعارف سنة ١٩٤٣ م ، ومكث بها ثلاث سنوات ونصف سنة ، ثم استقال بعد ذلك من وظيفة التعليم ، لنزاع بينه وبين ناظر المدرسة ، وإن كان الشاعر فى كتاب استقالته قد عللها بأسباب صحية .

وظل بعد ذلك مدة يشتغل فى شئون تجارية ، ينتقل بسببها بين إيران والكويت ، ثم عاد سنة ١٩٤٩ إلى التدريس فى المدرسة القبلية .

وهو يحسن اللغة الفارسية ، إذ قضى سنتين فى تعلمها ، وتفهم شعرها وأدبها ، وأذاع بعض المحاضرات عن عمر الخيام فى إذاعة الكويت ، وقد دفعه إلى تعلم الفارسية سفره إلى إيران ، حيث أحب الأدب الفارسى ، والأدبُ عند الشاعر لا قومية له ولا وطن ، وهو شغوف بمعرفة الصلات بين الأدبين العربى والفارسى ، وخصوصاً

---

(١) أذيع هذا الحديث من محطة الإذاعة بالكويت ، مساء الأربعاء ٢٠ مايو سنة ١٩٥٣ .

فى زمن العباسيين ، ليعرف بذلك المنبع الذى تدفق فى الأدب ، وخاصة فى شعر أبى نواس وبشار وأدب ابن المقفع وغيره .

وقد آثر الشاعر تعلم اللغة العربية وتعليمها لأنه — كما يقول — كان متفوقا فيها أثناء الدراسة ، وحافظ على هذا التفوق مدة طويلة ، ونال الجائزة الأولى فى اللغة العربية من دائرة المعارف ، وقدرها مائة روبية ، وكان هذا مبلغاً ضخماً فى سنة ١٩٤٣ م [١] .

والكتب التى أثرت فى الشاعر هى ديوان المتنبى وديوان ابن زيدون ، وهو يحب من شعراء العصر الحديث الرصافى وحافظ إبراهيم وبدوى الجبل ، وهذا الأخير له تأثير خاص فى حياة الشاعر الأدبية ، إذ قرأ دواوينه وتأثر بها كثيراً . ويعجبه المتنبى فى حِكمه والبحترى فى وصفه ، ولا يستطيع أن يعجب بشاعر فى كل النواحى .

وفى رأيه أن الشعر فى الكويت كان قبل فهد العسكر تقليدا صرفا للقدماء ، ثم جاء فهد فمثل دور الانتقال بما فيه من اضطراب ، ثم جاء الشاعر أحمد العدوانى فجدد وابتكر .

والشاعر يشكو مر الشكوى من إهمال قومه للشعراء ، فهم لا يعنون بهم ولا يشجعونهم ، ولو وجد شعراء الكويت — ولا سيما الشباب منهم — التشجيع من قومهم والإقبال عليهم ، لأنتجوا أضعاف ما ينتجون ، وأحسنوا وبرعوا ، وفى رأيه أن التشجيع هنا يكون باحترام الشاعر وتقديره ، إذ من المؤسف حقاً أنك لا تجد الكويتى يحفظ شعر شاعر كويتى ، بينما يفخر بحفظه شعر شعراء غير كويتيين .

وفى حياة الشاعر الشاب جوانب عاطفية قد يكون لها أثرها فى نفسه وشعره ، وهو الآن متزوج ، وله ابن يسمى (ماهر) ، وبعض إخوانه لهذا ينادونه بقولهم (يا أبا ماهر) ، وكثير منهم يقولون له (يا أبا براك) ، لأن كل من اسمه عبد المحسن يكنى بأبى براك فى الكويت .

ويقول الشاعر إنه لا يحب لابنه ماهر أن يكون شاعرا ، حتى لا تدركه حرفة أبيه ، بل يحب أن يشق ابنه طريقه فى الحياة فى ميدان مثمر غير ميدان الشعر والأدب .

وقد اندفع الشاعر إلى قول الشعر استجابة للهبة الموجودة عنده ، وهو يذكر

(١) المعلومات المتعلقة بالشعراء مأخوذة عن أفواههم .

تشجيع أستاذه عبد القادر مصطفى سعد الذى كان مبعوثا من مصر للتدريس فى الـكويت فشجع تلميذه على نظم الشعر ، كما يقرر الشاعر أن عالم الـكويت الشيخ يوسف بن عيسى القناعى قد رعاه ووجهه فى ميدان الشعر أيضاً .

وقد نشر الشاعر أول قصيدة له فى مجلة الاعتدال النجفية ، ثم نشر قصائده فى مجلتى البعثة والرائد ، وجريدة (الناس) البصرية ، وله بعض المقالات فى المناقشات الأدبية نشرت بمجلة البعثة .

وهو ينشد شعره أحياناً فى الحفلات التى تقام بالـكويت ، وخاصة احتفالات الهجرة والمولد النبوى ؛ ولا تـكاد تخلو قصيدة له من ذكر وطنه (الـكويت) . وأحب قصائده إليه قصيدة (بنى) وقصيدة (الوسـاطة) وقصيدة : (ما للسيوف تئن فى الأغماد) ، وهـذه القصيدة الأخيرة شهرته بين مجتمعه ، وهى منشورة فى مجلة (البعثة) .

وهو شاعر مقل ، ولـكنه حساس ، يصوغ ما يصوغ وهو متأثر به متألم منه ، وأحياناً يفيض ألمه مما يقول ، حتى نراه فى قصيدته (شكوى ابن العشرين) يهتف :

ليت قلبى من جلمد الصخر ، حتى لا أعانى من الأسى ما أعانى !

* * *

ها هو ذا الشاعر يصوغ قصيدة بعنوان (نهضة الشرق) ويلقيها فى احتفال نادى المعلمين بذكرى المولد النبوى الشريف ، وهى منشورة فى مجلة البعثة ، عدد فبراير سنة ١٩٥٢ م ، وفيها يخاطب أمة العرب ، ويذكرها بماضيها المجيد وعزها التليد ، ثم يستنهضها للوثوب إلى الملا والسؤدد ، فيقول مما يقول :

يا أمة العرب ، ويا من لها ... فى سالف الأعصر مجد أثيلْ
يا من وهبت الناس نور الهدى ... والناس فى ليل الضلال المهول
يا من بنيت الملك مستحكما ... والعدل أس والحسام الصقيل
كل شعوب الأرض هبت إلى ... غاياتهـا ، وابتهجت بالوصول
مالك أحجمت ، ولم تنهضى ... والموت سـيان وعيش الخمول
هبى ، وللمجد الرفيع اعملى ... لا يبلغ العلياء قط الـكسول

عودى إلى الدين تعودى كما   كنت وثوب العز ضافى الذيول
(محمد) أوضح طرق العلى   مسالكا ، والهدى هدى الرسول!

وفى قصيدة الشاعر (الوساطة) المنشورة فى عدد نوفمبر سنة ١٩٥٢ من مجلة البعثة نراه يصور لنا داء فاشياً فى المجتمع ، وهو داء الوساطة الذى يقدم الهزيل ، ويؤخر الأصيل ، فيجنى على الكفايات ، ويقتل المواهب والعبقريات ، ويعين الأقزام المفاليك ، ويحارب العمالقة الأشراف ، فيقول :

دع عنك أنك من أهل الكفاءاتِ   ما المجد إلا لأصحاب الوساطاتِ
هى المطايا التى يرجى الوصول بها   إلى منال مطاليب وغايات
كم جاهل مستفيض الخرق نال بها   بالسعى مالم ينل أهل الدرايات
فإن تطلبت فى العلياء منزلة   شماء أوفت على الزُّهر العليات
لا تقطع العمر سعياً فى تطلبها   فالأمر أهون من جد ومسعاة
اختر لنفسك ذا جاه ومنزلة   فبعضهم جاهل جم الحماقات
وانسج حواليه أثواباً منمقة   من المديح كما يهوى جميلات
زيِّنْه فى ناظر بالحمق ممتلىء   وكن له حين يرنو خير مرآة
تنل على كتفيه ما طمحت له   من دوحة المجد أغصاناً رفيعات
أو لا فدُس شرفاً قد كنت تحفظه   عما يشين ، وأخلاقاً شريفات
اسرق وخن ، واجمع الأموال طائلة   أليس طرق الغنى شتى كثيرات ؟
لا تخش عاراً ، فإن المال يغسله   ما دمت تملك آلاف الجنيهات
يكن لك الصدر فى أعلى مجالسنا   وحيث كنت تلقَّ بالتجلات !

* * *

ويحس الشاعر بأنه مهضوم بين قومه ، وهو لا يزال ريان الشباب غض الإهاب واسع الرِّغاب ، فيستوحى البؤس والحرمان فى قصيدته (ضيعنى قومى) المنشورة فى عدد يوليه سنة ١٩٤٨ من مجلة البعثة ، وينعى على قومه أن دوحهم حلال لكل غريب ، حرام على الوطنى الأصيل ، ويتحدث عن خلائقه وبعد همته فيقول :

قومى ، أتظمئنى الحوادث بينكم   وتجف دون الواردين مواردى ؟

وأرى الغريب إذا يحل بأرضكم ريان يكرع فى الزلال البارد
واضلة القـــوم الذين قِلاهمُ لأقارب ، وهواهم لأباعـد
تالله ما مثـلى يقيم على الأذى وكما علمت خلائق وعوائدى
لا يزعم الأعـداء أنى عاشق للمـــال أطلبه بشوق زائد
لو كان حقـا ما أتوه بزعمهم جاءوا علىَّ من المديح بشـاهد
من كان مثلى فى منابت غرسه ففؤاده رهن التراث الخـالد!

ويعود الشاعر فى قطعة أخرى نجعل عنوانها (لمـاذا أصمت ؟) ، وقد نشرت فى عدد أغسطس سنة ١٩٤٨م من مجلة البعثة ، فيبين السبب الذى من أجله لايقول الشعر ، ولايترجم عن عواطفه ، فليس هناك من يسمع ، وليس هناك من يفهم ، فكأنه نافخ فى رماد ، أو صارخ فى واد ، أو ضارب فى جماد ، وكل مايتمناه الشاعر هنا هو أن يذكره قومه بشعره ، فيقول :

لمن أصوغ أناشيـدى وأوزانى وليس فى القوم من يصغى لألحانى ؟
يا من يلوم على صمتى ويعـذلنى الوضع يا لائمى بالصمت أغرانى
شدوت لو أن قومى كان يطربهم شدو البلابل لا تنعـاب غربان
هذى الأناشيد فى يأسى وفى أملى وفى طموحى وفى بؤسى وحرمانى
فلا تحس إذا رنت مقاطعها إلا بدقات قلبى المتعب العـانى
لمـَّا تجد أذنا فى القـوم سامعة كأنهم خلقوا من غـير آذان
لهفى عليها إذا حم القضاء غدا فأدرجوها معى فى طى أكفانى
إنى أؤمل أن تبقى فيـذكرنى قومى بها بعد تضييعى ونسيانى

ويصوغ الشاعر مقطوعة بعنوان (الهزار السجين) وقد نشرتها البعثة فى عدد أكتوبر سنة ١٩٤٨ م . وفيها يصور انطلاق الهزار بين الأغصان والأفنان ، وكيف كان يردد الأغنيات المشجية المثيرة ، وكيف كان يتنقل حراً حسبما يشاء ، ثم جاءه السجن فقضى على حريته وحركته ، وغنائه وبهائه ، وكأنى بالشاعر يتخذ الهزار رمزاً للحر الأبى إذا ضيم فأرغمته الأحداث على قيد السجن ، فكف عن الهتاف والإنشاد ، فيقول فى مقطوعته :

قد كنتَ خفاقَ الجناح مغردا　　بالحب فى الغدوات والأبكار
تصبي لحونك من مضى عنه الصبا　　وثوى رهين تورع ووقار
متنقلا أنى تشاء ، مناجيا　　فى الروض ماتهوى من الأزهار
حتى حماك السجن فى أحشائه　　ألا ترود مسارح الأطيار
فالروض بعدك أقفرت جنباته　　من صادح الآصال والأسحار
ما أظلم الإنسان يسلب نعمة　　جادت بها للخلق كف البارى
الله أطلقهم فشاد بظلمه　　ما شاد حولهمُ من الأسوار
أنا إن حللت السجن ليس بضائرى　　إن التحجب شيمة الأقمار
ما السجن عار أن يحل به الفتى　　عفَّ الميامن طاهر الأيسار

ويتطلع الشاعر الشاب إلى ابنه (ماهر) فيرى فيه عمره يتجدد ، وأمله يتجمع ، وتمتد عين خياله إلى المستقبل المبهم ، فيتمنى أن يرى ابنه أحسن منه حظاً وأسعد عيشاً ، فيصوغ مقطوعة بعنوان (بنى) وتنشرها مجلة البعثة فى عدد يناير سنة ١٩٥٣م ، وتثير بعض أبيات المقطوعة جدلا من وجهة النظر الدينية . والشاعر — كما يقول — لم يقصد ما أراده المفسرون والمجادلون ، وإنه لذو دين وإيمان ، وفى هذه القصيدة يحدث الشاعر ابنه عن مجتمعه المتحلل الفاسد الذى اختلت فيه الأوضاع واضطربت الموازين وخربت الذمم ، فذل الرفيع ، واعتلى الوضيع ، فيقول :

بُنَيَّ ، أتيت إلى عالم　　بنو الحق فيه هم الأضعفون
فللظالمين تقام القصو　　ر ، وللمصلحين تشاد السجون
وفرد ينعَّم فى عيشه　　وتشقى الألوف له والمئون
وهذا يُجَلُّ على ما يخو　　ن ، وذاك يُحَطُّ على ما يصون
فكافح ، فدنياك دنيا الذئا　　ب ، يعيش كما يشتهى المفسدون
وكن (ماهراً) فى اختيار الطريـ　　ق ، فما تاه فى رحبها الماهرون
أطالع فيك شبابى النضـير ، إذا ما المشيب أتى بالغضون
فأنسى شجونى فيما فقد　　ت ، ورزء المشيب يثير الشجون !

وهاهو ذا الشاعر يحس بشبابه الثائر فى مجتمع رتيب هادئ ، لا يشجع ولايدفع ، ويرى حوافز الإنتاج والإبداع مفقودة ، ويتلفت فلا يجد إلا مشاهد قليلة متشابهة

مألوفة ، فيشعر كأن جدولا من قطرات باردة تزحف فى تراخ وكسل إلى جذوة شبابه فتخمدها وتجمدها . ولذلك نراه فى قطعته (حياة مملة) المنشورة فى عدد إبريل سنة ١٩٥٣ من مجلة الرائد ، يترجم عن ملله بمجتمعه وضيقه ببيئته الراكدة ، ويتمنى لو رزقه الله آلاماً ليحس ويثور ، فيكون من وراء الآلام خير فى أدبه وشعره ، فيقول :

سئمتْ روحى حياةً جامده ... والفتى تشقيه حال واحده
كل ما أنظر لا يبهجنى ... كله يضرى همومى الحاشده
فصباحى كمسائى اشتبها ... عيشة جوفاء تجرى راكده
قد تهاوى العقل فيها راقداً ... والأحاسيس جميعاً راقده

* * *

فحياتى وهى صحراء يبابْ ... قد جفا أرجاءها حتى السرابْ !
ضارباً فيها على غير هدى ... فى وهاد موحشات وهضاب
هدنى السير ، وأدمى أرجلى ... دونما قصد أوفّيه الطِّلاب
واشبابى ، إنه ضاع سدى ... أكذا تذهب أيام الشباب ؟

* * *

إن روحى لانطلاق خُلقت ... لا لأقياد عليها ضاربات
إن عيشاً فى سكون مطبق ... هو فى رأيى سواء والممات
إن تك الأفراح قد جافيننى ... وأمات اليأس كل الأمنيات
ليت بالآلام أن تنتابنى ... علنى أشعر حولى بالحياة !

* * *

وننتقل إلى الملاحظات السريعة التى نلاحظها على الشاعر . . .

يلاحظ عليه أولا أنه شاعر مقل ، ويجب عليه وفاء لشاعريته ، وبناء لمكانته ، وتفجيراً لموهبته ، أن يكثر من قصيده ، وأن يواصل النظم فى تجويد وإتقان ، لأن الشاعر لايستطيع اليوم أن يشغل الأسماع والقلوب إلا إذا كان دائم الإنتاج والإنشاد .

ويلاحظ على الشاعر أيضاً أن أغلب قصائده قصيرة قليلة الأبيات ، ونحن نعرف

أن الشعر لا يوزن بميزان اللحم والشحم ، ولـكننا فى الوقت نفسه نرى أن القصيدة الطويلة تدل على اقتدار الشاعر من ناحية ، وتهيئ له المجال الفسيح لبسط شاعريته من ناحية أخرى .

ثم أحب أن ألاحظ ملاحظة عامة تتعلق بالشعراء الشباب فى الـكويت ، تلك الملاحظة هى أن ظروف البيئة والحياة والنظم التعليمية التى كانت سائدة فى الـكويت بالأمس لم تهيء لجمهرة شعرائها أن يتموا دراستهم النظامية ، فانصرفوا إلى الدراسة الحرة ، وكثيراً ما تـكون الدراسة الحرة خيراً من الدراسة النظامية ، لأن الحرية فى الدراسة توحى بالإقبال والاتصال ، والتقيد يوحى بالسأم والملل ، ولذلك تَجْمُلُ بهؤلاء الشعراء أن يقرأوا ويقرأوا ويقرأوا ، حتى يعوضوا ما فاتهم فى حجرة الدرس ، والقراءة جامعة واسعة نافعة ، ونحن لا نقيم أهمية كبيرة للشهادات الدراسية ، ولـكننا نقيم الأهمية الـكبرى لسعة الأفق وكثرة المعلومات ، وهى تتـكون من المطالعة . وعندنا فى مصر رجل كالعقاد ، لا يحمل غير الشهادة الابتدائية ، ومع ذلك طوعت له القراءة أن يكون أعلم من كثير من خريجى الجامعات أصحاب الدرجات ، وكذلك المرحوم مصطفى صادق الرافعى ، لم يكن يحمل غير الشهادة الابتدائية ، ولـكن القراءة الموصولة جملته علماً من أعلام الأدب والبيان . . .

* * *

ويقول الشاعر فى قصيدته (الوساطة) :

فإن تطلبتَ فى العلياء منزلة   شماء أوفت على الزهر العلياتِ
لا تقطع العمر سعياً فى تطلبهـا   فالأمر أهون من جد ومسعاة

وقواعد النحو تنادى بأن تقول هنا : « فلا تقطع العمر سعيا » بإضافة الفاء .
وفى القصيدة نفسها يقول :

الأمر أمرك ، من يسطيع معصية   والصوت صوتك يعلو كل أصوات

وكأنى بالشاعر يريد أن يقول : « يعلو كل صوت » ، ولـكن القافية أرغمته فظلمته .
وفى القصيدة نفسها يقول :

كم جاهل مستفيض الخرق نال بهـا   بالسعى ما لم ينل أهل الدرايات

وما دامت الوساطة موجودة ، وقد نال بها صاحبها ما شاء ، فما الحاجة إذن — يا شاعر — إلى قولك : (بالسعى) ؟! . وفى قصيدته (ضيعنى قومى) يقول :

أين العدالة فى الحياة ، فكم بها من معدم يشقى وآخر راغد ؟!

والمقابلة هنا غير واضحة وغير تامة ، ولو قال الشاعر :

« فكم بها من نابغ يشقى وأحمق راغد » ... لكان أتم وأوضح .

الشاعر عبد الله زكريا الأنصارى

الشاعر عبد الله زكريا الأنصارى هو الآن محاسب بيت الكويت فى مصر ، ورئيس تحرير مجلة (البعثة) الكويتية الغراء ؛ وقد ولد سنة ١٩٢١ م تقريباً ، أو بعد موقعة الجهرة بسنة ، وكان الميلاد فى مدينة الكويت ، فى حى فريق آل عبد الرزاق ، من أسرة متوسطة العدد ، ويرجع نسب الوالد قديماً إلى أسرة حجازية ، وقد هاجر إلى سواحل الجزيرة العربية ، ثم استقر فى الكويت ، والوالدة كويتية الميلاد ، ولكن أسرتها فى الأصل من العراق ، وهى شقيقة الشاعر الكويتى المعروف الأستاذ محمود شوقى عبد الله الأيوبى .

بدأ الشاعر تعلمه على يدى والده ، فقد كان من المعلمين ؛ فتلقى عنه القرآن الكريم ، ثم دخل المدرسة المباركية ، وهى المدرسة التى ضمت جدرانُها أغلب متعلمى الكويت خلال ما يقرب من خمسين سنة ، فتعلم فيها القراءة والكتابة والحساب ، واستمر فيها سبع سنوات ، ثم خرج من المدرسة المباركية قبل مجىء بعثة المعارف من فلسطين التى كانت أساساً لتنظيم المعارف بالكويت ، وكان سبب خروجه من المدرسة خشية أن يلبس الملابس الإفرنجية القصيرة التى تكشف الجسم فى أثناء الرياضة البدنية ، ثم أسِفَ الشاعر كثيراً على ذلك فيما بعد ؛ وهذه الحادثة الصغيرة تعطيك فكرة عن لون التفكير الموروث فى الكويت حينذاك .

وحينما أرادت الكويت أن ترسل بعثة إلى الأزهر الشريف اختارت لذلك الأساتذة : عبد العزيز حسين وأحمد العدوانى ويوسف عمر ، وكان الشاعر قد رشح

نفسه للبعثة ، ولكنه كان مشتركا حينئذ مع شقيقه محمد فى إدارة مدرسة بالكويت . وكان والد الشاعر ضعيف الصحة ، فلم يوافق على ذهاب ابنه فى البعثة ، فكان أن سافر الأستاذ عبد العزيز مع زميليه ، وفوق تدبيرنا لله تدبير .

وقد اشتغل الشاعر مدرساً بالمدرسة المباركية حيناً من الزمن .

وقد أثرت فى نفس الشاعر كتب المنفلوطى عامة ، وكتاب (النظرات) منها خاصة ، لأنه فتح الباب أمام الشاعر فى ميدان المطالعة ، وكذلك مجلة الرسالة ، فقد اشترك فيها ، وواظب على قراءتها بلا انقطاع ، وكان إذا فاته عدد من أعدادها ولم يحصل عليه أرسل يطلبه من مصر ، حتى تم له مجموعة المجلة منتظمة ، وكذلك أثرت فيه كتب الرافعى ، وخاصة كتابه (وحى القلم) . ثم اندمج الشاعر فى القراءة الموصولة المتفرعة . . .

ولقد نشأ الشاعر - كما يحدثنا — وله موهبة شعرية فطرية ، يميز بها بين صحيح الأبيات الشعرية ومكسورها ، دون أن يدرس فن العروض ، وقد تأثر فى باب الشعر بمعروف الرصافى أولا ، وبعمر أبو ريشة أخيراً ؛ ونسأل الشاعر عن الشاعر الذى يحبه ، فيجيب : أبو الطيب المتنبى . . . (يقولها بملء فيه ويضحك) . فنسأله : هذا فى القديم ؛ فمن هو الشاعر الذى تحبه فى الحديث ؟ . فيقول : وأبو الطيب المتنبى أيضاً أحسن واحد فى الحديث !! ... ثم يقول : وبعده عمر أبو ريشة ، ثم الأخطل الصغير ، ثم على محمود طه ، ثم خليل مردم ، ثم محمد مهدى الجواهرى ، ثم بدوى الجبل . .

والشاعر يعجب بشوقى حينما يعارض قصائد القدماء — فقط !! — مثل معارضته لسينية البحترى ، ومعارضته لنونية ابن زيدون . ويحب الشاعر من شعراء الكويت الشاعر فهد العسكر ...

* * *

والأستاذ عبد الله كان منصرفا فى أول أمره إلى الشعر ، يقوله حينما يطرب ، ويقوله حينما يكرب ، وهو يتعلل به ، ويتخذه سلوة له فى غدوه ورواحه ، فنراه فى قصيدته الشابة المتسابة الخلابة (ثورة النفس) يقول :

كم تغزلت بالحسان الملاحِ ... وتغنيت بالظبا والرماحِ
إنه الشعر تارة يفتن الغيـ ... ـد ، وطورا يهز بيض الصِّفاحِ

وبه كم أزحت هما عن النفـ س ، وأججت ثورة للكفاح
إنما الشعر سلوتى وغنائى في غدوى أشدو به ورواحى
أنا منه على المدى ، وهو منى قد أتينا من عالم الأرواح
وامتزجنا ، فمن شعورى شعرى وانقباضى به ، ومنه انشراحى

ونراه فى أغلب قصائده يعنى برسم الصورة الخيالية الجذابة التى تتعلق بمناظر الطبيعة كالرياض والغياض ، والبحار والأنهار ، والخمائل والأشجار ، والمزاهر والأطيار ، وقد يكون هذا منه حنيناً إلى ماحُرمته بيئته ، وأحس هو بالحاجة إليه ، وقد يكون تعظيما منه لقليل ، والشاعر المفتن يستخرج الكثير من الصغير ، ومن مظاهر حرصه على هذه الصور الشعرية المتنوعة قوله فى مطلع قصيدته (الشاعر الناشىء) :

دان له الشعر بأركانه فراح عليه بأشجانه
قد نظم الشعر غناء له فأسكت الطير بألحانه
وأذهل الصداح فى صدحه وأخرس البلبل فى بانه
أرسله منسجما رائعاً مسلسل اللفظ بأوزانه
مهذب المعنى ، قوى البنا يعجز باغيه بإتيانه
قد ضرب الحكمة فى قوله وأثبت القول ببرهانه
وقد تحاشى الزيف فى نظمه فجاء مرصوفا بتبيانه
إذ أنه فى طبعه شاعر قد وزن الشعر بميزانه

ويتحدث الشاعر — وهو ابن الإمارة الصحراوية — إلى البلبل ، فى قصيدته (أيها البلبل) فيفيض عبراته ، ويستفيض فى أناته ، ويقدم إلينا نماذج من نكبات الحياة وبلايا المجتمع ، فيقول فى مطلع القصيدة :

حطم الدهر كؤوسى وأراق الدهر دَنِّى
ولى الأيام — ظلماً — قلبت ظهر المجن
فأعرنى نغماً يا بلبل الروض الأغن
نغما أرسله شعـ را ، وأشدو وأغنى
أملأ الدنيا هتافا وأذود الضيم عنى
أطرد الأكدار من هـ م ، ومن غم وحزن

ويصوغ الشاعر العربى قصيدة عنوانها : (قصة العرب فى أسبانيا) ليحدثنا عن ذلك المجد الذاهب والفردوس المفقود ، ويقول فيما يقول :

بأندلس عظامٌ ليس تبلى   تخشَّع حين تذكرها الرقابُ
عظام لم تدنسها المعاصى   وليس يشوبها والله عاب
أعدذكرى الجدود فني فؤادى   ضرام واضطرام واضطراب
أعد ذكراهم ، فيحن قلبى   إذا ذُكرت له الأسد الغضاب

ويشغل الشاعر نفسه بقضايا العروبة ، فيتحدث عنها واصفاً جلالها وخطرها ، فى أكثر من قصيدة له ، وها هو ذا ينظم قصيدة عنوانها : (الوحدة العربية) ، ويصف فيها البلايا والنكبات التى مرت على العرب فى عهود الظلام والاستبداد ، وفيها يقول واصفا المآسى التى توالت على العروبة والعرب :

يضللنا باسم العدالة من هُمُ   بأهوائهم ريح الخيانة تعصفُ
مضت حقب ، والنوم ملء جفوننا   فليس بنا إلا أسير مكتَّف
تعيث بنا أيدى القوى ، فلا يُرى   من الجور إلا ظالم متعسف
وطال علينا الليل ، حتى كأنه   أقام فلم يبرح ، ولا هو يُصرف

والشاعر العربى لا ينسى إسلاميته ، ولذلك نراه يحيِّى ذكرى ميلاد الرسول فى مرات كثيرة ، فيأتى فى هذه التحيات بجوانب مشرقة من صفات الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، فنراه يقول فى قصيدته التى عنوانها : (من وحى المولد) :

يامن بمولده تغنى   م الكون من قاصٍ ودانى
شرّفت أبياتى بمد   حك ، واستنار به بيانى
فغدا يرددها الزما   ن قصائدا فى كل آن
فلو اننى فى الشعر قد   فقت الأقاصى والدوانى
وسبكت من ذوب الفؤا   د قصائدى لك ما كفانى

وفى قصيدته (ذكرى ميلاد الرسول) يقول :

رحماك ربى أين ذا   ك المجد ، بل أين السماحْ ؟
أين الذين إذا دعا   داعى البلاد إلى الكفاحْ
هبوا جميعا طائعين   كأنهم هُوج الرياح ؟!

وفى قصيدة ثالثة يستوحيها من ذكرى المولد ، ويجعل عنوانها : (ياعروس الخيال) يفتتح ذلك الافتتاح الشعرى العاطفى المؤثر فيقول :

أسكتت ثورةُ الشجون غنائى   فتلاشت أصداؤه فى الفضاء
وعروس الخيال شرَّدها الوهـ   ـمُ ، فتاهت فى ظلمةٍ ظلماء
ونشيدى ، وأين منى نشيدى ؟   ضاع فى لجةٍ من الأهواء
وتداعت هيا كلُ الشعر صرعى   فوق هـذى البلية الهوجاء
فغفا الفـكر ، والقريحةُ جفَّت   والأمانِى تبعثرت فى الهباء
وتراءت من كوة الغيب أشبا   حٌ ، تبدت بأوجهٍ سـوداء
تملأ الفكر ضجةً ، تقتل الوحـ   ـى ، وتهوى بالراحـة الغراء
كلما رُضْتُ بالنشيد بنات الشـ   ـعر عادت تشكو من الإعياء

***

يا عروسَ الخيال ، بالله عودى   وأعيدى مشـاعلَ الإيحاء
يا عروس الخيال ، بالله عودى   وأعيدى عزيمتى ومضـائى
يا عروس الخيال ، بالله عودى   واملئى مهجتى بنور السماء
يا عروس الخيال ، حسبى من الصـ   ـدِّ نحولا أزال عنى رُوائى
قرِّبى طيفكِ المحبَّبَ منى   وتهادَىْ بسـاطع الأضواء
أسمعينى نشيدَكِ العذبَ لحناً   عبقـريًّا مجنَّح الأصـداء
ردِّديه فى مسمعى ، وأعيدى   واسـكبيه فى أذنىَ الصَّماء
وأطلِّى بوجهك السافر الضا   حكِ كى أستمدَّ منك بهائى !

وبعد أبيات من هذا الطراز يقول :

ما ترى القومَ يوم أشرق فيها[1]   سـيد المرسـلين والأنبيـاء
غير أُسْدٍ غطارف ، همها العد   ل ، وغاياتها بلوغ العـلاء
تهدم البغى بالعقيدة ، بالإيما   ن ، بالصبر ، بالنهى ، بالإباء
وتثُلُّ العروش فى مسرح الـكو   ن ، وتبنى المنى أعزَّ بناء

(١) يقصد الشاعر صحراء العرب . . .

هل أتاكم حديثها يوم روّت   منبتَ العزِّ من زكيِّ الدماء ؟

ويقف الشاعر ليرثى المرحوم الشيخ عبد الملك المبيِّض مدير المدرسة القبلية ، وقد كان من أفاضل المربين بالكويت ، فيعرض الشاعر بعض صفاته وصفحات من جهاده ، فيقول :

فلقد غرستَ بنا الفضيلة جاهداً   لا تبتغى أجراً ولا إعطاء
وخدمتَ أبناء الكويت وحطتهم   بكريم عطفك خدمةً غراء
علمتهم طرق العلا ، وهديتهم   وبذلت جهداً صادقاً ووفاء
فلقد بكينا فيك خيرَ معلمٍ   برٍّ أشاد بساعديه بناء
ولقد بكينا فيك خير مهذِّب   ذا همة لا يعرف الإعياء
ولقد بكينا فيك فضلاً سابغا   وكفاءةً ، ومروءةً ، وإباء

* * *

شعر الشاعر كما ترى بيِّن متين رصين ، متنوع الأهداف والأغراض والألوان ، يجمع بين الخيال والواقع ، وبين العاطفة والتفكير ، ويدل على طبيعة كامنة ، تغذيها متابعة رشيدة لقدامى الشعراء أحياناً ، ولا تحتاج هذه الطبيعة إلا إلى تفجير ينابيعها بمتابعة الإنتاج وتجويده ؛ وفى شعر الشاعر أضواء وأقباس من المدرسة الشعرية المعاصرة ، ويمكن للشاعر أن يزيد فى هذه الأقباس ، حتى تكون نارا نورانية شعرية قائمة بذاتها . . . فهل يفعل ؟ ! . .

* * *

أفنستطيع بعد هذا أن نلاحظ على الشاعر بعض الملاحظات الخفيفة ؟ . . .

لقد قال الشاعر كثيراً فى النسيب ؛ ويلوح أن هذا القول ضرب من التخيل والتصور ، لأن بيئة الشاعر لا تعاون على التجربة فى هذا المجال ، ولذلك نرى هذا القول يدل على جهد فى التكوين ، ولا يدل على اصطلاء بلهب الوجدان .

ويقول الشاعر فى قصيدته (أفيقوا يا ولاة) :

أأعضاءنا ، ما بالكم فى سباتكم ؟   ألمَّا تعظكم حادثات النوائب ؟

والحادثات هى النوائب ، والنوائب هى الحادثات !..

وفى القصيدة نفسها :

ألا فانظروا ماذا برامجكم تروا   برامج أوهى من بيوت العناكب

وكلمة (برامج) غير عربية فى الأصل ، وحبذا لو استعمل مكانها كلمة (مناهج) فهى عربية ، وهى بوزن برامج أيضا . ولو احتج محتج بقول القاموس : « البرنامج الورقة الجامعة للحساب معرب برنامه » ، لقلنا إن العربى الأصيل خير من سواه ، ولست أدرى لماذا أشعر بأن كلمة (برامج) سوقية ، وفى ميدان الشعر خاصة ، بخلاف كلمة مناهج .

ويقول الشاعر فى قصيدته : (شكر على هدية) :

لن — وإن طالت الليالىُّ — ننسى   لك فى الذكريات هذى الحميه

وأظن أن العربية القويمة لا تجيز هذا الفصل بين الحرف الناصب (لن) وبين منصوبه الفعل (ننسى) .

ويقول فى قصيدته : (الوحدة العربية) وهو يتحدث عن المجاهدين من الرجال الذين عملوا لتحقيق هذه الوحدة العربية :

رجال أقاموها بجد جهودهم   وكلٌّ مُعنًّى بالبلاد مكلَّف

وهو فيما يظهر يقصد كلمة (كَلِف) بمعنى محب عاشق ، لأن (المكلَّف) اسم مفعول من التكليف ، وهو الأمر بما يشق على الإنسان . . .

ويقول فى رثائه للمرحوم الشيخ عبد الملك المبيِّض :

فلقد بكينا فيك خير معلم   برٍّ أشاد بساعديه بناء

والشاعر يقصد كلمة (شاد) بمعنى « طلاه بالشِّيد وهو ما طُلى به حائط من جص ونحوه » كما يقول القاموس ، والقصر المشيد هو المبنى بالشِّيد أو المطوَّل ؛ لأن معنى (أشاد) هو رفَع صوته ، يقال أشاد بذكره فى الخير والشر ، والمدح والذم ، إذا شهره ورفعه . وقال الأصفهانى فى كتابه (مفردات القرآن) : « والإشادة عبارة عن رفع الصوت » .

ويقول فى قصيدته : (السائقة الحسناء) — ولست أدرى أين كانت ! — : عن سرعة السيارة التى تقودها :

ذلت لطلعتك الغراء طائعةً   وسقتها فجرت كالزورق الجارى

والزورق الجارى مهما اشتدت به المجاديف لا تصل سرعته إلى سرعة السيارة ، فكيف نجعله مثلا فى السرعة ، حتى نشبه به سيارة تلك الحسناء المنطلقة بعربتها فى خيال الشاعر المحروم يومذاك ! .

الشاعر أحمد زين السقاف

الشاعر أحمد محمد زين علوى السقاف هو ناظر المدرسة الشرقية بمدينة الكويت ، وهو أحد الأعضاء البارزين فى النادى الثقافى القومى بها ؛ وقد ولد فى أوائل سنة ١٩١٩ م فى عدن ؛ وهو — كما يدل لقبه — ينتسب إلى أسرة السقاف المنتشرة فى أغلب أجزاء الوطن العربى ، فهى فى الحجاز واليمن وحضرموت وشرق الأردن والكويت ، ومنها من يقيم فى العراق ، كالسيد طه السقاف — مرافق الملك غازى سابقاً — ومنها من يقيم فى مصر ، كالسيد عبد الله السقاف نزيل الزمالك .

وقد نشأ الشاعر فى ضاحية من ضواحى عدن تدعى بلدة (السادة) ، لأنها خاصة بآل السقاف تقريباً ، وكانت نشأته فى كنف شيخ له إلمام بالعربية ، واطلاع واسع على العلوم الدينية ؛ وعُنى الشيخ بتخريج شبله وتعليمه ، كما عنى بتعليم بقية إخوته — وهم ستة — وما كاد الشاعر يتجاوز العاشرة من عمره حتى حفظ القرآن الكريم ، وطالع ما تيسر له من تفسيره ، وأدمن الاستظهار فى كتاب (مجموع المتون الحاوى لمختلف العلوم والفنون) — وهو مجموعة مختصرات منثورة ومنظومة لشتى العلوم الدينية والعربية — فحفظ أغلب ما فيه .

ثم دخل الشاعر (المدرسة المحسنية) بلحج ، واشترك فى حلقات الدراسات الخاصة بالجامع السلطانى الكبير ، فتتلمذ على أيدى السادة آل الدباغ ، وكان مقربا لدى السيد محمد حسين الدباغ الزعيم الحجازى الشهير ، المتوفى فى سجن (جيزان) خلال الحرب الأخيرة ، فأخذ عنه وتأثر به ، كما تتلمذ على يد السيد على بن أبى بكر السقاف صاحب المكانة العالية فى جنوب الجزيرة علماً وإصلاحا ، وتعلم الإنشاء والخطابة على يد الشيخ الخطيب عمر الصيرفى الزعيم الحجازى الذى ظل منفياً من الحجاز ، وظل فى صحبة آل الدباغ حتى عام ١٩٣٦ م .

وفى سنة ١٩٣٥ م حصل الشاعر على إجازة تدريس العلوم العربية والدينية ، وعُيِّن مديراً للمدرسة المحسنية خلفاً للشيخ عمر الصيرفى الذى عاد للحجاز بعد صدور العفو عنه من ابن السعود ؛ ولكن الشاعر لم يمكث طويلا فى إدارة هذه المدرسة ، فهو لا يزال ميالا إلى الاغتراف من منابع العلوم الحديثة ، وشجعه على ذلك السيدان محمد حسين الدباغ وعلى بن أبى بكر السقاف ، فغادر عدن إلى العراق فى فاتحة عام ١٩٣٦ م ، وهناك أنهى المرحلتين المتوسطة والإعدادية فى أربع سنوات فقط ؛ ودخل كلية الحقوق ببغداد .

وكان الشاعر أثناء الدراسة يشترك فى النشاط القومى والاجتماعى ، فهو يلقى المحاضرات القومية فى إذاعة بغداد ، وهو يكتب فى الصحف ، وهو يعمل مع رفاقه الطلبة القوميين فى كل مجال عربى يتيسر لهم ، واختير سكرتيراً لجمعية الضاد القومية ببغداد سنة ١٩٤٠ م .

وفى أواخر عام ١٩٤٣ م نزح الشاعر إلى الكويت ، وارتبط بسلك التعليم فيها ، وتزوج فى سنة ١٩٤٦ م ، من إحدى العائلات الكريمة ، وله اليوم طفلان يفرح بهما ، أبقاهما الله له ، وأبقاه لهما .

وقد أثرت فى حياته — كما يقول — عوامل كثيرة ، منها الاستبداد الذى كان يسود سلطنة (لحج) ، وفشل محاولة الانقلاب فيها سنة ١٩٣٥ م ، وثورة فلسطين التى عمل لها فى عدن والعراق ، وكانت أحداث العراق سنة ١٩٤١ م ، شديدة التأثير فى نفسه فقد كانت معركة بين كتائب الجهاد وطواغيت الاستبداد .

وللشاعر أساتذة آخرون تأثر بهم فى العراق هم السادة أحمد بديع المغربى ، وعثمان الحورانى ، وفرحان شبيلات ، وكاظم الصلح ، ويونس السبعاوى .

والشاعر يرى أنه لا يوجد كتاب واحد ينفرد بالتأثير الواسع فى نفس الأديب أوالشاعر ، فكل كتاب يطالعه الإنسان بعد اختياره يستفيد منه ، ويتأثر بما فيه دون أن يشعر ، وإذا كان لا بد من تخصيص كتب أثرت فى الشاعر فيمكن القول بأن كتب الجاحظ فى مقدمة الكتب القديمة التى أثرت فيه ، وكذلك رسائل البديع ومقاماته ومقامات الحريرى ورسائل الصاحب وابن العميد ونهج البلاغة والأمالى والأغانى ؛ وفى مقدمة الكتب الحديثة مؤلفات طه حسين وساطع الحصرى .

وأول قطعة نظمها الشاعر كانت مرثية فى وفاة الأستاذ صبحى مدير مدرسة (بازرعة) بعدن ، وقد خاطب بها طلاب المدرسة قائلا :

قدمضى الدهر(بصبحيكم) ، كما　　قد مضى قبل بأنواع البشرْ
فتسلوا عنه بالذكرى ، فما　　مات من خلد خيراً ونشر
إنما (الصبحى) صبح فى الدجى　　قد أنار الصبح كالبدر الأغر
ها كمُ ما فاه ، فاتلوه تروا　　أنه بالشعر أفذاذاً سحر

وقد استحسنها والده وأصدقاؤه ، فتشجع وأقبل ينظم . . .

وأحب قصائده إليه هى قصيدته التى ألقاها فى أواخر عام ١٩٤٨ بمناسبة الاحتفال بعيد الهجرة ، ومطلعها : (ياساكب الدمع) ، وهى منشورة بمجلة (كاظمة) التى كان يصدرها بالكويت ، وأحسن قصائده — فى رأيه — هى التى رثى بها السيد جمال النقيب المحامى المتوفى فى حادث سيارة فى ربيع عام ١٩٥٣ م ؛ وهى منشورة بالعدد الثانى من مجلة (الإيمان) الكويتية الغراء .

وهو يعجب — فى القديم — بالمتنبى والبحترى وابن زيدون ، وفى الحديث بشوق ورشيد سليم الخورى وبدوى الجبل .

وللشاعر كتابان مطبوعان ، الأول فى دروس العربية ، والثانى عن رحلته إلى مصر فى ربيع سنة ١٩٥٣ ؛ وله كتاب عن (ديارات العراق) لما يطبع بعد .

وهو أحد المحررين الآن لمجلة (الإيمان) الغراء .

وفيما يلى نماذج من شعر الشاعر :

١ — فى يوم الأمير

« مرفوعة إلى سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح حاكم الكويت بمناسبة عيد جلوسه السعيد » :

يا صاحبَ الكرسى والصولجان　　هُنئت بالأفراح فى المهرجانْ
هذى جموع الشعب قد أقبلت　　تشير بالأنفس لا بالبنان
يسعى بها الودُّ إلى ماجد　　لم تسعف الدنيا به من زمان
ماست له (تطوان) من غبطة　　واهتزت (الزوراء) حتى (عمان)

ورددت (صنعاء) لحن الوفا   فأسكر الترديدُ (بر العدان)
أنت العـلا إمَّا طلبنا العلا   وصنعك الجبار ملء العيان
كم من غبي يدعى كاذباً   فهماً ، ويستقوى بطول اللسان
راهنته ، أنك أدهى الورى   طراً ، وأهداهم ، فخزت الرهان
لله ما أُعطيتَ من شيمة   أنقى وأصفى من صفاء الجمان
وسيرة قد سرتها فطرةً   فحصحص الحق ، وساد الأمان
فاسمع — وأنت الآمر — من شاعر   ديدنه النصح وصدق البيان
صُن معقل الأمجاد من هجرة   قد أحوجت قومى إلى ترجمان !

٢ — تحية الـكويت لمصر وقائدها

طربنـا إلى رحـلةٍ فاخرهْ   فـكان القدوم إلى (القـاهرهْ)
بـلاد تُـدل بمجـد طـريـ   ف ، وتسبي بساحاتهـا العامره
وتزهو بـكلٍ منيفِ البنـا   ء ، يتيـه من الأعصر الغـابره
(أبو الهول) فيها يروع الزمـا   نَ ، وأهرامهـا عينُها السـاهره
(وأزهرها) الرحبُ ملء الفضا   ء ، ينير بأقسـامه الزاهره
(وجامعـة) هى ورد الشبا   ب ، تفيض ينابيعهـا الطاهـره
بهـا قاعـة روعـةُ الزائـريـ   ن ، تحـار لأوصـافها الذاكره
وأقسـامهـا بغيـة الطامحيـ   ن ، وآلاتهـا جمـة وافـره
وفيهـا كثير من المعجـزا   ت ، تدل عـلى فطنـة نادره

***

ويمّـمْ إذا شئت أرض الصعيـد ، وسجّلْ معـالمـه الفاخره
وعرّج على (الـكرنك) المشرئب   يطلّ على (الأقصر) الناضره
عجـائبـه تستخف العقـو   ل ، وتنقل دنيـاك للآخره
وإما مـررت بوادى الملو   ك ، وزرت مقابره السـاخره
فطـأطيء لعليـاء تلك القرو   ن ، وأكبرْ حضارتها الباهره

وكم ذا بمصر من المدهشا ت ، تجيش بها الأنفس الشاعره
ويكفيك منها سجايا الكرا م بنيها المهذبة الساحره
لسانهم الشهد عند الحدي ث ، تساموا عن اللفظة النافره
وكم فيهمو من قوىّ البيا ن ، مواهبه فى العلا زاخره
وكم فيهمو من قوىّ الجنا ن ، مواقفه للعدى قاهره
أبوا أن يذلّوا لبغى الطغا ة ، فهبّوا قساورة زائره

* * *

وألوى (نجيبُ) بكيد اللئا م ، فأبهجَ مكّةَ والناصره
وأملى على الدهر آىَ الثبا ت ، وآى الثبات به ظاهره
وأرجعَ سهم العدو إلي ه ، فشاهت به الأوجه الخاسره
وفى لحظة من زمان الخلو د تخاذلت الزُّمرة الغادره
وزُفَّ الفساد إلى وكره فغادرَ مصر على باخره
وأضحى فتى كل قطر سليب تداعبه الوثبة الظافره

* * *

(نجيب) تفديك منا القلو بُ ؛ تزعَّمْ على الأمة الثائره
وحطّم بها كل قيد قديم لمسخ سياسته بائره !
خيال يكذب عزم الكمى تبدت نتيجته باهره !
فلو لم تكن أنت معنى الخلا ص لجاءت مفاهيمه قاصره
ولو لم تكن أنت معنى الكفا ح لظلت مكانته شاغره
ولو لم تكن أنت كل الرجا ء لكنا على حالة حائره

* * *

(نجيب) فلسطين ترنو إلي ك ، لتقطع من وحشها دابره
لقد طال فيها مقام الدخي ل ، وراجت مكائده الماكره
ومادت لأعماله المنكرا ت ، وضاقت بقطعانه الداعره

وأبناؤها عرضة للفناء ، وأفواه أرزائهم فاغره
وفى العرب عزم ، فعبىء قواك تجدها ملبية سائره

* * *

بنى النيل ، إنا لمسنا الوداد ، برغم زيارتنا العابره
وسوف تقدر هذا (الكويت) ، وتغدو لإحساسكم شاكره
وهذى العجالة رمز الإخاء ، وفيها تحيتنا العاطره

الشاعر عبد الله النورى

الشاعر عبد الله النورى هو الآن سكرتير محاكم الكويت ؛ وقد ولد فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٣هـ فى بلدة الزبير من أعمال العراق ، وتلق دراسته الأولى عن والده ، وعليه قرأ القرآن الكريم ، وفى العام العاشر من عمره دخل مدرسة من مدارس الاحتلال البريطانى فى العراق ، وكان فيها مبرّزا سابقاً لأقرانه ، إذ ظهرت عليه علامات الذكاء والنجابة ، وفى سنة ١٩٢٠م دخل مدرسة دار المعلمين ببغداد ، وبق فيها سنتين ، ودرس خلال ذلك النحو على والده ، والفقه على المرحوم الشيخ عبد الله الخلف . وفى أواخر سنة ١٩٢١م ترك الشاعر العراق إلى الكويت ، واشتغل معلما فى المدرسة المباركية ، وكانت المدرسة المباركية والمدرسة الأحمدية حينئذ مدرستين أهليتين ، واستمر فى التدريس عامين ، ترك بعدهما التعليم إلى العمل التجارى ، وسافر إلى إمارات الخليج العربى (أوخليج البصرة أوالخليج الفارسى) وإلى الهند ، ولكنه لم يوفق كثيراً فى محاولاته .

وفى شهر رمضان سنة ١٣٤٥هـ توفى والد الشاعر ، فترك الأسفار والتجارة ، واشتغل بالتدريس مرة أخرى ، حينا فى المباركية ، وحينا فى الأحمدية ، وظل كذلك إلى سنة ١٣٥٣هـ ، ثم سافر إلى العراق لشئون عائلية ، ولكنه لم يلبث طويلا ، ثم عاد إلى الكويت .

وفى شهر رجب سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) عُيّن الشاعر كاتباً فى المحكمة الكويتية

الوحيدة ، ثم عين سكرتيراً لرئيس المحاكم ؛ ولم يترك الشاعر مهنة التدريس أثناء اشتغاله فى المحاكم ، لأنه يهوى التدريس ويغرم به ، ولذلك اشتغل به ليلا ونهارا ، متطوعاً ومأجورا ، فى مدارس أهلية ، وفى المعهد الدينى عند أول نشأته ، وفى المعهد التجارى ، وقد نجح كل تلاميذ الشاعر — كما يقول — فى حياتهم ، ووفقهم الله أحسن التوفيق .

وقد اشتغل الشاعر فى وظيفة الإمامة والخطابة المنبرية حينا من الزمن ، ثم عين مفتشاً للمساجد حيناً آخر ، وترك هذه الوظيفة فى العام الماضى (١٩٥٢م) إذ اختير مديرا للإذاعة الكويتية الناشئة ، فأدخل عليها كثيرا من التحسين والتنويع فى المواد ، ولكنه أحس بتعب فى صحته من جراء المجهود العنيف الذى يبذله ، فاستقال من إدارة الإذاعة ، واقتصر على عمله فى المحاكم ، بعد أن صار معه من يعاونه فى عمله ..

ويعتبر السيد عبد الله النورى من الأشخاص المثقفين الجامعين لكثير من المعارف فى الكويت ، وهو يهتم برواية الشعر ، وتتبع الأمثال والقصص والعادات الاجتماعية ، وما إلى ذلك .

وله — والحمد لله — جملة أولاد يسيرون فى مراحل التعليم المختلفة باجتهاد وسبق .

***

ليس نظم الشعر عند السيد عبد الله غرضاً أساسياً ، ولذلك نراه مقلا فى صياغة القصيد ، تثور قريحته لنظمه إذا وُجد الدافع من مناسبة إخوانية أو حادثة مفاجئة أو جديد من شواغل الأفراد والشعوب ؛ ومن قصائده الجيلة قصيدته فى (المعلم) ؛ وقد نظمها وألقاها فى المدرسة المباركية الثانوية ، فى اليوم العاشر من شهر يناير سنة ١٩٥٢ بعد محاضرة طويلة له عن تاريخ التعليم فى الكويت . ولنقطف من تلك القصيدة الأبيات التالية :

من ذلك البَرُّ ، الجواد بنفسه ليفيد غيرَه ؟
ويعيش طول حياته عيشَ الكفاف يذوق مرَّه
ويبدد الحلَكَ المحيط بكل إحساس وفكره
من نور ناظره ونار فؤاده وهَبَ المسره
وهناؤه أن يستفيد النشء إدراكا وقُدره

ويرى بعزة شعبه فى الناس عزته وفخره
ذاك المعلم . هل رأيت سواه شهما فاق بره ؟

... ...

يا وارثَ الرسل الكرام ، ومرشداً من ضل سيرَه
يا آسى الروح السقيم ، ومانعاً عنه المضره
أنت الحياة ، وإن عهدك فى حياة المرء غُره
الفضل أنت غرسته ، ووضعت للناشين بذره
وجناه من طلب العلى ، ومن اليراع سقاه حبره

وتسقط طرابلس الشقيقة فى أيدى الطليان الباغين ، ويأتى الاستبداد إثمه الأكبر فيقضى على الشهيد عمر المختار ، ويثور الشاعر العربى المسلم لمحنة طرابلس ، وللدم الزكى المسفوك ، فينظم لذلك قصيدة طويلة يسميها : (دمعة على طرابلس) . ومنها يقول :

تبكى نوار أخاها وهو ساعدها وخير عونٍ لدين الله قد كانا
وكان شهما أبيا حازما جلدا إن نابه نائب تلقاه يقظانا
تبكى نوار فتاها كيف تغصبه أيدى الكنيسة للتنصير عدوانا
تبكى نوار ابنتيها إذ تقودهما أيدى العلوج إلى الفحشاء طغيانا
كلتاهما لم تقارب قط فاحشة حفظا لجوهرة عزت وإحصانا
كلتاهما أُكرهت والعينُ باكية والقلبُ مما تراه صار حيرانا
كلتاهما لم ير الرائى جمالهما لو باهتا البدر عاد البدر خجلانا

ويذهب عالم الكويت المجاهد الشيخ يوسف بن عيسى القناعى إلى الحج سنة ١٣٦١ ، وفى الحادى عشر من المحرم سنة ١٣٦٢ يصوغ الشاعر قصيدة ترحيب يلقى بها الشيخ عند قدومه ، وكان المعهد الدينى بالكويت قد عزم على الاحتفال بهذا القدوم المبارك ، ولكن الشيخ رفض ، فقدم الشاعر إليه القصيدة مكتوبة ، وبعد أن يفيض فى مآثر الشيخ وصفاته يقول له :

كن إماما ، ولا تدعنا فرادى ولنعزَّ اعتقادَنا السلفيا
ولننافحْ عن الشريعةِ جمعاً وليكنْ كلُّنا لها سمهريا

ولتصم الآذان عن قول سوء　　من مضل يريد بالدين سَيَّا
كل قول يقال أقرب للقا　　ئل إن كان طيِّبًا أو رديًّا
نحن كالغرس ، يثمر البعض منا　　الفجَّ ، والبعضُ حلواً شهيا
والمريد الإصلاح من لم يعر　　سمعه لشانئيه صُغيا
إذ لنا بالهداة خير اقتداء　　كلُّهم صابرَ العداةَ مليا

ويترجم الشاعر عن مكانة العلوم الشرعية فيقول :

فاق علمُ الشريعة الكلَّ فضلا　　هل تضاهى شمسَ النهار الثريا ؟
إذ به أنزل الإلهُ كتابا　　وبه أرسل الإلهُ نبيا
فاتبعوا أمرَه تسودوا ، وخَلُّوا　　ما نهى عنه عنكمُ ظهريا
وانصروا دينكم يكن لكم الله　　نصيرا على العِدى ووليا
هكذا وعده لنا ، وهو حق　　« إنه كان وعده مأتيا »
سنة الله فى الذين خلو من قبـ　　ـل : نصر لناصريه مُهَيَّا
كل قوم قد أيدوا دينهم سادوا　　ثم شادوا صرح الفخار عليا

وفى ليلة الثلاثاء ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٦٥ ﻫ يتوفى الله صديقَ الشاعر المرحوم الأستاذ عبد الملك صالح المبَيِّض ، فينظم فى رثائه قصيدة طويلة ، يذكِّر فيها بسنة الموت التى لا تتخلف عن إنسان ، ويستخلص من ذلك عبرا كثيرة ، ثم يخلُص إلى تعداد المناقب التى كان يتحلى بها صديقه ، فيقول مما يقول :

غذَّى العقولَ بألبان العلوم كما　　غذى النفوسَ بنصح كلُّه دررُ
كان الثباتَ إذا أدى مهمته　　كان النشاطَ إذا ما غيره فتروا
كان الأبَ البرَّ للناشين برشدهم　　لما يفيدهم نفعاً إذا كبروا
وكان إلفا بشوشا إذ تقابله　　عفَّ اللسان ، فلا زيدٌ ولا عُمرُ
كان الرضا لم يجد فى النفس صاحبهُ　　منه ، وأصحابه فى قومه كثروا
كان الوفاء وكان الصدقُ خلته　　حلى تحلى بها ذاك الفتى الوَقُرُ

وبعد أيام ، وفى السابع والعشرين من نفس الشهر ، وقبل أن تجف دموع الأوفياء على أبى صالح فُجِعَ الشاعر بوفاة أخ كريم وصديق حميم هو المغفور له على العبد الوهاب

المطوع ، والد الأستاذ السيد عبد العزيز العلى ، فنظم فى رثائه عينية طويلة ، وبعد أن يتحدث عن الموت وعظاته ، يصف الراحل الفاضل بما عمل فى دنياه ، فيقول :

حادث الموت كل يوم له فينا م صرعى ، وكلنا سوف يُصرعْ
غير أنَّا لفقد ذى الفضل نشقى   وبفقد الأخيار نأسى ونُفجَع
كابن عبد الوهاب ، أعنى عليا   الكريم الأبر آل المطوع
باذلُ النفع للجميع ، فما قصَّر م يوما عن نافع ، أو تمنع
مدَّ كفيه للفقير بمعروف   أغناه عن ذل سُولٍ وأشبع
كل ذى حاجة يجد من علىٍّ   قاضيا حاجَهُ إذا الفقر أدقع
شاد لله مسجداً ، لم يشاركه   سواه فيما بناه وأبدع
سامعا قول سيد الخلق طه   أحمد المصطفى الشفيع المشفّع :
من بنى للإله بيتا بنى الله   له فى الجنان بيتاً مُوَسَّعْ
وإلى معهد الديانة أبدى   ساعداً ناصراً قوياً وشجَّع
ولجمعية (القناعات) قد مد يمينا   من عينها الفضلُ ينبع
هكذا فليك الرجال أولو الفضـ   ـل ، ذكراهم النشء تنفع

ومن أبياته قوله لبعض صحابه :

لا تفتحن عليك ألسنة الورى   واحفظ مقامك بينهم مادمت حىْ
لا يستطيع المرء ردَّ مقالة   قيلت به ، والعذر عنها شرُّ شىْ

وهكذا يسير الشاعر فى شعره ، تغلب عليه الحكمة واستخلاص العبرة ، ويحلو له الحديث عن كرائم الخصال عند كرام الرجال . . .

***

وحسبنا فى الملاحظة على الشاعر ما يلى :

يتحدث الشاعر فى قصيدته (دمعة على طرابلس) عن الشاب الذى أضله القس فنصَّره بعد إسلامه ، فيقول :

يسوقه القس مكروها لها كمدا   وهو الذى غير دين الله ما دانا

والمناسب هنا أن يقول (مُكْرَهاً) بدل (مكروها) ، لأن المكروه هو غير المحبوب ، وأما المكرَه فهو المضطر ، وهو الملائم هنا .

وفى القصيدة نفسها يقول :

قبحا لكم يابنى الطليان ، إنكم   أحييتم عهد جنكيز بطليانا

والطليان أحيوا عهد جنكيز فى طرابلس ، فلا نعرف معنى قول الشاعر (بطليانا) .

وفى نفس القصيدة يقول :

زلزالُ ظلمكم والله إن له   ناراً تفجَّرُ فيما بعدُ بركانا

وهو يريد أن يقول إن هذا الظلم منكم سيولِّد فى المظلومين ثورة ضدكم كالبركان ، ولكن هذا المعنى لا يُفهم بوضوح من تركيب البيت ! . . .

وأحيانا تظلم القافيةُ الشاعر ، فيضطر إلى التقديم والتأخير ، مما ينال من ترتيب الكلام ووقعه ، وذلك مثل قوله :

أسعدوا غيرهم ، فنالوا رضا الله   وحمداً لهم من الناس يسمع

وقوله :

أم عصبة الأمم الكبرى تحبذه   لكم ، وتلك سلاماً تطلب الآنا

وقوله :

هكذا فليك الرجال أولو الـ   ـفضل ، ذكراهم النشء تنفع !

الشاعر صقر سالم الشبيب

الشاعر صقر سالم الشبيب هو شيخ شعراء الكويت سناً وسبقا إلى الشعر وشهرة فى الكويت وما حولها من الإمارات . . . وهو الآن فى عهد الشيخوخة الضعيفة ، قد أغلق عليه باب داره ، فهو لا يزور ولا يزار ، ولا يخرج من بيته فى ليل أو نهار ، وقد نالت منه الدنيا بعد أن نال منها ، وقد ذاق ألواناً من بأسائها وضرائها ، بعد أن طعم فنوناً من نعمائها وسرائها ، وقد حاولت أن ألقى الشاعر فى محبسه ، ولكنى علمت أن الطريق إليه غير ميسور ، على الرغم من دنوه وقربه . . . فليس هناك من يلقى الشاعر سوى الأستاذ أحمد البشر عضو مجلس المعارف بالكويت ، وصديق الشاعر القديم ؛ هو الذى يلقاه ، ويقرأ له ، ويسمع منه ، ويقوم على شئون حياته ، ويحفظ معه حق الصحبة وحق الوفاء .

وبين صقر والمعرى بعض الشبه — مع مابين الرجلين من فروق — فكل منهما قد ضاق بالحياة والأحياء ذرعاً ، فآثر الوحدة والانطواء ، فلو قال المعرى :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى — وصوَّتَ إنسان فكدت أطير !!

لوجدنا صقر الشبيب يقول :

ولما لم أجد فى الناس حراً — يعين على ملمات الدهور
نبذت الناس ظهريا ورائى — وناديت المنون : ألا فزورى !

وكل من الرجلين قد قال الشعر ، وقاله فى طبائع الناس وفلسفة الأشياء واستيحاء نزعة الارتياب والشك ؛ وكل منهما قد حُرم نورَ بصره ، وإن توقدت أضواء بصيرته ، فعاش فى ظلام من دنياه ، عاونه على الانصراف إلى وساوسه وأفكاره ، وكل منهما قد حبس جسمه فى داره ، لايخرج إلى الناس ولايدخلون إليه ، وإذا كان المعرى قد سُمى : (رهين المحبسين) فى القديم ، فإن الشبيب (رهين المحبسين) فى الحديث . . .

كان والد الشاعر يشتغل بصيد السمك ، وكان يحب عمله ويستغرق فيه ، ولذلك أراد أن يعلم ابنه هذه الحرفة ، ولكن الابن الشاعر أصيب بمرضه فى السابعة من عمره ، ثم ماتت أمه بعد ذلك بسنوات ، ثم لحق بها والده بعد أن أصيب بمرض عضال ، وهنا أحس الشاعر بوحدته وانفراده فى لقاء الحياة ، فولَّد ذلك فى نفسه روحا عصامية ، جعلته يثقف نفسه عن طريق (الكُتَّاب) فى الكويت تارة ، وعن الرحلة إلى البحرين للتعلم فيها تارة أخرى .

وقد أثرت فيه كتب المرحوم المنفلوطى ، إذ عكف عليها وطالعها مرارا ، ثم حفظ الكثير من شعر القدماء ، ولا سيما شعر المتنبى والمعرى ، والكثير من شعر المحدثين لا سيما شوقى وحافظ ، ثم أخذ فى شبابه يقرض الشعر ، وينشره فى مختلف المجلات العراقية والكويتية ، مصوراً به خواطره الفلسفية وغيرته الوطنية وسخطه على المفاسد وبكاءه على المحامد ، وأحياناً تطوف بذهنه شكوك وشبهات ، فلا يمتنع عن تضمينها شعره ، مثل قوله فى كأس القدر :

أحس كغيرى طعمها غير عالم — كغيرىَ أيضاً — سرَّ تجريعىَ الكأسا
فآخذ مضطرا ، وأترك مرغَما — ويُصبح بالأسرار جهلى كما أمسى

ومن هنا اتهمه بعض الناس بالزندقة والإلحاد ؛ والله أعلم بالسرائر .

وكان صقر شاعرا خاصاً لسمو الشيخ سالم بن مبارك الصباح ، وهو الحاكم التاسع للكويت ، وقد تولى حكمها فى ربيع الأول سنة ١٣٣٥ هـ ، بعد وفاة أخيه جابر . والسبب فى اتصال الشاعر بالأمير أنه قدم إليه قصيدة يصف فيها حالة الشوارع السيئة من ناحية القذارة ، وما يلقى فيها من مياه تؤذى المارة وخاصة العميان ؛ وقد صوّر الشاعر فى القصيدة قصة أم لأيتام صغار كانت تحمل بيضاً ، فزلقت رجلها ، فتكسر البيض كله ، فبكت وأعولت ، حتى مر بها الشاعر ، وعرف خبرها فأعطاها خمسة دراهم معونة منه لها ، وفى مطلع القصيدة يقول الشاعر :

ومحزونةٍ فى الدرب تبكى وتلطم ... وتُعول من عظم المصاب وتَرزم[(١)]

وفيها يقول :

فأخرجت من جيبى دراهم خمسة ... ولم يك عندى غير هاتيك درهم
فناولتها ما يسّر اللهُ قائلا : ... خذى واعذرى إنى كمثلك معدم
دعت لى إذ ناولتها ، ثم أنشأت ... تسب الذى ألقى المياه وتشتم
فقالت : أظن الشيخ لو كان عالما ... بما منه نشقى فى الطريق ونسأم
لشدد فى نهى الرعايا عن الأذى ... وهدّدهم ، حتى يكفُّوا ويُحجموا
وحاشا لذاك الشيخ تلفيه راضيا ... بما قد غدت منه الضعاف تظلَّم !

وقد استجاب الأمير لرغبة الشاعر ، فشدّد فى المحافظة على نظافة الطرقات وعدم سكب الماء فيها .

وهذا يذكّر بشعر صقر فى ميدان (الصفاة) بمدينة الكويت . فقد كان معروفا بالزحام الشديد ، لتكاثر العربان فيه يتجرون فى مختلف السلع والحيوانات . فقال صقر :

ما فى الصفاة لذى عمىً ... مثلى أمور تحمد
كم مرة قد ضمنى ... فيها زحام أنكد
كادت به عن جثتى ... نفسى العزيزة تفقدُ

وكان البيت الذى يسكن فيه الشاعر متهدما ، فتقدم بقصيدة إلى الأمير سالم يعرّض له فيها بذلك ، ويرجو أن يصلحه الأمير ، وأصدر الأمير أمره بإصلاح بيت الشاعر ، ولكن المأمور بذلك تباطأ قليلا ، فكتب الشاعر إلى الأمير يقول :

(١) الرزمة محركة صوت الصبى والناقة ، وأرزم الرعد اشتد صوته ، أوصوت غير شديد والناقه حنت على ولدها ، وأرزمت الريح كان لها صوت .

أبا الشهم عبد الله لو أنهم مشوا   إليه بمجـــد لابتنوه وتمموا
بخمسة أيام ، ولـكنهم مشوا   إليه كما يمشى إلى السجن مجرم

وما هى إلا أيام حتى أُصلح البيت ، وأُنفق عليه ما لا يقل عن ثلاثة آلاف روبية، وإنها لشىء كثير يومذاك ، فشكر الشاعر الأميرَ بقصيدة منها :

ومالى لا أُوليه شكرىَ والثنـا   ولولاه أدنتنى الهموم من القبر
وأعلم أنى لا أقوم بشكره   ولو أننى أفنيت فى شكره عمرى !

ويظهر أن الشاعر كان يضيق كل الضيق بأناس يتخذون الغش والخداع مفتاحا لأكل الدنيا باسم الدين ، وهؤلاء الشياطين هم سبب البلاء فى كل مكان وزمان . ولذلك صاغ الشاعر فى علماء السوء هؤلاء قصيدة طويلة ، كلها سياط من التقريع والاستهزاء ، ومنها قوله :

علمتم باتحاد القـوم فوتا   لمـا فيـه لمطمعكم عُـلاله
فأبدلتم وئام القـوم خُلفـا   لتحظوا بالدقيق وبالنخـاله
وألبستم خداعـكمُ لثاماً   من اسم الدين مسبلة غلاله
أعند أولى العمائم من كتاب   به قد خصهم ربُّ الجلاله ؟
فهم يتلون دون الناس آيا   إلى قبح الشقاق به استماله
لتوقد من جحيم الخلف مالا   يخاف سوى الألباء اشتعاله
وتوهم أن فى التفريق رشـداً   إذاً فالرشـد هلك لا محاله
أيودى بالشعوب سوى اختلاف   يصـول على تجمعهم صياله ؟
سلوا عنه أولى الألباب ترفع   لـكم عن سوء عقباه حجاله !

وقد قيل فى سبب اعتزال الشاعر الناس إنه يرجع إلى اتهامهم إياه بالزندقة ، وعندى أن هذا الاعتزال قد دعت إليه أمور ، منها نزعة الشاعر المتشائمة ، وحرمانه مما يطمح إليه أو يعتقد أنه حق له ، واعتزازه بنفسه ، وضيقه بما يرى ويسمع مما لا يرضى عنه ولا يستطيع تغييره ، وعدم انسجامه فى التفـكير مع العامة من الناس ، وسوء تفسير الناس لما يقول ويذيع ، واطلاعه على المآسى من تصرفات الناس ونزغاتهم .

ولماذا نطيل القول فى ذلك ، والشاعر نفسه يجيبنا عن ذلك أفصح جواب ، فيقول :

قالوا اعتزلت الناس ، قلت لأنهم   جرُّوا علىَّ المحزناتِ صنوفا
لولا مخالطتى البرية لم يكن   قلبى لذوْبان الهموم خروفا

ويقول :

ولما لم أجد فى الناس حرا   يعين على ملمات الدهور
نبذت الناس ظهريا ورائى   وناديت المنونَ : ألا فزورى
فمثلى ما له فى العيش خير   وهل فى العيش خير للفقير ؟
أخاف إذا بقيت تذل نفسى   على طمع لذى مالٍ كثير
فتمنحه مدائحها اللواتى   تعز على الفرزدق أو جرير
فيجزينى على شعرى شَعيرا   ولست من البغال أو الحمير
ولكنى كما سُمِّيت (صقر)   وهل أبصرت ذلا فى الصقور ؟!

ويقول :

كأنى بينكم ذئب خبيث   ومن ذا يرحم الذئب الخبيثا ؟
فإن يغضبكمُ نصحى وأنى   لكم بالغش لم أمزج حديثا
فسبونى وآذونى ، فإنى   بسيرى فى النصيحة لن أريثا

ويقول :

يقولون لى (ياصقر) مالك واقعا   من الكف عن طير القريض على وكر
إذا لم تحلق فى فضا الشعر صائدا   طيورَ معانيه فما أنت بالصقر
وما علموا أن المقادير قد رمت   جناحى عن قوس الحوادث بالكسر
إلى الله أشكو أننى فى معاشر   يرونى[1] من الإعسار كالواوفى «عمرو»

ولكى نتبين مكانة الشاعر صقر الشبيب نستمع إلى أبيات من قصيدة صاغها شاعر الخليج خالد محمد آل فرج فى صقر ، وهى :

معرى الكويت وبشَّارَها   هززتَ من النفس أوتارَها
وألمستها من دقيق الخيا   ل ما يعجز أفكارها
بآيات سحر هتكن القلو   بَ ، أزحن عن النفس أستارها
هى الشمس تسطع فوق الجبا   ل ، وترمى إلى القوس أنوارها
فينظرها كل ذى خبرة   ومن كان يجهل أسرارها

---

(١) هكذا ، والأصل : يرونى .

ولو مُثّلت للمعانى الريا ض لكانت معانيك أزهارها
أتانىَ شعرك مثل الحيا ة ، فجدد للنفس تذكارها
ألفتُ الفراق وأهواله كما تألف العيسُ أكوارها
وقد يألف الجسمُ فعلَ السمو م إذا ما تعود تكرارها
فأحسب ورد الربى شوكه وجمر الجذيعات جمّارها
فيا (صقر) عطفاً على بائس أبثك للنفس أسرارها

* * *

ويحسن أن نذكر بعض النماذج من شعر صقر الشبيب فيما يلى :

١ — هكذا أعتقد

ليس فى الأرض من طريق يؤدى سالكيه أو بعضهم للسعاده
فلها اسم بين الأنام شهيد ومسماه مستحيل الشهاده
ما رأينا إلا شقاء عتيدا لبنى الأرض كلهم ، أو عتاده
وعلى العلم بالشقاء ترانا نتمنى من البنين الزياده
أمحبٌ أولادَه الوالدُ المسكين ، أم كان مبغضا أولاده
إن يكن والد البنين محبا فلما ذا قد فكَّ بابَ الولاده ؟
وهو باب مُذْ مرَّ منه إلى الدنيا تمنى فى وجهه إيصاده
أفيرضى المحب أن ينظر المحبوبَ يشكو من الشقاء اشتداده ؟
إن يكن حاقدا يريد انتقاما فسلوه ماذا نما أحقاده ؟
إنما يحقد الحقود على من قد رآهم بين الورى أضداده
وبنوه فى عالم الغيب لم يأتوا بأمر يسوءُ منه فؤادَه
وإذن ليس عن هوًى أو لبغض رام ذو النسل نسله وأراده
بل لأمر أراده الله تمت من بنيه إلى الوجود الوفاده
وإذا ما أراد ربك أمراً بدأ الأمر قادراً وأعاده
أوجد الوالد القديم لسر سابغ الكتم يقتضى إيجاده

فأتى الوالد القديم إلى الدنيـا اضطرارا كما أتتها الجراده
ثم أغراه بالتناسل إغرا ء إليه ألقى اضطرارا قياده
فتلقى الوجود منا مسوقا فسوقا كما تلقى جماده

ويمضى الشاعر هكذا فى طريقته المتسائلة المشعرة بأن الإنسان مسيَّر لا مخير ، ثم يختم القصيدة بقوله :

كان هذا لحكمة ، وا كتناه الـــكنه منها أعيا الحجا واجتهاده
ذاك مالا أحول عنه اعتقادا تاركا كلَّ ناظر واعتقاده !

٢ — حب البقاء

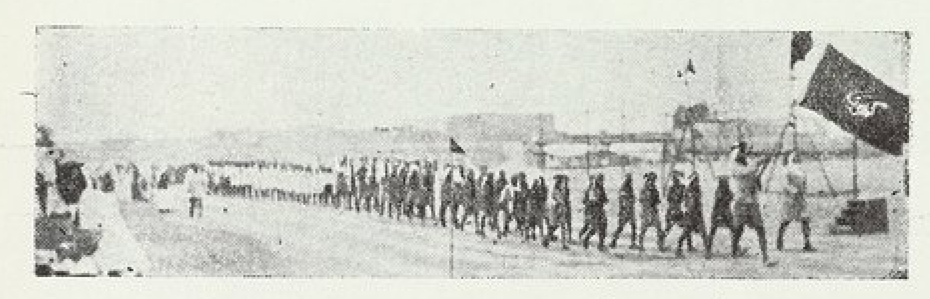
كان صقر قد بلغه أن صديقه الشاعر خالد محمد الفرج قد مات ، فحزن لذلك حزنا شديدا ورثاه ، ثم تبين بعد ذلك أن الخبر كاذب ، والتقى الشاعران ، فصاغ صقر قصيدة تزيد على الستين بيتاً استقبل بها صديقه ، ومنها هذه الأبيات :

مالى أحب حياة أعملت يدها فى نقض ما فتلته قبل من مررى
لـما كبرت غدت للغدر مبدية من حيث يبدو التِوا فى مدة الصغر
فشف إحسانها عن سوئها ، وغدا يشف موهوم صافيها عن الـكدر
أذمها وأنا أخشى قطيعتهـا تناقضٌ ليس بالخـالى من العبر
أهوى امتداد حياتى جاهدا ، وأرى أدنى تكاليفها يدعو إلى الضجر
ولو أتابع عقلى قلت عن ملل منها : أطلتِ زمان الوصل فاختصرى
وما انتفاعى بمحيا عاد يشرقنى بكل ما كان لى من سائغ خصر
لـكن أطعت طباعاً للهوى غلبت والعقل تغلبه مغروزة الفطر
العقل يأبى سوى إرشاد صاحبه لـكن متى ما غزاه الطبع يندحر
وما خطا العقل بى فى سبله فغدت أقدام عقلى بطبعى لسن بالعثر
فبين عقلى وطبعى من مشاكسة مالا أطيق تلافى أمره العسر
ولست وحدى ، لا بل من سواى كذا لحكمة قد يراها منعم النظر
نهوى الحياة ، ولو كانت مصوَّرة للناظرين لكانت أبشع الصور

---

(١) جمع مرة بكسر الميم وهى طاقة الحبل .

وعاد وامقها يطوى جوانحه   لها على شدة البغضاء والحذر
لما تأملتها إلا وأبرزها   لى الحجاه بوجه مرهب نكر
وما تشاغلت عن كنه لها اشتملت   منه ضلوعى على أنكى من الإبر
فليت نفسى لم أصبح لها جسدى   مغنى فظل على الآباد كالحجر
جل الذى دفعتنى كف قدرته   ما بين نابك يا دنياى والظفر
ولم أخير لأمر كنت أجهله   جهل البرية من باد ومحتضر
قد طال عن سره بحثى ، وليلته   تدجو ، وقد يئست نفسى من السَّحَرِ
واصلت بحثى عنه جاهدا ، وأرى   بحثى يعود إلى ضرب من الهذر
سبحان ملهم نفسى حب رؤيتها   وجها تحجب بالضافى من السُّتُر
دنياى ، عذرك باد فى إساءة من   إليك لم يدن عن شوق ولا خير
وإنما زار مدفوعاً ، ومنيته   منذ اللقاء أنه إياك لم يزر
ومن يزر وهو لا يهوى المزور يكن   بما يحب من الإكرام غير حرى
وردت حوضك مضطراً فأحدث لى   وروده ما طوى نفسى على حرر
ولم أجد فيك من ماء برودته   تشفى صداى ، فهل يشفى الصدى صدرى
وإن تكن مثل هذى الدار آجلتى   فيافؤاد اضطرب حزنا أو انفطر
ولست أحسب هذا لاحقاً رجلا   لم يعط فوت لظى الأولى ولم يعر
فالله أعدل من أن لا يجنبنى   قضاءه سقراً إلا إلى سقر ! !



للكشافة فى الكويت فرقها ونشاطها ... وهذه إحدى الفرق

الشاعر فهد العسكر

ولد الشاعر فهد بن صالح بن محمد العسكر بمدينة الكويت ، سنة ١٣٣٢ هـ تقريباً ، وكان ميلاده فى حى الوسط بالقرب من المدرسة المباركية ، وفى منزل مجاور لمبنى جمعية الإرشاد الإسلاميـة الآن ، وكانت أسرة الشاعر غنية ميسورة ، وكان والده فى أول أمره يشغل وظيفة الإمامة فى مسـجد البحر ، وعنده عقارات كثيرة ، ثم اشتغل موظفاً فى الحكومة الكويتية ، وكانت وظيفته هى جباية الخراج على الأراضى والعقارات ، ووالد فهد هذا كويتى عربى أصيل ، ينتسب إلى قبيلة (عنزة) ، وأمه كويتية عربية كذلك وأسرة الشاعر متوسطة العدد ، إذ له نحو خمسة إخوة وأخوات ، وكان هو أكبر إخوته ما عدا أختاً تكبره .


الشاعر فهد العسكر

لم يتعرض الشاعر فى طفولته لأمراض أو علل ، وكانت صحته جيدة فى صباه ، وكان فى فتوته متديناً متعبداً ، يرافق أباه فى غدوه إلى المسجد ورواحه منه ، ولا شك أنه سمع حينذاك الشىء الكثير من آيات القرآن الكريم ، وقرأه سرداً ، وربما حفظ بعضه ؛ ولما شب فهد دخل المدرسة الأحمدية سنة ١٣٤٠ هـ ، وبقى فيها مايقرب من عشر سنوات ! . . . وكان من زملائه فيها السيدان يوسف حمد المشارى وعبد اللطيف النصف (وهما شاعران أيضاً) .

وقد قال الشاعر الشعر وهو فى المدرسة الأحمدية ، وكان مدير المدرسة حينذاك المرحوم صالح المبيض ، وكان من أساتذته فيها السيد عبد الله النورى والسيد راشد السيف ، وكانت المدرسة الأحمدية يومذاك أعلى مستوى من المدرسة المباركية — كما قرر لنا ذلك السيد راشد السيف — .

سافر الشاعر بعد ذلك إلى المملكة العربية السعودية ، وهو يطمع أن يجد وظيفة فى ديوان الملك ابن سعود ، أو أن يكون شاعره هناك ؛ ولما قابل الشاعرُ الملك عبد العزيز أنشد بين يديه قصيدة ، فوهبه الملك هبة طيبة ، وعرض عليه أن يشغل وظيفة كاتب مع القوات السعودية الموجودة يومذاك فى منطقة العسير — وكانت هناك بعض الاضطرابات — فرفض الشاعر ذلك قائلا : « أنا من حملة الأقلام لا من حملة السلاح » ! . . .

ورجع الشاعر إلى وطنه الكويت ، وظل مدة بلا عمل ، اللهم إلا إذا كان قرض الشعر يسمى عملا ؛ وكان والده يبسط له يده بالنفقة ، فيحصل الشاعر من وراء ذلك على ما يريد ، وحدث أن فتاة مسيحية كانت تشتغل فى مدينة الأحمدى ، وأحبت فتى باكستانيا مسلما ، ورغبت فى زواجه فرغَّبها فى الإسلام فأسلمت وتزوجته ، ثم أساء هذا الشاب معاملتها فيما بعد ، فساءت فكرة الفتاة عن الإسلام والمسلمين ، فارتدت إلى دينها الأول ، وألم الشاعر بالقصة ، فنالت من نفسه وعلق بها ، وجعل يخاطب الفتاة ، ويوجه إليها الحديث فى كثير من قصائده . . .

وتُوفى والد الشاعر قبل وفاة الشاعر بسنوات ، فورث الشاعر عن أبيه بعض المال ، فبسط يده فى الإنفاق بلا حساب ، حتى ساءت بسبب ذلك علاقته مع إخوته وأقربائه ؛ وأصيب الشاعر الشاب بمرض فى عينيه أدى إلى كف بصره فى نهاية حياته ، وقبل وفاته بسنتين على وجه التحديد ، ولما أصيب فى عينيه اعتزل الناس ، واعتكف فى بيت الأسرة ، وجعل لا يخرج إلا نادرا .

وكان الشاعر أسمر اللون ، مربوع القامة ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، وليس بالنحيل ولا بالبدين ، وإن كان قد أصابه شئ من الهزال فى أخريات أيامه ، وكان له صوت مؤثر ، وكان يزداد تأثراً وتأثيرا إذا أنشد الشعر ، وقد تغنى كثيراً ببنت الحان ، ويقال إنه كان يعرف مائدة الكأس أو يألفها سرا ، وكانت تنتابه بعض الشكوك والاضطرابات ، ولكنه استقام فى أخريات أيامه .

وكان باب الشاعر مفتوحا لكل شاعر يقدم الكويت ، يتحدث معهم ويُسمعهم ويسمع منهم ، وكان يجيد الدعابة وإيراد النكتة الملفوفة والمكشوفة ، وكان دائم الشكوى منقبضا من الحياة والأحياء ، ومن عجيب أمره فى الشعر أنه كان أحيانا ينظم

القصيدتين ذما وقدحا فى موضوع واحد ، وكان يكتب شعره أولا بيده ، ثم صار يكتب له بعض أهله وأصدقائه ، وقد ضاع من شعره الكثير ، وكان يحب أكل (البطاطس)[1] المطبوخة ، ويسرف فى شرب الدخان والشاى .

وفى أخريات أيامه أصيب بقرحة خطيرة فى فكه الأعلى ، ولعل هذه القرحة كانت موصولة بمرض السرطان ، فلم تمهله القرحة إلا شهراً واحداً ، ثم توفى فى المستشفى الأميرى الموجود الآن على الشاطئ بمدينة الكويت ، ويقال إن وفاته ترجع إلى التدرن الرئوى ، وكانت الوفاة فى شهر أغسطس سنة ١٩٥١ م .

يعتبر فهد العسكر ممثلا لمرحلة الانتقال من الشعر القديم إلى الشعر الحديث فى الكويت ، ويعتبر رجلا فنيًا زاد غليانه فى مجتمع معروف بالهدوء والمحافظة ، فقذف بحميمه ، فكان منه الخير الذى صحبه بعض السوء . وكان فهد ثورة عنيفة عارمة فى وجه التقاليد والعرف والعادات ؛ وليس هيِّنا فى مثل بيئته أن يتحدث شاعر عن الجمال كما تحدث ، أو يصف السلاف كما وصف ، أو يهاجم الموروث كما هاجم ..

لقد تغنى فهد بالحب والجمال ، وتغزل وشبَّب ، ولذلك حمل عليه الناس وقالوا فيه ، وترى شعره مقسما بين الغراميات وهى أكثر شعره ، والخمريات وهى تأتى عقب الغراميات ، ثم القوميات وهى قليلة ولكنها قوية ، ثم الوصف وهو رائع ، ثم تعلقه بأقوال الشعراء مما دفعه أحيانا إلى التخميس والتشطير ...

ونستطيع أن نقول إن شعر فهد كان ثورة فى المجتمع الكويتى ، فقد تأبَّى على المحافظة والتقليد ، وانطلق حراً من القيود ، محطِّماً السدود ، فأخذ يقول فى كل ما يريد كما يريد ؛ وأنت إذا وزنت شعره بميزان الفقيه كان لك عليه حكم عنيف ، وإذا وزنته بميزان الأديب المتجرد اعتبرته ثروة فنية ذات أثر عميق وخطير فى تاريخ الشعر الكويتى . . .

وسيكون لنا حديث خاص عن فهد فى تقديم ديوانه الذى نعده الآن للظهور ، ولذلك نكتفى بما سبق من حديث ، ونقدم بعض المختارات من شعره ، ليكون دليلا عاجلا على أن الشاعر الذى اهتصر عوده وهو فى عنفوان شبابه كان مفتاحا لحركة جديدة فى شعر أبناء الكويت المعاصرين .

---

(١) الكويتيون يسمون البطاطس (البطاط) .

١ — الحنين إلى الوطن

«قالها فهد سنة ١٩٤٥ فى مسابقة شعرية نظمتها إذاعة لندن العربية ، وقد نالت هذه القصيدة الجائزة الثانية فى المسابقة» :

صديانُ ، يغلى فى حشاه المرجلُ ترثى الجنوبُ له ، وتحنو الشمألُ
هيهات تلهيه الطيورُ بشدوها ويبل غلتَه الرحيق السلسل
(كابن الملوح) لا يقر قراره أبدا إلى (ليلى) يحن ويسأل
يالائميه ، سُقيتمُ صابَ الأسى كُفُّوا ، متى بل الأوامَ الحنظل ؟
هيمان ، كم ذكر الحمى ، وأقامه وَلَهٌ ، وأقعده الهوى المتغلغل
واغرورقت عيناه ، أو كادت ، فيا لهوًى تطيب به النفوس وتكمل
وتجود بالغالى ، وسحقا لامرىء لا يبذل الغالى النفيس ، ويبخل
بسبيل موطنه ، وحبٍّ بلاده هذا ، ولا عاش الخؤون المبطل

***

هيمان ، ها هو والظلام مخيِّمٌ متلهف فى جنحه ، متعلل
متعطش والذكريات هواتف تهفو بخافقه الحنون ، وتنهل
وتعربد الأحلام فوق جفونه سَحَراً ، ويسقيها الهوى المسترسل
يصبو ، ويبعث — والنسيم رسوله — قُبلا يكاد يذوب فيها المرسل
لمسارح ، وملاعب ، ومراتع ومرابع فيها البدور الكمل
شطت ، وعانقت الرؤى أطيافها وعليه فى وادى الكرى تتنزل

***

ولهان ، قد طبع الحنين بذهنه صوراً ، فدعه غارقاً يتخيل
صور مجنحة بريشة وهمه تغرى ، وتدبر فى الخيال وتقبل
منها أطلت ذكرياتٌ حلوة بيضٌ ، يقص رؤاه وهى تؤول
حفت بها الآمال سكرى والمنى ودنت فكاد يضمها فتقبِّل
فهنا الطفولة والصبا ، وهنا الهوى وهناك ملعبه ، وهذا المنزل

وهنا الأحبة ، ودَّعوهـا ها هنا   ومضى وراح بحسنها يتغزل

* * *

نشوان إذ أصغى بأذن خياله   والوهم يملى ، والوداد يسجل
والوجـد يرقص فى قرارة روحه   والشوق يعزف ، والفؤاد يرتل
فشـدا له ناى ، وغنى شاعر   وترنمت وُرْق ، وصفَّق جدول
وتساءلت أمٌّ ، وذكّر والد   ودعا أخو روح ، وأمَّنَ محفل
واستفسرت أختٌ ، ونادت طفلةٌ   والكل منهم شَفَّهُ ما يحمل
دنيا من الأوهام ، غاب سويعةً   فيها ، وعاد وقلبه يتململ

* * *

متفائل ، لا اليأس يعرف مدخلا   لفؤاده — وهو الشجىُّ — فيدخل
صرع الشكوكَ بحزمه ويقينه   ومن الوساوس ما يهز ويقتل
فاسمعه يا هـذا يحيِّى موطناً   فى جانحيه له المقـام الأول :
وطنى ، فديتك ، عش ودم واسلم وطب   فحمائم السـلم القريب ستهدل
والمجد باسمكِ يا ربوع مسبِّح   والفخر يهتف ، والزمان يهلل !

٢ — وطنى

كُفِّى المـلام ، وعلِّلينى   فالشـك أودَى باليقين
وتناهبت كبدى الشجو   نُ ، فمَن مُجيرى من شجونى ؟
وأمضَّنى الداء العَيَا   ءُ ، فمَن مُغيثى ؟ مَن معينى ؟
أين التى خُلقتْ لتهـوا   نى ، وباتت تجتوينى ؟

* * *

أختاه ، قـد غلب الأسى   كُفِّى المـلام ، وعلِّلينى
اللهَ يا أختاه فىَّ . . .   ترفـقى ، لا تعذلينى
أرهقتِ روحى بالعتـا   ب ، فأمسكيه ، أو ذرينى
أنا شاعر ، أنا بائس   أنا مستهام ، فاعذرينى

أنا من حنيني في جحيم ، آهِ من حَرِّ الحنين !
أنا تائه في غيهـبٍ ، شبحُ الردى فيه قريني
ضاقت بي الدنيا ، دعيني أندب الماضي ، دعيني
وأنا السجين بعقر داري ، فاسمعي شكوى السجين
بهزال جسمي ، باصفراري ، بالتجعد ، بالغضون !

* * *

وطني ، وما أقسى الحياة به على الحر الأمين
وألذُّ بين ربوعه من عيشتي كأسُ المنون
قد كنتَ فردوس الدخيل ، وجنة النذل الخئون
لهفي على الأحرار فيك ، وهُمْ بأعماق السجون
ودموعُهم مُهَجٌ ، وأكبادٌ ترقرق في العيون
ما راع مثل الليث يؤسر ، وابن آوى في العرين
والبلبل الغرِّيد يهوِي ، والغراب على الغصون !

* * *

وطني ، وأدت بك الشباب ، وكلَّ ما ملكت يميني
وقبرت فيك مواهبي ، واستنزفت غللي شئوني
ودفنتُ شتى الذكريات بغَوْرِ خافقيَ الطعين
وكسرت كأسي بعد ما ذابت بأحشائي لحوني
وسكبتها شعراً رثيتُ به مُنى الروح الحزين
وطويتها صحفاً ضننتُ بها ، وما أنا بالضنين
ورجعت صفرَ الكفِّ ، منطوياً على سرٍّ دفين
فلأنْتَ يا وطني المدين ، وما هزارُك بالمدين

* * *

وطني ، وما ساءتْ بغير بنيك يا وطني ظنوني
أنا لم أجد فيهم خدينا . آهِ من لي بالخدين ؟
واضيعةَ الأمَل الشريد ، وخيبةَ القلب الحنون

رقصوا على نوحى وإعوالى ، وأطربهم أنينى
وتحاملوا ظلما وعدوانا علىَّ ، وأرهقونى
فعرفتهم ، ونبذتهم ، لكنهم لم يعرفونى
وهناك منهم معشر ؛ أفٍ لهم ، كم ضايقونى
هذا رمانى بالشذوذ ، وذا رمانى بالجنون
وهناك منهم من رمانى بالخلاعة والمجون
وتطاول المتعصبون — وما كفرتُ — وكفَّرونى
وأنا الأبى النفس ، ذو الوجدان والشرفِ المصون
الله يشهد لى ، وما أنا بالذليل المستكين
لا درَّ درُّهم ، فلو حزتُ النضار لألَّهُونى
أو بعتُ وجدانى بأسواق النفاق لأكرمونى
أو رحتُ أُحرق فى (الدواوين) البخورَ لأنصفونى
فعرفتُ ذنبى أنَّ كبشى ليس بالكبش السمين
يا قومُ ، كُفوا ، دينُكمْ لكُمُ ، ولى يا قومُ دينى

***

ليلاىَ ، يا حلم الفؤاد الحلوَ ، يا دنيا الفنون
يا ربة الشرف الرفيع البكر ، والخلق الرصين
يا خمرة القلب الشجىِّ ، وحُجةَ العقل الرزين
صنتُ العهود ، ولم أحِدْ عنها ، فيا ليلاى صونى
عودى (لقيسك) بالهوى العذرى ، والقلب الرهين
عودى إليه ، وشاطريه الحبَّ بالدمع السخين
عودى إليه ، واسمعى نجواه فى ظل السكون
فهو الذى لهواك ضحَّى بالرخيص وبالثمين

***

ليلى ، تعالىْ زوِّدى قبل الممات ، وودِّعينى
ليلاى ، لا تتمنعى ، رحماك بى ، لا تخذلينى

ليلى ، تعالىْ ، واسمعى وحى الضمير ، وحدثينى
ودعى العتابَ إذا التقينا ، أو فَفِى رفق ولين
لِمَ لا وعمرُ فتاكِ أطولُ منه عمرُ الياسمين ؟
لله آلامى وأوصابى إذا لم تسعفينى
هيمان كالمخبول ، أخبط فى الظلام ، فأخرجينى
متعثر ، نهب الوساوس والمخاوف والظنون
حفَّت بى الأشباح صارخةً ، بربك أنقذينى
واشفى غليلى ، وابعثى ميْت اليقين ، ودلِّلينى
ليلى ، إذا حُمَّ الرحيل ، وغصَّ قيسك بالأنين
ورأيت أحلام الصبا والحبُّ صرعى فى جفونى
ولفظتُ روحى ، فاطبعى قُبَلَ الوداع على جبينى
وإذا مشوا بجنازتى ؛ ببنات فكرى شيِّعينى !
وإذا دُفنت فَبَلِّلى بالدمع قبرى ، واذكرينى !

٣ — الجندى فى ميدان القتال

« قالها فهد سنة ١٩٤٤ فى مسابقة شعرية نظمتها إذاعة لندن العربية ، وفازت بالجائزة الأولى » :

ودَّع الأهلَ ، والحمى ، والمغانى مدنف القلب فى هوى الأوطان
سمعَ الحقَّ حين نادى : ألم يأ ن ؟ فلبَّاه غير ما متوانى
وهفت روحهُ إلى مذبح الحقِّ م وزَفَّ القربان للميدان
حيث إخوانه ، وكم جمع المي دانُ شملَ الإخوان بالإخوان
باسمٌ للرؤى ، وكم أطبق الجف ن ، فطافت بطرفه الوسنان
ولأشباح وجده رقصاتٌ تحت أضلاعه على الخفقان
وضرام الأشواق فى جانحيه يتلظى على أعزِّ الأمانى

* * *

عشق المجدَ ، والهوى فكرةٌ تنـ مو ، وتسمو بالروح والوجدان

واجتوى الذلَّ . كيف لا وهو حر؟   أيطيق الأحرارُ عيش الهوان ؟
ياله اللهُ من همام غيور   صادق العزم ثابت الإيمان
(حَملٌ) قبل أن تدور الرحى (ليْـ   ـثٌ) إذا أوشكتْ ، قوى الجنان
يتغنى — والموتُ منه قريب —   بالمنى ، والجندى رمزُ التفانى
أىُّ وقع فى النفس - صاح - لمرأى   مستميت يختال فى الأكفان
تتراءى فى عينه صورٌ قد   أخرستْ عبقرية الفنـان
رسمتها بريشة الحزم والعز   م يدُ الحق فى أدقِّ معان
وإذا ما دعاه قائـده البا   سلُ لباه بالروح ، لا باللسـان
يتخطى الصعابَ غير مبالٍ   بزفير الآلات والنيـران
وزئيرُ الحـديد فى أذنيـه   شـدوُ قيثارةٍ ، ورجعُ مثانِ
وأنين الجرحى وحشرجة المو   تِ هتافٌ ، لا عاش كلُّ جبان
ويزيد الملاحَ فى ثورة اليمِّ   نشـاطاً مهـارةُ الربان

***

دمهُ فى عـروقه أججتهُ   ثورةُ الروح ، فهو فى غليان
هاتف صارخ به ، وهو فى   ليل من النقْع بين سحب الدخان
وكؤوس الردى يطوف بها الهو   لُ ، فلله سكرةُ الندمان
كلما صفَّق العلا لشهيد   هتف المجدُ للشهيد الثانى !
أى بأسٍ كبأسه حينما ثا   ر بوجه الأعداء كالبركان ؟
ثورة زلزلت قلوباً وأروا   حاً ، فباء العدوُّ بالخذلان
إن للحق صولةً تصرع الظلـ   ـمَ ، وتُودى بالبغى والطغيان
وجنوداً تُمدهم قوة اللـ   ـه ، ويرعاهمُ بعين الحنـان
وجلالاً ملء النفوس تجلَّى   بثبات الشيوخ والشبـان
وجمالاً حواه أسمى وسامٍ   رصعته الجروح بالمرجان

***

إيهٍ يا ابن الحرية البكر ، أبليـ ت ، فإن يهدموا فأنت البانى
فعليك السلامُ حيا وميْتاً وتقبَّلْ منا أحرَّ التهانى !

١ — لا أريد

للشاعر الكويتى الكبير خالد محمد الفرج

لا أريد المال أكداساً ، لجيناً أو نضارْ في (بنوك) عامرات ، وخزانات كبارْ
أو قصوراً شامخات ، أو نخيلا أو عقار أو رفاها من نعيم العيش ما شاء اليسار
وأنا أنظر حولى . كم عليها من فقير !
لا أريد الشمس تسبينى بأنوار الشروقْ أنا لا أنظر للروض بألحاظ الشفوقْ
غادتى ، لا تحسبي صدًى جفاءً أو عقوق كل حُسن أو بهاء أو جمال لا يروق
وأنا أنظر حولى . كم عليها من ضرير !
أيها البلبل مهلا ، لا تغرد فى الغصون قطِّع الأوتار يا عازف ، واهدأ فى سكونْ
لا أريد الأذن أن تسمع نغما أو شجون لا خريرا ، لا عزيفا ، لا رنينا ، لا حنين
وأنا أنظر حولى . الصمُّ فى الدنيا كثير
لا أريد السعد أن يدخل بيتى بالهناء لستُ ياهذا سعيدا وأرى حولى الشقاء
صحتى سقم إذ المرضى يعانون البلاء غير أنى باسم للموت إن جاء الفناء
كل من أنظر حولى إلى الموت يصير !

٢ — إلى الجامعة العربية

عقدت اجتماعك يا (جامعهْ) فهل أنت مبصرة سامعهْ ؟
سئمنا الكلام ، فهل من فعالٍ ؟ فإن الأعادى بنا طامعه ؟
أسبعٌ عجائبُ هذا الزمانِ نزلنا إلى منتهى (السابعه) !

---

(١) كنا نتمنى لو استقصينا الأنباء عن سائر الشعراء ، القدامى والمحدثين ، ولقد حاولنا ذلك فلم تتيسر أمامنا الأسباب ، رغم جهود بذلت ، ولذلك نقطف هنا مقطوعات لشعراء قدامى ومحدثين ، بعضهم لا يزال يقول الشعر ، وبعضهم انقطع عنه .

كفانا ولائمُ فيها الدُّسُوم   تُمَصُّ من الأمة الجائعه
كفانا أحاديث لا تنتهى   كفانا وعودُكم المائعه
كفانا خنوعا ، وها أنتم   ملايينُ فى رقعة واسعه
كثيرون فى ذلة من خلاف   غنيون فى أنفس قانعه
قصارى السياسى فى سعيه   إذا فاز (بالنقطة الرابعه) !
فيا رب رحماك ، أنقذ حماك   وخذ بيدىْ أمة ضائعه !

إلى أسد الريف الأمير عبد الكريم الخطابى

من قصيدة للشاعر عبد اللطيف إبراهيم النصف (١)

قالها منذ عهد بعيد

طلعت فظنوا فى ثيابك طارقاً   وذكرتهم أيامَ (طارق) فيهمُ
صدمتهم وسط الملاحم صدمة   فكم بعدها ثكلى ترن وترزم (٢)
فلله يوم فيك قد شهد العدا   حساماً جلاه الله ، لا يتثلم
فقد علمتْ (مدريد) أنك فاتح   وقد شهدت باريس أنك ضيغم
وقد علموا لو أصبح العلم نافعا   بأنك من (بسمارك) أدهى وأحزم
وأنك أقوى الفاتحين حفيظة   وأمضاهمُ عزما ، وأعلى وأعظم
فضع فيهم السيف الذى أنت حامل   وعلِّمهم فى الحرب مالم يعلَّموا
تقدمت ، لا يثنيك عما ترومه   مدافع يرتاع الردى حين تهزم
إذا سُددت فهى القضاء مسدد   وإن أطلقت فهى البلاء المحتم
تدك الجبال الشم وهى منيعة   وتحصد جمع الجيش وهو عرمرم
فرحى لليث العُرب ، مرحى ومثلها   ثلاث يؤديها اليراع المقوَّم !

---

(١) ترى ما الذى صد الشاعر عن التغريد الآن ! ...

(٢) فى القاموس المحيط : « ... والرزمة محركة صوت الصبي والناقة ، وذلك إذا رئمت ولدها (أى أحبته وعطفت عليه) تخرجه من حلقها ... وأرزم الرعد اشتد صوته ، أو صوت غير شديد ، والناقة حنت على ولدها ، والريح فى الجوف صاتت » . وفى النهاية لابن الأثير : « ... إن ناقته تلحلحت وأرزمت أى صوتت ، والإرزام الصوت لايفتح به الفم » . وفى أساس البلاغة للزمخشرى : « ... ومن المجاز : أرزم الرعد ، وأرزمت الريح وسمعت رزمة الرعد والريح ، وسماء رزمة ومرزمة ... » .

أقسمت يا شعب

من قصيدة طويلة للشاعر حجي بن قاسم آل حجي الكويتي :

أقسمت يا شعبُ أني   لا أُخلف الدهر عهدَك
وعـدَتني بنهوض   فحقق الله وعـدك

ياشعب ، قلبي كليم   قـد أثقلته الليـالي
ياشعب ، إن شـفائي   أمنيـة من مُحال !
أبيتُ رهن قيـود   عـلى أكُفٍّ ثقال
مظلـــــل بغمام   أقْبِحْ به من ظلال
علمت ممـا أراه   أن المنـايا حيـالي
ناديت : يا قوم هل مَنْ   يجيب منكم سؤالي ؟
من يخطب البكر يوما   يبذل لهـا كلَّ غال

أقسمت يا شعب أني   لا أخلف الدهر عهدك
وعـدتني بنهوضٍ   فحقق الله وعـدك !

تعليم البنات

من قصيدة قديمة العهد للشاعر السيد مساعد السيد عبد الله الرفاعي :

أما في القـوم من شهم لبيب   يحث القوم في طلب الفخـارِ
إلام القـوم في جهـل وغيّ   وما في الجهل غير الاحتقـار ؟
أليسوا نسلَ من سادوا البرايا   أباة الضيـم أرباب الوقار ؟
فمن خير الأنام خذوا حديثاً :   من الإيمـان حُبُّك للديار
فإن أنتم تـكافلتم نُصرتم   وإلا للمـذلة والصَّغـار
فقالت : قد صدقت وأي صـدق !   وقد قلتَ الصـحيح ولم تمـار (١)
ولـكن ما حيـاة بنات جنسي   وما أخـلاق ربات الخمار ؟
فقلت لهـا : معارفهن أضحت   بنقش الـكف مع لبس السوار

---

(١) بنى الشاعر قصيدته على حوار بينه وبين امرأة ثـكلى تخاف على ولدها .

وتزجيج الحواجب ، وا كتحال   وصفِّ الشعر ، أو سحب الإزار
ولا يستطعن تدبيراً لبيت   ولا يُحسنَّ تربية الصغار
فراحت تلطم الخدين حزناً   ودمعتها الغزيرة بانهمار !

تشطير أبيات لبشار

للشاعر الكويتي أحمد بن خالد المشاري

(عجبت فطمة من نعتي لها)   نعتَ فكر وخيال لابصرْ
وأتت تسأل عنى عجبا   (هل يجيد النعت مكفوفُ البصر) ؟
(بنت عشر وثلاث قسمت)   بين أصناف من الحسن غُرَرْ
آية فى الحسن حتى جمعت   (بين غصن وكثيب وقمر)
(درية ، بحرية ، مكنونة)   حيرت فى الحسن أربابَ النظر
لو رآها تاجر فى دُرَر   (مازها التاجر من بين الدرر)
(أذرت الدمع وقالت : ويلتى)   كيف أنجو من غلام مستشر ؟
كيف أنجو والهوى قيدنى   (من ولوع الكف ركّاب الخطر)

***

(أيها النوام ، هبوا ويحكم)   إن فى الجد فلاحا للبشر
وادأبوا مثلى تنالوا مثلها   (وسلونى اليوم ما طعم السهر) !

هجوم على الجمود

من قصيدة للشاعر أحمد البشر آل رومى

سال دمع العين منى ، وانسكب   من توانى قومنا عما وجبْ
وجب اليوم عليكم سادتى   أن تمدوا للعلا خيرَ سبب
فانفضوا عنكم جموداً مهلكا   واطلبوا العلم ، وجدوا فى الطلب
خاب شعب قد تردى كسلا   وجمودا يا بنى قومى ، وتبّ
لا تميلوا نحو (دجال) غدا   باسم دين الله يحوى للذهب

أنعموا الأفكار فى تدجيله   تبصروا تقواه زورا وكذب
ليس بين العلم والدين كما   قاله (الدجال) بون منشعب
إنما للصُّفر والبيض سعى   مُظهرا تقوى ليحظى بالأرب !

إلى الشباب المسلم

قصيدة مؤمنة للشاعر الكويتى عبد الله سنان

ما الذى هيأتَ للمستقبلِ   لليالى السُّود ، للخطب الجلى ؟
ما الذى أعددتَه من عُدة   للقاء الحادثات النُّزَّل ؟
قل أبن أفصح ، أباعدت الكرى   عن جفونٍ ناعساتِ المُقَل ؟
حاكها الليلُ بنوم سرمدٍ   طالما رِبتَ به فى جذل
أيها السادر فى لذاته   قف تفكر برهة ، أو فاسأل
سل عن المبهم أربابَ الحجا   يتجلى كلُّ لغز معضل
أنت فى بيداء جرداء ، خلتْ   من بصيص النور ، فارجع واقفل
مهمهٍ لم يهتد السارى بها   كم أضلت جاهلا لم يعقل
من بها أوصاك حتى ابتغيتها   بالمعالى والمحلِّ الأفضل ؟
لو تريثت لتصغى منصتا   لنصيحٍ لم تبؤ بالفشل
فاطَّرِحْ عنك الهوى ، إن الهوى   ولياليه لذى القلب الخلى
وادَّرع بالحزم والعزم معاً   لتلافى دائك المستفحل

***

يا شباباً عُلقت آمالُنا   وأمانينا به ، قم ، وانزل
انزل الميدانَ ، واعمل جاهداً   لن تنال النجح إن لم تعمل
واغتنم الفرصة فى أوقاتها   فالليالى — ويحها ! — لم تمهل
قد كفانا ذلةً أن الدُّنى   بلغوا العلياء والمجدَ العلى
ورضينا عيشةً مرذولة   وقنعنا بالحضيض الأسفل
وشربنا الذل صرفاً علقماً   واكتسيناه كثوب مسبل
فمتى نركل كابوسَ الهوى   ومتى ننزع ثوبَ الكسل ؟

ومتى نحتل أبراج العلا ومتى الغمرة عنا تنجلى ؟

***

أيها المسلم ، بل يأيها الـ ـعربى المنتمى لـلأول
لبهاليـل أباة بلغوا فوق هام الشهب أعلى منزل
لا تقل جُرِّدْت مما أتقى شدةَ الخصم به فى الجحفل
ولك الإيمان أقوى صارم لم يكن رب التقى بالأعزل
إن درساً محزناً لم ننسه عن ديار سُحقت بالأرجل
هى والله (فلسطين) التى طالما كانت ملاذ الوجِل
ضرب (الصهيون) أطناب الخنا فى ربوع طأطأت من خجل
رسخت رجلاه فى أرجائها ورعاع من شتات الدول
فلها اليوم أنين مزعج وحنـين للزمان الأول
وإليك المغرب الأقصى الذى حمل العبء بأقوى العضل
كافحَ الأعداء ، فهو اليوم فى أعين الأعداء شوك الأسل
ينشد العز ، ويعلى راية رفرفت خفاقة لم تنزل
راية الإسلام والدين الذى نوره مهما رأى لم يأفل
ياربوع المغرب الأقصى ، اسلمى أبشرى بالنصر فى المستقبل
واصبرى كى تستعيدى ما انزوى من تعدى الغاصب المستوغل
فليعش أبناؤك الأحرار ، ول يحى فى الدنيا عرين الأشبل !

الخطوة الأولى (١)

قيلت بمناسبة إجراء الانتخابات فى الكويت

هكذا بالعـزائم الوثابه نبلغ المجد ، أو نحل رحابَهْ
شهد الله أننا أهل جد واجتهاد ، وهمة ، وصلابه
غير أنّا إلى الخمول ركنّا فنعمنا براحة مستطابه
غرنا الدهر بالسفاسف ، حتى كشف الدهر عن خداع حجابه
فانتبهنا ، وكلنا عض سبابته من تألم وكآبه

(١) وهذه قصيدة أخرى للشاعر نفسه .

وإذا الركب فاتنا ، فعدونا   نطلب الركب وهو يحدو ركابه
فلنواصل إلى المعالى حثيثاً   فالمعالى لمثلنا رحّابه
إيه شعبَ الكويت ، سعياً إلى العلـ   ـيا ، فليست لضارب أطنابه
سر على هذه العزائم تسمو   لا تزيغنك العقول المصابه
ودع الترهات والطيش ، إنى   لا أرى فيهما لحر صُبابه
هذه خطوة يباركها لك اللـــه بها ، فاخط فالخطى تتشابه
خطوة خطوة إلى المجد ، تتلو   ها خُطى تقرعن بها أبوابه
روِّض النفس للمضى إليه   إن ترويضها يذل صعابه
واغتنم فرصة الزمان إذا ما   سنحت ، إذ تمر مر السحابه
يارجال الكويت ، هذا هو المسـ   ـتقبل المرتجى كشفنا نقابه
عن شباب حنى له الدهر رأساً   فلنحييه ، ولنحي شبابه
يا شباباً إلى العلا مشرئبيـ   ـن اسحقوا الجهل ، مزقوا جلبابه
افتحوا الباب ، فالمعالى تناديـ   ـكم ، فلبوا نداءها بالإجابه
وانهجوا الحق ، فالمناهج شتى   لا يغرنكم طنين الذبابه
قد كفانا من الجهالة أن نمـ   ـنا ، فعاثت بنا اليد النهابه
فاض كأسى ، وكأس كل كويتيـ   ـم من الغبن أن يرى أصحابه
فى رداء الخمول قد شل أجفا   نهم النوم ، وارتدوا أثوابه
لا تظنوا بأن أمس كهذا الـ   يوم ؛ قد أبصر المجدُ صوابه
عجلات الزمان تجرى سراعا   والليالى عما بها منجابه
سوف تنجاب عن بلوغ مرام   ومقام سنعتلى محرابه
هى بشرى ، أزفها لبنى قو   مى بنيل المرام ، ليست مُشابه
هيأ الله للأزمّة شبا   ناً وشيبا ، بهم أجدنا الإصابه
بعقول سليمة ، ونفوس   حية ، يستدر كلٌّ لبابه
هم من نتاجها سوف يجنو   ن هنيئاً ، ويجتنى الخصم صابه
هو عبء قد انتخبنا له النخـ   ـبة منا ، وكلهم ليثُ غابه
سدد الله ذو الجلال خطاهم   واطمأنت نفوسنا المرتابه
فلنهنيهم شباباً وشيباً   وعليهم أميرنا فى الذؤابه !

الشاعر محمود شوق عبد الله الأيوبي [(١)]

الشاعر محمود شوق عبد الله الأيوبي هو الآن مدرس بمدرسة الشعبية الابتدائية للبنين ، وقد وُلد في مدينة الكويت ، في وسطها ، قريباً من السوق الداخلية ، بجوار مكان المدرسة المباركية الآن ؛ وكانت (المباركية) لم تُوجَد بعد ، وكان ذلك منذ إحدى وخمسين سنة تقريبا ، إذ لم يكن هناك حينئذ تاريخُ ميلادٍ يُقيَّد ، أو شهادةُ ميلادٍ تُكْتَب . . . ويقول الشاعر — وهو يفتخر — إن عمره كعمر البطل المنقذ اللواء محمد نجيب ، وهو يحب اللواء كثيراً ، وله فيه قصيدة طويلة أُرسلت إليه ، فتقبلها وأرسل إلى الشاعر خطاب شكر يعتز به .

كان والد الشاعر يسمى الحاج عبد الله الكردى ، وهو عراق الأصل ، نزح إلى الكويت وأقام بها ، ووالدة الشاعر عراقية أيضا ، وهى علوية من عرب (المِنْتفِك) وكانت أسرة الشاعر فيما مضى محدودةَ العدد ، ولكنها الآن كثيرة كبيرة . . .

دخل الشاعر فى صباه (كُتَّابَ) المُلاَّ زكريا الأنصارى رحمة الله عليه — وهو نسيب الشاعر ، ووالد الأستاذ عبد الله زكريا الأنصارى — وحفظ جانباً من القرآن الكريم : (من المعوذتين إلى سورة الزمر) بطريقة التجزئة فى اللوح الخشبى الأبيض ، وتُوفى والد الشاعر والشاعر فى نهاية مرحلة (الكُتَّاب) ، فأخذه المرحوم السيد عمر عاصم — وهو متزوج من أخت الشاعر — وأدخله المدرسة المباركية ، فظل بها نحو ثلاث سنوات ، تعلم فيها مبادئ اللغة العربية ، وكان من أساتذته فيها الشيخ حافظ وهبه ، وعبد القادر البغدادى ، وعبد المحسن البحر ، وعبد الملك المبيض .

ثم سافر الشاعر بعد ذلك إلى البصرة ، وأقام مع خاله السيد أحمد خان ، وبقى عنده سنتين ، وحاول حينئذ أن يتعلم فن الطباعة ، واشتغل حينا بدائرة البريد هناك . .

ثم هرب الشاعر من خاله إلى دار المعلمين ببغداد ، ومكث فى القسم الأدبى بدار المعلمين سنتين ، وكان من أساتذته فيها محمد عبد العزيز سعيد (المصرى) ، وطه الراوى ، ويوسف عز الدين الناصرى .

---

(١) أذيع هذا الحديث من محطة الإذاعة بالكويت مساء الأحد ١٧ مايو سنة ١٩٥٣ م .

واشتغل الشاعر بعد ذلك بالتدريس فى قرية (أبو الخصيب) من قرى العراق ، ووقعت له حادثة استغلها بعض الخبثاء الكائدين له الحاقدين عليه ، حتى ألجئوه إلى ترك العراق ، فخرج مهاجراً إلى سوريا ولبنان وفلسطين ومصر ، ومكث فى هذا الترحال سنتين ؛ ثم رجع إلى العراق فالكويت ، واشتغل بالتدريس فى المدرسة المباركية ، ثم عاد إلى العراق مرة أخرى ، ودخل الجيش العراق (فى قسم الخيالة) ومكث فيه سنة ؛ ثم خرج من الجيش إذ أتعبته أنظمته ، ورحل إلى إيران للدراسة والمشاهدة ، ثم رجع إلى العراق ، وظل مدة بين قبائل عرب الفرات متنقلا ، ثم رجع إلى الكويت ، ودرّس فى المباركية مرة ثانية سنتين ، ثم انتقل إلى التدريس فى المدرسة الأحمدية ، وظل بها سنتين ...

ثم سافر إلى البحرين والأحساء ، وقدّم إلى الأمير سعود قصائدَ عدة ، ثم سافر إلى الرياض ، وقال للملك عبد العزيز آل سعود شعراً كثيرا يحويه ديوانه (الملاحم) ، وهناك أدى فريضة الحج ...

ثم سافر بعد ذلك إلى أندونيسيا للدعوة إلى الإسلام بتوجيه من الملك عبد العزيز ، ودرّس هناك فى مدرسة (الإرشاد) بمدينة (سُورابايا) ، ثم انتقل إلى (جاكارتا) ودرّس هناك مدةَ سنةٍ لأولاد الشيخ سالم بن عمر النهدى من كبار التجار هناك ، ثم طلبه أهلُ جزيرة (مادورا) — وهى قريبة من جاوه — ليفتح مدرسة هناك كانت مغلقة ، وتسمى (المدرسة الإسلامية) فاستجاب لهم وفتحها ، واشتغل بها سنتين ، وتزوج هناك ، وصار له أولاد .

ثم فتح بعد ذلك مدرسة فى قرية (با كوغ) فوق الجبل ، ومكث بها سنتين يعلم أبناءها اللغة العربية والقرآن الكريم ، ثم فتح مدرسة التوفيق فى قرية (بِرِنْدَوَانْ) ومكث بها سنة ، ولا تزال هذه المدرسة موجودةً هناك .

وبعد ذلك رجع الشاعر إلى (سورابايا) ، ودرس بها سنة أخرى فى مدرسة الإرشاد ، ثم طلبه السيد محمد بن طالب — أحد سراة العرب فى أندونيسيا — ليدرّس لأولاده وأحفاده ، ففتح الشاعر فى بيته الكبير مدرسة السلام . ثم فتح مدرسة (القرآن العظيم) فى (فاسوروان) سنة ١٩٤٠م ولا تزال هذه المدرسة عامرة .

قامت الثورة بعد هذا بين أندونيسيا وهولاندة ، عقب سقوط اليابان فى الحرب العالمية الثانية ، ففر الشاعر بأولاده إلى مدينة (الصولو) ، وظل يتنقل من مكان إلى مكان ، وهو يدرّس ويفتتح المدارس .

وكثرت عليه خلال ذلك البلايا والنكبات ، وأصيب من جراء تفكيره وجهوده بحالة روحية خاصة قاسية جداً ، رأى فيها — كما يقول - أشياء ، وأحس بأشياء لا يستطيع تعليلها ، وقد حطمته هذه الحالةُ تحطيما عنيفاً ، وتكررت هذه الحالةُ ثلاث مرات ، حتى ألجأته إلى دخول (مستشفى الأرواح) هناك ، وخلال ذلك كتب الشاعر ديوانه (رحيق الأرواح) .

* * *

بعد ذلك تأذن الله للشاعر بالفرج ، ففُتح الطريق أمامه ليعود إلى وطنه الحبيب (الكويت) ، فعاد إليه فى الثانى والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٥١م . وظل بضعة شهور بلا عمل ، ثم اشتغل مدرسا بالمعهد الدينى ، ثم نُقل إلى مدرسة (الشعيبة) وهو بها الآن ، وقد كتب ديوان (أحلام الخليج) وهو فى مدينة الكويت ، وكتب ديوانه (الأشواق) وهو فى قرية الشعيبة ، ولا يزال ينبوع النظم ثراراً عند الشاعر .

وقد لاقى الشاعر ألواناً من المصاعب والمتاعب والأهوال والمشاق والنكبات ، مما لا يطيق الشاعر نفسه أن يفيض فى الحديث عنه ، حتى لا ينكأ الجراحَ القديمة ، وهو يعتبر الفترة التى يقضيها الآن أهدأ فترةٍ فى حياته ، وإن كان يعتورها النكران والإهمال .

* * *

والشاعر يحب من الشعراء طائفةً هم : المتنبي وشوقى وعلى محمود طه ومحمد مهدى الجواهرى . ويحب من الأدباء الرافعى والعقاد والمازنى .

وقد نشر الشاعر شعره فى مجلات الإصلاح وأم القرى بمكة ، والبيان الأمريكية ، والكويت والبعثة ، والتمدن الإسلامى بسوريا ، وبعض مجلات أندونيسيا ، وقد نُشرت له مقالاتٌ كثيرة فى صحف العراق .

وأول شعرٍ قاله كان فى تحية الملك فيصل الأول حينما جاء إلى العراق من أوربا

ليتولى ملكَ العراق ، وقد أنشد الشاعر هذه التحية فى احتفال أقامه متصرف لواء البصرة ، ولا يذكر الشاعر من هذه القصيدة إلا البيتين التاليين :

أنشقى والعبـاد منعَّمونا ... ونُحْكَمُ والبريةُ حاكمونا ؟

فمـا للظالمين بنا نصيبٌ ... فإنا فوق أيدى الظالمينا !

***

نحن الآن مع شاعر كثير التجوال والترحال ، فقد طاف بكثير من البلاد العربية والإسلامية ، ولذلك نجد شعره صورةً من هذا الانتقال المستمر ، فهو يقول فى كل غرض ؛ فى تعاليم الإسلام ، وفضائل العروبة ، ومحامد الأخلاق ، وشئون الاجتماع ، وغير ذلك من أغراض القصيد .

ونحن مع شاعر مكثار ، ينثال الشعر عن خاطره انثيالا ، فى فيضان وإسهاب ، فقصائده طوال ، وقصائده متلاحقة متتابعة ؛ وحسبك أن له الآن مايقرب من عشرة دواوين ، وإن كان لم يُطْبَعْ منها ديوانٌ واحد(١) .. ولعله أكثر شعراء الكويت نظما وإنتاجا ، وكأنى بأبيات الشعر طوع يديه ، يتناول منها كما يشاء حين يشاء ، وهو فى ذلك مسماح جواد . .. يرسل الشعر بلا تمهل أو استعراض ...

أهديت إليه ذات يوم كتابى (مذكرات واعظ أسير) ، وإذا به بعد أيام قلائل يقدم إلى قصيدةً تزيد عن مائة وخمسين بيتاً ، جعلها تحية للكتاب ، وسماها (اللحن المثير ، من وحى مذكرات واعظ أسير) . واقترحت عليه ونحن فى مطلع هذا الربيع بالكويت أن ينظم قصيدة فى تحية الربيع ، وأشرت عليه بطائفة من العناصر والأفكار ليصورها فى قصيدته ، وبعد أيام قدم إلىَّ قصيدة بعنوان (ألحان الربيع) تزيد على مائتى بيت ! .

ونحن مع شاعر تعب كثيراً ، وقاسى كثيراً ، ولذلك يجب ألا نستغرب إذا رأينا ظلالا لهذه المتاعب فى شعره ، يبديها حينا ويجاهر بها ، ويخفيها أحيانا ويلمِّح إليها ؛ وأعتقد أنه من شرعة الإنصاف أن نمهد السبيل أمام هذا الشاعر ، حتى ينال قسطه من الراحة والتقدير .

وأنا أصارح بأن مجموعة الشاعر أكبر وأضخم من أن نعرض لها فى مجال محدود

---

(١) طبع للشاعر أخيرا ديوانه (الموازين) .

كهذا ، ولذلك سنكتفى باستعراض جانب قليل منها ، ولعل فيه الدلالة على ماوراءه من شعر كثير للشاعر المكثار .

* * *

نرى الشاعر ينظم استغاثةً روحية يضمنها أسماء الله جلَّ وعلا ، ويسميها : (بلبل الفردوس) ويصدِّرها بقوله تعالى : «ولله الأسماء الحسنى ، فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه ، سيُجْزَون ما كانوا يعملون» وقد بدأ الشاعر فى نظمها عقب خروجه من (مستشفى الأرواح) ، وهى طويلة مسهبة ، ونقتطف منها مايلى :

دعوتُك ياربّاه والكربُ حطَّمَا   على رأس روحى فأسَه ، وتجهما
أغثنى ، فقد جُرِّعْتُ صابا وعلقما   أغثنِىَ يا ألله ، أدركْ مُهَشَّما
بأسمائك الحسنى تشعشع إلهامى

أذقنى السلامَ الحلو شهداً معطَّرا   فأنت السلامُ ، المرتجى فيك أسفرا
دعائى عن الإيمان صافٍ تحدَّرا   يسيل به أُنسٌ على مهجتى جرَى
فأثلجَ صدرى باسمك المؤمن السامى

إلهىَ ، أنت المنقذُ المتكبرُ   طغتْ نذرُ الأنكاد ، بالبؤس تزخر
بروحى ، وأنت الخالق المتجبِّرُ   وأنت إلهى ، بارئٌ ، ومصورُ
برأتَ وجودى ،ثم صوَّرت جثمانى

وفى رجب سنة ١٣٧١ هـ ينظم الشاعر فى تحية الإسراء والمعراج قصيدة يسميها : (رحيق الأنس فى ذكرى إسراء ومعراج سيد الجن والإنس) . ومنها يقول :

يا من عَلاَ عن معانى الأرض مرتفعاً   إلى معانٍ تفيض النورَ توليدا
ثجّاجةً فى ضمير الكون مشرقةً   غدا به الأُنسُ فى الدارين مورودا
المجد غنَّى لها ، والطهر هاج بها   يحبو الأناسىَّ إيماناً وتوحيدا
لها بأفئدة الأبرار هاتفةٌ   للحق ، تشجيهم شوقاً وتسهيدا
جنوبُهُمُ تتجافى عن مضاجعها   شوقاً إلى الله ، إخلاصاً وتعبيدا
يدعون ربَّهمُ خوفاً ، بأفئدة   ترجو من الله يومَ العرض تأييدا

وفى قصيدة الشاعر : (أنغام الدموع) التى تزيد عن مائة وخمسين بيتا ، يصور لنا فترة من أقسى الفترات التى مرت عليه فى حياته ، وكانت هذه الفترة فى أندونيسيا ،

فى قرية (كمبيران) قبيل المحنة الروحية ، وقد صوّر فيها ما لاقاه من لئام الناس ، وما ذاقه من شظف العيش ، وما اضطر إليه من مواقف عصيبة ، وماعاناه من الجرذان والنمال والثعابين والبق والبعوض ، حتى قبّر قريحته ، وحطّم يراعه ؛ وحسبى أن أعرض مطلع هذه القصيدة المثيرة ، ففيه يقول :

إلهى رحمتا . . . ماذا دهانى ؟ بمضيعة الأسى يوم الهوانِ
جلالك يا إلهى حار فيه حجاى ، وما لنفسى من أمان
بعثتُ من الحجا الباكى نشيدا تفجّر فيك عن روح المعانى
فلحّنت البلابلُ أغنياتٍ ترجّع ما تلوتُ من البيان
شقيت ولم ألم قدراً ، تعالى إلهُ الخلق عن عبث اللسان
شكاتى تضحك الأيامُ منها وتسخر من تلهبها المغانى

* * *

ويتطلع الشاعر حوله ، فيرى الذهبَ الأسود (النفط) قد غيّر الأوضاعَ فى وطنه الحبيب ، ويؤلمه أشد الألم أن يرى الأيادىَ من بعيد تقبل لاستخراج الكنوز والخيرات ، بينما أبناء الحمى يغطون فى نوم عميق ، فينظم قصيدة يستنهض بها هممهم ، وينعى عليهم كسلهم وخمولهم ، وكثرة أقوالهم مع قلة أعمالهم ، فيقول فيما يقول[1] :

كانت مرابعُنا قِدْمًا محجبةً فى خدرها ، كعروس أهلُها نفروا
ناموا على الفقر ، والدنيا برقدهم تَغْلى ، تحدثهم همساً وتشتجر
لم يسمعوا همسَها السحرى تحتهمُ وأوسعوا ظهرها جهلاً ، وما عُذروا
نجاءها من صغى للهمس ، وهو على بعد المسافة ، لبّى ، ساقه الوطر
ونحن . . . ما نحن إلا قولة كُتِبَتْ فى أسفل الشرح ، لا خير ولا خبر
ونحن . . . ما نحن إلا أمة كَرُمَتْ قولا ، وللفعل منها الهونُ والخور
هل يستوى عالم منهم بلا كسل وجاهل لم يصبْ من طرفه السهر ؟!
من نحن يا قوم حتى ندعى كذبا بأننا أمــة للعز نُدَّخَرُ ؟ !
مرت علينا دهور ملئُها عبرٌ فلم تُفِدْنا على طول المدى النذر
بتنا على الضيم حُرَّاساً لشهوتنا وبات منْ حولنا جدٌّ ومصطبر

---

(١) راجع صفحة ٥٤ وما بعدها من هذا الكتاب .

أفق هديتَ فتى المغنى ، ألست ترى   معى بأن السكرى هذا هو الخطر ؟ !

ويحبِّب الشاعر فى مكارم الأخلاق بأسلوب طيِّع سهل ، فيقول :

هكذا من يَبْرُ بين الأكرمين   سهمه يُحمد برهط العاملين
هكذا من يبن للحمد بر الـ   ـعزِّ فى كفيه طوعاً باليمين
من يخفف عن يتيم بؤسه   يلقَ لطفاً عند رب العالمين
من يَسِرْ للعُرف فيما ملكت   يدُه بذلا يسر فوق العيون
من يجىء للعفو فى قدرته   فهو ذو خلق لدى الحق متين
من تكن للضيف مثوى داره   يكسب الشكر على مر السنين

وفى ملحمة الشاعر (ألحان الربيع) التى زادت على مائتى بيت نراه يلفت أبصار الناس إلى الربيع الدائم فى هذا الكون ، وينعى عليهم ارتماءهم فى أحضان الموبقات والرذائل التى تحرمهم من نعمة التمتع بهذا الربيع البصرى الروحى العجيب ، فيقول :

لو أنهم صقلوا بصائرهم   بأشعة التقوى لما هلعوا
لرأوا ربيعَ الله مزدهرا   أبدا يسبِّح ، وانتهى الفزع
ألفوا الرذائلَ ، وانتهوا جشعا   ويلَ الشعوب ، هوى بها الجشع
أين الرياح الهوجُ عاصفةً   لحبائل الآثام تقتلع
أين البحار تفيض هائجة   لمسارح الأطماع تبتلع
أين البراكين الشداد ، لها   صوتٌ يحطم من به فزع
بل أين حور الخلد ساكبة   أنغامها للجور تنتزع
أفلا يرون الرحمة انهمرت   فاضت بها القيعان والرقع
فتبدلت جدباؤها حللا   خضراء يبسم مرجها المرع

وفى قصيدته الفياضة (اللحن المثير من وحى مذكرات واعظ أسير) يتحدث عن ثورة الجيش المصرى البيضاء ، ويصور المآسى والمخازى التى كانت موجودة فى مصر قبل الثورة ، ويتفجع الشاعر للشعب الذى قاسى ما قاسى من الآلام والأهوال ، فيقول :

عصفت ثورة الهدى بقصور   شامخات مخضوبة بالدماء
قيل : كانت قصورهم شامخاتٍ   بأسود الشرى وسرب الظباء

لم تـكن مسرح الظباء ، ولـكن   للمسـعالى مثوى الخنا والبذاء
حُرست بالقساة من كل رهط   أجنبى ، من زمرة الدخلاء
للصوص الذين قد مزقوا الشعـ   ـبَ نُبَاتٍ بخبثهم والدهاء
أطعموا الأمة — التى أطعمتهم   من دماها — صابَ الردى والشقاء
وأذاقوا الجموعَ نارَ الرزايا   تتلظى على حمى البأسـاء
شاهدوا الهلك فاغرا فمه المر   عبَ ، يمشى بموكب من وباء
عارماً ، صارخاً بكل ضعيف   ساحقا ، ماحقا ، شنيعَ العُواء !

ويهم صاحب هذه الـكلمات بالاستجابة لدعوة كريمة إلى زيارة البحرين ، فيحمِّله الشاعر قصيدة فى تحية البحرين ، وقد نُشرت فى العدد الخاص بالبحرين من مجلة (البعثة) الغراء . وفى مطلع القصيدة يحيى الشاعر البحرين ، ذاكراً تراحم الأخوة بين الـكويت والبحرين ، فيقول :

أمرابع البحرين ، جئتك منشداً   لحناً يشف عن الولاء ، مسددا
لحناً يترجم للإخاء تحيةً   تسرى كضوع المسك ، تغشى الموعدا
من ساحل (الجون السعيد) نظرت لا   أفق المضىء إلى الجنوب ، تعمدا
ووقفت أستوحى الخليج تحيةً   عربية ، تفشى السلام الأمجدا
روح تحن إلى (أُوال) مشوقة   تهفو ، وتبعث لحنهـا متجددا
لمسارح الآرام والصيد الألى   كرموا ، أزف تحيتى متوجدا
نغَّمت قيثارى ، وبين جوانحى   شعر يجيش من الفؤاد مغردا
إن الـكويت وما تضم ربوعُها   فى حبها (البحرين) لن تترددا

وفى آخر القصيدة يستنهض الشاعر همم العرب لإعادة عز الإسلام ورفعة العروبة ، ويتحمس لذلك تحمساً ظاهرا ، مما يدل على نزعته القديمة العهد بالجهاد والإصلاح ، فيقول :

فلنمش فى الغايات جمعاً فى الحمى   ونردَّ عن أوطاننا المستعبدا
ونحرر الأرواح من أغلالها   ونضم شملا بالشتات مهددا
ولنعل صرحَ النور ، نبنى حوله   فى كل دار للمحبة معهدا
ونوحد الآرا، للأهداف ، لا   نصغى لمن جاس البلاد منكدا

الدين يجمع شملنا بظلاله نلقى سبيلَ المكرمات ممهدا
ولنا بأوطان العروبة قوةٌ عربية نيرانها لن تخمدا
ماذا يفرق أمةً محبوكة الـ أرجاء ، راح بها التراحم واغتدى ؟
رُقع تؤلف وحدة عربية أضحى لها الرهط الكريم مؤكدا
أما الطَّغَامُ الخائنون فحسبهم يوم يجىء لما يرون مفندا !

* * *

ولننتقل بعد ذلك إلى بعض الملاحظات التى نلاحظها على الشاعر ...

نلاحظ عليه حرصه فى أغلب الأحيان على السجع فى عناوين قصائده مثل : (رحيق الأنس فى ذكرى إسراء ومعراج سيد الجن والإنس) و (الينابيع السوداء المتفجرة من مجادب الصحراء) و (اللحن المثير من وحى مذكرات واعظ أسير) و (عطر الإحسان فى تحية كتاب النيل فى ضوء القرآن) و (لحن الخلود فى تحية سيد الوجود) إلخ . . . وكأن الشاعر لم يكفه النظم الطويل فى أبياته ، فأراد بسجعه أن ينظم العناوين أيضاً ! .

ونلاحظ عليه عدم نظره فى قصائده بعد الانتهاء منها ، وكأنه ينظمها مسرعا ، ثم يدفعها إلى قرائه ، بلا معاودةِ نظرٍ للتجويد والتحسين ، ولو أنه فعل لبدا له نظرات فى بعض أبياته ، وكسب بذلك خيراً ...

ونلاحظ عليه عدمَ تدقيقه فى الناحية اللغوية أحياناً ، مثل قوله :

أُحْدُوَّةُ الصحراء تنسجم تَدْوى بها الكثبان والأكَمِ

والصواب : « تُدَوِّى » بتشديد الواو . وكقوله (فى ألحان الربيع) :

قالت لأهل الحب : هيت لكم اليوم لهو العمر ، لا تنموا

واللغة توجب هنا أن تقول : لا تناموا . وليته قال هنا ليسلم :

قالت لأهل الحب : هيت لكم اليوم لهو العمر ، فاغتنموا

وفى القصيدة نفسها يقول :

فى كل ثانية نرى عجبا نعما تحير أمامها الفطن

ولو قال : « يحار أمامها الفطن » لسلم . ويقول فى نفس القصيدة :

لو أن بعض الناس آنسهم هذا الجمال الحلو لانتفعوا

وكلمة (انتفعوا) هنا كلمة شعبية — وليته قال بدلها : (لارتفعوا) . ويقول :

يمشى على الدنيا فيطربها وبكل فج طيره غرد

وكلمة (فج) هنا لا تتلاءم مع صورة الطير المغرد المتنقل ، فليته جعل بدلها كلمة (روض) . ويقول أيضاً :

هـذا الربيع تلطفن به وامرح به يزهر بك الشغف
دنيا لعلك لا تنال بها مارمت ، حيث الحزن والأسف

وتكرار باء الجر هنا فى قوله : (تلطفن به) و (امرح به) و (يزهر بك) و (لاتنال بها) قد نال من سلاسة الشعر !...

***

وفيما يلى نثبت بعض قصائد الشاعر التى أهداها إلى المؤلف فى بعض المناسبات ، وفيها فوق التحية شئون وشجون :

تحية القـدوم

« زار الشاعرُ مؤلفَ الكتاب عند مجيئه الكويت ، فحياه وهو جالس يتحدث إليه بارتجال هذه الأبيات » :

فى حمانا أشرقَ النورُ الأغرْ من حِمى مصر، حمى الشُّمِّ الغُرَرْ
فتبعتُ النـور ، أستهدى به فى ضحى الجمعة ما بين الدُّوَرْ
فإذا بى فى مـلاذٍ ضَمَّ ما بين جنبيه السنَاءَ المفتخر
قلتُ : من هذا ؟ فقال الروح لى : أروعٌ يحمل مصباحاً نَضِرْ
ذاك من تسأل عنه دائما منذ عهد كنتَ فيه تنتظر
ثائر الإسلام ، يهدى القوم لا عزَّ ، يُحْيى ما تولى واندثر
يبعث النـور الذى جاء به (أحمدُ) الهادى لمجموعِ البشر
« أحمدُ الشرباصىُّ » من أحيى بنا سنَّةَ المختار ، واستجلى العبر
مرحبا بالعالمِ الحـرِّ الذى نطقتْ فى ذكره هذى السُّطُرْ
فلتعش ما بيننـا فى مَنْعة يحمك الله العزيز المقتدرْ

الجمعة ١٢ صفر ١٣٧٢ هـ

عطر الإهداء فى كتاب :

النيل فى ضوء القرآن[1]

« بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، والصلاة والسلام على محمد المصطفى ، وعلى آله وصحبه ذوى الفضل والوفا . وبعد : فأقدم هذه القصيدة المتواضعة لثائر الإسلام المغوار الشيخ أحمد الشرباصى مؤلف السفر الجليل (النيل فى ضوء القرآن) . وقد ألهمت هذه القصيدة على إثر قراءتى لهذا السفر الفريد . فهى مستمدة من وحيه الروحى ، وما أنا فى إهدائه هذه القصيدة الركيكة إلا كمن يهدى النيل قطرة من آبار هذه القرية : (الشعيبة) .. والله حسبى وكفى » :

سهرتَ للحق تبرى فى الدُّجى القلما ... وَتستدرُّ حلابَ العلم مُحتشما
وقُمتَ تستمطر القرآنَ ديمَتَه ... فانهلَّ غيثاً على الأرواح منسجماً
أُلهمت سفراً لو أن العالمين بنا ... جاروه لاالتمسوا للأُمة الشمما
ففوت معجزةَ التنزيل منتهجا ... للنيل نهج الهدى ، كى تكشفَ الغمما
فكنت أول من جلى حقيقته ... من الكتاب ،قبست الحُكْمَ والحِكَما
فصل من العلم يسمو فى بلاغته ... أُلهمته من كتاب الله منتظما
من كان مسترشداً بالله أرشده ... حتى يرى لحماه الحق والقيما

***

من مسرح النور فى أرض الكنانة قد ... حل (الكويت) بسيما الفضل متسما
أتى الكُوَيْتَ ليهدى الناشئين إلى ... درْب الهداية ، يعلو للعلا قدُما
الندب (أحمد الشرباصى) من عُلِمَت ... عنه الفضائل تضْنى كل من فهما
الجَهبَذَ الحر ، سامى الجرس ، منصلتاً ... يَشْدُو ، ويهتف بالأقوام مبتسما
مَرْحَى . . وَأىُّ بلاد الله أفضل من ... دار الكنانة تهدى المفردَ العلَما
دار الغطارفة الخُمس الأُولى رفعوا ... للدين والعلم فى أوطاننا العَلَما

---

(١) أغلب هذه القصيدة تمجيد من الشاعر لمكانة النيل .

بات الضياء بوادى النيل مشتعلا ... كأنه للعلا أمسى لنا حرما
ذى مصر مفخرة الشرق العظيم ، ولا ... إسلام معقل عز ، قطرها سلما
فليسلم النيل موثوقاً بآصرة ... من البحيرة يجرى يبعث النعما
إلى الشمال ، إلى الدلتا تؤازره ... يد العناية حرًّا لا يرى ألما
وادى الجمال يفيض الشهد منسكباً ... ينساب بالبركات الخضر محتدما
يشق فى التربة الميثاء آهته ... كأنه ساحر الأجيال مرتطما
يَبُزُّ من جنة الفردوس منبعه ... فيبعث الروح عطرا باردا شبما
كأنه فى مساتير الخلود جرى ... فى الأرض يسحر فى أدهاره الأمما
طوى العصور عظيما فى مساربه ... يجرى بكوثره الثجاج ملتطما
جنانه فى الضفاف الدهم مشرقة ... مخضرة ، طيرها يستلهم النغما
أطيافه كظلال الحور عابقة ... عطراً تنغّم لحناً يُنهض الهمما
الله أكبر ، هـذا النيل مِنَّتهُ ... فى جُدَّةٍ يتساق حولها العُظَمَا
لا زال من أبد يجرى إلى أبدٍ ... مفجّرَ اليُمْن ، يحبو الفأل والعشما
مرت مواكبه فى الغابرين ، لها ... من التَّجلَّةِ والتقديس ما عُلِمَا
لما أحسوا جلال الخير منبجساً ... فى ساحهم تخذوه بينهم صنما
حتى أفاض عليه الحق مِنْحَتَهُ ... بدين أحمد ، إذ أحيا به النسما
سَمَا بمصر على نهر الخلود سَناً ... ينير فى الظُّلَمِ السوداء ما كُتِمَا
مهد العباقرة الشُّمِّ الأُولى قطعوا ... فى زورق المجد نحو الذِّرْوة القِمَما
ونيلهم لم ينل منه الطغاة سوى الـ ... غُصّات ، يسقونهم يوم الوَغَى السقما
تمردوا فى ميادين الكفاح على ... من رام بغياً ، وأَوْلَوْا رهطه العدما
وأقحموا كل طاغوت تَعرَّمَ فى ... سلب الحقوق ، يرُد الرَّبْعَ متهما

***

يا نيل تحميك أرواح مجنحة ... تردُّ كل دعىٍّ جاء منتقما
من منبع النيل يجرى الأنس مندفقاً ... إلى المصبِّ بقوم قدسوا الرحما
حب تغنت به الأجيال من قدم ... ووحدة لم تجزئها مُنَى اللُّؤَمَا
شُيُوخُكَ الصيد للشرقين هم مُثل ... للصالحات ، وهم للمكرمات حمى

وفى شبابك آساد غطارفة يجرّعون العدا يوم المثار دما
كل البلاد تهاوى العلم منحطما فيها ، ودارُكَ دار العلم والعُلَما
المسلمون بأرض الله قاطبةً يهفون يلتمسون الرّىّ بعد ظما
مواكب العلم تترى من مغارسك الزهراء ، تغمر سهل الأرض والأكما
ومن ثقافاتك الكبرى تهلل فى مرابع العُرْب نور مزق الظلما
يا وادى النيل كن للمجد معقله بوحدة للهدى تستصرخ الذمما

* * *

يا حاملاً مشعل الدين القويم ألا تقيم فينا من الأخلاق ما انهدما ؟
نشرت للنيل سرّ الحق ، مقتفيا سر الهداية فى القرآن ، معتزما
فانشر بنا ما تراه اليوم يصلحنا وابعث هُتافك حلواً ، يذهب الصمما
لعل رب الهدى يهدى بأرْبُعنا بما تحبِّرُ رهطاً للعلا قُدُما
جزاك ربُّك أجر العاملين ، فكن بالله فى حَلَكِ الأرْزاء معتصما
من حالف الصدق والإخلاص حالفه الـ فوز المبين ، وحاز الفضل والكرما

« الكويت : الشعبية » محمود شوقى عبد الله الأيوبى

النيل فى ضوء القرآن

روح تضىء بفكرة فى ذا الكتاب الشيِّق
فكأنه نار على جبل بأرض المشرق
نار تدل التائهين إلى المثاب الأبلق
علم من القرآن جا ء مع الحديث الأصدق
قد صاغه الحبْرُ المفضّـ ل (أحمد) الورع التقى
اقرأ تجد للعبقرية فكرة لم تُسبق

محمود شوقى عبد الله الأيوبى

اللحن المثير[1]

من وحى (مذكرات واعظ أسير)

« مهداة إلى صاحب المذكرات أبو حازم الشيخ أحمد الشرباصى »

حدَّثتنى معشوقةُ الحكماء ... حدثتنى عن قصة الغُرباء
وأفاضت دموعها وهى تحكى ... (قصة النور) فى دجى الأشقياء
قصةٌ تبعث المشاعرَ بعثاً ... وتغنِّى فضائلَ الشهداء
قالت : اسمع ياشاعر الروح ، إنى ... جئت مثواك فى ظلام الشتاء
اِصغ فالليل فى الشتاء طويل ... وحديثى يا صاح فيض الرجاء
كنتُ فى (مصر) قبل حين أحيِّى ... بجمالى (مواكبَ الشعراء)
وأغنى (الأبرار[2]) كلَّ صباح ... ومساء أغانىَ الإرتقاء
وأعاطى فى كل دار كئوسَ ال ... علم — ملأى — محافلَ العلماء
وأجلِّى الأرواح نوراً بهياً ... برخيم الغناء (يوم الفداء)
فاستجابت لدى الغناء جموع ... من أساطينِ ذمة ووفاء
ومشى الركب فى (حمى النيل) يحدو ... بحُداء (الحرية العذراء)
موكبٌ ضم فتيةً وشيوخا ... كلهم رمزُ عفةٍ وإباء
موكبُ الحق ، والهدى ، والمعالى ... يتسامى بالشرعة الغراء
يتسامى عن البذاء ، وعن كل ... هراء ، مشمرا للعلاء
تخذ الحقَّ فى المثار شعاراً ... واصطفاه بهمة قعساء
نخبة من عيون مصر ، وأفلا ... ذ الميامين ، عصبة الفضلاء
بعضهم فى حمى (الأزهر الشريف) من الذر ... وة ، والبعض من حمى الكرماء
آمنوا بالذى أمات وأحيا ... وبمن جاء بالهدى والضياء
فاستحالت أرواحهم شعلا تبْ ... عث نوراً يُذْكى جليل السناء

---

(١) فى هذه القصيدة الكويتية حديث مستفيض عن الثورة المصرية وعرض المآسى الماضية فى وادى النيل المجيد ، ومن هنا استحقت التسجيل وإن طالت .

(٢) المقصود بهم هنا دعاة الإسلام فى مصر الذين ذاقوا الاضطهاد فى عهود الاستبداد .

واستضاءت أحياء مصر بما يُنْـ قون فيهـا بضحوة ومساء
أفعم العطر منهمُ كلَّ حس شاعر حالم برعى الصفاء
وتوالت أيامهم معجـــزاتٍ روعتْ كل فاجر أو مرائى
أوقدوها حرب النفوس على الجهـ ل ، وثاروا على ذوى الإعتداء

* * *

عصفت (ثورة الهدى) بقصور شـــامخات مخضوبة بالدماء
قيل : كانت قصورهم زاخرات بأسود الشرى . وسرب الظباء
لم تـكن مسرح الظباء ، ولـكن للسعالى مثوى الخنا والبذاء
حُرستْ بالقساة من كل رهط أجنبي ، من زمرة الدخلاء
للصوص الذين قد مزقوا الشعـ ـب ثُباتٍ[1] ، بخبثهم والدهاء
أطعموا الأمة — التى أطعمتهم من دماها — صاب الردى والشقاء
وأذاقوا الجـوع نار الرزايا تتلظى على حمى البأساء
شاهدوا الهلك فاغرا فمه المر عب ، يمشى بموكب من وباء
عارما ، صارخا بكل ضعيف ساحقاً ، ماحقاً ، شنيع العواء

* * *

أحرقوا الشعب — أحرق الله فيهم كلَّ ذات غليظة — فى اجتراء
كان فيهم (رأس) شتيم المحيا[2] فاجر ، غاشم ، عديم الحياء
جعل (العرش) مركباً للمخازى حـوله عصبة من الأدنياء
وغلا فى العتو ، حتى اشتـكت من فعله الأرض فى أليم الدعاء
بكت الأرض رحمة باليتامى والمساكين من هوى اللؤماء

* * *

كدَّسوا فى السجون كلَّ برىء يتسامى فى الطهر عفَّ الرداء
وأحالوا خضراء مصر جحيما (بالجواسيس) بغية (الخبثاء)
فأجـلُّ الحراس أقبح لص وهو فى فيهم من زمرة النبلاء

---

(١) ثبات : بضم الثاء جمع ثبة أى جماعة منفردة .
(٢) الشتيم : الـكريه الوجه .

ما النواطير ، والجواسيس ، إلا   كذئاب مسعورة فى العراء
كيف صار الأحرارُ لحما رخيصا   لذئاب تعيث دون انتهاء ؟
كيف صار الأباة مرتع جزّا   ر رجيم يهوى بسيف البلاء ؟
ليت شعرى ... أيسكت الحمس حتى   يتلاشى الرجاء بعد الرجاء ؟ !

* * *

تلك فوضى ، وأين من يوقد الثور   رة ، تأتى على ضجيج المراء ؟
قام بالأمس (مرشدٌ) لو رأى اليو   م (نجيبا) لضمه فى إخاء [1]
(الشهيد) المغوار ، من ناله الغدْ   ر بليل من بؤرة الأرداء
بسمت روحه الكريمة تشدو   بنشيد الخلود فوق السماء
سار فى الخالدين ، يستمطر الرحـ   ـمة للمكرَهين فى البُرَحاء
مُلئت بعده (المعاقل) — ترمى   بالردى — والسجونُ بالأصفياء
أى كرب عانى الميامين فيها   كم أُذلوا بكبتهم فى ازدراء
كم عظيم قضى حسيراً أسيفاً   كاسف البال مثقلا بالعناء
مستكينا من غير جرم أتاه   يسكب الدمع مستحر النداء [2]
مستغيثاً بالله ، يستمطر الحقَّ   م أمانا يجىء يوم اللقاء

* * *

يا إلهى ، سبحان ذاتك ، يامن   لك مجد الجلال والكبرياء
قسمة منك يا إلهى علينا   فأجرنا من فتنة السفهاء
أمم الشرق والعروبة أمست   بين (نارين) فى أشد اصطلاء
نار (مستعمرٍ) بغيض أتاها   صارم البغى ، صارخ الإعتلاء
ثم نار شديدة الوقد جاءت   من ملوك جاروا ومن أمراء
وأشد النارين فينا عذابا   هى نار الملوك أهل الغباء
ويح شعبٍ أصيب بالملك الغا   شم لم يدر نعمةً لاهتداء
جعل الغىَّ مركبا ، وتولى   بالمخازى ، يعيث بالأبرياء

---

(١) هو الإمام حسن البنا مرشد الإخوان المسلمين . ونجيب هو اللواء محمد نجيب منقذ مصر .
(٢) استحر النداء اشتد وعلا .

إيه (فاروق) . . . ما أذلك لمـّا ... كنت مَلْكاً فى مربع الأوفياء
يتعالى منك الفجور قُتـــارا ... يزهق الروح صاخبَ الإستياء
إيه فاروق ... أين (باشاتك) السا ... رون ليلا فى بغيهم والبغاء ؟
دمرتْهم — وأنت فيهم — يدُ الله ... وأمسوا على الثرى بانكفاء
عظماء العظام ، واللحم ، والشحـ ... ـم ، تَرَدَّوا بثـورة العظماء
إيه (باشا) هذى معاقلك السُّو ... د قد أمست موكولةً للعفاء
أين (معبودك) الذى كنت منه ... فى حمى (القصر) جاثماً كالغُثاء
بئس ما علمتـك روحٌ تدلت ... فى الدنايا من دفتر الأدعياء
المجانين من أضاعوا هداهم ... فى سبيل الشيطان مثل الهباء
(الليالى الحمراء) والرقص ، والعهـ ... ـر شهود على خنا الوسطاء
رقصوا رقصة الفجور بليل ... نابغيٍّ مزمجر بالمُكاء !
قد أرتنا الحيـاةُ مقدار يومٍ ... عبقرى شدا بذكر (اللواء)
(النجيب) الشميرِ للحق والإنـ ... ـقاذ حامى محارم البرآء

* * *

يا حباة النضار فى الليلة الحمـ ... ـراء ، والدر ، أو ثمين الفراء
يا مطايا الشيطان ، هل كان منكم ... ليتامى الربوع أدنى حِباء
هل ذكرتم يوماً عراةً يبيتو ... ن حيارى على أديم الخلاء ؟
هل رحمتم فلاَّحكم ، وأفضتم ... نحوه نغبة الجدا والعطاء ؟[1]
تأكلون (اللب السمين) ، وتلقو ... ن إليه بالقشر ، أو باللحاء
هل ذكرتم أراملاً وثكالى ؟ ... هل رجعتم يوم الطوى للوراء ؟
هل سمعتم رجع الأنين ، وآلا ... ماً تنادت من أكبد الفقراء ؟

* * *

يا (ملاهى باريس) كم ذاب فيك ... التبر ينثال من يد الأغنياء
إن ذا التبر — من دم ودموع — ... من حمى مصر مسرح الأذكياء

---

(١) النغبة بفتح النون وضمها الجرعة من الماء . والجدا المنحة والعطية .

بذوره بالقصــف والعبث الدا عـر ، ما بين خمرهم والنسـاء
كيف ضحَّى بحكمة (النيل) قوم جعـلوا اللهو حـكمة الأثرياء
ألف بيت تعيش من لهو يوم عابرٍ عنـد ذى الغنى والـثراء
تتشهى الألوف لقمة خـبز أو بقـايا ثريدة ، أو شـواء
وبؤاتى (الـكلابُ) في دور قوم تخموا بالصحون أشهى الحسـاء

* * *

إيه فرعون ، هل رأيت انتقام الـ حق كيف أهوى بأنـكى مضاء ؟
فاحصد اليوم ما زرعت من الشو ك بربع (الأذلة الأشـقياء)
ما (لـكابرى) ذنب، ولـكن (كابرى) أكبرت فيك ضـلة الأغبياء
بلعتك الحتوف تأتى على (الصخـرة) تلقـاك فى أحط ازدراء
فابك يا ليث (!) نعمة كنت فيها لم تصن حقهـا بأى ارعـواء
واشرب اليوم خمرة الويل صرفا واسـقها من عرفتَ من ندماء

* * *

يا رعى الله أمة عرفت حـــقَّ المغانى فشمرت للمضـاء
أجمعت أمرها ، وهبت تلبى صوت حر يختال فى النجباء
وأثارت فى مصر ألحانهـا العذ بة تسرى كالعطر نضو الهواء
نصبت منبر الرجاء ، وغنت للمعالى والحق أسمى غناء
وأسالت شجونهـا قطرات لامعاتٍ تفيض عذبَ الشـفاء
بل أفاضت نهرا من الأمل الدفـ اق شهدا للرى والإنشـاء
أى سكر فى جنة الحق صبَّ الـ أنس فى النفس بعد طول الجفاء ؟
كل شىء فى ذى الحياة يغنى بغنـاء الجمـال للأصـفياء
ركلوا ضـلة (الطواغيت) ركلا وفنوا فى مسـارح الأنبياء
ومضوا يمعنون فى النور وخدا بين رهط الأجلة الخلصـاء

* * *

إيه دنيا عجائب القدر الجـ بار فى الحـاضرين والقدماء
دولة الخمر ، والملاهى ، وأهل الـ حيف ولت بما لهـا من عداء

وبدت دولة الهداية والتط   هير فى مصر (قبلة الأدباء)
وتجلت حرية الروح تدعو   لحماها مواكب الصرحاء
زورق المجد بالأعزاء ماض   وهو يجرى بهم بريح رُخاء

***

لكم الله يا رُواة المآسى   بالمآسى صرتم من الخبراء
صهرتكم هذى الحياة بنار   لفحتكم من جانب الجبناء

« إلى أبى حازم ، إمام المنيرة[1] »

إن حُرًّا من بيت دين وعلم   شامخ العز فى حمى الأوفياء
بذل الوسع صابراً ، لم يُصبه الـ   يأس بين الحتوف عند البلاء
ظلّ خلف الأسوار منطلق الرو   ح إلى النور ، دون أدنى التواء
وتسامى بالصمت يشتَفُّ بالفكـ   ر رحيقَ اليقين طى الخفاء
صامت ، ثائر الحجا ، يتسامى   عن مثارات جلبة أو هراء
وكأنى به سجا يترنى   فى جحيم الأسى رهين الهناء
شرب الأنس فى كؤوس من الغيـ   ب أتته سخية باعتناء
فارتوى وارتوى ، وردد : زدنى   يا حبيب الأرواح حلو الدواء
فى ظلال (الذكر الحكيم) تناءى   عن ضلال الأذلة الهجناء
أيها الصابر العظيم بما لُقْـ   قيت ، لاحت بشائر السعداء
إيه ليث (المنيرة[2]) الحر ، مَن صا   ر لدين الإسلام فى الأولياء
قصة منك صورت (منزل الأبـ   رار) أضحت قيثارة الأدباء
(قصة الأسر) فى حمى النيل أمست   قصة للجنان ذات البهاء
شاهدت(هاكس[3])يسرها بعدعسر   بالأباة الأعزة الرحمـــاء

(١) المنيرة حى كبير من أحياء القاهرة ، وفيه مسجد مشهور ، ظل صاحب (مذكرات واعظ أسير) خطيباً له زمنا طويلا .

(٢) المقصود مسجد المنيرة الذى إمامه العالم المؤمن الشيخ الشرباصى وخطيبه المدره المغوار .

(٣) هاكس : مختصرة من كلمة (هاكستب) الأفرنجية ، وقد كانت ثكنات للجيش الأمريكى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وتبعد عن القاهرة نحو ١٥ ميلا ، وبعد رحيل الجيش الكافر جعلتها حكومة الجور المصرية معقلا للأحرار من الإخوان المسلمين وغيرهم من نخبة الأخيار ، وقد سماها الشيخ الشرباصى فى كتابه : (منزل الأبرار) .

الكرام الأطهار أزكى وأندى   من زهور الرياض ذات البهاء
غالب الزهرُ شوكَ (هاكس) فأمسى   مشرق الطهر ، عاليا فى الفضاء
رشف النور فى الأعاصير مشتدْ   داً يُلقِّى الحياة بين السناء

***

يا أسير الجمال ، والحق ، والصد   ق ، تلقَّ الهوى من الأصدقاء
لك ذكر بين القلوب حميـــد   يشعر النفس نعمة الإزدهاء
تتلاقى الأرواح نشوى بما سطْ   طرت فى غير زخرف وادعاء
ذا قصيدى ألهمتهُ من كتاب(١)   فاق سجع النوابه البلغاء
ســجلته يمين أروع حر   مصقع من فطاحل الخطباء
حلَّ فى معقل الأبالسة الظُلاَّ   مِ حينا ، فصار فى السعداء
يا إمام (المنيرة) الجهبذ المرمو   ق بالعز والعلا والثنـــاء
قَرَّ عينا بما ترى ، وبإذن الله   ترضيك ثورة الصلحاء
وهنيئاً بما تحملت من كر   ب عظيم من دولة الجهلاء
صانك الله للعروبة والإســ   لام ، تدعو للحق يوم الفداء

***

يا (أبا حازم) ومن إذا ذُكر الحز   م تبدَّى فى موكب الحكماء
ها هنا شاعر يغنيك لحنا   بُلبليا بالروح رهن انطواء
أنا من قد رأيت (شاعر نفسى)   ولنفسى أشدو بفيض الغناء
اسمع الشعرَ كالرنين ، توالى   واضحاً ، دون كلفة فى رواء
إن بيتا من شعرىَ الوفر هذا   لى أغلى من (جوهر الكيمياء)
قد يراه غيرى رخيصا ، ولكنْ   بضميرى يشع كالكهرباء
ليس للسوق ما استفاض ، ولا لل   بيع — يأتى مفخَّما — أو شراء
وبنات الأفكار عنـــدى كأفلا   ذ فؤادى من زمرة الأبناء

---

(١) هو الكتاب الحى الناطق الشهى « مذكرات واعظ أسير » . قرأت هذا الكتاب كله ، وأحسست كأنى أنا الأسير ، وكأن الحوادث تمر على تباعا ، وكنت أتألم ، وكنت أبكى ، وكنت أبسم ، وكنت أفكر ، وكنت أكتب ...

إن للمجد كلَّ أشعارى الحرْ رَة ؛ والبيع صـــارخ بالغلاء
وكأنى فى بيت أهلى غريب قـد يرانى الأدنون كالببغاء
ناطقا ، صامتا ، ولكنَّ عندى موكب الشعر زاخر بالجداء
كلما ثارت الشجون سكبتُ الشـ عر من فيض مهجتى فى (فِناء)
فى (فِناء) مالى به من سمير أو قرين يسمو من الظـــرفاء
قد ترانى آنا أُقَبِّـــل أطفا لى ، وآنا محلقـــا فى الجواء
هاك شعرى ، يسيل من ذوب روحى هاتفا بالوفاء ، جلد البنـــاء
لستُ فى الربع من رواة القوافى أو بناة اللُّغى ذوى الخيـــلاء
شعل فى الفؤاد تذكو وتعلو أصطفى نورها ليوم اللقـــاء
يا (أبا حازم) ، الكويت تلبى فيك صوت الأكارم الفقهاء
لك شكر الألوف فى الوطن الأصـ غر هذا ، فاسمح بطول البقاء

* * *

جاء منك (اللحن المثير) فأفضى بك (عطر الإحسان) بعد التنائى
(ظبية النور) حدثتنى حديثاً شـــيقا عن فضائل الشرفاء
ظبية النور حدثتنى ، وسارت لرياض العـــلا ، ومرج النقاء
وسرتْ فى الظلام ، والليل ساج من جناحين بين رمل وماء
تركتنى نشوان حـــلم لذيذ أتغنى بعـــزة الكبراء ! !
من أذلوا للمجد متنَ الدواهى وغدوا فى مضارب النقباء
(حسبنا الله) فى ظلال الزرايا (وهو نعم الوكيل) عند البلاء

(تعليق)

همزيةُ الشـــعر (همزهْ لوصلِ) أهـــل المعزه
إن أعجبتـــك فصُنهـــا عن ذى شماتٍ ولمزه
وإن رأيت ازوراراً هبها من (النقد) هزه
فى الشـــعر للروح أنس وفيه للفكر ركزه !

محمود شوقى عبد الله الأيوبى

عروس الجنة

« ملهمة من قصـــة (مصرع أم وعذاب أولاد) المنشورة فى كتاب (المحفوظات الأزهرية) ومهداة لصاحب القصة والكتاب مبعوث الأزهر الشريف فى الكويت الرجل المجاهد أبو حازم الشيخ أحمد الشرباصى » :

زفَّها نحـو فراديس الخـلود ... موكبُ الحور إلى الأوج السعيدِ
وسرتْ فى بُردة النور ، على ... زورق العفة ، ما بين الورود
روحها العذراء هبَّت للسما ... بجناحين ، إلى العمرِ المـديد
تبتغى الحقَّ جوارا خالدا ... مشرقَ الأضواءِ ماخلفَ الحدود
ضمَّها البرزخ فى أرجائه . . . ... ضمَّه للمؤمن العفِّ الشهيد
تركتْ دنيـا الورى مشتاقةً ... للقاء الواحـد البرِّ الوَدُودِ
طالمـا غردت الروح لها ... نغمةَ الإيمان فى العيش الرغيد
فى حياة ملؤها الخـيرُ ، لها ... فى الحمى روحُ المفيد المستفيد
لم تدع أيامها تمضى سُدًى ... دون أن تفعل خيرا للعبيد
كانت الشعلةَ فى المغنى ، لها ... الناسُ تهفو ، من قريب أو بعيد
نادمَ الحتفُ محيَّاها دُجى ... مظلمَ السحنة فى عرض الصعيد
لم يخفها الموتُ ، لـكن ضاء فى ... قلبها المؤمن تمجيدُ المجيـــد
صـــعدت أنفاسُها ناظرةً ... لبنيها ، دونمـا أدنى جحودِ
فهَمى الدمعُ صموتَ الجرس ، كا ... للؤلؤ الرطب على خد وجيد
عبَّرت آهتها عن قصة الوا ... لد المحزون فى العمر الزهيد
علمت أن السرى حتم إلى ... عالم الغيب ، إلى الرب الحميد
فأتت أقدارها زاخرة ... بالمنى للزوج فى العيش الشديد
كيف يبقى بعدها فرداً ، له ... ستة يبكون ، كالدر النضيد ؟
فرنت نحو السموات العلى ... بدعاء صامت قبل الهمود
قالت : اللهم ياربَّ الورى ... أفرغ الصبر ، وبادرْ بالسعود
فغفت غفوتها الـكبرى كما ... قدَّر الله ، وهمت للصمود

رحلت محفوفةً بالنور ، فى موكب الأشواق من دار القيود
كانت الدنيا لها سجنا ، لذا تركتها وهى فى أزهى البرود
كانت العطر لأهل الحى بالخلق الفاضل والرأى السديد
فبكاها الحىُّ دمعا صيِّباً وبكاها كلُّ شيخ ووليد
وبكتها كل ثكلى فى الحمى بحنين دونها لطم الخدود
هذه (قصة أم) نشأت نشأة الإيمان فى العز العتيد
نشأت (فاطمةٌ) فى خدرها فى حمى البَجَلات(١) بالربع السعيد
بين قوم كرمت أخلاقهم وَرثوا العفة عن خير الجدود
إنها أم ، ولكنْ روحُها أبدًا عذراء فى المغنى التليد

***

قد مشى فى القطر غولٌ أعور من حمى الغرب كشيطان مريد
أمطر الحماة (كوليرا) ، له أعين تخزر بالداء المبيد
جاء للشرق وفى أظفاره لوثة الفجار مسودَّ الزنود
كالح الوجه ، سعيرىُّ اللظى عاث بالإنسان والحبِّ الحصيد
آه من غرب تولى مجرما ظل يزقو ، يا ترى هل من مزيد
فتهاوى الناس صرعى حمقِه وعثا جوراً بأعماق الكبود
وغدا القومُ حيارى ، كلهم بين مصروع ، ومرعوب طريد
روَّعَ الراكعَ فى محرابه وأتى الدورَ لشبان وغيد
وعلت فى كل دار أنة من أسى يُودى بطود من حديد
فتنة الطاغوت والقوم الألى مرقوا بالكفر فى العصر الجديد
أينما حل بنو الغرب أتى منهمُ وحشٌ من الداء العنيد
بعثوا فى كل قطر غمة من نفاياتِ طغام ويهود
حملوا الأوباء فى استعمارهم لحمى الشرق بأوغاد الجنود
كيف لاو (الذرة) العشواء من صنعهم للهلك فى يوم الوقود
حذفوا الإيمان من قاموسهم وضمير النبل مفقود الوجود
هذه أوطانهم موبوءة ... بالبلايا من شقى وكنود

---

(١) البجلات بلدة فى مديرية الدقهلية بمصر ، وهى بلدة مؤلف الكتاب .

لم يراعوا حرمة النوع ، ولم … يؤمنوا بالله ، أو يوم الوعيد
إن قوما هكذا فى حيهم … كل ويل رابض عند الوصيد
الضحايا بالجنايات غدوا … لملاذ الحق ما بين اللحود
صعدت أرواحهم طاهرةً … تشتكى جور شياطينِ الحقود

***

كل نفس فى الدنى ذائقة الـ … ـموت ، تجتاز مساتير السدود
أجل الإنسان يأتى بغتة … لا يبالى بذكى أو بليد
هو موت ، إنما أسبابه … نُوِّعت ، تأتى لأرياف وبيد
يدع الأنذالَ فى الدنيا ، ولا … يرعوى عن طرق أجمات الأسود
ويمر العمرُ لا ينظره … ويجىء الطهرَ بالهلك الأكيد
كم عجوز حيزبون ترتجى الـ … ـموتَ عاشت ، وأتى يمشى لخود
يقطف الأبرار فى رأد الضحى … ويغض الطرف عن أهل الجحود

***

عطر الله ثرى (فاطمةٍ) … بشذا الفردوس من ندٍّ وعود
وحباها الأنسَ فى دار البقا … تستقى الكوثر فى يوم الورود
فسلام الله يا أخت الصفا … غردى فى النور ، فى أفق الخلود
لك ذكرى طيبَّ اللهُ بها … كل نفس قدست رب الوجود
يامهاة النور ، هذى ومضة … من سنا روحك سالت فى قصيدى
لحّنَ الروحُ معانيها دجى … ليلة الجمعة فى عذب النشيد
فى حمى القرية ، فى فجر الهوى … فى نجاء عن غبى أو حسود
فاقبليها يا عروس النور ، وَا … تكُ ذكرى منك للروح الشرود
ولتعانق بمعانيها (أبا … حازم) فى ساحل الربع المشيد
رحم الرحمن قوما رحلوا … عن حمى الدنيا إلى مسرح جود
تركوا بين روابينا لهم … شعلا تشرق من عليا النجود
شعلا لم يرها إلا الألى … عوّموا فى لجة الطهر الفريد
ليت أمى لم تلدنى ، ليتنى … ما رأيت العيش فى العصر الجحود
وهنيئاً للألى ساروا على … زورق الإيمان عن دنيا الجمود

« الكويت — الشعبية » … محمود شوقى عبد الله الأيوبى

راوية المتنبي في الكويت

رحم الله أبا الطيِّب المتنبي!.. ملأ الدنيا وشغلها فى حياته ، وملأها وشغل أهلها بعد وفاته .. قيل فيه من المدح مالم يُقَل فى سواه ، وقيل فى نقده مالم يقل فى سواه .. تمثَّل بشعره البدو والحضر ، والقريب والبعيد ، والعلماء والأدباء ، والخاصة والعامة ، والفيلسوف فى بحثه ، والمعلم فى درسه ، والمؤلف فى كتابه ، والواعظ فوق منبره . .

ولقد تخصص أناس لهدم المتنبي فما استطاعوا ، ووُضعت فى ذمه القصائد والكتب فما نجحت . . شرح ديوانه خمسون شارحا ، ووُضعت فى تمجيده عشرات الكتب ، وأقيمت احتفالات بذكراه الألفية ، فاجتمع لها أبناء الضاد فى حشد عظيم واهتمام ملحوظ . .

وهذه إمارة عربية تحب المتنبي وتتعصب له . . . إنها الكويت التى لا ترتضى بالمتنبي بديلا ... كتبتُ ذات يوم فى مجلة (البعثة) الكويتية مقالا ذكرت فيه أن (أحمد شوقى) أكثر أغراضاً فى الشعر ، وأوسع أفقا فى فنونه من أبى الطيب ، — وإن كنت أعرف أن المتنبي شاعر عبقرى أوحدى فى وصفه الطبائع ، وفى أسلوبه الجزل — فظن بعض الأصدقاء أن هذا هضم منى لحق المتنبي — وما قصدت ذلك علم الله — وقالوا : كيف تكون صديقَ الكويت ولا تقدم أبا الطيب على كل شاعر ، حتى على شاعركم شوقى ؟ !..

ولما جئت الكويت ، وجلست مع أميرها ، جرى ذكر المتنبي ، وأثنى عليه الأمير كثيراً ... ثم أذعت فيما أذعت من محطة الإذاعة اللاسلكية الكويتية حديثاً عن أمير الشعر شوقى ، وأنشدت جانباً من شعره بمناسبة المولد النبوى ؛ فسألنى أبناء الكويت — ومنهم الأستاذ عبد الله زكريا — أن أفعل مع المتنبي مثلما فعلت مع شوقى ، واستجبت للرغبة ، فأذعت عن المتنبي حديثاً وأنشدت له[1] ، وفرح بذلك الأصدقاء ، وطلبوا المزيد ؛ وكل يغنى على ليلاه .

وإذا مازرتَ الكويت يوما فسيتحدثون إليك بلا شك عن (راوية المتنبي) فيها .. الرجل الثقة فى شعر الكويت، الذى يرجع إليه كل متشكك فى بيت من أبياته ،

---

(١) ستجد هذا الحديث فى صفحة ٢٤٩ .

أو متأ كد من مثل من أمثاله . . الرجل الذى لا يجد مقدّمه حين تقديمه صفة أبرز ولا أوضح من قوله عنه (راوية المتنبى) . .

إنه رجل لم يدخل جامعة ، ولا يحمل شهادة دراسية ولا درجة علمية ... ويطالعك فإذا هو أسمر اللون حاد النظرات ، ولـكنه باسم فى أغلب أحيانه ، متوسط الطول ، ويميل إلى النحول ، خفيف الخطوات هادئ النبرات ، لايشغل وظيفة ، وإن يكن قد انتخب عضواً فى (بلدية الـكويت) خمس سنوات ، ثم استقال من البلدية ، وانتخب عضواً فى مجلس الأوقاف ، ولا يزال عضواً فيه إلى الآن ... يُكثر من شرب الشاى والتبغ ، إذ يدخن أربعين لفافة كل يوم . .

إنه السيد حمد مبارك المناعى الـكويتى ، ولقبه أبو راشد ، وشهرته أنه (راوية المتنبى فى الـكويت) . .

ولد السيد أبو راشد حمد مبارك المناعى سنة ١٣٠٣ هـ تقريبا — أو هكذا قال له والده — فله الآن نحو تسع وستين سنة ، وكان مولده فى الـكويت ، فى حى ابن خميس ، وقد توفى والده منذ عشر سنوات ، وهو متزوج ، وله ولد كبير متزوج أيضاً ، وقد وُلد ابنه هذا أبكم لاينطق ، ولـكن ذكاءه رغم هذا مفرط ، والحب بين الوالد وابنه عميق متبادَل ؛ ويُعَد أبو راشد من أقوى الـكويتيين تذكراً للحوادث الماضية ، وخاصة مايتعلق بالـكويت ورجالها .

كان أبو راشد يشغل أولا وظيفة (نوخذه) أى قائد السفينة فى الغوص ، أو من يدير أعمال الغوص فى عرض البحر ، وقد قضى من عمره أربعين سنة متصلَ الأسباب بهذه الأعمال ، ورأى خلال ذلك الـكثير من المشاهدات والغرائب ، وقاسى العديد من الأهوال والمخاطر ، ودرس المختلف من طبائع الناس ؛ لأنه كان يسوس أثناء الغوص خمسين رجلا ، تختلف مشاربهم ومآربهم ونزعاتهم ، وقد صار من أجل ذلك حجة فيما يتعلق بشئون الغوص واللؤلؤ .

وإنك لتجلس إليه ، ويجرى ذكر اللؤلؤ والبحث عنه ، فيستفيض فى التحدث إليك عن الاستعداد للغوص ، وكيف كانوا يخرجون إليه جماعات جماعات خلال شهور الصيف ، ويبدأون فى الغوص على اللؤلؤ ، من مسافة ربع ميل من الشاطئ أحيانا إلى

مسافة ثلاثين ميلا ؛ ويخبرك بأن أكبر لؤلؤة بيعت هى لؤلؤة (ابن ياقوت) ، وكان ثمنها مائة ألف وعشرة آلاف روبية ، أى مايقرب من عشرة آلاف جنيه مصرى ...

ويتهدج صوت أبى راشد ، وتستيقظ ذكرياته ، وتهيج عواطفه حينما يحدثك عن أيام الغوص التى كانت سعيدة هنيئة ، سعيدة بالعمل المربح ، هنيئة بالرزق الطيب الحلال ، إذ كانت الهمم موفورة ، والعزائم مصهورة ، وتكاليف الحياة رخيصة ميسورة ، والرابطة بين أهل الكويت وسطح الخليج وأعماقه وثيقة دائمة ، وألوان الفرح والمرح تتبدى حين الخروج إلى الغوص ، وحين العودة منه ، وشعراء النبط ينظمون قصائدهم الشعبية عن الغوص واللؤلؤ ، حتى يضرب المثل فى الهناءة بالذى فلق صدفة لؤلؤة ، فهذا هو المرحوم عبد الله الفرج الشاعر الكويتى يتحدث عن حبيبه فيقول :

يوم وقع سنّى على سنه　　أصبحت كأنى فالق دانه[1]

وأبو راشد يحفظ الكثير من شعر النبط وأمثالهم ، وهو قوى الذاكرة ، سريع الحفظ ، حتى ذكر لى أنه يحفظ نصف القصيدة الطويلة من إلقائها أول مرة ! ! ...

ويروى لك كيف يذهب الكويتيون إلى الغوص ، ويقضون فيه أربعة أشهر فوق الماء وتحته ، فهناك (النوخذه) وهو الربان المدير ، وهناك (البحارة) وهم الملاحون ، والبحارة نوعان : (سيب) و (غيص) . والسيب هو الذى يجلس فوق السفينة ليقوم بكل ما يحتاج إليه (الغيص) وهو الذى يغوص إلى أعماق الخليج ويلتقط المحار الذى يحوى اللآلىء . ويعقد الغيص فى رجله رصاصاً ثقله عشرة أرطال ، والرصاص معقود فى حبل ، ثم يهبط الغيص بفعل الرصاص إلى القاع ، ويظل يبحث عن اللؤلؤ ، ومعه حبل ثان مربوط فيه وعاء شبه المغرفة الكبيرة يضع فيه المحار ، وبعد انتهاء المهمة فى الغوص يجذبونه من الحبل إلى أعلى .

وقد بدأت صلة أبى راشد بالمتنبى سنة ١٣٤٠ هـ ؛ ولذلك قصة . . . لقد كان أبو راشد فى شبابه يحفظ الشعر النبطى (العامى) ، ولا يعرف عن المتنبى ولا عن الشعر العربى الفصيح شيئاً ذابال ، وحدث أن توفى فى مدينة الكويت طالب علم هو

---

(١) ينطقون وقع (وجع) وكأنى (شأنى) وفالق (فالج) والدانة لؤلؤة كبيرة .

المرحوم (على بن موسى بن عمران) وخلّف كتباً ، وجاء أحد أسرة الطالب إلى أبى راشد يدعوه إلى شراء ما يشاء من هذه الكتب ، فذهب أبو راشد مع آخرين إلى مكان البيع ، وقلّب أبو راشد فى الكتب فوجد نسخة من ديوان المتنبى بشرح العكبرى ، وكانت النسخة قديمة الطبعة ومجلدة ، وفى هامشها كتاب (الصبح المنبى عن حيثية المتنبى) للبديعى ، وهى مطبوعة فى مصر فى جزئين ، وفى مطبعة بولاق الأميرية بالذات ، وقد تمزقت النسخة من كثرة الحفظ .



مؤلف الكتاب مع أبى راشد راوية المتنبى ! ...

والتقط أبو راشد الديوان ، وأخذ يقلب صفحاته ، والآخرون مقبلون على تناول الكتب وشرائها ، ووقف أبو راشد عند بيت من الديوان يتأمله ، وهو قول أبى الطيب :

نهبتَ من الأعمار ما لو حويته　　　لهنئت الدنيا بأنك خالد

وهو من القصيدة التى مطلعها :

عواذلُ ذات الخال فىّ حواسد　　　وإن ضجيع الخود منى لماجد

ونظر حمد فى شرح البيت فطالع إعرابه وتفسير غريبه ومجمل معناه ، فأعجب بالشعر

وبالشاعر ، وأحس كما يقول بشوق ولهفة على الديوان ، وأراد شراءه ، ولكن أحد الكويتيين وهو السيد (عبد الله بورسلي [١]) الموجود الآن بمدينة الكويت نازع أبا راشد فى شرائه . وبدا بين الاثنين (مزاد علنى) حول الديوان ؛ (ورسا المزاد) على أبى راشد ، فاشترى الديوان بأربع روبيات (نحو ثلاثين قرشاً مصرياً) . ويقول أبو راشد إنه كان على استعداد لشراء الديوان بأى ثمن ، فلو قال المنافس : أشتريه بخمسين روبية ، لقال : وأنا أشتريه بستين ! ! . . . ودفع المال وأخذ الديوان وانصرف ، وهو يشعر بشىء لا يستطيع وصفه ؛ وأحس كأنه حصل على كنز ثمين أو غُنم عظيم ، فقد كان يسمع من قبل بالمتنبى ، ويرى الناس فى مجالسهم يذكرونه ، ويتمثلون بشعره ، ويطيلون فى مديحه ، ويتباهى من يستطيع الاستشهاد بأمثاله .

وأكبَّ أبو راشد على ديوان أبى الطيب ليل نهار ، يمسى المساء وهو عاكف على قراءته ، ويطلع الفجر وهو دارس له ، وقد بدأ أولا فطالع الديوان متمهلا ، بيتاً بيتاً ، يطالع البيت مرة أو مرتين ، ثم يطالع شرحه ، ثم يعيد مطالعته ، وكان يشعر أحياناً — كما يقول هو يا أحباءنا فى الكويت ! — بغموض المتنبى أو ضعفه ، فلكل شاعر هفوة ، ولكل جواد كبوة ؛ وحينما وصل إلى قصيدة المتنبى :

واحر قلباه ممن قلبه شبم ... ومن بجسمى وحالى عنده سقم

وقرأ فى تلك القصيدة بيت الشاعر :

وبيننا — لو رعيتم ذاك — معرفة ... إن المعارف فى أهل النهى ذمم

وانحدرت دموع أبى راشد حينذاك ، وبلغ به التأثر مداه . . .

وينطلق صوت أبو راشد منشداً لأبى الطيب :

إلفُ هذا الهوى أوقعَ فى الأنـ ... ـفس أن الحمام مر المذاق

والأسى قبل فرقة الروح عجزٌ ... والأسى لا يكون بعد الفراق

كم فراء فرجتُ بالرمح عنهم ... كان من بخل أهله فى وثاق

والغنى فى يد اللئيم قبيح ... قدر قبح الكريم فى الإملاق

---

(١) كان أولا (نوخذه) ، كأبى راشد ، ولكنه لا يشتغل الآن ، وولده يشتغل بالتجارة .

ويضرب أبو راشد المنضدة بكلتا يديه ، ويهتز جسمه ، وتميد نفسه ، ويهتف : هذا والله هو الشعر ، بل هذا هو السحر الحلال ! ! . . .

وقضى أبو راشد نحو عام يطالع فى ديوان أبى الطيب ، ويتنقل فى رياضه مطالعا متفهما دارساً ، وبدأ يفكر بعد ذلك فى الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، فقرأ لهم وحفظ لكثير منهم مثل امرئ القيس وزهير والنابغة وحسان وبشار ؛ وبعد ذلك عاد إلى ديوان المتنبي يحفظه . . . حفظ أولا الأبيات الجيدة ، ثم القصائد المختارة ، وجعل يرددها وينشدها لرفاقه ، ثم استقصى الديوان حفظا جيدا ، وصار إذا سألته عن أى بيت للمتنبي يخبرك فى أى قصيدة هو ، وماذا قبله وماذا بعده ، وفى أى غرض قيلت قصيدته فيه ، وما هو الشخص الذى قيلت له القصيدة .

وقد دفعه شعر المتنبي إلى دراسة النحو ، ولكنه لم يوفق لما أراد ؛ درس عند الشيخ عبد العزيز الرشيد قليلا منه ، ثم حدث انشغال عند الشيخ ، فطلب من تلاميذه أن ينقطعوا عن الذهاب إليه للتعلم عليه . ثم درس أبو راشد فى المدرسة المباركية ، وهى المدرسة الثانوية الوحيدة بالكويت ، وكانت دراسته على الشيخ (محمود) من أهل (الشطرة) فى العراق ، ودرس فى كتاب (الأجرومية) إلى باب (كان وأخواتها) . ومرض الشيخ محمود العراق ومات فى الكويت ، ولم يجد أبو راشد بعد ذلك من يدرس عنده ، فانصرف عن ذلك . ولا يزال أبو راشد يعترف بأنه يحتاج إلى دراسة العربية بتوسع ، فهو يعرف معنى البيت ويحفظه ، ولكنه يحتاج إلى القواعد والثقافة اللغوية الواسعة .

* * *

وكلما انعقد فى الكويت مجلس ، أو صار حديث فى مكان ، وكان أبو راشد حاضره ، استشهد من شعر المتنبي بما يناسب الحديث . . . فقد يتحدثون مثلا عن عدم الوفاء بين الناس ، فينشد أبو راشد :

إذا ما الناس جربهم لبيب — فإنى قد أكلتهم — وذاقا

فلم أر ودهم إلا خداعا ولم أر دينهم إلا نفاقا

والبيت الأول حينما قرأه أبو راشد توقف فى معناه ، لأن كلمة (وذاقا) شغلته ، وظن أنها من هفوات المتنبي ، ولذلك سترها عليه ، وكان لا ينشد البيت للناس ، لأن

كلمة (وذاقا) كما يقول بشعة ؛ وعين الرضا عن كل عيب كليلة ؛ ولكنه رجع إلى شرح الديوان للعكبرى ، فوجد البيت صحيح المعنى سليم القصد ، لأن (وذاقا) ترجع إلى اللبيب ، ولكن القافية من الظالمين .

ويتحدث الناس عن تحكم السفهاء فى العقلاء ، فيسارع أبو راشد بالإنشاد :

وانْهَ المشيرَ عليك فىَّ بضلة فالحر ممتحَنٌ بأولادِ الزنا
ومكائد السفهاء واقعة بهم وعداوة الشعراء بئس المقتنى

ويتحدثون عن خيانة النساء ، وأن المرأة لاميثاق لها ، ولا ثبات لرأيها ، فيعتدل أبو راشد فى جلسته ، ويردد فى تحسر ولوعة قول أبى الطيب :

إذا غدرت حسناء وفَّت بعهدها فمن عهدها ألاَّ يدومَ لها عهدُ
فإن عشقت كانت أشد صبابة وإن فركت فاذهب فما فركها قصد
وإن حقدت لم يبق فى قلبها رضى وإن رضيت لم يبق فى قلبها حقد
كذلك أخلاق النساء ، وربما يضل بها الهادى ، ويخفى بها الرشد

ويتحدثون عن إخفاء العداوة ، وإظهار الزمان لها رغم إخفائها ، فينشد :

فإن الجرح ينفر بعد حين إذا كان البناء على فساد

ويتأسفون على عيش الحر بين العبيد ، فينشد أبو راشد :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغامُ

ويتحسرون لانطباع الناس على الظلم والجور والطغيان ، فيردد قول أبى الطيب :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفـــة فلعلة لا يظلم

ويسخرون من الذين لا يفهمون ، فيعيبون الكلام والعيبُ فيهم ، فينشد :

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

ويتذاكرون وصف الحرص على كتمان الأسرار ، فينشد أبو راشد :

وللسر منى موضع لا يناله نديم ، ولا يُفضى إليه شراب

ويتذاكرون أن الحزين الموجع لا يحس بما حوله من فرح ، ولا يستجيب للهو ، فينشد :

ياساقيَّ ، أخمر فى كئوسكما أم فى كئوسكما هم وتسهيد ؟
أصخرة أنا ؟ مالى لا تحركنى هذى المدام ، ولا تلك الأغاريد ؟

ويتذاكرون أمر المغتر بنفسه ، الذى تخفى عليه عيوبه ، ولكن الناس يرون هذه العيوب ظاهرة جسيمة ، فيتطلع أبو راشد لحظة إلى أعلى ، ثم ينشد :

ومن جهلت نفسُه قدره　　رأى غيره منه ما لا يرى

ويتحدث أهل الفضل عن كراهيتهم للئيم ، ولو كان قريباً ؛ فيردد :

وآنف من أخى لأبى وأمى　　إذا ما لم أجده من الكرام

وإذا ذكروا علو الهمة وانفساح العزيمة قال أبو راشد :

إذا غامرتَ فى شرف مروم　　فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير　　كطعم الموت فى أمر عظيم

وهكذا يرتفع صوت أبى راشد فى كل مجلس له بأشعار أبى الطيب يرحمه الله ! ..

* * *

وحينما كرر أبو راشد أن المتنبى هو الشاعر الذى برع فى الأمثال ، وجمعها وصقلها ورتبها ، أردت أن أداعبه من جهة ، وأن أباحثه من جهة أخرى ، فقلت له : حسبك يا أبا راشد ، فهناك شوقى العبقرى ، وله من الأمثال الرائعة الشىء الكثير . . . أليس هذا جانبا من أمثاله البديعة ؟ . . . وأنشدت الأبيات التالية ، وهى مبثوثة فى قصيدة (كبار الحوادث) لشوق :

فاعذر الحاسدين فيها إذا لا　　موا ، فصعب على الحسود الثناء
لم يكن ذاك من عمىً ، كل عين　　حجب الليلُ ضوءها عمياء
فكبير أن لا يصان كبير　　وعظيم أن ينبذ العظماء
سنة الله فى الممالك من قبل ، ومن بعد ، ما لنعمى بقاء
وكذاك النفوس وهى مراض　　بعض أعضائها لبعض دواء
وإذا جلت الذنوب وهالت　　فمن العدل أن يهول الجزاء
قوة الله إن تولت ضعيفاً　　تعبت فى مراسه الأقوياء
ليس للذل حيلة فى نفوس　　يستوى الموت عندها والبقاء

وأنشدته الأبيات التالية ، وهى مبثوثة فى قصيدة (الهمزية النبوية) لشوق :

والرأى لم ينضَ المهند دونه　　كالسيف لم تضرب به الآراء
ومن العقول جداول ، وجلامد　　ومن النفوس حرائر ، وإماء

إن الشجاعة فى الرجال غلاظة ما لم تزنها رأفة وسخاء
والحرب من شرف الشعوب فإن بغوا فالمجد مما يدَّعون براء
الحق عرض الله ، كل أبية بين النفوس حمى له ووقاء
والحق والإيمان إن صُبا على برد ففيه كتيبة خرساء

وقلت له إن هذه أبيات انتزعت من قصيدتين ، فكيف لو راجعنا شعر شوقى كله ؟ . . . لابد أننا سنجد فيه مئات ومئات من الأمثال ... فما رأيك يا أبا راشد؟ .

فأجاب : أنا لا أمنع أن يكون لشوقى أمثال عالية جميلة ، وأنا أحب شوقى وأميل إليه ، وأعجب بشعره ، ولكنى — بصراحة — أحب المتنبى أكثر من شوقى ، وأنا وأهل الكويت نحب المتنبى أكثر من أى شاعر آخر ، لأن شعره يلائم كل إنسان ، حتى العامة والسوقة والنساء فى البيوت ، ولأنه يعبر عما فى الضمائر ، وهم لذلك يحفظون أمثاله السائرة ، مثل قوله :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ، ما من صداقته بد
ومن البلية عذل من لا يرعوى عن جهله وخطاب من لا يفهم
ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله وأخو الغباوة فى الشقاوة ينعم ... إلخ

قلت له : ولكن شوقى له فى شعره أغراض وفنون كثيرة . فأجاب : عصر شوقى غير عصر المتنبى ، والبيئة غير البيئة ، وكل منهما قد طرق فناً وأجاد فيه ، والمتنبى محدود الأغراض ، لأنه لم يكن على عهده مسارح ولا طائرات ولا دبابات ولا بواخر ، وإنما رأى الخيل والإبل والسيف والنَّبل ، فصوَّر ما رأى ؛ ولم ينظم المتنبى فى الإسلاميات لانشغاله بهدفه الذى يريده ، وهو الإمارة والمجد ... ثم إن أكثر الشعراء قد عاشوا بائسين ، وأما شوقى فقد كان ثريا من ماله ومال زوجته ، وعطف القصر عليه ، وإقبال الدنيا نحوه ...

فابتسمت قائلا : أنت الآن يا أبا راشد لا تخالفنى فيما أقول ، ولكنك تشرح السبب فيما أقول !!...

وأبو راشد يقرر أن كل القصائد التى ارتجلها المتنبى ارتجالا فيها ضعف ، وهى التى يقولها فى المناسبات وهو مرغَم عليها إرغاما ،وقد تكلفها تكلفا . . . ويعجبه فى أخلاق المتنبى البطولة والإباء ، والترفع عن الدنايا والسفاسف ، مثل الخمر والنساء والعبث ،

وكل ما ينقص شرف الإنسان الرفيع . . . ولا يعجب أبا راشد من المتنبي أنه رجل (عسكرى) ، فليس عنده سياسة ولا حكمة !!...

ويوجد عند راوية المتنبي الآن نسخة من ديوان المتنبي شرح اليازجى فى مجلد ، وقد شرح اليازجى نصف الديوان ومات ،فأكمل ابنه شرحه ، وقد أُهديت إليه نسخة من هذا الشرح من صديق كويتى أولا ، وأخذها منه أمير الكويت سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح ، لأنه بحث عن نسخة خفيفة من الديوان يصحبها فى سفره ، فلم يجدها فأخذ النسخة من الراوية ؛ ثم أحضر له – للراوية – صديقه السيد عبد اللطيف يوسف النصف نسخة أخرى . وعنده أيضاً نسخة من شرح العكبرى ، أهداها إليه من بيروت صديقه السيد يوسف الخالد الكويتى . وهو لا يفضل على العكبرى شارحا آخر ، ويقول إن الجميع أخذوا منه ، واليازجى نقل عنه كثيرا ؛ ويقول الراوية إن هناك شرحا للدلفى فى عشر مجلدات ، وتوجد منه نسخة مخطوطة فى مكتبة برلين ، والدلفى هذا قد جاء ذكره فى كتاب (الصبح المنبى) ، وقد علم الراوية بأمر هذه المخطوطة من أحد الكتب التى طالعها ، ولا يتذكره الآن ، ويتمنى الراوية لو طُبع هذا الشرح الطويل !!.....

وراوية المتنبى له شغف ظاهر بسماع أم كلثوم ، وهو يعجب بها كثيراً ، وكذلك أهل بيته ، ولقد قال لى يوماً : دخلت منذ حين على العجوز فى البيت ، فإذا هى تبكى فى مرارة وألم ، فسألتها : لم تبكين ؟ فأجابت بعد برهة : لقد سمعت أن أم كلثوم مريضة وأنها لا تستطيع الغناء بعد ذلك . فقلت لها : وماذا فى هذا ؟ فقالت متعجبة : ومن الذى سيغنى بعدها فى مدح الرسول وتمجيد الإسلام ؟ !! .. فسألته : هل تحب سماع أم كلثوم فى أغنياتها الإسلامية فحسب ؟ . فأجاب : بل فى جميع ما تغنى ! ! . . وبعض الظرفاء يسمى الراوية (صريع غناء أم كلثوم) ! ! . . . وراوية المتنبى محب لمصر ، ومستهام بها ، وإذا سئل : وأى شىء يعجبك فى مصر أكثر من غيره ؟ . . . يقول : كل مصر من أولها إلى آخرها تعجبنى ، بعلمائها وأدبائها ، وكل من فيها ، وكل ما فيها !! ...

وإذا جرى ذكر العلماء أمام الراوية قال : هؤلاء مصابيح الظلام ، وهداة الأنام ، وورثة الأنبياء ، ولكن يجب عليهم فى وعظهم وهديهم أن يتذكروا أن العصر ليس كالعصور الماضية ، ويجب على كل واحد منهم أن يؤدى ضريبة النصيحة والتذكرة ، وليس بعالم من لا ينصح ولا يذكر !...

***

ولقد سألت أبا راشد : ما هو اليوم الذى لا تنساه ؟ . فأجاب : « لا أذكر يوماً معيناً ، والحياة ليس فيهاسرور دائم ، ولقد كنت وأنا فى الخامسة عشرة من عمرى أشعر بالمرح والغرور ، ولكننى جابهت متاعب الحياة بعد ذلك » ... وحينما سئل عن نصيبه من الهوى قال : كل حساس ذى شعور يهوَى . وهو يصف المرأة الصالحة بأنها « كل السرور » ، وينصح بالاحتراس من المرأة لأنها متقلبة . . . وهو يشاهد (السينما) كثيرا ويحب رؤيتها ، ويحب أفلام أم كلثوم خاصة ، ولا يميل إلى أفلام عبد الوهاب ، ولا يميل إلى الأفلام الغربية ، ولكنه يحب الأفلام المصرية عموما ، وعنده أن الأفلام الهندية تمثل الأنوثة ! ...

ومن العجيب أن راوية المتنبى نظم قليلا من الشعر ، ولكنه ليس بالفصيح بل بالنبطى . . . كان له عمّان ، أحدهما يسيء معاملته ، والآخر بار به عطوف عليه ، ويلقب (أبو على) ، فلما مات الأخير رثاه ارتجالا بالأبيات النبطية التالية :

يابو على بالعون حظك توفر ... أقفيت عن دار العنا والكسايف
وخليتنا عقبك كما زارع البر ... كف المطر عنه وهو كان غايف
كمل عمر واقفى ولا داس منكر ... ولا قرض فى عرض من كان طايف
ياموت ما أخذت اللى قعد ضر ... عز الله ، إنك ما أنت راعى نصايف
الموت قال إنى من الله مدبر ... وذاك انكتب فى اللوح ويا الصحايف
أما رحى الدنيا على الكل بتفر ... ودقيقها أهل العلوم الطرايف

* * *

وكانت لأبى راشد ثروة نحو مائة ألف روبية ، ولكنها ضاعت فى مجازفات الغوص ... وقد رحل أبو راشد إلى سوريا فى سنة ١٩٥٢ م ، فى صحبة سمو الشيخ عبد الله الأحمد ، كما رحل إلى العراق والحجاز حيث حج وزار الرسول سنة ١٩٤٠ ، وهو لا يتمنى شيئاً كتمنيه أن يزور مصر ، وهو يردد : « كل منيتى زيارة مصر وبس » !!...

ترى هل استطعت أن أعرّفك براوية المتنبى فى الكويت ، السيد حمد مبارك المناعى ؟ ! . أرجو أن أكون قد فعلت ! .

* * *

ولمناسبة الكلام عن المتنبى وراويته أثبت هنا الحديث الأدبى الذى أذعته عن المتنبى وأشرت إليه سابقاً ، وقد نشرته مجلة (البعثة) بمقدمة منها فى عدد مارس سنة ١٩٥٣م :

مختار من شعر المتنبي

« هذا حديث من سلسلة الأحاديث الأدبية التي يلقيها فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصي مبعوث الأزهر إلى الكويت في محطة الإذاعة اللاسلكية الكويتية ، وقد أذيع هذا الحديث في مساء الخميس ١٥ يناير سنة ١٩٥٣ م ، وقد اختص به مجلة البعثة لينشر فيها » :

أبو الطيب المتنبي ...

أي اسم لامع ذلك الاسم ؟ . . . وأية أخيلة ومشاعر تثور في نفس الناظم أو الناثر ، حينما يسمع اسم ذلك الشاعر العبقري الباهر ؟ . . . وأية ذكريات للعروبة ، والتاريخ ، والأخلاق ، وطبائع النفوس ، وغرائز البشر ، وروائع القصيد ، تنبعث حينما تدور على الألسنة أو الخواطر سيرة ذلك الموهوب في دنيا المعاني والتعابير ؟ . . . وأية نجوى من نجويات الطموح والأمل والمجد تسامر العقول ، وتراود الألباب ، حينما تستعرض البصيرة أو البصر تاريخ ذلك المحلق في سماء النظم بما لها من آفاق ؟ ! . . .

إنه المتنبي ، ذلك الاسم الذي ملأ كل مكان ، واستغنى في أكثر أحواله عن التعريف بابن فلان ، وإنه الشاعر الذي جاء فملأ الدنيا وشغل الناس ، وكسب من الأصدقاء والمعجبين كثيرين ، كما اكتسب من النقاد والحاسدين كثيرين ، فما عاد عليه محبوه بطائل في قدر أو أجر ، وما استطاع حاسدوه أن يخلقوا له من ضير أو وزر ؛ فلقد قال ما قال ، وصال في دنيا الشعر حيث صال ، وأتى بما أتى من فنون المقال ، واعتدل ثم مال ، وطمح واستطال ، ثم رحل وزال ، وخلَّف وراءه ذكراً ودوياً ، وترك من بعده شعره ، وهو ميراثه ، تتداوله الأفهام والأقلام ، بالتكرار والترديد ، والنقد أو التمجيد ، ولكنه على أي وضع جدير بالبقاء والتخليد . . .

وأبو الطيب المتنبي هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي ، ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة ، ونشأ بها أول أمره ، وكان يتردد بين البادية والحضر ، فاكتسب من الأولى صلابتها ونزعتها المتقشفة الجافة ، ومن الثانية علومها وثقافتها الأدبية ، وكان والده سقاء ، وقد أخطأ بعضهم في شرعة الأخلاق حين عيره بذلك قائلا :

أيُّ فضل لشاعر يطلب الفضـ ـل من الناس بكرة وعشيا
عاش حينا يبيع فى الكوفة المـا ء، وحينا يبيع ماء المحيـا ؟

فالمرء بعمله وفضله ، لا بأبيه أو بنسله . وقد انتقل المتنبي إلى الشام وهو غلام ، وكان يلازم الوراقين (باعة الكتب) فاستفاد من ذلك كثيراً ، وحضر حلقات العلماء فى زمانه ، ولقى الفحول من الأدباء ، وعاكسته الأيام فشب غاضباً ثائراً ، ويقال إنه ادعى النبوة ، وتبعه خلق من الناس ، وخرج إليه أمير حمص فأسره وحبسه ، ثم استتابه وأفرج عنه ، وقيل إنه سمى المتنبي لذلك ، ويقال إنه سمى المتنبي لفطنته وروعته فى الشعر ، أو لأنه قال :

أنا ترب الندى ، ورب القوافى وسمام العدى ، وغيظ الحسود
أنا فى أمـة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود ! !

وكان وهو فى السجن يقول :

كن أيها السجن كيف شئت ، فقد وطنت للموت نفس معترف
لو كان سكناى فيك منقصة لم يكن الدر ساكن الصدف

والتحق أبو الطيب بعد ذلك بسيف الدولة ، وتغنى بوقائعه وغزواته ، حتى اعتدى على المتنبي ابنُ خالويه وهو بمجلس سيف الدولة ، فغضب المتنبي ورحل إلى مصر ، ومدح كافور الإخشيدى ؛ ثم غضب على كافور فتركه وهجاه ؛ ويقال إن كافوراً خشى بأسه فقال : يا قوم ، من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، أما يدَّعى المملكة مع كافور ؟ ! .

وتوجه المتنبي بعد ذلك إلى فارس ، ومدح عضد الدولة ابن بويه الديلمى ، وكذلك مدح ابن العميد (١) ؛ وأخيراً تعرض له فاتك بن الجهل الأسدى ، وهو راجع من عند عضد الدولة ، فقتله فى رمضان ، سنة أربع وخمسين وثلاثمائة . . .

وكان أبو الطيب طموحاً واسعَ الطموح ، وكان عبقرياً فى الشعر بلا جدال ، ولقد قال فيه أحد النقاد : أبو الطيب كالملك الجبار ، يأخذ ما حوله قهراً وعنوة ، أو كالشجاع الجرىء ، يهجم على ما يريده ، ولا يبالى ما لقى ولا حيث وقع ! . .

(١) مدح المتنبي الكثيرين مثل بدر بن عمار ، وآل إسحق التنوخى ، وعبد الله بن خلكان ، وشجاع الطائى ، ومساور الرومى ، والمغيث العجلى ، وعلى التميمى ، وأبو العشائر الحمدانى ، وغيرهم .

وهذه قصيدة من شعره قالها يعاتب سيفَ الدولة ، وقد أنشدها فى محفل من العرب ، وكان سيف الدولة إذا تباطأ المتنبي فى مدحه ، يغضب عليه ويكيد له ، فيحضر فى مجلسه من لا خير فيه ولا يقاس بالمتنبي ، فيعرض للمتنبي بما لا يحب .

وقد غاظ المتنبيَّ ذلك ، فصاغ القصيدة التالية يعاتب فيها سيف الدولة ، ويذكّره بصحبته القديمة له فى حالى السلم والحرب ، ثم يفخر المتنبي بقصائده ومعانيه ، ويصور عكوف الناس على شعره ، باحثين أومقلدين ، مؤيدين أو معارضين .

ثم يصور فروسيته وشجاعته ، فميادين الهول والبطولة والجهاد والعلم والفهم تعرفه ، ثم يغمز سيفَ الدولة غمزاً لطيفاً خفيفاً ، فيشير إلى ظلمه ، وإلى انخداعه بالسفهاء الزعانف ، الذين لا يحملون قلباً كقلبه ، ولا همة كهمته ، ولا رفعة كرفعته ، ويهدد أثناء ذلك بالإعراض والارتحال ، جزاء ما لقى من الكيد والإهمال ، ثم يسدد الطعنات إلى أولئك الأوشاب الرعاديد ، ليردهم إلى حضيضهم المألوف لهم ، فيقول :

واحرَّ قلبـاه ممن قلبُه شبِمُ (١) — ومن بجسمى وحالى عنـده سقمُ
مالى أُكتِّمُ حُبًّا قد برى جسدى — وتدعى حبَّ سيفِ الدولة الأممُ ؟
إن كان يجمعنا حبٌّ لغرته — فليت أنَّا بقـدر الحب نقتسم
قد زرته وسيوفُ الهنـد مغمدة — وقد نظرت إليه والسيوفُ دم
فـكان أحسن خلق الله كلهم — وكان أحسن ما فى الأحسن الشيم
فوتُ العدوِّ الذى يممته ظفر — فى طيه أسف ، فى طيه نعم
قدناب عنك شديدُ الخوف واصطنعت — لك المهابةُ ما لا تصنع البُهُمُ (٢)
ألزمت نفسك شيئاً ليس يلزمها — أن لا يواريَهم أرضٌ ، ولا عَلَم (٣)
أكلما رمتَ جيشاً فانثنى هرباً — تصرفتْ بك فى آثاره الهمم ؟
عليك هزْمُهُمُ فى كل معترك — وما عليك بهم عارٌ إذا انهزموا
أما ترى ظفراً حلواً سوى ظفرٍ — تصافحت فيه بيضُ الهند واللمم ؟ (٤)

* * *

---

(١) الشبم : البارد .

(٢) البهم : الأبطال الذين تناهت شجاعتهم . (٣) العلم : الجبل .

(٤) اللمم : جمع لمة وهو الشعر الذى يلم بالمنكب .

يا أعدلَ الناس ، إلا فى معاملتى ... فيك الخصام ، وأنت الخصم والحكم !
أعيذها نظراتٍ منك صادقةً ... أن تحسب الشحمَ فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره ... إذا استوت عنده الأنوار والظلم ؟
أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى ... وأسمعت كلماتى من به صمم
أنام ملء جفونى عن شواردها ... ويسهر الخلقُ جرَّاها ، ويختصم (١)
وجاهل مدَّه فى جهله ضحكى ... حتى أتته يدٌ فرَّاسة ، وفم (٢)
إذا نظرت نيوبَ الليث بارزةً ... فلا تظننَّ أن الليث يبتسم
ومهجةٍ — مهجتى من همٍّ صاحبها — ... أدركتها بجواد ظهره حرَم !
رجلاه فى الركض رِجل ، واليدان يد ... وفعله ما تريد الكفُّ والقدم
ومرهف سرت بين الجحفلين به ... حتى ضربتُ ، وموجُ الموت يلتطم
فالخيل ، والليل ، والبيداء ، تعرفنى ... والسيف ، والرمح ، والقرطاس ، والقلم
صحبتُ فى الفلوات الوحشَ منفردا ... حتى تعجب منى القُورُ والأكم (٣)

* * *

يامن يعز علينا أن نفارقهم ... وجداننا كلَّ شىء بعدكم عدم
ما كان أخلقنا منكم بتكرمة ... لو أن أمركمُ من أمرنا أَمَمُ (٤)
إن كان سرَّكم ما قال حاسدُنا ... فما لجرح إذا أرضاكم ألم
وبيننا — لو رعيتم ذاك — معرفةٌ ... إن المعارف فى أهل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم ... ويكره الله ما تأتون والكرم
ماأبعد العيبَ والنقصانَ عن شرفى ... أنا الثريا ، وذان الشيبُ والهرم
ليت الغمامَ الذى عندى صواعقه ... يزيلهن إلى من عنده الديم
أرى النوى تقتضينى كلَّ مرحلة ... لا تستقل بها الوخَّادةُ الرُّسم (٥)

---

(١) الشوارد : الأشعار السائرة بين الناس . وجراها : من جرائها ومن أجلها .
(٢) فراسة : داقة للعنق .
(٣) القور : جمع قارة ، وهى الأرض ذات الحجارة .
(٤) أمم : قريب .
(٥) الوخادة : الإبل التى تسير سيراً سريعاً . والرسم : جمع رسوم ، وهى الناقة التى تؤثر فى الأرض لسيرها الشديد .

لئن تركن (ضُميراً) عن ميامننا ليحدُثَنّ لمن ودعتهم ندم (١)
إذا ترحلتَ عن قوم وقد قدَروا ألا تفارقهم ، فالراحلون هُمُ
شرُّ البلاد مكان لا صديق به وشرُّ ما يكسب الإنسانُ ما يصم
وشر ماقنصته راحتى قنصٌ شهبُ البزاة سواء فيه والرَّخمُ (٢)
بأى لفظ تقول الشعر زعنفةٌ تجوز عندك ، لا عرب ولا عجم ؟ (٣)
هـذا عتابك ، إلا أنه مقَةٌ قد ضُمّنَ الدرَّ ، إلا أنه كلم !

***

أيها الأصدقاء القدماء ، يا من طالما رعينا لهم الود ، وحفظنا فى غيبتهم العهد ... يامن استأثرت بكم مسارب الحياة ، ما بين صفوها ورنقها ، وباطلها وصدقها ؛ ويامن هبت إلى حما كم خفافيش تحب الظلام ، لترقد فيه وتركد ، فلا أثر أو عمل ، بل تحارب المجاهدين ماقدرت ، حتى لا ترمد عيونها برؤية العاملين فى جلوة الضياء . . . ويامن غرتكم ظواهر كاذبة ، أو ألفاظ براقة لاعبة ، فحسبتم الادعاء حقا ، والبهتان عقيدة ، فأدنيتم المهازيل والمعاليل ، واستوجستم خيفة من أصحاء الرجال . .

هذا هو المتنبى شاعركم القديم ، يبعثكم من غفلة ، وينبهكم من نسيان ، ويحذركم من غرور ، فينبئكم بأن إيثار المجدِّ العامل ، أليق بكم — إن كنتم رجالا — من اصطناع الخادع اللاعب الكسلان ؛ مهما كان فى تقدير المتازين من تبعات أو خلافات فى بعض الأحيان ، ومهما كان فى تقريب العابثين الفارغين من متاع أو انتفاع فى بعض الأحيان . . .

ياهؤلاء . . . لقد قال المتنبى ، وبقى أن ينتفع بالقول سامع ! ! . .

أحمد الشرباصى
مبعوث الأزهر الشريف إلى الكويت

---

(١) ضمير : جبل قريب من دمشق .

(٢) الشهب : جمع أشهب ، وهو ما فيه بياض يخالطه سواد ، والرخم جمع رخمة ، طائر من الجوارح المتوحشة .

(٣) الزعنفة : اللئام من الناس ، وتجوز : تروج .

من الشعر العامي (النبطي)

١ — شوق وعتاب

للشاعر إبراهيم الخالد في مخاطبة صديق له من الأحساء :

يا بو حسنْ معلومْ لله شكوايْ ... ادْعيتيني مثل البزْر في لِعابَهْ
أوّلْ على الهفّوف حكمت مطْواي ... وبديرة العوّام فليّتْ مابه
واليومْ لمّا (الفاوْ) ملْزومْ أنا جايْ ... في حِيل منْ هلْهلْ علينا سَحابه
لا بُدْ ما يومٍ أجيكم على بايْ ... سكلٍ جديدٍ، أو منْ امريكَهْ مجابه
أسْبق من الفار الذي ثرّ الشّايْ ... والعنجكِكْ عندي لِعبْ به وغدابه[1]
وأقوى من العفريت لي صِرْتْ نوّايْ ... دربٍ بعيد أوكل صِيهدْ رقابه
وارْوَغْ من الثّعلب إلى شافْ مطّايْ[2] ... أو شاف قنّاص حَدنّه كْلابه
أحطْ فوقه كنْبل الصّوف ورْدايْ ... وستّين خُبزة والذّبيحة جْنابه
في لِنْحَرَفْ يجري كما السّايْ بالمايْ ... أطْربْ وأغني ثمْ ألاعبْ ركابه
فوقهْ غلام مُبْهم السّدْ والرّايْ ... ولاّ الظفرْ، هذاكْ ما ينحكابه
ياما على قوم مجادٍ ومثْوايْ ... ألعبْ بهم مثل الغنمْ لا اذْيابه
والله من راسٍ حذّفته بيِمْنايْ ... وياما كِراع ما ثبتْنا حسابه[3]

٢ — عتاب صديق

للشاعر فهد أبو رسلي حين مرض فلم يسأل عنه أصدقاؤه :

عَلَقْ بي الوقتِ مخْلابْ ... وَعلّمني بالأَصْحابْ
حشا، ما بالرّبعْ شِيمهْ ... ولا لي عندهم قيمه
ألفْ لعناتْ واسْليمه ... على البايرْ بالأحْبابْ
ما قالوا وينْ صاحبْنا ... ترى تركهْ يعذْر بنَا

---

(١) كان الشاعر أميناً لمخزن مأكولات (٢) راكب مطية
(٣) تورية لطيفة، فالشاعر يحب أكل الرءوس والكوارع، لا قطعها في الحروب

عجبْ جنّـــهْ أمحاربْنا ولا ندْرى بالأسْباب
أنا ادْرى بالسّببْ كلّه وأعرْف الدربْ وأدلّه
يتبرّى الخلّ من رِخـلّه هُو بَسْ مفْلسْ وِينْعابْ
ولاَنِى سيت واعطيهمْ إنْ شفت الدهر واطيهم
فِسَقْ حتى اشْريطيهـم فهد والظّن به خابْ
حقيقـهْ وينْ لاجيهـم جلْبهم مثْـــل بُجّيهم
ولاجَا الليـــلْ حجيهُمْ تقـلّدْ له بمشْعـــاب
يا مالِ القِلّ والماحى إشكـُترْ ربْعى وأنا صاحى
وإلِىْ ما طحْت بمْراحى نسُونى وصاروا جنّـــاب
عَلقْ بى الوقت مخْلابْ وعـلّمنى بالأصحـــاب !

٣ — أين الأرز ؟ (الميش)

محاورة بين فهد أبو رسلي وبطنه حينما قل الوارد من الأرز :

كلّ ليلة يا فهد بطنى رِيطيشْ به كرَاخين لها حسّ ووشيشْ
رحت للدّختر(١) ولا حاش الصوابْ اهْنَه وامرخ ، ولا يسمع جوابْ
أحسب جرح مْعذّبنى عذابْ وأثر المسكين من كُثْر الجريشْ
ما يعَلّم للقيمى كلّ يوم بالسّنة مرة ، ولا المرقوق دُومْ
لـكن المضطرّ لى شاف اللّزُوم ما يعاف القُوت لو يأكل حشيش
قلت : يا بطنى تعذّر لا تثور لا تِعـذّبنى ترى منْت امعذُور
أنا غافل ما دريت ابها الأُمور لو دريت بقصّتك خشيت عيش
قال دورْ لى (كراتشى) واستريحْ ما أخيّس ما اغرُوجْ ما أصيحْ
قلت : وِشْ ها العلم ؟ إنك وكيح من يدُور الفصّ فى غبّه حشيش ؟
قال : أجل باذيك وابشر بالدمارْ بالتخير باشتغل ليل ونهارْ
قلت : لايم ما حصل باردْ وحار ما دريتْ العام شاركنا الـكديش
ليشْ ما تِقنع ونا رجـل قنُوعْ رِحيثْ ذا الدّهر والغلب طوع

(١) الطبيب .

قال : أبى لو كان مرّة فى السُبُوع   لقمةٍ اردَعْ بها الجوف الغشيشْ
الظَهَر قال انت صـــادق يا بَطِنْ   ما حَصَل كشمير يحْصَلْ لو قُطنْ
بُوم صـــار اثنينهم ضاع النَّظر   كيف أنا بارضى البطن وإلاَّ الظَهَرْ
كلْ ليلة يا فهـد بطنى يطيشْ   به كراخينٍ لها حس ووُشيش !

٤ — تحية جمعية الإرشاد الإسلامية

للشاعر منصور منصور الخرقاوى

بانتْ كما شمس الضحى بنوْارها   أو غيمة قامتْ تهـلّ أمطارْها
جمعية الإرشـــاد نِعما سُمِّيت   إيشوقنى من يقتفى أخبارها
لله بالطاعة شـــبابْ ناهض   شبّتَ أو شابتْ لاطفا الله نارها
جميـل إيذكرْنا زمانٍ مضى   دينٍ يلمِّ اصْغارها وكْبارها
من مـــدّ للدين الحنيف باعه   هـذا الفخر يا منَتَّسِين اجدارها
أعزّ مال الله جمْـــع قاطب   من يقتدى بفعالها وأفكارها
هـذا الرجا بالعوُن يا أهل الحجا   مستبشر أثنى على أنصارها
من حيث ما يسعَى بهذه الفكره   إلا كريم والكرامة دارها

٥ — أغنية نبطية

يُومَ الاثْنين دمع العين هَلَّيتَـهْ   والسَّبَب واحـد غيرَّ هوَ حَالى
صاحبى مدِّتُهْ شهرين ماجيتـهْ   لا طرِيتَهْ ، ولا يطرَى على بالى
عشرين يُوم وَنا خِـــلىِّ تمنَّيتهْ   فى قصُور الهوا ويّا ولد خالى
مِن بقاها الطرَّب يجيبَه فى بيته   والطرب فى دواوين العرب غالى

٦ — أغنية أخرى

يا وليف الرُّوح يا حلو الكلامْ   يا ربيعْ القلبْ يا صافى الجبينْ
يا مِليح الزُّول ، طرّش لى السلام   جانْ صَـــد خلَّهْ لى يلين
وارحم اللىِّ دُوم من زُود الغرام   أسهرِ المخلوقْ من كِثر الونين
والهوَا يا ترف من عِقبكْ حرام   تايب لله ربّ العـــالمين !

اللغة فى الـكويت

الـكويتيون قوم عرب ، تربطهم بسلالة العروبة أواصر وثيقة قديمة ؛ وهم يتكلمون العربية ، ولـكن لهم لهجتهم العامية ؛ وعماد هذه اللهجة العامية هو رغبة العامة فى التخلص من إعراب الخاصة ، كالشأن فى سائر الأمم العربية ، ويحتاج المصرى مثلا حين رحيله إلى الـكويت لأول مرة أن ينفق أياما حتى يألف سمعه وفهمه الألفاظ والتراكيب العامية هناك ، وإن كان الـكويتيون سيفهمون لهجة المصرى العامة من أول يوم ينزل فيه ، لأن متابعتهم للصحافة المصرية والإذاعة المصرية والأدب المصرى تجعلهم على صلة باللهجة المصرية .

واللهجة العامية فى الـكويت تتكون من جانب كبير من الكلمات العربية التى فقدت إعرابها على ألسنة العامة ، أو انحرف النطق بها هنا أو هناك ، ومن بعض الكلمات العراقية العامية بحكم الجوار ، وبعض الكلمات الفارسية بحكم الاتصالات السياسية القديمة ، وبحكم الهجرة الواسعة من إيران إلى الـكويت الآن ، وبعض الكلمات الإنجليزية بحكم الحماية والاستيراد ووجود الموظفين الإنجليز والإمريكان فى شركة النفط وأعمال الإنشاء الأخرى .

ومن خصائص اللهجة العامية فى الـكويت أنهم يقلبون الضاد ظاء ، (أو بين الظاء والذال) فيقولون فى الضوء : (الظوء) ؛ ويقلبون القاف جيما غير معطشة ، كاللهجة الصعيدية فى مصر ، فيقولون فى فوق : (فوج) ، وهم ينطقون الجيم معطشة دائما ، فى الفصحى وفى العامية ، ويقلبون الجيم فى أغلب الأحيان ياء ، فيقولون فى الشجرة : (الشيرة) ، وهم ينطقون الكاف مُشربة بالشين ، وقريبة أيضاً من الجيم المعطشة ، فيقولون فى بكى : (بشَى) . وهم يُميلون فى بعض الكلمات فيقولون فى ماء : (مُويَه) أحيانا . وينطقون كلمة (لو) : (لِى) ويجعلون حركة اللام بين الـكسر والضم .

والمتعلمون من أبناء الـكويت يستطيعون عندما يريدون أن يتكلموا العربية الفصيحة بطلاقة ، وهم يخطبون دائما بها ، عن إعداد أو عن ارتجال ؛ وتتوارد فى أحاديثهم الحرة كلمات كثيرة فصيحة بين كلامهم المعتاد ؛ ولا تزال اللغة العامية

فى الكويت تتضمن ألفاظاً كثيرة عربية فصيحة ، إذا رجعت إلى المعاجم وجدتها بمعناها المستعمل ، أو بقريب منه جداً ، وسنذكر فيما يلى بعض هذه الألفاظ :

١ — ناطور : هو الحارس عندهم ، واللغة تقول : إنه حارس الكرم والنخل .

٢ — بُرْمة بوزن غرفة : إناء كبير من الفخار يوضع فيه الماء صيفاً .

٣ — زِين : بمعنى جميل ، واللغة تقول : الزين هو الجميل ، وهو ضد الشَّين .

٤ — السِّدْر : شجر النبق ، وهم ينطقونها فصيحة ، وأحيانا يكسرون الدال للاتباع .

٥ — حُبّ : إناء كبير يحفظ فيه الماء (الزير) .

٦ — عُكَّة : قربة اللبن ، والعكة فى اللغة آنية السمن .

٧ — المداس : الحذاء ، واللغة تقول : هو الذى يُلبس فى الرجل .

٨ — تحرَّش : حاول الاصطدام بالغير والشجار مع الآخرين .

٩ — المناصب: تطلق على أحجار القدر ، والمفرد مِنْصب كمنبر .

١٠ — القَنْد : السكر المتجمد ، واللغة تقول إنه عسل السكر الجامد .

١١ — فلَعَه : أصابه بجرح فى رأسه ، والفلعة إصابة الرأس بشىء صلب .

١٢ — زَقَفَ : هجم على الشخص فاحتمله ، واللغة تقول : زقفه استلبه بسرعة .

١٣ — العوْد : الكبير من كل شىء ، والمسنّ من الإبل .

١٤ — العُطْبة : خرقة تؤخذ بها النار فتحترق .

١٥ — رَزَح : وقع بشدة وقوة ، وفى اللغة : رزحت الناقة سقطت إعياء .

١٦ — البارِيّة : نوع من الحصير ، واللغة تقول إنه الحصير المنسوج .

١٧ — الوَدَك : دسم الشحم ، واللغة تقول : الودك الدسم .

وكذلك كلمة السِّيف للشاطىء ، والفُرْضة للميناء ، والشَّوْب للهواء الحار جداً ، وكذلك السَّموم ، والقرطاس للورقة ، والتنور للمخبز ، والمِخَمَّة للمكنسة ، والمطهر للمرحاض ، والمسبح للحمام ، والمختلى للمرحاض ، والمجداف لآلة التجديف ، والسعف للخوص ، والمعلف لمكان طعام الحيوان ، والنِّطع لقطعة الجلد ، والقليب للبئر ، والبزاز لبائع القماش ، وكَمَش بمعنى خدش ، وطمَر بمعنى وثب ، والدِّبْس لعسل التمر والنحل ، وطرية بمعنى حادة ، والهوشة بمعنى المشاجرة ، والعجاج للهواء الثائر بالتراب ، والمختلَف للمرحاض ، والديوان لملتقى الرجال .

وفيما يلى نذكر طائفة من الكلمات الشائعة على ألسنة العامة ومعناها :

الكلمة المستعملة	معناها	الكلمة المستعملة	معناها
قَفَشه	مِلعقة	دِشْداشه	جلباب
جُوتى	حذاء	قِتْره — غِتْره	غطاء للرأس
إدْلاق	جورب	تِرِيك	مصباح كهربائى
إسْراى	سراج	دِرِيشه	نافذة
مِيز	منضدة	جدِر	قِدْر
جَنْطه	حقيبة	طُوفه	جدار
أوتى	آلة الكيّ	العيش	الأرز
الخُبْز	الخُبْز	بَقشه	ظرف الخطاب
قُورى	إناء الشاى	الفَرْشة	إناءماءالشرب(القلة)
بَنْكة	مروحة كبيرة	جَاخُور	مخزن
كُوت	معطف	رِيُوق	طعام الإفطار
بالطو	معطف	إمامه	عمامه
البطيخ	الشمام المستدير (الأصفر)	الرِّجِّى	البطيخ (الأخضر)
نَفْنوف	ثوب نسائى	خاشودة	ملعقة
إجْلاس	كوب	الدهن	السمن (المسلى)
باجلاً	الفول واللوبياء	استكانة	قدح صغير للشاى عادة
كَبَت	مخزن الملابس (دولاب)	كرْفايه	سرير
مُخْباه	جيب — محفظة	فُكْ	افتح
بَطِّل	افتح الباب المُغلق	مِلاَس	مغرفة
مَشْخاله	مصفاة تستعمل فى الطبخ	بُتُلْ	زجاجة
مَصَر	منديل	قُوطى	علبة
كَبُّوس	قبعة	حَيسه	خاتم
شَكَر	سكر	خام	قماش
طَابى	مقلاة	مرزام	ميزاب

الكلمة المستعملة	معناها	الكلمة المستعملة	معناها
الدَلَّة	إناء القهوة (الكنكة)	بابوج	حذاء للنساء
تانكي	مخزن للماء	بياله	كوب لشرب الحليب
أُصْبَخه	القمامات	راعى المَىّ	السقاء
تِشايْ	شاى	هَبْرَة	قطعة من الطعام
مِشْخاطة	مسطرة	بِنْسِل	قلم
شخِط	هامش	محَّاية	ممحاة
سِلِكِى	طلاسة السبورة	مُلّايه	مُدَرِّسَة
مُلا	معلم قرآن	مطوّع	معلم صبيان
الصف	السنة الدراسية	مدير المدرسة	ناظر المدرسة
اِشْنُو	أى شىء هو ؟	وِينَكْ	أين أنت ؟
ها الحين	الآن	اِشْلُونَكْ	كيف حالك ؟
اِذْلف	ابتعد	دَزَّه	أرسلَه
المكْوع — المجوع	القاع — المنخفض	اِسْخله	عنزه
جارى	دراجة	موتور	سيارة
جِليب	بئر	دُخْتر — حكيم	طبيب
اِيشْ تَبى ؟	أى شىء تبغى ؟	ميدار	رِشصّ الصيد
حافى	فقير معدم	جَطُو	قِطّ
شاذى	قرد	شاوِى	قطيع الغنم
مِخَبَّل	مجنون	حَفيز	مكتب — محل
حَضْره	آلة صيد السمك	الجابلة	المقبلة
الدَّرْزَه	(الدستة — ١٢)	كاهُو	ها هو ذا
آكُو	يكون — يوجد	ماكُو	لا يوجد
رَيَّال	رجل	جُهَّال	أطفال
يَه	وَىْ (للتعجب)	نُوخذه	ربان السفينة
خَشْم	أنف	طُمْباخية	الكرة
دِيرَه	بلدة	الرَّ	القرى

الكلمة المستعملة	معناها	الكلمة المستعملة	معناها
الله بالخير	كلمة التحية	فى أمان الله	كلمة الوداع
حَلج	فم	وَيَرْ	سلك الكهرباء
وَايد (واجد)	كثير	جُوّه	الله يقويك
بَسْرى	أعود للنوم	اتْهَدُّوا	انصرفوا من العمل
هَدَّه	انصراف راحة من العمل	جيفْ انته	كيف أنت ؟
مشكور	شكرا	ممنون	مشكور
ياهلا	يا أهلا	عساك طيب	لعلك بخير
الله يُوَلّيك العافية	الله يهبك العافية	خَطَاكَ السُّو	حمداً لله على سلامتك
فِريج	حى (قسم من المدينة)	البنديرة	علم السفينة
إمطَخْشَل	سمين	يتهاوش وياه	يتشاجر معه
خوش	مدهش — عظيم	يتقشمر معه	يمزح معه
يطِج الجرس	يدق الناقوس	مِصَيِّف	متأخر
تو نى فى الحين ياى	جئت الحين توا	يتربرب	يتكلم بلا فائدة
وَاره	(يارده)	متروس	ممتلىء
بيرق	علم	ماحول	مزمار
حُرْمة	امرأة	حطب	خشب
خُرْده	قطع النقود الصغيرة	بيزات	نقود
خَاتُون	طبيبة	باكيت	علبة (سجاير)
أُوفيس	مكتب	دِرِيوَر	سائق
دَامِج	تالف	رِتْب	دلو
زِتَات	بسرعة	هِنيه	هنا
مَاى	ماء	ما حصّلناه	ما وجدناه

ويقبل عليك الكويتى فيحييك قائلا : (الله بالخير) أى صبّحك الله أو مساك بالخير ، ويكون الجواب على طريقته هو نفس العبارة عادة : (الله بالخير) . وتسأله عن حاله قائلا : (ايش لونك) ؟ . فيجيب : (زين) . وقد تعرض عليه أمراً ليوافق عليه ، فيقول : (ما يخالف) أى موافق ، أو يقول : (اتوكل على الله) . وقد تطلب

منه شيئا ، فيريد أن يقضيه فيجيبك : (أبشر) أى أبشر بقضاء ما تريد ؛ أو إذا أراد الاحترام قال : (على أمرك) أى أنا نازل على أمرك ، وإذا بالغ فى الاحترام قال : (على ها اَلخَشم) أى أقضى ما تريد على أنفى ، وقد يضع يده على (خشمه) أى أنفه حين قوله . وإذا قضيت للكويتى شيئا قال لك : (مشكور) ويكون الجواب : (ممنون) .

وقد تطلب شيئا غير موجود فيقول لك الكويتى : (بسلامتك ، أو سلامتك ، أو تسلم) ، ويدل هذا على أن الشىء غير موجود ... وقد يتلطف الكويتى فى تحيتك إذا كان اللقاء لأول مرة ، فيقول لك : (فى السنة عيدين وهذا ثالث) . . . وحينما يهم الكويتى بمفارقتك يقول لك : (فى أمان الله) ، ويكون الرد نفس التعبير : (فى أمان الله) ! .

وإذا أراد الكويتى أن يتحدث عن الشىء المتعلق بشىء آخر يقول : (هذا الشىء ما لكذا) ،فيقول عن الملاءة مثلا : (هذا ما للسرير) ، أى يتعلق بالسرير أو : (هذا حق السرير) .

ثم نضع أمامك جدولا يبين لك كيف تنطق بعض الكلمات فى بلاد عربية مختلفة :

الكلمة	مصر	الكويت	سوريا	العراق	مراكش	نجد	اليمن
هُنا	هِنَا	هْنِيه	هُون	هْنَايه	إهْنا	هْنَا	هَانا
الآن	دِلوَقتى	الِحين	هَلّة	هَسَّة	دابا	هالحين	دلحين
بسرعة	قَوام	زِتات	قوام	دِسْرع	بْطَرْ	انْهَجْ	بسرعة
جلباب	جَلَابِيَّة	دشْداشة	ثوب	دشداشة	قميص	دشداشة	زنة
حذاء	جَزْمة	جوتِى	سُبّاط	قُنْدَرَة	جزمة	جوتى	حذا
جَرَّة	ألَّة	غَرْشَة	أبْريق	شرْبة	بَرّادَة	غرشة	جُلة
خِزانة	دُولاب	كَبَت	خِزَانة	كُنْتُور	ماريه	خَزّانة	خزانة
أرز	رُز	عِيش	رُز	تِمَّن	رُوز	عِيش	رُزْ
ماء	مَيَّه	مَاىْ	ميَّه	مَىْ	مأ	ماء	مأ

المرأة فى الكويت

العربى الأصيل يحفظ حرمة المرأة ، ويصون كرامتها ، ويعدها أول شىء يدافع عنه ، ويضحى من أجله فى حماه وذماره ... أفما تحض تعاليم الفروسية عند العرب على إكرام المرأة والعناية بها ؟. أفما ترى مبادئ الفتوة إلى أداء الواجب نحو هذا المخلوق الرحيم الرقيق ؟ . .

وإذا كانت هناك فترات تجلى فيها منع المرأة من بعض نشاطها ، أو الحيلولة بينها وبين جانب من جوانب حقوقها ، فلعل ذلك كان راجعاً إلى غيرة الرجل ، أو حرصه الشديد على عرضه ، أو مبالغته فى صون شرفه ، وحسبنا تدليلا على ذلك أن تُعرف المرأة فى كثير من المواطن باسم (حُرمة) ، فهى أرفع وأكرم من أن تنال أويسهل إليها السبيل ... وحين يقال هذا — كحقيقة مسلمة — لايراد به الاستقصاء ، وإنمايرادبه العموم ، فلايمتنع أن يكون هناك أفراد أساءوا معاملة المرأة ، وطغوا عليها ، عامدين أو خاطئين . . .

والكويت بلد عربى ، يعرف أبناؤه الأصلاء للمرأة كرامتها وحرمتها ، ويذكرون أنها الأم والأخت والزوجة والبنت ، وأنها هى التى تهز المهد بيمينها ، ولكنها تستطيع أن تهز مجتمعها بيسارها ، لما لها من التأثير الخفى والظاهر فى نفوس الكبار والصغار ، ولقد أرغمت ظروفُ الكفاح والنضال والاضطرابات المختلفة أهل الكويت على أن يقصروا المرأة داخل خدرها إلا نادراً ، وأن يصطنعوا لها ثياب الحجاب الكامل ، فلا تزال حتى اليوم تخرج بخمارها وعباءتها وملابسها الفضفاضة الواسعة ، بحيث لا يُرى شعرها ولا وجهها ولا يداها ، وإن كان مما يؤسف أن عدداً كبيرا من النساء يسرن حافيات الأقدام ، وأن العباءة حين السير تنفرج ، فيظهر ساقا المرأة المحجبة مكشوفتين ، مما يحتاج إلى تنسيق هذه الثياب ، حتى يسهل استعمالها من جهة ، وتؤدى الغرض المطلوب منها من جهة أخرى .

وأغلب النساء يخرجن محجبات للذهاب إلى المستشفى أو السوق أو للزيارة ، وكذلك بنات المدارس يخرجن محجبات ، وهناك نظام صارم فى تطبيق هذا الحجاب

على المدرسات المندوبات من خارج الكويت ؛ وفيما عدا مجال التدريس قد ترى هنا أو هناك سيدات وآنسات غير كويتيات ، كاللواتى تراهن فى المدن الشرقية والغربية سفورا وزينة . . .

ولقد كان من وراء الحجاب وقصر المرأة فى البيت وانشغال الرجال بأنفسهم وواجباتهم أن حُرمت المرأة الكويتية فى الأزمان الماضية قسطها الواجب من العلم والمعرفة وظهور الشخصية ؛ وليس هذا القول محاربة للحجاب ، ولكننا نصور ما كان ، ونضيف إلى ما سبق أن حرص الرجال على حجاب النساء دفعهم إلى الحرص على كتمان أسماء البنات والزوجات والأمهات ، ولما فكر ولاة الأمور فى الكويت فى إجراء إحصاء عام للسكان وتسجيل الأسماء فى سجلات ، وتنظيم شهادات الميلاد ، صادفتهم هذه الصعوبة ، وهى غضب الرجال من التصريح بأسماء نسائهم وبناتهم . وقد يكون من غير المستحسن فى نظر الشرق العربى المسلم أن يتردد اسم امرأةٍ من أهله بكثرة ، ولكنه من غير المستحسن عقلا وشرعا أن نرفض التصريح بالاسم فى أحوال تقتضيها المصلحة والنظام العام . . .

ولست أدرى من أين جاءتنا هذه العادة ، مع أن تاريخنا الإسلامى يفيض بذكر أسماء الأمهات والبنات لكبار الإسلام ، وعلى رأسهم محمد عليه الصلاة والسلام ، فنحن نعرف اسم أمه وأسماء زوجاته وبناته وعماته ، ونجد فى كتب السيرة والتاريخ التصريح بهذه الأسماء فى مختلف المواضع ، فأبو بكر الصديق أمه سلمى بنت صخر ، وأم عمر الفاروق هى حنتمة بنت هاشم ، وأم عثمان هى أروى بنت كريز ، وأم أبى عبيدة ابن الجراح هى أميمة بنت غنم ، ووالدة سعد بن أبى وقاص هى حمنة بنت سفيان ، وأوس بن ثابت والدته سخطى بنت حارثة ؛ وأوس بن الصامت زوجته تسمى جميلة ، وعبد الرحمن بن الزبير زوجته أميمة بنت الحارث ، وعبد الرحمن بن عوف زوجته أم كلثوم بنت عقبة .

ونحن نعرف فى التاريخ أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، وأمامة بنت حمزة سيد الشهداء ، وجميلة بنت سعد بن الربيع ، وخديجة بنت الزبير بن العوام ، وزينب بنت عثمان بن مظعون ، وفارعة بنت أسعد بن زرارة ، ونائلة بنت سعد بن مالك ،

وظبية بنت البراء بن معرور ، وأسماء بنت أبى بكر ، وأسماء بنت سعيد بن زيد ، وزينب بنت مصعب بن عمير ، وصفية بنت الزبير بن عبد المطلب ... إلخ

نرى هذه الأسماء لأمهات أجدادنا وبناتهم ، فما الذى يجعلنا نخجل من ذكر أسماء النساء حتى فى المواطن اللازمة ؟.. وما الذى يدعو بعد هذا فتاةً كويتية أديبة إلى أن تتستر فى كتابتها خلف كلمة « هى »، وتفوز هذه الأديبة فى مسابقة أدبية لمجلة البعثة ، فترسل إلى المجلة خطابا تقول فى آخره : « وختاماً أرجو عدم نشر اسمى كاملا ، لأن تقاليد أسرتى لا تسمح لى بذلك[1] » ؟!... أظن أنه قد آن الأوان لعلاج تلك الناحية بصورة تتوافر فيها الصيانة والمصلحة العامة !. .

نعم كانت المرأة الكويتية كأختها فى كل مملكة عربية محرومة فى الزمن الماضى من التعليم والتثقيف ، إلا عدداً قليلا لا يكوِّن فى التقسيم شطراً ولا قرابته ، ولكن النهضة الحديثة شملت الجنسين معاً ، فرأينا مدارس للبنات فى الكويت تستقبل الفتيات وهن فى قرابة الخامسة ، وصار هناك مدارس ابتدائية للبنات ، وفصول ثانوية لهن ، ومن المنتظر أن تنشأ لهن مدارس ثانوية بمشيئة الله .

ولكن بقى السيدات اللواتى يقمن فى البيوت ، واللواتى قد تخطين السن التى تصلح للتعليم المدرسى، وهؤلاء يجب أن تنظم لهن دروس التثقيف الصحى فى المستشفيات والملاجئ بوساطة الطبيبات والممرضات ، وأن تنظم لهن دروس دينية وأخلاقية مستقلة فى المساجد ، فى الأوقات التى لا يرتاد المساجد فيها مصلون ، وأن تنظم لهن دروس ليلية لمكافحة الأمية فى المدارس الكويتية ، ويقوم بهذا التعليم المدرسات الكويتيات وزميلاتهن غير الكويتيات ؛ وبهذا تزول الأمية سريعا من الإمارة ، ويرتفع مستواها الأدبى والمادى ...

قد يقال إن سيدات يسمعن الخطب والمحاضرات التى تلقى فى المساجد يوم الجمعة ، وفى غيره من الأمسيات ، وقد يقال إن بعض النساء يؤدين الصلاة فى بعض المساجد فى مكان منعزل ؛ ولكن هذا نطاق ضيق جداً ، ويضاف إلى ذلك أن النسوة إذا ذهبن لسماع محاضرة فى مسجد يجلسن أمام المسجد ، أو على جوانبه بجوار الجدران ، وربما

---

(١) انظر مجلة البعثة ، عدد دسمبر سنة ١٩٥٢ م .

كان الجو بارداً قارساً ، وربما كان الطريق غير صالح للجلوس ، وربما تعرضن لبعض الأذى ؛ وربما . . . وربما . . .

ولقد كنت والله أتألم حينما ألمح فى طريقى إلى المسجد للخطابة أو المحاضرة أسراب السيدات ، وقد جلسن منكمشات بجوار الجدران على الأرض، فى صورة لاتلائم ، وكنت أقول فى نفسى : إن المسئولين قادرون على أن يهيئوا لهؤلاء الراغبات فى العلم مكاناً أنسب ، وفرصاً أوسع . . .

وهناك محطة الإذاعة ، يجب أن تُستغل على أوسع مدى لتثقيف المرأة ، ففى كل منزلٍ اليوم جهاز استقبال (راديو) تقريباً ، ومن الممكن للمرأة أن تسمع وتستفيد ، إذا كان المنهاج سليما وقويما .

ومن الواجب على ولاة الأمور أن يمدوا أيديهم بالثقافة والعلم إلى المرأة وهى فى حماها الكريم ، قبل أن تخرج هى ثائرة أو جائرة لتطلبه أو تطلب ما بعده ؛ كما أنه من واجب الرجال أن لا يهضموا المرأة حقاً من حقوقها ، وأن لا يحيفوا عليها فى أمر أباحه الله لها ، وأن يرعوا شخصيتها وكرامتها، بدل أن نصاب بالاندفاع على الرغم منا، ثم نكتفى حينئذ بالتحسر على الماضى، والتفجع من الحاضر، والإشفاق من المستقبل...

وعند فتيات الكويت اليوم بشائر نهضة أدبية ، إذا وجدت الصالح من الغذاء والصحيح من التوجيه ، والقويم من التخريج ، أتت بأطيب الثمرات ، وفتحت لأدب المرأة الكويتية سجلا جديداً يفيض بروائع النظم والنثر . ونحن نكتفى فيما يلى بإيراد ثلاث كلمات لثلاث أديبات كويتيات شوابّ ، لنأخذ فكرة عن أدب المرأة أولا ، ولنتعرف إلى ما يختلج فى صدور أمهات المستقبل ثانياً ، والأولى كُتبت فى العام الماضى (١٩٥٢) ، والأخيرتان كتبتا وسط هذا العام (١٩٥٣) م[١] :

١ — رسالة إلى أخى

إنى إن أكتب لك فلأنى أشعر بأن روحى بك متصلة ، وأن أيدى المنون إن اختطفتك إلا أنها لم تقدر على قطع تلك الصلة ، بل عجزت عن إطفاء هذه الشعلة المنيرة التى تنبعث من سماء الخلود ، ترشدنا إلى الطريق القويم .

---

(١) ليس معنى إيرادنا لهذه الكلمات أننا نرتضى كل ما فيها ، ونحن ننقلها كما هى دون تغيير .

إنك لم تمت وإنما أنت حى فى جنة الله ، فالله اصطفاك لـكى يريحك من هذا العالم الملىء بالشرور ، والذى خيمت فيه المـادة على العقول ، فأصبح العدل مع القوة ، لا مع الحق .

ها أنا اليوم يامرزوق الحبيب[1] أعود إلى وطنى العزيز ، بعد غيبة كنت أحسبها طويلة ، ولم أعرف مقدار سعادتها إلا الآن ، هكذا الإنسان لا يتذوق طعم السعادة إلا بعد فواتها .

كنت لى يا مرزوق أخاً وصديقاً وأستاذاً معاً ، تغمرنى بعطفك ، وترشفنى من من مناهل علمك . إن خيالى الآن ليسبح فى الماضى السعيد الذى كنتُ فيه سعيدة هنيئة بجوارك ، فخورة بك إلى أبعد حدود الفخر . إن صوتك الهادئ الرزين الحلو النبرات لا زال يرن فى أذنى ، وأنت تلقننى دروس الأدب ، مفسراً شعر هذا ، ومفكـكا رموز ذاك ، فمن طموح المتنبى إلى فلسفة المعرى . والله إن العلم لشىء جميل إذا كان يؤخذ من أخ كله شفقة وحنان ، فـكنت بدورى ما أستفسر عن شاردة أو واردة ، تافهة كانت أم جليلة ، إلا وأجبتنى عنها بصدر رحب .

فلا غرو إذا فاتحتك الآن عما يخالج ضميرى ، وعما دار فى رأسى من خواطر وأفـكار عندما وطئت قدمى أرض وطنى الحبيب . إن الـكويت يامرزوق قد تغيرت عما كانت عليه ، فصار مؤكداً أنها ستصبح بعد سنين قليلة عروس الخليج . ولـكن هل جهل أحد بأن البلاد لا تبلغ الرقى والتقدم متى كانت الفتاة جاهلة ؟. يبدو لى أن المجتمع أنانى ، ولا عجب ، فالطفل قد فطر على الأنانية ، والرجل طفل كبير كما يقولون ، فها هو ينكر وجودنا متناسياً أن المجتمع يتكون من ركنين أساسيين ، هما الرجل والمرأة .

فبما أن للرجل ميدانه الفسيح وأعماله الشاقة ، فـكذلك للمرأة عدا عملها الأساسى صولات وجولات لا يجهلها العاقل ، فهل فينا من لا يقدر للآنسة (مىّ) نشاطها الأدبى ، وتقدمها فى هذا المضمار ، وكذلك الآنسة (فدوى طوقان) شاعرة العصر الموهوبة ، لـكم لعبت بأوتار القلوب ، وهزت المشاعر بما أودعت فيه فى أشعارها من خيالات وتصاوير وتأملات .

---

(١) هو المرحوم مرزوق فهد المرزوق شقيق الـكاتبة ، اختطفه الموت شاباً .

يقول الأستاذ عيسى الناعورى فى مجلة الأديب البيروتية :

« إن فدوى طوقان لهى الدليل على أن المرأة تستطيع أن تقف بجانب الرجل أو تتفوق عليه فى ميدان الأدب إذا كان الشعر حساً حنوناً وعاطفة حرة » .

هذا فى ميدان لأدب ، أما المواقف الوطنية فما أظننا ننكر فضل السيدات هدى هانم شعراوى ، وأمينة السعيد ، ومنيرة ثابت ، وغيرهن من سيدات مصر الناهضات ، وأياديهن البيضاء على نهضة مصر ، كل ذلك عدا عملهن الأساسى كأمهات يسهرن على تربية أطفالهن تربية مجيدة ، وإعدادهن إعداداً صالحاً يؤهلهم للقيام بواجبهم نحو المجتمع ، وكلنا يعلم ما للتربية البيتية من تأثير فعال فى بناء كيان الفرد الذى هو ركن من أركان المجتمع . يقول نابليون : « المرأة التى تهز المهد فى يمينها تهز العالم فى يسارها » .

هذا من ناحية الأمومة ، أما الناحية الزوجية فإن حياة أم المصريين عقيلة الزعيم الخالد سعد زغلول باشا خير عبرة ، بل خير مثال أعلى للزوجة التى حملت مشعل الكفاح ، وشاركت زوجها فى منفاه ، تسهر عليه وتشد من عزيمته .

كما وأن الحرب أبانت لنا أثر المرأة فى المجتمع ، بل إنى شاهدت المرأة الباكستانية خلال إقامتى هناك ، وكيف كانت تشارك الرجل مناحيه الفكرية والعملية لأجل استقلال بلادها ، وها هى الآن تساهم بنصيب وافر مع أبناء وطنها ، لتحرير وطنها الثانى كشمير .

مما تقدم ترى أن للمرأة رسالتها الفعالة فى بناء المجتمع ، ولا شك أنها تستطيع أن تقوم بالأعمال العظيمة إذا ما أعدت لها وعلمت التعليم المطلوب ، ولا حياة لمجتمع إلا إذا تكاتف نساؤه ورجاله على سبيل إسعاده وترقيته ، كما وأن الفتاة الكويتية لجديرة بأن تحذو حذو النساء الأخريات ، وخصوصاً بما وهبها الله من شدة العزيمة .

هذه هى الأفكار التى كانت تجول فى خاطرى ، والتى أبوح بها إليك الآن على صفحات (البعثة) العزيزة . ترى ما رأى أبى ، بل وجميع الآباء ؟. هل سيفسحون لنا المجال لتحقيق أحلامنا ؟ أم أنهم سيصمون آذانهم فلا حياة لمن تنادى .

الحزينة التائهة

غنيمة فهد المرزوق

٢ – حقوق الفتاة الكويتية

فى كل بقعة من بقاع العالم ولكل أمة من الأمم سطر لنا التاريخ بكلماته الخالدة سلسلة من أعمال البطولة والتضحية التى قامت بها المرأة فى سبيل النضال من أجل حقوقها الإنسانية . ولقد كللت مساعيها فى معظم الأحيان بالنجاح ، وأثبتت فى كل مرحلة بأنها نالت مطالبها عن جدارة واستحقاق . وبرهنت للعالم أجمع على أهميتها الأساسية كإنسان لا بد للانتفاع من مواهبه وإمكانياته حتى يسمو إلى ذروة الكمال .

ولقد بادرت المرأة العربية منذ أوائل القرن العشرين إلى المطالبة بحقوقها والسعى وراء تنفيذ أهدافها ، بهمة لا تعرف الكلل ، ولا يتطرق إليها الملل . ولقد ساهم بعض الرجال المثقفين المتحررين فى مد يد العون إليها ومؤازرة قضيتها ، وإرشادها فى تصرفاتها ، غير أنها فى الوقت ذاته اصطدمت بعقبات لا حصر لها ، من تعصب ممقوت ، إلى تقاليد رجعية ، أكل الدهر عليها وشرب .

ومما لا شك فيه أن المسئولية الأولى تقع على عاتق الفتيات ، فبهمتهن وحدهن يحققن ما انطوت عليه صدورهن من أهداف وأمانى ، وعلى سواعدهن تسترد المرأة حقوقها المسلوبة ، وتحوز على الاحترام اللائق بها .

وكذلك الحال فى الفتاة الكويتية الواعية التى ينظر إليها الجميع بلهفة وترقب ، آملين أن تسجل صفحة جديدة فى تاريخ نضال المرأة وتحررها .

قبل أن تطالب الفتاة الكويتية بحقوقها ، عليها أن تفهم فهما تاماً ماهية هذه الحقوق ، عليها أن تشعر بأنها مظلومة ، فالشعور بالظلم هو المحرك الأساسى لكل حركة تهدف إلى الإصلاح . والثورة الفرنسية أصدق دليل على ذلك ، ففرنسا فى القرن الثامن عشر كانت تتمتع بقسط لا بأس به من الحرية نسبة إلى بقية دول أوربا ، التى كانت ترسف فى قيود الظلم والعبودية ، ولكنها مع ذلك كانت بمثابة البركان الذى دمر القيود فأفناها عن بكرة أبيها . أما السبب الأساسى فى ذلك هو أن الشعب الفرنسى كان يحس إحساساً دقيقاً بأنه مظلوم ، بينما كانت بقية الشعوب قانعة بذلها ، راضية بعبوديتها ، سادرة فى جهلها .

إذا كان الأمر كذلك فى حال أمة بأجمعها ، فخليق بفتاتنا الكويتية أن تنظر إلى نفسها بمرآة صادقة لا رياء فيها ولا نفاق ، وتقارن حالها بغيرها من الأخوات

العربيات فى جميع أجزاء الوطن العربى . حينذاك لا تستطيع إلا أن تقر والأسى ملء جوانحها بأنها مهدورة الحقوق ، مهيضة الجانب .

عليها حينذاك أن تؤمن إيماناً عميقاً بقضيتها ، وتتذرع بالتضحية والإخلاص فى سبيل الفوز بحقوقها ، وأول حقوقها هو العلم .

مما لا ريب فيه أن تعليم الفتيات آخذ فى الازدياد بنسبة تستحق الإعجاب ، غير أنه لا يزال مستقبل كثيرات منهن يتهاوى تحت ضربات قاضيات من التعصب ، ويئن على مذبح من الأوهام والأباطيل . وقد سمعت من عدة فتيات تصطخب فى نفوسهن عوامل شتى من الأسى واليأس ، أنهن قد اضطررن إلى الانقطاع عن تحصيلهن الثانوى نظراً لبعد مدارس البنات الثانوية عن منازلهن ، وانصياعاً لأوامر أولياء أمورهن ، وهذا والحق يقال إغفال صريح لحقوق الفتاة الكويتية ، وحجر عثرة فى سبيل رقيها وتقدمها ، لأن التعليم الثانوى (ولا أقول الجامعى) حق لا يعلى عليه ، ولا يمكن الاستغناء عنه بأى حال من الأحوال .

ليس هناك جدال فى أن الفتاة الكويتية المثقفة الواعية ، قادرة كل المقدرة على حل مشاكلها الشخصية بنفسها ، وإذا كان الأمر كذلك فمن الغريب إذن أن تجرد من قسطها الطبيعى من الحرية ، وأنا لا أطالب بأن تمنح حريتها كاملة غير منقوصة على حد المساواة مع الرجل . كلا ، إننى أقنع فى الوقت الحاضر بأن تعطى بعض الحريات الأساسية التى تسمح لها بالتنفس بعد طول ضيق .

وأول هذه الحريات هى حرية التفكير ، فعلى الفتاة الكويتية أن تمنح هذا الحق الأساسى ، لا أن تملى عليها الأفكار من هنا وهناك وتصبح أشبه بالآلة الصماء يسيرها الآخرون حسب أهوائهم ومنافعهم الشخصية ، فيوردونها موارد التهلكة ، ويجردونها من كل خير لمصلحة الوطن .

ثم هناك الزواج وما يصاحبه من كوارث ومصائب لا مجال لذكرها الآن ، فيندر أن تستشار الفتاة الكويتية بحق تقرير مصيرها . فى معظم الأحيان تجد نفسها بين عشية وضحاها ، وقد زفت إلى رجل تعافه ، أو إلى عجوز هرم فى الستين من عمره ، تقضى نضرة شبابها فى تمريضه والإذعان إلى أهوائه .

وأخيراً لا مناص من أن يحاول المجتمع تغيير نظرته إلى المرأة ، واعتبارها ركناً أساسياً فى رفع مستوى الوطن ورقيه وتقدمه ، واحترام رأيها وأفكارها ، والانتفاع

بمواهبها ، حتى ينشأ فى الكويت جيل من الفتيات والفتيان متوثب مجاهد ، يحمل الوطن على أكتافه ، ويجرى به نحو التقدم والازدهار .

فهيا أيتها الفتاة الكويتية !! استمرى فى كفاحك ، لايردنك عن عزمك حائل ، ولا تصمد أمامك العقبات . الوطن بحاجة ماسة إلى بطولتك ، فأظهرى للعيان مواهبك ، ولا تخشى فالله فى عونك ، وهو سميع مجيب .

هيفاء هاشم

٣ — أنصفونا أيها السادة

عندما فُتحت مدارس البنات وتخرج القسم الأول من الصف الابتدائى ، تطلع متلهفاً إلى دائرة المعارف آملا أن تعيره بعض اهتمامها فتفتح أمامه أبواب العلم ، كما اهتمت بالمتخرجين من البنين وفتحت أمامهم أبواب العلم على مصراعيه . ولكن لم يتحقق ذلك الحلم السعيد ، وانزوى بين الجدران يتخبط بين الأمل واليأس ، الأمل الذى يتجدد حلمه فى كل عام يقبل ، واليأس الذى بدأ يتسرب إلى قلوب تلك الزهرات النديات التى تنشد الأخذ بيدها إلى حيث الدرس والجد المتواصل ؛ ليغرس فيها حب العلم والدرس والتحصيل . ولكن كل ذلك لم يكن ، فتركت تلك النفوس الظامئة فى حرب ضروس بين ذلك اليأس والرجاء ، فتمر الأعوام العديدة والفتاة المسكينة تشاهد زميلها الذى كان معها فى صف واحد أخذ يتدرج فى مدارج العلم سابقاً لها ومسايراً لزمنه . لماذا كل ذلك ؟ لا لشىء سوى أن المعارف راغبة فى أن تحرمها من ذلك المشعل الوهاج ، وأن توصد دونها أبواب النور والمعرفة . ما ضر المعارف لو اعتنت بهن كزملائهن ، لأصبحن الآن من حاملات الشهادة الثانوية لأنها خمس سنين مضت دون أن تستثمر ، والفتاة لا تقل ذكاء ورغبة فى الدرس عن زميلها الفتى .

إن تفضيل الفتى على الفتيات فى مجتمعنا العلمى يلفت النظر فإنه هو العيب الوحيد . فنرى مثلا أكبر دليل على ذلك فتح صفوف لمحو الأمية فى مدارس البنين دون البنات . فواعجباه أتريدون أن تنشروا الثقافة وتجعلوا من هذا الجيل بأكمله جيلا مثقفاً متعلماً ؟ لا لعمرى لن يكون ذلك ، لأن أمه التى تدير كفة حياته وبيئته جاهلة تتخبط فى دياجير مظلمة . وإننى على يقين لو هيأت المعارف لهن دراسات ليست ليلية ، بل مرة واحدة فى عصر الاثنين أو الخميس أو الجمعة لوجدت معارفنا الإقبال الشديد من الفتيات أو الأمهات المحبات للعلم .

وكذلك نجد المعارف تعتني برحلات علمية للطلاب إلى حيث منابع النفط أو عملية نقله إلى السفن الكبيرة أو إلى معامل تكرير الماء وغيره دون الفتيات ، أو تخصهم بسماع محاضرات أدبية قيمة محرّمة علينا ذلك . وإننا نرى أن البلاد المثقفة والمقدّرة للفتاة حق قدرها تخصها بالنصيب الأكبر من ذلك ، لأنها العمود الفقرى للشعب الناهض والمتوثب نحو الرقى والكمال .

والآن بعد أن فتح لنا أول صف ثانوى نجد الدراسة الثانوية مبعثرة بين مدرستين ابتدائيتين ، لأن معارفنا القديرة مشغولة عنا بمشاريعها العمرانية كالمدرسة الابتدائية فى المرقاب للبنين وهى على أحدث طراز ، والمدرسة الثانوية الكبرى فى (الشويخ) للبنين أيضاً وهى التى حوت جميع أسباب الراحة ووسائل الترفيه ، وهى ذات حجرات دراسية واسعة ومكتبة عظيمة وقاعة كبيرة تضم ألوفاً من الطلبة لسماع المحاضرات ومسرح وملاعب مختلفة وغرف للراحة وغيرها . فلو تساءلت لماذا لم تفتح مدرسة ثانوية للبنات تماثل هذه من كافة النواحى أسوة بزملائهن ؟ لأجابوك : (نعم قررنا لهن فتح مدرسة فى العام الجديد) . إننا لا نريد كلاماً معسولاً ووعوداً براقة ، بل نريد أيها السادة مساواة فى العالم لا غيره ، نريد تحقيق أمل طالما راود أفكارنا .

فاطمة يوسف الغانم



أربعة من أمراء الكويت فى صورة ... وهم على مائدة ... ترى عن يمينك أحد ضيوف الكويت (بالمنظار) ثم الشيخ عبد الله المبارك الصباح ، فالشيخ فهد السالم الصباح ، فالشيخ عبد الله الجابر الصباح . وفى ركن الصورة الشيخ عبد الله الأحمد الصباح

من عادات الكبار فى الكويت

لكل مجتمع عادات وتقاليد يتميز بها ، وقد يشاركه غيره فيها أو فى جوانب منها ، والكويت مجتمع من المجتمعات ، وإن يكن صغير المساحة والعدد ؛ ومن عادات الكبار فى الكويت الدعوة إلى الطعام من حين لحين ، ويكون الطعام غداء أو عشاء حسب الظروف والمناسبات ، وتُوجه الدعوة قبيل الموعد بيوم أو يومين ، بل قد توجه فى صباح اليوم نفسه ، وليس هناك مجال لنقد هذا أو العتب عليه ، وقد تصلك الدعوة برسول يشافهك ، أو يحمل إليك دعوة مكتوبة ، وقد تصلك بطريق التليفون ، أو بطريق مدعو آخر معك ، ولا يدل ذلك على تهاون أو استخفاف ، بل يوحى به عدم التكلف والشعورُ بالتآخى ...

وجرت العادة بأن يكون المدعوون ممثلين لألوان مختلفة من الطوائف والمراتب ، حتى يكون هناك مجال للتعارف من جهة ، ولتاوين الحديث من جهة ثانية ، ولأداء الواجب من الداعى لجهات مختلفة ؛ ويكون الحضور إلى (ديوان) الداعى حسبما حدّد قبل الطعام بزمن طويل ، لأن القوم سيقضون قبل الطعام فترة مبسوطة فى المسامرة والمناقلة ، وتبادل الأحاديث والذكريات ، وخاصة إذا كانت الدعوة للعشاء ، وفى أثناء الحديث تُقدم إلى الحاضرين ألوان الشراب البارد — إذا كان الوقت صيفاً — كعصير الليمون أو البرتقال أو الأَنْبَج (المانجو) أو (الفيمتو) ، وغالبها من محفوظات العُلَب ؛ أو المنبهات الساخنة — إذا كان الوقت شتاء — كالقهوة المرة أو الشاى أو الحامض (وهو الليمون الجاف يغلى فى الماء ويُنزع الليمون ويحلى ماؤه بالسكر) ..

ويكتمل عدد المدعوين إذا كان هناك من تأخر قبلا ، وهناك ينتقل الجمع إلى ساحة المائدة ، وهى عادة تكون فى بهو البيت ، ويقدم الطعام على موائد مستطيلة منخفضة ، يجلس إليها الطاعمون على الأرض ، فوق طنافس فاخرة من صنع إيران أو غيرها ؛ وتوضع أصناف الطعام على المائدة دفعة واحدة قبل الجلوس إليها ، وهى فى العادة تتألف من لحم الضأن والدجاج والأرز وبعض الخضراوات المجففة — أو الطازجة أحياناً — والخبز ، وأنواع من الفاكهة كالتفاح والعنب والبطيخ .

وستجد هناك أدوات تناول الطعام كالملاعق والسكاكين والشوك ، وأنت حر ؛ إما أن تأكل بها ، وإما أن تأكل على الطريقة العربية بيديك ؛ وأنت حر كذلك فى تقديم أو تأخير ماشئت من ألوان الطعام ، فليس هناك ترتيب ملتزم فى تناولها ، وأنت كذلك حر فى أن تنهض عن الطعام حينما تحس بالشبع ؛ فالطعام كثير كثير ، والحرية موفورة ، و « إكرام النفس هواها » كما يقول أهل الكويت ! .

وينهض المدعوون من حول المائدة تباعاً ، ويغسلون أيديهم بوساطة الخدم الذين يحملون الأباريق والطسوت والصابون لذلك ، ويرجعون إلى (الديوان) حيث يشربون الشاى فى الأقداح الصغيرة التى تسمى (استكانات) ، ويشربون القهوة المرة حثوات حثوات ، فى فناجين متوسطة الحجم ، ولا يزال الساقى يعيد إلى الشارب فنجان القهوة وفيه حثوة ، حتى يهز الشارب الفنجان بيده ، فيعرف الساقى أنه قد اكتفى ! . . .

وإذا كانت الدعوة فى بيت أمير كثر التقاط الصور . . .

وتدور أحاديث شتى بين الجمع . . .

هاهم أولاء مثلا يتحدثون عن الصحافة فى الكويت ، فيذكرون المجلات الموجودة الآن : (البعثة والرائد والإيمان واليقظة) ، ثم يتذكرون المجلات التى كانت موجودة من قبل مثل (الكويت وكاظمة والبعث) . . . ثم ينتقلون إلى الحديث عن الصيد والقنص ، ثم إلى الحديث عن المنافسة بين الشيخين عبد العزيز الرشيد ومحمد خراشى ، وكيف نسب الشيخ الرشيد فى كتابه إلى الشيخ خراشى أموراً ليست صحيحة ، كما أسرف على الشيخين عبد العزيز بن صالح وأحمد الفارسى ؛ وقاتل الله المنافسة ! . . . ثم الحديث عن مصر والعرب . . . ثم . . .

وفى آخر المجلس يطوف خادم على الحاضرين ينثر عليهم قطرات من الطيب أو ماء الورد ، فيمسحون بها أيديهم ووجوههم ، ثم يطوف خادم آخر بعده بمجمرة العود ، ودخان العود يملأ الأنوف بشذاه الفواح القوى ، فينال كل جالس منه ما يحب ، وبعدئذ يهم الجالسون بالانصراف ، فيريد صاحب الدار أن يستبقيهم لمدة أطول ، فيبتسم أحدهم ويقول : « ما بعد العُود قُعود » ! ! .

ويصحب الداعى ضيوفه إلى باب داره لوداعهم ، وتتردد بين الجميع تلك الكلمة : (فى أمان الله) ! .

أمثال الكويت

الأمثال فى كل لغة عبارات ذائعة متداوَلة مشهورة بين العامة ، وبين الخاصة أحياناً ، يتجلى فيها صحة معناها ، وصدق حكمها ، وقلة ألفاظها ، وقوة تأثيرها ، ولطف بيانها ، مع دقة الإشارة فيها ، ووضوح التمثيل بها . وهى تعتمد — أول ما تعتمد — على التجربة الصادقة ، والخبرة العميقة ؛ ولذلك يكون تأثيرها فى الناس أشد ، ووقعها فى النفوس أبلغ ؛ ومن هنا مالت القلوب إليها ، ورغبت الأسماع فيها ، وتعلقت الألسنة بها ، تكررها متفهمة حافظة ، وتكررها مؤيدة متمثلة .

وقد عرَّف القدماء المثل بأنه قول منقول شائع ، يراد به أن تُشبَّه الحالة التى يحكى فيها ويروى بالحالة التى قيل فيها المثل من قبل لأول مرة . وهم يقسمون الأمثال إلى (حقيقية) وهى التى لها أصل معروف ، نُقلت عنه وقيلت فيه ، وإلى (فرضية) وهى التى يقولها قائلها على لسان حيوان أو نبات أو جماد أو شخصيات خرافية متوهَّمة . وهذا القسم الثانى هو الذى يكثر فى أيام الاستبداد والطغيان ، والحيلولة بين الناس وبين التعبير عن آرائهم ، أو التمتع بحقوقهم وحرياتهم ، فيحتالون للتعبير عن عواطفهم وأفكارهم ، بذلك الأسلوب الرمزى الملتوى ليأمنوا على أنفسهم ، أو يدفعوا الخطر عن حماهم ، أو يبرعوا فى لفت الأبصار والبصائر إلى ما يريدون من شئون الجماعات والأفراد .

وقد اتفق مؤرخو الأدب على أن الأمثال فى لغات الأمم معرض صادق ، يريك صفحات هامة من تاريخ الشعوب ، ويطلعك على مشاربها ومنازعها فى الحياة ، وطرائق حكمها على الأحياء والأشياء ، وأساليب تخيلها وتصورها ، وهى مع هذا عنوان يتبين لك منه رقى الأمة أو انحطاطها ، وهناؤها أو شقاؤها ، وحريتها أو عبوديتها ، وطرق خطابها ، وفنون رمزها وإشارتها . كما تستطيع أن تتبين جوانب كثيرة من الملامح الاجتماعية للشعب بوساطة النظر فى هذه الأمثال ...

والكويت — على الرغم من أنها قليلة العدد صغيرة الرقعة — لها أمثال فصيحة وأمثال عامية . أما الأمثال الفصيحة فلا تكاد تختلف فيها عن بقية شقيقاتها الشعوب

العربية ، فهى تتمثل بأقوال الشعراء والحكماء السابقين والمعاصرين ، وإن كان يغلب عليهم التمثل بشعر المتنبي ، لأنهم يحبونه ، ويفضلونه على من عداه .

وأما الأمثال العامية فى الكويت منها قدر كبير ، ولكنه مع الأسف غير مجموع ، بل هو متفرق على الألسنة ، ويُخشى إذا طال العهد على هذه الأمثال بتلك الصورة أن تضيع وتندثر ، لأنها قديمة العهد أولا ، ولأنها تمثل فترة ماضية من حياة الشعب الكويتى ثانياً ، ولأن الحياة الجديدة ستطغى على الحياة القديمة ثالثا وأخيراً .. ولقد لقيت مشقة فى جمع ماجمعت من أمثال الكويت العامية ، فظللت ردحا من الزمن أتلقفها مثلا بعد مثل ، وأجد أحياناً اختلافاً فى المثل الواحد ، وأحياناً أجد اختلافاً فى تفسير المثل الواحد والمراد به ، وقد نفعنى فى هذا الموضوع كثيراً السيد عبد الله النورى ، وكذلك استعنت فيه بالأساتذة عبد العزيز حسين وأحمد البشر ومحمد رجيب وأحمد العدوانى وخالد الخراف وفهد الدويرى وغيرهم . ولا يستطيع مثلى أن يقول إنه استقصى ، فذلك مجهود آخر ، ولكن الذى جمعته يعطى صورة واضحة وواسعة عن جانب هام من جوانب الأدب الشعبي . وكما أن هذا المجموع يحتاج إلى الاستكمال والاستقصاء يحتاج إلى الدراسة المستقلة المقارنة المتشعبة ، وقد تتهيأ لذلك فرصة فى المستقبل بمشيئة الله تعالى .

ويلاحظ على أمثال الكويت أن (الفرضى) منها قليل نادر ، وقد عرفنا أن الأمثال الفرضية تكثر فى عهود الاستبداد والطغيان ، والحيلولة بين الناس وبين التعبير عن آرائهم بوضوح وجلاء ، ومن هذا قد نفهم أن الكويت لم تألف هذا اللون من طغيان الفرد فى تاريخها ، وقد تكون هناك أيام عصيبة مرت على أبناء الكويت بسبب السلطان القَبلى المطلق ، ولكن هذه الأيام قليلة ، ويؤكد هذا أننا نرى فى تاريخ حكام الكويت أمثلة من احترام الحاكمين لرغبات المحكومين ، ونزولهم على إرادة المجموع فى كثير من الأحيان ، ولم لا وقد تولى أول حاكم فيهم سلطته عن طريق الاختيار ، لا عن طريق الميراث أو الاقتدار [1] ؟ .

ويلاحظ أيضاً أن أغلبية الأمثال الكويتية تدور حول البيئة وما يتبعها ، وهذا

---

(١) انظر مثلا الصفحات ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٧، ١٨ من هذا الكتاب .

يجعلنا نؤمن بأن هذه الأمثال صورة لأحوال المجتمع الكويتي المحدود ، فهي تتحدث — مثلا — عن الإبل والغنم والخيل والكلاب ، وهذه الحيوانات وثيقة الصلة بهذه الرقعة الصحراوية من أرض شبه الجزيرة .

وهي تتحدث عن السلاح والقتال والغارة ، وليس هذا غريباً على أهل بيئة مجاهدة مكافحة ، بدأت نشأتهم الاجتماعية بالرحلة من جوف الصحراء ، بعد نضال وصيال ، ومرت عليهم في حياتهم أيام كثيرة لم يذوقوا للنوم طعما ، إذ هم في حل وترحال ، واستعداد للقتال والنزال ، وسهر لصد هجمات الأعداء من هنا وهناك .

وهي تتحدث عن البحر والماء والهواء والسفن والارتحال بوساطتها فوق الأمواج والأثباج ، وليس ذلك عجيباً مع قوم عرفناهم أهل غوص على اللؤلؤ ، وحرص على الاتجار ، وبراعة في صناعة السفن واستخدامها .

وهي تتحدث عن المرأة ، والمرأة لها مكانها الخاص في حياة العربي المحافظ ، فهي معقد شرفه وعنوان كرامته ، وما أهون هذه المرأة عليه يوم تخرج عن طاعته وإرادته ، والويل لها يوم تسيء إلى سمعته ، وما أشد سخريته منها يوم تتنكر لشرعة الاعتدال والاستقامة في الأحوال .

ثم هي تتحدث أخيراً عن شئون الحياة والأحياء المختلفة ، فتعرض لأخلاق الرجال وطبائع النفوس ، ولأمور الطعام والشراب والثياب ، ولتبدل الأوضاع من حين لحين .

ويلاحظ في هذه الأمثال أيضاً عدة أغراض قُصدت منها ، وجملة أهداف اتجهت إليها ، منها الرغبة في الاعتدال ، وعدم الإسراف في الأمور أو في الأحكام على الأشياء ، وهذا الهدف في الواقع ظل لطبيعة الكويتي ، فهو رجل معتدل ، هيأت له حياته السهلة ، ورقعة أرضه المبسوطة ، وقلة المتاع والزينة في حياته الماضية ، ومواجهته لشئون الحياة بلا التواء أو اعتمال ، أن يكون رجلا وسطا ، وأن يكره الإسراف والإفراط . ونحن نتكلم عن المجموع ، لا عن كل فرد .

ومن أهدافها السخرية من التقول والادعاء والمبالغة في تصوير الأشياء ، والتزوير في سرد الوقائع ، والكويتي رجل يحب الصراحة ، ويحب صاحبها ، ولا يرغب كثيراً في فنون التزويق والتنميق .

ومن أهدافها التحريض على تحمل التبعة وعدم الفرار منها ، فذنبك على جنبك

وأنت مسئول عن عملك وتصرفاتك ، وأنت مطالب بتحمل تكاليفك وتبعاتك ؛ وإذا أردت أن تنال ما تريد فلابد أن تعمل ما يكافىء هذا الذى تريد ، وتذكر أنه ما حكَّ جلدك مثل ظفرك ، فإذا أهمك شىء فاشغل نفسك به ، ولا تكله إلى غيرك ، وإلا فالنائحة الثكلى غير النائحة المستأجرة . . .

أنت ترى معى أنها أهداف ومقاصد تدل على مجتمع سمح سهل ، يثق بنفسه ، ويثق بغيره ، مالم يلح له ما يوجب سلبَ تلك الثقة .

وأحب قبل أن نبدأ فى استعراض هذه الأمثال أن أذكر بأن بعضها قد يكون معروفا أيضاً فى نجد أو العراق ، أو غيرهما من البلاد المجاورة للكويت ، لتقارب هذه البلاد واختلاط أهليها بعضهم ببعض ، ولأن هذه الأمثال الوجيزة المؤثرة لا تستقر دائما فى موطنها ، بل يتناقلها الناس هنا وهناك ؛ ومهما يكن من أمر فما نورده هنا معروف فى الكويت مشهور .

ويحسن ونحن نطالع ما يلى من أمثال الكويت أن نستحضر الأمور المميزة لطريقة النطق عند العامة فى الكويت ، من قلب القاف جيما غير معطشة ، كما يفعل أهل الصعيد فى وادى النيل ؛ ومن قلب الجيم ياء فى أغلب الأحيان ، وتعطيش الجيم إذا لم يقلبوها ياء ، ومن نطق الكاف وفيها رائحة الشين (أو بين الكاف والشين والجيم المعطشة) ومن قلب الضاد ظاء (أو بين الظاء والذال)[1] .

وفيما يلى نثبت ما جمعناه من أمثال الكويت :

١ — « عنز بَدْو وطاحتْ بالمِرِيس » . أى أنها كانت لا تجد فى البادية شيئا ، ثم وقعت على النوى ، فامتلأت منه . يُضرب للقاء نعمةٍ غير متوقعة .

٢ — « من فرْها عرف سِنها » . فرها : أى كشفها ، يضرب لمعرفة الشىء باختباره .

٣ — « الكلب[2] ما ينبح إلا عند باب أهله » يضرب للتقوى بالأهل والعشيرة .

٤ — « العنز البلدية تِحِبّ التيس الغريب » : يذكِّر بقولهم : زامر الحى لا يطرب .

٥ — « عزّى لها وإنْ دَحْلبتْ للقصاصيب[3] » . عزى أى عزاء لها . والقصاصيب : القصابون . دحلبت : خفضت رأسها . أى هى فى نكبة وإن استسلمت.

---

(١) انظر صفحة ٢٥٧ من هذا الكتاب

(٢) ينطقونها : الجلب

(٣) تذكر أنهم ينطقونها : الجصاصيب

٦ — « الجمل جمل كِرْوى والمِشعاب من الشجرة[1] » . كروى : مَكْرى مؤجَّر . والمشعاب عصاً لها رأس مثنى . أى لا عليك من القسوة ما دام الجمل ليس لك ، والعصا من الشجرة بلا ثمن . يضرب لإسراف المرء فى استعماله شىء غيره ، والمثل المصرى يقول : « حمار ما هُو لك عظمه من حديد » .

٧ — « وِش على الذِّيب من طجاع النعجة » ؟ . طجاع : ضراط . أى ما الذى يضير الذئب المفترس للنعجة من ضراطها ؛ وهل يخيفه هذا ؟ . يقال إن ظالما يدعى (راكان) كان يدعو عليه البدو المستضعفون ، فيقول لهم هذا . وهو يذكر بقول الأول : « أطنين أجنحة الذباب يضير » ؟ .

٨ — « إنْ القَحتْ[2] ولّا ما ضَرّها الفحل » : القحت : تلقحت . يضرب فى الاحتياط للأمور ، ويقرب من قول العرب : « أن ترد الماء بماء أوفق » .

٩ — « أشقر[3] من الِخيلْ خيّال » : الأشقر من الدواب الأحمر ، ومن الناس من يعلو بياضه حمرة ، وسُمى بالأشقر والشقراء عدةُ جياد ؛ ويُضرب للشىء يكون أكثر فائدة وتأثيراً ، حينما يظَن أن غيره خير منه .

١٠ — « الحصان الأشقر مِنْ قَادُهْ ماربح » . يُضرب لسوء الحظ أو لشؤم الطالع . وفى القاموس المحيط : « والشقراء فرس شيطان بن لاطم ، قُتلتْ وقُتل صاحبها ، فقيل : أشأمُ من الشقراء ، أو جمحت بصاحبها يوماً ، فأتت على واد فأرادت أن تثبه فقصَّرت ، فاندق عنقها وسلم صاحبها ، فسئل عنها فقال : إن الشقراء لم يَعْدُ شرُّها رجليها ، أو كانت لابن غزِيّة بن جشَم ، فرمحتْ غلاماً فأصابتْ فَلُوَّها فقتلته » .

١١ — « لِى طاح الجمل كَثْرتْ سكاكينه » : لى معناها لو ، أو إذا أو حين . طاح : أى وقع ؛ وهو شبيه بالمثل المصرى : « إذا وقعت الجاموسة كترت سكاكينها » وهو يذكر بالمثل الفصيح : « ولأمّ المخطىء الهبل » .

١٢ — « الناس فى النّاس وعبْلَهْ فى الغنم » . يضرب لاشتغال فرد بأمر شاذ عما يشتغل به الناس ، وهو قريب من المثل المصرى : « إحْنا فى وادى وهُوَّ فى وادى تانى » . وقول الأول : « كلٌّ يغنى على ليلاه » .

---

(١) ينطقون الجيم معطشة ، ويقولون : الشيرة بدل الشجرة .

(٢) ينطقونها : الجحت .

(٣) ينطقون القاف جيا غير معطشة ، كجيم أهل الوجه البحرى بمصر .

١٣ — «طَالِعْ وَجْه العنز واحْلِبْ لبن» . يُضرب فى دلالة سماحة الوجوه على سماحة الطباع . وقريب منه قول بعض المصريين : « والله جميل الصورة جميل الطبع » .

١٤ — « اسْتَصْبِحْ الوُجوه واسترزق الله » . كالمثل السابق فى المعنى ، وفى رواية « صبحّ » وفى رواية أخرى : « استسمح » .

١٥ — « نعجة ولوطارت » . يضرب لمنتهى المكابرة وإنكار الحقيقة ، ويروى أن شخصين تنازعا على شبح بعيد منهما ، فقال الأول : إنها نعجة ، وقال الثانى : إنها طائر ؛ ثم طار الشبح ، فقاله الأول مكابراً .

١٦ — « قالوا للبغل مِنَ أبوك ؟ قال خالى الفرس » . يضرب للافتخار بما ليس للإنسان ، وهو قريب من المثل المصرى : « قرعه وتتباهى بشعر بنت أختها » .

١٧ — « الطُّول طول نَخْلَهْ والعقل عقل صَخْلَهْ » . الصخلة : السخلة ، وهى الشاة ، وهو قريب من قول الأول : «جسم البغال وأحلام العصافير» ، وقول الآخر : « طوال الناس ليس لهم عقول » .

١٨ — «الكلب العُود ما يتْرَبَّى» . العود : هو العجوز . يضرب للتأديب بعد فوات الأوان ، وهو قريب من قولهم : « التعليم فى الكبر كالنقش على الماء » .

١٩ — « يُومْ شابْ وَدُّوه للكُتَّاب » كمعنى السابق ، ومثله قول الأول : «أبعد شيبيَ يبغى عندى الأدبا » . وفى مصر نقول : « بعد ما شاب وَدُّوه الكتاب » .

٢٠ — « ما يِعْرَف الخيل إلا رَكَّابَتْها » . يضرب للخبير بالأمر المختص به .

٢١ — « ما تِنْفَع البلّ وَقْت الغارة » . البل : الإبل . يضرب للوسيلة تستخدم فى غير مجالها وميدانها .

٢٢ — «لُولا سلاحهم كان أخذناهم» . يضرب للاعتذار عن العجز بما لاحيلة فيه .

٢٣ — «ما للصَّلايب إلا أهلها» . الصلايب هى الشدائد . والصليب فى الفصيح كأمير هو الشديد . وهو يشبه قولهم : « إن العظائم كفؤها العظماء » .

٢٤ — «خاف من القوم (١) وطاحْ بالسرية» يضرب لمن تظاهر بالضعف ثم أتى العظائم .

٢٥ — « الرُّمح على أَوَّلْ رَكْزه » . ركز الرمح غرسه ؛ أى العبرة بأول ضربة ، أو بأول رأى ، وكأنه يذكِّر بقول النبوة : « الصبر عند الصدمة الأولى » .

---

(١) ينطقونها : الجوم .

٢٦ — « هذا الميدانْ يا حميدان » . يضرب لوقْف المجادل أمام الأمر الواقع . ويشبهه المثل المصرى : « آدى الجمل وَادى الجمَّال » .

٢٧ — « منْ طولّ الغيبات جاب[1] الغنايم » . يضرب للثمرة الكبيرة تأتى بعد المجهود الشاق ، وفيه تحبيب فى الارتحال والانتقال .

٢٨ — « مِنْ يبغى[2] العالى يصبر على الرَّاش » . هذا مثل بحرى ، والعالى : الجهة المضادة للشراع من السفينة ؛ والراش : رشاش الماء . وهو شبيه بقولهم : « ومن طلب العلياء لم يُغلها المهر » . وقولهم : « ولا بد دون الشهد من إبر النحل » .

٢٩ — « دَفْعه مَرْدى والهوا شرق »[3] : يضرب لتجمع الأسباب فى إتمام العمل . مردى : العصا التى تُدفع بها السفينة . والهواء الشرق يسيِّر السفينة وحده ، فكيف إذا صحبه الدفع بالعصا ؟ .

٣٠ — « عمَار بيت ولا سَفر بنْجَاله » : بنجاله : بلد بعيد فى الهند ، ويقال إن رجلا تزوج امرأة وسافر ، فأسرفت فى ماله وأضاعته ، فرجع وتزوج أخرى عاقلة وسافر ، فاقتصدت وعمرت بيتها ، فلما عاد ورأى اقتصادها قال المثل .

٣١ — « ما تقوم[4] مُوِيَهْ إلاَّ وحاديها هوَا » : أى لا بد للحركة من سبب محرِّك . وهو يذكر بقول المتكلمين : « الأثر يدل على المؤثر » .

٣٢ — « السمكة[5] الخايسة تخيِّس السَّمك» . تخيس : تتلف . يضرب للفاسد يفسد سواه . وهو يذكر بقول الشاعر : « . . . كما يُعدى السليمَ الأجربُ » .

٣٣ — « الجبعَة تِخلَّص التَّانْكى » . الجبعة : قشرة جوزة يشرب بها ككوب ، وأصلها (القبعة) ، والتانكى : إناء كبير للماء . ويضرب للشىء الكثير يستنفده طول الأخذ ، مثل : « جبال الكحل تفنيها المراود » .

٣٤ — « وَاحد يُجُرّ ، وواحد يِهَلِّس » . يجر : يجدِّف بالمجداف . يهلس : يعوق سير السفينة بالمجداف . والمثل بحرى ، ويضرب لتفرق الأهواء ، وتضارب الرغبات ، ويذكر بقول الشاعر :

---

(١) ينطقونها : ياب

(٢) ينطقونها : يى بحذف الغين

(٣) يلفظونها : شرجى :

(٤) يقولونها : ما تجوم

(٥) ينطقون الكاف مشربة بالشين .

متى يبلغ البنيـانُ يوماً تمامَه   إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ؟

٣٥ — « غرقان ، دُوس تَريجه[١] » . التريج : هو جانب السفينة الأعلى . يضرب لليأس من المحاولة . وهو شبيه بقولهم : « أنا الغريق فما خوفى من البلل » ؟ .

٣٦ — « رُوحْ بَعيد وتعالْ سالم » . يضرب لتفضيل التعب فى سبيل السلامة .

٣٧ — « مِن طَمَع طَبَع » : طبع : غرق . وهو مثل بحرى ، إذ كلما كان البحر أغزر ماء ، والجو أعصف هواء ، كان اللؤلؤ أكثر ، والخير أوفر .

٣٨ — « نُوخْذاوين طَبّعوا مركب » . نوخذا : ربان السفينة . ومعناه إذا كان هناك فى السفينة ربانان غرقت لاختلافهما ، والمثل المصرى يقول : « المركب اللى فيها ريسين تغرق » .وجل الله حين يقول : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » .

٣٩ — « عَطوها رَجِلْ[٢] وقالت عوَر » : رَجل : رَجُل . وعور : أعور . يضرب لإنكار الفضل وافتراء العيب عند توقع المدح .

٤٠ — « الـكثره تِغْلب الشجاعه » . يضرب لتبيان أن الـكم قد يتغلب على الـكيف ، والمثل المصرى يقول : اتْنين يغْلبوا واحد » . ويقول أيضا : « إيد على إيد تساعد » .

٤١ — « اصْفيرَه وفيها نفاس » : اصفيره : صفراء . يضرب للشىء يزيد عن حده ، فهذه المرأة صفراء بلونها ، وجاءها النفاس فزادها صفرة . وشبيه به قولهم : « وضع ضغثا على إبالة » .

٤٢ — « دِهان مَرَتْ بُو » : مرت : امرأة . بو : أبى . يضرب مثلا فى التقليل والتقتير ، لأن امرأة الأب تعطى أولادها فى الطعام دهنا كثيراً ، ولـكنها تعطى لأولاد زوجها من غيرها شيئا قليلا .

٤٣ — « بطنْ كَنّه[٣] » . الـكنة : هى امرأة الابن أو الأخ . والمثل يضرب عند استكثار الشىء القليل ، لأن أم الزوج تستكثر بطن زوجته حقداً منها عليها .

٤٤ — « منْ رابع الثّنْتين يُصْبر على اللوم » . الثنتين : الزوجتين . أى من عاشر زوجتين ، ولم يقتصر على واحدة ، فليتحمل اللوم .

---

(١) تنطق الجيم معطشة .   (٢) يقولونها . ريل .
(٣) الـكاف مخلوطة بالشين .

٤٥ — «ما تِحْرِق[1] النار إلا رجْل واطيها» . واطيها : واطئها . يضرب للشىء لا يعرفه إلا من يبتلى به : «لا يعرف الشوق إلا من يكابده» .

٤٦ — «لو يدرى عمير شقّ ثوبه» . يقال إن امرأة عمير خلت بخدينها ، ثم خرج من خدرها ، وجاء عقيبه زوجها ، فقالت المثل .

٤٧ — «رزق القطاوه على الحاملات» . القطاوه : القطط . الحاملات : النساء الراكدات . وهو يذكر بقولهم : «مصائب قوم عند قوم فوائد» . وفى مصر تقول : «رزق الهبل على المجانين» .

٤٨ — «فستْ واتبخَّرتْ ، مالها ولا عليها» . يضرب لشىء سيء يعرض ثم يُزال ، فلا يكون هناك إحسان يستوجب الشكران .

٤٩ — «قال طلقْها وخد أُخْتها ، قال : الله يلعن الثنتين» . يضرب لشىء سيء لا يمتاز عن مثله . وهو شبيه بقولهم فى مصر : «شهاب الدين أزرط من أخيه» . وقريب من قول الأول :

المستجير بعمرو عند كربته ‏ ‏ ‏ ‏ كالمستجير من الرمضاء بالنار

٥٠ — «بى حلْب من كلب» . يريد حلب اللبن من الكلب ؛ والكلب هنا خشبة فى السفينة يربط بها الصارى ، فالمثل بحرى ، وهو يضرب لرجاء الشىء من غير مظنته . والمثل المصرى يقول : «نقول تُور يقولوا احلبوه» .

٥١ — «بناها طرب وصارت نشب» أى أرادها لتطربه فنشبتْ فيه ، ولصقت به ، دون سرور .. يضرب لخيبة الرجاء .

٥٢ — «اللّى يقعد عند الحدّاد يصبرُ على الشرار» . يضرب للمرء يجب عليه أن يتحمل تبعة ما يتعرّض له . وفى مصر : «من عاشر الحداد انكوى بناره» .

٥٣ — «الثُّوب اللّى أطول منّك يعتّك» . يعتك : يوقعك . يضرب للشىء إذا زاد عن حده المطلوب انقلب المراد منه .

٥٤ — «مدّ رُجُولك[2] على قِدَر لحافك» . أى لا تخرج عن حدك ، ولا تتجاوز دائرتك .

٥٥ — «زهّب الدّوا قبل الفلْعة» . زهب : أحضر وجهّز . الفلعة : الشق فى الرأس . والمثل المصرى يقول : «اشترى الرّوَاسيّة (مقود الدابة) قبل الجاموسة» .

---

(١) القاف تنطق جيما غير معطشة .

(٢) ينطقونها : ريولك .

٥٦ — « البيت بيت ابُونا والقُوم خانقونا » . وفى رواية (هاوَشونا) : أى زاحمونا وخانقونا . وفى مصر يقال : « البيت بيت أبونا والغُرْب بيُطْرُدونا » .

٥٧ — « كُلٌ يرى الناس بعين طبعه » . أى حكم الإنسان على غيره صورة من وحى طباعه .

٥٨ — « من بغى شئ خلّى شئ » . أى لا يمكن أن ينال المرء كلَّ ما يتمناه .

٥٩ — « من سَبَقْ لبق » . لبق : حصل على مكان لائق . وفى التنزيل المجيد : « والسابقون السابقون ، أولئك المقربون » .

٦٠ — « من صادها تعشّى بها » . وهو قريب من قولهم : « من جدَّ وجد ، ومن زرع حصد » .

٦١ — « من حرّك ساكنْ لزمه » . يضرب لوجوب تحمل الآثار التى تنتج عن أعمال الإنسان .

٦٢ — « مِثل بيض الصَّعْو ، يُذْكر ولا ينْشاف » . الصعو : طير ضئيل ، وبيضه أضأل منه . وهذا يذكر بالمثل الفصيح : « تسمع بالمعيدى خير من أن تراه » .

٦٣ — « اللّى فى القدر يطلّعه الملاس » . الملاس : نوع من المغارف ، ويضرب للأمر يقضى بالطريقة والوسيلة المثلى لقضائه . وفى مصر : « اللى فى الدست تطلعه المغرفة » .

٦٤ — « انفْخ يا شريم ، قال ما من بِرْطم » الشريم : هو المشقوق الأنف ، أو المشقوق الشفة العليا . برطم . أى برطام وهو الضخم الشفة ، ويضرب للعجز عما يُطلب ، لانعدام الحيلة أو الوسيلة .

٦٥ — «مال عمّك لايهمّك» . يضرب لقلة العناية بشىء الغير ، ولو كان قريبا .

٦٦ — « لو كُلّ من جا نجر ما ظل بالوادى شجر[1] » . نجر : قطع ونحت . أى لو فُتح الباب لكل طالب لما بقى ما يُطلب .

٦٧ — « الباب اللّى يجيك منه الريح سده واستريح » . وهو كالمثل المصرى ، وبعضهم يقوله : « المنفذ اللّى يجيك منه دخان سِده » .

٦٨ — « ما خلّى عشاه إلا من علةٍ فى حشاه » . خلّى : ترك . يضرب لترك

---

(١) اقاب الجيمات ياءات .

الشيء من أجل علة خافية ، وهذا المعنى يذكر بالمثل القديم : « لأمرٍ ما جدع قصير أنفه » .

٦٩ — « من خلّى عشاه وأصبح لقاه » . يضرب للشيء يُحفظ فيوجد بعد حين .

٧٠ — «جَوِّد مجنونك لا يجيك أجَنّ منّه[1] » . جود : أمسك ، يضرب للاحتفاظ بالسيء ، خشية أن يأتى بعده من يفوقه سوءا .

٧١ — « وين عاقِلكُم يا عنزه ؟ قالوا : هال المربَّط » . لقد ربطه القوم لشراسته مع أنه موصوف بأنه عاقلهم ، فكيف بالباقين ؟ .

٧٢ — «من قلّت[2] تدابيره خلط حبُّه مع شعيرُه » . الحب : الحنطة . يضرب لسوء التصرف عند سوء التدبير والتفكير . وهو يذكر بقولهم : « فمن علا شرفاً عن غرة زلجا » .

٧٣ — « لا خِنينة ولا بنت رجال » . أى : لا طيب رائحة ، ولا أصل طيب ، يضرب للجمع بين السيئتين .

٧٤ — « الأول يلاعب ، والتالى تاعب » . تاعب : أى تعبان ، ويضرب لراحة من سبق ، وتعب من تخلف .

٧٥ — « شفْتك فُوق شفتك حَدِر » . حدر : أسفل . يضرب لاستواء الحالين وعدم التغير ، وأن ما بالذات لا يتخلف .

٧٦ — « لِي غاب القطو إلعب يا فار » . القطو : القط . ويضرب للخروج عن الحدود ، إذا غاب الكبير أو الذى يُهاب .

٧٧ — « إذا كثر الشيّ قلّت أَكّالتَه » . يضرب للشيء يكثر ، فلا تكون هناك رغبة فيه ، وهذا يذكّر بقول الشاعر :

وإذا النعمة الجميلة باتت في يد الكل فهْيَ ليست متاعا !

٧٨ — « مكسورة[3] وتبرِّدْ » . يضرب للشيء الحقير المنظر ولكنه يفيد .

٧٩ — « سكّين صُلبَه ْترْقل وتقُص » : الصُّلبَة : جماعة يلوح أنهم من بقايا الصليبيين ، وهم متواضعون جداً فى حياتهم وأخلاقهم ، وهم أشبه بالنوَر . ترقل :

---

(١) هل تحتاج إلى أن أذكرك بقلب الجيمات إلى ياءات ؟ .

(٢) وهل تحتاج إلى تذكيرك بأن تنطق القاف جيما ؟ . (٣) المقصود بها الغرشة (القلة) .

تضطرب فى اليد . تقص : تقطع . يضرب المثل للشىء قد يأتى من غير جهة انتظاره .

٨٠ — « ماتت الحمارة وانقطعت الزيارة » . أى زالت العلة فزال معها ما ارتبط بها .

٨١ — « عنبر أخو بلال » . يضرب للتسوية بين الشيئين ، وعدم التفرقة بين الشخصين . وفى مصر : « الحسن أخو الحسين » .

٨٢ — « إمَّا خال وإلّا أبوثنتين » : الخال : ورقة من أوراق اللعب فيها واحد ، وهى الكاسبة . وأبوثنتين : ورقة فيها اثنان ، وهى الخاسرة . فالنتيجة لا تخرج عن أمرين : ربح أو خسارة . . . حياة أو موت . . .

٨٣ — « مِنْ أكل لحم السمين يِدِّى ثِمْنَه » : أى لابد دون الشهد من إبر النحل . وكما يقول المثل المصرى : « الغالى تَمَنُه فيه » .

٨٤ — « وجع ساعة ولامرض الدهر » . واضح المعنى ، ونحن فى مصر نقول : « وجع ساعة ولا كلّ ساعة » .

٨٥ — « طارت الطيور بأرزاقها » . يقال هذا المثل فى الأمر يفعله المرء بعد فوات الأوان ، كدخول السوق مثلا بعد انفضاضها .

٨٦ — « اللِّى ما يعْرَف الصقر يشْويه » ... هذا الصقر العزيز الغالى جليس الملوك ورفيقهم فى صيدهم ، كيف يُشوى ؟.. يضرب للجهل بالأمور ، وسوء التصرف فيها ، نتيجة لجهلها .

٨٧ — « لا طاب ولا غدا الشر » . طاب : شُفِى . غدا : ذهب . يضرب لبقاء السوء وازدياده .

٨٨ — « إن بِغيت الخبر يشيع ، عَطَهْ لامِّ بزيع » . يظهر أن أم بزيع هذه كانت آية فى إشاعة الأخبار والأسرار . يضرب للمرانة على الشىء والمهارة فيه .

٨٩ — «شُور سمِّده على منديل» : شور : مشورة . يضرب فى المشورة السيئة .

٩٠ — « إذا نِسينا (الحَمْد) شِى نْصَلِّى به ؟ » . الحمد : سورة الفاتحة ، وهى عماد القراءة فى الصلاة . يضرب لاختلال الأمر إذا فقد جوهره وأساسه .

٩١ — « اللِّى مدَفَّع ما يهوِّش » . مدفع : مطرود . يهوش : يدافع . يضرب لقلة الجدوى من المحاولة عند العجز والذلة .

٩٢ — « بيت البايق باقوه » . البايق : اللص . باقوه : سرقوه . أى ما من ظالم إلا سيُبْلى بأظلم . يضرب لتدرج الشر واستفحال الأمر .

٩٣ — « مال البخيل يا كْلُه العيّار » . العيار : المحتال السارق . بخُلَ الحريص بماله على جهات الحِلِّ والخير ، فضاع منه على يد العيار فى أسوأ طريق .

٩٤ — « طقّنى وبكى ، وسبقنى وشكا » . طقنى : ضربنى . ونحن فى مصر نقوله : « ضربنى وبكى ، وسبقنى واشتكى » . وهو يذكرنا بقول الأول : « يَرْضَى القتيل وليس يَرْضى القاتل » .

٩٥ — « إذا الطماع موجود العيّار عايش » . مادام الطمع موجوداً للجمع والكنز ، فاللص موجود لسرقة ما يُجمع ويُكنز .

٩٦ — « اللّى بشِليلكْ ما هُو لك » . الشليل : حجر الثوب . (فى القاموس : الشليل كأمير الغِلالة تُلبس تحت الدرع ، والدرع الصغيرة تحت الكبيرة ، أو عام) . قد ينسى الإنسان ما فى ثوبه أو فى حجره ، فيقوم ويسقط منه ، أو إن القَدر له سلطان فوق سلطاننا ، فقد يقسم ما بأيدينا لسوانا ، وفوق تدبيرنا لله تدبير ، وفى مصر نقول : « اللقمة اللّى فى بُقّك ما هى لك » . ونقول : « تبق فى بقك وتقسم لغيرك » .

٩٧ — « اشترْ طيِّب وردُّ بفلوسك » . إذا اشتريت الطيب ، فأنت لم تُغبن ولم تخسر ، بل كأنك رجعت بالشىء الطيب وبنقودك معاً .

٩٨ — « يا شارى الدُّون بالدُّون ، تحاسْبك غابن وأنت مغبُون » . مما يقوى معنى المثل السابق ، فالذى اشترى الشىء الردىء بالثمن القليل لم يكن فائزاً ، بل كان مهضوماً فى الواقع .

٩٩ — « شُوق بلا ذُوق ما يروى العطشان » . عاطفة بلا وصال لا تشفى صاحبها .

١٠٠ — « النار ما ترِّثْ إلا الرُّماد » . ترِّث : تُوَرِّث ، أو توقد . يضرب للشىء لا يصلح إلا مع ملائمه .

١٠١ — « يمدح السُّوق من ربح بهُ » . إنما يثنى على الشىء من يستفيد منه .

١٠٢ — « خذْ من كيسه وعايده » : (عيِّد عليه) أى أعطه العادة أو نقود

(العيدية) التى تُعطى فى العيد ؛ يضرب للجميل يصنعه المرء مع صاحب الفضل على صانع الجميل .

١٠٣ — « كلُّ عُودٍ فيه دُخَّان » . لابد فى العود مع رائحته الطيبة من الدخان ، يذكر بقول الأول: « من لك بأخيك كلِّه » . وقول الآخر :

من ذا الذى ما ساء قط ؟ ومن له الحسنى فقط ؟

١٠٤ — « لُولا اختلاف الأنظار بارت السلع » . المعنى واضح ، وهو يذكر بالمثل : « لولا اختلاف الأذواق ما راجت الأسواق » وبالمثل : « لكل ساقطة فى الحى لاقطة » ، وبالمثل المصرى : « كلٌّ فُوله وِلها كيال » .

١٠٥ — « مالٍ بتوَدْعه بيعه » . احترس من إيداع أشيائك عند الناس ، فقد يتلفون الودائع ؛ ويصح أن يكون معنى المثل أن المال الذى يودع ويخزن بلا استثمار لا يفيد .

١٠٦ — « ما هَلّْ به انتصف به » . إذا هلَّ الشهر بالثلاثاء مثلا انتصف بالثلاثاء ، فبادى الأمور تدل على أوساطها ، فهو يضرب لمعرفة العواقب بالبوادر .

١٠٧ — « ما كلُّ مدَلجْم جُوز » . مدلجم : مُدوَّر . أى قد تخدع الظواهر فلا تنبئ عن الحقائق . وفى مصر يرددون :

ولا كلٌّ منْ لبس العمامه يزينها ولا كلٌّ من ركب الحصانْ خيَّال !

١٠٨ — « الخير يخصُّ والشر يعمّ » . مثل يؤكده القول المأثور : إن النعمة تخص والشر يعم . . .

١٠٩ — « كلَّ عمان دُروب » عمان : فى دُبَى ، وليس فيها زقاق مسدود . وهذا يذكر بقولهم فى الحرب العالمية الثانية : « كل الطرق توصِّل إلى روما » . وفى مصر يقولون : « طُرقْ أبوزيد كلَّها مسالك » .

١١٠ — « لى[1] حبتك عينى ما ضامك الدهر » . لى : لو . يضرب فى تحميل المكروه تبعة أمره ، وهو يذكر من بعيد بقول الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدى المساويا

وفى مصر يقولون : « حبيبك يمضغ لك الزلط ، وعدوك يتمنى لك الغلط » .

١١١ — « دوَّر الفايده وجاته الخساره » . أى بحث عن الربح فكان نصيبه

---

(١) لى : بمعنى لو ، وحركة اللام فيها بين الكسر والضم .

الخسران ، يضرب لحدوث ما ليس فى الحسبان مع الحرص على البعد عنه ، وهو يذكر بقول الأعرابية فى ولدها الفقيد :

راح يبغى نجوةً من هـــلاك فهلك

١١٢ — « عطْ الخبّاز خبزك لُو باج نُصَّه » . أى أعط الشىء لصاحب الاختصاص فى إتمامه ، حتى ولو أخذ منه جانباً وأبقى جانباً . وفى مصر يقولون : « اعط العيش (الخبز) لخبَّازُه ولو كَلُه كلُّه » . يضرب لوضع الأمور فى مواضعها اللائقة بها .

١١٣ — « منْ شقَّهْ ما يتوقَّه » . أى من دخل فى الأمر لا يهابه ، وهو قريب من قول الآخر : « أنا الغريق فما خوفى من البلل » .

١١٤ — « إكرام النفس هواها » . أى لا ترغم أحداً على شىء ، كأخذ طعام أو تناول شراب ، بل أكرمه بمطاوعتك له فى تنفيذ رغبته ، وهكذا سمعته من بعضهم ، ولكن سمو الشيخ عبد الله الجابر قال لى إن صحة المثل هى : « ربيع النفس هواها [1] » .

١١٥ — « منْ جهْ [2] بلا عزيمة بات بلا فراش » . عزيمة : دعوة (عزومة) . يضرب لعدم الاحتفال لمن يتطفل . وفى مصر يقولون : « يا جاى بلا عزُومهْ يا نايم على الأرض » .

١١٦ — « جنب ما هو جنبك جرُّه على الشوك والصخر » . يضرب لعدم العناية بشىء الغير . وفى مصر يقولون : « حمار ماهو لك عضمه من حديد » .

١١٧ — « معْ شينهْ جُوَتْ عينه » : (مع شينه قوة عينه) . أى قبح منظر وسوء خلق .

١١٨ — « اربط إصبعك كلٍّ منْ ينعت لك دْوا » . ينعت : يصف . يضرب لتهافت الناس على التبرع بالمشورة متعالمين عند حدوث أمر .

١١٩ — «جيه يكحلها عماها» . أراد الإصلاح فزاد الفساد ، وهو كالمثل المصرى .

١٢٠ — « منْ عُمره ماانْبخر انبْخَّر واحترق » . يضرب لمن يحاول أمراً لا يعرفه ، فيسبب لنفسه شراً .

---

(١) انظر صفحة ٧٨ من هذا الكتاب .

(٢) تذكر أنهم ينطقونها : يه .

١٢١ — « لو طار طير قُولْ : سبيل » . سبيل : أى فى سبيل الله . لقد كان صاحب الطير حريصاً على إمساكه ، ولكنه طار على الرغم منه ، فأراد أن يعتبره إحساناً ، فقال له : اذهب فى سبيل الله . يضرب للأمر يحدث على الرغم منك ، فتحاول التظاهر بأنك أردته كما وقع . وهو يذكر بالمثل الذى قاله السائل بعد أن أطال الزمر على باب منزل ، فلم يحسن عليه أهل المنزل : « لله يا زمْرى » .

١٢٢ — « صفُّوا صفّين . . . احْنا اثنين » . ما دام لا يوجد إلا اثنان فكيف يتكون منهما صفان ؟ . يضرب للقلة التى لا تستطيع تحقيق ما تفعله الكثرة .

١٢٣ — « طرّار وعينه قوية » . طرار : شحاذ . أى أنه يسأل المعونة ، ومع ذلك يتوقح . وفى مصر يقولون : « حسنه لله وانا سيدك » ، وأحياناً يقولون : « سيدك بكر أغا عاوز رغيف » .

١٢٤ — « طرّار ويتْشرَّط » ، نفس المعنى السابق .

١٢٥ — « المبلل ما يخاف من المطر » : مثل : « أنا الغريق فما خوفى من البلل »

١٢٦ — « إن كان صاحبْك حُلوْ ، لا تأكله كله » : وهذا مثل قولهم فى مصر : « إن كان حبيبك عسل ماتلحسوش كلُّه » .

١٢٧ — « أبوك الصايغ وطوقك من ذهب » . أى لا عجب أن تلبس الطوق من ذهب ، فأبوك صائغ الذهب ... وهو قريب من قولهم : « الشىء من معدنه لا يُستغرب »

١٢٨ — « خبزْ خبزيته يا الرَّفْله كليه » . الرفلة : المرأة الخاملة (فى القاموس : وامرأة رَفلة كفرحة وبكسرتين قبيحة . . . وامرأة رفلاء لا تحسن المشى فتجر ذيلها) . لقد أساءت المرأة صنع خبزها ، فلتأكله عقابا لها . وهذا يذكر بالمثل المصرى : « ذنبك على جنبك » .

١٢٩ — « ثوبْك من الخام طوّلَهْ » . ما دام الثوب ليس نادراً فيمكنك أن تطيله ليكفيك .

١٣٠ — « اللِّى ما عنده عتيق ما عنده جديد » . من لم يعتز بماضيه لا ينتفع بحاضره ، وفى مصر يقال : « منْ نسى قديمه تاه » . وتاه : ضلَّ وضاع .

١٣١ — « فازمنْ صرَّها وخاب من ترجّاها » . صرها : حفظها وصانها . . ترجاها : أنفقها وتوقع مثلها . أى من حفظ حاجته انتفع بها وفاز . وفى مصر يقولون قريباً من ذلك : « القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود » :

١٣٢ — « بو خبز ينْدلَ أبو مرق » . بو خبز : الخباز . المرق : الحساء . أى أن الخباز يعرف الطريق إلى بائع الحساء ، لأن عمليهما متصلان . يضرب لارتباط بعض الأمور ببعض .

١٣٣ — « قَطْو طقِّيتُه بمصير » . قطو : قط . طقيته : ضربته . مصير : واحد المصران (فى القاموس : المصير كأمير المِعَى جمعه أمصرة ومُصْران وجمع الجمع مصارين) ويضرب للشىء يعالج بما يثيره ويزيده .

١٣٤ — « مالك غير خشمك لو كان أعوج » . يضرب للشىء يلزم المرء ، لا يستطيع الخلاص منه ، لارتباطه به .

١٣٥ — « الميت ما هو رفيق الحى » . يضرب لاختلاف الأمرين ، فهناك فرق واضح بين الحياة والموت .

١٣٦ — « الميت ما تضره الطعنة » . يذكِّر بقول أسماء بنت أبى بكر لابنها عبد الله ابن الزبير : « إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها » .

١٣٧ — « الحى يحييك والميت يزيدك غبن » . الشىء الشائق الجذاب يحركك ويثيرك للعمل ، وأما الكسل المميت فإنه يدخل عليك بالغم والكدر .

١٣٨ — « العيد عيدين ويوم لقاهم ثالث » . ظاهر المعنى ، يقال للأحبة .

١٣٩ — « العيد عيدين ويوم فراقهم ثالث » . ظاهر المعنى ، ويقال للأعداء .

١٤٠ — « المال ما تضره عشوره » . العشور : ما يُسْتحق فى الأموال كالزكوات وغيرها .

١٤١ — « شِريَةِ الخسران يوم الرابح » . الخاسر هو من يأتى ليشترى بعد أن يكون الناس قد باعوا وربحوا .

١٤٢ — « ماطاح ؟ .. إلا انبطح » . طاح : وقع . انبطح : تمدد . . . استفهام عن الوقوع ، ثم تدارك بالإخبار عن الوقوع وزيادة ، فقد مال ووقع وتمدد على الأرض .

١٤٣ — « يا دهينه لا تنكنين » . لا تنكنين : لا تتناثرى . خطاب من البدوى لدهنه العزيز عليه الغالى عنده ، يرجوه أن لا يتناقص .

١٤٤ — « فرخ أبو الصنين كُبر أمه ولا يطير » . أبو الصنين : طير بحرى ، وهو يولد كبيراً منتفخا ، ولكنه ضعيف لا يستطيع الطيران .

١٤٥ — « لى فات الفوت ما ينفع الصوت » . أى لا فائدة من الصياح بعد فوات الأوان ، ولا قيمة للفكرة بعد أوانها ، وهذا يذكر بقولهم : «لا خير فى الرأى الدَّبَرى».

١٤٦ — « من سهر الليل تغدَّى بالطَّرى ، ومن راقد البيض أصبح يشترى » . البيض : النساء . وهذا يذكر بالمثل : « عند الصباح يحمد القوم السرى » ؛ وبقول الشاعر :

سهرى لتنقيح العـــلوم ألذُّ لى من وصل غانيـة وطيب عناق

وقول الثانى :

إذا نام غرٌّ فى دجى الليل فاسهرِ وقم للعوالى والمعـالى وشمِّر

وقول الثالث : « ينال المجد من سهر الليالى » . . . ومثل هذا فى العربية كثير .

١٤٧ — «تعلم التَّحْسُونة بروس القرْعان » . التحسونة : حلاقة الشعر . القرعان : المصابون بمرض القرَع . والمثل المصرى هنا يقول : « يتعلِّم الزيانة فى روس اليتامى » .

١٤٨ — « يلاق الصِّياح بالصياح » . أى يقابل الصراخ بمثله .

١٤٩ — « الدجاجة تموت وعينها بالسَّبُّوس » . السبوس : كِسر الأرز الصغيرة . ويضرب للتعلق بالشىء المرغوب ، مهما كانت الأحوال .

١٥٠ — « الفرخ بالبيضة يوصٍّ » . يوص : يصيح ، يضرب لمعرفة العادة منذ البداية .

١٥١ — « فرخ البط عوَّام » . وفى مصر يقولون : « ابن الوزّ عوَّام » ، وهو يذكر قول الشاعر :

وينشأ ناشىء الفتيـــان منـا على ما كان عوَّده أبوه

١٥٢ — « قال عُورُون ، قال نِشْبُون ، قال المسلمون ياخدُون ويخلُّون » . هذا المثل عن مسيحى بشأن زوجته العوراء ؛ وعورون : أى عوراء . ونشبون : أى عالقة لازمة لا فرار منها لأنها لا تُطلَّق (فى القاموس : والنُّشْبَة الرجل الذى إذا نشب فى الأمر لم يكد ينحَلُّ عنه . . . ونشبَ منشب سَوء — بالفتح — وقع فيما لا مخْلص عنه . . . وانتشب اعتلق . . . وتناشبوا تضامُّوا وتعلق بعضهم ببعض ، ونشبه الأمرُ كلازمه زنة ومعنى ... وما نشبت أفعل كذا مازلتُ) ... ثم تضايق الرجل من عوَر

زوجته ، ولزومها إياه ، وعدم قدرته على تطليقها لَحَنَّ إلى المسلمين الذين يتزوجون ويطلقون عند الحاجة . . . فقال ذلك .

١٥٣ — « عريان لافى على مفسَّخْ ». لافى : حلَّ ضيفا . مفسخ : مُمزَّق الثياب[1] . (فى القاموس : الفَسْخ من لا يظفر بحاجته ولا يصلح لأمره كالفسيخ) . وهو يذكر بالمثل المصرى : « جبْتك ياعبد المعين تعينى ، أتابكْ ياعبد المعين عاوز تِنْعان » .

١٥٤ — « أنا مير وانت مير ، من يسوق الحمير ؟ ». مير : أمير . يعنى كلنا سادة ،فمن الذى سيخدمنا إذن ؟ .

١٥٥ — « اللى يبينا عيَّت النفس تبيِّه واللى نبي عيَّ البخت لايجيبه »

يبينا : يبغينا ويريدنا ويحبنا . عيَّت : أبت وكرهت . نبى : نبغى . يعنى أن من يريدنا لا تريده أنفسنا ، ومن نريده يبعده سوء الحظ عنا ؛ وهذا يذكر بالبيت :

علِقْتُها عرضا ، وعلقت رجلا غيرى وعلق أخرى ذلك الرجل ! !

١٥٦ — « الشمس ما يغطِّيها منْخلْ » . يضرب للشىء الظاهر الواضح الباهر الذى لا يُستر .

١٥٧ — « الغيم يحُوم والربّ رحُوم » . يقال عند توقع الشىء ورجائه ، لوجود علامته ، وحسن الظن بالله فيه ، فالغيم يلوح فى السماء ، ورحمة الله قريب .

١٥٨ — « منْ نِشدْ ما ضاع » . نشد : طلب (فى القاموس : نشد الضالة نشْداً ونشْدةً ونشدانا بكسرهما طلبها وعرَّفها) . وهو يذكر بقول القائل : « ما ضاع حق وراءه مطالب » . والمثل المصرى يقول : « كلّ مطرُود ملحوق » ، أى أن كل ما طاردته وتبعته تلحقه وتدركه .

١٥٩ — « العوض ولا القطيعة ». القطيعة : قطع الأمل بالكلية. يضرب لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، فذلك مهما كان قليلا خير من اليأس .

١٦٠ — « الجدْوة ولا العمى». الجدوة : النظر الضعيف جداً، وهو بطبيعة الحال أفضل من كف البصر .

١٦١ — « الحمار بعين أمه غزال » . ظاهر المعنى ، وفى مصر يقولون : « القرد فى عين امه غزال » ، ويقرب منه المثل العربى : « كل فتاة بأبيها معجبة » .

---

(١) نحن نفسر الكلمات أولا بالمعنى المراد عندهم .

١٦٢ — « لى عُطُوكْ الشيوخ مرق حطّهُ فى شليلكْ » . شليلك : ثوبك أو حجرك . يضرب لتقدير ما يعطيه الكبير ، ولو كان قليلا ، والشيوخ هم الأمراء .

١٦٣ — « أمر الشيوخ منْطاع » . منطاع : مطاع ، وذلك لأن الشيوخ هم القادة الرؤساء .

١٦٤ — « الشيوخ أبْخص » . أبخص : أدرى وأعرف . (لعلها من التبخيص وهو فى اللغة التحديق بالنظر وشخوص البصر) .

١٦٥ — « الشيخ اللى ما يعرف الشيوخ » . أى من استغنى عن غيره ولو كان ذلك الغير كبيراً أو أميراً ، واعتمد على نفسه ، صار أميراً حقاً ، لأن الغنى غنى النفس ، والعزة عدم الحاجة .

١٦٦ — « من فرش زبيله كُلّ يعبى له ، ومن طاح داسوه » . الزَّبيل فى العربية كأمير وسكّين وقنديل القفة أو الجراب أو الوعاء ، وجمعه زُبُل وزُبْلان . أى من أعد وعاءه ، وهيأه للملء ، وضع الناس فيه ما يملأه ، ومن وقع وطئته الأقدام ، وهو قريب من قول الشاعر :

الناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهى ، ولأم المخطىء الهبلُ

١٦٧ — « قال طمرتْ بالشام عشرين باع ؛ بالشام قاع وهنا قاع » . طمرت : قفزت (لعلها مأخوذة من الطُّمور ، وهو فى اللغة الذهاب فى الأرض ، والطِّمْرُ الخفيف المستعد للعدو ، واطمَّرَ على فرسه وثب عليه وركبه) . . . ومعناه أنك زعمت حدوث الوثوب فى الشام عشرين باعا ، وها نحن أولاء على استعداد لرؤية ذلك ، فإن كان فى الشام قاع (أى أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام) فهنا أيضاً قاع ، فأرنا صدق ذلك . ويقرب هذا من المثل المصرى : « آدى الجمل وآدى الجمال » ، والمثل الآخر : « خُد الكدّاب لحد باب الدار » .

١٦٨ — « حَذفة عَمِى وصادت أرنب » . حذفة : رمية . عمى : أعمى ضرير . إنها رمية من غير بصير ، ومع ذلك صادت الأرنب . يذكر هذا بقولهم : « رمية من غير رام » ، وقولهم : « قد تسبق العرجاء » .

١٦٩ — « التفِّجْ العامْيَة لها رمية » . التفج : (البندقية) ، وهو قريب من معنى المثل السابق .

١٧٠ — « الرِكيّة ولا جال ابن غنام » . الركية البئر ، وجمعه كما تقول المعاجم رُكى وركايا . والجال : المال الكثير (ولعله مأخوذ من الجال بمعنى الجماعة من الخيل والإبل ؛ أو بمعنى البحر ، وجمعه أجوال ، أو من الجوالة بمعنى الغنم الكثيرة العظيمة ، وجوالة المال خياره وخلاصته) . ويراد به تفضيل القليل الخالص على الكثير الذى يمن به صاحبه ابن غنام ، وهذا يذكر بالأبيات المؤثرة التى سمعها معاوية بن أبى سفيان من زوجته ميسون بنت بحدل حينما نقلها من موطنها فى البادية إلى قصور الشام :

لبيت تخفق الأرياح فيه — أحبُّ إلىَّ من قصر منيفِ
ولبس عباءة وتقرَّ عينى — أحب إلىَّ من لبس الشفوف
وأكل كسيرة فى جنب بيتى — أحب إلىَّ من أكل الرغيف
وأصواتُ الرياح بكل فج — أحب إلىَّ من نقر الدفوف
وكلبٌ ينبح الطرّاق دونى — أحب إلىَّ من قط ألوف
وبكرٌ يتبع الأظلال صعب — أحب إلىَّ من بغل زفوف
وخرق من بنى عمى نحيف — أحب إلىَّ من علج عنيف
خشونة عيشتى فى البدو أشهى — إلى نفسى من العيش الظريف
فما أبغى سوى وطنى بديلا — فحسبى ذاك من وطن شريف

١٧١ — « كل مرض يهون ولا مرض العيون » . ظاهر المعنى .

١٧٢ — « كذَّبتْ خَلّتى حتى بعينى شفت » . خلتى : أى خُلّتى وهو الصديق وهذا قريب من المثل المصرى : « شُفت بعينى ماحدّش قال لى » . وهو يذكر بالمثل العربى : « بعينى لا بعين عمرو » .

١٧٣ — « كل يزيح النار للقرص من صوبه » . يزيح : يدفع . القرص كالقرصة الخبزة . صوبه : جهته . والمعنى أن كل امرىء يهتم بالعمل لنفسه .

١٧٤ — « ردت أحكى وياك لكن بالزبيبة عود » . الزبيبة : واحد الزبيب وهو العنب المجفف . والمعنى أننى أحببت أن أتحدث إليك ، ولكن منعنى من ذلك وجود غيرنا الذين يشبهون العود الذى يوجد فى الزبيبة .

١٧٥ — « فى السما غيم » . نفس المعنى السابق .

١٧٦ — « الضرس لامن رقل من شلعته لا بدْ » . لا من : إذا ما . رقل : اهتز وتخلخل . شلعته : خلعه . لابد : لا مفر . أى أن بتر العضو الفاسد خير من الإبقاء عليه .

١٧٧ — « لى عوَّرك ضرس الأضراس دواه شلع الحديدة » . شلع الحديدة : الخلع بالكلابة ، وهى أداة الطبيب لخلع الأضراس . والمعنى مثل السابق .

١٧٨ — « الزين زين لو قعد من النوم ، والشين شين لو غسل عيونه » . هذا يذكر بالمثل المصرى: « إيش تعمل الماشطة فى الوش العكر »، ويذكر بقول الشاعر:

عجوز تمنت أن تكون صبية وقد يبس الجنبان ، واحدودب الظهرُ
تروح إلى العطار تبغى جمالها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر ؟

ويذكر بقول أبى الطيب :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفى البداوة حسن غير مجلوب !

١٧٩ — « ولد بنتك ولدك ، وولد ولدك لأ » . هذا على العكس من قول الأول :

بنونا بنو أبنائنا ، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

ولعل المقصود منه إثارة العطف على ولد البنت ، أو أن ولد البنت قد ينفع أحيانا .

١٨٠ — «مكتوب على باب مصر : مثْلك كثير» . أى لا تغتر بنفسك ، فمصر فيها من أمثالك كثيرون ، وحيَّا الله أهل الكويت ، فذلك منهم تمجيد لمصر أى تمجيد .

١٨١ — « يجوِّد الحبَّة ويفْلِّت الدَّبة » . يجود : يمسك ويحفظ . الدبة : وعاء كبير للدهن من جلد (واللغة تقول : الدَّبة ظرف للزيت والدهن) وهو يضرب لمن يتمسك بالتافه ويضيع منه الجليل . وفى مصر يقولون : « يجى فى الهايفه ويتْجَاْرْ » .

١٨٢ — « ابعير وبَرْبير » . ابعير : بعير . بربير : جرجير . يضرب لتكامل مايراد ، فالبعير يكثر من أكل الجرجير ، فكأنه قد وجد الراحلة ومرعاها .

١٨٣ — «يا شين السَّعف على الجمل» . السعف حضرى ، والجمل بدوى ، ومنظر السعف على الجمل قبيح ، فالمثل يضرب للشىء لا يناسب الشىء .

١٨٤ — « عنز قَطر تحب الربيع وتبغض المطر » . أى تحب الأكل وتكره

المطر ، لأنها تعودت الكسل ، ولابد من هذا لهذا ، (وقطر) قليلة الأمطار ، والعنز لا صوف على جلدها .

١٨٥ — « ما سوّيت سُوّى بكْ » . هذا مثل قولهم : « كما تدين تدان » وفى مصر يقولون : « زىّ ما تعاملنى أعاملك » . ويقولون : « منْ قدِّم بيداه شىءْ التقاه » .

١٨٦ — « يا ماشى دَرْب الزّلق لا تِأْمَن الطِّيحة » . من ساق نفسه إلى المهالك لم يضمن النجاة .

١٨٧ — «عندنا عيش ، وعندكم عيش ، هاالعزيمة على ويش ؟ » . عيش : أرز . العزيمة : الدعوة للطعام (العزومة) . على ويش : لأى شىء ؟ .. وما دام الأرز موجودا عند الداعى والمدعو فما لزوم الدعوة إذن ؟ . . . وفى مصر يقولون : « عيش وعيش ، والدّناوة ليش ؟ » .

١٨٨ — « كل حُجرة لها أجرة » . يضرب لاختلاف الأقدار والأسعار

١٨٩ — « أنا وخُوى على وِلْد عمىّ ، وأنا وولْد عمى على الغريب» . مثل قولنا فى مصر : « أنا وخُوىَ على ابن عمى ، وأنا وابن عمى عَ الغريب » .

١٩٠ — « جاء عقبْبَك وعقّبَك » . أى جاء بعدك وسبقك ، وكان عقبا لك أولا ، فصيَّرك عقبا له أخيرا . وهو يذكر بقولهم : « كم ترك الأول للآخر » . وقول الشاعر :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

١٩١ — « اسأل مِجرّب ولا تِسأل طبيب » . كالمعروف فى مصر .

١٩٢ — « التجربة تغلب الطبيب » . نفس المعنى السابق .

١٩٣ — « قبلك بيوم أَعْرف منك بسنه » . يقولونه فى مصر : « أكبر منك بيوم يعرف عنّك بسنه » .

١٩٤ — « سخّنّا المىْ وطار الديك » . أعدوا الماء الساخن لنتف الديك وطبخه ولكن الديك طار ، وهذا قريب من المثل : « ما تبيعش جلد الدّبّ قبل صيده » وفى مصر يقولون : « عشّمتنى بالحلق تقّبتَ انا اوْدانى » .

١٩٥ — « الطيور على أشباهها تقع » . مشهور ومعروف ، وقريب منه قول المصريين : « كل شِكْله ويشبه اللّى لُه ، حتى الحمار واللّى قانيه » .

١٩٦ — « النار ولا العار » . مشهور ومعروف ، ويشبه قول الأول : « المنية ولا الدنية . الصدر أو القبر » .

١٩٧ — « العنقود اللّى ما تطوُلُه قُول حامض » . لقد حاول أن ينال عنقود العنب ، ولـكنه لم يستطع ، فافترى على العنب عيبا ، وقال إنه حامض .

١٩٨ — « لسانك حصانك ، إن صنته صانك ، وان هنته هانك » . مشهور ومعروف . وفى مصر يقولون أيضاً : « لولاكْ يالسانى ماانسكّيت ياقفاىَ » .

١٩٩ — « ما يطقّ الطّار مقلوب » . الطار : الدف . ويضرب للصريح الذى لا يحرّف . الأمور أو للاضطراب عند انقلاب الأوضاع .

٢٠٠ — « منْ صادها عشىَّ عياله » . أى من صاد الدنيا ، أو زهرتها ، أطعم أولاده . وهو فى معنى : « من جد وجد ، ومن زرع حصد » .

٢٠١ — « من طقّ الباب عطوه جواب » . هذا قريب من قول المسيحية : « اقرع يفتح لك » . وقول الشاعر :

لا تيأسن وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومد من القرع للأبواب أن يلجا

٢٠٢ — « الحق الـكذّاب لبيت أهله » . أى أتبع الـكذاب لأصله ، فالعرق دساس

٢٠٣ — « يدخّل عصّه فى شىء ما يخصّه » . أى يتدخل فيما لا يعنيه .

٢٠٤ — « اترك الدّاب وشجرته » . الداب : الثعبان ، أى اترك السيء واترك مكانه معه .

٢٠٥ — « البطانة أغلى من الوجه » . بطانة الثوب وهى ثانوية أغلى من وجه الثوب . وهو الأساس يضرب لقلب الأوضاع .

٢٠٦ — « لو سلمت القافلة من أهلها هىَّ سالمه » . وهذا يذكر بالمثل : « حاميها حراميها » .

٢٠٧ — « هذى تروعك ، والثانية بضلوعك » . . . أى هذه الرمية الأولى لتهديدك وتخويفك فقط ، فإذا لم تنزع فستـكون الضربة الثانية فى الصميم فى ضلوعك

٢٠٨ — « ايش درَّى الثور إنى عنتر » ؟ . درَّى : أدرى . . . هاج الثور ، وجاء عنتر ، فقالوا له : أمسكه ، فقال عنتر : ومن الذى أخبر الثور أننى عنترّ الشجاع حتى يهاب ؟ .

٢٠٩ — « اللِّى ما يعرفك ما يثمنِّك » . الجاهل بك لا يدرك مقدارك .

٢١٠ — « منْ ثمِّنْ ما هاش » . هاش : قاتل . أى من حسب حسابه أمن العواقب . وفى مصر يقولون : « منْ حسب حساباته فى الهنا باتهُ » .

٢١١ — « مايفكّ لحاها إلا لحاها » . لحاها الأولى : لحاء الشجر . ولحاها الثانية : شعر الذقون ، أى لا تقضى الأمور العصيبة إلا بذوى الحكمة والتجربة ، من الشيوخ ذوى اللحى . وفى مصر يقولون : « ما يجيبها إلا رجالها » .

٢١٢ — « ايش حاديك يا مسمار؟ قال المطرقة » . حاديك : واضعك فى هذا الموضع

٢١٣ — «ايش عرَّف المِيدى بأكل النعناع » ؟ المعيدى : نسبة إلى المعدان وهى قبيلة بالبادية لا تعرف الأشجار أو الريحان ، فما الذى يربطها بالنعناع ؟ . وهو يذكر بقول الأول :

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله ، كيف يلتقيان
هى شامية إذا ما استقلت وأبوها إذا اســـتقل يمانى

٢١٤ — « طارت وشمّخت » . شمخت : خمشت وبغت . أى ما كادت تطير حتى عاركت . وهذا يذكر بقول الأول : « خلالك الجو فبيضى واصفرى » . وقول الآخر :

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

٢١٥ — « أرنبة وتاكل لحم » . أى تفترس ، مع أنها حيوان ضعيف .

٢١٦ — « أرنب تبى الفراسة ،والفراسةمن لحمها » . تبى : تبغى. الفراسة : الفريسة، وهو مثل السابق .

٢١٧ — «أعمى ويجرى بين النخل » . فكيف يتيسر له أن ينفذ خلال النخل وهو أعمى ؟ .

٢١٨ — « حطتنى فى الغار ، وصاحت علىَّ : حرامى » يضرب لافتراء التهمة .

٢١٩ — « زنده يمشى عليه التيس » . يضرب للقوة والجسامة .

٢٢٠ — « سوق الغَلا غلّاب » . السوق الغالية تجذب الناس إليها .

٢٢١ — « زمَّخْ والناس تهابك » . أى اغضب وتعاظم والناس يخافونك . (مأخوذ من قول اللغة : زمخ كمنع تكبر ، والزامخ الشامخ[1]) .

٢٢٢ — « من شَرَدْ وَرَدْ كأنه ماشرد » . أى من رحل فأبعد ثم عاد كأنه مارحل ، وكأن ذلك تشجيع على الارتحال .

٢٢٣ — « ما تعِرْف خيرى إلا ماَّ تجرب غيرى » . واضح المعنى .

٢٢٤ — « مدَّاح نفسه كذَّاب » . ظاهر المعنى ومشهور .

٢٢٥ — « عريان لافِى على مِتوَزِر » . أى عريان لجأ إلى من لايملك غير إزار ليستمد منه العون ، فكيف يستطيع ؟ .

٢٢٦ — « يأمرون على الكلب والكلب يأمر على ذيله » . الشخص الخاضع لرئيسه يريد أيضاً أن يكون رئيساً ، فيأمر من هوأصغر منه .

٢٢٧ — « يَبى رغيفْ من جلد ضعيف » . يبى : يبغى . يضرب لابتغاء الشىء من غير وجهه .

٢٢٨ — « ثور مُعَمَم » . يضرب للرجل الذى لاخير فيه .

٢٢٩ — « تيس بوَّال » . قريب من المعنى السابق .

٢٣٠ — « عِتَبة مسجد » . يضرب للرجل الصالح .

٢٣١ — « حمامة مكة » . يضرب للمرأة الطاهرة .

٢٣٢ — « اللّى يغوص قبل مايقيس ماينفع الغِيص عقْب الغرق[2] » . كقوله :

قدِّر لنفسك قبل الخطو موضعها ... فمن علا شرفا عن غِرَّة زلجا

٢٣٣ — « اللى يزعل يطق راسه بالطُّوفة » . الطوفة : الحائط . وفى مصر : « اللى يزعل يشرب من البحر » . وأحيانا يقولون : « اللى يزعل يشرب من البركة » .

٢٣٤ — « أخذنا بشراع ومجداف » . يقال إذا اشتد غضب الغاضب .

٢٣٥ — « كلٌّ يهون إلا بُكْرون » . بكرون : يراد به الداهية .

٢٣٦ — « هوَا غربى ومايَهْ ثَبر » . (الثبر فى العربية هو جزر الماء[1])

---

(١) يلاحظ أن كثيرا من الألفاظ فى الأمثال العامية الكويتية أصله فصيح .

(٢) القاف تنطق جيما .

فإذا انحسر الماء وكان الهواء غربيًا لم تسر السفن. يضرب لتعاون الأسباب على التعويق.

٢٣٧ — « من عيَّبْ ابتلى » . ومثله فى مصر ؛ وهو يذكر بقول الشاعر :

فقل للشامتين بنا أفيقوا   سيلقى الشامتون كما لقينا !

٢٣٨ — « اللِّى مايعدِّك فايدة ما تعده راس مال » . أى إذا لم يحفظ الشخص حقك ومكانتك فلا تحرص عليه ، وفى مصر أغنية تقول فى مطلعها :

اللى حبِّنا حبِّناه   وصار متاعنا متاعهْ

واللِّى كِرهْنا كرهناه   يُحرَمْ علينا اجتماعه

٢٣٩ — « قال ماعندك سند ؛ اقبض فلوسك من دُبَشْ » . (لعل كلمة دبش مأخوذة من قول اللغة : الدَّبَش بالتحريك سقط المتاع ، وأرض مدبوشة أكل الجرادُ نبتها) . يضرب للذى يودع نقوده بلا إيصال عند خائن ينكرها .

٢٤٠ — « لا يهمك ، تالى العمر موت » . أى لا تجبن فنهاية الحياة موت ، وفى مصر يقولون : « العمر واحد والرب واحد » : وهذا يذكر بقول الشاعر :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره   تعددت الأسباب والموت واحد

وقول أبى الطيب المتنبى :

وطعم الموت فى شىء حقير   كطعم الموت فى شىء عظيم !

٢٤١ — « نُص الميَّه خمسين » . يضرب لتهوين الأمر وتسهيل الشىء . ويكاد يشبهه قولهم فى مصر : « يقرَّب الحبس لداخله » .

٢٤٢ — « عتيق الصوف ولا جديد البرِيسَم » . البريسم : الحرير (فى اللغة : الإبريسم بفتح السين وضمها : الحرير ، وهو عربى أو معرب ، وفى نطقه لغات كثيرة) يعنى أن الصوف أكثر تدفئة من الحرير ، ولو كان الصوف قديماً والحرير جديداً .

٢٤٣ — «يا الله بالشيب قبل العيب». هذا دعاء بإقبال الشيخوخة قبل ارتكاب العيب ، وفى مصر يقولون : « الموت ولا العار » .

٢٤٤ — « عُنْف الماى ولاغضب الرجال » . أى أن العزيز يحتمل المشقة كعنف الأمواج ، ولا يحتمل ذل الخضوع لغضب الرجال عليه وتحكمهم فيه .

٢٤٥ — « الجتّ ما ينباع إلا بورقه » . الجت : البرسيم . يضرب للشىء لا يصلح إلا بلازمه .

٢٤٦ — « خلِّ لسانك كلّ الناس خلاَّنك » . أى اصمت يحبك الناس .

٢٤٧ — « اقنع تشبع » . القناعة هى الغنى والشبع .

٢٤٨ — « نِصيبك يصيبك » . حظك يلزمك ؛ ونحن فى مصر نقول : « اللى من نصيبك لازم يصيبك » ، ونقول : « المكتوب عَ الجبين لازم تشوفه العين » .

٢٤٩ — « جُودك من موجودك » . لا تتبرع إلا من أموالك .

٢٥٠ — « عصاة العز لا ترى بها » . لا تضع منزلتك بسوء تصرفك ومنطقك .

٢٥١ — « من عيَّب ابتلى ، والعيب أساس البلا[1] » . سبق مثله ، وهنا زيادة .

٢٥٢ — « ما حَدْ يقول آه إلا من بلاَ فيه » . لا بد للأنين من سبب ، وهو يذكر بقول الأول : « لأمر ما جدعَ قصير أنفَه » .

٢٥٣ — « لا تصدِّق من يبغضك » . احذر أن تطيع مشورة الذى لا يحبك ، أو أن تصدق أخباره .

٢٥٤ — « يدلّك على السِّلع أثمانها » . يضرب للشىء تستبين قيمته من ثمنه .

٢٥٥ — « صبرك على نفسك ولا صبر الناس عليك » . أى اعتمد على نفسك ، واصبر على حاجتها ، واحتمل أمرها ، فذلك أجمل من مطالبتك بصبر الناس عليك .

٢٥٦ — « اللِّى مُو يَمّـك لا يهمّك » . مو يمك : الذى ليس فى جانبك . أى لا تهتم بالذى لا يكون فى جانبك .

٢٥٧ — « من صبر قدر » . الذى يصبر أولا يظفر أخيرا .

٢٥٨ — «مُو كلّ حاملَه بولد » . مو : ما (النافية) ، أى ليس كل من حملت تضع ذكرا . والعرب تقول : « ما كل سوداء فحمه ولا كل بيضاء شحمه » .

٢٥٩ — « مُوكل اِمْدحرج بيض » . امدحرج : مدوّر يتدحرج . قريب من السابق .

٢٦٠ — « بعبع ياكل ولا يشبع » . يضرب للذى لا يقنع .

٢٦١ — « من ذاق عين النقرور ما طلع من الكويت » . النقرور : نوع من السمك مشهور فى الكويت . وهو قريب من قولنا : « من شرب من ماء النيل عاد إليه » .

---

(١) انظر رقم ٢٣٢ من هذه الأمثال .

٢٦٢ — « كثرة الدقّ تفكّ اللحام » . واضح المعنى .

٢٦٣ — « الحلق يقول حار ، واللسان يقول نار ، والبلعوم يقول ياستار ، والبطن يقول حمّل بالاكار » . لقد تأذى الحلق واللسان والبلعوم من حرارة الطعام ، ولكن البطن يقول : هل من مزيد ؟ .

٢٦٤ — « من جاء من إيدَه عسى الله يزيده » . من لم يستشر وأصيب بيده وتصرفه شمت الناس فيه ، وتمنوا له الزيادة من السوء .

٢٦٥ — « ياكل بين عميان » . يضرب للسمين البدين جدا .

٢٦٦ — « مَردّ الكلب على القصاب » . الكلب يدور حيث يدور ، ثم ينتهى إلى الجزار ، ليلتقط ما عنده من عظام : يضرب لانتهاء الأمور إلى مراجعها .

٢٦٧ — « الغيم لو هب الشمال انزاح » . إذا هبت ريح الشمال كشفت السحب .

٢٦٨ — « الناس بالناس والكل بالله » . يستعين بعض الناس بالبعض الآخر ، والمعين للجميع هو الله .

٢٦٩ — « الفار ما يتأمَّن على خبزة » . يضرب للحذر من الذى لا يحفظ الأمانة ، إذ كيف نأتمن الفأر على الخبز ؟ .

٢٧٠ — « مطر صيف » . يقال لمن يخص بعطفه شخصا دون آخر ، لأن مطر الصيف ينزل فى بقعة دون بقعة .

٢٧١ — « ياحمار انطِرِ لما يجيك الربيع » . انطر : انتظر . يضرب لطول الانتظار ، فهل يبقى الحمار بلا غذاء حتى يأتى الربيع ؟. ويقولون فى مصر : « مُوتْ ياحمار لحدّ ما يجيك العليق » : العليق : الشعير . (فى اللغة : العُلْقة ما يتبلغ به من العيش ، والعُلَّيْق نبت يتعلق بالشجر ، والعلاّقة نبت الحمض ، والعليق كأمير القضيم ، وهو شعير الدابة) .

٢٧٢ — « خُبزُه إيدى » . يضرب للخبرة بالشخص وأخلاقه ، فكأنه قد خبزه وصنعه بيده . وهو يذكر بالمثل « أتعلمنى بضبٍ أنا حرشته » ؟ .

٢٧٣ — « حاميه حراميه » . مشهور ومعروف ، وسبق شبهه .

٢٧٤ — « ربى اعطيتنا إيّاه مفسّخ ، خذْه هو وهدومه » . يضرب للرغبة فى التخلص من الشىء العديم الفائدة .

٢٧٥ — « عُوير وزُوير » . يضرب للشيء الذى ليس جيداً .

٢٧٦ — « زرعت (لو) طلع (لاشى) » . التمنى لا يبلغ بصاحبه ثمرة ، والمثل الأول يقول : « إن الأمانى بضائع النوكى » ، وفى مصر يقولون : « زرعت (لو) فى أرض (خبث) طلعت (ياريت) » : ياريت : ياليت .

٢٧٧ — « ما يعايب إلا المعيوب ، ولا تخر إلا النقوب » . أى لا يفترى العيب على الشرفاء إلا الخسيس ، كما أن الماء لا يسيل إلا من الثقوب .

٢٧٨ — « يقول الطفل يا أمى دُعوكِ ، قالت : لولاك ما دعونى » . لولا الطفل لما قيل لأمه : يا أم فلان . يضرب لنسبة الفضل لصاحبه .

٢٧٩ — « لا تُودِع الفار شحمه » . وهل يؤتمن الفأر على الشحم والدهن ؟ .

٢٨٠ — « مِنْ تَراخص اللحمه خانت به المرقه » . أى من اشترى اللحم رخيصاً كان لذلك أثره السيء فى الحساء .

٢٨١ — « اللى ما عنده دار ، كل يوم له جار » . من لم يستقر فى منزل له يتنقل دائماً ، فلا يكون له جار ثابت .

٢٨٢ — « من عرف ربه هانت مصيبته » أى أن من آمن بالله رضى بقضائه وقدره

٢٨٣ — « طول اللسان يقصر الأجل » . جناية اللسان على الإنسان قد تودى بحياته ، وهذا يذكر بقول الأول :

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

٢٨٤ — « الفقر فى الوطن غربة » . مشهور ومفهوم .

٢٨٥ — « الغنى فى الغربة وطن » . يؤكد معنى المثل السابق .

٢٨٦ — « صدرك أوسع لسرك » . أى إذا ضاق صدرك عن كتمان سرك ، فصدر غيرك سيكون أضيق ، فيفشيه .

* * *

أما بعد ، فإنى لم أقض ما فى نفسى من الحديث عن الأمثال ، ومن يدرى ، لعلى أعود إلى الحديث عنها مرة أخرى .

الأندية فى الكويت

لا يمكن لمجتمع ناهض — ولو كان قليل العدد ومحدود الرقعة — أن يبقى فى ظل الحكم الفردى طويلاً ، مهما كان ذلك الفرد صالحاً مستقيماً ، لأن النفوس جُبلت على الحرية والانطلاق ، ولأن الله قد برأ الخلق أحراراً لايستعبدهم إلا كافر أو فاجر ، ولأن الطبائع مختلفة ، والأفكار متعددة ، والآراء شتى ، فإذا لم تتهيأ الأسباب والوسائل للتعبير الحر عن هذه الآراء والخواطر ، أو لم ينتظم تبادل الرأى والتواصى بالحق والتواصى بالصبر ، أو لم تتكافأ الفرص — أو تتقارب على الأقل — أمام المجموع ، انحرف ركب المجتمع عن الجادة ، فوُجد فيه الاستعباد والاستبداد من جهة ، ووُجد فيه الصَّغار والهوان من جهة أخرى ؛ وكذلك تظهر فيه التيارات الخفية المكتومة ، التى تضر ضرراً بليغاً بانطوائها واستتارها ، ويقاسى من ذلك ولاة الأمر ما يقاسون فى حاضرهم ومستقبلهم ، بينما لو فُتحت السبل الواضحة الظاهرة العادلة أمام هذه التيارات لا نبعثت تعبر عن نفسها وعن مشاعر أصحابها ، ويتبع ذلك الانبعاث لون من التنفيس والتخفيف والتلوين ، فتصبح التيارات ظواهر اجتماعية مألوفة ، بعد أن كانت بالأمس فى طى الكبت والحرمان حركات سرية لا نضمن حالها ولا مآلها على وجه سليم .

وحينما يحاول المجتمع الناشىء أخذ سبيله إلى الحياة الجماعية المتشاورة المتكافلة المتلاقية على المبادىء العامة والأهداف الشاملة ، يتذرع لذلك بالتدرج فى عدة درجات ، فيأخذ أولاً بمشاورة أهل الشورى من خاصة الأصدقاء وصفوة الحكماء ، ثم ينتقل إلى نظام اللجان المحدودة فى اختصاصها ونفوذها ، والتى تستظل بلواء الحاكم أو السلطان ، ثم ينتقل إلى نظام الجماعات والهيئات ، والأندية والنقابات ، وغير ذلك من مظاهر التجميع والتكتيل ، وتكون تلك المنظّمات الوسيلة المباشرة لأن تحكم الأمةُ نفسها بنفسها ، عن طريق الانتخاب لممثليها ، واختيارها لمن ينوب عنها ، أومن يكون بتعبير آخر خادماً لها ، بصفته أحد فروعها ، التى يشرفها أن تنتسب إلى جذعها وأصلها ، وهى « الأمة » ! . . .

والـكويت والحمد لله قد سـارت منذ نهضتها إلى الأخذ بهذه الأسباب ، ولم يقف فى طريقها جموح فى استبداد من حاكم ، أو طمع فى استعباد من طامع ، بل لقدساير الولاة هذه الرغبات ، وعرفوا مكانهم منها ، فأخذوه فيها ، وفطنوا إلى أن محبة الأمة أقوى بكثير من تجنيدها ، وأن عواطفها أجدى من تسخيرها ، وأن كسب مودتها أبقى وأتقى من التحـكم فيها ، وقد عملوا لذلك ماعملوا ، فـكونت لجان ، وأنشئت دوائر ، ووجدت مجالس للشورى ، وأجريت انتخابات ، وظهرت أندية ، والمأمول أن يظل هؤلاء الولاة يعملون لصالح الشعب ، ومع الشعب ، دائماً وأبداً . . .

حقيقةً إن أمثال هذه الفترات قد لا تسلم من أوجه الملاحظة هنا وهناك ، ولـكن المهم فى هذا المقام أن يوجد الاستعداد وأن يُبدأ فى الإعداد ، وأن يحرص المجموع على حقوقه ، وأن يختار أقوم السبل وأكرمها لحفظها والذود عنها وصيانتها ، وما نلاحظه اليوم قد نستطيع بالنقد والاستنـكار أن نـكرِّهه اليوم أو غداً إلى هؤلاء وهؤلاء ، فلا يلبث أن يزول أو يتوارى على الأقل .

فى الـكويت اليوم أربعة أندية ، هى نادى المعلمين ، والنادى الأهلى ، وجمعية الإرشـاد الإسلامية ، والنادى الثقافى القومى ، ومن المنتظر أن تنشأ فى الـكويت أندية أخرى . وقد يقال : وما احتمال الإمارة لهذه الأندية المتزايدة ؟ . . . وقد يكون لهذا الاعتراض قيمته ومنزلته إذا تشابهت رسالات الأندية ووجهاتها ؛ ولذلك يجب على تلك الأندية أن تحرص أول ما تحرص على انفراد كل منها بجهة أو بضع جهات من نواحى الإصلاح وألوان البناء ، ومن ثَمَّ لا يعارض معارض فى تعددها ، بل يطالب المطالبون بتـكاثرها . . . وعلى الرغم من أن الامتزاج الروحى والعقدى القائم على استيحاء مبادئ هذه الأندية والتجرد لها والمجاهرة بها والدفاع عنها والغيرة عليها ؛ لم يكتمل بين أعضاء الأندية وبقية أفراد الإمارة ، وعلى الرغم من أن أهل الأندية أنفسهم يقررون أنهم لا زالوا فى بداية البناء ، ولا زال أمامهم طريق طويل لإتمام ما ارتبطوا به فى هذه الأندية من روابط ، فإن الجهود الطيبة التى تبذلها هذه الأندية فى نواحى التجميع والتنظيم ، وعرض الآراء وبسط الشـكايات والآمال ، ونقد الحياة والأحياء ، ورسم الخطط للحاضر والمستقبل ، والتحدث عن الأهداف الخاصة فى كل ناد أو جمعية ... هذه الجهود بشائر ثمرات طيبة ، نرجو أن يوفق الله

هؤلاء الأشقاء لجنيها ؛ وهى فى أتم نضجها واستوائها ؛ يوماً من الأيام ، ولعله أن يكون قريباً .

وسنذكر الآن خلاصة عن كل ناد من هذه الأندية ، متبعين الترتيب التاريخى لظهورها .

نادى المعلمين

أقدم الأندية فى الكويت الحديثة هو نادى المعلمين ، أنشىء عام ١٣٧٠ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٩٥١) ميلادية ، وللنادى قانون مطبوع أقرته الهيئة المنتسبة المنعقدة فى مساء يوم الأحد ٢٨ من ربيع الثانى سنة ١٣٧٠ الموافق ٤ فبراير سنة ١٩٥١ ؛ وتنحصر أهداف النادى فيما يأتى :

١ — رفع المستوى الثقافى والرياضى فى الكويت .

٢ — توثيق عرى التعاون العام بين أعضائه .

٣ — استغلال أوقات الفراغ بما يعود بالنفع العام .

والهيئة المنتسبة فى النادى هى التى تتألف من موظفى المعارف الكويتيين ، والهيئة المؤازرة هى التى تتألف من الموظفين بالمعارف غير الكويتيين ، ومن الكويتيين الخارجين عن نطاق المعارف ، وللهيئة المؤازرة كل حقوق الهيئة المنتسبة ، عدا حق الانتخاب وعضوية الهيئة الإدارية .

ومن المواد الملحوظة فى قانون النادى هذه المادة : « يجب على كل عضو أن يعمل على تحقيق أغراض النادى ولا يتعرض فى داخل النادى أو فى اجتماعاته للمسائل السياسية » .

وتتكون موارد النادى من الاشتراكات ورسم الدخول ، وريع الحفلات التمثيلية والرياضية التى يقيمها النادى ، ومن بدل الاشتراك وقدره خمس روبيات ، وبدل رسم الدخول وقدره كذلك خمس روبيات ، ومن معونة دائرة المعارف أو الحكومة ، ومن التبرعات الأخرى .

ويقع نادى المعلمين فى حى الصالحية بمدينة الكويت ، بالقرب من دائرة المعارف ، وداره مؤجرة ، وهى عبارة عن قسمين ، الأول منهما فى طابقين ، الأول به ساحة للاستراحة وتناول المرطبات وإقامة الحفلات ومشاهدة العرض السينمائى وسماع

المحاضرات خلال فصل الشتاء ، وفيه أيضاً حجرة لكرة المنضدة وغرفة للاستقبال ، وأخرى لاجتماعات لجنة الرياضة ؛ وهناك باب يفضى إلى القسم الثانى ، وفيه المكتبة وغرفة للجنة المشتريات ومكان للصلاة ، وبين القسمين يوجد المقصف .

وفى الطابق الثانى من القسم الأول توجد إدارة النادى وإدارة مجلة الرائد التى يصدرها النادى بإشراف الأساتذة حمد رجيب وفهد الدويرى وأحمد العدوانى ، وهى مجلة شهرية تطبع فى بيروت ، وتوزع فى الكويت ، وتصدر باسم (لجنة الصحافة والنشر بالنادى) .

ورئيس الشرف للنادى هو سعادة الشيخ صباح الأحمد ، نجل المغفور له الشيخ أحمد الجابر الصباح الأمير السابق للكويت .

ومدير النادى هو الأستاذ حمد رجيب ناظر مدرسة الصباح الابتدائية ،وهى مدرسة كبيرة تضم أكثر من ثمانمائة تلميذ ؛ وسكرتير النادى هو الأستاذ بدر السيد رجب ناظر المدرسة القبلية الابتدائية ، وأمين الصندوق هو الأستاذ عبد المحسن الزبن المحاسب فى إدارة الصحة ؛ وهناك هيئة إدارية عددها اثنا عشر عضوا ، تجتمع كل شهر مرتين للنظر فى شئون النادى .

سعادة الشيخ صباح أحمد الجابر الصباح رئيس نادى المعلمين بالكويت

وقد قام النادى بتمثيل جملة مسرحيات عربية وإسلامية ، ولا يزال مواظباً على ذلك ، وهو يقيم فى كل عام حفلة تمثيل كبرى يشهدها عدد ضخم من أبناء الكويت ، ولا عجب فالأستاذ حمد رجيب ممثل بطبعه ، موهوب فى فنه ، وقد درس فى مصر فن التمثيل نظريا وعملياً ، وكانت له وهو يتعلم فى مصر صولات وجولات فى تقديم المسرحيات الإسلامية والعربية فى احتفالات بيت الكويت بمصر ، أيام كان البيت فى حى الزمالك ، وأيام كان الأستاذ عبد العزيز حسين مشرفا على البيت ، وكان يحتفل بالمناسبات الدينية والأعياد الإسلامية ، وأكاد أعتقد أن حمد رجيب لا يستطيع أن يعيش بدون هذا التمثيل ؛ وما دام الأمر كذلك فهو مطالب من وطنه ودينه بأن يتخذ من هذا الفن سبباً إلى تمكين قواعد الإيمان بالله والوطن فى نفوس الشباب .

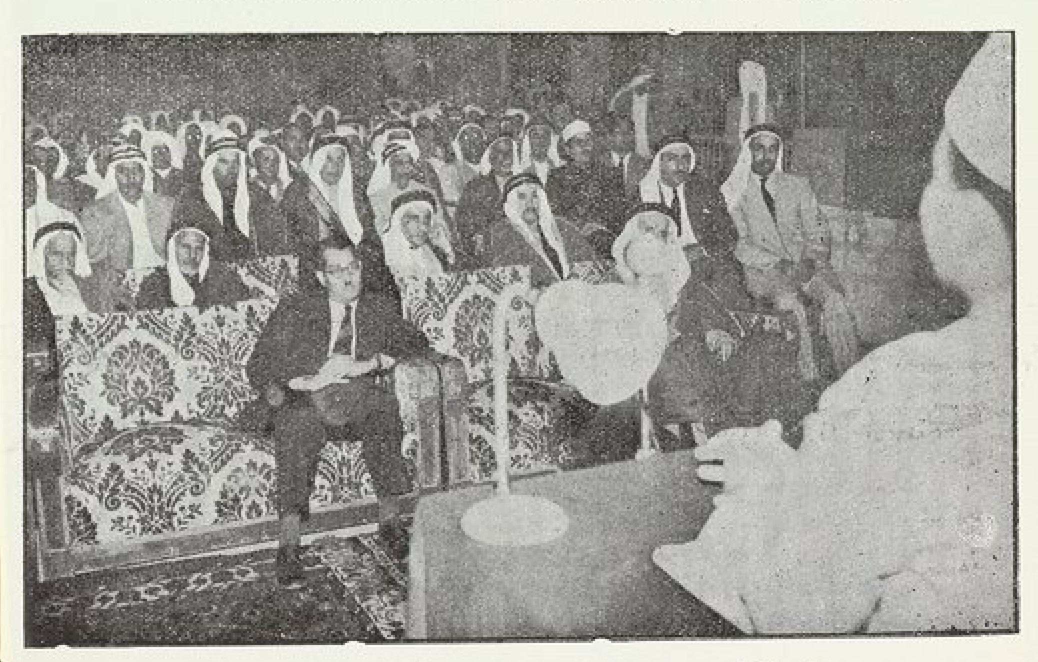
وأقام النادى ويقيم مباريات رياضية بينه وبين فرق الأندية الأخرى، وينظم فى كل موسم طائفة من المحاضرات ، يشترك فى أغلبها المبعوثون المصريون من الأزهر الشريف وبعثة وزارة المعارف المصرية ، كما يعرض أفلاماً سينمائية بأجهزة متنقلة ، وأغلب الأفلام مصرية .

ويلاحظ أن الأساتذة حمد رجيب وفهد الدويرى وأحمد العدوانى — وقد داعبتهم فسميتهم الفرسان الثلاثة — يقومون بنشاط ظاهر ملحوظ فى النادى ، فهم فيه أغلب الأوقات ، وهم يصدرون مجلته الشهرية ، وهم يشرفون على محاضراته وحفلات سمره ، وأحدهم مديره وتبعاته فيه كثيرة .

والأستاذ فهد الدويرى من أدباء الكويت العاكفين على البحث والكتابة ، وله فى مجلتى البعثة والرائد مقالات أدبية مختلفة تدل على النشاط والدأب والصبر .

ونستطيع أن نقول إن أظهر السمات فى نادى المعلمين هى العمل على نشر الثقافة ، وبث الروح العلمية والنزعات الإنسانية فى صفوف أعضائه وفى بقية أفراد المجتمع الكويتى ، ولو أردنا أن نشبهه بأحد الأندية فى مصر — مع الفوارق المعروفة طبعا — لأمكننا أن نشبهه بنادى دار العلوم .

الأستاذ حمد رجيب ناظر مدرسة الصباح (ومدير نادى المعلمين)
يتوسط فريق المدرسة الذى فاز ببطولة الكرة الطائرة للمدارس الابتدائية سنة ١٩٥١



مؤلف الكتاب وهو يلقى محاضرته « توثيق الروابط بين البلاد العربية »
بنادى المعلمين يوم الخميس ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٣ م

النادى الأهلى

ترجع الفكرة فى إنشاء (النادى الأهلى) إلى صيف سنة ١٩٤٨ ، حيث تشاور جماعة من الشباب فى إنشائه ، واتفقوا على إخراج فكرته إلى حيز الوجود ، وكادوا يصلون إلى ما أرادوا ، لولا قيام بعض العقبات التى اعترضت طريقهم حينئذ .

وفى سنة ١٩٤٩ م عاد جماعة من هؤلاء الشباب ، وأغلبهم من محبي الرياضة والمتصلين بها ، إلى التفكير فى إنشاء فريق لكرة القدم ، ورغبوا فى تسميته (فريق كرة القدم الأهلى) ، وتكوّن الفريق فعلا ، واقترنت خطواته الأولى بالتوفيق والنجاح، فكان ذلك سبباً فى تجديد المحاولة لإنشاء (النادى الأهلى) ، ونهض بعض الذين فكروا فيه من قبل بدعاية واسعة لذلك ، وكان من نتيجتها أن انتخبت هيئة تأسيسية للنادى قوامها السادة : عبد الرزاق سلطان وعبد اللطيف أمان ومحمد عبد الرزاق الصالح وعبد العزيز محمد جعفر ومجرن أحمد الحمد وخالد محمد جعفر .

واتصلت هذه الهيئة بسمو الشيخ عبد الله المبارك الصباح رئيس الأمن العام ، وعرضت عليه فكرة النادى ، والتمست منه أن يكون رئيساً شرفياً للنادى فقبل ذلك .

وقدمت الهيئة إلى رئيس الشرف قانون النادى المبدئى القابل للتعديل فوافق عليه ، ومن هنا بدأ النادى عمله، وافتتح رسمياً فى شهر يوليو سنة ١٩٥٢؛ وفى شهر أكتوبر سنة ١٩٥٢



سمو الشيخ عبد الله المبارك الصباح الرئيس الشرفى للنادى الأهلى

أجريت انتخابات النادى لاختيار الهيئة الإدارية ، فأسفرت عن اختيار الأعضاء الآتية أسماؤهم :

عبد الرزاق سلطان (مديرا) وعبد اللطيف أمان (أمينا للصندوق ومديرا داخليا) ويوسف إبراهيم الغانم (سكرتيرا) ويعقوب يوسف الحمد وأحمد الخطيب (للإشراف على اللجنة الثقافية) ومجرن أحمد الحمد (رئيسا للجنة الرياضية) وعبد العزيز محمد جعفر (رئيسا للجنة الدعاية) . ويضم النادى بعد هذا ما يقرب من مائتى عضو ، جُلهم من شباب الكويت المتعشقين للرياضة ، الراغبين فى الرقى والنهوض .

ويحتل النادى داراً مؤجرة ، بالقرب من (باب الجهرة) ، وعلى مدى مئات من الأمتار من دائرة المعارف ، وهيكل الدار قريب من دار نادى المعلمين ، إلا أن القسم الثانى فى النادى الأهلى ساحة واسعة ، غطاها القائمون بأمر النادى بسقف مرتفع ، وذلك لتتخذ قاعة للمحاضرات والحفلات .

. وللنادى قانون أساسى مطبوع ، يتعرض للتعديل والتنقيح ، وقد جاء فى صدره أن الغرض من إنشاء النادى هو تشجيع الحركة الرياضية ورفع مستواها بكافة الوسائل الممكنة ، وتقوية الروابط الاجتماعية بينه وبين الأندية الأخرى ، وأنه لا يجوز لكافة الأعضاء فى النادى المناقشة فى القضايا السياسية أو الاشتغال بها ، أو التحدث فى الشئون الطائفية . وأنه يمنع منعا باتا تعاطى ألعاب القمار أو المراهنات التى يكون الغرض الأساسى منها الربح المادى ، ولإدارة النادى الحق فى تحديد أنواع الألعاب المسموح بها ، كما لا يجوز تعاطى المشروبات الروحية على اختلاف أنواعها داخل النادى . . .

والهيئة الإدارية هى التى تشرف على جميع شئون النادى ، كقبول الأعضاء ومراجعة الحساب وتعيين اللجان ووضع اللوائح ونظر الخلافات ، وهى تجتمع مرة كل شهر (فى يوم الخميس من الأسبوع الأول من كل شهر) . وفى النادى نوعان من الأعضاء : أعضاء عاملون منتسبون ، وهم الذين يقيمون فى الكويت ، وأعضاء فخريون وهم الذين تعطى لهم صفة العضوية، لقيامهم بخدمات جليلة أو مساعدات قيمة للنادى .

وليس فى القانون المطبوع الذى بين يدى تبيان لموارد النادى المادية ، ولكن

المعروف أن هذه الموارد تتلخص فى اشتراكات الأعضاء وريع الحفلات إذا كان لها ريع ، ومعونة الحكومة أو بعض الدوائر ، والتبرعات الأخرى .

ويتحدث إليك بعض المتحمسين لفكرة النادى فيقول : إن أهدافنا لن تقتصر على الناحية الرياضية ، بل ستشمل الأخذ بيد الشباب نحو المثل العليا والعناية بالرياضة ، والعمل على إيجاد جيل قوى البنيان سليم الخلايا ، ونشر الثقافة بين الشعب ومحو الأمية ، والسعى لإيجاد نواد أخرى ، والقضاء على الطائفية ومحاربة الإقليمية ، والابتعاد عن كل ما من شأنه الإضرار بالكويت من أمور سياسية أو اجتماعية .

والذى يلوح لى أن النادى الأهلى يضم مجموعة طيبة مختارة من شباب الكويت الذين أتم أغلبهم دراسة جامعية فى مصر أو فى الغرب ، من أمثال الأساتذة عبد الله إبراهيم الغانم ويعقوب يوسف الحمد ويوسف إبراهيم الغانم وأحمد الخطيب وغيرهم وغيرهم ، كما أن النادى يضم مجموعة أخرى من أبناء الكويت الملحوظين فى أكثر من ميدان ، ولهؤلاء الأعضاء — مجتمعين — إمكانيات مادية وطاقات اجتماعية ومواهب علمية وآفاق ثقافية ، ولذلك كان واجبا عليهم كل الوجوب أن يبسطوا رسالة النادى فكرةً وعملا ، حتى تشمل تلك الأهدافَ التى يتحدث عنها أولئك الإخوان المتحمسون .

يلوح أن الفكرة السائدة عند بعض الناس هى أن الصبغة الرياضية هى الصبغة الغالبة على النادى الأهلى ، وليست الصبغة الرياضية قليلة القيمة أو هينة المكانة ، فهناك فى كل مجتمع حديث نوادٍ لا ناد واحد للرياضة ، وللرياضة فحسب ، ولكن ظروف المجتمع الكويتى المحتاج إلى البناء والتشييد فى كل ناحية ، وإمكانيات هؤلاء الأعضاء ، توجب عليهم أن يتسعوا فى أهدافهم وفى نشاطهم ، وإنهم بإذن الله لمستجيبون ، وإنهم لفاعلون . . .

قد تحب أن تشبِّه النادى الأهلى بأحد الأندية فى مصر . . . ليكن ؛ إنه يشبه (النادى الأهلى) ، مع الفوارق المعروفة أيضا . .

فالنادى الأهلى فى الكويت هيئة رياضية كويتية مقتدرة .

جمعية الإرشاد الإسلامية

لاشك أن إنشاء جمعية إسلامية فى إمارة الكويت كان فتحاً جديداً ، وظاهرة طيبة تستوجب الدراسة والالتفات ؛ وإنشاء هذه الجمعية يعد دليلا آخر على أن الإمارة تأخذ طريقها إلى حياة فيها حرية ، وفيها دعوة ، وفيها إيمان ، بعد تلك الفترات الماضية السحيقة التى ذهبت فيها جهود كثيرة وعنيفة لتثبيت حقوق الجماعة ، وتأمين حياة الفرد ، وتحديد اختصاص كل ذى سلطان .

وقد أنشئت جمعية الإرشاد الإسلامية بالكويت فى أول رمضان سنة ١٣٧١ (صيف ١٩٥٢ م) واتخذت لها مكانا فى دار قريبة من سوق اللحم ، ومن دار البريد القديمة التى صارت الآن فرعا لمكتبة المعارف ، وعلى مقربة من المدرسة المباركية ، وهذه الدار من أملاك المغفور له الشيخ على عبد الوهاب ، وقد قدمها إلى الجمعية ولده السيد عبد العزيز العلى ، حتى يبنى للجمعية مكان خاص ؛ وتشغل الجمعية الآن الدور العلوى من الدار ذات الطابقين ، وفى هذا الطابق عدة حجرات ، واحدة للمراقب العام ، وثانية للسكرتير ، وثالثة للجوالة ، ورابعة للمكتبة ، ومكان لصنع الشاى ، ومكان للصلاة ، وساحة للمحاضرات والاجتماعات العامة ، تغطى فى الشتاء وتكشف فى الصيف ؛ ورئيس الجمعية هو فضيلة الشيخ يوسف بن عيسى القناعى عالم الكويت ، ومراقبها العام هو السيد عبد العزيز العلى ، وأمين الصندوق السيد عبد الرزاق العسكر ، ومن أعضائها السادة عبد العزيز المزينى وعلى عبد اللطيف الجسار وعبد الله العلى المطوع وخالد المسعود ومحمد اليوسف العدسانى وعبد الله السلطان الكليب وعبد الله بودى ومحمد بودى وخالد الجسار وسعود سميط وغيرهم من شيوخ وشباب .

وللجمعية قانون مطبوع يتحدث عن أهدافها فيقول إنها تعمل على نشر الثقافة الإسلامية فى النشء ، وبعث روح التدين فى الأمة ، وتوجيهها توجيها يتناسب مع دينها الحنيف وتاريخها المجيد ، بتثبيت العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص مع العمل الصالح .

وتعمل على إصلاح الفرد وربطه بأخيه برباط أخوى صحيح ، عملا بقوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » . والسعى إلى ما يكفل سلامة الأمة من التفسخ والانحلال الخلقى ، وبعث القوة فى نفس المؤمن لقوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف » . والدعوة إلى الخير بالحكمة والموعظة الحسنة عملا بقوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ، والموعظة الحسنة » . وعرض الإسلام على أنه عقيدة قيمة ونظام عالمى صالح لمعالجة الحياة فى مختلف شئونها ، والسعى للقضاء على البطالة ومكافحة الأمية والتعاون مع كافة الهيئات فيما يعود على البلاد بالخير والنفع العام .

ويشترط فى العضو أن يكون مسلما حسن السيرة ، وإذا خالف العضو الآداب الشرعية بصورة مخلة بسمعة الجمعية فعلى مجلس الإدارة نصحه أولا ، ثم إنذاره بالفصل إذا تكرر منه ذلك ، ثم فصله إذا لم يجد معه نفعا النصح والإنذار ... ويقول القانون : « هذه الجمعية دينية ، ولا تتدخل فى السياسة كجمعية ، وهدفها الوعظ الحكيم والإرشاد الحسن » .

السيد عبد العزيز العلى المراقب العام لجمعية الإرشاد

وتجتمع الهيئة الإدارية للجمعية فى بداية كل شهر عربى ومنتصفه .

وتتكون أموال الجمعية من الاشتراكات والتبرعات ومساعدات الحكومة أو بعض الدوائر . وعلى كل عضو أن يدفع اشتراكا سنويا لا يقل عن اثنتى عشرة روبية (جنيه) فى السنة .

وأحب أن أثبت هنا كلمة نشرتها مجلة (الرائد) فى عددا كتوبر سنة ١٩٥٢ عن هذه الجمعية ، ونصها :

« فى أول رمضان سنة ١٣٧١ هـ ، خرجت إلى حيز الوجود فكرة نبيلة ، طالما راودت النفوس الكريمة العامرة بنور الإسلام ، فى هذا الوطن العربى المسلم ، فتشكلت جمعية الإرشاد الإسلامية ، وهى جمعية تقوم أهدافها على مبادئ الدين الإسلامى الحنيف ، وشريعته السمحة ، تحت ظل القرآن وسنة الرسول الكريم .

وقد اتجهت هذه الجمعية منذ أول نشأتها إلى السبيل العملى لتحقيق أهدافها ، فبدأت تقيم الاجتماعات يوم الأربعاء من كل أسبوع ، وتلق المحاضرات التى تتناول شرح الإسلام من جهة ، ورأيه فى مايعترض العالم من جهة أخرى . ويقوم بهذا الواجب السامى رجال قد اختصوا بفهم الإسلام نصاً وروحاً ، والإقبال على سماع هذه المحاضرات يشتد أسبوعاً بعد أسبوع ، مما يدل على تأصل روح الإسلام فى طبيعة هذا الشعب المسلم المسالم .

وتفكر الجمعية بافتتاح مدرسة ليلية للإسهام مع نادى المعلمين فى مشروعه الضخم الذى بدأه فى العام السابق ، ونقصد به مكافحة الأمية وتحرير العقول من ظلام الجهل ، كما أنشأت فعلاً مكتبة تضم أمهات الكتب ، القديم منها والجديد ، للقراءة والمطالعة ، كما أنشأت مكتبة أخرى لبيع الكتب ، وهى بسبيل جلب مطبعة ، وفتح مكتب تجارى للاستيراد .

وهذه البداية الحسنة لهذه الجمعية الإسلامية تبشر بخير كثير . وكل مانرجوه أن تتجه الجمعية إلى العمل المثمر لإصلاح المجتمع . فالإسلام دين اجتماعى بطبيعته ، قامت رسالته على توفير الخير والعدالة الاجتماعية للناس قاطبة ، فهو يختلف فى هذه الناحية عن الأديان الأخرى التى ليس لها رسالة تؤديها للمجتمع .

ولعل نجاح جمعية الإخوان المسلمين فى مصر وغيرها من البلاد الإسلامية ، مردود إلى أن رجالها كانوا أحراراً فى فهم الإسلام وتطبيقه ، فلم يتقيدوا إلا بالقرآن والأحاديث الصحيحة فقط ، كما كانت الحال فى الصدر الأول من الإسلام .

ويرأس هذه الجمعية فضيلة الشيخ يوسف بن عيسى القناعى . وهو يُعتبر الأب

الروحى لها . أما المراقب العام للجمعية فهو السيد عبد العزيز العلى المطوع ، وهو رجل يغلب على طبعه حب الخير والإصلاح . وفق الله الجمعية إلى سواء السبيل » .

* * *

والناظر فى قانون الجمعية يرى أن مناهجها وأهدافها كثيرة واسعة ، وتلك طبيعة الدعوات الإسلامية الحديثة ، لأن دعاة الفكرة الإسلامية الآن يؤمنون بأن الإسلام دين ودولة ، وعبادة وقيادة ، ومصحف وسيف ، ومسجد ومدرسة ، ومعبد وثكنة ، وأنه دين الاقتصاد والاجتماع والتربية والثقافة والرياضة ؛ ولذلك نراهم كلما أرادوا أن يضعوا لجماعة منهاجا حاولوا استقصاء هـذه النواحى ، لتكون موضوع اهتمامهم ومدار نشاطهم .

ويظهر أن جمعية الإرشاد قد أدركت هذا الاتساع فى منهاجها ، فحاولت جاهدة أن تعمل من أجله ، فنراها مثلا كونت لجنة للدعوة ، ولجنة للرياضة ، ولجنة للجوالة ، ولجنة للمساعدات ، ولجنة للصحافة ، ولجنة للبر والخدمات الاجتماعية . . . إلخ . ونظمت كذلك محاضرات الثلاثاء التى يلقيها فى الغالب بعض مبعوثى الأزهر الشريف إلى الـكويت ، وكذلك عظات تلقى فى مختلف المساجد بعد صلاة الجمعة ، وذلك بخلاف الندوات والاحتفالات التى تقام فى المواسم الدينية ومتعدد المناسبات .

وقد أصدرت الجمعية أخيراً مجلة شهرية سمتها (الإرشاد) كاسم الجمعية ، وفى النية أن تصدر مجلة إسلامية أسبوعية جامعة ، وهى مع هذا تصدر نشرات مختلفة فى مناسبات متباينة ، كما أنه فى النية بناء دار كبيرة للجمعية على قطعة أرض أخذتها من حكومة الـكويت . . .

ومع عدم النسيان للجهود المتعددة التى يؤديها أعضاء ظاهرون ومستترون فى جمعية الإرشاد تستطيع أن تدرك أن السيد عبد العزيز العلى قد أعطى الجمعية من اهتمامه نصيباً كبيرا ، ووقف عليها الـكثير من معونته المادية والأدبية[1] .

---

(١) نشر السيد عبد العزيز رسالة فى تفسير سورة العصر ، وقدم لها رئيس جمعية علماء الجزائر سماحة الشيخ البشير الإبراهيمى ، وكان مما قال : « وولدنا المسلم القرآنى الشيخ عبد العزيز العلى المطوع القناعى الـكويتى رجل مسلم ، سليم الفطرة متين التدين صحيح العقيدة ، صليب العروبة ، نعده من مفاخر هذا الجيل ، وأثبتهم صبغة فى التمسك بدينه والغيرة عليه والوفاء للقرآن ، تلاوة لفظه =

والإقبال على الاشتراك فى الجمعية يتزايد حينا بعد حين، وهذا أمر طبيعى، لأن البيئة إسلامية متدينة محافظة، فظهور دعوة دينية بينها لابد أن يقابل بالاستجابة والإقبال.

ومن السهل عليك أن تشبه جمعية الإرشاد الإسلامية فى الكويت بأى جمعية إسلامية من الجماعات الدينية فى مصر، فرسالتها إسلامية تجديدية معتدلة.

النادى الثقافى القومى

لا جدال فى أن الأمة العربية أمة عظيمة مجيدة، استطاعت فى ظلال الإسلام وتحت لواء الإيمان أن تسيطر على أغلب العالم وتقوده قرونا من الزمان، وتجلت فيها خلال ذلك مواهبُ وعبقريات فى ميادين السياسة والعلم والفن والأدب، وقد أقبلت الفرقة مع الترف مع زينة الحياة فعصفت بأركان ذلك المجد الشامخ والعز الباذخ، ورأى العرب الليالى السُّود بعد أن طعموا كئوس العز والسؤدد فى الأيام البيض، ونهض للعرب خصوم وأعداء، حين ركدت ريحهم وضعفت شوكتهم وضاعت دولتهم، فأخذوا يحطمون الروح العربية فى نفوس أبنائها بمختلف الوسائل والأساليب، ثم عرف العرب أخيرا أن من واجبهم أن ينهضوا ويستردوا مجدهم الغارب، وذلك بإحياء القومية العربية فى صدور الأفراد والجماعات، ومن هنا نشأت منظمات فى بلاد عربية كثيرة تعمل لتلك الفكرة بطرق مختلفة.

وأخيرا رأى بعض الشباب فى الكويت — ممن تعلموا خارجها غالبا، واختلطوا بدعاة القومية أو تأثروا بهم — أن يتابعوا هذه المنظمات، أو ينسجوا على منوالها، فأنشئوا لذلك النادى الثقافى القومى بالكويت...

ولقد بدأ النادى الدعوة إلى الانتساب إليه فى أواخر عام ١٩٥٢، فأصدر بتاريخ ١٥ نوفمبر سنة ١٩٥٢م نداء بعنوان (أيها المواطن) ونصه:

« لقد فتح النادى الثقافى القومى بابه ليستقبل الراغبين فى الانتساب إليه ممن

= وتدبراً لمعانيه، والدعوة إلى الحق به، والعمل على نشره والتشجيع على فهمه، والصلة بعلمائه، والشدة على خصومه والمنافرين له، وهو مع ذلك رحيب أفق التفكير، سديد النظرة، حاضر الذهن صافى القريحة، وقد تضافرت هذه العوامل على توفير حظه من فهم القرآن، وعلى تزويده بملكة أهلته لأن يطارح العلماء فهمه، فيسبقهم فى بعض الأحيان إلى اكتشاف نكته وغرائبه..» إلخ.
هذا بعض ماقاله سماحة الشيخ البشير الإبراهيمى، من مقدمة علمية للرسالة بلغت تسع صفحات.

تتوق نفوسهم لخدمة أبناء قومهم خدمة صادقة منبثقة من عقيدتهم وإيمانهم ، وذلك عن طريق الثقافة الحقة والتوجيه السليم ، مع العناية بكل ما يزيد النفس سمواً والجسم نمواً ، ولا نظنك أيها المواطن المتلهف للخدمة الاجتماعية والتعاون فى كل ما يفيد أمتك العربية العظيمة إلا مسرعا لهذه الدعوة ملبيا هذا النداء ، لنسير معك قدما نحو السعادة والمجد .

فتقدم إلى النادى الثقافى القومى ، واطلب الانتساب إليه ، وليكن طلبك موجها إلى أمين سره » .

وقد استأجر النادى له داراً فى الجهة الشرقية من مدينة الكويت ، فى شارع دسمان بالقرب من مسجد الرومى ، وهى دار ملائمة لنادٍ بادىء ، ولكنها ضيقة ، وليس فيها ساحة للمحاضرات والاجتماعات العامة . ولذلك يعقد النادى بعض هذه الاجتماعات والمحاضرات فى غير داره ؛ والواجب أن تتهيأ للنادى دار كبيرة فسيحة ، حتى يتمكن أفراده من أداء رسالتهم القومية العربية على الوجه الصحيح القويم . . .

وقد أسندت الرياسة الشرفية للنادى إلى سمو الشيخ عبد الله المبارك الصباح رئيس دائرة الأمن العام والرئيس الشرفى للنادى الأهلى [1] ، وكثير من أعضاء النادى الثقافى أعضاء من قبل فى النادى الأهلى ؛ والأعضاء المؤسسون للنادى الثقافى هم الأساتذة أحمد زين السقاف ناظر المدرسة الشرقية ، والدكتور أحمد الخطيب الطبيب بالمستشفى الأميرى ، ويوسف إبراهيم الغانم خريج كلية التجارة بجامعة القاهرة والتاجر بالكويت، وعبد الله الصانع مدير إدارة التسجيل بالبلدية ، ويوسف مشارى الحسن الموظف بالبلدية ، وعبد الرزاق البصير الأديب الكويتى ، وعبد الله أحمد حسين سكرتير البلدية ؛ وغيرهم .

وفكرة النادى كما عرفنا فكرة ثقافية قومية عربية ، والاتجاه المسيطر عليه اتجاه عربى ، حتى لقد تستأثر العناية بالناحية القومية العربية بأغلب النشاط فيه ، مما يجعل التمايز ظاهرا بين أهداف النادى وأهداف غيره من الهيئات .

وقد أصدر النادى عقيب افتتاحه مجلة شهرية باسم (الإيمان) يعبر فيها عن آرائه

---

(١) انظر صورته ص ٣١١ من هذا الكتاب .

ونزعاته القومية ، كما نظم بعض المحاضرات التى تتصل أو تقترب من أهدافه ، وفى نية أعضائه الاشتراك فى مكافحة الأمية بين الكبار ، كما فعل نادى المعلمين ؛ وكما تفعل جمعية الإرشاد الإسلامية .

وللنادى قانون مطبوع يتحدث عن الغرض من إنشائه وهو إحياء القومية العربية والاعتزاز بها ، والعمل على تمكين العرب من حقوقهم ومواريثهم ، ولذلك لا يشترك فى النادى بحكم القانون إلا عربى . والمقرر أيضاً أن الاشتغال بالأمور السياسية محرَّم على الأعضاء .

وتتكون أموال النادى من اشتراكات الأعضاء وإيرادات المجلة والحفلات — إذا وجدت — وتبرعات الحكومة أو بعض الدوائر ؛ وقد تبرعت دائرة المعارف للنادى بمبلغ خمسة عشر ألف روبية ، كما تبرعت بمثل ذلك للنادى الأهلى ونادى المعلمين وجمعية الإرشاد . وهناك أيضاً منحة شهرية من دائرة المعارف قدرها ألفا روبية لإخراج مجلة النادى ، مثلما تفعل مع مجلة الرائد .

ومن الأعضاء الذين يظهر منهم التحمس لفكرة النادى والنشاط فيه الأستاذان أحمد زين السقاف وعبد الله أحمد حسين والدكتور أحمد الخطيب ؛ ومن أبرز المسائل التى يعمل من أجلها الأعضاء محاربة الهجرة غير العربية إلى الكويت ، والدعوة إلى قصر الثمار العربية على الأيدى العربية ، ولا يمانعون فى هجرة العربى ، لأن بلاد العرب للعرب ، والعربى أخ للعربى حيثما كانا .

وتستطيع أن تشبه النادى الثقافى القومى فى الكويت بالاتحاد العربى فى مصر .

وإذا كان للمخلص من رجاء فى هذا المقام فهو أن يرجو القائمين على أمر هذا النادى أن يحسنوا — قولا وعملا — القضاء على الفكرة الذائعة التى تقول إن العمل للقومية العربية يؤدى إلى إهمال العقيدة الإسلامية أو تعويقها . نعم يجب أن يقضى على هذه النزعة قبل أن تشتد وتستفحل فتكون لها أسوأ العواقب .

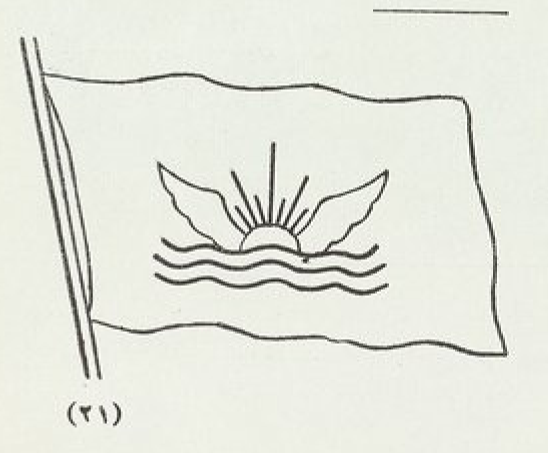
إن من الميسور ، بل من الواجب ، أن نجمع بين اعتزازنا بعقيدتنا وديننا وأخلاقنا وآدابنا الإسلامية وأخوتنا الإيمانية ، وبين اعتزازنا بقوميتنا ووطنيتنا وأمجاد بلادنا ؛ بل لعل تثبيت قواعد الإيمان فى النفوس أول ما يؤدى إلى تثبيت دعائم القومية الكريمة والوطنية السليمة فى القلوب والعقول ... أليس الدين دعوة ؟

ألا تحتاج الدعوة إلى دعاة ؟ ألا يلزم لهؤلاء الدعاةوطن ؟ أيمكن أن يسير الدعاة في دعوتهم وهم مستعبَدون أو مستذلون ، أو فقراء أو متفرقون ؟ ... أليس معنى هذا أن الإيمان يستلزم عزة الأوطان ؟... ألم يكن طبيعيا بعد هذا أن يرد الأثر الحكيم « حب الوطن من الإيمان » ؟!...

ألم يرو الحاكم في المستدرك : « حب العرب إيمان ، وبغضهم نفاق » ؟... ألم يرو الطبراني في الأوسط : « حب قريش إيمان ، وبغضهم كفر ، وحب العرب إيمان ، وبغضهم كفر ، فمن أحب العرب فقد أحبني ، ومن أبغض العرب فقد أبغضني» ؟!..

إذن فلندع إلى القومية العربية ، ولنعمل على إحياء المفاخر العربية ، والأخلاق العربية ، التي باركها الإسلام وزكاها ؛ ولنثر في نفوس العرب كل حوافز الجهاد ودوافع المجد وعوامل العظمة ؛ وليتلاءم ذلك الدعاء ويتواءم مع تثبيت الإيمان والاعتقاد في نفوس الأفراد ، فلا حياة بلا عقيدة ، ولا جهاد بلا إيمان . وصدق الشاعر حين قال : « إن الحياة عقيدة وجهاد » ! ...

إن النادي الثقافي القومي هو الهيئة الكويتية التي خصصت لنفسها وجهة معينة متميزة تعمل لها وتُعرف بها ، وتعيُّنُ الطريق يجعله ملحوظا من الجميع بعين المراقبة والمحاسبة ، وظني أن الفريق من شباب الكويت الذي أسس النادي الثقافي وعكف على رسالته سيقدر هذا ، ويتذكره وهو يخطو خطواته التي نرجو لها أن تكون موفقة دائما ، وأن تكون مسدَّدة نحو الغاية الكريمة التي نطمح إليها جميعاً ، وهي تحرير بلاد العروبة من كل قيد ، وإعزاز أهليها في كل جانب ، حتى يكونوا اليوم — كما كانوا بالأمس — طليعة المجاهدين من أجل الإيمان والسلام .



هـذا علم مقترح لإمارة الكويت ، بدل العلم الحالي ، وهو عبارة عن قطعة قماش حمراء كتب عليها (كويت) .



مصر والكويت ... سمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح ، وقد استظل — أثناء زيارته لمصر — بشعار الثورة ... النسر المجنح رمز السمو والقوة ، والمبادئ الثلاثة : الاتحاد ، والنظام ، والعمل !

التيارات المختلفة فى الكويت

لو قيل لرجل لم يعرف أحوال الكويت الداخلية إنه يوجد فى هذه الإمارة العربية المسلمة تيارات اجتماعية وفكرية مختلفة ؛ لعجب من ذلك وتوقف فى قبوله ، لأنه يسمع أن عدد السكان فى هذه الإمارة لا يتجاوز مائتى ألف نسمة ، ورقعتها الكلية غير فسيحة بالنسبة إلى غيرها من الدول ، والمعمور من هذه الرقعة أضيق وأضيق ، وأهل الكويت فى حاضرهم جملة قبائل متعارفة متآلفة ، مرتبطة بصلات القرابة أو المصاهرة أو الصداقة ، وهم فى ماضيهم ونشأتهم قبيلة واحدة هى (آل صباح) مع أتباعها ؛ ولكن الواقع أن الكويت تشتمل الآن على أربعة تيارات مختلفة ، إذا لم تتضافر الأيدى على جمعها ، أو التوفيق بينها ، أو توزيع اختصاصها وميادينها ، مع التلاقى على مبادئ الوطنية والأخوة ، فإن الجهود تضيع ، والأيادى تتفرق ، والعزائم تتضارب ، والأشخاص تتحارب .

ويكاد الباحث يقرر أن هذه التيارات لم تبعثها البيئة وحدها ، ولا النهضة المعاصرة وحدها ، ولا المخالَفة إلى الألوان الثقافية الداخلية والخارجية وحدها ، بل لعل هناك مع ذلك أو قبل ذلك أيادى قريبة تحرص على ذلك الابتعاث ، وتغذيه بالوقود والجهود ، تأثراً بغرض أو خضوعاً لمرض أو طمعاً فى عرض ؛ ولعل هناك مع ذلك أو بعد ذلك أيادى غريبة يهمها دائماً وأبداً أن تفتعل أمثال هذه التيارات ، وأن تسهر على تغذيتها وتنميتها ، وأن تدأب على تأريث الجذوات المتقدة بينها ، لتضمن بقاء الجهد موزعاً ، والشمل مفرقاً ، والخلاف محققاً ، ولكى تضرب كلاً من هذه التيارات بالبقية ، فيثور من احتدام الصدام غبار ينشر سجف الظلام ، فيصيد من يريد فى الماء العكر ، ويطمن من يشاء فى ظلمات الليل ، ويغنم من يهوى فى غفوة القوم عن عزة الوحدة وقوة الاجتماع .

فى الكويت تيارات أربعة ، وكل مجتمع لا بد من أن تكون فيه تيارات ، وأن تتعدد بين أبنائه أفكار وخواطر ، وكل مجتمع ناهض بعد فترة هدوء تظهر فيه التيارات أكثر من سواه ، ولا يضير الكويت — كما لا يضير أى مجتمع آخر

أن تظهر فيه تيارات وأن تكثر ، ولـكن المهم اللازم أن يكون ، هو أن تستظل هذه التيارات كلها داخل الوطن الواحد وبين الأمة الواحدة بظلال الإخلاص والتعاون والتـكافل والإخاء ؛ أما أن تتخذ التياراتُ شكل الـكتائب التى تقف كل كتيبة منها فى ناحية ، وتصف نفسها بالصلاح والإصلاح دون سواها ، وتقذف غيرها بما يسوله لها سوء ظنها أو سوء نيتها ، فذلك ما ننزه الـكويت العربية الأصيلة عنه ، وذلك ما نُجلُّ أبناء الـكويت العقلاء الألباء أن يقربوه ، بَلْهَ أن يصروا عليه . . .

ثم يجب أن نتذكر — وأن نتذكر باستمرار واعتبار — أن مجموعة لا تتجاوز مائتى ألف لا تطيق تناحراً ولا تشاجراً ، ولا اختلافاً أو اعتسافاً ، ولا تفرقاً أو تشققاً ، ولا تعدداً فى المذاهب والنزعات والأهواء الاجتماعية أو الفردية . . . فهذا العدد أو ضعفه يمكن أن نجمعه فى مدينة من المدن الـكبرى ، فلا تضيق بهم ، فليس أمامنا إذن إلا أن نعتبر هذا العدد أسرة كبيرة تفرعت وتشعبت ، ولـكن الأصل واحد ، والجذور متقاربة ومتلاقية ، فيجب أن يعيش أفرادها إخوة متحابين ، بل أشقاء متحدين . . .

فى الـكويت تيارات أربعة . . . هناك تيار الفـكرة الإسلامية ، وتيار القومية العربية ، وتيار المصلحة الإقليمية ، وتيار النزعة الإنسانية . . . أما التيار الأول وهو تيار الفـكرة الإسلامية فيرى أهلوه ومعتنقوه أن الإسلام هو قارورة الدواء ومضخة الإطفاء ودستور الهناء ، ولذلك يمسون ويصبحون فى الحديث عن الإسلام ، والدعوة إليه والتحريض على التمسك به وتطبيق مبادئه ... وأما تيار القومية العربية فيقول أعضاؤه إن بلاد العرب يجب أن تـكون وقفاً على العرب ، وإن الأمة العربية كانت أمة عظيمة عبقرية قبل الإسلام وبعد الإسلام ، وأنه لولا العرب ما انتشر الإسلام (!) ، وأنه يجب أن تنهض الأمة العربية نهضتها ، فلا تسمح لدخيل مهما كان لونه أو عقيدته أن يحتل جزءاً من أرض العرب ، أو يشاركهم لوناً من ألوان خيراتهم وثمراتهم ، حتى لو تستر هذا الدخيل بستار الإسلام وأخوة الإيمان . . .

وأما تيار المصلحة القومية فأهلوه يقولون : نحن أمة محدودة ووطن صغير ، وإمكانياتنا قليلة ، وإن بدت اليوم — مؤقتا — جليلة ، وفينا من العيوب ما يحتاج إلى إصلاح ، وفينا من الثغرات ما يحتاج إلى ترميم وتعمير ، فلنبدأ بأنفسنا ، ولنشغلها

بوطننا ، ولنرح أنفسنا من التوغل فى ميادين أوسع من طاقتنا وأكبر من قدرتنا ... إن خير الكويت يجب أن يكون لأبناء الكويت ، يجب أن يكون موقوفا عليهم خاصا بهم ، لا يشاركهم فيه متعللون بجيرة ، أو متظاهرون بقومية ، أو مخادعون بعقيدة . . . ولو وقفنا خيرات الكويت على أبناء الكويت لاستنفدوها ، ولم يبق منها شىء ذا بال . . .

وأما تيار النزعة الإنسانية فأنصاره يقولون إننا نعيش اليوم فى عالم واحد ، وإن القوميات والنزعات الإقليمية والوطنية والطائفية والجنسية والعَقدية قد أخذت فى التقلص والزوال ، فيجب أن نصرف اهتمامنا إلى إحياء المنازع الإنسانية الصافية فى الفرد ، ويجب أن نخلقه (مواطنا) لا صاحب وطن ولا جندىّ عقيدة ، وبذلك يتعاون (المواطن) أو (المساكن) مع بقية المقيمين أو النزلاء على رفع مستوى الحياة ، حتى يعيش الجميع عيشة راغدة راضية . . .

ولكل من الطوائف الأربع فنون وشجون من الحديث ، قد تلمح القليل منها ظاهرا باديا ، وتسمع عن الكثير منها مستترا متخفيا ؛ وليس من الخير هنا أن نشغل أنفسنا بتحديد الذوات والصفات ، أو تعيين الزمان والمكان ، كما أنه لا حاجة إلى أن نقارن بين هذه التيارات الأربعة ، لنعرف أيها أقوى وأهدى ، لأنه يوجد وراء ذلك ما هو أهم لدينا وأجل ، وهو إيضاح معالم السبيل القويمة التى يجب أن يتبعها أولئك الأشقّاء ، فيستفيدوا من خير كل تيار ، ويتجنبوا ما قد يكون فى فكرته أو طريقته من شرار .

إنه يجب علينا أن نعتز بالإسلام عقيدة وعملا ، لأنه الأساس والعماد ، ولأنه الضابط الأمين للبلاد والعباد ، ولأننا لم نأخذ مكاننا الملحوظ تحت الشمس إلا ونحن مستظلون بلواء ذلك الإسلام ، ويجب على دعاة هذا الإسلام أن يحسنوا الدعوة إليه ، فلا يثيروا أحقادا ، ولا يبتعثوا عصبية ، ولا يهضموا العروبة حقها لتبيان عظمة الإسلام ، فإنه من الميسور — بل من الواجب — أن تظهر عظمة الإسلام ومعها عظمة حملته الأولين وهم العرب ، وحسبهم شرفا أن الله اختارهم ليكونوا طليعة المؤمنين به ، الداعين إليه ، المعتزين بعزته ، المسيطرين على الناس بحكمته . . .

ويجب أن نعتز بالقومية العربية ، لنقضى حق الأوطان كما قضينا من قبل حق الإيمان ، ويجب أن نملأ صدور شبابنا وأبنائنا بمحامد آبائهم ومفاخر أجدادهم ، ولكن هذا لا يعنى أن تستأثر هذه النجويات التاريخية بقلوبهم وعقولهم ، أو أن تستبد النزعة القومية العنصرية بإسلاميتهم أو إنسانيتهم ، بل يعنى أن تكون الحركة القومية حوافز داخلية فى الوطن العربى ، لتحرير أبنائه واستيقاظهم واسترداد مكانتهم السامية بين الشعوب . ومن المفروض على أنصار ذلك التيار أن يحسنوا الدعوة إليه ، فلا يثيروا عداوة بين فكرتهم وبين العقيدة المكينة فى الأفكار والأفئدة ...

ويجب أن يكون خيرنا لأنفسنا أولا ، لا على معنى الأثرة المطلقة وحب الذات الأعمى ، ولا على معنى أن نغلق آذاننا دون نداء الخير ورجاء التعاون ، ولا على معنى أن نمزق بيننا وبين غيرنا أواصر القربى أو روابط الدم أو أسباب الزمالة ، لأنه إذا سيطرت علينا هذه النزعة الضيقة حُرمنا من خيرات مادية وأدبية كثيرة ، قد لا نقدرها اليوم قدرها ، ولكن الغد يكشف أثرها .

ويجب بعد هذا أن نكون إنسانيين ... نكون إنسانيين بعد أن نكون مؤمنين بالله رب العالمين ، بل لعل هذا الإيمان إذا تحقق وكمل يكون أقوى دافع لنا لنصير إنسانيين مثاليين ... ونكون إنسانيين بعد أن نعطى أوطاننا حقها من الرعاية والتمكين ... ونكون إنسانيين بعد أن نؤدى للعروبة حقها المبين ...

وبتعبير آخر يجب أن نكون عمليين مجمِّعين ، لا خياليين مفرِّقين ... نأخذ فى إصلاح أحوالنا وشئون إقليمنا ، متمسكين بديننا وعقائدنا وأخلاقنا ، متجاوبين مع أشقائنا العرب فى مشاعرهم وعواطفهم ، مؤثرين لهم على غيرهم من أعدائنا ، أو ممن يضمرون الشر لنا ، أو ممن يتربصون بنا الدوائر ، أو ممن يحاولون هضمنا فى بطونهم الجشعة الواسعة . ونفعل ذلك متعاونين أيضاً على غرس النزعات الإنسانية الصافية فى صدور الجيل العامل لوطنه ، المؤمن بربه ، الغيور على عروبته ، الذاكر أن كل فرد منه عضو فى مجموعة عالمية كبرى ، لن تسعد حق السعادة إلا إذا تلاقت صادقة ومخلصة على شرعة التعاون والإخاء ...

وقبل أن أترك هذه الناحية من نواحى الحديث أذكر أن هذه التيارات كانت حينما تتضارب تحز فى نفس العربى المسلم الغيور ، ويود لو ارتفع صوت محايد معتدل ،

يقول للقوم : ها هنا مجمع الطرق فتعالوا إليه متصافين . ولقد سألنى وسط العام الماضى من أعرف إخلاصه أن يكون لى فى هذا الموضوع كلمة ، فاستجبت للرغبة النبيلة بكلمتى التالية :

دينكم يدعوكم ياشباب !

سألتنى — وفقك الله للهدى ، وأعانك على التقوى — أن أذكر للشبيبة المسلمة والكتيبة المؤمنة كلمات توضع بين أيديهم ، وعلى مشهد من أبصارهم ، لتكون صوتاً مذكِّراً فيهم ، وسبباً واعظاً لهم . وليس أحب إلى قلب المؤمن ، ولا أجمل لدى نفس الموقن ، من الحديث عن الإسلام ، والحديث إلى شباب الإسلام ، فبين الإسلام والشباب ميثاق قديم ووفاق كريم ؛ بدت أنوار تلك الصِّلات فى مشرق الدعوة على بطاح مكة والمدينة وما حولها ، وتجلت ساطعةً فى غزوات الإيمان لأباطيل الكفران ، وفى مواطن البأس التى ثبت فيها شباب محمد ثباتَ الشُّم الرواسى ، سقط منهم شهيداً من سقط ، وحاز لواء النصر منهم من حاز ، فما ضاعت ذكرى السابقين ، ولا أصابَ الغرور نفوسَ الباقين ، بل ادّخر الله للماضين ثوابا كريماً وأجراً عظيما ، وأدام على الآخرين نعمة الرشاد فى دينه ، والعمل لوجهه ، والإخلاص لملته : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدَّلوا تبديلا ، ليجزى الله الصادقين بصدقهم ، ويعذب المنافقين إن شاء ، أو يتوب عليهم ، إن الله كان غفوراً رحيما » .

ولن ننسى للشباب فى تاريخ الإسلام تلك الصفحات التى سجلوها بمداد الحق ، ومواقف الصدق ، وتعليم الخلق ، حتى فى الأيام التى تعرضت فيها جماعات المسلمين للفرقة والضعف والهوان ، بسبب الخلاف والشقاق وتنافس الأقران ، فقد كان فى كل محلة وواد من أقطار الإسلام فتية آمنوا بربهم ، وزادهم ربهم هدى ، فكانوا يجاهدون ما استطاعوا ، ويدافعون الباطل ما قدروا ، ويستنهضون الهمم أينما وَجدوا حيلةً أو اهتدوا سبيلا . .

وفى عصرنا الحاضر يعلِّق رجال الإسلام ودعاته الأملَ الكبير والرجاء الواسع على الشباب ، لعلمهم أن الذين طعنوا فى السن ، ونبتوا فى أيام الظلمات ، وطعموا

من مائدة المذلة الماضية ، وشربوا من بحار الهوان الغامرة ، لا يصلحون لنهضة أو وثوب ؛ ولعلهم أن مجد الإسلام لا يرجع بصورته الكاملة الملائمة للحياة الواسعة العريضة ، على أيدى عقول مخرفة ، أوهمم بالية ، أو أرواح ملوثة ، أو نفوس جاهلة ، أو صدور منخوبة ، أو عزائم منهوبة ، أو أفكار ضيقة ، أو آمال محدودة .

وإنما يرجع إلينا المجد على صورته التامة الكاملة بأيدى شباب باعوا لله أنفسهم وأموالهم ، وأخلصوا لله مقاصدهم وأهدافهم ، وبنوا على الفتوة والقوة أجسامهم ، وعمروا بمختلف العلوم والمعارف والفنون عقولهم ، وسلحوا بمحامد الأخلاق وفضائل الخصال أرواحهم ، وفسحوا مطامعهم وآمالهم ، وبنوا على الدنيا الصالحة ، والدين الحق ، والإنسانية الرفيعة ، والعالمية السليمة ، مجتمعهم ؛ وما على الله بعزيز أن يبعث شبابَ محمد فى شباب القرن العشرين ، الذين يحيون اليوم فى بلاد المسلمين ! . .

يا شبيبة الإسلام ، ويا كتيبة السلام ، ويا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام . .

١ — دينكم دعوةٌ للعبادة والقيادة . . دين خشوع للواحد القهار ، وإباء على كل متكبر جبار . . دين صلاة وصوم ، وزكاة وحج ، وجهاد وكسب ، وتعمير واقتصاد ، وبذل وادخار . . دين الذين يعملون لدنياهم كأنهم يعيشون أبداً ، وكأنهم مخلدون لا يموتون أبداً ، ويعملون لآخرتهم كأنهم يموتون غدا ، فهم على أفضل الإعداد لدنياهم ، وهم على أفضل الاستعداد للقاء مولاهم : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

٢ — دينكم دين إصلاح وإتقان ، ومعروف وإحسان : فهو ينادى أنه لا يستحق الحياة من عاش لنفسه فقط ، وهو يدعونا أن نعمل فى دنيانا خيراً ما استطعنا ، كما يعمل هو سبحانه معنا الخيرَ على الدوام ، ويحذرنا أن نكون مفسدين فى الأرض ، ولو لابتغاء مصلحة نرتجيها : « وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين »

٣ — دينكم يشير إلى اتساع معنى العبادة فيه بمدلولها العام ، فعبادة الله حينما تعمُّ لا تقتصر على الفروض المحدودة كالصلاة والصيام ، والزكاة والحج ، بل تشمل بعدها — أو معها — كلَّ عمل صالح يعين على فائدة الفرد أو الجماعة ، ويشارك فى إسعاد العالم . مهما كان ذلك العمل قليلا أو ضئيلا ، وكم من شىء هين فى تقديرنا

أو موازيننا ، ولـكنه عند الله جليل كبير : « والله يضاعف لمن يشاء » ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » . ومن أمثلة العبادة العامة طلب العلم والتعليم ، والإرشاد والتوجيه ، والـكلمة الطيبة واللقاء المرحِّب ، والتحرز من الخنا والفحش ، والحرص على الفضيلة والطهر ، والتطوع فى ميادين الخدمة العامة ، وهى كثيرة لا يسهل حصرها هنا . . .

٤ — دينـكم يناديكم بأن تبدءوا بأنفسكم ، فالعضو الفاسد لا يصلح للاستعمال الذاتى ، فضلا عن عدم صلاحيته لمعونة الغير ، واللبنة التالفة لا يمكن أن تسد فراغاً فى البناء القوى الدائم ، وكذلك من لم يقوِّم نفسه لا يصلح لنفع نفسه ، ولن يصلح لإصلاح غيره ، فعليـكم أنفسـكم أولا ، فـكونوا فيها راشدين ، حتى تصيروا بذلك مفلحين ، فيمكنـكم أن تـكونوا فى تربة الدعوة فالحين ، ولغيركم من الأفراد والجماعات مصلحين ومرشدين : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » ، « بل الإنسان على نفسه بصيرة » ، « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هى المأوى » .

٥ — دينـكم يعلمـكم أن تصعدوا السلم درجات ، حتى لا تملوا ولا تضلوا : « إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق » . « إن الدين يسر ، ولن يشادَّ الدينَ أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة » . ويناديـكم أن تأتوا البيوت من أبوابها ، وأن تضعوا أولا أساساً تقيمون عليه جدرانَ بنائـكم الواسع الشاهق ، فلتبدءوا بعد أنفسـكم بأهليـكم وذوى قرباكم : « والأقربون أولى بالمعروف » . . . هم أولىَ بالمعروف تأديباً وتـكريماً ، والبيت المسلم ركن من أركان المجتمع المسلم ، ولو عنى كل عميد لأسرة بأسرته تربيةً وتهذيباً ، وأخذا بآداب الإسـلام وتعاليمه من أول الطريق ، فى حكمة وبصـيرة واعتدال ، لبرز المجتمع المسلم إلى الوجود قوياً علياً ، كأنه حلم جميل رائع ، يصير حقيقة مع ضوء النهار . . .

٦ — دينـكم جاء به محمد العربى ، عليه صلوات ربه العلىّ ، وكتابـكم هو القرآن العربى المبين ، وقبلتـكم هى مكة ، ومثوى رسولـكم فى المدينة ، ومشـاعركم وذكرياتـكم الإسلامية فى الجزيرة العربية ، وأبناؤها هم حملة هذا الدين الأولون ،

وناشروه السابقون بين العالمين ، وأغلب تراثكم الديني والعلمي والتاريخي والأدبي واللغوي بلغتهم ، فأحبوا العربية ، واحرصوا عليها من أجل قرآنكم وحديثكم ، واعتزوا بجزيرة العرب ، فإلى بقاعها المقدسة تهوى أفئدتكم ، وتتجه أبصاركم ، وتترامى نجواكم . وأحبوا العرب من قلوبكم ، فقد سبقت منهم اليد الطولى — تحت لواء الإسلام — إليكم ، ولا زال الأمل حائماً حول جموعهم ؛ وفي نهضتهم المستقيمة الراشدة المرتقبة نهضة للمسلمين ، وإعزاز لكلمة الإسلام بمشيئة الله ، فاستبْقُوا ما وثَّقته يد العلي الأعلى ، من وشائج التعاون والالتئام بين العروبة والإسلام . . .

٧ — دينكم ينهاكم بأجلى بيان وأوضح ترجمان عن الخلاف والشقاق ، فهما سمة الضعف والنفاق ، وقد جاء محمد مجمعاً لا موزعا ، وموحِّدا لا مبدِّدا : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » . والرب واحد ، والدين واحد ، والكتاب واحد ، والرسول واحد ، والقبلة واحدة ، والمبدأ واحد ، والمنتهى واحد : « ألا إلى الله تصير الأمور » ، « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » . فاخفضوا جمجمة الخلاف بعزة الاستمساك بالأصول ، وانصرفوا من الجدل إلى العمل ، والتفتوا من تكرار التساؤل عن العلة والسبب إلى دنيا الفضائل والنَّشب .

٨ — دينكم يجعل حبكم لأوطانكم جزءاً من إيمانكم ، ويدعوكم إلى أن تعتزوا ببلادكم وأقطاركم ، ولكل جماعة من المسلمين مصرٌ أو قطر ، قد عرفوه وألفوه ، والتزموه واحترموه ، فهم به يستمسكون ، وعليه يغارون ؛ ومن دواعي الاطمئنان والسلام أن تكون كل جماعة من هذه الجماعات آمنة في سربها ، حرة في ديارها ، معتزة بقوميتها ، متمكنة من حقوقها وواجباتها ؛ ودينكم يدعوكم إلى احترام هذه الحريات ، فلا عدوانَ لقوى على ضعيف ، ولا تطاولَ من مصر على مصر . . . ولكن الجميع رغم الحدود الإقليمية ، والأوضاع الداخلية ، والنظم القومية ، يلتقون على مبدأ الأخوة الإسلامية ، ويستظلون بظل الملة المحمدية ، ويشتركون في عز الخضوع للذات الإلهية وحدها . . . « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل ، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » .

٩ — دينكم ليس وقفاً على قوم دون قوم ، ولا على يوم دون يوم ، بل هو دين كل زمان ومكان ، هو دين الساعة ، وهو دين إلى قيام الساعة : « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون » . وما أرسل محمد لجماعة دون جماعة ، بل للدنيا بأسرها : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . فلا تنسوا بجوار مصالحكم الذاتية ، وحقوقكم القومية ، ما للإنسانية فى أعناقكم من أمانة التوجيه ، وتبعة الإصلاح ، وواجب العمل على إسعاد الناس جميعاً .

١٠ — دينكم ليس مالا يكنز ، وليس حلياً يدخر ، ولكنه حق مقسوم بينكم وبين غيركم من بنى البشر ، وقد أنعم الله عليكم إذ كتب لكم فضلَ السبق إليه ، فلا تقصروه عليكم ، بل أنفقوه لسواكم ، تزيدوا بذلك فى كمه وكيفه ، وليس الإنفاق منه بضائركم أو ضائره ، بل هو يزيدكم على الإنفاق غُنما ، ويزيد هو بالانتشار سيادة وقيادة ، ومن كتم الإسلام فهو طريد من رحمة الله : « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال : إننى من المسلمين » ؟ . .

يا فتية الإسلام ، هذه وصية الإسلام لى ولكم ، ولغيرى وغيركم ، فلنستعن الله فى فهمها على وجهها ، وفى أداء حقوقها ، وفى التوفيق لنيل ثوابها ، إنه أكرم مسئول وأفضل مأمول . . .

٢ — مهمة الشباب فى الأمة[1]

الشباب ربيع الحياة وزينة الدنيا ؛ وعهد الشبيبة هو العهد الملىء بالعزم القوى ، والأمل الفتى ، والرجاء الواسع ؛ وما من عمل عظيم عام تم وكمل فى تاريخ البشرية إلا وكان للشباب فيه دور من قريب أو من بعيد . . .

وكلما كان الشباب على صراط مستقيم من التوجيه وحسن الرعاية تضاعفَ الخير وتكاثر البر . . ومقارنة سريعة بين حال الشباب فى عهد الجاهلية ، وحالهم فى العهد الإسلامى الناضر تؤكد هذه الحقيقة ، وتجعلنا نصرف أكبر اهتمامنا إلى العناية بالشباب ، والحرص على تخريجهم أعمدة سليمة ثابتة للوطن العزيز . .

---

(١) وهذه كلمة أخرى كانت من وحى التيارات المختلفة . وقد أريد بها أيضاً جمع الشمل — وخاصة بين الشباب — على السبيل القاصدة الراشدة ، وقد نشرتها بالبعثة (ديسمبرسنة ١٩٥٣) .

لقد كان الشباب قبل الإسلام منصرفين فى أغلب أوقاتهم إلى مطالب أنفسهم ، ومواقع شهواتهم ، وأغلب همهم أن يكون لكل منهم زق من الخمر يسكر به ، ومجلس من مجالس الشراب يتحلل فيه من معانى الفضيلة والخير ، وقينة من قيان اللهو والإثم ليمحق بمخادنتها صوت الضمير المنادى بالعفة والشرف ، وسيف يبطش به محقا أو مبطلا ، وسامر يفزع إليه أثناء الليل ليقتل الفراغ بطريقة سيئة شوهاء ، ويعود إلى داره فى الهزيع الأخير من الليل محطما واهى القوى هامد الأعصاب ، ثم يستيقظ فى ضحى اليوم التالى ، وهو غير مستعد لحركة أو نشاط ، بسبب إسرافه فى الشراب والسهر والمجون . . .

وجاء الإسلام مجىء المنقذ من الهاوية ، والهادى من الضلال ، والمخرج من الحيرة . . وأقبل إقبال الفجر الوليد المجيد ، الذى يقطع ظلام الليل الطويل بنوره الوضاء ، وهتف فى شعاب الجزيرة ومسالكها : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » .. فإذا الحال غير الحال ، وإذا الرجال غير الرجال ، وإذا الرذيلة تنكمش وتتقلص ، حتى تأوى إلى جحورها الوبيئة ، وإذا الفضيلة تعلو وتسود ، حتى تصبح للناس شرعة ومنهاجا ، وإذا الخير يشيع ويذيع ، وإذا الشر يقل أو يضيع : « وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا » .

ولقد وجه رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام جانباً كبيراً من عنايته إلى الشباب ، يتطلبهم ويتحدث إليهم ، ويشرح صدورهم بنور الله العلى الأعلى ، ويحبيهم بالدعوة الزهراء والملة الغراء . ولقد استجاب له الكثيرون منهم سراعا ، وكانت الكتيبة الأولى لمحمد صلى الله عليه وسلم مزدانة بعدد كبير من الشباب ، الذين تقع أعمارهم بين العشرين والثلاثين . وعلى الرغم من صغر سنهم وقصر أعمارهم نراهم قاموا بأعمال الرجولة والبطولة خير قيام ، وخاصة فى الفترة العصيبة التى تعرضت فيها الدعوة الإسلامية ، وتعرض أهلوها معها كذلك ، لاختبار شديد ، وابتلاء عصيب ..

وما كان ذلك إلا لأن محمدا صلوات الله عليه وسلامه قد بنى حياة هؤلاء الشباب من جديد على أساس جديد . . . تركوا فيه السيف الباغى واتخذوا مكانه المصحف

الهادى . . . وطلقوا الخمر وأقبلوا على رحيق الدعاء والنجوى يعبون منه عبا ؛ وتركوا مخادنة النساء وأقبلوا على مصاحبة المساجد ، يتعبدون فيها لربهم ويتقربون ؛ وتركوا مجالس الشراب والمجون ، وألفوا حلقات العلم والفقه والتحصيل لنافع الدروس والآداب . . . وتركوا فلوات الصيد والقنص ، وأقبلوا على ميادين الجهاد والكفاح ، بعد أن سمعوا ربهم يعدهم خير الوعود ، ويبيعهم أفضل ما يباع حين يقول : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويُقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » .

واستقام الشباب على طريقتهم الواضحة المعتدلة ، وصنعوا لدينهم ولبلادهم، وللناس جميعا من المحامد والمفاخر ما شغل فم التاريخ ، ولا يزال له شاغلا ، وما جعلهم ريح الجنة ، كما ذكر الأثر الكريم .

وظل الشباب على ذلك ردحا طويلا من الزمان ، حين كان الإسلام قائدا ، وكان المسلمون سائدين أعزة فى الأرض ؛ فلما عصفت بهم أعاصير الأطماع والأهواء ، وتفرقوا فى الأرض شيعا وأحزابا ، وتنافسوا على العاجلة وفضلوها على الآجلة ، وانصرفوا عن ربهم إلى الناس ، وأقبلت عصور الظلمات وعهود الضعف ، أصيب الشباب بنكسة ارتدت بهم إلى مثل ما كانوا عليه فى الجاهلية ، أو أشد مما كانوا عليه فى بعض الأحيان أو فى بعض الأمكنة ، وأحس المصلحون بثقل النكبة وعظم البلوى ، فطالت منهم الشكوى ، وأهابوا بالشباب فى فترات كثيرة ومناسبات متلاحقة ، آملين أن ينقذ الله الشباب فى العالمين العربى والإسلامى مما هووا إليه من ضياع فى الأخلاق ، وفساد فى العقول ، وضعف فى العزائم . . .

وكأنى بالحق تبارك وتعالى قد تأذن بالاستجابة لآمال المصلحين وطويل رجائهم ، فبدأنا نرى شباب الإسلام يخوضون ميادين البطولة وساحات المكارم بالعزم الوطيد والحزم الأكيد ، وتلك بشرى نتلقاها بالتكريم والتمجيد .

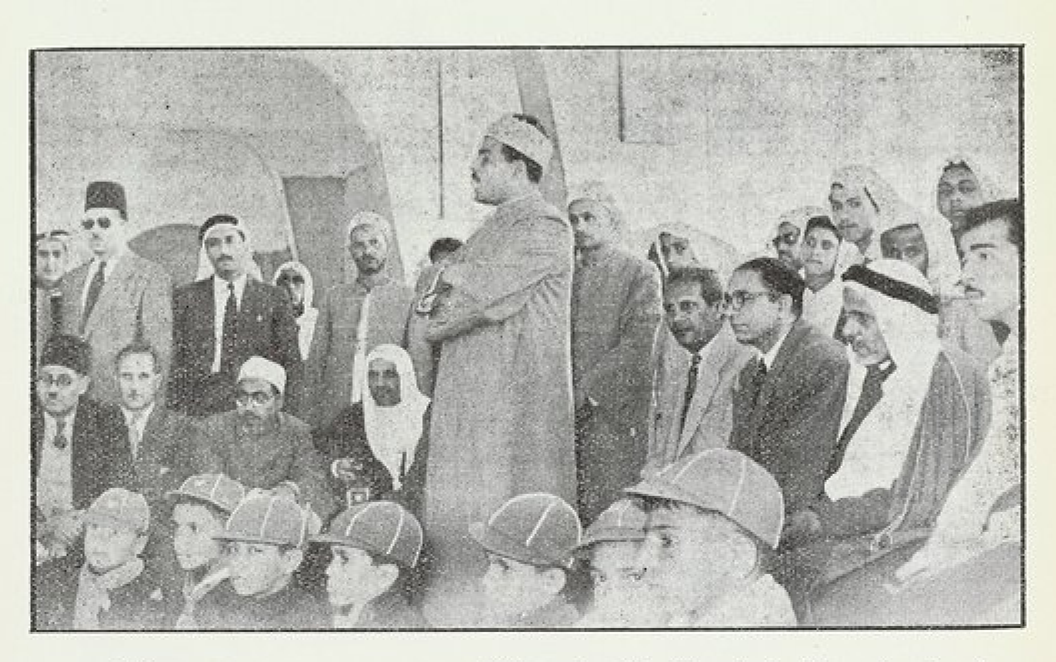
يا شباب الإسلام ، أنتم عماد المجتمع وسناده ، فتدرعوا لذلك بما يعاونكم على أداء مهمتكم الكبرى فى هذه الحياة . . .

اعمروا صدوركم أولا بالعقيدة القويمة ، والإيمان الثابت ، واليقين العميق ، ثم قوموا أجسامكم وأفهامكم بالقوة والرياضة والعلم النافع والعمل الصحيح ، فدينكم هو دين العلم والعلماء ، والله يقول : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

طهروا طباعكم واجعلوها عامرة بمحامد الشيم وفضائل الخصال ، فدينكم هو دين الأخلاق ، وإنما بُعث رسولكم ليتمم مكارم الأخلاق ، ثم سيروا نحو غاياتكم العالية ومطالبكم الرفيعة ، وتذكروا على الدوام أن الله معكم ، وأنه لا يُضيع أجر من أحسن عملا . . .

ويأتباع محمد عليه السلام فى كل مكان . . . إن ريح الجنة فى الشباب ، فافسحوا الطريق لهؤلاء الشباب . . .

أحمد الشرباصى



أحمد الشرباصى يخطب فى أحد الاحتفالات العامة بالكويت (يوم غرس الشجرة المصرية بالكويت الخميس ٩ إبريل سنة ١٩٥٣ فى الشويخ) وقد جلس أمامه أشبال الكويت ، ومن حوله أعضاء من البعثة الأزهرية وبعثة وزارة المعارف ، وبعض أبناء الكويت ...

الصحافة والأدب فى الـكويت

أصبح من الجليّ المسلّم به أن الصحافة تحتل فى كل مجتمع ناهض مكانة خطيرة جليلة ، لأنها فى لُبِّ رسالتها ومهمتها لسان الأمة الناطق، ورأيها العام المعبِّر، وصوتُ دفاعِها المطالب بحقوقها المذكر بواجباتها ، المؤيد لأنصارها المهاجم لأعدائها ، وكلما استوت الصحافة على هذه الطريقة السليمة الـكريمة كانت خيراتها أعم وثمراتها أقوم وشأنها أعظم .وكلما انحرفت عن هذه الرسالة لغرض أومرض تنكرت لمبادئها الأصيلة ، وقست عليها أحكام الناس ، وساءت بها الظنون . . .

وتتمثل الصحافة أول ما تتمثل بمعناها العرفى العام فى الصحيفة اليومية ، ثم فى المجلة الأسبوعية ، وخاصة إذا كانت إخبارية اجتماعية ، ثم فى المجلة الشهرية ، وخاصة إذا تابعت الأحداث واتصلت بحياة البيئة ، ثم فى النشرات والدوريات المختلفة الأحجام والمواعيد .

ولا يوجد فى الـكويت إلى اليوم الذى نسجل فيه هذا صحيفة يومية كويتية ، ولا مجلة أسبوعية ، وهذا نقص نؤمن بضرورة إزالته ، ونعتقد أن المستقبل القريب سيشهد ذلك بمشيئة الله تعالى ؛ وقد اتجهت الأفـكار والأبصار إلى وجوب وجود الصحيفة اليومية ، ومن ورائها المجلة الأسبوعية ، لأن الإمارة تحدث فيها أحداث ، وتحدث خارجها أحداث ، والرجل المثقف يحتاج إلى متابعة هذه الأحداث هنا وهناك أولا بأول ، ولا يقنعه — ولعله لا يتيسر له دائماً — الاستماع إلى مجالات الأنباء المذاعة من محطات الإذاعة المختلفة ، وخاصة أنه لا توجد وسيلة إذاعية ولا غير إذاعية للتحدث عن مختلف الأنباء الداخلية الـكويتية ، مع أن هذا التحدث يفيد كثيراً فى شئون التعليم والثقافة والأمن والصحة والاقتصاد ... إلخ .

وكذلك المجلة الأسبوعية ضرورة لازمة من ضرورات المجتمع ، مهما كان قليل العدد ، لأن الصحيفة اليومية قد لا تتسع للتحليل والاستعراض ، والمجلة الشهرية أو النشرة الدورية يبعد بها العهد عن كثير من الشئون والأمور ، فلا تسهل أمامها المتابعة والدراسة القريبة ، ولـكن الصحيفة الأسبوعية تستطيع ذلك ، فتـكون

وسطاً بين خبر الصحيفة اليومية وتحليل البحث الأدبي أو الاستعراض الفني . . .
ولن يبعد في رجائنا اليومُ الذي نرى فيه الصحيفة الكويتية اليومية ، والمجلات — ولا أقول المجلة الواحدة — الكويتية الأسبوعية .

والكويت الآن تعتمد في الصحافة اليومية والأسبوعية على مصر ولبنان والعراق، فالصحف اليومية المصرية كالأهرام والمصري والأخبار ، والمجلات الأسبوعية المصرية كروز اليوسف والدعوة ومجلات دار الهلال ، بل والمجلات الشهرية كمجلات المسلمون والشبان المسلمين والعالم العربي ، مقروءة في الكويت ؛ وهذه الصحف ترسل إلى الكويت بالطائرة ، وتصل بعد بضعة أيام من صدورها ، ما بين ثلاثة أيام إلى خمسة غالباً .

وتصل صحف لبنانية إلى الكويت يومياً ، وكذلك صحف عراقية ، ومن العجيب أنك تجد بعض هذه الصحف وفيها تاريخ اليوم التالي ليوم وصولها ، فكيف كان ذلك يا سادتنا الصحفيين ؟ . .

والكويت لا تألف الإعلان أو الدعاية التجارية أو الشخصية في الصحف والمجلات ، اللهم إلا في حالات فردية معروفة ، لها دوافعها أو لها ظروفها ؛ وقد تعرضت الإمارة في الفترة الأخيرة لحملة صحفية واسعة ، أُريد بها الاتساع في الدعاوة للاتساع في الانتفاع ؛ وقد فاز في ذلك كثيرون ، كما خاب كثيرون ، وبعض هؤلاء لا يحسن عرض بضاعته ولا أداء رسالته ، فيتعرض للاذع النقد ووجيع السخرية ، من أمام أو من وراء ؛ وأقرر حقيقة لا تشوبها مجاملة حين أقول إن حاكم الكويت الشيخ عبد الله السالم أزهد قومه في هذه الدعاية ؛ لأنه يرى أن بلاده لا تحتاج إليها ، فليس عندها محصولات فائضة تريد تصديرها وتوزيعها ، وليس عندها قضايا عامة معقدة تحتاج إلى الألسنة والأقلام ، فما شأنها وطول الدعاية ؟ .

ولقد اقترح بعض الصحفيين يوما على رجال الكويت الكبار القيام بعمل صحفي ناهض على الدعاوة ، وقدّر أصحاب الاقتراح لهذا العمل بضعة آلاف من الجنيهات !!.
واستطاع هؤلاء أن يأخذوا موافقة من بعض ولاة الأمور في الكويت ، بالرضا أو بالاستحياء ، واشترط هؤلاء الولاة ، كما هي العادة ، أن يرضى الشيخ الكبير — الحاكم — بذلك ، ولكن الحاكم حينما عُرض عليه الاقتراح رفضه

بصراحة وصرامة ، ولم يقبل الحوار حول تخفيض التكاليف ، ولو إلى خُمس المبلغ المطلوب . .

وهل أستطيع أن أهمس — بكل احترام وإكرام — فى أذن (صاحبة الجلالة) بأن بعض أهليها يجلبون عليها قسوة الأحكام أحيانا بسوء تصرفاتهم أو نبو حركاتهم؟ وأقسم ما أقصد الآن بذلك فرداً معيناً ولا جهة محددة ، ولكنى أهمس همسة وأذكر بقاعدة ؛ تلك القاعدة هى أن العاقل هو من أحسن التفكير ، ثم أحسن التدبير ، ثم أحسن التعبير ، ثم راعى مختلف الأمور ، ثم ترفع عن الدون الصغير ؛ ومن الممكن للصحفى أن يجمع بين حفظ الكرامة وحسن العمل وطيب المغنم ؛ وإلا فنخشى أن يتردد بشأنه ما قيل وكتب يوما : « أصحافة أم شحاذة » ! ؟ . . .

وإنى — والذى نفسى بيده — لناصح أمين ، ولست هنا بالناقد المهين ! . . .

***

وإذا كانت الكويت إلى اليوم لم تصدر صحفاً يومية ولا مجلات أسبوعية ، فقد عرفت الصحافة الشهرية ، أو قل الدورية ، إذ كانت هناك عقبات مختلفة تقوم فتعوق هذه الصحافة الشهرية عن الانتظام فى صدورها كل شهر عند موعدها الموقوت ، وبسبب هذه العواقب أو بعضها ظهرت مجلات كويتية وانقطعت ، فمنذ أربعين سنة صدرت مجلة (الكويت) لصاحبها المرحوم الشيخ عبد العزيز الرشيد ، ثم خبا ضوؤها بعده ، ويفكر ابنه الأستاذ يعقوب عبد العزيز الرشيد فى إعادة إصدارها ، وكذلك ظهرت مجلة (كاظمة) قبل سنوات وانقطعت ، ومجلة (البعث) ولم يمض عليها شهور حتى توقفت . . .

ويوجد الآن فى الكويت خمس مجلات شهرية مطبوعة هى : البعثة ، والرائد ، واليقظة ، والإيمان ، والإرشاد . وذلك بجوار مجلات مدرسية تصدرها مدارس البنين والبنات من حين لحين ، وتطبع على الآلة الكاتبة ، وتوزع فى نطاقها الداخلى ، كما تُصدر بعض المدارس أعداداً سنوية ، تستطيع أن تسميها مجلة ، وتستطيع أن تسميها كتابا دوريا سنويا لنشاط المدرسة ، وذلك كما فعلت مدرسة الصباح فى حوليتها (لؤلؤة الخليج) ، وكما فعلت المدرسة الشرقية فى مطبوعها عن نشاطها فى السنة الدراسية (١٩٥٣) ، وكما تفعل أو تتهيأ أن تفعل غير هاتين المدرستين .

وسنكتفى هنا بلمحات سريعة عن المجلات الشهرية الخمس ، وسيكون حديثنا عنها مرتبا على تاريخ صدورها ، ونأمل أن تتهيأ الفرصة القريبة للحديث عن صحيفة الكويت اليومية ، ومجلاتها الأسبوعية المتوقعة وشيكا إن شاء الله .

مجلة البعثة

صدرت هذه المجلة فى أوائل سنة ١٩٤٧م ، ويرجع الفضل فى إصدارها إلى الأستاذ عبد العزيز حسين الذى كان مشرفا حينئذ على بيت الكويت بمصر (مدير المعارف الآن) ؛ وكان إصدار هذه المجلة أملاً يساور خيالنا — هو وصاحب السطور — ونحن طلاب ، ونهضت عقبات شكلية أمام إصدارها ، ولكنها ذُللت فى النهاية ، وصدرت محدودة الصفحات ؛ شأن كل مشروع جديد ، يبدأ محدودا ثم يتسع ، وفضل الطليعة لا ينسى ؛ وتولى الأستاذ عبد العزيز تحرير المجلة وإصدارها حتى سفره إلى انجلترا ، ثم خلفه فى ذلك الأستاذ عبد الله زكريا الأنصارى إلى الآن ؛ وقاربت صفحاتها فى سنواتها الأولى أربعين صفحة ، ثم اتسعت طاقتها المادية ، فصار يصدر بعض أعدادها أخيرا فيما يقرب من التسعين صفحة . . . والبعثة تطبع فى مصر ، وكانت تطبع أولا فى مطبعة دار التأليف ، ثم انتقلت إلى مطبعة دار الكتاب العربى ، ثم انتقلت أخيرا إلى مطبعة دار المعارف ، وترسل أعدادها عقيب طبعها إلى الكويت بالطائرة ، ويبقى منها جانب ليوزع هدايا على الهيئات والأفراد بوساطة بيت الكويت ؛ والمقصود من البعثة — كسائر المجلات الكويتية — نشر الثقافة العامة ، لا الاستغلال أو الكسب ولذلك تُعان هذه المجلات من ولاة الأمر فى الكويت بما يهىء لها أسباب الصدور والانتظام ، وتباع النسخة من البعثة بثمن رمزى هو (ثمانية آنات — نصف روبية) أى بنحو خمسة وثلاثين مليما ، بينما لو كان المقصود الاستغلال لبيعت بأربعة أضعاف هذا الثمن على الأقل ، لأن ورقها جيد ، وصورها كثيرة ، وصفحاتها عديدة ، ونسخها قليلة ، وإعلاناتها نادرة ولا اعتماد للمجلة عليها .

وقد اتخذت (البعثة) لغلافها شعارا هو الشعلة مجاورةً لخريطة الكويت التى ثُبِّت فيها علم الكويت الأحمر ؛ وقد كتب تحت اسم المجلة عبارة : « نشرة إدارة بعثات الكويت الثقافية » . وكتابها من طلبة البعثات الكويتية فى مصر ، ومن

الأدباء المصريين ، وأعضاء البعثة الأزهرية وبعثة وزارة المعارف فى الكويت وغيرهم من المدرسين والأدباء ، وجميع كتابها متطوعون ، وأظن أن ذلك هو الشأن فى بقية المجلات ؛ وقد رافق مؤلفُ الكتاب (البعثة) منذ صدورها إلى الآن ، فواصل الكتابة فى جميع أعدادها إلا لعذر قاهر ... ولا أثنى على (البعثة) فى قليل أو كثير حين أقرر أنها تضم فى مجموعاتها المظاهر المختلفة لنهضة الكويت ؛ وفيما يلى أثبت من (البعثة) كلمتين مما يصور منزعها وهدفها[1] ، والأولى للمحرر الأول الأستاذ عبد العزيز حسين بعنوان (العمل للمستقبل) وقد نشرت بعدد ديسمبر سنة ١٩٤٩ ، والثانية للمحرر الثانى الأستاذ عبد الله زكريا بعنوان (توجيه) وقد نشرت بعدد مارس سنة ١٩٥٢ م :

١ — العمل للمستقبل

فى كل لحظة نحياها فى عالمنا هذا ، ننتفع بآثار وجهود من سبقنا من الناس ، وفى كل ابتكار نخرجه إلى عالم الوجود ، فإننا نقدم به خدمة إلى من سيخلفنا على هذه الأرض ، والإنسان إذ يعمل على خلق حياة أفضل من هذه التى يحياها ، فإنه يسهم بنصيب فى بناء الحضارة . . وليس عمر الفرد إلا لحظة طارئة من عمر الإنسانية ، ولكنها ربما كانت من اللحظات الفريدة التى قلما يجود بها الزمان ، عندما يقدم ذلك الفرد يداً جديدة تقفز بحضارتنا الإنسانية خطوة إلى الأمام . . .

إن الإنسان العادى يعيش فى دائرة ضيقة من نفسه المحصورة فى البحث عن متعه الخاصة وتوفير أسباب الحياة الرغيدة لها ... فإذا ارتقى اتسعت هذه الدائرة رويداً رويداً حتى شملت بيئته من أطرافها .. وإذا سمت بعد ذلك استوعبت الإنسانية جميعاً ..

وإن من سمات المصلحين والمبتكرين أن ينظروا فيما يقدمونه من عمل إلى المستقبل البعيد الذى قد يتجاوز أعمارهم المحدودة مئات السنين ، لا ينفسون على تلك الأمم التى ستليهم ماسوف تستمتع به من نتاج جهودهم ، وما سوف تجنيه من ثمار غرسهم . ولعل من أهم أسباب الاستمرار فى المحافظة على كيان الشعوب وحيويتها مدى القرون الطوال ، أن ينظر الرؤساء فيما يضعون من نظم إلى المستقبل البعيد

---

(١) يلاحظ أن الكلمات التى سنذكرها تعطى أيضا فكرة عن الحياة الأدبية فى الكويت .

لشعوبهم ، فهم لا يبنون للحاضر فحسب ، ولا يضعون الخطط لمتعة جيلهم الحالى فقط بل لأجيال كثيرة مقبلة تنتفع بهذه الجهود ، وعليها أن تضيف جهوداً جديدة لمن يليها من الأجيال . . .

هذه النظرة البعيدة التى توافرت لكبار المصلحين ، يجب أن تكون نصب أعيننا فى كل ما نقدمه من عمل عام ؛ ألا نحصر جهادنا لغاية قريبة ينتهى جهادنا ببلوغها ، بل علينا دائماً أن ننظر إلى الغايات البعيدة ونسعى إليها ، مدركين أن حياة الأمم القادمة ليست إلا امتداداً لحياتنا ، وأننا فيما نقدمه من جهود إنما نفى بعض الدين الذى علينا لمن سلف من الأمم . . .

وإن كل فئة من الناس تستطيع أن تعمل لهذه الغاية فى نطاقها الخاص ، إذا أدركت أنها تعيش فى مجتمع مترابط ، مصلحته من مصلحتها وضرره يصل إليها ، وأن من واجبها أن تمد فى حياة هذا المجتمع لكى يعيش عضواً له كرامته الإنسانية بين الشعوب الراقية . . . وسواء أكنا عمالا أو مربين أو تجاراً ، أو غير أولئك وهؤلاء ، فإن مجال الخدمات الإنسانية مفتح الأبواب أمامنا ، ويستطيع الواحد منا أن يغلق على نفسه أبواب عمله فيعيش ثم يذهب ، كما ذهب الكثيرون ، لم يتركوا للعالم شيئاً ، ولم يحفظ لهم العالم ذكراً ، كما يستطيع أن يحيا للحاضر وللمستقبل معاً ، ولنفسه وأمته معاً ، فيشحذ ملكاته وينمى مقدرته ، ويطمح إلى ماطمح إليه المصلحون قبله من وضع لبنة جديدة فى بناء مجد أمته . . .

٢ — توجيه

تجتاح شبابنا هذه الأيام أمواج من اليأس والتشاؤم ، وتنتابه نوبات عاطفية جارفة تنسيه كثيراً من الأناة والتفكير العميق ، وتسيطر عليه حالات تدفعه — فى كثير من الأحيان — إلى الكفر بالحقائق ، والجحود بالعقل ، فيختل التوازن ، وتتحطم قيود الأنظمة التى يجب أن تطبق ، وتضيع من بين يديه الفرص التى يجب استغلالها لخدمة الصالح العام . ولا شك أن الشباب إنما هو عماد الأمة ، وعليه يتوقف مستقبلها . فإذا ماضل الطريق القويم ، فلا أمل فى نجاح ، ولا رجاء فى خير .

ولما كانت البيئة لها تأثير مباشر فى تكوين الشباب ، وتهيئته حسبما يحيط به

من ظروف وأحوال ، وجب على القادة والمسئولين ومن بيدهم مقاليد الأمور أن يوجهوه الوجهة الصالحة ، وأن يرسموا له الجادة المستقيمة التى توصله إلى الهدف المطلوب ، والغاية المبتغاة . ولا شك أن القادة والمسئولين فى أى أمة من الأمم هم الذين يستطيعون أن يكيفوا الظروف والأحوال تكييفاً ملائماً لخلق جيل من الشباب حى مؤمن برسالة الحياة ، وبواجبات الوطن والأمة ، لأنهم يملكون من الوسائل والأسباب — سواء كانت مادية أو معنوية — مالا يملكه غيرهم من سواد الشعب ، وعامة الناس . بقى هناك سببان ، هما اللذان كما نعتقد يمكن وضعهما حجرا لأسس قوية متينة ينشأ عليها الجيل الحى المؤمن من الشباب ، ألا وهما الإخلاص والتضامن . فإذا ما أخلص المسؤلون والقادة ، وتضامنوا فيما بينهم على توجيه الشباب توجيهاً صالحاً ، وبذلوا كل ما يمكنهم بذله من تضحيات مادية ومعنوية ، فلا شك أنهم واصلون إلى النتائج التى يترتب عليها إيجاد أناس يدركون معنى الحياة ، ويشعرون بقدسيتها ، ويؤمنون إيماناً يدفعهم إلى الاعتماد الكلى عليها ، ويعملون فى وحى من الثقة التامة بأنفسهم على القيام بواجباتهم ، وما ينبغى عليهم تأديته من مسئوليات خير قيام ، حيث يتلاشى اليأس والتشاؤم ، وتنطفى شعلة العواطف الضالة الجارفة .

وإذا نظرنا إلى حالة شبابنا فى الكويت اليوم ، وجدنا أن التوجيه الصحيح وحده هو الذى ينقصهم . . . التوجيه فى الأخلاق ، والتوجيه فى العلم ؛ والتوجيه فى الثقة بالنفس ، والتوجيه فى حفظ الكرامة ، إلى غير ذلك من التوجيهات السامية التى تعد من العناصر الفعالة لإنهاضهم ، وانتشالهم من الخمول ، والحيلولة بينهم وبين اليأس القاتل . ونحن شعب وهبه الله حاكما صالحاً عادلا يحب الخير لكل مافيه الخير ، وثروة مادية تمكننا من القضاء على الجهل قضاء تاماً . وما دمنا نؤمن أن العلم هو الوسيلة لرقى الأمم ، فيجب علينا إذاً أن نوجه إليه كل ما نملك من جهود مادية ومعنوية ؛ وبالعلم وحده نستطيع أن نعرف الخلق القويم فنتخلق به ، وبالعلم ندرك أمراضنا الاجتماعية فنعمل على القضاء عليها ، وبالعلم نعرف المسئوليات الملقاة على عواتقنا ونعى الواجبات التى ستحاسبنا عليها الأجيال القادمة . وما دمنا فى المؤخرة من بقية الشعوب الناهضة ، يحتم علينا أن لا نترك فرصة من الفرص إلا ونغتنمها للعمل على

الوصول إلى ما وصلت إليه غيرنا من الشعوب الناهضة الحية ، « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم » .

مجلة الرائد

صدرت هذه المجلة فى مارس سنة ١٩٥٢ م ، وتصدرها لجنة الصحافة والنشر بنادى المعلمين بالكويت ، ومحرروها هم الفرسان الثلاثة الأساتذة حمد الرجيب وفهد الدويرى وأحمد العدوانى ، وهى كما جاء فى عنوانها (مجلة جامعة) ، وحجمها أقل فى سعة الصفحة من حجم (البعثة) ، وهى أشبه بمجلة (الكتاب) المصرية ، ولكن صفحاتها تزيد فى أغلب الأعداد على المئة ، وليس على غلافها رمز أو شعار بل كل ما هناك اسم النادى واللجنة ، وكلمة (الرائد) بالخط الديوانى ، ورقم العدد وتاريخه .

وهى تطبع منذ صدرت حتى الآن فى مطابع دار الكشاف ببيروت ، وتنقل إلى الكويت عقيب طبعها بالطائرة ، ويوزع جانب منها هدايا داخل الكويت وخارجها ، والباقى يباع ، وسعر العدد هو (عشر آنات) ، أى ما يقرب من خمسين مليما ، وترسل جملة أعداد منها إلى مصر بوساطة دار الكشاف مباشرة ، لتوزّع هدايا على بعض الأدباء والهيئات فى مصر بوساطة بيت الكويت ؛ ويلاحظ أن مادة الإعلان فى الرائد أوسع وأثبت منها فى غيرها ؛ ويقال فى معونة دائرة المعارف للرائد ، وفى اتجاهها إلى نشر الثقافة لا إلى الاستغلال ما قيل ويقال فى سواها من مجلات الكويت .. والرائد كما قيل مجلة كويتية الوطن عربية القومية إنسانية الهدف ، ولا يخلو عدد من أعدادها من جملة صور قد تزيد فى بعض الأعداد على الخمسين ، ويشترك فى تحريرها مع أسرة التحرير وأدباء الكويت عدد كبير من مبعوثى مصر والأزهر وغيرهم ، ولمؤلف الكتاب مقالات متتابعة فيها ، والمحررون متطوعون .

وقد سألت محررى الرائد : لماذا لا تطبعون مجلتكم فى مصر كالبعثة ؟ فأجابونى بأن الذين يطبعون البعثة مقيمون فى مصر ، وهى نشرة لبيت الكويت بمصر ، وهناك إجراءات طويلة لإخراج المطبوعات من مصر بسبب احتياطاتها الاقتصادية ، وبيروت أقرب مسافة إلى الكويت ، والطائرات بين البلدين يومية ، ولا يوجد فى بيروت القيود المفروضة على تصدير المطبوعات والورق كما فى مصر ! ! . . .

وفيما يلى نثبت نموذجاً من كلمات محرريها الافتتاحية ، ويمكن أن نجعل عنوانها : (القوالب الفكرية) وهى منشورة بعدد مايو سنة ١٩٥٣ :

القوالب الفكرية

للقوالب الفكرية حكم قاس جائر على العقل والمنطق ، لا يقلُّ ضراوة وقساوة عن تحكم القوالب اللفظية بذاكرة الكاتب أو الشاعر ، فلا يكاد المفكر يستعرض أمراً رأى استعراضه ، حتى تتساوق إلى عقله قوالب فكرية منحوتة ، فتحل ما أشكل عليه حسب طريقتها ! ! ويطمئن المفكر إلى ما فعلت ، ولا جرم ، فقد كفته مئونة التفكير وكدّ القريحة ، ويسرت عليه ما أعضل أمره .

هذه القوالب الفكرية التى تشغل حيزاً كبيراً من عقولنا ، وتتدسس فى أخص ملكاتنا الذاتية ، لاتلبث ، إذا أسلسنا لها القياد أن تسيطر على أذهاننا ، وتحيل رءوسنا إلى معارض تضم أشتاتاً من الأزياء الفكرية المتنافرة ، التى لا رابط بينها ولا ضابط لها ، وإنما هى نتف من الأفكار والخواطر ، قد استقرت فى عقولنا نتيجة لمطالعاتنا الشخصية ، ولم نحاول سبرها والتمعن فيها ، بل أخذناها على علاتها ، قضايا مسلمة ، فكلما عنّ لنا أن نفكر فى أمر مااستحضرنا منها قدراً كافياً ، نستعين به على هذا التفكير ، ولا يهمنا بعد ذلك أن نخطئ أو نصيب ، بقدر مايهمنا أن يتلاءم تفكيرنا مع القوالب الفكرية المحفوظة . وينتج عن ذلك ، أن كثيراً منا قد يفقدون الوحدة العامة فى أسلوب تفكيرهم ، فتراهم يقفون تجاه المسألة الواحدة فى الظروف المتشابهة مواقف متباينة ، يؤيدون حيناً وينكرون حيناً آخر ، وقد يتحامق بعضهم فيحرّم الشجرة ويحلل الثمرة ، وهكذا ، لأنه لايصدر فى تفكيره عن منبع ذاتى أصيل ، بل يعتمدّ بقوالب محفوظة ، أقربها إلى بيانه أسبقها إلى لسانه ، فيتورط من جراء ذلك فى متناقضات مضحكة .

إن التقدم البشرى خطوات متلاحقة من المعلوم إلى المجهول ، والقوالب الفكرية تعوق هذا التقدم المطرد ، لأنها تدور فى فلك معلوم محدد ، مهما بلغت من السمو والعلو .

وإذا كان لابد من النظر فى القوالب الفكرية فيجب أن ننظر إليها على أساس أنها تاريخ للفكر الإنسانى ، يصور المراحل التى قطعها فى الوصول إلى الحقائق ، لا على

أنها الحقائق نفسها ، لا تزيد ولا تنقص ؛ أما اعتماد المفكر الأصيل فيجب أن يكون على الفكر الواقعي المبدع — ونقصد به الفكر المنتزَع من صميم البيئة التي يعيش فيها المفكر — هذا الفكر الحي هو المستعان على التحضر والتمدين .

إن قوة الشخصية المفكرة ، ليست في استيعابها سجلّ الأفكار في كل عصر ومصر ، بل هي في كشف مجاهل جديدة لم يمتهدها فكر من قبل ، والأمر كله منوط بإرادة مستقلة تفرض ذاتها على كل شيء ، وتطبع كل مايصل إليها بطابعها الخاص ، وتحطم في سبيلها كل قيد يحدّ من انطلاقها إلى الآفاق الحرة والمشارف البعيدة .

وقصارى القول ، أنه يجب أن نحذر من طغيان القوالب الفكرية ؛ فقد ينتهي بها الأمر إلى إلغاء شخصياتنا إلغاء تاماً ، وقد تضغط علينا كالأغلال على السجين ، فتجعلنا أضحوكة للعالمين[1] .

مجلة اليقظة

مجلة اليقظة هي مجلة المدرسة المباركية الثانوية بالكويت ، وهي المجلة المدرسية الكويتية التي سبقت فظهرت مطبوعة ، ووزعت أعدادها داخل المدرسة وخارجها ؛ وقد صدرت في أوائل العام الدراسي (١٩٥٢ م) وصدرت منها أربعة أعداد ، وكان المفروض أو المأمول أن يصدر منها خلال هذا العام أكثر من ذلك ، ولكن يظهر أن العقبات المادية كانت تحول دون الانتظام والمتابعة في إصدارها ، ويضاف إلى ذلك عدم التفرغ لإصدارها ، فقد كان محرروها مدرسين مرهَقين بأعمالهم المدرسية ؛ وفي هذا العام الدراسي (١٩٥٣) تكونت لجنة لمواصلة إصدار (اليقظة) من الأساتذة : زكي سويلم وزهير الكرمي وعبد الله الدشلوطي ومؤلف الكتاب ؛ وكونت اللجنة جماعة للنشاط الصحفي في المباركية ، اشترك فيها الطلاب عبد الله إسماعيل محمد وسمير عبد الله الدشلوطي ومحمود إسماعيل عبد النبي[2] ، وعبد الحميد حسين الصايغ وعبد الحميد عبد الرازق البعيجان ونوري الكاظم وفاروق محمد البراق وسليمان محمد عبد الوهاب وعبد الله أمين وعلي رضوان وناصر بدر الرزوق ومحمد حمدان وداود سليمان وغازي محمد

(١) أغلب المجلات الكويتية تتوقف عن الصدور في شهري يوليه وأغسطس .

(٢) من السنة الرابعة .

أمين،[١] وأحمد دعيج وإبراهيم عبد العزيز وخالد عبد الله العصفور وعبد الكريم جواد إسماعيل وطالب الكاظمى وأحمد عبدالوهاب المرزوق[٢]، وعدنان عبد الرءوف العلمى وحمد على المؤمن ومحمد محمود على ، وعبد العزيز إسماعيل حمد وعبد الكريم اليعقوبى اليوسف وسليمان ماجد وأحمد النفيسى ومحمد صالح[٣] .

وقسمنا أبواب المجلة على هؤلاء الطلاب وهى البحوث الدينية والقصة ونقد الكتب والاجتماعيات والتراجم والأخبار والأحاديث والشعر والوصف والفكاهة . وكان المنتظر أن يظهر أول عدد فى أول نوفمبر سنة ١٩٥٣ ، ولكن المبلغ المعين للمجلة من دائرة المعارف لا يكفى لإصدارها ، وكان هناك اتصالات ومراجعات وتأجيلات ، فلم يظهر العدد إلا فى ديسمبر ، وكان من جراء هذه النواحى المادية أنه لم يظهر فى العام الدراسى إلا عدد آخر ، مع أنه كان يمكن إصدارها كل شهر ، والموضوعات كانت وفيرة كثيرة ، وقد طبع العدد الأول فى مطبعة الكويت ، ولكن لوحظ على الطبع عدة ملاحظات ، فطبع العدد الثانى فى بيروت ، والواجب فيما بعد أن تمهد كل السبل لانتظام صدور اليقظة ، لتكون منبراً لطلاب المدرسة الثانوية ، كما أنه يجب تشجيع المجلات المدرسية بكل أسلوب . . .

وقد اتخذت (اليقظة) لنفسها شعاراً على غلافها ، يتكون من درع جانباه قلم كتابة وريشة رسم ، وبداخل الدرع يظهر جمل واقف منتصب القوائم ، وعلى ظهره جناح طائر منشور ، وفوق الدرع والجمل قرص كالشمس تفيض منه الأشعة والنور ، وفوق الدرع بما فيه توجد كلمة (اليقظة) ، وقد كُتبت بحروف خطوطها مستقيمة على طريقة الخط الكوفى ؛ ونذكر فيما يلى كلمةً كتبتُها فى فلسفة ذلك الرسم ، وجعلتُ عنوانها : (شعار اليقظة) ، وقد نُشرتْ كلمتى هذه فى عدد ديسمبر من اليقظة ، كما نقلتْها عن اليقظة مجلة الشبان المسلمين ، وقدمت لها بمقدمة فى عدد إبريل سنة ١٩٥٣ ، وهذه هى الكلمة :

---

(١) من السنة الثالثة .
(٢) من السنة الثانية .
(٣) من السنة الأولى .

شعار اليقظة

يا طلاب (المباركية) ! . . . ويا أبناء (اليقظة) ! . .
يا فلذات القلوب ، وقطع الأكباد . . .

هذا شعار اليقظة ترونه أمامكم ، يجمع بين التصريح والتلميح ، والرمز والإشارة ، فهو يعبر حين يصور ، وينطق حين يرمز ، وأنتم الأذكياء الألباء ، يغنيكم القليل عن الكثير . . .

و (الشعار) فى الأصل كما يقول الراغب الأصفهانى فى كتابه : (مفردات القرآن) هو الثوب الذى يلى الجسد لمماسته الشعر ، والشعار أيضاً ما يُشعر به الإنسان نفسه فى الحرب ، أى يعلمها به . ولقد تعارف الكثيرون أخيراً على أن (الشعار) هو الشارة أو العلامة أو الرمز الذى يشير به الفرد أو الجماعة إلى العمل الخاص أو الرسالة الخاصة ، وقد يكون ذلك الشعار كلمة أو صورة أو رسماً واقعياً أو متخيلا . .

و (اليقظة) هى مجلة المدرسة المباركية الثانوية بالكويت — لؤلؤة الخليج — وهى اللسان الثقافى والصوت الأدبى لرجالها وأبنائها ، يدلى فيها الأساتذة بتوجيهاتهم وبحوثهم ، ويتدرب فيها الطلاب على ألوان الكتابة والتفكير ، ومن وراء ذلك التعاون العلمى بين الآباء والأبناء ينهض ركن من أركان النهضة المأمولة . .

تطلعْ إلى شعار اليقظة مرة أخرى ، وأنعم فيه النظر ... إن أول ما يسترعى بصرك فيه هو ذلك (الجمل) الوديع الأليف ، الهادئ الصبور ، المحكم الأعضاء ، الجلد الأطراف ، والجمل هو رفيق العربى منذ أعماق القدم السحيق ، وهو سفينة الصحراء ، وقطار الرمال ، طالما جاب أنحاء الجزيرة الوسيعة مشرّقا ومغربا ، ميامناً ومياسراً ، مصعداً ومنحدرا ، يلقى قيظها وهجيرها وسمومها ، كما يلقى قرها وصقيعها وصريرها ، لا يشكو ولا يتألم ، ولا يكل ولا يمل ، قد يظل الأيام المعدودة بلا طعام أو شراب ، وقد يكلف العسير من الأحمال والأثقال ، ويقوده الرجال أو الأطفال ، فلا يتأبى ولا يسأم . .

والجمل هنا يشير إلى الصبر ، ويرمز إلى قوة الاحتمال وطول المغالبة ، كما يذكر

بالبيئة والبقعة التى ننتسب إليها ، وهى صحراء الجزيرة التى طالما شهدت جلائل الأحداث وكبار الحوادث . .

ونحن نرى الجمل واقفاً قد انتصبت قوائمه ، وارتفع سنامه ، فما شأنه فى تلك الوقفة التى يهيىء لنا بها كأنه قائم من ضجعة ، أو ناهض من رقاد ، أو كأنه يتأهب للمسير ! ؟ . . إن الأمر كذلك . . لقد كان الجمل هاجعاً أو مضطجعاً ، ولم يكن ذلك هجوع الموت أو الهوان ، ولكنه رقاد المستجم المستريح بعد طول السرى ، ثم استيقظ الجمل بعد طول سبات ، وفتح عينيه على الدنيا من حوله ، فرأى أهلها يسرعون فى خطاهم نحو حياة جديدة قوية عامرة . . حتى صحراء الجمل الهادئة قد سعى إليها من أجاد استثمارها ظهرا وبطنا وسماء ، فهب الجمل واقفاً على قدميه ، متهيئاً للمسير ، وشد قوائمه لاستجماع قوته واستتمام نشاطه ، شأن من يعد نفسه لشوط طويل ورحلة عنيفة . .

ولكن ما شأن هذا الجناح فوق ظهره ؟ وما علاقة الجمل بالجناح وهو جزء من الطائر ؟.. لاتعجل بالاعتراض ، فالجناح هنا رمز وليس أمراً واقعياً ، إنه يرمز إلى السرعة التى تأهب لها الجمل وعزم عليها ، إنه يشير إلى أن الصبر لايتعارض مع السرعة ، فالصبر حكمة واحتمال ، والسرعة قوة فى الإنتاج ، وجد فى العمل . وكم من سريع فى عمله وإنتاجه يتحلى بخلق الصبر والثبات والمغالبة ، وكم من بطىء الخطا والحركة تثيره الكلمة وتستفزه الصغائر . . الخير كله فى أن نصبر صبرا جميلا ، ولكننا مع ذلك نعمل عملا جليلا ، وما أقرب الصبر من المصابرة حتى فى اللفظ . والصبر رشاد وسداد ، والمصابرة مغالبة وجهاد . .

إذن فليكن فوق سنام الجمل جناح ، وليكن ذلك الجناح منشوراً مستعليا ، لا ممدوداً مائلا ، فلا زلنا فى أول الرحلة ، والطائر حينما يهم بالطيران ينشر جناحه ، ويعليه إلى أقصى مايستطيع ، كأنه يستثنىء حسن استعداده ، ويجرب صلاحيته للاستعمال ، ثم ... ثم يكون الطيران ، ولعل مما يتسق مع هذا المعنى أنك ترى قوائم الجمل كذلك منتصبة مستقيمة تقريباً ، فهو على أهبة المسير ، ولكن فى حكمة مع مضاء !..

***

ثم ارجع البصر إلى الشعار مرة أخرى ، فماذا هناك غير الجمل يعلوه الجناح ؟.. ماهذه (الأشعة) التى تأتى من أعلى ، وتنبسط عن يمين وشمال حتى تغمر بيئة الجمل بالضياء والبهاء ؟ وما ذلك القرص الملوى الذى تستفيض منه تلك الأشعة ؟.. إنه شمس الوثبة الكبرى والنهضة الحاضرة ، وإنها أشعة اليقظة والوعى والتحرر والاستبصار . .

إنها أشعة الأمل التى انبعثت فى صدر كل فرد من أفراد الوطن العزيز الكريم ، فجعلته مؤمناً بالعهد الجديد ، عاملا للعصر المجيد ، متطلعاً بروح الإخلاص وحسن الظن إلى الغد البعيد ، فليسر الجمل الصبور ، بل ليطر إن استطاع ، فلن يخبط خبط عشواء ، ولن يسرى فى ليلة ظلماء ، بل سيسير على هدى من النور والضياء ، وسنمضى على بصيرة وصواب ، فلن نصطنع هذه الأشعة اصطناعا ، ولن نبتدعها ابتداعا ، وإنما سنستوحيها من الله واهب القوى والقدر أولا وقبل كل شىء ، ومن إيماننا بأنفسنا وحقوقنا ، ومن تمسكنا بقوميتنا وعزة أوطاننا ، ومن إخلاصنا لمبادئنا وعقائدنا ، ومن صفاء نياتنا لبنى جنسنا ، وسنعد لتلك الأشعة ينبوعين يفضيان على الدوام بالخير والبر ، وهما العلم والعمل ! . .

وى !.. ومن أين أقحمت هنا العلم والعمل ؟.. تمهل ولا تعجل يا صاحبى .. تلفت يمينا قليلا وانظر إلى الشعار ، لترى بعض الإطار مكونا من (قلم) ملوى ، ثم تلفت يساراً قليلا ، وانظر إلى الشعار ، لترى بعض الإطار مكوناً من (ريشة رسم) !. هذان هما الرمزان المشيران إلى العلم والعمل ، ولا إقحام هنا بل إحكام ..

(القلم) يشير إلى العلم ، لأن الكتابة — وهى باب القراءة أيضاً — أهم وسيلة من وسائل العلم ، و (الريشة) ترمز إلى العمل ، أو بتعبير آخر ترمز إلى (الفن) ، ويكاد الفن والعمل أن يكونا شيئاً واحداً ، لأن الفن تطبيق والعمل تنفيذ ، وهما متقاربان . وتستطيع أن تقول بأسلوب آخر إن العلم تفكير ، وإن الفن تعبير . أو إن العلم تقدير والفن تصوير ، أو إن العلم مجهود يقوم العقل بمعظمه ، والفن مجهود تقوم الحاسة بمعظمه ؛ وإن كنت فى الواقع لا تستطيع أن تفصل بين العلم والفن فصلا كاملا بأى حال من الأحوال !..

ثم لك أن تتساءل عن مجموع هذا الإطار الذى يضم بداخله الجمل والجناح والأشعة والقرص والقلم والريشة .. ماهو ؟ ولماذا اختير له ذلك التصميم ؟ .. لقد اختير للإطار شكل (الدرع) ، والدرع هو تلك الوقاية المتينة التى يضعها الفارس على جسمه لتقيه طعنات الأعداء وضربات الخصوم ، وكذلك نهضتنا تحتاج إلى درع ووقاية ، تحتاج إلى ما يصونها ويرعاها ، فلنجعل لها درعا من صبرنا واجتهادنا واستبصارنا وعلمنا وفننا وعملنا ، ولنخلص لهذه النهضة أفراداً وجماعات ، حتى نوطد دعائمها ، ونجنبها عوامل الزلزلة والاضطراب ، ونضمن لها عوامل الاستقرار والدوام . .

* * *

وإن شئت فارفع بصرك بعد هذا من الشعار إلى كلمة (اليقظة) التى كتبت فوقه ، وهى اسم مجلتك الناشئة الناهضة . أمعن النظر قليلا فى الكلمة ومعناها ومبناها . إنها (اليقظة) ، واليقظة تنبه ، وتلفت ، وحرص ، واليقظة نهوض ، وحركة ، وحياة ، ولذلك سمى النوم الموت الأصغر . .

ثم انظر إلى طريقة نطقها ، تجد فيها من حركات الفم واللسان ، وقلقلة الحروف وذبذبتها حين التلفظ بها ، ما يشعر — حتى فى التلفظ — بالاهتزاز والانتفاض ، والانبعاث من السكون إلى الحركة ، ومن الهدوء إلى الدوى ، ومن الركود والرقاد ، إلى الانطلاق والجهاد . .

ثم انظر إلى طريقة كتابتها ، إنها توحى بخطوطها الرأسية والأفقية المستقيمة فى أجزائها الهامة الكبرى كالألف واللام وقاعدة الياء مع القاف والظاء وألف الظاء نفسها ومقدم التاء المربوطة فى آخرها ، إنها توحى بهذه الخطوط وترمز باستقامتها غالبا إلى الاستقرار ، والاعتدال فى المسير ، والاستقامة على السبيل ، وهى لا تعنى الميل أو الاعوجاج حينما تنحنى عند الياء ، أو تدور عند القاف ، أو تنبعج عند الظاء ، أو تبدو مربعة عند التاء المربوطة ، بل لعل ذلك يرمز إلى ما تنشئه النهضة فى طرقها المستقيمة وسبلها المعتدلة من خلايا ومصالح وعمائر فهناك المدارس والمصانع والمعامل ومختلف المنشئات ، تبدو على جوانب الطريق الممتد — طريق النهضة المستقيم — فلا يكون لها معنى الانبعاج أو الاعوجاج ، بل يكون لها معنى الإثمار والإنتاج ، كما يبدو من الشجرة الخيرة حينما تثقلها الثمار الباهرة . .

تلك فلسفة شعار اليقظة ، وقد علمنا ، وبقى علينا أن نعمل ! ! . .

مجلة الإيمان

صدرت هذه المجلة فى أوائل هذا العام (١٩٥٣) وهى « مجلة شهرية ، لسان النادى الثقافى القومى بالكويت » ؛ وأسرة تحريرها مكونة من الأساتذة أحمد السقاف وأحمد الخطيب ويوسف إبراهيم الغانم ويوسف مشارى ؛ وقد جعلت لها اشترا كا سنوياً قدره (٦ روبيات فى الداخل) أى نحو نصف جنيه مصرى ، و (١٠ روبيات خارج الكويت) أى نحو ثمانين قرشاً مصرياً ، ويباع العدد بنحو نصف روبية ، أى بنحو خمسة وثلاثين مليما ، فلا يراد من المجلة الاستغلال ، بل نشر الفكرة التى تعمل المجلة والنادى من أجلها ، وهى فكرة القومية العربية ، ولذلك تجد أغلب الذين يكتبون فى (الإيمان) من دعاة هذه الفكرة الذين يتحمسون لها ويشغلون أنفسهم بها ، ولعل من مظاهر هذا التحمس تسمية المجلة باسم (الإيمان) ، ومن مظاهره أن أغلب المقالات — إن لم تكن جميعها — تدور حول هذه الفكرة أو تقرب منها ، ولذلك تستطيع — بسهولة — أن تقول إن مجلة الإيمان مجلة فكرة ومبدأ لا مجلة كتابة وإنشاء فقط .

وهى تطبع فى بيروت كالرائد ، ولكن مقاسها أقل قليلا من الرائد ، وصفحاتها أربع وستون صفحة ، وشعارها على غلافها هو خريطة العالم العربى داخل درع . والمجلة تأخذ إعانة شهرية من دائرة المعارف تساعدها على الصدور بانتظام .

وفيما يلى نثبت كلمة عنوانها « لمن ؟! » بقلم التحرير ، كنموذج لكتابة (الإيمان) وهى منشورة فى فاتحة العدد الخامس (عدد آيار سنة ١٩٥٣م) :

لمن ؟!

إن هذه المجلة التى كتبت كثيراً عن غلاء المعيشة ، وارتفاع إيجارات البيوت ، وعما تعانيه الطبقة الكادحة من شدة فى هذه الظروف ، قد استقبلت قرار إنشاء المراكز الخاصة بتسجيل العائلات المعوزة بالشىء الكثير من الارتياح ، واعتبرت هذا القرار خطوة نحو الاهتمام بالكادحين البائسين من أبناء هذه الإمارة ، رغم اعتقادها بأن توزيع النقود — وهو ما تمخض عنه المشروع — لا يعتبر حلاً سليما

لأزمة هؤلاء المحتاجين ، غير أن المبالغ التى خصصت للعائلات الكويتية المعوزة قد ذهب جلها وجل جلها إلى جيوب الأجانب ، ممن لا علاقة لهم مطلقاً بالعائلات الكويتية المحتاجة . وقد تفنن هؤلاء فى الحصول على شهادات العوز والاحتياج — إن صح أن تسمى خطاباتهم المذيلة بإمضاءات أثريائهم شهادات — كما تفننوا أيضاً فى التأثير على صغار الموظفين ممن عهد إليهم مهمة التسجيل ، فخرجوا من هذا المشروع بنصيب الأسد ، وحرم الكويتى من حق هو أولى الناس به ، وبقى يعانى الفاقة والعوز والاحتياج . ونحن ندرك تماماً أن أية جالية أجنبية لا يمكن أن تكون من المثالية بالدرجة التى تحول بينها وبين اصطياد المنافع حينما تلوح فرصة الاصطياد ، ولكننا فى الوقت نفسه ندرك أن شيئاً من الضبط والحزم واليقظة كفيل بأن يضع الأمور فى نصابها ، فليس من العقل ، ولا من المنطق ، ولا من حسن التصرف ، أن توزع مئات الألوف على قوم لا تربطهم بتربة هذه الدار أية رابطة . قوم همهم الوحيد مزاحمة الكويتى فى المجال الذى يجب أن ينتفع منه وحده[1] سواء أكان المجال مجال تجارة وبيع وشراء ، أم مجال أعمال عادية بسيطة ، ثم الإثراء السريع واقتناء العقارات من أراض وبيوت ودكاكين — وهى الأملاك التى لا يجوز أن يقتنيها أى أجنبى فى أية بلاد[2] ، وبعد ذلك تنكر مكشوف لكل تصرف يمكن أن تستفيد منه البلاد ، فالصدقات والزكوات مثلا لا تصرف على فقراء الكويت ، وإنما ترسل إلى حيث القلب والشعور والإحساس ، وتوزع هناك ! ! ! . وهى أموال عربية جمعت من هذا الساحل العربى الأصيل . . .

ومما يدعو للألم أن هؤلاء الذين اختطفوا اللقمة من فم الكويتى المعوز ليسوا بمعوزين ، ولا محتاجين لسيطرتهم على جميع الأعمال التى لا يستطيع الفقير من أبناء هذه البلاد منافستهم فيها ، وإشراك صغارهم وكبارهم ذكورهم وإناثهم فى الكسب ، وجلب النقود بشتى الطرق ومختلف الأساليب ، وهكذا ضاع المشروع رغم ضآلة

(١) وإذا كان الخير عميماً ، ولا بد للكويتى من مشارك ، فليشاركه أخوه العربى ، فالأقربون أولى بالمعروف (التحرير) .

(٢) وتعظم المصيبة حين نرى أن هذا الأجنبى تدفعه للتملك غايات بعيدة وآمال مخيفة ، ولذا نرى أن لا يسمح بتملك العقارات لغير أبناء العرب (التحرير) .

نفعه ، وأدرك المشرفون عليه — وهم من كرام القوم لا تنقصهم الوطنية ولا القومية — أن الكويتى المحتاج بقى فى مكانه محتاجاً ، وأن من تقدم من الكويتيين المحتاجين قليلون — بسبب الحياء والتعفف — ومع قلتهم حرموا من خير بلادهم ، وهم أولى الناس بالاستفادة من هذا الخير .

وبعد ، فإن لنا رأياً مخلصاً فى مشكلة ذوى العوز والحاجة يتلخص فى أمور : أولها وأهمها إعداد السكن الصحى لمن لا يملك من هؤلاء بيتاً للسكن ، كى لا يعيشوا مهددين بمطامع الملاكين ، وطمع هؤلاء لا يقف عند حد ، وأكثرهم لا يعترف بوجود شىء اسمه عطف أو رأفة أو إنسانية .

وثانيها تحديد الأسعار ، فلا يترك الحبل على الغارب فى بلد بلغ التضخم المالى فيها ذروته القصوى . وثالثها توفير ماء الشرب ، ليتسنى لهؤلاء الحصول عليه مجاناً . ورابعها إلغاء ثمن النور ، فلا تستوفى منهم إدارة الكهرباء شيئاً . وخامسها — وهو لا يقل عن الأول أهمية — توفير العمل وجزالة الأجر .

هذه هى الأمور المجدية لتحسين حال الكادحين البائسين ممن يعانون اليوم شدة وضنكا . أما توزيع النقود فى حال كهذه الحال ، فإنه لا يحل جزءاً من المشكلة ، ولن يكون هناك داع بعد تطبيق ما تقدم لتوزيع النقود على المعوزين والمحتاجين ، إلا إذا كانوا من المقعدين والعجزة ، ممن لا يمكن استخدامهم فى أى عمل من الأعمال .

مجلة الإرشاد

صدرت مجلة الإرشاد أخيراً ، فى شهر ذى القعدة سنة ١٣٧٢هـ (آب سنة ١٩٥٣م) وهى تصدر عن لجنة الصحافة والنشر بجمعية الإرشاد الإسلامية ، والمفهوم أنها لسان الجمعية ، وإن كتب على غلافها عبارة : « مجلة عربية إسلامية تصدر مرة كل شهر » ؛ وهى تطبع أيضاً فى بيروت ، ومقاسها مقاس مجلة (الإيمان) ، ولكنها تبلغ ثمانين صفحة ، ومجموع المقالات فيها يتميز بالطابع الإسلامى والصبغة الدينية المجددة ، والمجلة آخذة فى إصدار ملحقات لها تطبع فى مصر ، وشعارها هو خريطة العالم الإسلامى ملونة باللون الأخضر الدال على الأمل والرجاء ، وقد افتتح العدد الأول منها سماحة الشيخ محمد البشير الإبراهيمى بكلمة مسهبة قال فيها : « وهذه صحيفة أخرى من

صحائف الأبرار ، تدعو إن شاء الله على بصيرة ، وتظاهر أخواتها المتفرقات فى العالم الإسلامى اللواتى سبقتها إلى الدعوة إلى الله ، والجهاد فى سبيله ، ونشر دينه الحق ، ونشر سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، كصحيفة (البصائر) فى الجزائر ، ومجلتى (الدعوة) و (المسلمون) فى مصر ، ومجلة (الأخوة الإسلامية) فى بغداد ، فهذه هى الصحائف التى رفعت الصوت بالحق ، فى زمن عم فيه الباطل ، وبثت النور فى أفق غمره الظلام ، وأن عسى أن يكون لها من مجلة (الإرشاد) ولىٌّ ونصير ؛ ومنجد وظهير » .

وفيما يلى كلمتان نقدمهما نموذجا لـكتابة المجلة ؛ الأولى بعنوان (مناعة الأمة) للسيد عبد العزيز العلى المراقب العام لجمعية الإرشاد الإسلامية ، والقائم على أمر المجلة ؛ والثانية بعنوان : (ماذا نريد ؟) بقلم الأستاذ خالد أحمد الجسار القاضى الـكويتى ؛ وهما منشورتان فى العدد الأول :

١ — مناعة الأمة

أرأيت إلى المخلوقات ، ما يغوص منها فى المـاء ، وما يطير فى السماء ، وما يدب على الأرض ؟ . لقد حباها الله منعة فجهزها جميعاً بسلاح تدفع به عنها فتك الأعداء ، وتجاهد فى حفظ البقاء ؟!.

ومثل الإنسان فى ذلك مثل هذه الحيوانات ، جهزه الله لا بناب أو برثن أو غيره من أسباب الامتناع والدفاع ، بل بالذى هو أعز قدراً وأعظم شـأناً ، لقد وهبه الله أسلحة أمضاها العقل ، وأحفظها لـكيانه الخلق ؛ ولولا هذه الأسلحة لأتى على هذا الـكائن الحدثان ، ولانقرض كـكثير من الحيوان .

ومثل الأمة فى ذيادها عن كيانها مثل الأفراد ، لأنهم مادتها وقوامها ، يستوى خلقها فتسمو ، ويثلم فتنهار ، وما أكثر الأمثلة على انهيار أمم ، وانطماس حضارات ، بانحلال الخلق وشيوع الفساد .

إن أسمى ما نعتز به من تراث هو هذا الخلق المتين المتحدر من أصلاب الأجداد ، وهو أقوى مناعة لنهضتنا المتوثبة إلى الأمام ، فإذا ما أصيب هذا الخلق بالانثلام فقل على الأمة وجلال تراثها العفاء . ولقد بدأت جراثيم الفســاد تنفث سمومها ،

لتضعف المناعة وتصدع الكيان ، ممثلةً فى هذا الخليط المختلف المشارب والألوان ، والمتضارب النزعات والآراء .

فما هذا العرى الجسدى يتخطر فى الطرقات وسواحل البحر ؟ . . . وما هذا التسول تتعاطاه فتيات جميلات أجنبيات ووراءه ما وراءه ؟ . . . وأين هى شرطة الأخلاق لتراقب ما يدور هنا وهناك ؟ . . . ثم أين هى قوة الحدود لتحمى البلاد من هذا الفساد ؟ . . .

كل أولئك وقائع ترجو العلاج السريع بعزم قوى ، قبل أن يستفحل الداء ، وتبلغ السكين العظم ، ولات ساعة مندم .

٢ — ماذا نريد ؟

١ — الناس اليوم منقسمون إلى أفكار متباينة وآراء متضاربة تجاه هذه الدعوة المباركة ، وهكذا كان شأن الأمم يوم أن كانت رسالات الله تهبط عليها من السماء لهدايتها وجمع شملها وتوحيد كلمتها .

ودعوتنا اليوم صدى لدعوة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وما سارت دعوته آمنة مطمئنة ، بل ناوأها المشركون ، ووقف أمامها الظالمون ؛ ولكن لابد للسيل المنهمر الدافق أن يجرى فى بطن الوادى ، ويكتسح ما جمعته الرياح الهوج من خشاش الأرض .

والمسلمون اليوم لا يقلون حيرة وارتيابا كماً أمام الدعوات الصالحة عما سبقهم من الأمم ، يوم أن كانت مترددة أمام دعوة أنبيائها . ناوأ المشركون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفاً على عقيدتهم التى وجدوا عليها الآباء والأجداد ، أو زعامة ظالمة غاشمة يزول ظلها يوم أن تبسط الدعوة شريعتها العادلة بين أفراد الأمة وصفوف الشعب . وهكذا من يوم أن قام المصلحون ودعاة الإصلاح فى الأرض لابد أن تقف دونهم العقبات ، وتختلف نحوهم الآراء فترة من الزمن ، ولا بد للباطل أن يستسلم للحق ، والحق أحق أن يتبع ، يحق الله الحق من الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً .

إن مسلمى اليوم قد دانت عقولهم وأرواحهم ومشاعرهم للمادة الصماء . إنها عبادة المادة التى لا تقف عند حد ، فارتكب المسلمون اليوم شتى أنواع الربا ، وأطاحوا

برأس كل فضيلة ، وهتكوا الأستار ، ولولا بقية إيمان فى قلب أحدهم لقال لماله وهو يشاهده وقد اكتظت به صناديقه : « لولا التقى لقلت جلت قدرته » .

هذا مرض من أمراض المسلمين اليوم ، ولا ننسى الخليفة الذى اكتسح التتر بلاده ، واستولوا على ملكه ، حتى إذا وقع فى يد (جانكيزخان) واطلع على ما يملك من كثرة المال مما تنوء بحمله البغال قال جانكيز : عجيب أمر هذا الخليفة ، ضحى ببلاده وشعبه وهو يملك هذه الثروة الضخمة التى لا تقدر ، إنه لا يستحق الحياة . فأمر بقتله فقتل . واستطاعت الصهيونية أن تجمع فى ليلة واحدة فى شيكاغو خمسين مليوناً من الدولارات ، كدفعة أولى مساهمة فى إنشاء وطنهم القومى كما يزعمون ، لكن المسلمين اليوم جعلوا المادة معبوداً لا يضحى به ، وغاية متى أدركت فهى غاية الغايات ومنتهى الأمانى .

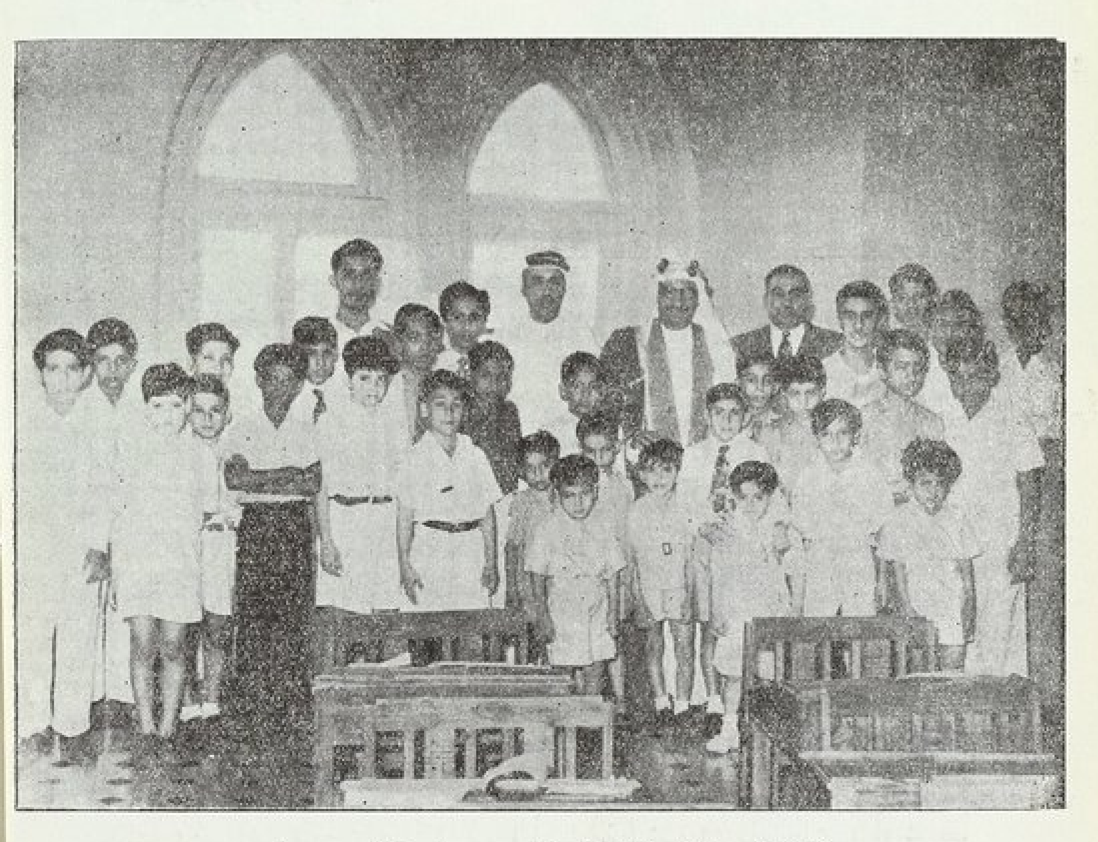
٢ — استخفاف الشباب برسالة الإسلام وإيمانهم برسالة أوربا ، هذا نوع من المرض جديد دخل على أبناء المسلمين من يوم أن دخل الغربيون بلادهم ، وبثوا أنواع الإرساليات وشتى الدعايات المسممة لعقول الشباب ، وأكثر ضحايا هذا التبشير هم الشباب من الجنسين ، وما استطاعت هذه الإرساليات التبشيرية أن تنسخ العقيدة ، ولكنها استطاعت أن تجعل القلوب فارغة تلعب بها الأهواء ، ويعشعش فيها الإلحاد ، ويوم أن سئل أحد المبشرين فى الهند عما وصل إليه فى رسالته التبشيرية قال : ما استطعنا أن نضع العقيدة مكان العقيدة ، ولكن استطعنا أن نسلب منهم عقيدتهم ، وكفى بذلك ما نريد .

وتختلف هذه الإرساليات بأساليبها التبشيرية ، ولكن تتحد فى الهدف والغاية ، وتلعب هذه الإرساليات دوراً هاماً فى قلب كيان الإسلام ، والمسلمون عنها غافلون ، فكانت النتيجة سيئة والعاقبة وخيمة .

والإسلام فى نظر شباب اليوم (موضة) قديمة يجب أن لا يبقى له أى أثر ، وصحابة رسول الله فى نظر بعض شباب اليوم ظلمة جبابرة لا تعرف الديمقراطية إلى قلبهم سبيلا ، والإسلام ثوب يزرى بصاحبه . لماذا ؟ لأن المبشرين قالوا وأذاعوا ذلك لضحاياهم ، فأنت تسمع كل يوم (أسطوانة) تعيد لك ما سجلت ، أو شريطاً سيلقى عليك ما أودع فيه من كلام . هذا هو أمر المبشرين من أبناء المسلمين ، والأب

يألم لمرض ابنه ، ولكنه لا يحرك ساكناً إذا ما انحرف ابنه عن طريق الله الذى رسمه له الإسلام .

نريد من المسلمين أن يفهموا الإسلام كما نزل ، وكما فهمه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا لا يتجزأ . نريد من المسلمين أن يجعلوا المال وسيلة لا غاية ، ويتخذوا منه سلاحاً قوياً لصيانة دينهم وعقيدتهم وأوطانهم . نريد من المسلمين أن يعدوا أبناءهم إعداداً سليما ، وأن ينشئوهم تنشئة صالحة ، ويربوهم تربية إسلامية سليمة . نريد من المسلمين بعد ذلك أن يعرفوا مكانتهم بين الأمم اليوم .



تلاميذ المدرسة العربية الكويتية فى بومبي عاصمة الهند ، وبينهم
سمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح رئيس معارف الكويت

المؤلف يسأل .. والأمراء يجيبون

صاحب البيت أدرى بما فيه ، وهو أحق الناس بالحديث عنه ؛ ولذلك وجهت فى أوائل يونيه سنة ١٩٥٣ إلى ثلاثة كبار من أمراء الكويت طائفةً من الأسئلة تدور حول الإمارة ونهضتها وصلتها بالعالم العربى ؛ وقد تفضل كل منهم بالإجابة شخصياً عما وجهته إليه من أسئلة ، كما تفضلوا بتوقيع هذه الأجوبة المكتوبة ، مما يدل على لطيف العناية ، ومما يستوجب الشكران ؛ وهأنذا أثبت فيما يلى إجابات الأمراء(١) عن أسئلتى ؛ وفيها تصوير دقيق لحال الإمارة اليوم وغداً :

إجابة سمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح

س ١ — فى الكويت نهضة تعليمية كبرى ، فما هى الأسس التى وضعتموها لسياسة هذا التعليم من ناحية المنهج ، والمدرّس ، والمدرسة ، والكتاب ، ومستقبل المتعلمين ؟ .

ج ١ — نهضة الكويت التعليمية — كما تفضلتم — نهضة كبرى بالنسبة إلى الكويت ، والأسس التى وضعناها لسياسة هذا التعليم من نواحى المنهج والمدرس والمدرسة والكتاب هى الاقتداء بالأم الكبرى (مصر) . أما مستقبل المتعلمين فراجع إلى المتعلم نفسه ؛ فإن كان مبعوثاً فيخدم لدى الحكومة حتى تنتهى مدته ، ثم هو حر ، وإلا فحسب رغبته وحريته .

س ٢ — يرى بعض الناس أن بعثات الكويت إلى الخارج قد زادت عن المطلوب ، فما هو مبلغ هذا الرأى من الصحة ؟ .

ج ٢ — لم تزد بعثاتنا إلى الخارج عن المطلوب ، والدليل على ذلك حاجتنا الملحة إلى المعلمين ، ثم هناك مشروعات لتأسيس مدارس صناعية وكليات تجارية ومدارس إضافية وجامعة علمية ، وليس عندنا من يقوم بأشغال هذه المدارس كلها ، لهذا فنحن لا نزال بحاجة شديدة إلى بعثات جديدة إلى الخارج ، ولا أعيِّن جهة لهذه البعثات التى تطلب العلم على اختلاف أنواعه : ثقافياً وصناعياً وفنياً .

---

(١) نثبتها بتسلسل حصولنا عليها .

س ٣ — تعليم الفتاة أمر يحتمه الدين والوطن ؛ فما هى الخطوات التى بذلتموها لتعليم الفتاة فى الكويت ؟ . وهل قابلكم فى ذلك صعوبات ؟ . وما هو مستقبل تعليم الفتاة الكويتية ؟ .

ج ٣ — لدينا فى الكويت مدارس كثيرة للفتاة الكويتية ، وقد بلغت الدراسة فيها إلى الصف الأول الثانوى ، وربما فى العام الدراسى القادم يتعداه إلى الصف الثانى الثانوى ، ونحن قد بذلنا جهدنا فى تعليم الفتاة الكويتية ، ولم نلاق من فضل الله وكرمه صعوبات فى ذلك ، إلا مسألة واحدة هى مسألة الزواج المبكر الذى يقطع مواصلة دراسة الفتاة فى مراحل تعليمها .

أما مستقبل تعليم الفتاة فى الكويت فأرجو أن يكون خيراً من ماضيه ؛ كما يبشرنا بذلك الواقع .

س ٤ — يلاحظ أن جمهور التلاميذ يحسون بفراغ طويل أثناء العطلة الصيفية ، وليس فى البيئة ما يشجع على قضاء الفراغ فيما يوسع المدارك ؛ فهل فى النية توسيع استغلال الفراغ عند هؤلاء التلاميذ فيما ينفعهم جسميا وعقلياً واجتماعياً وأخلاقياً ؟ .

ج ٤ — نحن نحس مع التلاميذ بالفراغ الطويل أثناء العطلة الصيفية ، إذ ليس هناك ما يشجع على قضائه كما تفضلتم . وقد رأينا إجابة طلب بعض التلاميذ الذين أرادوا جعل مدارسهم نوادى فى أثناء العطلة هذا العام . ولعلنا فى الأعوام المقبلة نتوصل إلى استغلال هذا الفراغ فيما ينفع هؤلاء التلاميذ من جميع النواحى أو بعضها .

س ٥ — يلاحظ أن التأليف فى الكويت قليل أو معدوم ، فهل فى النية إيجاد الوسائل الدافعة أو المشجعة للعلماء والكتاب والشعراء على طبع ثمار عقولهم ؟ .

ج ٥ — التأليف فى الكويت موجود بصفة نادرة ، والمؤلفون لا يريدون الظهور ، كما هى العادة فى الكويتيين منذ القدم . وإن المعارف قد اتخذت وسائل مشجعة ، بأن تكرم المؤلف الذى يريد طبع ثمرة عقله ، أو بالمساهمة فى طبع كتابه .

س ٦ — للقوانين المكتوبة قيمة كبيرة فى تنظيم العمل وإراحة الرؤساء ، فهل للمعارف والمحاكم والأوقاف قوانين مكتوبة ؟ . وإذا لم تكن هناك قوانين مكتوبة ، فهل فى النية تحقيق ذلك قريباً ؟ .

ج ٦ — قانون المحاكم كتاب الله ، وقد مشينا فى تنفيذ الأحكام على (مجلة الأحكام العدلية) المشهورة ؛ وما لم يوجد فى المجلة فالحكم فيه على مذهب الإمام مالك رحمه الله وفى المحاكمة أيضاً قوانين عرفية ، جرت عليها العادة فى الأعمال البحرية بين الغواصين ذوى سفن السفر البعيد ؛ المعروفين لدينا (بأهل السفر) . كما يوجد لدينا قانون تجارى ، أغلبه مأخوذ من مواد شرعية ، وللمعارف والأوقاف قانونان أساسيان ، لم تحدَّد موادُّهما بعد ، إذ أنهما لا يزالان قابلين للزيادة حسب مجرى الحوادث .

س ٧ — العناية بالأطفال فى حقل التعليم أهم بكثير من الاهتمام بالكبار ، فما هى الخطوات العملية التى اتخذت للعناية بالأطفال فى المدارس ، من ناحية المنهاج ، والمكتبات ، واختيار المدرسين ، والتربية الجسمية ؟ .

ج ٧ — نحن مجدون فى العناية بالأطفال بحقلى التعليم والتربية ، ولدينا الآن رياض قائمة ، ورياض فى دور التعمير ، ورياض فى النية إقامتها فى المستقبل القريب ، وأغلب هذه الرياض جامعة بين البنين والبنات ، وسيقوم عليها مربيات ومعلمات نرجو أن يكنَّ — أو أكثرهن — من مصر ، وستجهز هذه الرياض بكل ما يتمتع به الأطفال ، من عناية وترفيه وتربية جسمية وعقلية .

إجابة سمو الشيخ عبد الله المبارك الصباح

س ١ — ماهى الأسباب التى أدت إلى استتباب الأمن فى الكويت ؟ . وهل لنفسية الكويتى المسالمة دخل فى ذلك ؟ .

ج ١ — لا شك فى أن العامل الأساسى لاستتباب الأمن فى الكويت هو نفسية الكويتى الصافية المسالمة كما يلاحظ ؛ فالكويتى بطبيعته ميال للهدوء وعدم الالتفات لأى أمر من شأنه أن يعكر صفوه ؛ ولا أفاخر إن قلت بأن دوائر الأمن العام تقوم بقسط وافر لحفظ الأمن ، فهى لا تتهاون فى الأمور المتعلقة بحفظ النظام ، ولا تتوانى فى إنجاز أشد العقوبات لمن تحدثه نفسه فى ارتكاب أى عمل من شأنه أن يخل بالأمن ؛ وصفوة القول أن الأمور تجرى فى الكويت على غاية ما نرجو ويرجو كل شخص لوطنه .

س ٢ — ما هو الأثر الذى أحدثه استخدام نظام (اللاسلكى) فى شئون الأمن؟

ج ٢ — إن المنافع التى تجنى من استخدام نظام (اللاسلكى) لا ينكرها أحد ، فاستعمال هذا الجهاز له أثره فى تسهيل الاتصال بين المسافات البعيدة ، للوقوف على كل أمر فى حينه ، ففى المخافر ومراكز الحدود أجهزة (لاسلكية) تستعمل لهذا الغرض ، وبواسطتها تجرى الاتصالات بالرئاسة — أى رئاسة الأمن العام — لتلقى التعليمات ، ورئاسة الأمن العام ساهرة على حفظ النظام ، واستتباب الأمن ليل نهار ؛ ولاشك بأن أجهزة (اللاسلكى) لها أثر كبير فى هذ الشأن .

س ٣ — هل من المنتظر توسيع محطة الإذاعة الكويتية ، وتثبيت مناهجها للتأثير بها فى الشعب ثقافيا واجتماعيا وصحيا ؟ .

ج ٣ — الإذاعة فى بلدان العالم هى مقياس للرقى وانتشار العلم والمعرفة ، وهى وسيلة فعالة لتثقيف الشباب وتنوير عقولهم ، هذا عدا ما تبعثه فى نفوسهم من مرح وتسلية ، فأول ذى بدئ فكرت بإنشاء إذاعة مؤقتة تجريبية ، ونحن نواصل الجهد بتوجيهات حضرة صاحب السمو الحاكم لجعلها محطة من المحطات الكبيرة ، ولهذا فقد استقدمنا بعثة فنية من محطة الشرق الأدنى لوضع تقرير مفصل حول توسيع هذه الإذاعة ؛ وقد وضع التقرير ، ولا زال موضع الدرس ، وسوف يوضع موضع التنفيذ فى الوقت المناسب .

س ٤ — كلنا نرجو للكويت مستقبلا سعيداً باسما ، فما هو رأيكم فيما يجب أن تكون عليه الكويت فى المستقبل ؟ وما هى نصيحتكم لشباب الكويت ؟ .

ج ٤ — إننى على تمام الثقة بأن كل عربى يتمنى الخير للبلاد العربية الأخرى ، ما دامت هناك قومية صادقة يتمتع بها . ومما لاشك فيه أن هذا العمران القائم ، وهذه الإنشاءات السريعة ، وتلك النهضة الشاملة فى النواحى المختلفة ، لابد وأن تصل فى الكويت — فى النهاية — إلى الهدف الذى ترمى إليه . وإننا نرجو فيما نرجو أن يوفقنا الله إلى الوصول بهذا الجزء من الوطن العربى إلى ما نتمناه ونصبو إليه ؛ ونظرة واحدة إلى ما يجرى الآن فى الكويت تكفى للتفاؤل من نتيجة مُرضية بإذن الله .

وإننا نبتهل إلى الله أن يوفقنا ، ونرجو من شبابنا الكويتى المخلص أن يتحد ويعمل لما فيه الخير لبلده وقوميته التى يجب أن يفخر بها ويفاخر . وإن فى إقبال

الشباب على مناهل العلم والمعرفة لما يبشر بالخير العميم ، وإننى لواثق تمام الثقة من أننا سنصل إلى هدفنا ، ما دام الشباب الكويتى المثقف يتمتع بروح عربية صادقة ، وعلى الله التوفيق .

إجابة سمو الشيخ فهد السالم الصباح

س ١ — ماهى أهم المشروعات الإصلاحية التى تمت فى الكويت خلال السنوات الخمس الأخيرة ؟ وما هى المشروعات التى يُنتظر أن تتم قريبا ؟ .

ج ١ — لقد تم فى الكويت خلال السنوات الخمس الأخيرة مشروعات كثيرة ، وأستطيع أن أقول إننا بدأنا العمل جديا منذ وضعنا مشروع تنظيم المدينة ، حتى نستطيع أن نبنى على أسس واضحة ، ولقد أشرفتْ على وضع وتنفيذ هذا المشروع دائرةُ الأشغال العامة ، التى من شأنها أن تشرف وتساهم فى تنفيذ الكثير من المشروعات الحيوية التى تعود على البلاد بالخير . فتعبيد الطرق الكثيرة ، ومشروع مياه السيل ، وإنشاء المدارس والجوامع ، ومشروع تقطير المياه ، ومشروع الكهرباء والمستشفيات (الأميرى ، والسل ، والأطفال ، بجميع أقسامهم) كل ذلك كان بإشراف دائرة الأشغال العامة ، ومجلس الإنشاء الأعلى الذى أخذ بدوره فى المساهمة فى التوجيه والإشراف .

كما أننى أريد أن أشير إلى إنشاء الدوائر الأخرى ، التى كانت ضمن المشروعات الكبيرة التى تمت خلال السنوات الأخيرة ، والتى كان لها الفضل الكبير فى التوجيه ، والتعاون فى سبيل رفعة البلد ونهضتها . فدائرة المعارف مثلا تقوم بقسط كبير فى سبيل إعداد الجيل الجديد ، ودائرة الصحة العامة هى دائرة كبيرة مستقلة تشرف على العلاج والوقاية فى المدينة ، مما أدى إلى ارتفاع مستوى الصحة فى البلاد . ولقد ساهمت البلدية بنصيبها ، وإننا نأمل أن تعم وتزيد فائدتها فى المستقبل .

أما المشروعات التى ننتظر أن تتم قريبا فكثيرة أيضاً ، ولعل أبرزها هو إنشاء ميناء الشويخ الكبير ، كما أن هناك مشروعا يرمى إلى جرّ (الغاز) إلى البيوت للاستفادة منه ، كما أننا بدأنا فعلا فى بناء مستشفى جديدة للسل (٣٥٠ سرير) وآخر للعمال ، وسننشىء معملا لتحضير الطوب ، ومعملا آخر لتحضير بيوت جاهزة للسكن ، كما أن النية لا تزال متجهة إلى توسيع المدارس ، وبناء مدارس خاصة للأطفال ،

وأخرى للصنائع ، بالإضافة إلى الجامعة التى نأمل أن ينتهى العمل فيها قريبا . وتتجه نية الحكومة إلى بناء مختبر عالمى للدراسة والأبحاث ، كما أن هناك نية لإنشاء فندق كبير للحكومة ، هذا بالإضافة إلى تعبيد الطرق والشوارع ، بحسب مشروع تنظيم المدن . ولا يفوتنى أن أذكر أن النية متجهة لإنشاء دائرة شؤون اجتماعية تضم مأوى للعجزة .

هذه بعض مشروعاتنا المقبلة ، التى باشرنا العمل بتنفيذ قسم منها منذ مدة ، والتى نأمل أن ننتهى منها لنتفرغ لغيرها .

س ٢ — هناك فكرتان ، الأولى تقول بتغيير مدينة الكويت وتجديدها ، والثانية تقول بالإبقاء على المدينة ، مع بناء مدينة جديدة فى الشويخ ، فإلى أى الفكرتين تميلون ؟ .

ج ٢ — إننى من المؤمنين بضرورة تغيير وتجديد مدينة الكويت ، ولا أعتقد أنه من الضرورة أن نبنى مدينة جديدة فى الشويخ ، فالعمار والبناء فى الشويخ إن هو إلا امتداد طبيعى للمدينة التى أخذت فى التوسع بحكم أوضاعها الجديدة ، ولقد اتخذت كل من دائرة الأشغال العامة ، ودائرة الصحة العامة جميع الاحتياطات ، واستعملت جميع الوسائل ، فى سبيل تجديد وتغيير المدينة على أسس صحية ، وعلمية فنية ، والعمل لا يزال مستمراً .

س ٣ — يلاحَظ أن الكويت تعتمد فى مواد البناء على الخارج ، فهل اتخذت خطوات لإنتاج هذه المواد داخل الكويت عن طريق المصانع والمعامل ؟ .

ج ٣ — أنا لا أنكر أن الكويت تعتمد فى مواد البناء على الخارج ، وذلك لسبب بسيط ، وهو أن المواد (الخام) تكاد تكون معدومة فى البلاد حتى الوقت الحاضر ؛ إلا أن النية متجهة إلى تشجيع الصناعة ، وإنشاء مصانع محلية لصنع هذه المواد ، واستهلاكها داخليا ، ولكن ذلك يتطلب بعض الوقت . كما أن الحكومة استحضرت آلات كبيرة لتصنيع (البلوكات) التى تساهم فى عمليات البناء للبيوت الجاهزة ، كما استحضرت مكائن لصنع الطوب .

س ٤ — يقول بعض الناس إن الشؤون الصحية فى الكويت تعتمد على العلاج أكثر من الوقاية ، مع أن الواجب العكس ، فهل هذا صحيح ؟ ولماذا .

ج ٤ — لقد كان هذا صحيحاً قبل سنتين ، فقد كانت دائرة الصحة العامة تعنى

بالعلاج أكثر من الوقاية ، وذلك لكثرة الأمراض الموجودة ، ولكن دائرة الصحة التفتت إلى تلك الناحية ، فعينت سنة ١٩٥١ طبيباً خاصاً له خبرة واسعة فى هذا الميدان للإشراف على شؤون الوقاية ؛ فافتتحت دائرة الوقاية فى الصحة عدة فروع لها ، أبرزها فرع خاص لفحص طلاب المدارس ، وفرع آخر لمراقبة وترخيص الحرف والصناعات ومكافحة الحشرات بواسطة آلات (التيفا) المشهورة ، والتى نملك منها ستة آلات ، كما أشرف قسم الوقاية على مكافحة الجرذان ، ومراقبة الأمراض السارية ، وتفتيش المجارى العامة والخاصة ، وأشرف على نظافة المدينة والقرى المجاورة .

س ٥ — يشكو السكان من غبار الطرق والشوارع ، لأنه يسبب مرض العيون والصدر ، فهل هناك جهود لرصف هذه الطرق والشوارع ؟ .

ج ٥ — إن دائرة البلدية تعنى برصف الشوارع لاتقاء الغبار ، ولكن ذلك ليس سهلا كما يتصور الكثيرون ، لأن الطبيعة تقسو فى محاربتها لنا أحياناً .

س ٦ — هل هناك تفكير لتجميل الشاطىء أمام الكويت ، بالرصف والشجر والمقاعد ؟ . ومتى ؟ .

ج ٦ — نعم ، هناك بعض الاقتراحات بشأن تجميل الشواطىء ؛ وأتمنى أن ننفذه فى الوقت المناسب .

س ٧ — تبذل الآن جهود لتوثيق الروابط بين مصر والكويت ، فما رأيكم فى ذلك ؟ .

ج ٧ — لا أعتقد أن هناك أى حاجة لبذل المساعى من أجل توثيق الروابط بين مصر والكويت . فالروابط التاريخية والتقليدية والثقافية والروحية موجودة ، والبلدان يشكلان جزءاً من العالم العربى الكبير الذى نعتز به ، ونتمنى له الرفعة والسؤدد .

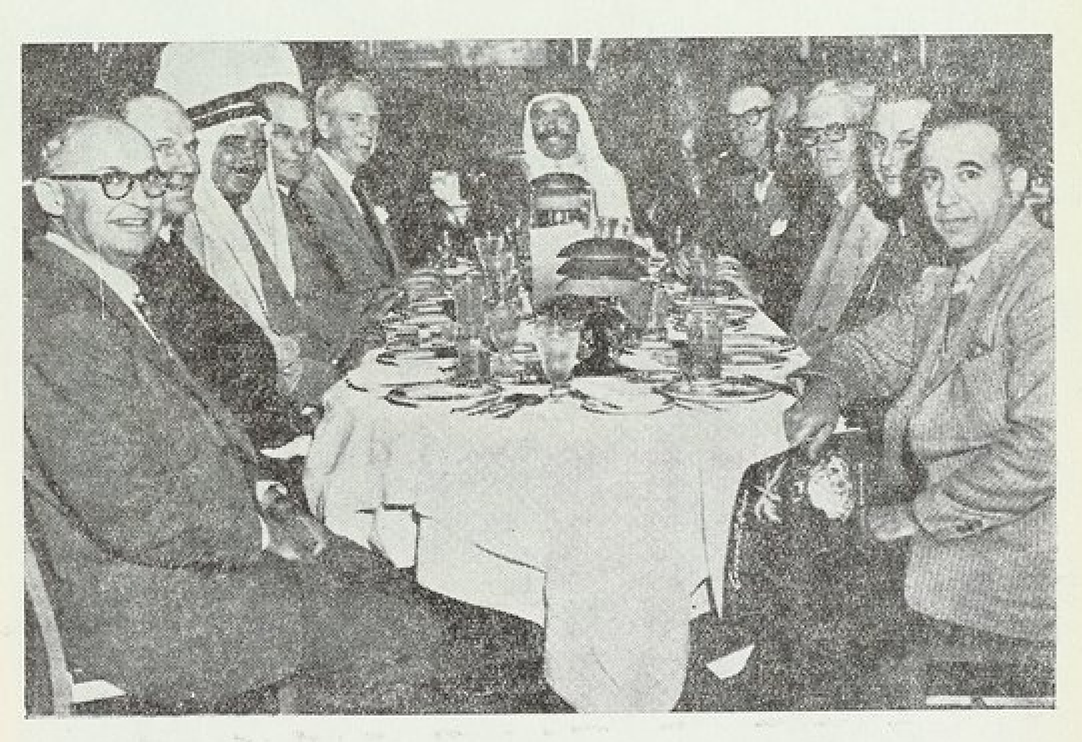
س ٨ — ما هى أهم الحوادث التى رأيتموها فى حياتكم ؟ وما هو اليوم الذى لا تنسونه ؟ .

ج ٨ — لقد مرت فى حياتى أحداث كثيرة ، منها الخاص ، ومنها العام ، ولا أرانى فى وضع أسرد فيه هذه الحوادث ، فكلها يتفاوت فى الأهمية بحسب الزمان والمكان . ولعل اليوم أو أحد الأيام التى لا أنساها فى حياتى ، هو اليوم الذى

أعلن فيه اكتشـاف (البترول) فى بلادنا وذلك لأن إيمـانى بالله ازداد ، وإيمانى بعدله وحكمته ورعايته اشتد . فبعد أن حرمتنا الطبيعة أشياء كثيرة ، فقست علينا بالمـاء ، إذ هو سبحانه وتعالى يفجر الأرض فيعم رخاء ، وتبرز نهضة ؛ وهذا يوم له شأن فى حياة كل كويتى عربى .

س ٩ — سمعنا كم مراراً تثنون على مصر ، فما سبب هذا الثناء ؟ وما هو رأيـكم فى نهضة مصر الحديثة ؟ وما مبلغ انتفاع العرب بهذه النهضة ؟ .

ج ٩ — إننى دائماً أثنى على مصر ، وقد أشرت فى جواب أحد الأسئلة إلى الروابط التى تربطنا بها ، ولقد زرتها ، وأحببت معالمها ، القديم والحديث منها . وإننى أتمنى لها كل ازدهار ، ولشعبها وللقائمين على قيادتها كل نجاح وتقدم ، فى ظل العدل والمساواة .



فى سنة ١٩٥٠ قام سمو الشيخ فهد السالم الصباح برحلة إلى أمريكا ومصر ، وهاهو ذا يتصدر إحدى المآدب التى أقيمت للاحتفال به

حديث قديم

فلنرجع بعد هذا إلى الوراء ، إلى ماضى الكويت ، لنعرف لوناً من الأحاديث التى كانت تدور حولها ... ولعله من حسن الجمع بين الحديث والقديم أن نثبت هنا حديثاً جرى عن حالة الكويت سنة ١٣٤٤هـ (أى منذ ثلاثين سنة تقريباً) ، فقد زار الأستاذ السيد قاسم أفندى الهيمانى الكويتَ فى تلك السنة ، وقابل الميجر (مور) معتمد بريطانيا ، ووجه إليه عدة أسئلة ، نذكرها مع أجوبتها فيما يلى :

س — سمعت أن فى عزم الدولة البريطانية إحداث بعض التغيير فى نظام إمارة الكويت وشكل حكومتها الحالية ، فما هو مبلغ هذا الخبر من الصحة ؟.

ج — لا صحة لما يشاع ، وثق ياحضرة الصحافى العربى أن الإمارة فى الكويت باقية على ما هى عليه ، وستبقى . أما إذا توفى — لا سمح الله — أميرها الحالى[1] ، فالإمارة تنتقل إلى أحد أمراء الصباح ، ويكون ذلك بناء على انتخاب الشيوخ والأهلين عموماً .

س — هل لحكومة بريطانيا علاقة بدائرة البرق والبريد ؟ .

ج — مصلحة البريد فى الكويت هى الآن بمثابة فرع لدائرة برق وبريد العراق العامة ، ولكنها سترتبط — بعد نهاية السنة الحالية ، أى فى أوائل سنة ١٩٢٦ — رأساً بمصلحة البريد الهندى .

س — ماهى علاقة بريطانيا بالكويت ؟ .

ج — ليس من علاقة رسمية بين إمارة الكويت ودولة بريطانيا العظمى ، إنما هى — نوعاً ما — تحت حمايتنا ، والحكومة البريطانية بعيدة عن كل تدخل يتعلق بشئون البلاد الداخلية .

س — إلى من تعود واردات (الجمارك) ؟ .

ج — إلى الحكومة الوطنية ، وليس الرسوم الجمركية سوى ٤ أو ٥ فى المائة فقط.

س — إذا تعرض عظمة السلطان ابن السعود بسوء لإمارة الكويت ، فماذا يكون موقف بريطانيا عندئذ ؟.

ج — عندئذ يكون ابن السعود قد أخل بشرط المعاهدة ، التى تعهد فيها بالابتعاد

---

(١) كان حينئذ المرحوم الشيخ أحمد الجابر الصباح أمير الكويت السابق .

عن كل ما يمس إمارة الكويت بسوء . . . هذه الإمارة التى سنحافظ على وضعيتها الحاضرة بجميع الوسائل الممكنة .

س — فهمت أن ابن السعود لا يبيح (للإخوان) التردد إلى الكويت ؛ لماذا ؟.

ج — هذا صحيح ، ولكنه لأسباب جمركية ، فإن الإخوان يأبون دفع الرسوم الجمركية .

س — ألا يمكن التوفيق بين الأمير والسلطان من هذه الجهة ؟ ! .

ج — لقد سعينا وراء ذلك ، ولكننا لم نفلح ، وقد عقدنا اجتماعا لهذا الغرض منذ سنتين أو ثلاث ، وبعث ابن السعود مندوبه إليه ، فطلب هذا المندوب أن يكون (مدير الجمارك) سعوديا ، ولذلك لم يحصل الاتفاق .

س — قيل لى إنكم سترتبطون محاكم الكويت بمحاكم الهند رأساً ، فهل هذا صحيح ؟ .

ج — ومن قال لكم هذا القول ؟ . إنه افتراء محض . إن ما أشيع ينحصر فى أصحاب (التابعية الإنجليزية) من هنود وغيرهم ، وإعلاننا هذا صريح جدا جدا ... إن الأجانب يحاكمون أمامى فى هذه الدائرة — دائرة الاعتماد البريطانية — وأما الكويتيون فليس لى أقل علاقة معهم .

س — هل من نهضة أدبية فى الكويت ؟ .

ج — توجد ولكنها لا تذكر .

س — هل تفكرون فى القيام بشىء من المشروعات العمرانية ؟ .

ج — كلا .

س — هل تعود واردات البرق والبريد للحكومة الوطنية ، أم للحكومة العراقية ؟ .

ج — تعود إلى حكومة العراق ، وهذا موقفنا كما سبق[١].



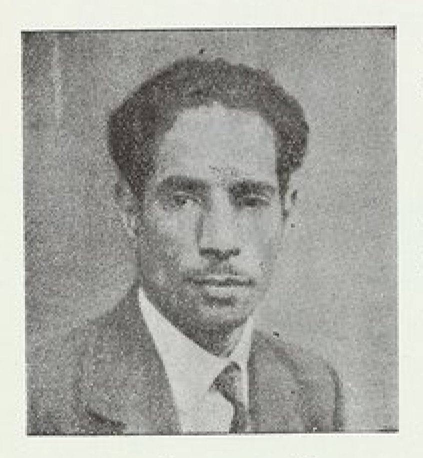
طفلة كويتية
رجاء فهد العبد العزيز المرزوق

(١) انظر كتاب تاريخ الكويت .

الكويت والفن الجميل [1]

تترعرع الفنون فى أية أمة من الأمم تبعاً لعنصرها الأول ، وطبيعة أرضها وأخلاقها ، وهى فى كل هذا تساير العناية والتوجيه والمجهود ، فهى تعلو يوماً وتهبط يوماً آخر ، على مقدار مايقدَّم فى سبيلها من تضحيات .

وبما أن الشعب الكويتى هو جزء من هيكل الأمة العربية الكريمة العنصر ، المتينة الخلق ، المتوقدة الذكاء ، الخصبة الخيال ، فلا شك أنه يتمتع بما جُبلت عليه أمته من مزايا وخصال ، كانت وما زالت مضرب الأمثال ، فلا غرو إذن إذا نبغ فى الفنون ، وحاز ذوقاً فنياً رفيعا ، اكتسبه بالفطرة من عاداته ومشاهداته ، وتغلغل فى روحه السمحة المرنة ، فلا تكلف ولا التواء ، حتى أصبح الفن عادة من عاداته المألوفة فى كل شىء ، يحميه بذكاء متوقد ، وقد مكَّنه هذا الذكاء من تحديد زيه العربى الجميل ، وألهمه التصرف الحسن فى تزيين مسكنه بأدوات الزينة البسيطة ذات الجاذبية والسهولة والهدوء .



الأستاذ معجب الدوسرى

وإنك حيثما سرت ترى الجمال واضح المعالم فى السفن والمنازل والملابس وخلافها . وقد أثبتت التجارب أننا نملك فى أبنائنا ثروة فنية لا بأس بها ، لاينقصها غير الاستغلال والصقل والتقديم ، وقد بدأتْ أولى الخطوات فى هذا المشروع عندما أخذ نجم العلم والتعليم يرتفع فى سماء الكويت ، وقد جرى فى ركبه آلاف من الطلاب والطالبات ، وكلهم قلوب واعية ، وآذان صاغية ، وشوق للارتواء من مناهله العذبة المتدفقة .

---

(١) هذه كلمة كتبها خصيصا الأستاذ معجب الدوسرى أستاذ الرسم بالمدرسة المباركية ، وهى تصور وجهة نظره فى موضوع الفن بالكويت .

ولقد كان لمعرض البنات الأول رنة فرح كبرى ، جعلتنا نطمئن على مستقبلنا الفنى ، وأننا سوف نصل بعون الله إلى حيث المنزلة اللائقة بنا بين شعوب الأرض ، ومما زاد هذا الأملَ قوة ، وألهمنا الثقة بنفوسنا ، معرضَ البنين الأول الذى أقيم فى المدرسة المباركية منذ اثنى عشر عاما ، وفى نفس وقت معرض البنات ، وقد تمكنا بعد مشاهدة هذين المعرضين من الوقوف على مدى قدرتنا الفنية ومعرفة ميولنا .

فظهر المعرضان وهما فى أبهى حلة ، فالملابس المزركشة والأقمشة المطرزة والزهريات المزخرفة المذهبة ، والرسوم الجميلة والأعمال الفنية المتقنة . وقد كانا حقاً بشرى طيبة لمستقبل أرجو أن يكون زاهراً ، وقد توالت علينا المعارض ترينا فى منتهى كل عام مقدار تقدم بناتنا وأبنائنا فى هذا النوع من الفنون ، وكان آخرها معرض سنة ١٩٥٢ — ١٩٥٣ ، الذى كان حلقة متممة للمعارض السابقة ، وإن كنا نريد من مدارس البنات النهوض بالرسم الزخرفى لاستخدامه فى التطريز والحياكة ، ونريد من حضرات المدرسات استغلال مايشاهدنه فى الكويت فى التصميم والابتكار ، وحبذا لو تكونت من حضراتهن لجنة تسمى لجنة الابتكار والتصميم ، للقيام بمد المدارس بالجديد المبتكَر ، وعرضه فى صالات وغرف المدارس ، لتشجيع الطالبات على السير فى هذا الطريق ، ولتشجيع من تلج منهن هذا الباب .

ويجدر بى أن لاأغفل المجهود الذى بُذل لإقامة هذا المعرض رغم قلة المواد اللازمة ، فهو معرض قد حاز الرضا ، ولكننا نطمع فيما هو أكثر .

وكلمة أخيرة أوجهها إلى مدرسات الرسم — على أن لايغضبن على — وهى : لا تشتركن فى رسم الطالبة . فقد لاحظت فى المعرض أن كثيرا من اللوحات التى بأسماء الطالبات كان للمدرِّسة النصيب الأكبر فى إنتاجها .

أما من ناحية معرض البنين فقد كان الاتكال فيه ظاهر المعالم ، فعندما بلغت المدارس عن إقامته احتجت كل مدرسة بأنه لايمكن إقامته : « ونحن لم نخطَر من قبل ، ولم يأمرنا مدير المعارف منذ بداية السنة » . وهذه حجج واهية ، فالمفروض أن الرسم جزء من النشاط المدرسى ، وقد احتج البعض الآخر بنقص المواد اللازمة ، وهنا تتحمل المعارف نصف التبعة . غير أن هناك كلمة صريحة يجب أن أقولها ، هى أن المدارس عرضة للزوار والسائحين ، فمدرس الرسم مسئول عن هذا النوع من النشاط ، وقبل

كل هذا نتساءل : ماقيمة استمرار تدريس هذه المادة طوال السنة ، إذا كانت النتيجة تأتى على غير المنتظر ؟ . وأخيراً أقول إن مدرس الرسم مسئول عن تنبيه مدارك أبنائه الفنية ، وتشجيعهم والسهر معهم .

وعلى العموم يجب أن نستفيد من التجارب ، ولقد كان معرض العام الماضى تجربة ، وإنى مازلت قوى الأمل فى مستقبلنا الفنى ، ولا سيما ونحن نملك عقولاً فنية ذكية مرنة ، وأساتذة يستحقون الإعجاب ، ومعارف أخذت تولى الفن اهتمامها ، ومن ورائنا شعب كريم عبقرى .

وإنى إذ أقدم على سبيل المثال بعض أسماء طلبتنا النوابغ آمل أن يكون التوفيق رائدهم ، فمن نوابغنا : طارق السيد فخرى وعيسى أبو شهرى وسلمان الماجد وأحمد النفيسى ، وغيرهم فى المدارس الأخرى أجهل أسماءهم ، والله أسأل أن يوفقنا لما فيه الخير لهذا الوطن الكريم .



نماذج من أعمال الخياطة والتطريز فى مدارس البنات بالكويت

الرياضة والتمثيل والتصوير

حينما نعد الأشياء التى يحبها أهل الكويت ويهيمون بها ، نجد فى مقدمتها ثلاثة أشياء ، يحبونها حباً جما ، وهى الرياضة والتمثيل والتصوير ...

أما الرياضة فإنك تجد فرقها فى المدارس والأندية والشركات ؛ وتجد مبارياتها متتالية متتابعة ، وخاصة كرة القدم ، وعلى الرغم من عدم صلاحية التربة لإقامة ملاعب نظيفة ممهدة إلا بجهد وتعب ترى كثيراً من الملاعب قد أقيمت هنا وهناك ، منها ما أقامه ولاة الأمور ، ومنها ما أقامته الأندية ، ومنها مايقيمه أبناء الحى أو الفريق فى ركن من أركان المدينة أو القرى .

وللكويتيين غرام شديد بمشاهدة مباريات الكرة ، سواء أكانت مجاناً أم بأجر ، وإذا حضرتَ مباراة من هذه المباريات رأيت جموعاً كثيرة تحيط بأرض الملعب ، ويشتد بها الحماس والتشجيع ، وأحيانا يتعصب كل جانب لفريق ، ولو قيس عدد المشاهدين بعدد السكان لكانت النسبة عالية جداً بالقياس إلى بلاد أخرى .



لاعبون كويتيون فى الميدان

وهناك أمور يجب الالتفات إليها فيما يتعلق بالرياضة فى الكويت ؛ إذ يجب أن يتفرغ مدرس الرياضة البدنية فى المدارس لمادته ، فلا يجمع بينها وبين غيرها



صراع على الكرة ! ...

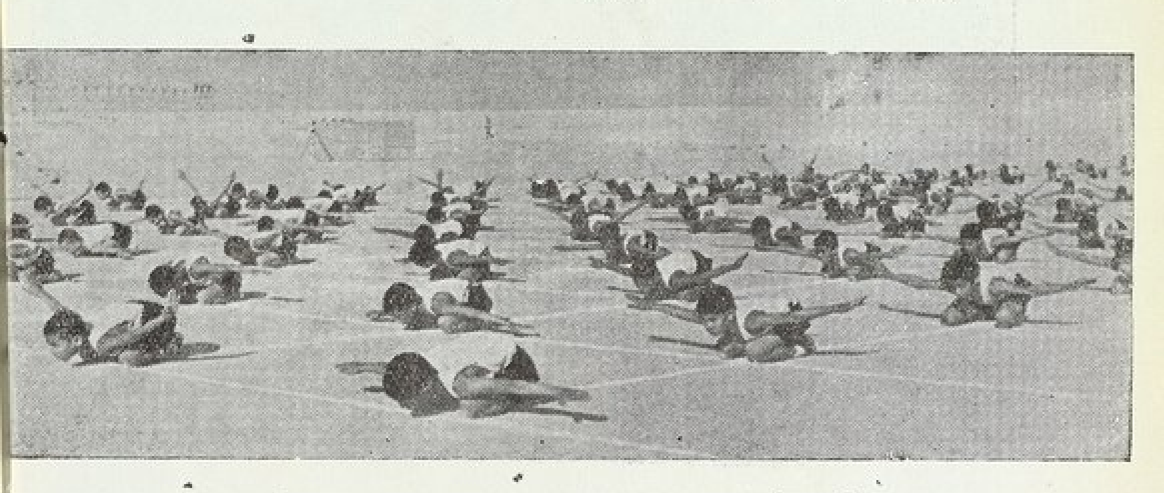
من المواد ، ليحسن القيام بواجبه من جهة ، ولتكثر حصص الرياضة ومبارياتها من جهة أخرى ، على أن يكون ذلك المدرس متخصصاً فى مادته متمرنا عليها .
وتجب العناية بتوسيع نطاق الرياضة فى مدارس البنات ، لأنهن بحكم إقامتهن الغالبة فى البيوت أشد احتياجاً إلى الرياضة من البنين ، ولو وُكل أمر ذلك إلى متخصصات فى الرياضة لكان أحسن وأنفع ، وإن العين لتتطلع إلى متخصصين من أبناء الكويت يقومون بهذه المهمة عما قريب .

وتجب العناية بتوفير الساحات الرياضية الملائمة للمدارس ، حتى يمكن أن تضم الساحة أكثر من فصل مدرسى ، أو يلعب فيها الفصل الواحد بحرية واتساع ، ويلزم بجوار الساحة الواسعة أن تكون بالمدرسة ساحة أخرى (صالة) مغطاة للتمرين أثناء البرد القارس ، أو تلهب أشعة الشمس . كما أن الحاجة ماسة إلى إعداد الملاعب الرياضية ، وخاصة ملاعب كرة القدم إعداداً حديثاً ، يتوافر فيه التمهيد والتنسيق والقضاء

على التراب ، ولا تزال ساحة المهرجان الرياضى بحاجة إلى إعـداد ، وإلى مدرج مناسب متسع ، لأنها تشهد أكبر استعراض رياضى فى الإمارة .

ومن العجيب أن لا تـكثر حمامات السباحة فى الـكويت ، على الشاطىء الراقدة فى أحضانه ... وبجوار هذه الحمامات يحسن إنشاء حوض صناعى للسباحة ، وخصوصاً بعد حل مشكلة الماء بوساطة (المقطِّرة) !..

وقد أحسنت الـكويت صنعاً باشتراكها فى الدورة الرياضية العربية الأولى بالإسكندرية صيف هذا العام ؛ وهذه فاتحة نرجو أن يعقبها ما بعدها من اشتراك الـكويت فى كل ما يمكنها الاشتراك فيه من أمثال هذه الدورات ؛ ويجمل أن لا يقتصر اشتراكها على الرياضة والدراسات الاجتماعية والثقافية ، بل تعممه فى كل المؤتمرات ، والمعسكرات الـكشفية بوجه خاص .



أحد التشكيلات الرياضية التى يؤديها تلاميذ المدارس الابتدائية بالـكويت

وأما التمثيل فالشغف به ظاهر متزايد ، وما يكاد يعرف أن هناك حفلة تمثيلية حتى تتـكاثر عليها الجموع من كل حدب وصوب ، وقد تضيق المقاعد بالحاضرين ، فيظل بعضهم وقوفا ساعات طويلة ، وهم مستغرقون فى متابعة ما يشاهدون ويسمعون ؛ والفرق التمثيلية منتشرة فى المدارس ، وتقوم بتمثيلياتها فى المناسبات الإسلامية والعربية ، وفى مدرسة الصباح مسرح مجهز بوسائل حديثة من ناحية الملابس والأضواء

والناظر وتكييف الملامح ، ولا عجب فناظر المدرسة هو الأستاذ حمد رجيب ، وفى المدرسة الثانوية بالشويخ مسرح سيكون أعظم وأفخم . . .

ويجب تعميم المسارح المدرسية ، لأن أغلب المدارس تصطنع فى تمثيلياتها مسرحا مؤقتا ، فلا تتوافر فيه العوامل المريحة ؛ ويجب تشجيع التأليف المسرحى الملائم للبيئة ، الذى يستوحى من أحوال المجتمع وشئون المجموعة ، وهذا يستتبع تقوية الفرق التمثيلية بالمدارس ، ويجب حل مشكلة الدور النسوى فى التمثيليات ، ومن المستحسن هنا الاقتصار فى المسرحيات على الممثلين ، لأن المخرج الكويتى يستخدم فى الدور النسائى ممثلا يلبس ملابس النساء ، ولم أرق حياتى مظهراً للتكلف والإبعاد كهذا المظهر ، فانعدام الدور النسوى خير ألف مرة من التشبه بالنساء .

ويجب تأليف فرق تمثيلية للبنات ، بحيث يكون هناك استقلال مطلق لهذه الفرق ، فتقتصر فى التدريب والتمثيل والمشاهدة على وسط التلميذات والسيدات ، وأعتقد أن تأليف هذه الفرق والعناية بها فى الجو النسوى مما يفيد فوائد عظيمة فى تثقيف المرأة الكويتية وتهذيبها ، فإن تأثير التمثيل إذا استقام يفوق تأثير سواه من وسائل التوجيه .



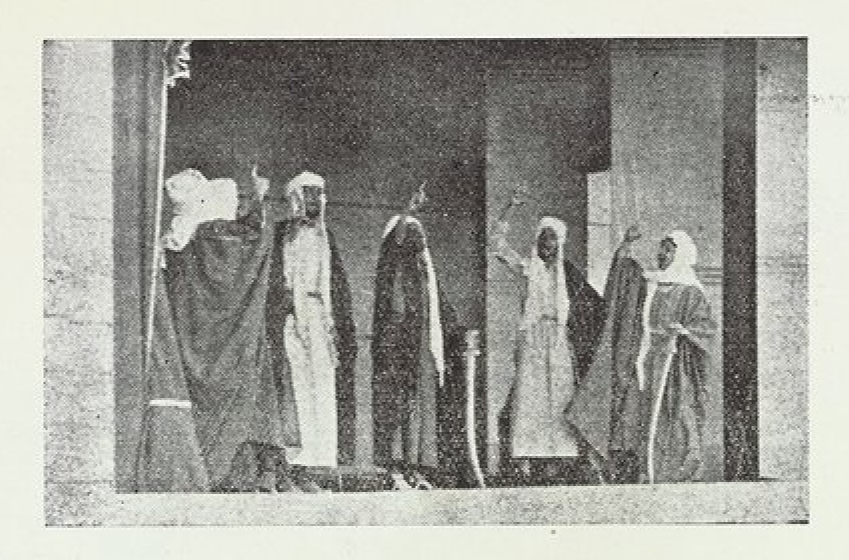
فرقة للكرة فى بيت الكويت بمصر

ويجب استدعاء فرق تمثيلية من خارج الكويت ، لتقدم بعض المسرحيات القوية ، وقد كان من توفيق الله أن انتهى الرأى إلى استدعاء فريق التمثيل بالمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة ، لتقديم بعض مسرحياته على مسارح الكويت فى الربيع القادم بمشيئة الله تعالى .

وأما التصوير فتبدو لك مظاهر العناية به من كثرة آلات التصوير فى الأيدى ، ومن تنافس لاقطى الصور فى كل احتفال أو مناسبة عامة ، وقد أنشئت أخيراً فرق للتصوير فى بعض المدارس ، واشترك عدد كبير من التلاميذ فيها ، ويندر أن تجد تلميذاً بدون آلة تصوير غالية ، ولقد كنا فى الرحلات نرى ما يزيد على ثمانية أشخاص يشتركون دفعة واحدة فى التقاط المناظر وتسجيل المشاهد ؛ ويجب فى هذا الباب

ما أجمل ذكريات التصوير ! ... بعض تلاميذ الكويت فى (هرم كرافت هاوس) بالإسكندرية

أن نلفت الهمم إلى تجلية مناظر البيئة ، فهناك مثلا خضرة الجهرة ونخيلها ، ومزارع الفنطاس وأشجارها ، ومناظر الشاطىء ، بما فيه من شعاب وأمواج ، وهناك مناظر الشروق والغروب ، وهناك مناظر السفن والبواخر ، وهناك أنواع الطيور والحيوانات والحشائش والأزهار الصحراوية . . . كل هذا يحتاج إلى العناية والتسجيل . . .



تلاميذ المدرسة الشرقية يمثلون فى احتفال المولد النبوى

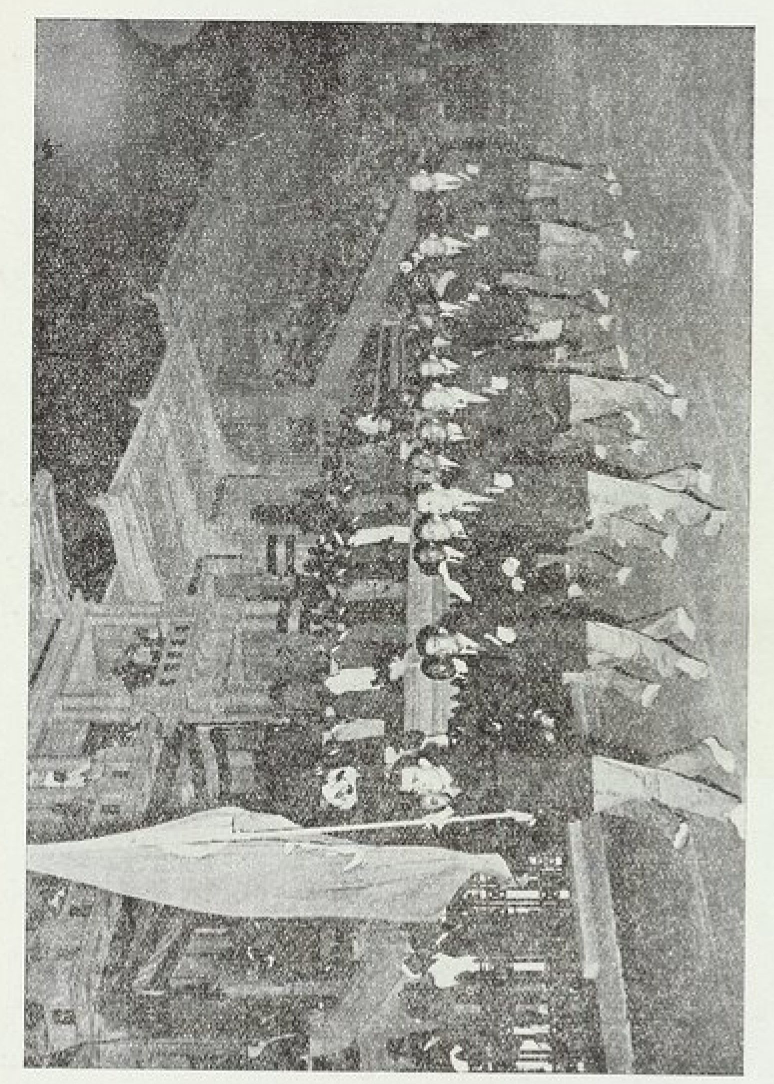


منظر آخر للتلاميذ يمثلون ...

يعد الأستاذ عبد الرزاق بدران ألمع المصورين فى الكويت ، وهو رجل له فن وذوق ، وتاريخ نهضة الكويت مسجَّل عنده فى صوره ، وقد درس الفن فى مصر ، وطالما ذكر لنا أيامها بالتمجيد ، وهو فلسطينى الأصل ... كان الله لفلسطين ! .



فريق الكويت الرياضي عند وصوله الإسكندرية للاشتراك فى الدورة العربية الأولى (صيف ١٩٥٣)



أعضاء الوفد الرياضي الكويتي أثناء استعراض الوفود عند افتتاح الدورة العربية
(الإسكندرية — صيف ١٩٥٣)

إصلاحات واجبة

صدق الشاعر العربى حين قال :

والعين تنظر منها مادنا ونأى ولا ترى نفسها إلا بمرآة

وهذه المرآة هى الناصح الأمين ، ولابد فى كل مجموعة ممن يذكر بالخير ويحذر من الشر ، ويوجه إلى سواء السبيل ، لأننا مطالبون بذلك شرعا وعقلا ، فالدين النصيحة ، ولا ندم من استشار ؛ ولذلك نحب أن نضع بين أيدى ولاة الأمور فى الكويت طائفة من الإصلاحات الواجبة التى قد تكون عرضت لهم أو هموا بها ، فإن لم تكن هذه الإصلاحات موضع النظر أو التنفيذ فمهمتنا مهمة الناصح الرائد ، وإن كانت قد شغلتهم أو هموا بها فواجبنا واجب المذكِّر : « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » .



الأستاذ يعقوب يوسف الحمد

ولصديقنا الأستاذ يعقوب يوسف الحمد التاجر والباحث الكويتى ، وخريج كلية التجارة بجامعة القاهرة كتاب صدر منذ عام ، جعل عنوانه (ماذا نريد من حكومة الكويت) ، وعالج فيه مشكلات الإمارة ، ووضع حلولا لها فى شمول واستقصاء ؛ ونصَّ على وجوه النقص هنا وهناك ، وحث على علاجها وإصلاحها ؛ وهناك أيضا صيحات كثيرة تتردد فى المجلات والمجالس مطالبة بألوان من الإنشاء والتعمير ، ومن الخير أن نذكر هنا جانباً من متناثر هذه الإصلاحات ، مستهدين فى ذلك معرفتنا وصيحات إخواننا ، آملين أن لا يطول عليها المدى وهى أفكار أو آمال ، بل تتحول إلى حقائق وأعمال ...

١ — يجب وضع سياسة طويلة المدى بعيدة النظر للناحية الاقتصادية فى البلاد ، لأن العماد الأساسى — وهو النفط — غير مضمون البقاء ، وغير مضمون الاستغلال .

٢ — الكويت مشهورة من قديم الزمن بالتجارة ، ونخشى أن تؤثر الحياة

الجديدة فى تشجيع المسئولين لأهليها ، فيلزم مضاعفة تشجيعها ، لأنها أساس اقتصادى حاضر وباقٍ ، وقد نفئ إليها يوما من الأيام ! .

٣ — الأمواج ميدان واسع لنشاط الكويت من قديم ، فيجب أن لا يُلغى وأن لا يضيق . يجب أن نشجع على صيد اللؤلؤ وتجارته ، وأن نعنى بالأسطول الشراعى والبخارى للكويت ، وندخل عليه من الوسائل الآليّة الحديثة ما يقويه ويتقدم به .

٤ — يجب إنشاء مكتب للإحصاء العام والخاص ، بحيث نعرف الوارد والداخل ، والوطنيين والأجانب ، وكل ما يتعلق بنواحى السكان والعمران والاقتصاد .

٥ — تلزم العناية بالثروة الحيوانية ، لحفظها وتنميتها وتوسيع استغلالها ، وجلب ما يتسامى بها ، ويتبع ذلك الاهتمام بالصناعات المتفرعة من الجلود .

٦ — استغلال الأموال الكويتية فى التجارة فقط ظاهرة شائعة ، فَلِمَ لا نجد منها باستغلال هذه الأموال فى الإنشاء والنقل والزراعة والصناعة وغير ذلك ؟ .

٧ — هناك إسراف فظيع فى استيراد السيارات ، حتى صارت الكويت — كما يقولون عن بيروت — مخزن سيارات ! ... فيلزم الحد من ذلك ، مع العناية بإصلاح الموجود من السيارات .

٨ — يتصل بما سبق تمهيد الطرق ورصفها بسرعة وسَعة ، لأن هذه الطرق تتلف السيارات بسرعة ، وتنشر أمراض العيون ، وخاصة الرمد (التراخوما) .

٩ — لست أدرى لماذا لا يسرع ولاة الأمور بالتفنن فى استغلال الرمال والصخور والحصى ، كمواد أساسية وإضافية للبناء ، بدل الاعتماد على الاستيراد من الخارج ؟ .

١٠ — دخْل الكويت ضخم بالنسبة لسكانها ، فلماذا يبقى هناك مجال لاستثمار الأموال الأجنبية بشكل يخشى منه فى المستقبل على رءوس الأموال الوطنية ؟ ! .

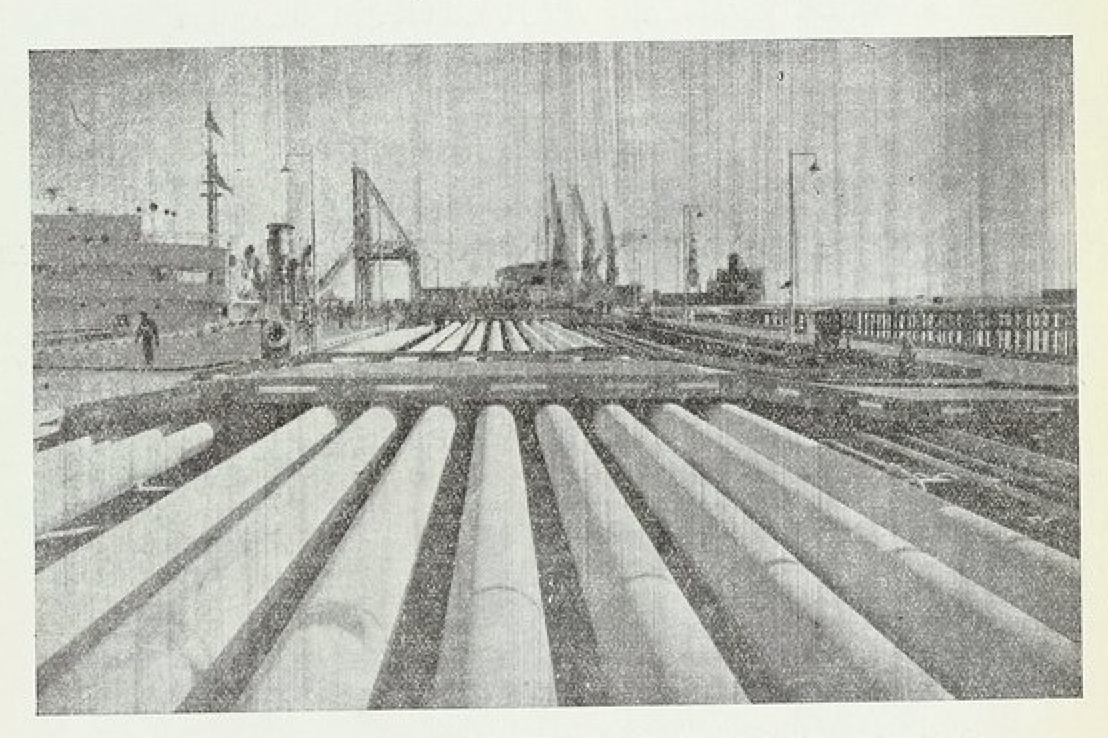
١١ — يقال إن شعار الإنفاق عند أشقائنا هو : « أنفق كل شيء خشية أن لا تستطيع إنفاقه » . والأساس سليم ، ولكن الطريقة يجب أن تكون قويمة ، ومن الواجب استثمار جانب من الأموال الكويتية فى البلاد العربية بصفة مضمونة وثابتة ، ليكون ذلك احتياطا للغد المبهم .

١٢ — لا زالت صناعات وأعمال كثيرة وقفا على غير الكويتى ، كحياكة الثياب ، وإدارة المطاعم والمقاهى والفنادق ، فلماذا لا ينزل الكويتى هذه الميادين ؟ .

١٣ — هناك أموال كويتية جامدة ، وتتمثل فى المخزون منها،وفى الحلى الكثيرة التى تزخر بها مخادع السيدات ، فلماذا لاتحيا هذه الأموال وتتحرك ،لتصان وتزيد ؟.

١٤ — نقول فى مصر : « جبال الكحل تفنيها المراود » . . . وآبار النفط فى الكويت لها آخر ، فلماذا لا توضع سياسة لتحديد السحب من هذه الآبار بما يتناسب مع احتياطيها ، ومع حاجة الكويت المالية ؟.

أليس عجيباً أن بعض الآبار فى الشرق الأدنى يؤخذ منها خمسة آلاف (برميل) يوميا ، بينما يؤخذ من البئر الأمريكية اثنا عشر (برميلا) فقط[1] ؟...



الأنابيب الغليظة ، يتدفق خلالها نفط الكويت فى غزارة ، إلى الخارج ..

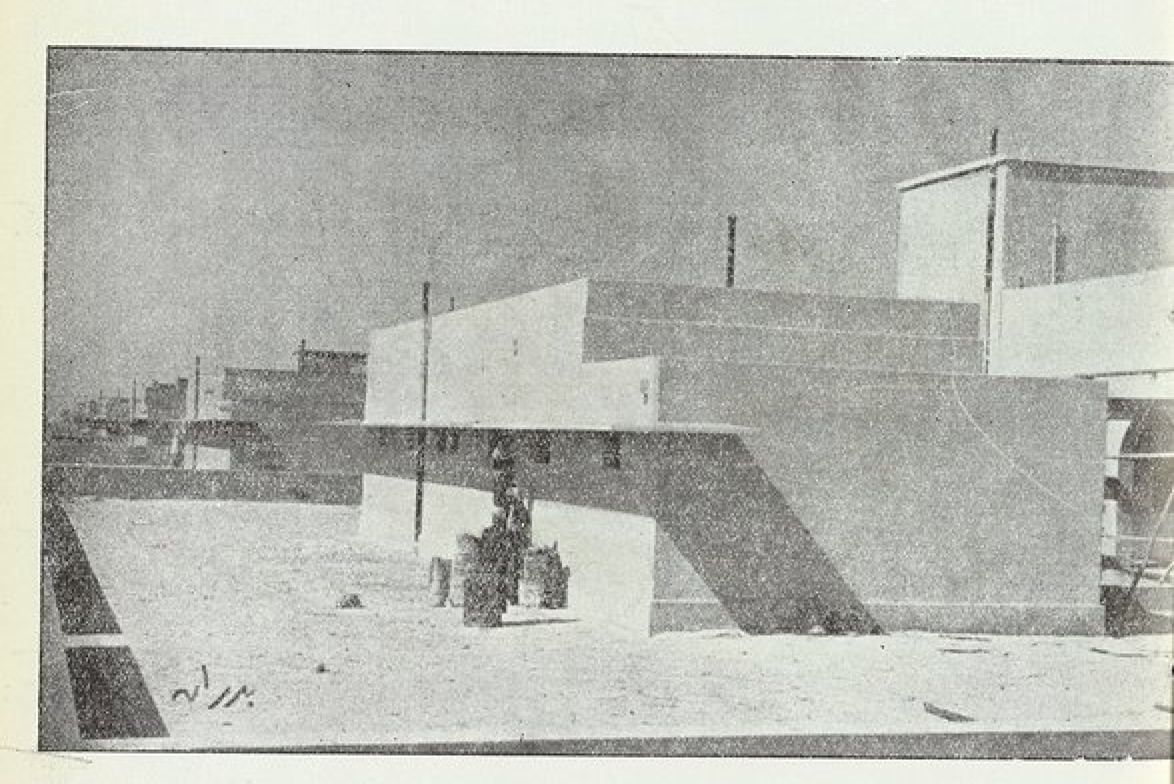
---

(١) كميات البترول المخزونة فى باطن الأرض تقدر بحوالى سبعين بليونا ، منها عشرون فى الولايات المتحدة ، وستة بلايين فى أوربا ، وتسعة فى أمريكا الجنوبية ، وستة فى روسيا ، وبليونان فى الشرق الأقصى ، والباقى فى الشرق الأوسط ، وهو نحو نصف الاحتياطى فى العالم ، ويقدر باثنين وثلاثين بليونا ؛ منه فى الكويت تسعة ، وفى العراق ستة ، وفى المملكة العربية السعودية سبعة ، وفى إيران تسعة ، وفى دول أخرى بليون واحد (انظر ماذا نريد من حكومة الكويت) .

١٥ — يتبع الأمرَ السابق أن تحاول حكومة الكويت وأمراؤها وأغنياؤها شراء ما يمكن شراؤه من أسهم شركة نفط الكويت ، وشركة نفط المنطقة المحايدة ، فهى مربحة مضمونة .

١٦ — لابد للكويت من ميناء على طراز حديث ، وأرصفة للشحن والتفريغ .

١٧ — أزمة المساكن ... أزمة المساكن ... لابد لها من علاج ، وأقرب الطرق لذلك هو إنشاء القرى النموذجية ، المحدودة التكاليف ، التى تتوافر فيها الشروط الصحيحة اللازمة .



أحد مساكن الموظفين الأجانب فى مشروع المياه ، متى يكون مثله لأفراد الشعب ؟

١٨ — والمساكن تذكر بالمجارى ... متى تكون المجارى فى الكويت كما هى فى المدن الحديثة ؟ . وهلا يمكن استخدام محتويات تلك المجارى فى زراعة جانب من الأرض ، وخاصة إذا عُمِّمَ الماء العذب بوساطة آلة التقطير ؟ ... إن هذه المحتويات ماء وسماد ...

١٩ — فى الخليج أصناف كثيرة من الأسماك ، فلم لا نستغلها بحفظها فى العلب وإنشاء صناعات تتصل بها ، كصناعة الأزرار ، ومقابض السكاكين ، وأدوات الزينة ... إلخ . إن هذا تصنيع من جهة وتشغيل للأيدى من جهة أخرى .

٢٠ — شهادات الميلاد ، وتسجيل المعلومات الضرورية عن كل فرد مما يستلزمه المجتمع الحديث المنظم . فمتى ؟ متى ؟ .

٢١ — ومتى تنتقل إدارة البريد إلى أبناء الكويت ، لتحسينه وضبطه ، وتعميم صناديقه ، وتوزيعه فى المدينة وفى القرى ، والسرعة فيه ؟!.



السلحفاة هى شعار بريد الكويت ، كما تخيل ذلك أديب كويتى !

٢٢ — الهجرة ... هجرة الأجانب إلى الكويت ، أما آن أن يكون لها علاج وقانون ؟ . نخشى أن يضيع الأصلاء بين الدخلاء !.

٢٣ — مطار الكويت الحديث يجب أن يظهر بسرعة إلى عالم الوجود ...

٢٤ — أخشى أن تكون العناية بمدينة الكويت قد حافت بحقوق قرى الكويت.

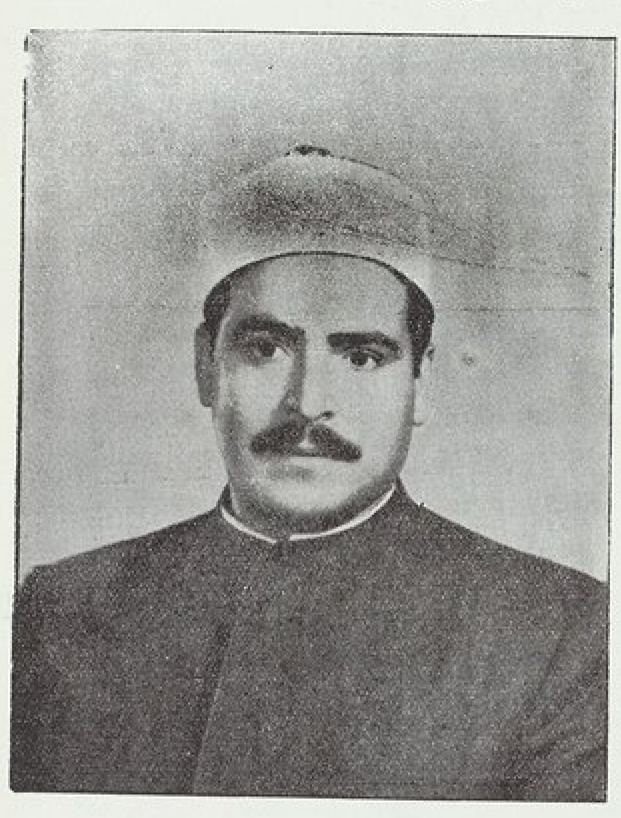
٢٥ — آمل أن أعيش حتى أرى الإمارة مكسوة بالنبات والأزهار !!..

ما يعجبنى ومالا يعجبنى فى الكويت

الصديق المخلص هو من يصارح أحباءه بمالهم وما عليهم فى لين ورفق . . .

فى عدد ديسمبر سنة ١٩٥٣ نشرت مجلة (البعثة) الغراء حديثاً بعنوان (مع الأستاذ الشرباصى) . وقد وجه فيه الأستاذ يعقوب يوسف الحمد إلى مؤلف الكتاب سؤالا ليجيب عنه وهو : ما الذى أعجبك فى الكويت ؟ وما الذى لم يعجبك ؟ . وفيما يلى نثبت الحديث كما نشرته المجلة :

« فضيلة الأستاذ الشرباصى لا يحتاج لمن يعرّفه ، وخاصة لقراء (البعثة) ، لأنه لم يترك عدداً منها لم يكتب به مقالا من مقالاته القيمة فى الدين والأدب والاجتماع ، والإرشاد والتوجيه .



صورة المؤلف التى نشرتها البعثة مع الحديث

وقد كانت حسنة من حسنات المعارف ولا شك عندما تعاقدت هذا العام مع شخص كشخص فضيلة الشيخ الشرباصى ، ولا شك أننا نعتبر موافقة الشرباصى لأن يتعاقد مع معارف الكويت تضحية منه ، وهو الشخص الذى له هذه المكانة والمنزلة الرفيعة فى بلاده .

وإن ميدانه فى الكويت كما قال ليس الاقتصار على المدرسة والطلبة بل البلاد

أجمع ، ولذلك لا نستغرب إذا رأيناه من أوائل المحاضرين والمتكلمين فى كل ناد وجمعية ، ومن المتصلين بأغلب الشخصيات والأفراد دائماً ، وإننا لنأمل أن تستفيد الكويت منه كثيراً فى الميدان الثقافى والروحى والاجتماعى .

ولقد سأله أحد أفراد البعثة بالكويت عما يعجبه وعما لا يعجبه فى الكويت ، فكانت إجابته كعهدها دائماً صريحة ، واضحة ، ظاهرة ، حاوية لجميع النواحى والمشاكل فى الكويت ، ولا شك أن (البعثة) تشكره على هذا الاستهلال ، وترجو أن تنشر له فى كل عدد من أعدادها الكثير من التوجيه والتعليق لما يراه فى مختلف مناحى الحياة . . .

ما أعجبنى فى الكويت

١ — أمانة الأفراد وذكاؤهم ، وتخففهم من التكلف .

٢ — فسح صدورهم للقاء إخوانهم العرب والمسلمين ببشاشة وترحاب .

٣ — تأميم العلاج ، وجعل المستشفى والدواء لجميع الشعب بالمجان ، وهذا أسمى ما تطمح إليه الأمم الحديثة .

٤ — نشر التعليم بالمجان ، مع صرف الكتب والأدوات والملابس أحياناً ، والنهضة الكبرى فى هذا الميدان .

٥ — الجد الظاهر فى عمليات البناء والإنشاء والتعمير .

٦ — الاتجاه الجدى إلى النواحى الاقتصادية والصناعية والفنية .

٧ — متابعة الحركة العلمية والأدبية ، مع الفهم الملحوظ فى المطالعة والتحصيل .

٨ — استقرار الأمن وقلة الحوادث ، واطمئنان الناس على أرواحهم ومتاعهم ودورهم ، بلا رقابة مكشوفة أو ظاهرة ، وبلا إرهاب أو تخويف كما تضطر بعض الدول لحماية أمنها وحفظ أرواحها .

٩ — صلاحية النفس الكويتية لفيض العاطفة الدينية ، مع حسن الاستجابة للتوجيه الإسلامى السليم .

١٠ — الرضى بالحياة والتفتح لها ، مع قسوة هذه الحياة على أبنائها أحيانا كثيرة .

١١ — عدم حرص الكثيرين من المثقفين من أبناء الكويت الذين حصلوا على درجات جامعية من الخارج على الوظائف الحكومية ، بل انعرجوا إلى أعمال

اقتصادية أو تجارية ونجحوا فيها ، ويُرجى خير كثير على أيديهم للبلاد ، الآن وفى المستقبل .

وما لم يعجبنى

١ — عدم ظهور التعاون الجدى بين المصالح والمنشئات،حتى تتوافر الروح العامة فتبين للجميع ماذا يعملون ، ولماذا يعملون ، وكيف يتعاونون .

٢ — إهمال المرأة فى الناحيتين المادية والعلمية ، وأقصد بالناحية المادية عدم الاهتمام الواجب بها من ناحية صحتها ، ورياضتها . . .

٣ — أخذ ما يرد من خارج الكويت من كتب وصحف ومجلات ، بلا تدقيق فى التفرقة بين ما يصلح للمطالعة وما لا يصلح لها ، ولا أستثنى فى ذلك الزاد الثقافى الوارد من وطنى مصر ، ففيه ما يقبل وما يرد .

٤ — عدم العمل الجدى على حل مشكلة الماء من نواحيها جميعها ، مع أن ازدهار الحياة العمرانية بالكويت متوقف على توافر الماء .

٥ — عدم ظهور شخصية البيئة الكويتية الخاصة فى مناهج التعليم ، ولو فى الضرورى اللازم .

٦ — عدم تسجيل أسماء المواليد والوفيات ، مما يعرّض ولاة الأمور والمربين فى المدارس والقاضين بين الناس لمتاعب كثيرة .

٧ — الإبقاء على المنازل القديمة ، رغم ما فيها من عيوب صحية وهندسية .

٨ — التأخر فى إصدار صحيفة يومية أومجلة أسبوعية إخبارية على الأقل إلى الآن .

٩ — عدم الاستفادة الواسعة الشاملة من تأثير الإذاعة فى الكويت ، مع أنه يمكن أن تكون الإذاعة أكبر مؤثر وموجه للشعب ، إذا اتسع نطاقها ، وتعددت مناهجها ، وتنوعت المواد التى تقدمها ؛ كالأحاديث الدينية والمحاضرات الثقافية وركن الأطفال ونشرات الأخبار والتوجيهات الصحية وخلاصات الأنباء المتعلقة بالعالمين : الإسلامى والعربى .

١٠ — عدم التوسع فى الاهتمام بألوان الرياضة البدنية ، وبخاصة بين البنات ، مع أنها أصبحت ضرورة من ضرورات تكوين الفرد الصالح للوطن .

ذكريات الكويت

قيدت أثناء إقامتي بالكويت مذكرات يومية عاجلة ، فيها تصوير لجوانب من الحياة هناك ، وكنت أود أن أبسط المطوى من شئون هذه المذكرات وشجونها ، ولكن الحديث قد طال ، فلم يبق إلا التسجيل السريع لهذه الذكريات التى تعد قطعة من صميم الواقع ، ولعل القارئ سيلاحظ بسهولة أن كثيراً مما مضى خلال الكتاب كان له مكانه هنا ؛ وسنبدأ بتلخيص الذكريات التى وقعت فى شهر أكتوبر سنة ١٩٥٢ ، إذ تركتُ مصر العزيزة إلى الكويت الشقيقة ظهر الثلاثاء السادس من الشهر المذكور ؛ وفى نشوة اللقيا ، وفى الأيام الأولى التى عمرتها عواطف المحبة والأخوة ، كتبت الكلمة التالية التى تصور الرحلة واللقاء ، وتجمع بين تقدير الحاضر وحسن الرجاء فى المستقبل :

هذه هى الكويت[1] !! ..

هذه هى الكويت العزيزة الغالية ، الحبيبة إلينا ، القريبة من الأفئدة والأرواح أكثر من اقترابها من الأجسام والأشباح ..

هذا هو البلد الكريم الطيب ، ولؤلؤة الخليج العربى اللامعة الساطعة ، التى ناجاها القلب ، وتعلقت بها الروح منذ ثلاثة عشر عاما أو تزيد ، فقد كنا طلابا بادئين فى إحدى كليات الجامع الأزهر الشريف ، وهى كلية اللغة العربية — حرسها الله معقلا للغة القرآن وأدب العرب — والتقيت فى القاهرة العامرة بالأخ الكريم والمربى المفضال الأستاذ عبد العزيز حسين مدير المعارف بالكويت الآن ، وقد سعى فى ذلك الحين من شاطىء الخليج إلى رحاب مصر ليتلق علومه فى الدراسات العالية بالأزهر ،

---

(١) قدمت لهذا المقال بالكلمات التالية :

« أول الغيث قطر ثم ينهمر ، وهذه أولى الكلمات عن الكويت ، وقد حملنا بها مد بطول انتظار ، ولنا من بعدها جولات وخطرات ، والدوح الكريم يوحى على الدوام وفى انتظام بنبيل الأفكار ، ولعلنا نقضى بحسن استيحائنا له واجبات للعروبة والإسلام » .

حتى يكون رسول ثقافة وعلم ، ينفر إلى قومه فيحمل إليهم الهدى والنور ، ويدعوهم إلى ميادين الخير والحق والجمال .

وتوثقت بيننا روابط الصداقة فى سرعة عجيبة ، وعرفت معه فيما بعد الأخوين العزيزين الأستاذ يوسف عمر وكيل المعهد الدينى بالكويت الآن ، والأستاذ أحمد العدوانى المدرس بها أيضاً ، ولم يمض قليل من الزمن حتى أنشأنا فى الكلية (جماعة الطلبة العرب) للتعريف بالعالم العربى ، وتوثيق الروابط بين أبنائه ، وإلقاء سلسلة من المحاضرات عن ماضيه وحاضره ، وكتابة ما يمكن كتابته عن آلامه وآماله ، ووزعنا أقطار العروبة وإماراتها على الأعضاء ليدرسوها ويحاضروا عنها ، وكان من نصيبى (إمارة الكويت) ! ! . .

ونشرت الجماعة فى الصحف وفى لوحات الإعلانات دعوة عن محاضرة لى موضوعها : (التعريف بالكويت) . وجاءنى أحد الطلاب ، وقال لى بعد أن قرأ الدعوة : « ولماذا اخترت الكويت من بين الشعراء لتحاضرنا عنه ؟ » . وعرفت أن الشاب العربى قد اختلط عليه (اسم الكويت) الإمارة العربية العزيزة باسم (الكميت) الشاعر العربى المعروف ؛ فقلت له : يا أخى ، ليست (الكويت) شاعراً كما حسبت ، ولكنها إمارة عربية كريمة ، واقعة على الخليج الفارسى . فقال الشاب : معذرة فإنى لا أعرف عن هذه الإمارة شيئاً . . فقلت : وهذا عيبنا الذى يجب أن نحاربه ونصلحه ، ويجب أن نتوقاه بدراسة وطننا العربى الأكبر ، لأن الدراسة سبيل التعارف ، والتعارف يؤدى إلى التآلف ، والتآلف يفضى إلى الوحدة ، والوحدة طريق الفوز والنجاح : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » . .

وزادتنى هذه المحاورة تعلقاً بالكويت ، وحرصاً على دراستها ، وتقرباً من أبنائها ، فتحدثت إليهم وسمعت منهم ، وخطبت فيهم وكتبت لهم ، ثم حاضرت عن الكويت وكتبت عنها .

وظللت على هذه الصلة التى تزداد مع الأيام تشعباً وعمقا ، وتتضاعف على طول الزمن يقينا وصدقا . .

ورأت النفس بعين الخيال (لؤلؤة الخليج) . ثم جاء الوعد الحق ، ووجب الوفاء به ، وآن للذى أحب الكويت وأحب أبناءها ؛ أن يسعى إلى الكويت ، وأن يراها رأى العين ، وقد كان فيما مضى يراها بالخاطر والفؤاد . .

آن لمن نشأ فى بيئة عربية إسلامية تعز العروبة والإسلام ، وتعدهما أثمن ميراث لها فى الحياة ، أن يشاهد بقعة كريمة طيبة من بقاع العروبة والإسلام ، فقد وُلدنا وتربينا فى بيئة تؤمن بأن الشرق الخالد هو مهبط الوحى ، ومنزل الرسالات ، ومسرى النبوات ، ومستراد الدعوات ، فالقلب يطوى له فى أحشائه وفى أعماقه الذكر الحميد ، والتقدير المجيد . . .

وتؤمن بأن (العروبة) جماع مكارم ومفاخر ، بها تتضح الرجولة ، وتظهر الفحولة ، وتكمل البطولة ، فالرح تسامر هذه الخلال وتلك الخصال — ممثلة فى العروبة — مسامرةَ الأوفياء من الأحباء . .

وتؤمن بأن (الإسلام) هو عماد الأمر وأساسه ، هو قارورة الدواء ، وبلسم الشفاء ، ومضخة الإطفاء ، ومصباح الضياء : « ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » ؟ ! .

* * *

لقد كنت خلال الصيف الماضى مشغولا برحلة ثقافية اجتماعية إسلامية إلى اليونان وتركيا وسوريا ولبنان ، نظمها (المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة) . وقد عهد إلىَّ بمهمة (الرائد الدينى) لشبابه ، وإبان ذلك تلطف مدير المعارف بالكويت فكتب كتابا خاصا إلى الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر ، يرجوه فيه أن يقرر إيفادى هذا العام مبعوثا من الأزهر الشريف إلى الكويت ، حتى أسعد بالإسهام فى النهضة التعليمية المباركة التى تبدت بشائرها فى الكويت بصورة تدعو إلى الغبطة والتفاؤل . .

وكانت ثمة شواغل تشغل ، وأثقال تبهظ ، وواجبات تستنفد الوقت والجهد هنا وهناك ، وكانت ثمة (الوثبة الكبرى) فى مصر التى طالما أمَّلناها ، وحدونا ركبها ، وتطلعنا إلى مقدمها ، فكيف ننأى عنها وهى تقبل بنورها ونارها ، وبتبعاتها وثمارها ، وبفصولها وأدوارها ؟!..

ولكن التى تدعو هى (لؤلؤة الخليج) ، ولها فى النفس عهود وذكريات . . ولكن الطالب هو الصديق الكريم مدير المعارف الذى رافقته فى الدراسة ، وزاملنى فى حجرة الدرس ست سنوات ، مرت كأنها طيف الحبيب الهاجر ، أو حلم العاشق المهجور ... وكذلك أيام الهناء قصار ... وللصديق الكريم حق يجب أن يؤدى ، وفيه رجاء يجب ألا يخيب ، وعنده مواهب أسأل من بيده مقادير الأمور أن يوفقه ويعينه على جميل استخدامها واستغلالها فى سبيل العروبة والإسلام . .

إذن ؛ على الله توكلنا ، فلنخرج من هذا التعلل وذاك التردد وذلك التأخر بأداء ما دعينا إليه ، وليكن بعد ذلك ما يكون .

وليس — إلا الله — من يعلم أين يقع الخير ، وأين يحسن النزول . .

وكان الصحاب والأصدقاء الكبار والصغار يصدوننى عن هذه الرحلة ، برفق حينا وعنف مخلص أحياناً أخرى ، وكانوا يلومون فيسرفون فى اللوم ، ويستمهلون فيسرفون فى الاستمهال ، ويذكرون ما يذكرون من قضية الوطن وحاضره ، وحاجته إلى الأيدى العاملة والعزائم الشابة ، وما هناك من مجالات واسعة للعمل وميادين فسيحة للنشاط والإنتاج . . ولذلك كنت أعللهم ، أو أخفف حدتهم بأن الموضوع لا يزال (محل نظر) ...

واستوفيت أسباب الرحيل فى طى الكتمان ، وأخفيت موعد السفر عن الأصدقاء والزملاء ، فلم يعلم أحد منهم بموعد الرحيل ، ومن هنا لم يسع أحد منهم لتحية وداع أو كلمة دعاء .

***

وكان السفر بالطائرة ظهيرة يوم الاثنين السادس من شهر أكتوبر سنة ١٩٥٢ ، وكانت هناك ألوان من الطائرات ترحل إلى الكويت ، منها الغربى ، ومنها الشرقى ، ولكنى آثرت (شركة مصر للطيران) ، فهى أولى بى وأنا أولى بها ، وإنى لمصرى أشعر بالفخار والرضى كلما رأيت لمصر العظيمة المجيدة أثراً من آثار القوة والنهضة ، فكيف بى وأنا أشهد نسورها يحلقون فى الفضاء بسفن الهواء ، ليُشعروا العالمين أنهم بحمد الله وتوفيقه أشداء أقوياء ؟! ...

ولقد ركبت الطائرة من قبل ، ورحلت بها رحلة واسعة بين القاهرة وكراتشى ، وعلمت علم التجربة ما فى الطيران من راحة ومتعة وسرعة ، وقد تحدثت عن ذلك من قبل فى فاتحة كتابى : (عائد من الباكستان) ، ولذلك لم أحسب للطائرة حسابا ؛ وهناك شريكة حياتى ، لم تركب الطائرة من قبل ، ولكنها مستبشرة بركوبها ، لا تخافها ولا تهابها ، بل تظهر استعدادها للرحيل بها فى المشارق والمغارب ..

ولكن هناك الوليد العزيز المفدّى (حازم) . والولد مجبنة مبخلة ، كما يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم ، فقد كنت أخاف عليه أن يرعبه أزيز الطائرة أو تأرجحها ، أو صعودها وهبوطها . . وجاءت ساعة التجربة ، وأخذنا أماكننا فى الطائرة المصرية — سلمتْ وسلم معها أخواتها — وبدأت الرحلة بما يصحبها من أزيز وارتفاع وتأرجح ، فإذا بالشبل الصغير لا يخاف ولا يهاب ولا يبكى ، ولا يلجأ إلى الصدر الحنون ليعتصم به ، بل يلعب ويمرح ، ويصر على أن ينتقل — وهو لم يبلغ العامين بعد — فى ممر الطائرة ، ليرى ويتطلع ، ويداعب الركاب والراكبات ، ونحن نحاول الحد من نشاطه وحركته خوفا عليه ، فلا يزداد هو إلا عناداً ، وإصراراً على إثبات وجوده ، وإظهار حيويته وإبداء نشاطه .

حازم أحمد الشرباصى

رعتك العين التى لا تنام يا (حازم) !!...

بدأت الطائرة رحلتها من مطار (ألماظه) فى الثالثة بعد الظهر ، وقرابة السادسة بلغنا (دمشق) عاصمة الأمويين ، والبلد العربى الإسلامى المجيد ، صاحب التاريخ الطارف والتليد . وأخلدت الطائرة إلى الهدوء لتقضى ليلتها فى مطار دمشق ، ونقلتنا

السيارة إلى فندق أنيق رشيق ، قضينا فيه ليلة هادئة مريحة ، وإن كان الأهل قد فاتهم أن يمتعوا بصرهم برؤية دمشق فى وضح النهار . .

وفى الصباح الباكر عادت بنا السيارة تنهب الطريق نهباً إلى المطار ، وصافحت وجوهنا نسماتُ الصباح الباردة المنعشة ، وما هى إلا لحظات حتى كنا فى الطائرة من جديد ، وبدأت سيرها فى نحو الساعة السابعة صباحا ، وأخذت تشق طريقها فى أجواز الفضاء ، مسدَّدة الخطا ناعمة البال ، ولما قاربت (لؤلؤةَ الخليج) أخذت تترنح قليلا ، فتعلو وتهبط ، وتسف ثم تجنِّح ، وقبيل الحادية عشرة وصلت الطائرة (مطار الكويت) سالمة بحمد الله تعالى ، ولاح لنا بناء المطار المتواضع ، فثارت فى النفس عواطف ، وتجددت لها أشواق . .

وقد سبقت الإشارة إلى ما وقع لنا من تخلف وتأخر فى رحلتنا إلى الكويت — كان الله لها ورعاها — وأبى لطف إخواننا من أبناء الكويت الذين قرأوا لنا واتصلوا بنا من قبل إلا أن يخرجوا للقائنا فى المطار عدة مرات ، كلما سمعوا بفوج من المدرسين القادمين من مصر ؛ خرجوا رجاء أن يلقوا أخاهم فيطلعوه على جوانب من برهم ووفائهم ، وشاء الله أن يحرمه ويحرمهم هذه اللقيا .

وكما خرجنا من (مصر) لا يدرى بخروجنا أحد ، أقبلنا على (لؤلؤة الخليج) لا يدرى بنا أحد ، ولكن (برقية) وصلت قبيل هبوطنا إلى الرجل المفضال السيد سليمان العدسانى (مدير المالية بمعارف الكويت) تنبئه بوصولنا ، فهرع بسيارته لاستقبالنا ، وهناك تلاقينا بعد أن تراسلنا من قبل ، ولما صافحنى قدَّم إلى رسالةً كان على أهبة إرسالها إلىَّ فى نفس الطائرة التى وصلتُ بها . .

معذرة أيها الرفاق الكرام الذين سعوا إلينا فلم يجدونا ، فما تخلفنا طائعين ، بل كنا مكرَهين ، والله يجمعنا بكم دائماً فى أطيب الأحوال !..

ودرجت بنا السيارة والأذن تسعد بسماع الرجل الطيب السيد سليمان العدسانى يقص علينا من أخبار الكويت فى ماضيها وحاضرها الشىء الكثير . . . وبلغنا المنزل المختار لنا ، وفوجئنا بنقصان لوازم تلزمنا ، ولكن كل شىء يهون فى سبيل (لؤلؤة الخليج) ! .

وبعد ساعات جاءنى السيدان عبد الله العلى وعبد العزيز السالم[1] يدعوانني إلى إلقاء كلمة فى افتتاح (جمعية الإرشاد الإسلامية) فى حفل يقام بدارها اليوم ، فكانت هذه الدعوة أجمل بشرى أقابل بها فى الكويت ، فتنسيني الكثير مما أشكو ومما أرجو ، فلأول مرة فى تاريخ الكويت تقوم جماعة إسلامية ، تذكر بالله وترشد إلى حماه ، وتدعو إلى الخير ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر « وأولئك هم المفلحون »

وقد تفضل صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح أمير الكويت وحاكمها برعاية هذه الجمعية ، فكانت تلك الرعاية تقديراً وتكريماً ، ومعاونة للجمعية على أداء رسالتها ، وشق طريقها إلى ميادين نشاطها وحركتها . وقد استجبت لهذه الدعوة فرحا ، وألقيت فيها بالمساء خطبة عن أصول الإسلام ومبادئه الإنسانية ، وروح الجماعة فى الإسلام ، ومكانة المرشدين والدعاة إلى الله ، وعناية الإسلام بالعروبة والشرق والوطنية القوية والروح الإنسانية ؛ بعد أن قدمت بين يدىْ ذلك تحيتى وتحيات الشبان المسلمين فى مصر ، بل تحية مصر كلها ، إلى الكويت ، وبعد أن بسطت جانباً من العواطف التى يطويها الفؤاد بالنسبة إلى الكويت . .

وقد قابلت سمو الأمير الحاكم ، فأعجبتنى دماثة أخلاقه ، ورحابة صدره ، وثقافته الأدبية ؛ كما قابلت الأمراء الأجلاء الذين يوجهون نهضة الكويت اليوم : الشيخ عبد الله الجابر الصباح رئيس المعارف ، والشيخ عبد الله المبارك الصباح رئيس الأمن العام ، والشيخ فهد السالم الصباح رئيس البلدية والأشغال ، فوجدت فيهم ملامح تجعلهم أهلا لما هم فيه ، وتوقعت أن يكتب لهم ربهم توفيقا ، حتى يؤدوا واجباتهم الكبرى فى سبيل إمارتهم وشعبها العزيز . .

* * *

أما بعد ، فقد سألنى أكثر من واحد هنا : ما رأيك فى الكويت ؟ . وقد أجبت بأن الكويت أشبه بالعروس الجميلة المحجبة ، التى تخفى جمالها عن عيون الناظرين ومواطن التبذل ، فإن انصرف المرء عنها لحجابها وتقنعها ، حرم من معرفة جمالها وإدراك حسنها ، وإن أحسن الزلفى إليها ، وصبر على دلالها وتمنعها ، ووثقت هى

---

(١) هو الأستاذ نجيب جويفل .

بصبره وطهره وإخلاصه ، أخذت تتكشف له رويدا رويدا عن مفاتنها ومحاسنها ، ولا تزال تدنو منه وتتقرب إليه ، حتى تمزق أمامه الحجاب ، وتلق بالنقاب ، وتصرح عن طبيعتها أمام خير الصحاب ! ! .

إن بعض القادمين لأول مرة إلى الكويت العزيزة الكريمة الغالية ، يلاقون شيئاً من الصعاب والمتاعب ، فقد تضايقهم أوضاع المنازل ، وقد تشق عليهم مسألة الماء ، وقد لا يجدون أشياء يريدونها ، أو يجدونها نادرة وغالية ، وكثير من هؤلاء يضيقون بسرعة ، فلا يفهمون الكويت ، ولا ينتفعون بروح مجتمعها ، وأما الصابرون أولو العزم فهم الذى يكتشفون بعد قليل محاسن العروس ، ويفوزون برضاها ، ويسهل أمامهم ما كان بالأمس عسيرا . .

أيتها العروس المحجبة الطهور . . إنا طلابك وخطابك ، ولك ماتشائين من الصداق : حب وكرم أخلاق ، فلا تطيلى حبل الهجران مع وفاء الأخدان . وأشرق علينا بنورك الوهاج البهيج ، يا (لؤلؤة الخليج) ! ! . .

* * *

وفى يوم الاثنين ١٣ أكتوبر : دعانا سمو الشيخ عبد الله الجابر إلى مأدبة عشاء فى قصره ، وتكلم كثيرون شعراً ونثراً فى محامد الشيخ ، وقد ألقيتُ كلمة عن نهضة الكويت ، ووجوب مضاعفة العناية بالتعليم ، ووجوب غرس العقيدة والإيمان فى نفوس العاملين لنهضة الكويت ، وأن يتعاون الجميع ويتآخوا فى سبيل النهضة ؛ وقد نشرت مجلة البعثة وصفاً لتلك المأدبة ، وملخصاً لتلك الكلمة التى ارتجلتها ، وفيما يلى ما نشرته المجلة :

فى ضيافة رئيس المعارف

أقام حضرة صاحب السعادة الشيخ عبد الله الجابر الصباح رئيس المعارف بالكويت فى مساء ١٣ أكتوبر الماضى حفلة عشاء فى قصره ، حضرها عدد كبير من الأساتذة المنتدبين المصريين ، كما حضرها بعض الصحفيين من مصر وهما الأستاذان إسماعيل الحكيم وزكريا خليفة ، وصحفى عراق هو الأستاذ إسكندر المعلوف ، وقد جلس الجميع قبل المأدبة ، يتوسطهم سعادة رئيس المعارف ، وتحدثوا كثيراً فى مختلف

الأمور العربية والإسلامية ، واستعرضوا صفحات من تاريخ الجهاد الذى قامت به الكويت ، لحماية ذمارها من عدوان المعتدين ، وكيف أظهر الكويتيون أثناء الأزمات شجاعة وثباتا وإقداما . وكان من الموجودين الأستاذ عبد العزيز حسين مدير المعارف ، والسيد سليمان العدسانى مدير إدارتها ، والأستاذ درويش المقدادى نائب مدير المعارف .

وبعد العشاء خطب الأساتذة : إسكندر المعلوف الصحفى ، وعبد العزيز الغربللى سكرتير مدير المعارف ، وأحمد أبو بكر إبراهيم المفتش للغة العربية ، والشيخ رياض هلال وكيل شيخ المعهد الدينى(١) ، والشيخ أحمد الشرباصى مبعوث الأزهر إلى الكويت وصديق (البعثة) .

وقد أجمع سائر الخطباء على وجوب التعاون بين أبناء البلاد العربية ، حتى يتكاتفوا فى بناء الوطن العربى على أساس متين من الثقافة العالية والعلم الصحيح والإيمان السليم .

وفيما يلى خلاصة للكلمة التى ألقاها صاحب الفضيلة الشيخ أحمد الشرباصى فى ذلك الاجتماع ، قال فضيلته : « سعادة رئيس المعارف . . . أيها السادة :

لقد تحدثنا الآن طويلا عن الأدوار التى مرت على إمارة الكويت العزيزة الغالية وهى تجاهد من أجل حريتها وكرامتها ، ودفع عدوان المغيرين عليها المريدين الفناء لها ، وهذه الأدوار تُظهر بجلاء ووضوح مبلغ ما فطر عليه الكويتى من شجاعة وإقدام ، وإباء للضيم وترفع عن الهوان .

ومن الواجب علينا وقد عرفنا هذه الناحية خير معرفة أن نذكر ناحية أخرى لها جلالها وخطرها وقيمتها فى نهضة الكويت الحاضرة ، تلك هى ناحية العلم ، فالعلم هو الذى يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات ، والعلم هو الذى يقيم الحياة ويسمو

---

(١) ألقى الشيخ رياض ليلتئذ خطبة فياضة فى مدح الشيخ عبد الله الجابر الصباح ، وتعداد محامده ومآثره ، وقد استشهد فى طليعتها بقوله :

كانت مساءلة الركبان تخبرنا عن مخبر (ابن صباح) أحسن الخبر
حتى التقينا ، فلا والله ما سمعت أذنى بأفضل مما قد رأى بصرى !

وكذلك أفاض الأستاذ أبو بكر فى الحديث عن الكويت وأهلها ، وعن النهضة العظيمة التى نهضتها ، وللأستاذ فى تمجيد الكويت قصائد متعددة .

بالأحياء ، والعلم هو الذى يحرر الأمم من أغلال الجهالة والذلة ، ويقود الشعوب إلى العظمة الصحيحة والحضارة الصالحة .

وقد بدت فى الكويت الآن بوادر نهضة علمية ، وبشائر وثبةٍ ثقافية ، أعتقد أنها لو استمرت فى طريقها المستقيم ، وتعاونت الأيدى والهمم والعزائم على دوامها ، لبلغت بها الكويت كلَّ ما يتمناه لها العربى المسلم الغيور . . .

وحينما جاءتنى هذه الدعوة من الرئيس ، وأخبرنى أخى مدير المعارف أن سعادة الشيخ يريد أن نكون فى قصره عند الخامسة مساء ، قلت فى نفسى : هذا أمير عربى كريم ، قد بسط الله له فى الجاه والمال والثروة ، وهو يريد أن يبسط يده السمحة البارة بجوانب مما وهبه الله للصفوة من ضيوفه الذين يمثلون جامعة إسلامية عربية صغيرة ، وهو يريد أن يعجل لهم هذا الإكرام قبل المساء ، وفى وقت مبكر ، وقدرت ما ينتج عن إقبال طعام العشاء على طعام الغداء ، والوقت بينهما حسب الموعد قليل أو قريب المسافة ، ومائدة الأمير من غير شك حافلة بأطيب الآكال والثمار ، مما يظهر الكرم العربى الأصيل ، الذى يتبدى على رمال الصحراء ، فيحيلها إلى روضة غناء ، وإن شح فيها الزرع والماء .

قدرت كل هذا ، وفكرت فيه وأنا قادم إلى رحاب الداعى الكريم — ولا أكتمك الحقيقة يا سيدى — ولكنى بلغت المكان ، فإذا نخبة مختارة من كرام الزملاء والصحاب ، وإذا الداعى واسطة العقد فى حلقة الاجتماع ، وإذا شئون وشجون من الحديث والسمر الحلو ، تتفرع وتتشعب وتتوزع ، وإذا ندوة ثقافية ، حلوة ممتعة ، صال فيها فرسان الكلام والفكر ، واستفاد منها القلب والعقل ، وكان لرئيس المعارف فيها نصيب مذكور دلنا على معرفته وألمعيته وحصافته . . .

ثم انتقلنا من ظلال الأشجار فى مستراح الرئيس إلى رحبة ديوانه الفسيح ، فرأينا مجموعة من الصحف والمجلات والكتب المصرية وغيرها أشعرتنا بأن رب الدار مع من حوله حريص على الثقافة والمعرفة ، طالب للعلم مهما بعد مصدره ، ومهما شط منبعه ؛ وأخذ رئيس المعارف بعد هذا يقص علينا من ذكرياته الشخصية والعربية والاجتماعية ما جعل الحاضرين — وفى طليعتهم خطباؤهم — ينوهون بذلك فى إفاضة وتوسع . ومن هنا قلنا : لا عجب إذن أن يكون هذا الرجل قائد النهضة العلمية

فى إمارة الكويت المتوثبة الطموح ، فقد جمع الله له بين بسطة الكرم ، وبسطة العلم ، ومتى اجتمع للمرء قدرة اليد وغزارة العلم فقد صلح للقيادة والتوجيه ، ولا أحب أن أفيض فى قرائن وأمثال لهاتين الصفتين ، فقد كفانى الخطباء السابقون أداء ذلك الواجب .

وثمة ناحية أخرى يا سمو الرئيس . . أصارحك القول بأننى كنت أتصور الكويت أقل مما رأيت . نعم ، كنت أعرف منذ بعيد شهامة أهلها وذكاء بنيها ، وطموح شبابها وقوة أخلاقها ، وكنت أتتبع أخبارها ، وأتحدث عنها هنا وهناك ، وكنت أعرف أن فيها نهضة بادئة فى التعليم والتعمير والاقتصاد ، ولكننى جئت الكويت بعد أن دعيت من قادتها لأشارك فى نهضة التعليم بها ، فإذا بى أرى نهضة واسعة باهرة ، أقنعتنى بأن أهل الكويت يستطيعون بما هيأ الله لهم من خصائص ووسائل أن يفعلوا فى الأسابيع والشهور ما لايستطيعه غيرهم من الكسالى فى الأعوام والدهور . رأيت يقظة لافتة للأبصار والبصائر ، فهناك إصلاحات الإضاءة ، وهناك مشروعات المياه ، وهناك مشروعات الإنشاء والتعمير ، وهناك نهضة التعليم بأنواعه : الثقافى والتجارى والصناعى ، وهناك مدارس البنات تسعى إليها أمهات المستقبل ، لينلن النصيب المفروض من العلم ، قبل أن تطويهن أستار الخدور !!..

ولكن هذه الأبنية الفخمة والمنشآت العالية والدور الضخمة تحتاج إلى سلك كهربائى ، يربط بينها جميعاً ، ويسرى خلاله تيار واحد ، يؤثر ويوجه ، ويجمع ويدفع .. تحتاج إلى روح مسيطر على الأيدى والعقول والمشارب ، ليوحدها ويؤلف بينها ، ويحقق لها التعاون العام . . تحتاج إلى استشعار المبدأ وغرس الإيمان ، فنعرف هنا فى الكويت — وكلنا للكويت — ماذا نعمل ؟ ولماذا نعمل ؟ ومن أين نبدأ ؟ وكيف نسير ؟ وأين ننتهى ؟ . . ما هى الفكرة ؟ وما هو الهدف ؟ وماهو الأسلوب ؟ .

معاذ الله أن أقرر أن أعمالكم تصطبغ بالارتجال ، أو أن مشروعاتكم تتسم بالاختلال ؛ فالنهضة هى النهضة ، وأنتم تبنون وتصلحون بلا جدال ، ولكن الخلايا الكبيرة متمايزة ومتفرقة ، ونحن نريد أن تكون متزاوجة متلاقية على بصيرة ورشد ..

يجب أن يكون هناك ارتباط بين الأعمال والإصلاحات . . يجب أن ننقش أصول الفكرة الإصلاحية فى كل صدر .. يجب أن يوجد الإدراك والإيمان الشامل [1]

---

(١) وهكذا كان صديق الكويت صريحا فى نصحه ، وهو يتكلم فيها أول مرة ! .

عند العاملين لهذا التجديد ، بلا فرق بين كبير وصغير . يجب أن يدرك البنّاء الذى يشيد جدار المدرسة ماذا يبنى ولماذا ؟. ويجب أن يدرك الصبى الذى يساق إلى المدرسة وهو صغير طوعا أو كرها ماذا يراد به من الخير حين يساق هذا المساق ؟. ويجب أن يؤمن كل قائم بعمل من أعمال الإصلاح بأن هذا واجب ، وبأنه خير ، وبأنه جزء من كل ، ولبنة من بناء ، واللبنة وحدها ليس لها كبير نفع ، ولكنها مع أخواتها بناء مشيد ... ويوم يؤمن الجميع ويتلاقون ويتعاونون ويستشعرون الروح العام يبلغ الإصلاح غايته المرجاة .

والله أسأل أن يبسط لنا فى أعمارنا حتى نرى الكويت الحبيبة ، وقد تحقق لها مايرجوه كل عربى مسلم غيور من الخير والفلاح ...

* * *

وبعد أن انتهى فضيلة الشيخ الشرباصى من ارتجال كلمته وجه إليه الأستاذ إسكندر المعلوف الحديث قائلا : يجب أن ندعو إلى حسن التعاون بين العرب المسلمين والعرب غير المسلمين .. فقال الأستاذ الشرباصى : إن نبى الإسلام عربى ، وإن كتاب الإسلام عربى ، وإن العرب هم الذين نشروا الإسلام ، وقد حفظ الإسلام حقوق غير المسلمين كما حفظ حقوق المسلمين . وليس هناك أعدل ولا أرحم من الإسلام بغير المسلمين ، ولقد أسىء استغلال الإسلام فى بعض الأحيان للتعصب أو التحزب ، والإسلام من هذا الاستغلال برىء ، ويوم يسود الإسلام وتطبق تعاليمه حقيقة يصبح غير المسلمين أسعد الناس بحياة العدالة والإنصاف بين المسلمين ، لأن مدعى الإسلام الذى يظلم غير مسلم باسم الإسلام ليس بكامل الإسلام . .

وقد سر الأستاذ المعلوف بهذه الإجابة كثيراً .

وفى نهاية الاحتفال خرج الجميع وهم يثنون على سعادة رئيس المعارف ، ويشكرون كرمه ، ويقدرون علمه وأخلاقه[1] .

* * *

وفى صباح ١٤ أكتوبر : قابلت صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح فى قصر السِّيف ، وكان الحديث ذا شجون ، دار حيث دار ، ثم انتهى إلى التنبى

---

(١) الى هنا ينتهى مانشرته مجلة البعثة .

وشوقى ، والأمير يفضل المتنبى ، وأنا أقول إن أحمد شوقى قد تهيأت له ألوان من الثقافة جعلته يقول ألوانا كثيرة من الشعر ، وأما المتنبى فقد كان محدود الأغراض ، وإن كان بارعاً فى تصوير طبائع النفوس وصوغ الحكم والأمثال .

وفى مساء ذلك اليوم ألقى الأستاذ المفضال عبد المجيد مصطفى — رئيس بعثة وزارة المعارف بالكويت — فى جمعية الإرشاد الإسلامية محاضرة قيمة عنوانها : (الفردوس المفقود) وقد عقبتُ على المحاضرة بتعليق مسهب كان موضوعه : (الدروس التى نستفيدها من قصة الفردوس المفقود) ! .

وفى يوم الخميس ١٦ أكتوبر : حضرنا اجتماعا بدار جمعية الإرشاد لتوزيع الدروس على أصحاب الفضيلة العلماء ، وفعلا تم ذلك ، ووُزعت دروس فى التفسير والحديث والفقه والدعوة والتاريخ الإسلامى ، كما وُضع نظام لإلقاء بعض العظات عقب صلاة الجمعة ، ووضع نظام لإلقاء محاضرات الثلاثاء . وقد أُبلغت أن الجمعية اختارتنى رائداً دينياً لها .

الأستاذ عبد المجيد مصطفى

وفى يوم الجمعة ١٧ أكتوبر : ألقيتُ خطبة الجمعة فى مسجد السوق ، وهو من أكبر مساجد الكويت ، وخطيبه هو الشيخ عبد العزيز حماده المدرس بالمعهد الدينى ، وقد نظمت مكبرات الصوت فى المسجد ، وتحضره جموع كبيرة ، وكان موضوع الخطبة : (مقارنات بين غنى القلب وغنى الجيب) ؛ ومن القليل إلقاء غير الخطيب الموظف خطبةَ الجمعة . وفى المساء أهديتُ مجموعات من كتبى لبعض الأصدقاء والهيئات . ثم ذهبت مع شقيق فضيلة الأستاذ السعيد الشربينى الشرباصى إلى نادى المعلمين ، لجلسة مع مديره الأستاذ حمد رجيب ؛ وقد تحدثت إلى الصديق عن الإصلاحات التى يجب أن تتم فى الكويت سريعاً على أيدى أبنائها ، وبتوجيه حاكمها وشيوخها . ومنها على سبيل المثال : تزويد المطبعة الكويتية

بالفنيين حتى يمكن أن تطبع فيها الكتب والمجلات . ومحاربة الحفاء بين الجنسين بتبيان مضاره ، وتوزيع الأحذية على حفاة العمال قدر الطاقة . وتنظيم دروس فى التدبير المنزلى والصحة والثقافة والأخلاق والدين للسيدات الكبيرات على أيدى مدرسات فى مدارس البنات . والإشراف العلمى على الإذاعة الكويتية وتنظيمها بإنشاء : ركن المرأة وركن الأطفال وتنظيم المحاضرات والأحاديث الدينية والمسرحيات الأخلاقية والأغانى العربية المهذبة . وإصلاح الأوقاف وتنظيمها ، أو إلغاء ما يجب إلغاؤه منها حسب الدين والمصلحة . ووضع قانون عام للكويت بنوعيه المدنى والجنائى . وإيجاد نظام تعاونى عام يربط بين جميع المصالح والدوائر برباط وثيق .

وطلب منى الأستاذ حمد أن أشارك بالمحاضرة فى النادى والكتابة فى (الرائد) فوعدت . وطلب منى أن أحدد له عناوين لمناظرات تقام فى النادى فعرضت مايلى :

(ا) يستطيع الشرق الاكتفاء بثقافاته .

(ب) الاكتفاء بالاجترار من الماضى سبب التعويق .

(حـ) الرجل مفتاح الشقاء للمرأة .

(ء) السلام العالمى خيال واهم .

(هـ) المستقبل للحياة المادية ... وقد وعدنى الأستاذ بالعمل الجدى لتحقيق الاقتراحات السابقة جهد طاقته ، وأخذ بها مذكرة مكتوبة .

وفى يوم الثلاثاء ٢١ أكتوبر : ألقيتُ المحاضرة الأولى من محاضرات الثلاثاء بدعوة من جمعية الإرشاد فى مسجد (الملا صالح) وهو أكبر مسجد فى الكويت ، وقد حضر المحاضرةَ عدة آلاف احتشدوا فى المسجد وعلى سطحه وفى ساحته ، وكانت محاضرتى عن (أمين الأمة أبى عبيدة بن الجراح) واستمرت قرابة ساعتين ، ولاحظت أن القوم فيهم رغبة فى الاستماع وصبر عليه ، وقد حضر كثير من العلماء والمدرسين والأدباء ، منهم مدير الأوقاف ومدير مالية المعارف . وقد كان توفيق الله فى هذا الاجتماع ملحوظا .

والملا صالح بانى هذا المسجد من رجال الكويت المشهورين ، لأنه كان رئيس الكُتَّاب فى أيام الشيخ جابر وابنه الشيخ مبارك والشيخ سالم والشيخ أحمد الجابر ، وبذلك كان على صلة بحوادث الكويت فترة طويلة ، وهو الملا صالح بن محمد بن صالح

ابن عبد الله بن عبد الرحمن العنزى ، ولد سنة ١٢٩٥ هـ بمدينة الكويت . فى محلة الشيوخ ، فى بيت الملا المشهور ، وتوفى والده سنة ١٣٠٠ ، فتعلم الملا صالح الكتابة والقراءة والحساب فى عليكره بالهند ، وكذلك تعلم بالكويت عند الشيخ محمد الفارسى ؛ واشتغل بعد ذلك فى (المحمرة) لأن التجارة كلها كانت فيها ، وكانت وظيفته مباشرة القبض والتسليم فى التجارة ؛ فلما انتقلت المراكب إلى مدينة الكويت عام ١٣١٩ هـ انتقل معها ، وظل فى وظيفته بأمر الشيخ مبارك الصباح ، ثم تولى مباشرة الأملاك وقت الإثمار ، مع قيامه بوظيفة الكاتب الثانى عند الشيخ مبارك . وفى سنة ١٣٢٤ هـ صار سكرتير الشيخ مبارك ، وظل كذلك إلى عهد الشيخ أحمد الجابر ؛ وكان يقوم بالمراجعات السياسية بين الحكومة الكويتية والمعتمدين السياسيين ، ونال ثلاثة أوسمة لبراعته وكتمانه الأسرار ؛ وقد ترك الوظيفة سنة ١٣٦٠ لكبر سنه ، وتولى بعده الوظيفة نجله الأكبر السيد عبد الله الملا ، وللملا صالح ولد ثان هو محمد ، وقد قام الملا برحلات إلى الهند والعراق وإيران ونواحى الخليج ؛ وهو من الأشخاص المشهود لهم بالثقة والإخلاص ، وقد اعتمد الشيخ عبد العزيز الرشيد على الملا صالح فى معلومات كتابه (تاريخ الكويت) ، وتفنن فى الثناء عليه فى آخر الكتاب .

وفى يوم الأربعاء ٢٢ أكتوبر : تلاقيت مع الأستاذ عبد العزيز حسين مدير المعارف ، وذكرت له بعض الملاحظات عن منهج الدراسة الثانوية ، وعن كتب الثقافة العامة وصعوبتها على التلاميذ ، ككتب العبقريات للعقاد التى قررت للسنة الأولى الثانوية ، ورجوته زيادة العناية بالناحية الدينية فى المدارس ؛ وقد حدثنى عن الوضع الخاص للكويت ، وحاجته إلى التلطف والحذر .

وفى يوم الخميس ٢٣ أكتوبر : ذهبت مع الأستاذ عبد العزيز حسين فى سيارته لزيارة آلات تقطير الماء الملح ، وزرنا البناء الجديد الفخم الواسع الذى شُيد للمدرسة الثانوية بالشويخ ، وسيكون جميع طلابها خاضعين للنظام الداخلى بها ، كما رأينا مسجد المدرسة الجميل ، والمبانى الحديثة التى شيدوها للمدرسين المتزوجين والأعزب ، مما قد يوصف بالمبالغة عند بعض الناس .



فى ركن من المدرسة الثانوية بالشويخ ... سمو الشيخ عبد الله الجابر وعلى يمينه الدكتور عبد الوهاب عزام فسمو الشيخ عبد الله المبارك ... وعلى اليسار الأستاذ الفضيل الورتلانى فالسيد سليمان العدسانى فأحمد الشرباصى (بعبعته) فالأستاذ عبد المجيد مصطفى فالشيخ رياف هلال وغيرهم من أبناء مصر والكويت



فى جانب من بهو فسيح للطعام بالمدرسة الثانوية الجديدة ... جمع من رجال الكويت ومصر

وفى مساء اليوم نفسه حضرنا حفلة سمر دعانا إليها نادى المعلمين لافتتاح نشاطه الثقافى هذا العام ، وقد عُرضت طائفة من الألعاب المضحكة والفكاهات العامية ، وفى وسط الحفلة نهض السيد عبد العزيز السالم (نجيب جويفل) وألقى كلمة مضادة لجو الحفلة ، إذ نعى على الضحك حين يتعرض المسلمون للهوان والخطر ؛ وقد صفق القوم للكلمة بعد انتهائها ، ثم عادوا مباشرة لما كانوا فيه !.

وفى يوم الجمعة ٢٤ أكتوبر: ركبنا السيارة ضحى ، ومعنا السادة على عبد اللطيف الجسار وحمود عبد اللطيف الجسار وعبد الرزاق العسكر ، واتجهنا إلى مدينة الأحمدى لأداء صلاة الجمعة هناك وإلقاء محاضرة عقيبها ؛ ومدينة الأحمدى هى المدينة الكويتية الإفرنجية التى توجد فيها شركة النفط وموظفوها ومعامل التكرير وكميات النفط المهيأة للتصدير .

وصلنا المسجد قبيل الصلاة وطفنا داخله وصعدنا إلى منارتيه ، وهو يقع فى الجهة الشرقية من المدينة ، وهو حديث البناء حسن النظام ، قريب الشبه بمساجد القاهرة الحديثة المتوسطة ، وقد بنى من الطوب الأبيض الذى يستورد من البصرة ، ويبلغ ارتفاع المسجد نحو عشرة أمتار ؛ ونحو ثلثى المسجد — أو أكثر قليلا — مسقوف والباقى مكشوف ، وللمسجد مئذنتان مستديرتان كالأسطوانة ، كل واحدة منهما تنتهى بقبة دائرية فى أعلاها هلال ونجمة ، وهى شبيهة بقباب الشيعة ؛ وهذا المسجد يتسع لألف شخص أو أكثر ، وأرضه ممهدة بالبلاط الأحمر ، ومفروش بالسجاد الأزرق الجميل ، وأعمدته دقيقة ، وحيطانه نقية مطلية بالملاط الأبيض ، والمنبر من سبع درجات ، ولكنه أصغر بكثير من منابر مصر ، وجداره من الأعمدة الحديدية وكذلك بابه ، وعلى جانبى المنبر صواوين ممدة للكتب ، وليس فيها الآن إلا أجزاء من المصاحف يتلو فيها الناس ، وفجوة المحراب فى الحائط واسعة وعريضة ، قد تتسع لوقوف ستة أشخاص ؛ والمسجد مزوّد بالكهرباء والمرواح والماء العذب ، وفيه دورة مياه حديثة ، بها أماكن خاصة منسقة للوضوء ، ومراحيض حديثة وحمامات .

ويمكن للواقف على سطح المسجد أن يتنسم هواء الخليج الذى يبعد شاطئه نحو تسعة كيلو متر عن المسجد — كما قيل لى — وللمسجد ثلاثة أبواب فى الجهة الشرقية ، وواحد منها لدورة المياه الموصولة بالمجارى ..

وإمام المسجد شيخ بلوخستانى اسمه على محمد ، وهو يسكن فى حجرة بالمسجد وليس له أسرة ، وقد تعلم بمدينة دلهى فى الهند ، ويعرف الأوردية والفارسية والعربية وقد قدم إلى المسجد منذ سنة ، أى منذ افتتاحه ، وقد خطب فى الجمعة خطبة نصفها بالعربية التى لم تهتم بقواعد سيبويه ، والنصف الثانى بالأوردية ؛ وبعد الصلاة قدمنى هو والسيد على الجسار للحاضرين ، فألقيت محاضرة عن (تكريم الإسلام للعمل والعمال) ، وذلك لأن أغلب المصلين من الذين يعملون فى المدينة ، وأطلت فى شرح الحديث : « التمسوا الرزق فى خبايا الأرض » ، وعدنا بعد الساعة الثانية إلى مدينة الكويت . وفى المساء عقدت فى جمعية الإرشاد الإسلامية ندوة إسلامية حرة ، يسألنى فيها من شاء ما شاء ، وقد حضرها عدد كبير ، ودار معظم الحديث على استغفار الرسول وغزوة تبوك وحاضر المسلمين .

وفى يوم السبت ٢٥ أكتوبر : ألقيت محاضرتى (واجبات المواطن الصالح) فى دار النادى الأهلى ، إذ دعانى لافتتاح موسم المحاضرات بتلك المحاضرة ، ووزعت رقاع الدعوة ، وحضر عدد كبير من الأدباء والعلماء ومديرى الأعمال ورؤساء المصالح والإدارات وطائفة من الشيوخ ، وعلى رأسهم سمو الشيخ عبد الله المبارك رئيس الأمن ورئيس الشرف للنادى ؛ وقد ألقى السيد خالد يوسف النصر الله عضو النادى الكلمة التالية فى تقديم المحاضرة :

« سيدى الرئيس ، سادتى الأمراء ، إخوانى الأفاضل ...

بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن زملائى أعضاء النادى أحييكم أطيب تحية ، وأشكركم جزيل الشكر على تلبيتكم دعوتنا ومشاركتنا فى هذا الحفل . . . سادتى الأجلاء ... إن النادى سيقوم بعدة خدمات جليلة لخدمة هذا البلد العزيز ، وبحول الله ومساعداتكم الفعالة وتشجيعكم لنا سيجعلنا نستمر فى القيام بخدمتكم فى جميع النواحى الاجتماعية . واللجنة الثقافية لهذا النادى ستقيم فى كل مناسبة اجتماعات لإلقاء المحاضرات القيمة من قبل خيرة الشخصيات المعروفة ؛ وابتدأنا نشاطنا الثقافى بصديق الكويتيين ومحبوب الجميع الذى عرفناه قبل أن نراه ، بما كان يكتبه عن الكويت فى شتى المواضيع المفيدة والإرشادات القيمة على صفحات مجلتنا المحبوبة (البعثة) وغيرها من الصحف الثانية ، ألا وهو صاحب الفضيلة الشيخ أحمد الشرباصى ،

وها هو الآن يتفضل بتشريفنا لإلقاء محاضرته القيمة وكلمته الشيقة ، وموضوع محاضرته الليلة (واجبات المواطن الصالح) . والنادى يشكره جزيل الشكر على تلبيته دعوتنا محبذا فكرتنا ، ونتمنى من صميم فؤادنا أن يسدد الله خطانا ليقوم هذا النادى بشبابه الوثاب للقيام بالواجبات المفروضة عليه تجاه هذه البقعة ، وإننا بتعاوننا ونظامنا سنسير بهذه السفينة إلى شاطىء السلامة ، تحت راية أميرنا الجليل سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح ، ورؤساء دوائرنا الكرام .

سادتى الأفاضل ، لا أحب أن أطيل الكلام ، لأترك المجال لفضيلة الشيخ الشرباصى ، ليتفضل بإلقاء محاضرته » .

وألقيت المحاضرة ، وكثر التقاط الصور فى كل مكان وخاصة فى مكان سمو الشيخ رئيس الشرف ، وبعد إلقاء المحاضرة جلست مع الأمير نتحدث فى شتى الشئون ، وكان مما قاله إنه يرحب بالتلاقى من حين لحين لتبادل الرأى فى شتى الموضوعات .

وفى يوم الأحد ٢٦ أكتوبر: سجلت على شريط فى جمعية الإرشاد محاضرةً عن أبى بكر الصديق ، وقد استغرقت قرابة الساعتين ؛ ثم حضر الأستاذ الشاعر محمد على الحومانى إلى الجمعية ، وكان لقاء وتعارف ، وكانت هناك مجموعة من أعضاء الجمعية ، فقدمت إليهم الأستاذ الحومانى بكلمة ، ثم ألقى قصيدة من شعره السياسى الناقد البليغ ، وبعدها استمعوا إلى المحاضرة المسجلة .

وفى يوم الاثنين ٢٧ أكتوبر : ذهبنا فى الأصيل إلى جمعية الإرشاد الإسلامية ، لحضور حفلة الشاى التى تقام لأساتذة المدرسة المباركية ، وبعد تناول الشاى ألقيتُ كلمة عن التعريف بالجمعية وأغراضها ، وعن أملها فى معونة المدرسين لها ، ثم تكلمت عن مكانة العلم والمعلم فى الإسلام . وبعد الاحتفال وانصراف المدعوين جاء الأستاذ الحومانى ، وسجل قصيدته الطويلة القوية فى مدح الرسول صلوات الله عليه ، وقد قدمت لها بكلمة عن الشعر فى الإسلام ، وعقبت عليها بأخرى عن شخصية محمد العظيم ، وكيف كانت منبعاً دائماً لفيوض الشعراء .

وفى يوم الثلاثاء ٢٨ أكتوبر: بدأتُ (أحاديث الثلاثاء) الأسبوعية فى المدرسة المباركية ، قبيل صلاة العصر الجامعة التى تقيمها المدرسة لجميع الأساتذة والطلاب

وأتشرف بإمامة القوم فيها ؛ وقد قدمنى المربى الفاضل الأستاذ عبد المجيد مصطفى رئيس بعثة وزارة المعارف بالكويت وناظر المدرسة المباركية بكلمة سخية بالثناء على الضعيف — غفر الله لى وشكر الله له — ثم ألقيت الحديث الأول عن (الصلة بين المدرسة والمنزل) وقلت فيما قلت إن التلميذ يعطى صورة من بيته وأسرته للمدرسة فيجب أن يحرص كل تلميذ على سمعة بيته بين أساتذته وزملائه ، وذكرت الصفات الواجبة للتلميذ ؛ ثم اتفقنا على أن يكون هذا الحديث منى كل ثلاثاء ، فى مثل هذا الموعد ، يجلس الجميع فى أماكن الصلاة ، وألقى الحديث ثم نقوم إلى الصلاة ، ثم نتجه بعد الصلاة إلى الدرس الأخير فى اليوم المدرسى .

واليوم المدرسى فى الكويت مقسوم قسمين ، الأول من السابعة والنصف صباحا إلى نحو الثانية عشرة ، والثانى من الثالثة إلى الخامسة تقريباً ، وكل قسم يسمى (دوام) . وفى يومى الاثنين والخميس (دوام) واحد .

وفى المساء كانت محاضرة الثلاثاء فى مسجد السوق الكبير ، وكان هناك عدد كبير من الناس ، وكان المحاضر السيد عبد العزيز السالم ، وقد تحدث مفيضاً عن العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، وقد ألقيتُ كلمة قبل المحاضرة عن دور الشباب فى الإسلام ، وما ينتظر من شباب المسلمين اليوم .

وفى يوم الأربعاء ٢٩ أكتوبر : جاءنى فى منزلى مذيع المحطة الكويتية لتسجيل بعض الأحاديث الصباحية وأحاديث الجمعة تطوعا وبلا مكافأة ، وقد سجلت أربعة أحاديث صباحية هى : (عودة إلى الإيمان — بين الرسول وأصحابه — بين الطالب والمطلوب — الاعتزاز بالفضيلة) وكذلك حديثين للجمعة هما : (دقائق الاستغفار — الماء فى نظر الإسلام) . وكان هذا التسجيل بناء على اتفاق من السيد عبد العزيز العلى مع رئيس الإذاعة سمو الشيخ عبد الله المبارك على أن تذاع لى أحاديث صباحية كل منها ربع ساعة ، وأحاديث للجمعة كل منها نصف ساعة . وقد أذاعت المحطة مساء اليوم محاضرتى المسجلة عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وفى يوم الخميس ٣٠ أكتوبر : حضرنا حفلة الشاى التى أقامتها جمعية الإرشاد لرجال المعارف ، وقد حضرها مدير المعارف وأعضاؤها ، وبعد تناول الشاى قدمنى

السيد عبد العزيز العلى لإلقاء كلمة ، فتحدثت فيها عن مكانة المعلم فى الحياة ، ونهضة التعليم الموجودة فى الكويت ، ووجوب تدعيمها وإنهاضها على أسس إسلامية ، ثم تحدثت عن أهداف الجمعية الدينية والثقافية . وفى المساء ذهبت مع مراقب الجمعية العام وشقيق الأستاذ سعيد لزيارة محطة الإذاعة ، وهى ملحقة بدار الأمن العام ، تحتل حجرتين متداخلتين فقط ، فى الداخلية منهما بعض الأجهزة وطائفة من الأشرطة المسجلة ، وفى الخارجية مكتب وبعض المقاعد والملفات ، وقابلنا السيد مبارك عبد الرحمن الميال ، وهو شاب زكى تعلم فى الكويت ويقوم بمهمة المذيع ؛ واقترح المذيع والسيد عبد العزيز أن يوجه المذيع إلىّ أسئلة وأجيب عنها فوراً ، وتذاع الأسئلة وأجوبتها أثناء الحوار . وقبلت الفكرة ، وانتهت الأغنية التى كانت تذاع ، وبدأ المذيع يسأل وأنا أجيب والشريط يسجل ؛ وفيما يلى نص هذا الحوار منقولا عن مجلة الشبان المسلمين :

فى محطة الإذاعة الكويتية

بين مصر والكويت[1]

المذيع : « هنا الكويت ، حضرات المستمعين الكرام ، تشرفتْ هذه المحطة بزيارة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ أحمد الشرباصى عضو جبهة علماء الأزهر ، ومبعوث الأزهر الشريف إلى الكويت ، وبصحبته السيدان عبد العزيز العلى المراقب العام لجمعية الإرشاد الإسلامية بالكويت ، وفضيله الأستاذ السعيد الشرباصى المدرس بالمعهد الدينى ومبعوث الأزهر إلى الكويت أيضاً » .

---

(١) نشرت مجلة الشبان المسلمين هذا الحوار فى عدد نوفمبر سنة ١٩٥٢ ، وقدمت له بالعبارة التالية : « أوفد الأزهر الشريف صاحب الفضيلة الأستاذالشيخ أحمد الشرباصى الرائد الدينى لجمعيات الشبان المسلمين مبعوثا إلى إمارة الكويت ، وقد بدأ الأستاذ نشاطه الإسلامى عقب وصوله ، فنظمت محطة الإذاعة الكويتية له عدة أحاديث صباحية ومحاضرات مسائية ، وهذه أول مرة فى تاريخ المحطة تنظم فيها مثل هذه المحاضرات ، وقد دعت المحطة الأستاذ الشرباصى فى مساء ٣٠ أكتوبر الماضى لزيارتها ، وفى أثناء الزيارة رجا الأستاذ مبارك الميال المذيع بالمحطة من الأستاذ الشرباصى أن يجيب على عدة أسئلة ، وقد تقبل فضيلته ذلك ، وأذيعت الأسئلة والأجوبة أثناء الزيارة من المحطة ، وكذلك سجلت أثناء إذاعتها ، وكانت مفاجأة طيبة ، وفيما يلى نص المحاورة الارتجالية التى دارت بين المذيع والأستاذ الشرباصى » .

المذيع : يا أستاذ أحمد . سمعنا أنك تحب الكويت من زمن بعيد ، وأنك تكتب عنها كثيراً . فلماذا أحببتها ؟ ..

الأستاذ الشرباصي : الواقع أنها فرصة طيبة ومناسبة جميلة أن أزور دار الإذاعة الكويتية ، وكان حبيبا إلى نفسي أن تفاجئني المحطة ، فتوجه إلىّ بعض الأسئلة لأجيب عنها . . .

أما السبب فى حبى الكويت وفى كتابتى عنها فلذلك تاريخ يرجع إلى الوراء سنوات كثيرة ، حينما كنت طالبا فى كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية فى مصر ، وحينما التقيت ببعض زملائى الطلبة القادمين من الكويت ليتعلموا فى كليات الأزهر الشريف ، فتعارفت معهم ، ولمست منهم أخلاقا رقيقة كريمة عالية ، دلتنى على أن إمارة الكويت — أو لؤلؤة الخليج كما أحب أن أسميها دائما — قطعة عزيزة غالية من أرض الوطن العربى الإسلامى الكريم ، وآلمنى أن يكون أغلب إخوانى فى مصر لا يعرفون شيئاً ذا بال عن هذه الإمارة ، لا عن ماضيها ولا عن حاضرها . . .

وأنا قد نشأت فى بيئة شرقية عربية إسلامية . . . شرقية تؤمن بأن الشرق هو مهبط الوحى والرسالات . . . عربية تؤمن بأن العروبة مجموعة من خصال الرجولة وشمائل البطولة . . . إسلامية تؤمن بأن الإسلام هو دين الله الذى ينقذ البشر ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ؛ والكويت قطعة من الشرق ، وقطعة من بلاد العروبة ، وقطعة من بلاد الإسلام ؛ ولذلك أحببت الكويت وكتبت عنها ، وحاضرت حولها ، وظللت متصلا بأبنائها إلى اليوم ؛ وظلت الأيام تزيد هذه الصلة تأكدا وعمقا على مرها وتتابعها . . .

المذيع : ما هو شعورك عند وصولك إلى الكويت ؟ وكيف كنت تتصورها قبل وصولك إليها ؟ .

الأستاذ الشرباصي : يا أخى ، هذا فى الواقع سؤال يدعو إلى شىء من الحيرة ؛ فالإنسان عندما يسعى إلى بلدة سمع بها من قديم ، وتحدث عنها عدة مرات ، وأحبها وتأصل حبها فى قلبه وعقله ، وراسل الكثيرين من أبنائها ، وقرأوا له ، واستقدموه وانتظروا قدومه ، لايستطيع بسهولة أن يصور شعوره الذى طاف بنفسه وقلبه عندما رأى هذا البلد الحبيب لأول مرة ، بعد ذلك الشوق البعيد العميق الذى كان يعتمل

فى صدره . . . أصدقك الحديث حين أقول لك إن شوقا طاغيا كان يعتمل فى صدر الإنسان وهو يطير إلى الكويت ، لأنه سيرى البقعة التى أحبها زمنا طويلا ، وكتب عنها ولها شيئاً كثيرا ، وكان له فيها أصدقاء كثيرون ؛ أصدقاء رآهم ، وأصدقاء لم يرهم ولكنه اتصل بهم عن طريق العقل والروح . وكنت فى الواقع — ولا أكتمك الحقيقة — أتصور الكويت أقل بكثير فى الناحية العمرانية مما رأيتها ، فقد كنت أتصور الكويت لاتزال باقية على مبانيها القديمة ، ولا تزال فى شوارعها الأتربة مكدسة ، ولكننى عندما نزلت أرض الكويت رأيت مدينة ناشئة ، وحياة واسعة ، وحضارة مستحدثة ، ونهضة طيبة : الشوارع تُشقُّ وترصف ، والمياه تتخذ لها الوسائل الحديثة لتكون فى متناول الأيدى ، بدل التعب المضنى فى سبيل الحصول عليها ، والسيارات تغدو وتروح ، ومحلات البقالة والعطارة وغيرها فيها الحاجيات والأشياء المختلفة ، حتى لقد كانوا يخوفوننا فى مصر من الحياة فى الكويت بصورة مؤثرة ، وينصحوننا بأن نحمل معنا كل شىء من أمتعة الحياة ولوازمها ، فحملنا من مصر بعض هذه الحاجيات ولم نحمل البعض الآخر ؛ فلما جئنا الكويت وجدنا فيها كل شىء تستلزمه الحياة ، مع شىء من الغلاء والارتفاع فى الأسعار ، وحمدنا الله على أننا وجدناها أكثر مما تصورناها ، فلم يخب ظننا فيها ، وإنما كانت رؤيتنا لها أكثر من سماعنا عنها ، وكلما طالت إقامة المرء فى الكويت تفتحت له ، وسهل عليه ما كان يشكوه من قبل .

المذيع : هذا صحيح يا فضيلة الأستاذ ... سؤال ثالث : ماهى أهدافكم العامة التى عاهدتم ربكم على العمل لها والوصول إليها ؟ . . .

الأستاذ الشرباصى : لعلك تقصد الأهداف العامة التى أسعى إليها فى الكويت ، أو فى لؤلؤة الخليج ؟ . . .

المذيع : نعم هذا ماأقصده . .

الأستاذ الشرباصى : حسنا ؛ فى الواقع أنا لم أشعر بأننى انتقلت من بلد إلى بلد حينما حملتنى الطائرة من القاهرة إلى الكويت ... لم أشعر بغربة ولا بانتقال ، فأهداف فى مصر هى أهداف فى الكويت ، وفى كل بلد أرحل إليه . . . هى أهداف الرجل

الداعية المسلم العربى الشرقى الإنسانى . . . هى أهداف الرجل الذى لا يريد أن يعيش لنفسه فقط ، لأن الأثر الحكيم يقول : مااستحق الحياة من عاش لنفسه فقط . . .

جئت إلى الكويت وأول هدف من أهدافى أن أقوم بواجبى (الرسمى) ، فأنا مدرس للدين واللغة العربية فى المدرسة المباركية التى تفخر بأنها أول مدرسة كبيرة أنشئت فى الكويت ، وأنها المدرسة الثانوية الوحيدة فيها ، فلا بد من أن أؤدى إلى طلابى فيها واجبهم ، وأسأل الله أن يعيننى كى أؤديه على الوجه الحسن المطلوب .. وبعد هذا يجب أن يكون لى — كداعية إسلامى — نشاط فى الخارج ، أخطب وأحاضر وأكتب ، وأستهدى الله وأطلب منه توفيقه فى أداء الواجب الإسلامى المفروض على كل عالم ، والذى يشمل الناحية العربية ، والناحية الاجتماعية ، والناحية الثقافية ، والناحية الأخلاقية ؛ وإن شئت فقل إن المسلم الصحيح الكامل عندما يؤدى رسالته الإسلامية تشمل هذه الرسالة كلَّ أمر هام من أمور الحياة ، حتى يرتفع بها ويسمو بمعانيها ومبانيها لتكون الحياة سعيدة كاملة العزة .

المذيع : سؤال آخر ... إنك تعمل فى جمعية الإرشاد الإسلامية بالكويت ، فهل لك أن تتحدث إلينا عن أهداف هذه الجمعية ؟...

الأستاذ الشرباصى : من عجيب المصادفات أيها الأخ الكريم أننى كنت — ولا أزال ، وسأظل بمشيئة تعالى — أقوم بمهمة الرائد الدينى للمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية بمصر ، وحينما قدمت إلى الكويت زارنى بعد وصولى بساعات وفد من جمعية الإرشاد الإسلامية بالكويت ، وطلبوا إلى أن أتهيأ فى الليلة الأولى التى أقضيها فى الكويت لإلقاء كلمة فى احتفال يقام فى هذه الليلة لافتتاح الجمعية رسميا ، ثم فوجئت بعد أيام قليلة بأن شرفتنى هذه الجمعية المباركة باختيارى رائداً لها ، ومادام هذا هو عملى فى تلك الجماعة الناشئة الناهضة المباركة ، فأستطيع أن ألخص لك أهداف هذه الجمعية من عنوان الجمعية نفسه : إنها (جمعية) فهى إذن تدعو إلى تحقيق روح الجماعة بين المسلمين كافة ، لأن الله تبارك وتعالى يقول لنا فى القرآن الكريم : « إنما المؤمنون إخوة » . والإخوة يكونون مجتمعين متحابين ؛ ويقول لنا : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، وهذه الوحدة تقتضى منا التلاقى والتآخى والاجتماع . . .

ثم (الإرشاد) ... والإرشاد هو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ... الإرشاد هو تربية الفرد المسلم ، وتربية الأسرة المسلمة ، وتربية الجماعة المسلمة . ثم الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ... ثم كلمة (الإسلامية) ترشدنا إلى أن نتخذ الإسلام لنا رائداً وقائداً ومرشداً ودليلا ، لأنه سر السعادة وطريق القيادة ، والله تبارك وتعالى يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » . ويقول أيضاً : « إن الدين عند الله الإسلام » .

المذيع : ذكرتم فى جواب السؤال السابق أنكم الرائد الدينى للمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية بالقاهرة ، فهل تتفضل فتحدثنا عن تلك الجمعية ؟ .

الأستاذ الشرباصي : حسناً . أعتقد أن هذا السؤال يأتى فى موضعه ومناسبته ، لأن الأثير يحمل صوتى الآن إلى أبناء الكويت الأعزاء ، ويحمله كذلك إلى بقعة كريمة نائية عنا ، وإن كانت حاضرة ماثلة فى قلوبنا ، وهى مصر المفداة ؛ ومن يدرى فلعل هناك الآن من يستمع فى وادى النيل الخصيب وفى مصر الحبيبة إلى هذا الصوت .

وأنا أعتبر تذكر جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة فى الوقت الذى نتحدث فيه عن جمعية الإرشاد الإسلامية بالكويت ؛ أعتبر هذا نوعاً من الترابط والتلاقى ، وتوكيد الصلات بين المسلمين جميعاً ، وبين العاملين لرفعة شأن الإسلام ...

أما جمعية الشبان المسلمين فهى جمعية أنشئت منذ خمسة وعشرين عاما تقريباً ، لتكون حصناً للإسلام وداراً للمسلمين ، وقد رأسها لأول مرة المغفور له الدكتور عبد الحميد سعيد طيب الله ثراه ، ويرأسها الآن المجاهد الإسلامى الكبير اللواء محمد صالح حرب ، وهو من كبار الزعماء الإسلاميين ، وتُعَدُّ جمعية الشبان المسلمين أقدم الجمعيات الإسلامية الكبرى الحاضرة الآن فى القاهرة ومصر ، وقد وُلد فى دارها كثير من الجمعيات والهيئات ، ابتدأت صغيرة ثم نمت واتسعت ، ثم تركت دار الشبان إلى دور خاصة بها استأجرتها أو اشترتها أو بنتها ...

وجمعية الشبان المسلمين تنحصر أغراضها فى تربية الفتية تربية جسمية وعقلية وخلقية مستمدة من روح الإسلام الحنيف . وهناك فى جمعية الشبان المسلمين ألوان كثيرة من التمارين الجسيمة والرياضات البدنية والثقافات الاجتماعية والتوجيهات

الدينية والتهذيبات الخلقية . وتلقى فيها سلسلة من المحاضرات كل عام ، ولقد كنت ألقى فيها قبل حضورى إلى الكويت سلسلة (محاضرات الثلاثاء) يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، وألقى فيها (أحاديث الأحد) كل يوم أحد فى فريق العشرة ، وهو أكبر فرق الجمعية ، و (أحاديث الأربعاء) كل يوم أربعاء فى فريق الجوالة والكشافة بالجمعية ، وللجمعية اهتمام خاص بإحياء المواسم الدينية والذكريات الإسلامية ، وفيها فريق كبير للتمثيل والمسرح الإسلامى .

والصلة بين جمعية الشبان المسلمين وغيرها من الجماعات الإسلامية — كجمعية الإخوان المسلمين وجمعية شباب محمد وجمعية الهداية الإسلامية والجمعية الشرعية وجمعية المحافظة على القرآن الكريم وجمعية التربية الإسلامية ، وغيرها — هى صلة الأخوة والتعاون والتكافل ، لأن الجميع يعملون لله ، ويسعون فى سبيل الله ، فيجب أن يكون الجميع عبادا لله ، متحابين فى الله ، يجمعهم صراط الله المستقيم .

المذيع : أرجو يا أستاذنا أن تحدثنا عن مدى العلاقات الروحية والعقلية والثقافية بين مصر والكويت .

الأستاذ الشرباصى : عندما قدمت الكويت ، وزرت مكتبة المعارف فيها ، وزرت المكتبات الحرة التى تبيع الصحف والمجلات والكتب ، أعجبنى أن أجد أغلب ما يُعرض أو ما يباع فى هذه المكتبات كتبا مصرية ومجلات مصرية وصحفا مصرية . ورأيت كثيرين من أهل الكويت لهم غرام شديد عارم بالقراءة والمطالعة ، وهذا يدل على أن الله يربط مصر بالكويت برباط العقل والثقافة ، عن طريق الكتاب المصرى والمجلة المصرية والصحيفة المصرية ، وهذا شىء يرضى عاطفتى المصرية ونزعتى القومية ، ويجعلنى أفخر بوطنى العظيم (مصر) .

ولكننى أحب فى هذا الموقف أيضا أن أستنهض عزائم إخواننا علماء الكويت وأدبائه وشعرائه ومؤلفيه ، لكى يؤلفوا لنا كتبا فيها صبغة كويتية ، ويصدروا لنا دواوين شعرية من شعر أبناء الكويت ، ويكتبوا لنا قصصا تصور البيئة الكويتية حتى ننقل بعض هذه المؤلفات إلى مصر ، فيقرأها القوم هناك ، وبذلك تتبادل الثقافات ، وتتلقح العقليات بين مصر والكويت .

كذلك من بيت الصلات القوية والروابط الوثيقة بين البلدين أن الكويت تشرّف مصرَ فى كل عام باستقدام طائفة كبيرة من علماء الأزهر الشريف ومدرسى وزارة المعارف للتدريس فى معاهد الكويت ومدارسها ، فيسعدوا بالمشاركة فى نهضة التعليم بالكويت ؛ ولا شك أن وجود هؤلاء المدرسين بين الطلاب الكويتيين ، وتعليمهم لهم مدة طويلة ، يقرّب المسافة بين عقلية الطالب الكويتى وعقلية الطالب المصرى ، فيأتى المستقبل بعقلية مشتركة بين أبناء البلاد العربية والإسلامية جميعا ...

المذيع : هذا صحيح . . . سؤال آخر .

الأستاذ الشرباصى : أهى سلسلة من الأسئلة ؟ . . . (ضحك من الجميع) .

المذيع : نحن ننتهز هذه الفرصة ، فلا تؤاخذنا . . . مارأيكم فى التعليم الدينى والثقافى فى الكويت ؟ .

الأستاذ الشرباصى . أما التعليم الدينى فقد يقال إن رأيى فيه معروف قبل أن أقوله ، لأننى بحكم نشأتى واتجاهى وعملى رجل دعوة ، ورجل دين ، ورجل إسلام ولكننى أصدقك الحديث حين أقول إننى أحيانا أفترض تجريد نفسى من تأثير هذه المعانى كلها ، ولا أحكِّمُ إلا عقلى فى الموضوع ، فأصل بهذا العقل المجرد فرضاً من نزعاتى الدينية ومن عواطفى الإسلامية العميقة فى نفسى ، إلى أن الدين الإسلامى حين نتخذه أساسا فى التعليم والتهذيب يكون الركن الركين لتكوين الفرد الصالح والمواطن الطيب ، فأومن عن طريق العقل بعد أن آمنت عن طريق الدين إيمانا وثيقا بأن التعليم الدينى إذا وجد الرجالَ الراشدين الصامدين الحكماء بنى ونفع .

ولذلك أنا أرجو من قادة التعليم فى الإمارة العزيزة الغالية ، إمارة الكويت ، أن يختصوا هذه الناحية بنصيب أكبر من اهتمامهم الواسع وعنايتهم الأكيدة ، لأننا إذا غرسنا فى نفس التلميذ العواطف الدينية والمبادىء الأخلاقية والهمم الإسلامية من أول الطريق فقد كسبناه رجلا نافعا مستقيما متخلقا متدينا ، يفى ويصدق وينجح فى حياته ، ويستجيب دائما لدوافع الخير والشرف .

أما من ناحية التعليم الثقافى فأحب أن يحرص رجال التعليم الفضلاء فى الكويت على تطعيم المنهاج المصرى الذى يستعار فى الكويت بما يظهر الشخصية الكويتية أثناء التعليم ، لأننا نعتمد فى مدارس الكويت الابتدائية والثانوية على المنهاج المصرى

اعتمادا كليا ، فنحن نجلب الكتب المصرية ، ونوزعها على الطلاب ، ونعلمهم ما فيها ، وهذا من غير شك جميل ، لأنه يؤكد الصلات بين مصر والكويت ؛ ولكن المنهاج قد وُضع فى مصر ؛ وفيه ما قد يكون خاصا بالبيئة المصرية ، ولذلك يجب أن تكون هناك كتب عن تاريخ الكويت ، وكتب عن جغرافية الكويت ، وكتب عن عظماء الكويت ، وكتب عن التجارة فى الكويت ، وكتب عن تاريخ الغوص على اللؤلؤ فى الخليج العربى ، وغير ذلك مما يشعر الطالب الكويتى ببيئته ووطنه وقوميته ، فلا يكون متكلا على المنهاج المصرى فى كل شىء . وهذا ما أعتقد أن رجال المعارف الفضلاء فى الكويت يفكرون فيه ويعملون له ، وسيصلون إلى النتيجة المرجوة منه إن شاء الله .

المذيع : تقصد أن يكون المنهاج مشتركا بين المصرى والكويتى ؟ . . .

الأستاذ الشرباصى : أقصد أن المنهاج الحالى فى مدارس الكويت مصرى ، ويجب أن نطعمه بالخصائص والميزات المتعلقة بالكويت ، لكى يخرج الطالب الكويتى عربيا من جهة عامة ، وكويتيا من جهة خاصة ، فيكون فى الكويت مواطنا صالحا ينفع الكويت ، وفى الوقت نفسه يكون عربيا مسلما ينفع الأمة العربية المسلمة . . .

المذيع : نشكرك يا أستاذ ، ونريد منك لو سمحت أن توجه للشباب الكويتى — وخاصة الطلاب — نصيحة بصفتك مدرسا ؟ ! .

الأستاذ الشرباصى : الواقع أن هذه النصيحة يجب أن يعد لها عدتها ، فإن الخطاب إلى الشباب لا يتسع ولا يكمل إذا جاء مفاجئا ، أو ذيلا لتلك السلسلة من الأسئلة والأجوبة ؛ ولكن المعلم يشعر دائما بروح الأبوة نحو أبنائه الطلاب ، ونحو تلاميذه الشباب ، ولذلك لا يعسر عليه ولا يصعب أن يناجيهم فى كل حين بما يجب أن يُطبعوا عليه من محامد الأخلاق ومحاسن الخصال .

إن الشباب دائما هم عماد الوطن وسناده ، وهم سلاحه وعتاده ، ولذلك نطالبهم بأن يبنوا أنفسهم من أول الطريق على الجسم السليم القوى ؛ فقد قال رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام : « إن لبدنك عليك حقا » . وقال : « المؤمن القوى خير من

المؤمن الضعيف » . وأن يبنوها على العقل الذكى ، فإن الإنسان بلا عقل لا يصلح أن ينزل معترك الحياة ؛ وأن يكون لهم مع هذا أو بعد هذا أو قبل هذا بتعبير أدق دين يرسخ فى الأعماق ، وعقيدة تسيطر على الأعضاء ، وخُلق يتحلون به فى المجامع والمنتديات . . .

والإنسان كما يقولون مكوَّن من جسم وعقل وروح . . . جسمك أيها الشاب يحتاج إلى الصحة والحركة والرياضة . . . عقلك أيها الشاب يحتاج إلى العلم والمعرفة والثقافة . . . روحك أيها الشاب تحتاج إلى أن تطهرها بنور الإيمان وأن تدعمها بمكارم الأخلاق ... ومتى بنيت جسمك ، و كونت عقلك ، وحصنت روحك ، فأنت شاب نافع صالح ، ينتظرك تاريخ كريم فى الغد المأمول .

والله أسأل أن يوفق شباب الإسلام عامة ، وشباب الكويت خاصة ، لأداء واجبهم نحو أنفسهم ، ونحو طوائفهم ، ونحو الناس جميعا ، ونحو عروبتهم ، ونحو إسلامهم الحنيف .

المذيع : نشكرك ياسيدى الأستاذ ، ونرجوك أن تكثر من هذه الزيارات .

الأستاذ الشرباصى : عفواً ، إننى سأستجيب دائما لرغبات المحطة الكويتية ، لعلمى أن الإذاعة من أهم وسائل الثقافة العامة .

المذيع : (إلى المستمعين) استمعتم إلى الأستاذ الكبير فضيلة الشيخ أحمد الشرباصى فى عدة أسئلة وجهها مندوب المحطة إلى فضيلته »[1].

* * *

والإذاعة الكويتية ناشئة وتتطلب الكثير من التوسيع فى المكان والمنهاج . وقد افتتحتْ فى اليوم الثانى من شهر فبراير سنة ١٩٥٢ م ، وقوتها (واحد كيلووات) وطول الموجة ستون مترا ، وهى قصيرة (٥٠٠٠ متر سايكل فى الثانية) ويشتغل فيها مهندس باكستانى اسمه محمد خان طفيل ، ومذيع كويتى هو السيد مبارك الميال ؛ وكانت المحطة تذيع مناهج تجريبية ، تقتصر على القرآن الكريم والغناء والموسيقى ، ثم أصبحت الإذاعة رسمية منذ شهرين ، وأضيفت — كما ذكرنا — الأحاديث الدينية والاجتماعية . وإذاعة الكويت تُسمع — حسب الرسائل الواردة إليها — فى الجزيرة

---

(١) إلى هنا ينتهى الحوار الذى أذيع من محطة الكويت .

العربية والخليج وإيران ومصر ، وقد سُمعت فى لندن كما جاء فى رسالة من مدير الإذاعة بانجلترا[1] .

وفى يوم الجمعة ٣١ أكتوبر: استيقظنا قبل الفجر ، وصليت الصبح فى جمعية الإرشاد بكشافة الجمعية ، ثم ركبنا السيارة ومعنا السيد عبد العزيز العلى المراقب العام والأستاذ عبد الحميد الحبشى ناظرمدرسة المرقاب ، وقصدنا السالمية (الدمنة) فبلغناها بعد نصف ساعة تقريباً ، وبعد أن مررنا على (حَوَلِّى) . والدمنة تقع على شاطئ الخليج ، ولذلك داعبتنا نسمات منعشة ، وهناك ساحة واسعة يملكها السيد عبد العزيز ، وفيها بيت يتخذه مصيفاً له ، وقد قام الأستاذ الحبشى بتدريب الكشافة ، وتناولنا طعاماً خفيفاً ثم عدنا بعد ساعتين .

وقد أذاعت المحطة حديث الجمعة لى هذا الصباح ، وفى الضحى زارنى الأستاذ الشاعر محمود شوق عبد الله الأيوبى ، وارتجل أبياتاً لتحية اللقاء ، وسألته عن أمنيته فى الحياة فقال : إن مايتمناه الإنسان أكثر مما تطيقه هذه الحياة . وسألته عن أعظم شاعر ، فأجاب : فى القدماء المتنبى وفى المحدثين شوقى وعلى محمود طه !.. وقد أهديت إليه كتبى ، وقضينا وقتاً طويلا فى الحديث واستعادة الذكريات .

وفى الأصيل شهدنا المباراة التى أقيمت فى كرة القدم بين النادى الأهلى ونادى المعارف على كأس الأمير ، وكان المشاهدون كثيرين ، وكان اللعب حماسياً ، وحدث قبيل

---

(١) حيا الأستاذ الشاعر عبد القادر يوسف محطة الإذاعة فيما بعد بهذه الأبيات :

دار الإذاعة فى الكويت تحية ... تهدى إليك روائع الأشعار
أنت الفتية ، غير أنك نعمة ... حلت ، ولج تقدم وفخار
يامنبرا يدعو لكل فضيلة ... ويشيع فينا سيرة الأطهار
قد صرت محتشد البيان ، وروضة ... للصادحين ، ومعقل الأحرار
ترنو إليك قلوبنا مأخوذة ... بابسمة الآمال والأزهار
إن كان هذا الشأن شأنك طفلة ... فغدا نفاخر فيك أعرق دار
هذى أيادى ابن المبارك حجة ... فهو المجلى فى حمى المضمار
فى كل يوم آية من بره ... تدعو إلى الإعجاب والإكبار
لم يأل جهداً فى البناء لشعبه ... إن البناء شريعة الأخيار
عاش الأمير ، وعاش راعى أمننا ... لعلى الكويت وأهله الأبرار

النهاية أن حسب الأستاذ عبد العزيز عفيفى حكم المباراة المصرى (ضربةَ جزاء) على فريق النادى الأهلى ، فعارض الفريق وثار ، وهاج المشاهدون ، وأصر الحكم على رأيه ، وبذلك سلم الأستاذ عبد العزيز حسين مدير المعارف الكأس إلى رئيس فريق المعارف !..



فى المباراة بين النادى الأهلى ونادى المعارف ... مدير المعارف وعن يمينه المؤلف ، فشقيقه فضيلة الأستاذ السعيد الشربينى الشرباصى ، وعن اليسار الأستاذ عبد الحميد مصطفى فالأستاذ عيسى الحمد مفتش التربية البدنية بمعارف الكويت

شهر نوفمبر سنة ١٩٥٣

في يوم السبت أول نوفمبر : أذاعت المحطة حديثى الصباحى (عودة إلى الإيمان) ، وبدأت اليوم مع زميلىَّ الأستاذين عبد الله الدشلوطى وزهير الكرمى فى تهيئة مجلة (اليقظة) للصدور ؛ وقد لاحظت أن التلاميذ ينطقون حرف الضاد كما يُنطق حرف الظاء ، فحاولت فى الفصول التى دخلتها أن أقوِّم ذلك الخطأ ، بأن أبين لهم الفرق بين نطق الكلمات : (الضياء ، الضحى ، الضفيرة ، الضباب ، الضلال ، الضبع) ، وبين نطق الكلمات : (الظهر ، الظبى ، الظاهر ، الظلام ، الظالم) وكان التلاميذ يضحكون وهم يحاولون تقويم ألسنتهم وضبط المخرج فى حرف الضاد ، ثم اعتدلوا وجدُّوا ... إنه لا يجمع العرب المسلمين غير أمرين : العقيدة واللغة الفصحى !..

وفى المساء قضيت وقتاً فى جمعية الإرشاد ، لتدريب بعض الشبان على مسرحيتى القصيرة : (الحجاج وسعيد بن جبير[1]) ، وذلك توطئة لتمثيلها وإذاعتها ..

وفى يوم الأحد ٢ نوفمبر : جاءتنى بعد انتظار رسائل كثيرة من : اللواء محمد صالح حرب وفضيلة المفتى الأكبر الشيخ مخلوف والدكتور الدرديرى والسيد عبد القادر مختار والأستاذ سامى الكيالى بحلب والأستاذ محمد سعيد العامودى بمكة وغيرهم ، ويظهر أن البريد بحاجة إلى تنظيم ورقابة . . . وقد أذعتُ اليوم من المحطة محاضرة موضوعها (همسات فى آذان الشباب) ، وسجلتها المحطة لإعادة إذاعتها ؛ وفى اليوم التالى (الاثنين) أذعت محاضرة أخرى موضوعها (خواطر عن الإسلام والمسلمين[2]) .

وفى يوم الثلاثاء ٤ نوفمبر : أهدى إلىَّ الأستاذ أحمد السقاف كتابه (المقتضب) وهو يبحث فى العلل النحوية . وألقيت على تلاميذ المباركية حديث الثلاثاء وموضوعه (الصداقة بين التلاميذ) ، وأشرت فيه لوجوب تعاون التلاميذ على محاربة العادات السيئة ، كوضع الإصبع فى الأنف ، وقضم الأظافر بالأسنان ، والبصاق على الأرض أو المخاط بالأيدى أو بصوت مسموع أو فى مواجهة الغير . . . إلخ ، وتعرضت لوجوب التدقيق فى اختيار الأصدقاء . وفى المساء استمعنا لمحاضرة الثلاثاء من فضيلة الشيخ على عبد المنعم عن (الدعوة إلى الله) ، وافتتحتُ الاجتماع بكلمة جعلتها تدور حول نفحات الله والتعرض لها ، ومؤازرة الداعين إلى صراط الحق بكل مايستطاع ؛ وفى الثامنة مساء أذاعت المحطة لفضيلة الشيخ السعيد الشربينى الشرباصى حديثاً عنوانه (رابطة الزوجية) .

وفى يوم الأربعاء ٥ نوفمبر : أذعت حديثاً عنوانه (حديث إلى فتية العرب) .

وفى يوم الخميس ٦ نوفمبر : عقدت ندوة إسلامية فى جمعية الإرشاد ، وحضرها أغلب أعضائها ، وجعل كل واحد يسأل سؤالا وأجيب عنه ، وكان من موضوعات الندوة : نحن والتشيع — موقف الإسلام من الرق — كلمة الإسلام فى تعدد الزوجات — معنى عذاب (يوم الظلة) . . . إلخ . وقد أذاع فضيلة الأستاذ الشيخ على حسن البولاقى شيخ المعهد الدينى بالكويت حديثاً دينياً الليلة .

---

(١) أذيعت من محطة تونس العربية .

(٢) لعل تسجيل هذا يكبت الذين لا يعملون ويسوؤهم أن يعمل الناس .

وفى يوم الجمعة ٧ نوفمبر : ذهبت قبل الفجر إلى الجمعية وصلينا الفجر، ثم قصدنا السالمية مع فرقة الكشافة ، وأخذ الأستاذ عبد الحميد الحبشى فى تدريبها ، وبدأتُ أتعلم قيادة السيارة ؛ وتناولنا طعام الغداء بدعوة من السيد عبد العزيز العلى ، ومعنا الأساتذة عبد الحميد الحبشى ومحمد السيد قاسم ورياض الجندى وفوزى متولى والسعيد الشربينى الشرباصى وخالد المسعود وعمر الروبى ؛ وبعد الغداء سجلنا محاورة أدبية ، كنت أسألهم واحداً بعد الآخر وهم يجيبون ، وكانت المحاورة تدور حول الكويت وعلاقاتها بمصر ، ومشكلة الماء ، وشعراء الإسلام .

وفى يوم السبت ٨ نوفمبر : قصدنا المطار فاستقبلنا المجاهد التونسى الأستاذ محيى الدين القليبى قادماً من العراق ومعه الأستاذ محمد على سليم من إخوان القاهرة ، وقد صلينا المغرب على رمل الصحراء ، وأحسسنا بلذة روحية عجيبة ونحن نعفر الوجوه بتراب الصحراء ، ونخلطه بثيابنا النظيفة البيضاء ! .

وفى يوم الأحد ٩ نوفمبر : قدم الأستاذ عبدالله زكريا من مصر ، لعقد قرانه المبارك بمشيئة الله ، وفى المساء عقدت ندوة فى الجمعية ، وسئلت فيما سئلت عن قوله تعالى : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » ، وعن الفروق بين القرآن والحديث النبوى والحديث القدسى . . .

وسجلتُ حديثين لمحطة الإذاعة هما : (تحويات إلى الشباب) و (طريق المجد أمام الشباب) . وقد نشرتْ لى الرائد فى عددها السادس[1] كلمة بعنوان (شهيدة) وهى تدور حول المرأة ، وكانت باقتراح من الأستاذين حمد رجيب وأحمد العدوانى ، وأثبتها هنا لما لها من صلة بالخواطر التى تشغل العقول هنا الآن :

شهيــــدة

نعم شهيدة ، ولكنها شهيدة مسكينة مجهولة ، لم تشهدها العيون وهى تُسلم أنفاسها ، ولم ترقّ لها الأفئدة وهى تنزف دمها قطرات ، ولم تبك عليها العيون وهى تلاق مصرعها الأثيم ، ولم تذكرها الألسنة بالرحمة وقد طواها تراب القبور ، ولم

(١) هو عدد أكتوبر سنة ١٩٥٢ ، ولكنه تأخر فى الصدور كثيراً .

تمجدها وسائل التخليد وقد أصبحت فى السالفين ، ولم يتح لها حسن الاستقبال ، أو حسن الاستعراض ، أو حسن التوديع . . فواحسرتاه على الشهيدة الضائعة ! . .

نعم شهيدة ، لم تمض إلى قبرها بدمائها ، ولم تكفَّن فى ثياب بطولتها وجنديتها ، بل حرموها حتى من هذين ، فامتصوا دماءها وهى حية ، وتركوها عوداً نخرا بلا دماء وبلا ماء ، واغتصبوا منها ثياب بطولتها ، فجردوها من كل شىء ، بلا إبقاء أو ارعواء ! . . .

نعم شهيدة ، تطالب بدمائها فى أعناق ظالميها ، بل لعلها أصبحت من قلة الحول والقدرة بحيث لا تستطيع المطالبة ؛ وسيكون لهؤلاء الظالمين معها حساب أى حساب ، حين يلتقى الناس عند الله يوم العرض الأكبر . . .

شهيدة ، قتلوها عامدين أو غافلين بين حجاب جاهل وسفور متحلل ؛ فأقام بعضهم عليها الستائر والقباب ، وحالوا بينها وبين رؤية الشمس والسحاب ، وأرضَوْا غرائزهم المنعكسة ، وطبائعهم المقلوبة ، وأهواءهم المنخوبة ، بالتطاول عليها ، والهضم لها ، والانتقام منها . وليتهم حين حجبوها ، وأسرفوا فى طريق حجابها ، واشتطوا فى أسلوب سترها ، وانحرفوا فى تنفيذ صيانتها ، أعاضوها عما فقدتْ من نور الحياة وضوء السماء عِلماً يهدى ، أو خُلقا يعصم ، أو تربية تزين ؛ ولكنهم تركوها قطعة من أثاث ، وجانباً من سقط المتاع ، كأنها سلعة تُشترى ولا تباع ، فهى إلى الكساد المفضى إلى الفساد . وتتبدل الدنيا فى صغيرها وكبيرها ، وقديمها وحديثها ، وعلمها ومعرفتها ، وثقافتها وتجربتها ، وشهيدتُنا المسكينة مربوطة على الخسف برمتها ، مجللة بالذلة من قدمها إلى هامتها ؛ ويمر بين يديها بنوها وبناتها ، تُلقى عليهم ظلالاً سوداً من جهلها ومهانتها ، فيعيبها اللائمون ، ويشتط فى انتقاصها الجاهلون ، وكأنهم لا يدركون أن الإثم كله فى عنق الذين أفقدوها كل مقومات الحياة والكرامة ، ثم يطالبون فاقد الشىء بأن يعطيه ؛ وهيهات . . . هيهات يا هؤلاء ! . . .

هكذا فعل بعضهم معها ، فجنوا عليها جنايتهم الكبرى ، واستوجبوا القصاص على أنفسهم غداً بسبب ما امتصوا من دمها . وجاء آخرون ضاقت معاطنهم ، أو اضطربت مظاهرهم وبواطنهم ، فأرادوا أن يكونوا عمالقة وهم الأقزام ؛ وتظاهروا بالإصلاح

وهم المفسدون ... فأخذوا شهيدتنا من ظلمات سجنها السحيق العميق ... أخذوها دفعة واحدة ، وبسرعة مسرعة ، وألقوها فى الطريق المشمس المضيء اللاغب اللاجب ، فكانت كالأعشى تسلط على عينيه المريضتين أضواء ساطعة لا يقتدر عليها البصير السليم ، فكيف بالعليل المريض ؟!...

حطموا أغلالها ومزقوا قيودها ، وفتحوا لها الباب على سعته ، وأغروها على سلوك الطريق رغم طوله ، وقدموها للميدان رغم أشواكه وأهواله ، فأغرتها الحرية المفاجئة ، وخدعتها الأضواء الباهرة ، وأعشتها الأنوار المتكاثرة ، فأطلقت ساقيها للريح ، وأخذت تمضى هنا ، وترجع هناك ، وتتردد هنالك ، بلا هدف أو غاية ؛ وأخذت تأكل من هذا ، وتشرب من ذاك ، وتعُبُّ من ذلك ، بلا تبصرة أو تفرقة أو تمييز ، فأصابتها التخمة ، بل الزّلّة ، بل الجموح المفضى إلى الهلاك ...

فأين قصد السبيل يا هؤلاء ؟ . . . وأين المحجة الواضحة التى تفضى إلى المراد ، بلا اعتساف أو فساد ؟! ...

أنتم تسيئون الظن بأخلاق الناس ، وسوء الظن فطنة كما قال القدماء ، وكما يقول المحدثون ... فليكن ما تريدون يا سادة ؛ وصونوا (شيئكم) خير صيانة ، وأعطوه فى الرعاية كل عناية ، ولكن أعطوا أيضاً كل ذى حق حقه ... منعتم الشهيدة المسكينة من الخلوة بالأجانب وهذا مشروع وجميل ، فلا تحرموها من نسيم الحياة ، وحظ الارتياض ، ونصيب الحركة ، فى ظل المصاحبة والاجتماع . وسددتم الطرق على الشهيدة إلى المجامع والجوامع ، فعيضوها عن ذلك بالعلم النافع والتهذيب القويم ، واحملوا إليها تحت أبصاركم ما يجب لها من ثقافة ومعرفة ، واحفظوا لها قسطها الموفور من الكرامة والعزة ، واجعلوا ذلك الرحيق الثقافى الأخلاقى كثيراً ميسوراً فسيحاً ، ما دام لا يتطاول إلى بهتان أو طغيان ...

وأنتم أيها المخِبُّون بأشلاء الفريسة تنثرونها هنا وهناك ... رويدكم رويدكم ... ففى الطريق معاطب ، وعند الناس مصائب ، والمورد العذب كثير الزحام :

ولن تصادف مرعى مورقا أبدا   إلا وجدت به آثار مأكول !

ولو سلم الجمع الكبير الحاشد ، فى المجتمع العريض الواسع ، من الطفيليات

الخبيثة ، والفضلات الخسيسة ، والجراثيم الهدامة ، لقلنا : رعاةٌ يتيحون لرعاياهم فرصة التخفيف والتلطيف ؛ ولكن ماذا تقولون وأمر المفاسد ما تعرفون ؟!...

أتريدون أيها الواقفون موقف الظنة والاتهام على اليمين واليسار ، أن تعرفوا الطريق إلى المعدلة والإنصاف ؟!.

لا تعتسفوا فى الستار الجاهل ، ولا تسرفوا فى الانطلاق المتحلل ، وتأدبوا فى ذلك الباب بأدب الله رب الأرباب ، الذى يعطى الحق وما يصونه ، ويمنع الشر وما يفضى إليه ، ويضع من العواصم والمقومات ما يقضى على السوء والشبهات :

فتوسطوا فى الحالتين ، وأنصفوا فالشر فى التضييق والإطلاق
ربُّوا البنات على الفضيلة ، إنها فى الموقفين لهن خير وثاق
وعليكم أن تستبين بناتكم نور الهدى ، وعلى الحياء الباقى !

أونستطيع ونحن فى حَلْبة الرجاء ، وساعة الدعاء ، أن نقول : عفا الله عما سلف ، ورحم الله من أصلح ؟.. « إنما يستجيب الذين يسمعون »(١) ...   أحمد الشرباصى

وأعطتنى جمعية الإرشاد صورة الخطاب الذى أرسلته إلى الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة بتاريخ ١٩٥٢/١١/٦ ، وكنت قد أهديت إلى الجمعية مجموعة كتب باسم الشبان ، ونصه :

«لحضرة الأخ المكرم اللواء محمد صالح حرب الرئيس لجمعية الشبان المسلمين المحترم

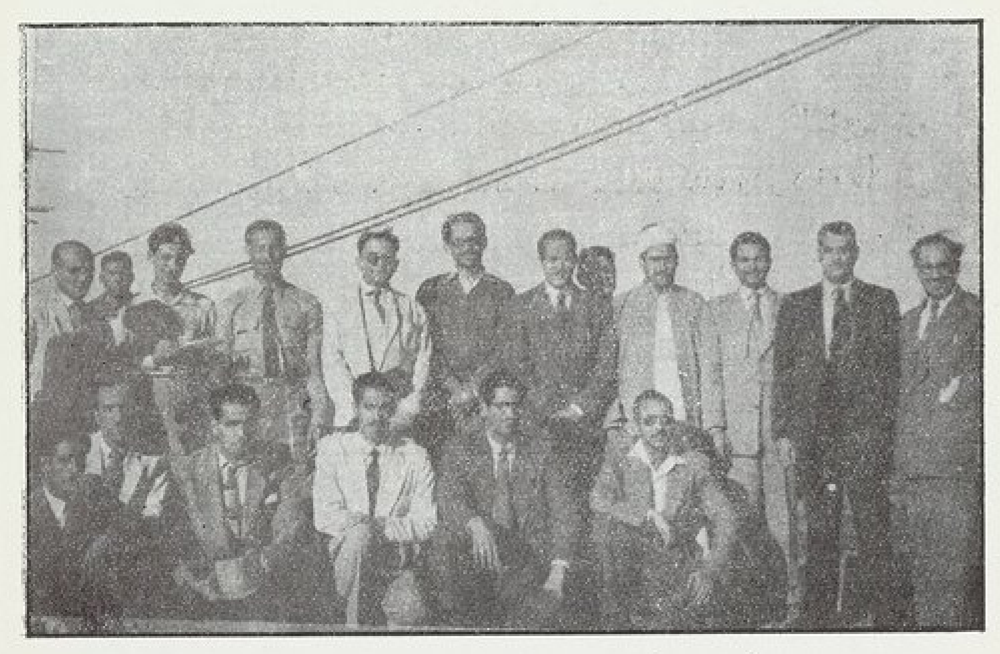
السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد ، قدَّمنا لكم قبل هذا كتاباً نبشركم فيه بتأسيس جمعية الإرشاد الإسلامية ، التى قامت على تقوى من الله ورضوان ، والآن يسرنا أن نزف إليكم بشرى نجاح هذه الجمعية الناشئة وانتشار دعوتها انتشاراً واسعاً بين كافة المسلمين فى الكويت وقراها ، ومن حسن الحظ أن قدم إلينا الداعية الإسلامى الكبير والرائد الدينى فضيلة الشيخ أحمد الشرباصى فى الوقت المناسب ، فقام بواجب الدعوة خير قيام ، كما أهدى لمكتبة الجمعية باسمكم كتباً قيمة ، فسرنا منكم هذه اللفتة الأخوية الكريمة ، ولا يسعنا إلا أن نكتب لكم شاكرين ، وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ، والسلام عليكم ورحمة الله » ؟

خالد العيسى
لجنة الاتصال بالعالم الإسلامى

---

(١) أذيع هذا الحديث أيضا من محطة الكويت .

وفى يوم الاثنين ١٠ نوفمبر : خرجنا من المباركية بعدالدروس لزيارة (الأحمدى) مع هيئة التدريس بالمباركية ، وقطعنا الطريق فى ساعة إلا ربعا ، وتناولنا غداء طيباً فى مطعم الشركة ، بعد أن صلينا الظهر فى المسجد الجديد الأنيق ، ثم أخذنا طريقنا إلى الميناء ، وكأنه أريد لنا أن نشهد (قصة النفط) من نهايتها ، ونعود القهقرى إلى بدايتها ، فنشهد أولَ ما نشهد الذهب الأسود السائل وهو يشحن فى السفن بميناء الأحمدى ... فوصلنا الشاطىء ورأينا عنده آلات تقطير الماء من الخليج لسكان الأحمدى ، وهى تقطر نحو ١٥٠ ألف (جالون) يومياً ، ومررنا بسيارات الشركة على لسان طويل ممتد فى عرض الخليج لمسافة نصف كيلو ، وهو مصنوع من الخشب ، ومقام على أعمدة حديدية ، وبجانبه أنابيب النفط الضخمة ، ورأينا السفن الكبيرة الرابضة للشحن ، والشركة متعاقدة مع مائة سفينة مثلها ، وكل سفينة تمتلىء فى خمس ساعات . . . ثم تخرج إلى عرض الخليج مثقَلة بما حملت ، وتخلفها أخرى لتلتقم فوهة النفط المنساب من جوف الإمارة إلى الميناء بلا دافع صناعى ؛ وهكذا دواليك . . .



أساتذة المباركية فى ميناء الأحمدى ، وبينهم مؤلف الكتاب

ثم عدنا ومررنا على (الفناطيس) الضخمة الموجودة فى المدينة الملتثة بالنفط ، ثم سرنا إلى منطقة (البرقان) نفسها ، وشاهدنا شعلا ضخمة من اللهب تحرق الغاز الذى يُعزل عن النفط ، وليتهم يستغلونه فيما يفيد ، ثم مررنا على أجهزة ضخمة وأدوات معقدة وتركيبات متصلة ، وجعل الدليل يشرح فنفهم جانباً ونخطىء آخر ، وأكثر الإخوانُ من التقاط الصور ، وعدنا مساء ، وأذيع لى حديث هو (نصائح إلى الشباب) ، وعقبيه ألقى الأستاذ عبد الحميد الحبشى حديثاً قمت بتقديمه على أنه من سلسلة أحاديث الجمعية .

وفى يوم الثلاثاء ١١ نوفمبر : ألقيتُ حديث الثلاثاء بالمباركية وكان عن (مضار التدخين) وتعرضت للمضار المالية والصحية والخلقية ، ودعوت لمحاربة التدخين بين التلاميذ ، لأن كثيراً منهم يدخنون . وكانت محاضرة الثلاثاء الليلة للأستاذ الكبير محيى الدين القليبى ، وقد بدأتها بكلمة ، وقدمتُ قبل المحاضرة الأخ الأستاذ محمد على سليم ، فألقى كلمة حماسية طيبة ، ثم قدمت الأستاذ القليبى بعد أن ذكرت شيئاً من تاريخ تونس وجهاد الأستاذ وشيبته فى الإسلام ، ووقف فألقى محاضرة ممتازة عن ماضى الأمة الإسلامية وحاضرها ومستقبلها ، وكانت المحاضرة بمسجد الملا صالح ، وحضرها جمهور غفير من المستمعين .

وفى يوم الخميس ١٣ نوفمبر : ألقيتُ بنادى المعلمين محاضرة (توثيق الروابط بين البلاد العربية) بعد أن قدم لها الأستاذ حمد رجيب بكلمة طيبة ، وبعد المحاضرة ألقى الأستاذ إبراهيم العريض شاعر البحرين قصيدة مستوحاة من قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ؛ وكانت الليلة باردة عاصفة الريح ، ومكان المحاضرة مكشوف. وأذاعت المحطة حديثى المسجل : (طريق المجد أمام الشباب) .

وفى يوم الجمعة ١٤ نوفمبر : قصدنا السالمية مع كشافة الجمية ، حيث دربهم الأستاذ الحبشى ، وقدتُ السيارة قليلا ، ولاحظت أثراً عميقاً لتلك التدريبات الرياضية ، وفى الأصيل قصدت مع الأستاذ عبد العزيز حسين (الشعبية) ، وكان الجو جميلا قد اعتدل هواؤه بعد برد الصباح الملحوظ ، وفى الطريق حادثت مدير المعارف عن وجوب الاهتمام بالناحية الإسلامية فى الكويت فوعدنى خيراً ؛ وتعطلت السيارة

قبيل الشعيبة ، وغاصت عجلاتها فى الرمل ، وخُرقت إحدى العجلات ، فمر بعض الأعراب فأخرجوها ، وأصلحت فى الشعيبة ، وفى مدرستها جلسنا على الشاطىء جلسة لا تنسى ، وأسمعنا الأستاذ محمود شوقى بعض قصائده .

وفى عودتنا شاهدنا خارج سور المدينة وعلى قيد خطوات من باب الجهرة خيام (الصُلُبَّة) ومفردها (صُلُبِّي) ، وهى جماعة متواضعة جداً فى حياتها وأخلاقها ، ومنها أفراد فى أجزاء متفرقة من الجزيرة ، وبعضهم فى الكويت ، وهم يعيشون فى شظف وشدة من العيش ، ولا أدرى كيف يحتملون برد الشتاء وليس عندهم شىء ذو بال من المتاع أو الفراش ، وقد سمعت أن لهم مهارة فى الصيد وتتبع الآثار فى مرابع الغزلان والنعام ، وفى إصلاح الأدوات الصغيرة ، وفى الإحاطة بمنابع الماء ومواقع الآبار فى تضاعيف الجزيرة وخبايا الصحراء ، وينتفع ولاة البلاد بهم كثيراً فى هذه الناحية ، وأثناء الحروب بوجه خاص .

وقد اختلفت الآراء فى دينهم ، فقيل إنهم مسلمون ، مع أنهم لا يتمسكون بفروض الإسلام ، ويقال إن المصلحة هى التى تدعوهم إلى التظاهر بالتدين أحياناً ، ويؤكد بعض الباحثين أنهم من بقايا الصليبيين الذين لم يخرجوا من الجزيرة بعد الحروب الصليبية المشهورة ؛ والفقر شائع بينهم ، حتى قيل إنهم يأكلون الفضلات والجيف أحياناً ، ومع ذلك هم صِباح الوجوه نوعا ، ولا سيما بعض النساء فيهم . وليس فيهم سمات العرب ، ولذلك يأنف العربى من الزواج منهم ولا يزوجهم ، ويعد ذلك جريمة جزاؤها القتل ، ولكل قبيلة من (الصلبة) شيخ أو رئيس ، وحجاب المرأة غير شائع بينهم ، ولهم ولع شديد بالرقص على طريقتهم ، حيث يضعون وسط حلقة الرقص صليباً خشبياً هو شعارهم ، ويشترك الرجال والنساء فى الرقص حول الصليب ، ولهم حركات خاصة أثناء رقصهم ، كما أن لهم أناشيدهم الخاصة .

ثم قضينا الليلة فى النادى الأهلى ، حيث سمرنا مع الأستاذ العريض وبعض الأدباء متحدثين عن الأدب والأدباء والشعر والشعراء ، وثارت أحكام مختلفة على طه حسين وزكى مبارك وأحمد أمين وعمر أبى ريشة وأبى القاسم الشابى وغيرهم .

وفى يوم السبت ١٥ نوفمبر : زرنا النادى الثقافى القومى ، حيث جلسنا جلسة أخوية حلوة ، كان فيها الأساتذة عبد الله الصانع ويوسف إبراهيم الغانم والدكتور

أحمد الخطيب ويوسف مشارى وغيرهم ، وتشقق الحديث فصار ذا شجون وفنون ، وتناقشنا حول فكرة النادى وأغراضه ، وعن الثقافات والقوميات والعقائد ، واستمر الحديث ثلاث ساعات .

وفى يوم الأحد ١٦ نوفمبر : سعدنا بلقاء سمو الشيخ فهد السالم الصباح فى مكتب الأستاذ يعقوب يوسف الحمد ، وقد جرى الحديث عن شئون مختلفة ، وأثنى الشيخ كثيراً على مصر وأهليها ، وذكر فضلها بإفاضة فى إعاناتها العلمية وفى إسهامها فى نشر الثقافة ، وذكر الأزهر بخير ، وقال إنه المعهد الإسلامى الوحيد الذى ظل ساطعاً لامعاً(١) ، ولكنه قال إن مصر الآن تحتاج إلى الاستقرار بعد ثورتها الأخيرة ، وأشار إلى أن أخذ الزكاة قد يكون أجدى من تحديد الملكية ؛ وأشار إلى براعة المصريين فى النكتة ، وسألنى تعليل ذلك فرجعته إلى عدة عوامل نفسية واجتماعية وسياسية وتاريخية ، وقال سمو الشيخ باسماً إن أخواله من السودان ؛ فابتسمت وقلت : إذن لمصرفيك — يا طويل العمر — نصيب بحكم الوحدة بين الشمال والجنوب فى وادى النيل .


سمو الشيخ فهد السالم الصباح

وفى يوم الاثنين ١٧ نوفمبر : كانت الليلة باردة عاصفة الريح ، ومع ذلك تجمعنا فى النادى الأهلى لسماع المجاهد الكبير الأستاذ محيى الدين القليبى مدير الحزب الحر الدستورى التونسى فى محاضرته : (التعريف بالمغرب) ، وقد تحدث فأسهب وأجاد ، وخاصة فى وصفه للمآسى التى قاساها أبناء المغرب فى الجهاد .

وفى يوم الثلاثاء ١٨ نوفمبر : ودعنا الأستاذين محيى الدين وسليم ، وقد طلب منى الأستاذ محيى الدين كتابة رسالة تقديم إلى جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية حتى يتصل بها ، ويتعاون معها من أجل المغرب ، فاستجبت مرحباً . وفى المساء ألقيتُ

(١) هل يسمع سادتنا الأزهريون ذلك ؟ ! ... وهل عرفوا تبعاته ؟ ! ...

محاضرة الثلاثاء بمسجد السوق عن (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب). وأذاعت لى المحطة حديثاً عنوانه (تريد النفوس المطمئنة).

وفى يوم الخميس ٢٠ نوفمبر: كان موعد قران الأستاذ عبد الله زكريا الأنصارى، فتجمعنا مساء فى المدرسة القبلية، وكان هناك مئات من المدرسين والأصدقاء، وفى طليعتهم مبعوثو مصر، ولما دخل وقت العشاء صليناها جماعة فى فناء المدرسة، ثم خرج الجميع يتقدمهم الأستاذ عبد الله إلى دار العروس، حيث يقضى هناك الأيام السبعة الأولى، ثم تنتقل العروس معه إلى بيته، ولما وصلنا الدار دخل الأستاذ عبد الله ودخل الجميع حجرته، فسلموا عليه واحداً بعد الآخر، والطيب ينثر عليهم من أباريقه الفضية المستطيلة، ثم خرج الجميع كل إلى وجهته، كتب الله للعروسين الهناءة والصفاء.

وفى هذا المساء أذيع لى حديث (كن مطلوباً ولا تكن طالباً) كما أذيع حديث طريف الموضوع لشقيقى فضيلة الأستاذ السعيد الشربينى الشرباصى مبعوث الأزهر الشريف إلى الكويت، والمدرس بالمعهد الدينى.

وللحديث صلة بالبيئة الكويتية، ولذلك استحسنت إثباته هنا:

ألقوا الأحبة فى البحر

بسم الله الرحمن الرحيم:

يقول الله تعالى مخاطباً أم موسى: «فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم، ولا تخافى ولا تحزنى، إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين»... وهو خطاب عجيب وتوجيه غريب، لاشك أنه كان مفاجأة كبرى لأم موسى. فبينما كانت أم موسى والهةً مشفقة على طفلها الحبيب، مفزّعة على وليدها العزيز، تود أن تصنع له من لفائف حناياها مخبأً يقيه الشر، ومن رقائق قلبها غطاءً يحميه من العيون، ويحجبه عن أنظار الشرطة والجند من أعوان فرعون، الذين انتشروا جادّين فى البحث عن كل طفل وليد، بعد أن أخبر الكهان: بأنه سيولد فى هذا الزمان مولود جديد يذهب ملك فرعون على يديه. فيأمر فرعون بقتل الأطفال كلها كى لا يفر طفل من قبضته فى سبيل إنقاذ ملكه من هذا القادم الجرىء.

وقد روى أنه ذُبح فى طلب موسى — عليه السلام — تسعون ألف وليد.

ولكن عندما يشاء الله لا راد لمشيئته ، وحينما يحكم لا معقب لحكمه ، فتمضى سنته فى طريقها حتى تنفذ كلمته ، ولا مفر من قضاء ولا محيد عن قدر . وحينما يحاول المرء أن يهرب من قضائه يلقاه القدر فى مفره ، ويقابله فى منجاه : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » .

فمصر بمن فيها وما فيها هائجة مائجة ، مابين حُبلى تتمنى ألا يسرع بها الزمن فيبادرها المخاض حتى لا يخرج وليدها إلى عالم الحياة ، كى لاتتلقاه أكف الزبانية من أعوان فرعون بالتقطيع والتفتيت والقتل والفناء ، وما بين نفساء قد نسيت آلام النفاس أمام هول الطغاة وبطش البغاة ، وما بين مرضع قد أذلها الخوف فضنت بثديها على ابنها ، وبخلت بلبنها عليه . فما من والدة إلا وهى تنزوى حتى لايقال لها ولد ، وما من والد إلا ويطلب النجاة حتى لا يرى فلذة كبده يذبح ذبح الشاة ، وما من أسرة إلا وتوجس خوفا ، وتترقب هما ، وتشعر بأن فاجعة مفجعة ستحل بساحتها ، حيث تمتد يد البطش فتعصف الغصن من أغصانها .

ولكن سيدة واحدة من أهل المدينة كلها تركَّز الخوفُ فى نفسها ، وعظم الاضطراب عندها ، كأنها تعلم أن هذا الطلب كله من أجل وليدها ، وكأن المعركة قائمة من أجل وحيدها ؛ هذه السيدة هى أم موسى . وبينما هى فى أشد الهم والكرب تترقب الهرب قبل الطلب ، وتنتظر الفرار قبل الدمار ، إذ بالوحى ينزل عليها فيغير ما توقعته ويبدل ما أملته ، وبدل أن يقول لها : اهربى فى جنح الليل البهيم وتحت ستار من الظلام الدامس ، أو يقول لها : ابنى عليه حصنا يحجبه عن الأبصار ، ويخفيه عن الأنظار ، ويمنع عنه الفسقة الفجار ، أو يقول لها : غطيه باللفائف ، ودثريه بالحشايا والثياب ؛ يقول لها :

« فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم » . . . أتعرفون ياسادتى ماهو اليم ؟ إن اليم هو البحر ، هو المـاء العظيم الذى يشبه الخليج العربى الذى يشرف على مدينة الكويت المباركة . فهل فيكم من يتصور فى نفسه قدرةً على إلقاء ولده فى البحر ، والقذف به فى أعماق الماء وفيه الحيتان والأسماك الفتاكة ، وبه فوق هذا وقبل هذا الغرق والهلاك ؟

من منكم له قوة الإيمان بالله فيأتمر بأمر الله ، ويلقى بطفله الصغير إلى البحر ؟ .

لقد فعلت أم موسى ذلك ، وألقت بوحيدها ، وتوكلت على الله حق التوكل ، ودفعت بفلذة كبدها إلى البحر وحيداً بلا حارس ، خاوى الجراب بلا زاد ، صغير الفلك بلا ربان .

ولـكن عيناً فى السماء كانت ترعاه ، إنها العين الساهرة التى لا تنام ، إنها العين البصيرة التى لا تغفو ، إنها عين الحى القيوم الذى لا يموت ، إنها عين الله التى تحرس من تشاء :

وإذا العناية لاحظتك عيونُها نم فالمخاوفُ كلهن أمانُ

ولاحظت العناية الإلهية هذا الوليد المسكين ، فماذا فعلت له ؟ دفعت به إلى أيدى الأعداء ، وإلى عيون الطغاة ، وذهب الصندوق الصغير بالغلام العظيم إلى قصر الجبار الأكبر فرعون مصر ، ورأته زوجته ، وأمرت العبيد بإحضاره ؛ فلما رأته قالت : يا بشرى هذا غلام . وحولت العناية الإلهية المداوة القاتلة فى قلب فرعون وآله إلى حب عميق وحنان بالغ وهوى كين ، وبدل أن تتلقاه الأسرة بالاشمئزاز والنفور تلقته بالترحاب والحبور ، وبالعناق والقُبَل ، وحملته ابنة فرعون على صدرها الحنون ، فسال لعاب الطفل الجائع على قروحها ، فإذا بهذا اللعاب الطاهر يزيل آثار البرص المستعصية على كل ذى طب ، وتبرأ منها فى الحال بإذن الله .

فلما أراد فرعون الحريص على سلطانه أن يبطش به وقفت البسمات الحسان على ثغور ابنته وزوجته سلاحا يدافع عنه ، وقام حنانهما سداً ذريعاً دون الوصول إليه .. وصدق ما قيل : إن لله جنوداً منها العسل . وعندما يريد تتحول الورود إلى حراب وسموم .. كما تتحول النار إلى برد وسلام . وصاحت المرأة قائلة : « قرة عين لى ولك لا تقتلوه ، عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ؛ وهم لا يشعرون » .

ثم ماذا فعلت العناية بأمه ؟.

هل تركت أمَّه المؤمنة الصابرة المتلهفة إلى نصر الله حائرةً ، تضرب أخماساً فى أسداس ، وتستخبر الشمس عنه إذا طلعت ، وتستنبىء النجم عنه إذا لاح ، وتسأل الركبان عن خبره ؟. لا ، لا ... لم تترك فؤاد أم موسى فارغاً ، وإنما ربطت على قلبها ، وأرادت أن تبالغ فى الأمان لها ، والاطمئنان إلى قلبها ، فذهب الجند يبحثون له عن مرضعة ...

« وحرمنا عليه المراضع » لنرده إلى أمه الحبيبة . وتقدمت أخت موسى إلى خدم

فرعون تعرض عليهم المساعدة والعون والنصح فتقول لهم : « هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون » . .

وعاد الغلام إلى مهده ، ورجع الوليد إلى ثديه ، وآب الغريب إلى عُشّه . وهكذا شاء ربك أن يعود إلى كنف أمه بعد ساعات ، لا يعود غلاماً طريدا ، وإنما عاد ملكاً صغيراً تحرسه الجند ، وتتولاه الأبصار والأنظار ، ويسعى بخدمته عدوه الأول ؛ فرعون الأجل الأكبر ، الذى أقسم فى زهو وجبروت ليذبحن الأطفال من أجله . وهكذا حولت العناية الإلهية المخاوف كلهن أمانا ، وبدلت الأعداء الألداء أصدقاء أحباء ، وجعلت من الملك المتوج خادماً لطفل مسكين .

وليس هذا شأن الله العليم الحكيم مع موسى وأمه فحسب ، بل إنه صنيعه مع أخياره وأصفيائه ، حين يكلؤهم بعنايته ويحوطهم برعايته ، وهناك قصة يوسف وأبيه يعقوب حيث ألقاه أخوته فى قعر البئر : « وجاءوا على قميصه بدمٍ كذب ، قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل . والله المستعان على ماتصفون » .

وقد استعان يعقوب بالله وبالصبر الجميل ؛ فماذا فعل الله به وبابنه العزيز ؟ : « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ، ولنعلمه من تأويل الأحاديث ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما ، وكذلك نجزى المحسنين » .

فانظر ماذا فعلت عناية الرحمن بالطفل الملق فى الجب ، وكيف جعله الله على خزائن الأرض ، وأرسل إليه أعداءه ليمتاروا منه ويخروا له سجداً ، ثم رد إليه أباه : « فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه ، وقال ادخلوا مصرَ إن شاء الله آمنين . ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً » .

أيها السادة : إنى أستميحكم العذر حين أطلب إليكم طلباً غريباً طلبه الله من أم موسى ، وهو : هيا لنلق بالأحبة فى البحر ، فى الخليج المحيط ، فى اليم ، وعناية الله خيرُ حافظ .

إن هناك آلاف الأشياء العزيزة التى تشغل أفكارنا ، وتقلق بالنا ، ونقوم وننام ونحن نحاذر عليها ، فإن أردنا الراحة فلنلقها فيما نخاف منه ، والله يتولاها بالعناية والرعاية .

هناك أبناء أعزاء يدفعنا حبهم ألا نسمح لهم بمفارقتنا لحظات ، فإذا كنا نحبهم حق الحب فلنلق بهم فى اليم راكبين الفلك ، مرتحلين من أجل العلم أو وراء المال أو سعياً عن المجد ، متوكلين على الله — ولن يتخلى الله عنهم — فيرجعون سالمين غانمين فائزين .

إن الكويت تعتمد اعتماداً كلياً على التجارة ، وكثيراً ما يدفع الحبُّ الأمهات إلى الخوف على أبنائهن من المجازفة بالسفر ، وإنى أنصح الأمهات والآباء عندما يشتد الخوف بهم أن يدفعوا بأولادهم فى سبيل الغايات العظيمة التى يتمنونها لهم ، والله معهم يتولاهم ويرعاهم :

سافر تجد عوضاً عمن تفارقه وانصب فإن لذيذ العيش فى النصب

أيها السادة : الأشياء التى تضايقكم ألقوها من أفكاركم « ألق العبء على الرب ، والرب يحمله عنك » . وهو حلّال المشكلات ومفرج الكروب ومزيل المخاوف .

أيها السادة : ألقوا بالأحبة فى البحر والله معهم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

السعيد الشربينى الشرباصى

وجاءنى الأستاذ محمود شوقى عبد الله الأيوبى ، وسجل فى منزلى قصيدته (عطر الإحسان فى كتاب النيل فى ضوء القرآن)[١] وقصيدته (تحية اللواء محمد نجيب) وقد طلب إلىّ أن أكتب رسالة تقديم مع نسخة القصيدة إلى اللواء ، وقد فعلت وأرسلتُ القصيدة بالبريد الطائر[٢] ، وهى :

عرائسَ المجد غنّى الشعرَ تغريدا وأسمعى الكون صوت الحق تمجيدا
سيرى على بركات النصر نافحةً عطرا بوادى العُلا فى النيل موروداً
ورنمى للصناديد الاولى وثبوا للحق لحنا بشير الروح غرّيدا
بعثٌ من الله غشّى الأرض فازدهرت وجاء ينفح وادى النيـــل تجديدا
الحازم الجلْد بالفكر الرشيد سما فى مصر ، يبعث للعلياء توكيدا

(١) انظر صفحة ٢٢٤ من هذا الكتاب .
(٢) تلقى الشاعر شكرا نبيلا من اللواء ، وكذلك المؤلف . ويعد الشاعر خطاب الشكر الذى جاءه أثمن ماتلقى من خطابات فى حياته .

عفّى على ظلمات الجور ، يهتف بالـ ـحرية البكر أن تأتى المواعيدا
فشمّرت فى ضفاف النيل ناشرةً شعْرا تألق تسريحا وتجعيدا
حامت مجنحةً فى ثغرها عبقٌ يزجى اللآلئ ، منثورا ومنضودا
غنت لحونَ الهوى للشعب ناعمةً تجرد الروح للعلياء تجريدا
فثار من ساحل (الدلتا) قساورة إلى المنابع ، تهديما وتشييدا
دكوا العبودية الحمقاء خافضة وجها تلطخ تشويها وتسويدا
(نجيب) تفديك أعمار كتبت لها يوم الجهاد بمغنى المجد تخليدا
زلزلت فى مصر للطغيان دولته فجاء يومك فى التاريخ مشهودا
وثبتَ لله مشتدا بلا وهنٍ وقمت تستنفر الشمّ الصناديدا
رأيت فى زُمرة الطاغين كارثة إن لم تزِلها جرت هُلكا وتنكيدا
فنيت فى مصر والظلماء ضاربةٌ أطنابها تنحت الصُّم الجلاميدا
فكنت معجزة الوادى برمته لما توثبت نحو المجد تصعيدا
وقد حبتك قلوب ملؤها شرف دمًا تدفق إيمانا وتوحيدا
قوم هم الأنجم الزهراء يقدمهم للعز بدر تولى الوعر تعبيدا
هم الأُولى من صميم الشعب محتدهم يسددون الخطا للمجد تسديدا
كأنهم فى ميادين الخطوب منًى سحرية حققت ما كان مفقودا
(نجيب) أوتيت حزما صارما عرما رمى الثعالب بالأهوال والسِّيدا
باتوا نواطير أيقاظًا بمصر دجًى كالجن تجعل سارى البغى مفؤودا
كأنهم فى سجاياهم ملائكة تولد النور فى الأوطان توليدا
ضربتَ للشرق أمثالا يسير على منهاجها الحرُّ يوم البأس مسعودا
والحزم أول أخلاق البطولة ، لا تعيي تمهّد للأحداث تمهيدا
ما كان حلّ بوادى النيل منتظر والأمر يزداد بالأيام تعقيدا
حتى خرجت بميثاق أماط ضحى سُجفا ملبدة بالخسف تلبيدا
أبرمت للوحدة الكبرى قضيتها يقظان تستلهم المجهود مجهودا
سلمتَ للنيل من أقصى منابعه إلى المصب يغنّيك الأناشيدا
كأنما النيل يجرى فى عروقك ، لم يفتر يفجّر فيك الحبَّ مسرودا

يا قلب مصر ، ويا روح الرعاة ، ويا   عين العروبة ؛ فزْ بالنصر مشدودا
قرَّت بك الأعين النجلاء مشرقة   فى الأوجه السُّمر لما راءت العيدا
عيد تشعشع فى الشرق العظيم سنا   تهفو القلوب له شوقا وتسهيدا
غامرت لم ترض أن يهراق منك دم   وقد ظفرتَ ، وأضحى الظلم مطرودا
وصنت آساد قوم فى عرائنها   من أن تبدَّل أيامُ الحمى سودا
وجست تبحث فى أوكار طاغية   عن العفاريت ، بالتسديد موعودا
الغاصبون ومن صافاهمُ صُفعوا   صفعا ، وظل سمير الجور مصيودا

* * *

تبارك الله ، فى أقداره عجب   ذلك الطواغيت تمزيقا وتشريدا
كم أوقدوا فى حمى الشعب الكريم لهم   نارا تبدِّد بالأرواح تبديدا
توغلوا فى الملاهى يحرقون بها   من القرابين أغصانا أماليدا
يا رجفة الرعب فى أكباد معشرهم   تأججى شررا ، واشوى المناكيدا
حوت مضاربهم جهلا يطيف على   يمناه فى حرمات الناس عربيدا
لو أنصف النفسَ لاستخذى بخجلته   لكنه بات بالإجرام محرودا
فأنزلته من القعساء عاصفة   مرت ، كأن لم يكن بالأمس موجودا
يمتص من دم شعب ، قد جزاه على   إجرامه الخيرَ فى كفيه محشودا
شعب تحمَّل إيمانا وتضحية   حتى جزاه على الإخلاص تنكيدا
لما أحس جروحا فى كرامته   ثار الإباء به يستنجد الصيِّدا
وقد أفاض عليه الله رحمته   بالنَّدب يحشد للحق الأماجيدا
هو (اللواء) على أقطاب أمته   لم يخش فى الله فرعونا ونمرودا
يسير بالموكب الشعبى مستلما   زمامه ، يملأ الأرباع تحميدا
تجشم الهول لا يلوى على أحد   يسرى يهز عمير الأرض والبيدا
كأنه ماردٌ يرمى الطغاة إلى م   الشمال تستمنح المأوى الرعاديدا
تقصفت أرؤس ضلت مشاربها   فلم تنل لمناها فى الحمى عُودا
من هاب ربَّ الشدادِ السبع ذلَّ له   أقسى الطواغيت فى الآثام تشديدا

* * *



مصر ترد تحية الكويت ... اللواء محمد نجيب والبكباشي جمال عبد الناصر مع إخوانهما يمثلون مصر في الترحيب بسمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح أحد أمراء الكويت أثناء رحلته لزيارة مصر العزيزة

ذا النيل مزدخر الأنوار ملتطم ... يزجى المكارم ترفيها وتسعيدا
والشرق بالفرحة الغيداء مبتهج ... والغرب أمسى حسير الفكر مكمودا
الشرق ... يالشعوب الشرق كم حملت ... من المصائب ترويعا وتنديدا
يا حسرة الشرق بالأنكاد ممتحن ... مصفَّد بقيود العسف تصفيدا
هذى قبائله ترنو لمصر ضحىً ... تستلهم الثورة الفيحاء تزويدا
هبت تحطم أغلال الضلال ، لما ... صوت يزمجر بالظلاَّم تهديدا
(نجيب) يحميك رب أنت عابده ... والكل يعبد فى الإسلام معبودا
سُدْ راشدا، لا ترى فى مصر غير هدى ... يدعو إليه رجالَ القوم والغيدا
غنى الحداةُ بأنغام تطيف على م ... الشرقين أغنيةَ الأمجاد ترديدا
فألهبت كل نفس حرة عشقت ... مجداً أتى من ضمير الغيب مولودا
مجد يخبّ له السارون يجذبهم ... فيحرقون له عند السرى العودا
عطر تفتق فواحَ الأريج ، به الأ ... رواح ترفع رأس العز والجيدا

وهذه هى الرسالة التى أرسلتُها مع قصيدة الشاعر إلى اللواء :

« إلى البطل المنقذ اللواء محمد نجيب ، رجل مصر .

سلام الله عليك ورحمته ، وأدام الله عليكم فى جهادكم نعمة التوفيق ، وجنّبكم ومن معكم فى مسيركم نحو المجد عثرات الطريق ؛ وكانت عنايةُ الرحمن لكم فى مسعاكم الكريم خير رفيق .

وبعد ، فقد أراد الله سبحانه أن أرحل منذ حين إلى إمارة الكويت الشقيقة ، لأشترك فى نهضة التعليم بها ، وأن أُحرم من المشاهدة الحسية المباشرة للعهد الجديد المجيد فى مصر ، مع أننى كنت أحد الذين تشرفوا فى العهد الماضى بالتعرض للأذى والمناضلة للطغيان . وكأن الله قد تلطف فلم يجعل الحرمان كليا ، فوجدت هنا فى الكويت من طلابى ومن أصدقائى ، بل ومن جميع الشعب ، من يذكرنا بمصر ، ومن يربطنا بحوادثها ربطا دائما ، فالقوم لا يفترون عن ذكر مصر ، ولا ينقطعون عن التغنى ببطولة منقذها ، ولهم فى هذه السبيل فنون من المنظوم والمنثور .

ويسعدنى اليوم أيها البطل أن أقدم إليك صورة من مظاهر هذا الإعجاب ، فهذا هو الأستاذ محمود شوق عبد الله الأيوبى أحد شعراء الكويت وأحد المدرسين فيها

يشرفني بأن يجعلني همزة الوصل بينه وبينكم بتقديم قصيدته المرافقة لذلك الخطاب، راجيا أن تحظى منكم بالرضا وحسن القبول، فهي مستوحاة منكم، ومن نهضة مصر الكبرى، وفيها الحديث العاطر عن مصر وبنيها وقادتها المغاوير. أبقاكم الله أيها البطل لمصر، وللعروبة، وللإسلام، وجعل حاضركم خيراً من أمسكم، وغدكم أعظم منهما، إنه أكرم مسئول وأفضل مأمول. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وفي يوم الجمعة ٢١ نوفمبر: قصدنا مع الأساتذة عبدالعزيز العلي وعبدالحميد الحبشي والسعيد الشربيني الشرباصي معسكر كشافة الجمعية في قرية (المنقف) على شاطئ الخليج، وهي تبعد عن مدينة الكويت أكثر من ساعة بالسيارة، والطريق إليها ليس كامل التمهيد، وكان الجو غائما، ورذاذ المطر يداعبنا من حين لحين، ولكن الهواء جاف غير رطب؛ وقد مررنا في طريقنا على حَوَلّي فالسالمية فالراس فالبِدْع فالرميثية فالمسايل فالفنيطيس — وهي قرية جميلة مخضرة، يقصدها أبناء الكويت للنزهة، وخاصة إبان الربيع — فالفنطاس فأبو حليفة فالمنقف؛ وهناك وجدنا أعضاء الفرقة في ثلاث خيام، وقد قضوا الليلة الماضية في مكانهم، وقاموا على شئونهم بأنفسهم، وقد طلبوا مني حديثاً فألقيته عن (حياة الصحراء) وما تكسبه المرء من خشونة ومرانة[1] على الحياة البسيطة، ومن صفاء في النفس وقوة في الجسد، وربطت ذلك بدعوة الإسلام.

ولما حان وقت الجمعة نقلتنا السيارة إلى (الفحاحيل) لنصلي في مسجدها القروي المتواضع، وهناك عرض عليّ خطيب المسجد الشيخ (الميّال) خطبة الجمعة، وألح فقبلت، وخطبت عن (الدعوة إلى الله). وعدنا بعد الصلاة عن طريق الأحمدي، ولاحظت أن الصحراء منبسطة مستقيمة، لا وهاد فيها ولا ربوات، وهذا مايجعلني أقول بوجود الماء في باطنها، وأعتقد أنه سيأتي عليها يوم تكون فيه مزروعة.

وفي يوم السبت ٢٢ نوفمبر: سهرنا في منزل الأستاذ عبد العزيز حسين، ومعنا الأساتذة حمد رجيب وأحمد العدواني وفهد الدويري، وتناقشنا حول أندية الكويت والصلة بينها وبين جمعية الإرشاد، كما تحدثنا عن القومية والوطنية والعربية والإسلامية والإنسانية، وأبدى بعض الحاضرين أفكاراً جريئة، وقد نصحت بأن يكون لنادى

---

(١) في العربية: مرن مرانة ومرونة ومرونا.

المعلمين ومجلة الرائد نشاط إسلامى بجوار النشاط الثقافى ، وبذلك يشتركون فى توجيه العاطفة الدينية توجيهاً سليماً .

وفى يوم الاثنين ٢٤ نوفمبر : اشتركتُ فى الندوة الثقافية الأولى بالمدرسة المباركية ، وكان موضوعها : (العلم أهو نعمة أم نقمة[1] ؟) . وفى المساء أذعت حديثاً عن كتاب (مزامير الإيمان) للأستاذ محمود جبر شاعر الشبان ، وتلوت منه مختارات شعرية .

وفى يوم الثلاثاء ٢٥ نوفمبر : ألقيتُ حديث الثلاثاء فى المباركية حول (التسبيح والخشوع فى الصلاة) ، كما ألقيت محاضرة الثلاثاء فى المساء بمسجد السوق ، وكان الحاضرون أكثر من المرة السابقة ، وقد يكون لاعتدال الجو أثر فى ذلك ، وكانت المحاضرة حلقة من سلسلة (فى مدرسة النبوة) عن شخصية الفارس المجاب الدعوات سعد بن أبى وقاص رضوان الله عليه .

وفى يوم الأربعاء ٢٦ نوفمبر : عقد اجتماع بدار جمعية الإرشاد لأعضائها المنتسبين ، وقد دُعيت لإلقاء كلمة توجيهية ، فألقيت كلمة عن واجبات العضو ، وهى تدور حول الاعتقاد والدراسة والفهم والتطبيق الفردى ثم الدعوة مع التدرج فيها .

وفى يوم الخميس ٢٧ نوفمبر : جاءنى مندوب الإذاعة وسجلتُ فى المنزل (الهمزية النبوية) لشوقى مع مقدمة لها وتعليق عليها ، وذلك لتذاع فى مناسبة المولد النبوى ، لأن اليوم هو التاسع من ربيع الأول ١٣٧٢ هـ ، وهذه هى المقدمة التى جعلتها بين يدى القصيدة الخالدة لأمير الشعر أحمد شوقى :

« هذه أيها السادة هى القصيدة الرائعة ، الممتعة الجامعة ، الطويلة النَّفَس ، المضيئة القبس ، التى صاغها أمير الشعراء شوقى بردةَ مديح باهرة ، فى شخص رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام ، وهى إحدى لآلئه الدالة على عبقريته ، وروعته فى شاعريته ، فأنت ترى فيها الوصف الدقيق ، والتصوير الأنيق ، والدعاء الرقيق ؛ وترى شوقى خلالها يتنقل فى معانيه وأخيلته تنقُّلَ العصفور بين أفنانه وأغصانه ، أو تنقل النحلة بين الثمار والأزهار ، فهو يقطف من كل روض زهرة ، ويجنى

---

(١) انظر صفحة ١١٤ ومابعدها من هذا الكتاب ..

من كل جنة ثمرة ، ويقدم ذلك نغماعذبا وشراباً سلسبيلا ، يجرى به اللسان ، ويُسترق له الجنان ؛ وصدق الرسول : إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكمة !..

ولقد عكف على قصيدة شوقى هذه من قبل عاكفون ، وتناولها بالترديد والتحليل باحثون ودارسون ، وعرفوا لها جلالها وجمالها ؛ وجاء (الغناء) أخيراً ليتخذ منها تكأة له فى السمو بمبناه ومعناه ، ولكنه اكتفى بالبعض عن البعض ، أو بالقليل عن الكثير ، وفى ذلك ما فيه من بتر وتشويه ، وطى لجمال الكثير من أبيات هذا القصيد ، ولذلك رأينا وفاء بحق الشاعر ، ورعاية لحرمة الرواية والنقل ، وإمتاعاً للأسماع والعقول ، أن نذيع على الملأ هذا القصيد بأكمله ، فى تلك المناسبة الكريمة العاطرة ، وهى ذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام » .

ثم أنشدت القصيد ، ولما انتهيت عقبت عليه بهذه الكلمات :

« وهكذا أيها السادة استمعنا إلى ذلك القصيد الرائع الذى صاغه شوقى العبقرى فى مدح الرسول العظيم محمد عليه الصلاة والتسليم ، فتعطرت أبياته بنفحات النبوة ومفاخر الرسالة ، فكان له من روعة التعبير والتصوير والتأثير ما يفعل الغيث فى الأرض المجدبة ، وما يبدو من طيب النبات فى التربة المخصبة . وكان له من غير شك فى النفوس والأرواح ما تفعله خمرة التوحيد ونشوة الراح ، فهو يخاطب النفوس المؤمنة الشاعرة بما يصوّر أمامها مجد الدنيا والآخرة ، ممثّلا فى هدى الله ، وشخص رسول الله عليه صلوات الله .

فسلام على محمد شيخ النبيين وإمام المرسلين ، سلام عليه يوم ولد ، ويوم بعث ، ويوم جاهد ، ويوم لحق بالرفيق الأعلى ، بعد أن بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ، وترك الناس على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها من الاستقامة وشدة الصفاء ، لا يزيغ عنها إلا هالك ؛ وسلام على شوقى أمير الشعراء . والسلام عليكم ورحمة الله »[1] .

كان ذلك التسجيل فى الصباح ، وفى الثامنة مساء كانت إذاعة (حول الميكروفون) وهى التى وجّه فيها المذيع إلىّ طائفة من الأسئلة أذيعت وسجلت حين إجابتى عنها ، وفيما يلى نصها :

---

(١) وهكذا كنا لا ننسى مصر أو الحديث عن رجالاتها الخالدين .

حول جهاز الإرسال[١]

المذيع : ما هو الأثر الذى تركته (الكويت) فى نفسكم ؟.

الأستاذ الشرباصى : إننى سعيد إذ أجلس مرة أخرى إلى المستمعين الكرام حول المذياع ، أتلقى من المذيع أسئلته وأجيب عليها ، لتبثها محطة الإذاعة الكويتية الناشئة هنا وهناك ، فيسمعها كل ناطق أو عارف باللغة العربية الكريمة ، وأُجمل فى الله الكريم الظنّ ، فأرجوه أن يهيء لهذه المحطة الناشئة الناهضة من أسباب الاتساع والتفرغ والتناسق والإقبال والاهتمام ، ما يجعلها تقف موقفَ النظير من إذاعات العالم العربى الأخرى ، التى مضى عليها وقت طويل استطاعت خلاله أن تستكمل وسائل القوة والنظام والتأثير ، وما يجعلها تشارك مشاركة عميقة واسعة فى التربية والتعليم ، والسمو بعقول الشعب وعواطفه إلى المستوى الرفيع الذى يتمناه المحبون المخلصون لكل فرد من أفراد هذا الشعب الأبىّ الكريم ؛ وهناك فى رعاية الولاة وإخلاص المشرفين على الإذاعة ، وفى طليعتهم صاحب السمو رئيس الأمن العام ، ما يجعلنا نطمئن إلى مستقبل هذه الإذاعة الباهر ، ويجعلنا نؤمن بأن هذه السلسلة من الأحاديث والمحاضرات التى نظمتها جمعية الإرشاد الإسلامية ستكون رذاذاً متواضعاً يتبعه غيث هاطل مبارك ، يؤتى أحسن النتائج وأفضل العواقب .

وأما الأثر الذى تركته (الكويت) فى نفسى فلا أدرى من أية ناحية أبدأ الحديث عن هذا الأثر .. إن هذه بلادنا ، وإن أهليها أحباؤنا وأشقاؤنا ، والود بيننا

---

(١) نشرت مجلة الشبان المسلمين الغراء فى عدد يناير سنة ١٩٥٣ م هذا الحوار الأدبى وقدمت له بهذه العبارة :

« فى مساء الخميس ٩ من ربيع الأول سنة ١٣٧٢ هـ (٢٧ من نوفمبر سنة ١٩٥٢ م) عقدت محطة الإذاعة اللاسلكية للحكومة الكويتية فى دارها ندوة علمية أدبيـة أسمتها : (حول الميكروفون) ، وأذاعتها حول العالم العربى بوساطة الموجة القصيرة ، ودعت إلى هذه الندوة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى مبعوث الأزهر الشريف إلى الكويت ، والرائد الدينى لجمعيات الشبان المسلمين ، وكانت الندوة عبارة عن خمسة أسئلة مختلفة الأغراض وجهها المذيع إلى فضيلة الشيخ الشرباصى ، وأجاب عنها أثناء إذاعتها ، وسجلت المحطة ذلك فى نفس الوقت ، وكان بعض هذه الأسئلة يدور حول أهداف الشبان المسلمين ، وفيما يلى ننشر الأسئلة التى وجهها المذيع إلى فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصى وإجاباته عنها » .

وبينهم قديم العهد متين الميثاق ، فرؤيتهم فى دارهم بعد أن رأيناهم فى أخلاقهم ونشاطهم ووفائهم ، ترضى الحس والنفس معاً ، وتمتع البصر مع البصيرة ، فالفرحة بلقاء هؤلاء الأحبّاء كانت أولَ أثر من آثار هذا البلد الكريم الطيب الذى رحلنا إليه واستقرت عصا التسيار فيه .

ثم الإعجاب بالنهضة الواسعة المدى التى تنهضها إمارة الكويت ، أو لؤلؤة الخليج .. هذا أيضاً أثر ثان عميق فى النفس ، فهناك نهضة البناء والإنشاء ، وهناك نهضة التعليم والثقافة ، وهناك نهضة الأندية والجماعات ، وهناك نهضة الفكرة الإسلامية المنقذة ، التى تعطى القومية المحليةَ حظَّها من العناية والرعاية ، ثم تعطى العروبةَ نصيبها منهما ، ثم تتوج أمرها بتاج الإسلام الصحيح ، الذى يدعو أهله إلى أن يكونوا فى الدنيا عمالقة بعزتهم وقوتهم ووحدتهم ، وعلمهم وفهمهم ، وابتكارهم واقتدارهم ، وإنسانيتهم وعالميتهم ، ويسلموا بعد ذلك وجوهَهم لله الذى فطر السموات والأرض .

وأسأل الله العلى القدير أن يجنب (لؤلؤة الخليج) فى نهضتها عثرات الطفرة والوثوب ، ومعوّقات الدوام على السير بانتظام إلى الأمام .

المذيع : ماهو الكتاب الذى كان له تأثير واضح فى حياتكم وأدبكم ؟ . .

الأستاذ الشرباصي : إن هذا سؤال محيِّر ، فالمرء لايستطيع بسهولة أن يفاضل بين الكتب التى طالعها أو استفاد منها ، ليختار أحدها قائلا إنه الكتاب الذى أثر فى حياته ، أو سيطر عليه فى اتجاهه الأدبى ، وخاصة إذا كان المرء قد أدمن القراءةَ من صغره ، وأصبحت كالطبيعة الملازمة لا يستطيع لها فراقا ؛ لأن الحياة أو الاتجاه الأدبى فيها ، أشبه بالنهر الجارى الذى تمده عدة روافد ، وكل رافد من هذه الروافد يمثله كتاب من الكتب له فائدته وله تأثيره ، بحيث تتعاون مجموعةُ الكتب التى قرأها الإنسان خلال أيامه على تكييف حياته وتوجيه فكره ؛ وما أكثر الكتب التى قرأها الإنسان ثم نسيها ، وما أكثر الكتب الضخمة التى راعت الإنسان بمظهرها أولا ، ثم تكشفت عن ضآلة فى النفع ، وضحالة فى النتيجة . وما أكثر الكتب القليلة الصفحات التى عادت على المرء بكلماتها المعدودات بخير كثير ونفع وفير .

ولكن يظهر أننا مولعون فى مجتمعاتنا بالتفضيل والتخيير ، وإرضاء لتلك النزعة

أقول : إن أول كتاب أثر فى حياتى هو كتاب السماء (القرآن الكريم) . سمعته وأنا طفل ، وحفظته قبل العام الثانى عشر من عمرى ، ورافقنى فى الدراسة بالأزهر الشريف ، وكان رائدى فى الاتجاه الدينى والاجتماعى ... كما كان الينبوع الكريم الصافى ، والكنز الفريد المجيد ، يمنح الأسلوب والبيان ، ويقوم اللسان والجنان .

فإذا انتقلنا من حديث القرآن إلى سواه تذكرت على عجل كتب المنفلوطى التى سامرتنى طويلا فى صدر شبيبتى ؛ وتذكرت (وحى القلم) للرافعى ، فطالما سرحت بصرى وفكرى فى رياضه ، وتذكرت دواوين شوقى العظيم ، وأخص بالذكر منها مسرحيتى (مصرع كليوباترا) و (مجنون ليلى) ،ففيهما من فنون الأدب وروائع البيان مايصقل التعبير والتصوير .

وإذا ما انتقلنا من حديث الأدب إلى حديث العلم تذكرت كتبَ ابن القيم ، وابن تيمية ، والزمخشرى ،والشوكانى ، وأمثالهم . . .

أرأيت يا أخى أننا حاولنا الاختيار فلم نستطع ؟ . . وكيف ونهر الأدب كما قلت لابد له من جملة روافد وجداول ؟ . .

* * *

المذيع : متى اشتركتم فى جمعية الشبان المسلمين بمصر ؟ وما هو الفرق بين أهدافها وأهداف جمعية الإرشاد الإسلامية بالكويت ؟ .

الأستاذ الشرباصى : شاركت فى النشاط الإسلامى الواسع لجمعيات الشبان المسلمين منذ سنوات ، فقد رأيت فيها اتجاهاً لتحقيق مبادىء الإسلام الحنيف فى اعتدال وإنصاف ، وشجعنى على المضى فى تلك المشاركة ما لمسته فى رئيس الشبان المسلمين العام المجاهد الإسلامى الكبير اللواء محمد صالح حرب من غيرة صادقة على الإسلام ، وعمل مستمر للنهوض بأبنائه ، وحرص على مواقف الرجولة ومكارم الأخلاق ، وحسبك فيه أنه رجل تسطع جبهته بالكرامة ، ويلتفت الناس إلى تاريخه فلا يرون فيه إلا ما يستوجب الإعجاب والفخار ، والله المسئول أن يديم عليه نعمة التوفيق فى جهاده للإسلام والمسلمين .

وأما الفرق بين جمعية الشبان وجمعية الإرشاد فلا أراه ، اللهم إلا أن يكون اختلاف الأمكنة والأسماء موجباً لاختلاف الأهداف والأغراض . . . كلنا

نعمل للإسلام ، وكلنا فى الله إخوة ، وكلنا فى العمل الصالح أكفاء متعاونون . وخذ على سبيل المثال . . . إن جمعية الشبان تهتم بالمحاضرات وفى مقدمتها محاضرات الثلاثاء ، وكذلك تفعل جمعية الإرشاد ، وجمعية الشبان تحتفل بمقدم كل مسلم أو عربى ، وكذلك جمعية الإرشاد ، وهكذا . .

إنى أنتهز هذه الفرصة لتحية إخوانى الأماثل الذين يجاهدون فى جمعية الإرشاد لتكون الوعىَ الصحيح لإمارة الكويت ، فتسبق فى ميدان الثقافة المثقفين ، وتسبق فى ميدان القومية الصحيحة القوميين ، ثم تكون بعد هذا عنوانا لنهضة المسلمين . وأخص بالذكر أخى المجاهد فى سبيل الله والوطن السيد عبد العزيز العلى القناعى المراقب العام لجمعية الإرشاد الإسلامية . فقد لمست فيه نشاطا ومثابرة[1] ، وهذا شأنُ صاحبِ المبدأ الذى لا يسكت عن مبدئه حتى يحققه ، أو يفتح الله بينه وبين قومه بما يشاء .

المذيع : تعلمون فضيلتكم ما للأناشيد من أثر فى النفوس ، وبمناسبة الحديث عن جمعية الشبان المسلمين ، أسألكم : هل لهذه الجمعية أناشيد ، وما هى ؟ .

الأستاذ الشرباصى : لقد أنشئت جمعية الشبان المسلمين فى مصر عام ١٣٤٦ هـ الموافق عام ١٩٢٧ م ، بهمم رجال كانوا فى طليعة المصلحين يومذاك ، وأتذكر منهم الآن المغفور له الدكتور عبد الحميد سعيد صاحب الفضل الواسع فى خدمة الإسلام ، وكان من أعضائها أيضا الإمام الشهيد حسن البنا رضوان الله عليه . وكان هناك طائفة من كبار الشعراء تنافسوا فى وضع أناشيد لهذه الجمعية ، ولا أستطيع ذكر هذه الأناشيد برمتها الآن ، ولكنى أشير إلى مطالعها ، فهذا أمير الشعر شوقى يقول فى نشيد وضعه لها :

العزُّ للإسلامِ منارة الوجودِ
هدايةِ الأنامِ ومطلعِ السعودِ
عصابةُ الصِّديقِ ورايةُ الفاروقِ
والحقُّ والوسيلهْ والسمحةُ الظليله
ومعقلُ الفضيله وغابةُ الأسودِ . . إلخ

(١) يراجع ماقاله سماحة الشيخ الإبراهيمى عنه صفحة ٣١٧ من هذا الكتاب .

وهذا شاعر النيل حافظ يقول فى نشيده :

أعيدوا مجدَنا دنيا ودينا وذودوا عن تراثِ المسلمينا
فمن يعنو لغيرِ الله فينا ونحنُ بنو الغزاة الفاتحينا ؟
ملكنا الأمرَ فوق الأرض دهرا وخلَّدنا على الأيام ذكرا
أتى عمرٌ فأنسى عدلَ كسرى كذلك كان عهدُ الراشدينا
جبينا السحبَ فى عهد الرشيدِ وبات الناسُ فى عيش رغيد
وطوقتِ العوارف كلَّ جيد وكان شعارُنا رفقا ولينا
سلوا بغدادَ — والإسلامُ دينُ — أكان لها على الدنيا قرينُ ؟
رجال للحوادث لا تلينُ وعلم أيَّد الفتح المبينا
فلسنا منهمُ والشرقُ عانِ إذا لم نكْفِه عنتَ الزمانِ
ونرفعْه إلى أعلى مكان كما رفعوه ، أو نلقى المنونا

وهذا شاعر البداوة محمد عبد المطلب يقول :

داعٍ من العليا دعا يدعو بنيها مُسمعا
يدعو الشبابَ الأروعا يدعو شبابَ المسلمين
صوتٌ من المجد التليدْ عال يدوِّى فى الوجودْ
أين القساورةُ الأُسودْ ؟ هان الحمى ، وخلا العرينْ !

وهذا شاعر (الإلياذة الإسلامية) أحمد محرم يقول :

بنى الإسلام إقداما كفى دعةً وإحجاما
هلموا نرفع الهاما أنقضى الدهرَ نوّاما ؟
على البيضاء فانطلقوا إلى العلياء فاستبقوا
لكم من دينكم طرُقُ تبث النورَ أعلاما

وهذا نابغة العرب المرحوم مصطفى صادق الرافعى يقول :

ربَّنا إياك ندعو ، ربنا آتنا النصرَ الذى وعدتنا
إننا نبغى رضاك ، إننا ما ارتضينا غيرَ ما ترضى لنا :

أنفساً طاهرةً طُهرَ الحرمْ
تملأ التاريخَ مجداً وكرم

وافياتٍ بالعهـــود والذمم
راقياتٍ للمعـــالى والهمم

إلى غير ذلك من الأناشيد المذكِّرة بأمجاد العروبة والإسلام .

***

المذيع : هل تعتقدون فضيلتكم أن الإذاعة أداة توجيه أو أداة تسلية ؟ . وهل يحتاج الشعب الآن إلى التوجيه أو إلى التسلية ؟ .

الأستاذ الشرباصى : الإذاعة اليوم هى المعلِّم الذى يدخل على الشعب البيت والنادى والمقهى والمتجر والمصنع والأماكن الأخرى ، وقد أصبحت الإذاعة صاحبة أثر فعال وخطير فى توجيه الفرد والجماعة ؛ ومهمتها الأساسية فيما أعتقد هى التوجيه الرشيد والتثقيف الصالح والتعليم السليم ، مما يقوم على العقيدة والإيمان ، وعلى الأخلاق والفضائل ، وعلى العلم والمعرفة ، وعلى الروح الإنسانية السامية ؛ ولكنى أعتقد أيضاً أن الشعب الذى لا يعرف كيف يبتسم لا يعرف كيف يجدُّ أو يحزن .. والفكاهة الكريمة والمزاح الطهور والدعابة البريئة والتسلية الطيبة وسائل يتذرع بها المربون والمصلحون للتنفيس عن العواطف ولتوجيه الغرائز وتجديد النشاط ، فلا بأس أن يكون بجوار التربية والتعليم قسط من التسلية والترويح عن النفس ، بل من الخير أن تكون تلك التسلية جزءاً من التربية والتعليم ، مادامت تلك التسلية تُعاونُ على الخير ، وتسهل متاعب الحياة أمام الإنسان . وأعتقد أن الطاقة البشرية الصافية تستطيع بفنها واقتدارها أن تقدم للشعب زاده من المتعة والتسلية ، فى حدود العقيدة والأخلاق .

ومن ثَمَّ نلحظ أن الشعب يحتاج إلى التوجيه ويتطلب معه التسلية ، وإن كانت حاجته إلى التوجيه أشد من حاجته إلى التسلية ، فلنبتسم ابتسام الأصحاء ، ولنجدَّ كما يجد العقلاء . ذلك أهدى سبيلا ، والله ولى التوفيق ...

« ثم أعلن المذيع انتهاء الإذاعة الخاصة بهذه الأسئلة » ...

وفى يوم الجمعة ٢٨ نوفمبر : ذهبنا فى رحلة إلى (الفنطاس) مع سبعة من مدرسى المباركية وخمسة عشر من طلابها ، وسارت بنا العربة الضخمة فى طريق

الأحمدى ، ثم مالت فى منتصفه نحو اليسار ، وجعلت تمر فى مسالك بالصحراء تبين حينا وتختفى أحيانا ، ولكن السائق الماهر الجرىء يمضى بالسيارة ميامناً ومياسراً كأنه يعرف كل شبر ، وبلغنا (الفنطاس) ونزلنا مدرستها الابتدائية ، فوضعنا متاعنا وسارعنا إلى الشاطىء ، ثم زرنا القرية ومزرعتها ، ورأينا من أشجارها السدر والأثل وبعض النخيلات ، ومن خضراواتها الطماطم والبصل ، ومن فواكهها البطيخ ، ويسمونه (الشمام) ! .

وشاهدنا (الساقية) وهى عبارة عن بئر عميقة قطرها نحو خمسة أمتار ، وعمقها نحو خمسين متراً ، وهناك حبال أطرافها من جهة البئر معلقة بأربع قِرَب سود ، كالقرب التى تستخدم فى نقل الماء داخل المدينة ، وأطرافها الأخرى مربوطة بأعناق أربعة حمير ، والحمير تدنو من البئر يسوقها غلام ، فتهبط القرب فى البئر ، وتمتلىء بالماء ، ثم تعود الحمير إلا الابتعاد عن البئر جاذبة الحبال المعلقة فى القرب فتخرج ممتلئة بالماء ، وتصبه فى مجرى عند فوهة البئر . . .

وهذه طريقة بدائية يجب أن يستعاض عنها بالآلة الرافعة ، والماء الذى يخرج من البئر فيه قليل من الميوعة المالحة ، وهو شبيه بماء مصر الجديدة أو الزيتون فى مصر .

ورجعنا لصلاة الجمعة ، وعرض علىَّ الإمام الخطبة فخطبت خطبة مبسطة موضوعها (واجبات المسلم) . ثم عدنا إلى المدرسة فجعلنا نلعب مع التلاميذ حيناً ، ثم تناولنا الغداء الذى صنعه فراشان من المباركية جاءا معنا ؛ ويتكون من أرز وبطاطس ولحم ومرب ، وشراب بعد الأكل وشاى .

وفى مدرسة الفنطاس للبنات توجد الأديبة العربية الموهوبة الآنسة دعد الكيالى التى اختارت الكويت وطناً لها بعد محنة وطنها (فلسطين) ومعها فى المدرسة أختها ، ودعد تواصل الكتابة فى مجلات الكويت وغيرها ، بقلم مبين وتعبير جذاب .

<u>وفى يوم الأحد ٣٠ نوفمبر :</u> لم تفتح المدارس لمناسبة عيد المولد النبوى ، والاحتفال به هنا يقتصر على كلمات تلقى فى حفلات تقيمها الأندية والمدارس ، ولا حلوى ولا حفلات أخرى كالتى فى مصر .

شهر ديسمبر سنة ١٩٥٢

وفى يوم الاثنين أول ديسمبر : جاءنى الأستاذ معن العجلى العراقى الذى تجنس أخيراً بالجنسية الكويتية ، وأخبرنى أنه عين مديراً للإذاعة الكويتية ، ليراقب مايذاع ، وتلطف فقال إن كلماتى لا تخضع لرقابة ، وإنه قد حجز مساء الاثنين والخميس لأحاضر فيهما من المحطة ، ولى أن أقول ماأشاء مادام بعيدا عن السياسة والأمور الداخلية ، وقد أذعت مساء اليوم كلمة موضوعها : (نواحى القدوة فى حياة الرسول) . وكذلك بدأتْ الدراسة فى القسم التجارى الليلى بالمباركية ، واشتركتُ فيه بتدريس اللغة العربية لإحدى الشعب .

وفى يوم الثلاثاء ٢ ديسمبر : ألقيتُ حديث الثلاثاء فى المباركية عن (جهات التأثير فى شخصية الرسول) ، وكانت السماء تنذر بمطر ، ولكن الحديث انتهى وأديتُ بالتلاميذ الصلاة قبل أن تهطل . وأقامت جمعية الإرشاد احتفالين الليلة لمناسبة المولد ، الأول فى مسجد الملا صالح وقد خطب فيه فضيلة الشيخ على البولاقى وأنا وألقيت قصيدة للأستاذ محمود شوقى لعدم استطاعته المجئ من (الشعيبة) . والثانى فى مسجد النصف ، وقد خطب فيه الأساتذة على عبد المنعم ومحمد حسن فقره ومحمد محفوظ وأحمد الشهابى السورى ؛ وبعد انتهاء الاحتفال ذهبت مع السيد عبد العزيز العلى إلى دار الإذاعة ، وكان هناك غناء يذاع ، فاقترح السيد على المذيع أن تُختم الإذاعة بكلمة دينية ، فطلب منى المذيع توجيه (عظة للشباب) لمدة عشر دقائق ، ففعلت وختمت الإذاعة .

وفى يوم الأربعاء ٣ ديسمبر : قضيت وقتاً مع السيد عبد العزيز العلى ، أستمع إلى نظرات فكرية له فى القرآن الكريم ، فتارة يختط أسلوبا علمياً ، وتارة أسلوبا صوفياً ، وتارة أسلوبا أدبياً ، وهكذا ، وقد أذاعت المحطة اليوم (الهمزية النبوية) بمقدمتى لها وتعليقى عليها .

وفى يوم الخميس ٤ ديسمبر : كان احتفال المدرسة الشرقية بالمولد ، وبدأ فى الثانية والنصف بعد الظهر واستمر إلى الخامسة والنصف ، وكثر ترديد كلمات : العرب والعروبة

والعربية والرسول العربى وإبداع العرب وزعامة العرب للعالم والقومية العربية . واشترك فى هذا الاحتفال من غير أهل المدرسة الدكتور أحمد الخطيب والأستاذان عبد الله حسين وريحى العارف ، ومن المدرسة الأستاذان السقاف ناظرها ومحمد سليمان ، ومثلث رواية (واقعة اليرموك) ، وهى أقرب إلى المناظر الاستعراضية ، وغلبت الصبغةُ العربية فيها الصبغة الإسلامية ، ولذلك ثارت مناقشة حامية بعد الاحتفال بين أنصار القومية وأنصار الفكرة الإسلامية . وفى المساء جاءتنى فى المنزل عربة الإذاعة كالعادة ، وذهبت فأذعت حديثاً عن (التصوف) ، وأكرر الإشارة هنا إلى أن كل الأحاديث فى الإذاعة بالتطوع وبلا مكافأة أو مقابل ! ! . . . أتسمعون ؟ ! . .

وفى يوم الجمعة ٥ ديسمبر : شرعت فى وضع مسرحية عن الإمام العادل عمر ابن عبد العزيز ؛ وفى المساء قضينا جلسة فى منزل الأستاذ عبد العزيز حسين ، ومعنا الأستاذ درويش المقدادى وتذاكرنا شئون المجتمع ، وعرض ذكر الاحتفال السابق بالمدرسة الشرقية ، ونصحت بوجوب الاتفاق على الطريق الوسط ، حتى لا تتعارض الفكرة القومية والفكرة الإسلامية ؛ وقد أسرَّ إلىَّ الأستاذ عبد العزيز استياءه من كلمة بلغه أن الشيخ على عبد المنعم قالها فى أحد المساجد ، وحمل فيها على مناهج التعليم المصرى ، وعلى بعثات الكويت ، وبخاصة ما كان منها فى مدارس أجنبية ، ونصحتُ له بأن يتأكد من النبأ ، فقد يكون النقل محرفا .

وفى يوم السبت ٦ ديسمبر : حادثنى الأستاذ عبد المجيد مصطفى فى موضوع الكلمة السابقة وغضب كثيرا ، فقلت إن مثل هذه الأمور لا تعالج بالغضب ولا بتوسيعها ، بل بالتأكد منها ، ثم معالجتها بالحسنى فى أضيق نطاق إن كانت صحيحة ، وقد فهمت من هذا الحادث أن هناك مِنّا من لا يعمل ويسوؤه أن يعمل غيره . وفى المساء تحدثت مع الشيخ على عبد المنعم فى الموضوع ، فأفاض فى الحديث عن المعوقين ودعاة الفتنة وشياطين السوء الذين يؤلمهم أى نشاط دينى يقوم به زميل لهم ، لأنهم عنه عاجزون . وقد تلقت جمعية الإرشاد من اللواء محمد صالح حرب الخطاب التالى وهو بتاريخ ١٩٥٢/١١/١٦ (١) :

---

(١) انظر صفحة ٤٢١ من هذا الكتاب .

« بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة السيد المحترم عضو لجنة الاتصال بالعالم الإسلامى ، جمعية الإرشاد الإسلامية بالكويت . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فقد تلقيت خطاب حضرتكم المنبئ بقيام جمعية الإرشاد الإسلامية ، ونجاحها فى نشر دعوتها النبيلة بين المسلمين ، وما دام فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى بين ظهرانيكم فإن مآثره الإسلامية فى كل مكان يحل به ستصل بهذه الجمعية الناشئة إلى ماتودونه جميعاً من نهضة شاملة ؛ وإنا إذ نشكر لكم هذه الغيرة الدينية والحمية العربية نسأل الله أن يسدد خطاكم لعمل الخير ، ويديم تعاونكم على البر والتقوى ، ولن تخبو جذوة لها معين من أمثالكم الصالحين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » ؟

محمد صالح حرب

الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين

وفى يوم الاثنين ٨ ديسمبر : كان احتفال مدرسة (المرقاب) بالمولد . وقد قيل إن احتفال المرقاب سيكون رداً على احتفال المدرسة الشرقية ؛ فإذا كان الماضى مصبوغا بالصبغة القومية فإن احتفال المرقاب سيكون مصبوغا بالصبغة الإسلامية ، ولذلك حُدد احتفال الشرقية (بالساعة الثانية والنصف) ، بينما حُدد احتفال المرقاب بأنه (عقب صلاة العصر) ، وفاتحة المنهاج المطبوع فى احتفال المرقاب (بسم الله الرحمن الرحيم) ، وهى لم ترد فى المنهاج الآخر ، والشرقية تقول : (مولد الرسول العربى محمد ابن عبد الله) ، والمرقاب تقول (ذكرى المولد النبوى الشريف) ... إلخ .

وكان مما ألقى كلمة لفضيلة الأستاذ محمد يوسف إبراهيم المدرس بالمرقاب ، تعرض فيها لحالة العرب قبل الإسلام بعبارة صريحة ، ويظهر أنها لم تنل رضا دعاة القومية . وفى المساء ألقيتُ من محطة الإذاعة حديثاً موضوعه (الصوفية فى تفسير القرآن والحديث) .

وفى يوم الثلاثاء ٩ ديسمبر : ألقى الأستاذ بهجت البلبيسى محاضرة باسم جمعية الإرشاد فى مسجد السوق عن الاقتصاد فى الإسلام ، وقد افتتحتُ الاجتماع بكلمة عن جمع الإسلام للعقيدة والوطنية برباط التلاق والتكافل[1]، ثم ألقى الأستاذ بهجت محاضرته التى فصل فيها الحديث عن النواحى الاقتصادية فى الإسلام .

---

(١) عرضت فى هذه الكلمة العناصر الواردة بالكلمة الموجودة صفحة ٣٢٣ من هذا الكتاب .

وفى يوم الأربعاء ١٠ ديسمبر : سألنى الصديق الأستاذ يوسف إبراهيم الغانم أن نقرأ معاً قانون النادى الثقافى القومى ، لنتفق على التعديلات التى تقترح عند تعديله قريبا ، وقد نصحت بأن ينص فى القانون على تمسك العضو بعقيدته وإيمانه مع عنايته بقوميته وثقافته ، وأن ينص على التمسك باللغة العربية .

وفى يوم الخميس ١١ ديسمبر : بدرت بوادر فتنة ، فقد ألقى الأستاذ عبد الله حسين فى الإذاعة أمس كلمة عن (الشعوبية بين العرب) ، وقيل إنها كانت قاسية موجَّهة إلى أعضاء البعثة المصرية ، وإنها رد على كلمة الأستاذ محمد يوسف إبراهيم التى ذم فيها حال العرب قبل الإسلام ، ومن هنا حرص بعض زملائنا — وهم ممن لا يتكلمون ولا يخطبون — على أن يمتنع الخطباء والمحاضرون عن كل نشاط ، وقد لاح لى قرن الفتنة باديا ، وعرفت أن وراء الأكمة ماوراءها ، فلم يكن إلا أن أوافق ، وامتنعتُ عن كل نشاط ... والله المسئول أن يصلح النفوس والضمائر ...

وفى يوم الجمعة ١٢ ديسمبر : رحلنا إلى (الجهرة) ، وفيما يلى كلمة كتبتها عن الرحلة :

يوم فى الجهـــرة

اليوم هو يوم الجمعة الرابع والعشرون من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٢ هـ ، (١٢ ديسمبر سنة ١٩٥٢ م) ، وقد خصصناه لرحلة تبدأ من مدينة الكويت إلى قرية (الجهرة) أو الجهراء ، وهى من قرى الكويت الشهيرة ، وقد ركبنا السيارة الكبيرة من أمام المدرسة المباركية ، وكنا طائفة من المدرسين بها وجمعاً من تلاميذها ، وتلاميذُ المباركية شباب فيهم الأمل والرجاء ، وملامح الرجولية تتبدى فيهم بسرعة ، وهم منا السمع والبصر ، فهم أبناؤنا وفلذات أكبادنا وقطع قلوبنا ، وفى قابل أيامهم يتجمع غد الكويت المأمول .

وأخذت السيارة وجهتها إلى الصحراء ، تسرع حيناً إذا اعتدل أمامها الطريق واستوى ، وتبطىء إذا تعثر أو التوى ، والطريق إلى الجهرة فيه أجزاء غير كاملة التمهيد ، وقد مررنا عقب خروجنا من المدينة على منطقة الشويخ ، فرأينا المدرسة الثانوية الجديدة ، وآلات ترشيح المياه ، ومستشفى الصدر ، ودار المحجر الصحى ، وغير ذلك

من المنشئات ؛ وبعد ساعة وربع تقريباً وصلنا (الجهرة) ، وهى قرية هادئة ساكنة بالقرب من رأس جون الخليج .

وقد لاحظت أن الأشجار فى الجهرة كثيرة ، بالنسبة إلى غيرها من قرى الكويت ، حتى إن منظرها حين القدوم إليها لاح كما بدالى أشد خضرة من منظر قرية (الفنطاس) . وقد نزلنا فى المدرسة المتواضعة هناك ، فتخففنا فيها من ملابسنا ، وقضينا فترة قصيرة بداخلها سارع فيها التلاميذ إلى التقاط الصور المختلفة .



المؤلف داخل مدرسة الجهرة عقيب الوصول

وبعد ذلك خرجنا إلى مزارع القرية التى لا بأس بها ، والتى تعتبر جنة صغيرة وسط هذه الصحراء ، فرأينا فيها الشعير والبرسيم وبعض الخضراوات ، ورأينا المزارع هناك تسق من بئر واسعة عميقة ، أكبر من البئر التى رأيناها فى (الفنطاس) ، وينزع الماء من هذه البئر بوساطة رافعة ، فهى أسهل وأسرع من نزع الماء بوساطة الحمير والدلاء الجلدية ، ومن العجيب أنهم يتركون حافة البئر العميقة الواسعة بلا سور ، فكيف لو زلت هنا قدم ، أو اقترب من حافة البئر طفل !؟ .. وما كاد الرفاق والطلاب يرون جدول الماء الضيق ، ينساب بالنمير الصافى ، حتى سارعوا نحوه ، يتطلعون إليه ويغمسون أيديهم فيه ، وكأنهم يريدون أن يقولوا : هذا هو الماء ، وفى جوف الصحراء . . . وقد تذوقتُ الماء الخارج من البئر ، فوجدته غير كامل العذوبة ، فهو (مائع) ، ومع ذلك يقضى مهمته ! . . .

وبعد فترة توجهنا إلى (القصر الأحمر) ؛ وهذا القصر اليوم عبارة عن أطلال وخرائب ، وهو قصر وقعت فيه وحوله معركة مشهورة بين الكويتيين وبعض أعدائهم الذين حاولوا احتلال إمارتهم ، وقد اعتصم أبناء الكويت بداخل السور ، ليردوا عدوان المهاجمين ، وقد شاهدنا فى جدران القصر مواضع الطلقات النارية وفتحات البنادق ، كما شاهدنا أمام القصر نخلة فيها فجوة نافذة من آثار الطلقات . وقد سمى هذا القصر (القصر الأحمر) لكثرة ما أريق فيه وأريق حوله من دماء ، ومن الواجب الاهتمام بهذا القصر وتجديده ، حتى يكون أثرا تاريخيا من آثار هذه الإمارة .

المؤلف داخل القصر الأحمر

* * *

وبعد زيارة القصر الأحمر رجعنا إلى المدرسة ، فتهيأنا لصلاة الجمعة ، وذهبنا إلى المسجد القريب من المدرسة ، والعجيب أننا كنا نرى القرية فى منتهى الهدوء ، فلا حركة فى الشوارع ، ولا أصوات تسمع ؛ وفى المسجد أسمعنا خطيبه خطبة مقروءة فى كتاب ، حتى الخطبة الثانية قرئت من كتاب ، وهى من نوع الخطب التى كانت تتلى فى ريف مصر منذ ثلاثين سنة تقريبا ؛ وحزرت الموجودين فى المسجد ، فوجدتهم نحو مائتى شخص تقريبا ، وبينهم بعض الصبيان ، وملابس الأكثرية فيهم تشف عن التواضع ورقة الحال .

وبعد الصلاة تناولنا طعام الغداء بعد أن استبد بنا الجوع ، وقد صنعه لنا فراشو

المدرسة الذين اصطحبناهم معنا ، وشربنا الشاى ، وعاد التلاميذ إلى التقاط الصور ، فكنت ترى عدداً كبيراً من آلات التصوير بأيدى التلاميذ وبعض المدرسين تتسابق فى أخذ الصور بلا حساب أو اقتصاد ! . .

ثم ركبنا السيارة إلى شاطىء الجون ، وهناك رأينا انحسار الماء الملح عن مساحة واسعة من الأرض . فتمنينا لو كان الماء عذبا ، إذاً لزرعت هذه المساحة ، فالأرض صالحة للزراعة . . . ثم ملنا إلى بعض الربوات الصخرية القريبة من الشاطىء ، فصعدناها ، وصلينا فوق إحداها فريضة العصر صلاة خاشعة متواضعة ، وكان الجو جميلا ، ولكن الهواء عاصف فوق الربوات قليلا .

ونادى أحد التلاميذ : (جراد) ! . . . فاستبشر رفاقه ، وذهبوا يسابقونه فى البحث عن الجراد . . . سبحان الله ! . . . جل من قسم الحظوظ ! . . . تبارك مقسم الأرزاق ! . . . لو قيلت كلمة (جراد) هذه فى مصر لدب الهلع والخوف فى النفوس ، ولكن القوم يرحبون به هنا ، ويتسابقون فى أكله ، والأوقية منه — وهى تزن خمسة أرطال إنجليزية هنا — تباع بعشر روبيات ، أى بنحو خمسة وسبعين قرشاً مصرياً ولم لا يفرح القوم الأشقاء هنا بمجيء الجراد ، وليس هنا زرع يخاف عليه القوم أن يأكله الجراد ؟... والجراد — كما سمعتهم يتحدثون — لذيذ الطعم ، لأننى

المؤلف بين شقيقين من طلبة المباركية ، أحمد قدوى وغازى قدوى ، من أبناء فلسطين

لم أذقه حتى اليوم . . . وأما فى مصر العزيزة فحقولها المرعة تخشى الجراد ولا تريده .
جل مقسم الأرزاق ! ! . .

وهذه البقعة التى قضينا فيها الأصيل تسمى (المطلع) وأحياناً ينطقونها (المطلاع) ويظهر أنها سميت بذلك لارتفاعها وسهولة التطلع منها ، أو لأنك تطلع إليها صاعداً فهى مطلع ، وما أكثر الكلمات العربية هنا ، تلك التى لم يصبها إلا شىء من تحريف اللهجة فقط . ومن الواجب تتبع هذه الكلمات لتقييدها ودراستها .

وقد حلا لبعض زملائنا أعضاء البعثة المصرية — كما حلا لى أيضاً — أن نضع على رؤوسنا غطاء الرأس المألوف فى الكويت ويسمونه (غترة) ، وهو عبارة عن منديل كبير أبيض يوضع على الرأس ، ويثنى طرفاه من خلاف فوق الرأس إلى الوراء ، وهو سهل الاستعمال ، ويقى من الشمس ومن البرد أيضاً .

وفى المساء رجعنا إلى مدينة الكويت ، بعد أن قضينا يوما جميلا ، وكانت العين أثناء العودة تتلفت يميناً وشمالا متطلعة إلى الصحراء المنبسطة المستوية التى تشبه الأرض الزراعية تماما ، فلو وجدت الماء عن أى طريق لأنبتت الخيرات .

وقد لاحظنا وجود (براميل) مثبتة فى الأرض ، وبين كل منها والآخر مسافة واسعة ، وعلى كل (برميل) من هذه (البراميل) كتب اسم شخص بسائل أبيض ، وتساءلنا عن السر فى وضع هذه (البراميل) ، فقيل لنا إنها علامات الحدود ، فكل من امتلك أرضاً هنا أوهناك بأية صورة من الصور يضع حولها هذه العلامات !!.
ولقد كانت أرض الإمارة بالأمس شائعة غير محددة ، وكانت قليلة الثمن ، ولكن أمرها تبدل اليوم ، فغلت الأثمان ، وأخذوا فى تحديدها وامتلاكها بمختلف الطرق .

وناهيك بمنظر الغروب وأنت ترى الشمس بلا حائل ، وقد ظللت قرصها بقايا سحب خفيفة ، منها البيضاء ومنها الدكناء . . . إنك تحس وأنت تشاهد ذلك المنظر بحنين لا تستطيع تصويره ، وبهدوء نفس ليس من ميسور الكلام التعبير عنه !.

وقد لاحظت أن ماء الجهرة عموماً فيه شىء من المرارة الخفيفة ، وأنا أقصد هنا ماء الشرب ، وقد أثرت هذه المرارة قليلا فى مذاق الشاى الذى شربناه ، ولذلك امتنع بعض الرفاق عن الشرب ! . .

لا ريب أنه كان يوماً جميلا . .

وفى يوم الأحد ١٤ ديسمبر : أصبح الجو غائماً ، وظلت السماء طيلة النهار تمطر مطراً خفيفاً ، فهى تسح سحا ، ولـكنها لاتفيض ، وقد بقيتُ بالمنزل من آثار إسهال حاد أقبل بالأمس ؛ وقد زارنى بعض الأصدقاء الـكويتيين ، وأظهروا أسفهم الشديد للموقف الجديد ، وقالوا إنها فتنة سيصيد فى مائها العكر الصائدون ، ومن الواجب حصرها فى أضيق نطاق ، ومن الممكن مؤاخذة كلٍّ بما فعل ؛ ثم سمعت آخر النهار أن مؤججى الفتنة لايزالون يزودونها بالوقود ، ويطالبون بتعطيل كل وعظ وخطابة وكتابة ، حتى قراءة القرآن فى المساجد !...

وفى يوم الثلاثاء ١٦ ديسمبر : لم ألق حديث الثلاثاء نزولا على حكم (التضامن). وكثر تساؤل التلاميذ ، وضجوا حين أقمت الصلاة بلاحديث ... يظهر أن هناك حاجة فى نفس يعقوب يريد قضاءها من تشعب هذة الفتنة ؛ فما هى ؟... الويل لنا من المعوِّقين والمنافقين ! . اللهم أصلح فساد القلوب والضمائر . .

وفى يوم الأربعاء ١٧ ديسمبر : سمعت أنهم أعدوا وثيقة للتوقيع عليها ، وتفيد الإصرار على وقف ألوان النشاط خارج المعهد والمدارس ، ويبقى النشاط فى الداخل !. فكيف والذى أدى إلى ماحدث كلمة دينية من مدرس فى احتفال داخل مدرسته ؟ .

وفى يوم الخميس ١٨ ديسمبر : بقيتُ فى المنزل أكتب فى مسرحية (مروءة الأبطال) وبحث (لواعج الصوفية) ، ويجب أن أنتهز هذه الفترة لإدمان القراءة والـكتابة ، والعاقل من كيّف وقته وعمله ، بحيث لاتضيع عليه فرصة ، ومادام النشاط بألوانه الإسلامية والثقافية ممنوعا فى الخارج ، فلنقرأ ولنكتب[1] .

وفى المساء أذيع للأستاذ أحمد أبو بكر إبراهيم حديث مسجَّل ، وهذا أول تغيير فى الموقف ، وكذلك علمت أن رئيس الأمن العام قد أصدر بتوقيعه البلاغ التالى إلى الأندية والجمعيات :

« نتيجة لأصداء مختلفة لبعض الخطب التى ألقيت فى بعض الاحتفالات العامة ، وتجنباً لما قد يحصل فى المستقبل من جراء مثل هذه الخطب ، تقرر دائرة الأمن العام

---

(١) أخبرنى السيد عبد العزيز العلى أن الأستاذ عبد الحميد الحبشى عضو البعثة المصرية وناظر المرقاب لم ينقطع عن نشاطه فى الجمعية ، ولما قال له السيد عبد العزيز : وماذا تصنع فى العهد الذى تعهدت به مع إخوانك ؟ . أجاب : إن لى مع الله عهداً يجب (أى يقطع) ذلك العهد .

وضع جميع الخطب والمقالات التي تلقى وتكتب تحت مراقبتها ، على أن تقدم للدائرة المذكورة قبل نشرها أو إلقائها بمدة ثلاثة أيام ، ليتسنى لها مراقبتها والاطلاع عليها وإصدار موافقتها . يسرى مفعول هذا البلاغ اعتباراً من هذا اليوم الخامس عشر من كانون الأول — ديسمبر — سنة ١٩٥٢م » .

وهذا أول أثر خطير للفتنة ... فلننصرف إلى المطالعة والتحرير !...

وفى يوم الجمعة ١٩ ديسمبر : أذيع حديث لفضيلة الشيخ البولاقى ، ويظهر أنه مسجَّل ؛ وعاد القراء المصريون إلى تلاوة القرآن فى صلاة الجمعة . ماذا حدث ياترى ؟ قد يكون هناك جديد !. المهم أن يعرف كلٌّ واجبَه وتبعته ...

وفى يوم السبت ٢٠ ديسمبر : حادثنى فضيلة الشيخ زكى سويلم فى توقيعى على وثيقة المقاطعة ، فأجبته بأنه لاداعى لهذه الوثيقة ، ونحن ممتنعون عن النشاط فعلا ، فلماذا نحصِّل الحاصل ؟ . وذهبنا سوياً إلى شيخ المعهد ، وحادثته بأن الموقف لا يحتاج إلى هذا الاستفزاز ، بل يحتاج إلى مطالبة المسئولين بأخذ كل فرد بجريرته ، فوعد بالاتصال بهم لذلك . وقيل إن الأندية ومجلاتها فى ضيق وخشية بسبب البلاغ الأخير .

وفى يوم الأحد ٢١ ديسمبر : أبلغنى السيد عبد العزيز العلى أنه تفاهم مع رئيس الأمن العام على السماح لجمعية الإرشاد بإلقاء دروسها ومحاضراتها وإذاعاتها بدون مراقبة ؛ وقد أخذت الجمعية تستعيض بإخواننا المحاضرين الفلسطينيين والسوريين عن العلماء المصريين لإلقاء المحاضرات فى المساجد والإذاعة ودار الجمعية .

وأمطرت السماء الليلة مطراً غزيراً لمدة ساعة .

وفى يوم الاثنين ٢٢ ديسمبر : كان الجو مكفهرًّا ومربدًّا ، فهناك غيوم ورمال وعواصف ؛ وعاد اليوم من دمشق الأستاذ عبد العزيز حسين ، بعد أن مثل الكويت فى حلقة الدراسات الاجتماعية التابعة لجامعة الدول العربية(١) ، وقد لقيته فى المساء ، وقال لى إنه مستاء للموقف الأخير ، وقد فوجىء به .

وفى يوم الثلاثاء ٢٣ ديسمبر : بلغنى أن سمو رئيس الأمن العام أرسل إلى قادة المقاطعة ليستأنفوا النشاط هم وغيرهم ، وقد استجاب هؤلاء للرغبة مسرعين ؛ وبذلك

---

(١) انظر صفحة ١٠٥ من هذا الكتاب .

انتهى الإضراب ، وأصبحت الوثيقة فى خبر كان ، وقد تساءل البعض : ماذا حدث ؟ ولماذا حدث ؟ وهل وقع عقاب ؟ وعلى أى أساس يعود النشاط ؟ . . ولكنه عاد !..

وفى يوم الأربعاء ٢٤ ديسمبر : وصلتنى من الشاعر سعد الدين عمر سعد — وكان من طلبتى فى معهد القاهرة — قصيدة يتفضل ويحيينى بها ويهديها إلىّ ، وجعل عنوانها (لجة من ينبوع الخاطر) ، وفيها حديث عن الكويت ونهضتها ، إذ يقول :

مَن يصدُّ الكمىَّ عن أوطارِهْ ؟ ... من يدانى الفتىَّ فى أطوارِهْ ؟
من يرد المحبَّ عن دارِ ليلى ... ورُبى الكونِ قطعةٌ من داره ؟
هل يعوق الدعاةَ لله حدٌّ ... أو ينام الهداةُ خوفَ المكارِه ؟
ومتى الدين كان وقفاً علينا ؟ ... إنما نحن قطرة من بحاره
آنَ للحق أن يسودَ ، ويعلو ... هاتفاً بالسلام فى أقطاره
آن للأزهر المشرِّع أن يسـ ... ـمى لبذلٍ بنفعه وثماره
عالم واحدٌ ، فكيف أراه ... يتباكى الإخاء تحت جداره ؟
أىُّ كفٍّ ببطشها مزقته ؟ ... أى باغٍ أشار باستعماره ؟
قد جرى العالمون للشر ركضاً ... فجثا السمعُ من صدى أخباره
(تونسٌ) مابها ؟ وكينيا ، وإيرا ... نُ ؛ هو البعث حين نفضِ غُباره
بالعراق العراكُ ، والشرقُ ساعٍ ... نحو أهدافه ، وفكِّ إساره
عبَّأتْ (مصر) حشدَها وقواها ... للوغَى ، تستحثُّ خوضَ غماره
إنه الغيثُ ، ناشدتْه الأمانى ... فاستقى الظامئون من تيَّاره
يا رعاكَ الإلهُ يا شرقُ ، فالغرْ ... بُ مُضلٌّ ، يهيم فى استثاره
قد صحا المسلمون فى الكون طرًّا ... ينشرون الأمان فى أمصاره
أنا فى مصر لا لمصر ، ولكنْ ... رُبَّ حرٍّ يذود عن أرض جاره
هاهو البدرُ ، فى السماء مقيمٌ ... يكتسى القفرُ من بهَا أنواره
فالكويت الذى سريتَ إليه ... كعبةُ الشعر ، أو بيوتُ نخاره
لغةُ الفيصل المنزّل ، فيه ... خطّت المجدَ ، فى جبين ازدهاره
بيتُ عزٍّ هناكَ للعرب ، مازا ... لَ خيالى مطوّفا بمناره
حزتَ كلَّ الفخار يا نعمَ صوتٍ ... قد دعا للكتاب فى أنصاره

حولك الناطقون بالضاد لُسْنٌ يذرعون الكويت كلَّ نهاره
فإذا جنَّ ليله المتدلىّ كنتَ نعم الجليس فى سُمّاره
أو تجلّتْ طلائعُ الفجر وافى لحن أطياره ، وشدو هزاره
ذا بساطُ الظلال من أشجاره ذى ربوعُ الجمال من أحجاره !
هاتف من هناك يدعو فؤادى السهولُ الفساحُ تحت مُثاره
كم جبالٍ وكم هضابٍ طواها هل ينمُّ الأثيرُ عن أسراره
أيها الهاتف المجلجل فى الشرق م وهــذا الحنان من آثاره
رُبَّ نجوى سرتْ على اليم نشوى لتقلَّ الهــوى إلى زوّاره
لحنُك انساب فى الخواطر يحنو والأمانى المــذاب فى إضماره
(مرشدى) جئتَ بالدواء المرجىَّ وانتشلت الشباب من أوضاره
وفتحت القلوبَ للهدى يهمى جاريا من مصبِّه لقــراره
قال أهل الكويت : أهلا وسهلا حين ألق التُّقىَ عصا تسياره
إن هذِى البعوثَ رُسْلٌ من الله ، تُخيف الطغاةَ من حرِّ ناره
حملتْ مشعلَ الهداية للناس م فأجْلتْ للكون سرَّ عماره
فى خطاها كتائبُ الخير تترى تغسل الجيلَ من قذَى أوزاره
حُقَّ للشرع أن يسود بلاداً عشقت روح عدله وانتصاره
ذاك نصر من الإله قريب قد ألحَّ العبادُ فى استدراره
بلغّى الشكرَ يا مفاوز عنى والتحيات للحبيب وداره
واذكرى شاعراً لديه ، يُغالى بالرجال الكرامِ فى أشعاره

ولقد لقينى السيد عبد العزيز العلى فى المساء ، وأبلغنى أن الذين كانوا يتحمسون لوقف النشاط طلبوا منه أن لا يذكر أحد فى تقديمى عبارة (الرائد الدينى لجمعية الإرشاد الإسلامية)(١) ولا تقال عبارة (الداعية الإسلامى الكبير) !!.. اللهم أصلح فساد قلوبنا !. فليكن يا سيد عبد العزيز ، ولكم ما شئتم يا هؤلاء !...

وفى يوم الخميس ٢٥ ديسمبر : آلمتنى عيناى ، فاعتكفت فى البيت أعالجهما ، وكان الهواء اليوم عاصفاً مخلوطاً بتراب وعثير .

---

(١) انظر صفحة ٤٢١ من هذا الكتاب .

وفى يوم الجمعة ٢٦ ديسمبر: ألقى فضيلة الشيخ على البولاقى كلمة بعد صلاة الجمعة فى مسجد السوق ، وبذلك انقطع الإضراب قولا وعملا ، فهل ستنقطع آثاره ؟. أرجو أن تنقطع ، فهناك الوشاية ، وتحريف الأنباء ، وتسطير الخطابات والمذكرات ، وما أيسر طريق الشر على من يريده . وقد تناولنا طعام الغداء على مائدة الرجل الفاضل السيد عبد العزيز المزينى ، وكانت جامعة لطائفة من رجال العلم والفضل .

وفى يوم السبت ٢٧ ديسمبر : أمطرت السماء ليلة أمس مطراً كثيراً ، وأصبحت المدينة موحلة ، ولا يزال الألم فى عينىَّ ، وقد وصلنى خطاب من الأستاذ الفضيل الورتلانى ، وخطه غريب على القارىء المصرى لأنه جزائرى ؛ وقد اتصلتُ اليوم بدار الإذاعة ، ورجوتهم إذا أذاعوا أحاديث مسجلة لى أن لا يقولوا فى تقديمى عبارة (الرائد الدينى لجمعية الإرشاد الإسلامية) ، وذلك ليرضى الإخوان ، عفا الله عنا وعنهم ! . .

وفى يوم الأحد ٢٨ ديسمبر : اشتركت فى الندوة الثقافية الثانية للمدرسة المباركية وكان موضوعها (الشرق شرق والغرب غرب[1]) . وقد أذاعت محطة الإذاعة لى حديثاً مسجلا عن (مظاهر الإيمان) ، وقال المذيع فى تقديمه : « للداعية الإسلامى الكبير ، مبعوث الأزهر الشريف إلى الكويت ، والرائد الدينى لجمعيات الشبان المسلمين بمصر ، وصديق الكويت » !! ... فأغرقَ وأحرج !! ...

وفى يوم الاثنين ٢٩ ديسمبر: لا زلنا نجتمع نحن أسرةَ (اليقظة) لإصدار العدد الأول منها ... ونحن الآن فى آخر ديسمبر ، وكنا عازمين على أن نصدره فى أول نوفمبر ، ولكن المسألة المادية عوقتنا كثيرا . . فليكن . وفى المساء ألقى فضيلة الشيخ البولاقى درساً دينياً فى جمعية الإرشاد .

وفى يوم الثلاثاء ٣٠ ديسمبر: وصلتنى جملة نسخ من مجلة الشبان المسلمين، وفى بعضها مقال (بين مصر والكويت[2]) ، وقد أهديتها إلى بعض الطلاب والأندية .

وفى يوم الأربعاء ٣١ ديسمبر : وصلتنى دعوة من (نادى البحرين) بإمارة البحرين لزيارتها فى الربيع القادم ، وقد شكرت الدعوة ووعدت باستجابتها .

---

(١) انظر صفحة ١٢٣ من هذا الكتاب . (٢) انظر صفحة ٤٠٦ من هذا الكتاب

GRAND HOTEL
17, FOUAD 1st STREET
TELEPHONE No. 78036
Reg. Com. No. 7370
CAIRO

فندق
جراند أوتيل
١٧ شارع فؤاد الاول
تليفون رقم ٧٨٠٣٦
سجل تجارى رقم ٧٣٧٠ مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

القاهرة ٥ ربيع الثاني ١٩ ديسمبر Cairo, ٥٦

عزيزي الشقيق صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ احمد الشرباصي حفظه الله
وأدام توفيقه ونفعه تحية واشتياقا وبعد فلقد كان البارحة في دار
الشورى الجزء المهم منا لسماع الحديث عن جهادكم وعملي
في صباح هذا اليوم أن أقوم بشيء قبل أن أصبح عليكم بهذه
الكلمات العاجلة وأن أبلغكم تحيات الإخوان ونقدرهم
عملكم المثمر المنوه لأهل الكويت ولقد كنت أتمنى لو أن السيد
عبد العزيز العلي من يصحبه وكان الكتاب مشتركا لعلكم
عبد اللطيف عليه تمام رجوان يكون هذا رسالة مشتركا على
نصف بل نقاهته كلوه من المهمات ولما كانت اللوائح
بلغني كل ما تبذلونه من جهود دقيق للنهوض بالمجتمع
الكويتي الكريم ونتمنى أقدام الجمعية وتذكر بالشكر
حفظكم الله عين الرعاية والاستغناء كل خير وتحيا في الدار الأفق
الذي هو المخلص الأستاذ عبد العزيز سالم والأخ الكريم
الشيخ عبد الله العلي وجميع الإخوان والمحبين والمعارف
وأخي الحسن وأصحابنا وتفضلوا تحيات الأستاذ الكبير الشيخ
وإن شاء الله وأرجو أن تبلغنا للكويت فلعلها تكون بطلب من
وأن تذكروه بموضوع بعثة تبلغوا تحيات خاصة إلى الإخوان الشيخ عبد الله الجابر
المخلص جمعية رئيسها دائرة أ ترحيبه والكتاب

المخلص
الفضيل الورتلاني

نموذج لخط الأستاذ الكبير الفضيل الورتلاني ، ورسالته تدور حول الكويت وأشخاصها



بعض أسرة (اليقظة) بالمباركية وبينهم الأساتذة زهير الكرمى فالمؤلف فعبد الله الدشلوطى فزكى سويلم

أسرة الخطابة بالمباركية وبينها المشرفان الأستاذ حسن عبد الفتاح والمؤلف

شهر يناير سنة ١٩٥٣

في يوم الجمعة ٢ يناير : زارني الأستاذ الشاعر محمود شوق ، وأسمعني قصيدته في كتابي (مذكرات واعظ أسير) ، وقدمها إليَّ مكتوبة بخطه الجميل في كراسة مجلدة ، مع مقدمة للقصيدة فياضة ، وسرد عليَّ جانباً من ذكرياته في مصر ؛ وقد خطب الشيخ البولاقي في مسجد السوق ، وهاجم مع خطيب المسجد سفور المرأة بشدة وعنف ، وقد أخذت محطة الإذاعة تعيد إذاعة أحاديثي المسجلة يومياً .

وفي أيام ٣ و ٤ و ٥ يناير : عمل في المدرسة ، ومطالعات وكتابات بالمنزل .

وفي يوم الثلاثاء ٦ يناير : جاءني خطاب رقيق من اللواء صالح حرب ، وقد طال عليه الوقت في الطريق ، وقد عزَّاني هذا الخطاب كثيراً ، وخاصة في هذه الأيام التي أرى فيها تلون الناس ومكائد الزملاء وحقد النفوس الرخيصة ؛ وهكذا قلب المرء ، قد تسيئه الأيام من هنا وهناك ، ثم يتبين له أن بجوار الحاقدين نفوساً كريمة ، يسعدها أن تقول للمحسن : أحسنت ، وأن تقول لذى الجهد : تابع خطواتك .

وقد ألقى فضيلة الشيخ البولاقي محاضرة الثلاثاء الليلة بمسجد السوق .

وفي يوم الخميس ٨ يناير : كان الجو عاصفاً شديد البرد كثير الغبار ، ولذلك بقيت بالمنزل أكتب في بحث (العزة في القرآن الكريم) . وقد وصل أصيل اليوم سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح والشيخ عبد الله الجابر الصباح من الهند ، بعد عدة أسابيع قضياها هناك ، وكان رجوعهما كسفرهما بالباخرة ، وقد لاحظ بعضهم أن المدارس والمصالح لم تعطل لعودتهما ! .

وفي يوم الجمعة ٩ يناير : كانت الرحلة إلى الشعيبة وهذه كلمة عنها :

يوم في الشعيبة

جعلتُ من بين ما أحرص عليه وأنا في الكويت — لؤلؤة الخليج — أن أرحل إلى كل جانب من جوانبها ، فأزور قراها ومشاهدها ، وأقف على مغانيها الهادئة النائمة في أحضان الخليج ، وأغمر نفسي بمشاعرها وعواطفها في الأجواء المختلفة التي تتعدد في هذه الأجزاء الغالية من الإمارة الحبيبة ، والعجيب أن أرجاء الكويت

— على الرغم من صغر مساحتها — يمتاز كل رجا منها بجو ومذاق ، ولا يستطيع المرء أن يقول إنه زار الكويت أو عرفها — ولو قضى فيها الشهور أو السنوات — إلا إذا رحل إلى أنحائها وأجزائها ، يرى ويشاهد ، ويحس ويشعر ، ويستوحى ويستلهم ، ويفكر ويتأمل ، ويختلط بالحياة فى مظاهرها المتباينة ، ويمتزج بالأحياء فى أوضاعهم الكثيرة . . .فتكون معرفته دقيقة ؛ ويكون حديثه عن خبرة .

وقد تهيأ لى — والحمد لله — فرص طيبة فى الرحلات المتتابعة التى قمت بها مع مختلف الأصدقاء والطلاب ، لكى أحقق لنفسى أمنية كانت ترتجيها منذ أمد بعيد ، وهى أن أسعى إلى بقاع الإمارة للمشاهدة والدرس ؛ والظنُّ بالله على أحسنه ، ولذلك أتوقع أن تتكرر الزيارات والتأملات ، فيزداد القلب امتزاجاً بروح هذه القطعة العزيزة من جسم الوطن العربى الأكبر ، صان الله حماه ، وأعز حريته ، وقصم عداته ! . . .

كان يوم الجمعة الثالث والعشرون من ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ هـ (الموافق ٩ يناير سنة ١٩٥٣ م) مخصصاً لزيارة (الشعيبة) القرية الكويتية المستغرقة فى أحلامها المتصلة ، تثيرها وتهدهدها وتدغدغ حواشيها الأمواج المنغمة المنظمة التى تربت على خد القرية الأسيل فى الصباح والأصيل ، تنبعث من شاطىء الخليج الذى شهد ويشهد وسيشهد الفصول تلو الفصول من تاريخ العروبة المسلمة المزدانة بهامات الأبطال من الفحول .. والشعيبة هى القرية التى يقيم بها مؤقتاً صديقنا الشاعر الفياض الأستاذ محمود شوقى عبد الله الأيوبى ، يعلِّم أبناءها فى مدرستها ، بعد أن تقاصرت وسائل الحياة عن تمهيد السبيل لنشاطه وطموحه فى المدينة ، فآثر العزلة كارهاً فى رحاب (الشعيبة) !...

والشعيبة هى (القرية العذراء) التى تشعرك بالروح العذرية فى كثير من أمورها .. فى خصب تربتها وبكارتها ، وفى طباع أهليها وخصالهم ، وفى صمتها وعزلتها ، وفى حيائها وانزوائها ، وفى إقامتها على سنن الفطرة الموروثة المعجبة ، وإن صحبها ما يشجى أو يشقى . . . إنها كعذراء بدوية ساذجة ، الجمال فيها مذخور ، والحسن عندها مأثور ، وإن حجبت هذا الحسن سحب خفيفة أو عنيفة من هموم البداوة أو أثقال الحياة ؛ وكأنى بأمواج الخليج المتردد على حافة القرية مباشرةً قد سعت تحمل ألوانا من العزاء — وقد كدت أقول الرثاء — لهذه العروس العذراء المتخفية

بسم الله الرحمن الرحيم

المركز العام
لجمعيات الشبان المسلمين
مكتب الرئيس

عزيزي الأستاذ الكبير الشيخ أحمد الشرباصي

تحية من عند الله مباركة طيبة في صباحك ومسائك وغدوك
ورواحك وسلام يحرسك في اليقظة والمنام وبعد فأمامي
خطابك الثاني من الكويت يحمل من فضلك ما يحمل
وصادف وصوله غيابي لبضعة أيام في الإسكندرية فتأخر
ردي عليك ومع هذا فإن ذلك لا يرشحه عذرا يعفيني
من التقصير بل الحب علينا جميعا وجوبا شرعيا ألا نتأخر
عن خطاباتنا فضيلتكم إنه قصر وما أشد شوقه المدامة البعيد
إلى تشريحي . أقول هذا لشعوري المجرب فإن الإنسان الشقي
البعيد يطالبك) أو من طائرة . إن كل يوم يمر يا أستاذنا الكبير
يضاعف المرارة في نفوسنا والحسرة في قلوبنا لغيابك
وبعدك عنا ويزيد فراغ مكانك اتساعا وما وجدنا
ولن نجد من يسد فراغك ويملأ مكانك ، ولست
أدري كيف يستطيع الشبان المسلمون أن يوفوك
حقا وشكرا وتقديرا على ما أوليتهم وتوليتهم في القريب البعيد .

من برّ بهم. وعناية لشأنهم فقد رفعت ذكرهم وأعليت قدرهم ونشرت في العالمين
رسالتهم فما أعظم الفضل وما أكرم هذا الوفاء ضاعف الله لك الأجر الجزيل بقدر
ما أنفقت وأحسنت. ولست مغاليا إذا قلت إنه كل مجلس كثر عدده أو قل
ما انعقد في المركز العام إلا كان ذكرك مسكه وعبيره. بارك الله للمسلمين في فتى الإسلام
وأمدك بروح من عنده. وأتم عليك النعم وأكرمنا بالاطمئنان على صحتك وسعادتك
وأرجو أن تتفضل مشكورا بإبلاغ تحية الجميع وتحيتي الخالصة لنفسك وأنجالك
ونجله مبارك. وبأولادك وبنيك. وتحيتي في الختام مقرونة بأخلص ما
نرجوه لشخصك العزيز الكريم من صحة وعافية وسعادة وتوفيق

المخلص
محمد صالح حرب

١٦ ربيع الأول سنة ١٣٧٢
٤/١٢/٩٥٢

صورة خطية لإحدى رسائل المجاهد الإسلامى الكبير اللواء محمد صالح حرب الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين
وهى من الرسائل التى كان يرسلها إلى المؤلف بانتظام وهو فى الكويت

واعدة إياها بيوم قريب مأمول تنتصف فيه العذراء لصباها ، أو ينتصف لها سواها من أهل حماها ، فيرتفع رأسها فوق رءوس متصابيات من حولها ! . . .

وأقسم صادقاً لقد سمت بى قدماى خلال الشعيبة ، فكاد يعديني حياؤها أو استحياؤها ، ولكنى ما كدت ألمح الشاطئ على جانبها ، وأتنسم هذه الدفعات الرقيقة العذبة من النسيم النقى الصافى ، وأشهد هذا الساحل المنبسط المتدرج الحلو ، وأرى الماء الترجرج المتوَّج بأكاليل الموج المزبد فى خفة وتثنٍ ، وأرسل البصر على مداه بين الماء والسماء ، حتى استعدت مافقدت من الأمل والرجاء ، وقلت كما قال المثل العربى : إن مع اليوم غداً يا مسعدة ! . . . وانفرجت الشفتان المنقبضتان عن بسمة فيها غبطة وثقة وتطلع إلى الغد المأمول ! . . .

خرجنا من مدينة الكويت فى الثامنة صباحاً، وبشائر الجو تعدنا بيوم صاحٍ ضاح بهيج ، وكنا طائفة من الأساتذة والطلاب ، نركب سيارة (المعارف) المخصصة للرحلات ، وهى سيارة حديثة متينة تسع أربعين راكباً ، وكنا لا نملأ نصفها ، وبعد دقائق مررنا على منطقة (الشويخ) التى تبدو فيها مظاهر الحياة الجديدة الطارئة على الكويت ، وتبدو فيها علامات النهضة والتجديد فى البناء وغيره ، مما يرتجى الفؤاد العربى المسلم الغيور أن يخلص لأهليه ، وأن يسلم من التطفل عليه أو الادعاء فيه ، وأن يستقيم الطريق أمامه ليحقق ما نرتجيه ، وأن يكون (الدوح) حلالا كله لبنيه ، حراما كله على الدخلاء من شانئيه ! . . .

ثم استوينا على الطريق المؤدى إلى (مدينة الأحمدى) ، وهو طريق مرصوف واسع ، يشبه الطريق الصحراوى الممهد بين القاهرة والإسكندرية ؛ وانفسحت رقعة الفضاء ، وخفت حدة الضوضاء ، فأخذ الطلاب يرددون أغانى أغلبها مصرية ، ولكن تسودها الروح الشعبية المرحة ، ومع هذا فقد أثارت الذكريات ، وحركت جمرات الشوق والحنين إلى وادى النيل ، إلى الوطن الأثير المفدَّى ، إلى مهوى السمع والبصر ، إلى مصر ؛ سلام على مصر ! . . .

وعندما دنونا من (الشعيبة) لاحت لنا شجيرات السِّدر الناهضة كالواحة الصغيرة فى طليعة القرية الرابضة بين رمال الصحراء وأمواج الماء ؛ فذكَّرتنى أبياتاً قالها شاعر الشعيبة الأستاذ شوقى ضمن قصيده طويلة له عن (القرية العذراء) هى :

إن الشعيبة قرية ٌ   فيها السكون مخيمُ
المـاء من آبارها   عذب لروحى بلسم
والبحر فى شرقيها   الموج فيه يدمدم
والسدر فى غربيها   مثل البشير يترجم
برية ، بحـرية   نسماتهـا تتخرم
أحلامها عـذرية   وطيوفها تُستلهَم
الشعر فطرى الهوى   والروح فيها تحلم
فيها الصفاء كأنه   وجه يشع ويبسم !

ودخلنا القرية باسم الله ، فإذا السهولة والبساطة والهدوء ، وإذا شوارعها واسعة ، وبيوتها فسيحة مبنية من اللبن الأخضر المخلوط بالرمال ، والحركة فيها خفيفة ، فلا ذهاب ولا جيئة إلا من قلة ، ومررنا على مقهى شعبى متواضع جلس فيه طائفة من أهل القرية ، وبلغنا المدرسة التى نزلنا فيها وقد بنيت على طراز جميل ، وفى مكان ساحر يشرف على الخليج تماماً ، حتى ليخيل إليك وأنت فى المدرسة أنك لست فى بناء مستقر على اليابسة ، ولـكنك فى سفينة عائمة على البحر ، فحيثما وليت بصرك وأنت داخل المدرسة رأيت الماء ، وملأ بصرك الضوء وأنفك الهواء النقى ؛ ولله هذا المكان المنبسط أمامها على الشاطئ ... إنه من الممكن جداً مع بعض التنسيق والتنظيم اتخاذ هذا المـكان ساحة للرياضة ودروس الهواء الطلق وجلسات السمر ، وغيرها من الأعمال المدرسية ووجوه النشاط الأخرى ... وعلى بعد قليل من المدرسة ترى السفن القادمة من الغرب لتتحمل (الذهب الأسمر) من جوف لؤلؤة الخليج ، لتقوم به الحياة الصاخبة اللاغبة هناك ، أو ليُدَّخر فيكون وقوداً للهيجاء فى الأيام السود . . . ولو درت ببصرك قليلا جهة الشمال لرأيت ميناء الأحمدى ، وكدت تلمح مظاهر الحركة الواسعة . . . حيث يشحن (النفط) إلى الخارج ! . . .

حططنا رحالنا وتخففنا من ملابسنا ، ونزعنا ذلك الوقار المألوف أو المصطنع ، وبدأنا نأخذ حظوظنا من الحركة والرياضة ، وتمنينا لو عدنا صغاراً أو صبياناً نمرح كدأبنا فى بداءة العمر ، يوم كنا فى غفلة من عين المحاسب على الخطوة واللفتة ، ووددنا لو لم يعجّل بنا مجتمعنا إلى اصطناع الشيخوخة قبل الأوان ، وإلى تـكلف

التزمت ونحن فى زهرة الشباب ؛ ولكن أين منا ما نريد ، والبيئة فى شرقنا المسكين تفرض على أبنائها بتقاليدها أن يشيبوا وهم فى سن الشباب ، ثم هى لا تضمن تماماً ألا يتصابوا جامحين عند المشيب ؟ . . . ألا من طبيب نطاسى حاذق يعالج تلك المشكلة بفطنة وألمعية ، فيهيء لشبيبة العروبة المسلمة ميادين لهوها البريء ورياضتها الوسيقة ولعبها المثمر ، ثم يمهد السبيل أيضاً لبقاء الروح الشابة الرياضية فى نفوس الكهول ، حتى تشيب النواصى ولا تشيب القلوب ؟ . . . ألا من طبيب ؟ . . .

وجاء ناظر المدرسة يحيينا بفضل أخلاقه ، كما جاء الأستاذ محمود شوق ، وأهدى إلى قصيدته (المشكاة فى برزخ الحياة) بعد أن أسمعنى إياها بإنشاده المندفع الثائر الأسيف ، والقصيدة كما يقول الشاعر فى تقديمها : « قصة نفس حائرة ، تشمئز من نبش الماضى ، لأنه يزيد فى حيرتها وبلائها ، ولا تتجرأ على الخوض فى المستقبل لأنه غيب ، ولا يعلم الغيب إلا علام الغيوب ، ولهذا فهى بين الماضى المفسر لكثير من معانى الحياة المحطمة بين العالم الخالد فهى فى حيرة :

أنا واقف بالباب أطرقه ، عسى يوم يجيء من الإله محجل ! ! »

وفى هذه القصيدة التى بلغت مائة بيت يقول الشاعر فيما يقول :

الأمانى لم يبق منها بنفسى غير ظل ممزق ، غير مجد
وحطام الآمال أمسى جذاذاً بعثرته الأرزاء فى كل حد
وبديع الغايات أضحى هباء كغبار مبعثر فوق نجد ! !

وبعد فترة من السمر والحديث الشهى واللعب بالكرة وأخذ الصور التى يتسابق فى التقاطها الطلاب ، تجولنا فى القرية وعرفنا أنها تزرع قليلا من الطماطم والفجل والخيار ، وفيها مياه آبار عذبة لا بأس بها ، وأحياناً تأتيها عربات الماء من (الفحاحيل) أو (الأحمدى) وخاصة للعمال الموظفين فى شركة النفط ، وبعض الأهالى هنا يصيدون السمك من الخليج ، ويبيعونه فى القرية أو فى المدينة ، وقد رأينا رجلا اصطاد سمكة كبيرة تزن خمسين رطلا تقريباً ، وربطها من خيشومها بحبل ركزه على الشاطىء ، وأبقاها فى الماء حتى لا تموت ، إلى أن يتصرف فيها ! . . .

والسمك كثير الأنواع والأصناف فى الخليج ، وأطيبه (الزبيدى) ، وقد تذوقته مراراً ، فإذا هو من أطيب المأكولات طعماً وهضما وفائدة ، ومن أسماء السمك

ههنا : الوحرة والشعوم والبالول والسبيطى والجرجور واللخمة والمزلقان والزنجى والهامور والخباط والصافى والباحة والدقس والقبقب والسلس وأبو منشار وأبو جلمبو والنويبى والنقرور والميد والصبور والجموه والزبوط والربيانة . . . إلخ .

ولما حان ميعاد الصلاة توجهنا إلى المسجد ، وعند دخوله لمحت فوق الباب فى واجهة المسجد هذه العبارة : « لإيلاه إلا الله » . . . والكاتب يقصد طبعاً كلمة التوحيد : « لا إله إلا الله » ولكنه أخطأ الكتابة ، فنبهت ناظر المدرسة المصاحب لنا إلى ذلك ، وحدثت إمام المسجد عنه ، فقال إن الكاتب أخطأ الكتابة ، ونسوا إصلاح الخطأ ، فرجوتهما التعجيل بإصلاحه . وقد وجدت المسجد مناسباً يتسع لبضع مئات ، وأسمعنا الخطيب خطبة مقروءة عن (شارب الخمر) ، وقد تأثر السامعون من أهل القرية طبعاً بسجعها الشائع ؛ وعقب السلام ظل الناس جلوساً برهة من الوقت بلاحركة ، وقد علمت بعد انصرافنا أنهم فعلوا ذلك انتظاراً لكلمة منى حسب العادة ، ولكن أحداً لم ينبهنى إلى ذلك ، ولم ألتفت أنا إليه ، وقد اعتذر ناظر المدرسة بأنه نسى أن يطلب منى ذلك قبل الصلاة . . .

ورجعنا إلى المدرسة لتناول الغداء ، وناهيك بمعركة الغداء فى أمثال هذه الرحلات المرحة ، إن الغداء يتم بمعركة يتجلى فيها التنافس بين الزملاء والأقران ، والتسابق فى النزال والطعان ، بالأيدى والأفواه والأسنان ، والمقتصد فى الطعام يتعلم فى مثل هذه المعارك كيف يسرف على نفسه وعلى غيره ؛ وقد تخللت المعركة حركات سريعة للخطف والسلب والنهب ، وخاصة فيما يتعلق بالفاكهة والحلوى ، وقد برع فى بعض هذه الجولات الأستاذ محمد قاسم عبد العزيز المشرف على جماعة الرحلات بالمدرسة المباركية ، ولم تسلم مجموعتنا من جولاته وصولاته ، حتى تذكرنا المثل المصرى الكويتى الفكه : « حاميها حراميها »...

حقاً إنها سويعات تلطف وترق بأمثال هذه المداعبات ! . . .

وامتلأت البطون فحانت ساعة الكسل والتمدد على بساط الرمل تحت أشعة الشمس ، وبدأ اجترار الذكريات وتبادل الفكاهات . . . نحن جلوس على الشاطىء ، منا القاعد ، ومنا النائم أو المتناوم ، والماء هادىء الصفحة ، إلا من هزات للموج خفيفة ، كأنها هزات المهد للوليد فى يد الأم الرءوم ، والجو صحو كله ، والدفء

ملموس ، والشمس ضاحية قوية ، وكأن هذا اليوم ليس من يناير فى صميم الشتاء ، بل من مارس فى ازدهار الربيع ، وقد طال حديث الزملاء عن ذلك ، فقلت لهم إن الكويت يمكن أن تصير بشىء من التنظيم والتنسيق مشتى جميلا ممتازاً . . . وكنا ونحن جلوس نرى نحو عشر من السفن الكبيرة راسية فى ميناء الأحمدى ، متناثرة هنا وهناك ، جاءت لتحمل نفط الإمارة إلى الخارج . . .

وفى الأصيل ركبنا السيارة إلى (الفحاحيل)[1] ؛ وهناك نزلنا وقضينا ساعة فى مدرستها ، صلينا خلالها فريضة العصر ، ولعبنا (كرة المنضدة) ، ثم ذهبنا إلى الشاطىء ، وتمشينا على (اللسان الحديدى) الممتد داخل البحر ، وفى نهايته من جهة الماء وجدنا رجلا إنجليزياً يشتغل بالتدريس فى مدرسة الأحمدى ، ومعه أربعة أولاد له ، والجميع يصطادون السمك بطريق (الشص) المثبت فى الخيط ، ومعهم صندوق حديدى كبير مقسم إلى (خانات) ، كل قسم منها مخصص لنوع من السمك ، وما أكثر أنواع السمك هنا كما ذكرت ، وكلما اصطاد الوالد أو أحد الأولاد نوعاً من السمك وضعوه فى قسمه الخاص به ، بعد أن يتعرفوا إلى مميزاته ، ويحدثهم الوالد قليلا عنه . . .

ولما تحدثنا إلى الوالد أخبرنا أنه يلجأ إلى صيد السمك مع أولاده كلما كان هناك فراغ فى وقتهم ، لكى يصونهم عن مواطن العبث خلال الفراغ ، ولكى يحول بينهم وبين قرناء السوء ، ولكى يعودهم نوعاً من الرياضة والنشاط ، ويغرس فيهم حب المحاولة والكسب من جهة ، وحب الاستطلاع ودراسة الأحياء المائية من جهة ثانية ، ثم هم يفوزون فى النهاية بطعام شهى لذيذ ! . .

يا أبناء لؤلؤة الخليج . . . هذه هى الحياة ، فأين أنتم منها ؟ . . وهؤلاء هم الأحياء ، فأين مكانكم فى الموكب الدائم المسير ؟ . . .

وعاودنا المسير إلى (الأحمدى) ، وهناك وجدنا مباراة فى كرة القدم تجرى بين الموظفين الفلسطينيين بشركة النفط والموظفين الهنود بها ، وحرصنا على شهود المباراة ، وقد أجاد أبناء فلسطين اللعب ، ولكن الحظ لم يواتهم ، فانتهت المباراة بفوز الهنود .

---

(١) كثيرون ينطقونها (الفحيحيل) ولعلها الإمالة .

رحمك الله يا فلسطين ... أيتها الشهيدة المجيدة ... حتى فى ميدان اللعب تجنى عليك الحظوظ ؟ ! . . .

وقد نشرت لى مجلة الرائد فى عددها السابع الذى صدر أخيراً بعد فترة طويلة بسبب الموقف الأخير ، مقالة نقدتُ فيها نظام البيوت بالكويت ، وأثبتها فيما يلى :

بيوت بلا نوافذ

من عجيب ما لاحظت فى إمارة الكويت العزيزة أن حجرات أغلب البيوت فيها — وخاصة ما كان منها قديماً صميماً — بلا نوافذ ... وأنت تدخل البيت الكويتى من هذا الطراز ، فتجده عبارة عن فناء مربع أو مستطيل ، لا سقف له ، بل هو مكشوف ، ترى منه السماء مباشرة . وحول هذه الساحة المكشوفة تقع حجراتُ المنزل وأبوابها ، وفتحاتها الداخلية التى تسمى فى العرف (نوافذ) ، تطل جميعها على ذلك الفناء ، حتى باب المرحاض ، وباب الحمام ، وباب المطبخ ...

وتسأل عن السبب فى هذا فيقال لك : إنه الحرص على الحجاب ، والرغبة فى ستر الأهل والمحارم عن عيون المارة ... ولاشك أن الغيرة محمودة ، وأن الحفاظ على الشرف مطلوب ، وأن رعاية الحرمات أمر جميل محبوب ؛ ولكنه كان من الممكن أن نحقق هذا كله مع إيجاد النوافذ فى هذه الحجرات ، بل فى تلك الجحور ، ومعذرة إلى أشقائنا وأعزائنا وأحبائنا فى إمارة الكويت ، فهم منا ونحن منهم ، وليس ثمة فارق بيننا وبينهم يجعلنا نتحفظ فى الوصف ، أو نهاب النصيحة ...

كان من الممكن أن توجد النوافذ فى هذه الحجرات ، دون هتك لحجاب ، أو كشف لمستور ، وذلك بأن نجعل النوافذ عالية ؛ والمنازل فى الإمارة عادة تتكون من طابق واحد ، فليس هناك من سيتطلع من طابق أعلى ، ثم من الممكن أن نستخدم الستائر التى لا تحجب ضوءاً ولا هواء ، ومع ذلك تحجب العيون المتطلعة من نفاذها إلى داخل الحجرات ، فلا ترى شيئاً إطلاقاً ، وهذه الستائر موجودة من النسيج ومن الأسلاك ، وهى ميسورة الثمن لمن أراد ...

إن هذه النوافذ ضرورية لإدخال الشمس والضوء والهواء فى تلك الحجرات المظلمة القاتمة المكتومة الريح ، والشمس عنصر من عناصر الحياة والصحة والعافية ،

والضوء لازم من لوازم الحركة والعمل والتفتح للحياة ، والهواء ترياق للصدر والدم والرئتين بوجه خاص .

فكيف نحجب هذه العناصر الثلاثة الهامة الخطيرة عن أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا وهن قعيدات المنازل وحليفات الخدور ؟!.. وكيف نحجب هذه العناصر الثلاثة عن فلذات أكبادنا وهم نائمون ، أو وهم يروحون ويغدون خلال هذه الحجرات ، وهم أحوج ما يكونون أثناء طفولتهم إلى أشعة الشمس ، وإلى إكسير الضوء ، وإلى عنصر الهواء ؟!..

رب قائل يقول : إن الفناء المذكور يقوم مقام هذه النوافذ ، لأنه مكشوف معرّض للشمس والهواء والضياء ، وأبواب الحجرات ونوافذها مفتوحة فيه ، فهو إذن يغنى عن فتح النوافذ فى جدران الغرف من الخارج ...

وهذا الادعاء غير صحيح ، وإن بدا فى ظاهره سليما من جهة التصوير الحسية المادية ... إن هذا الفناء معرض حقيقة للشمس ، ولكن هذه الشمس لا تدخل الحجرات ولا تزورها ، وإذا تفضلت على حجرة مقابلة لأشعتها ، فإنها تمتد فقط إلى فتحة بابها أو فتحة نافذتها ، والحجرات عادة مستطيلة ، فيظل أغلبها محروماً من هذه الشمس ، وهى على بعد خطوات منه .

ويضاف إلى ذلك أن الشمس أثناء الصيف — وناهيك بصيف الكويت التى يباع فيها الماء بثمن مرتفع — تتسلط على هذا الفناء حتى تجعله جذوة ملتهبة ، فإن بقى أهل الدار فيه لاقوا الأمرين من حرارة الشمس وقسوتها ، وإن دخلوا فى الحجرات ؛ فياويلهم ، فهناك الرصيد المذخور من الهواء المكتوم ، والحرارة المضغوطة التى لا تطاق ...

وهذا الفناء مع الأسف محروم من انتظام هبوب الهواء عليه ، لأنه فناء محدود مهما اتسع ، ولأنه محاط بجدران المنازل التى تحجب سريان التيار الهوائى حسب طبيعته ، فيكون الفناء أشبه بالبئر الواسعة لا يمكن لأعماقها أن تدركها حركة الهواء التى تتصل على سطح الأرض ، ولو فرضنا جدلاً أن الهواء يهب على هذا الفناء فلن يتعداه ، ولن يصل إلى الحجرات ، ولا يمكن الانتفاع به فى الفناء نفسه ، لأن الهواء

يطلَب أثناء الصيف ، وقد عرفت كيف يكون الالتهاب فى الفناء أثناء نهار الصيف ، والهواء يؤذى إذا تعرضنا له بلا احتياط فى هذا الجو أثناء الشتاء ...

وثمة أمر آخر .. تكون نائماً فى إحدى هذه الحجرات أثناء الشتاء ، ولا تستطيع أن تترك بابها مفتوحا عليك ، لأن صقيع الليل شديد ، وإذن فلابد لك من إغلاقه ، ومتى أغلق الباب فقد صارت الحجرة صندوقا محكما مفرغا ... وتتنفس أنت ومن قد يكون معك من أهلك ، فتسخن الحجرة ، وترتفع درجة حرارتها ، وترتفع حرارة الأجسام الموجودة فيها ؛ والصقيع فى الخارج وفى الفناء المجاور المباشر ، يتصل أو يتضاعف مع اتصاله ، وتريد أن تذهب إلى المرحاض أثناء الليل ، أو فى باكورة الصباح ، أو تريد أن تذهب إلى دورة المياه للوضوء ... فماذا يحدث ؟..

يحدث أن تفاجأ بالخروج من مكان دافىء ساخن قضيت فيه ساعات ، فارتفعت درجة حرارتك تبعاً له ، فتخرج من النقيض إلى النقيض ، فتصاب بالزكام ، وبنزلات البرد ، وبما يستتبع ذلك من آفات !!..

وافرض أنك تريد الاستحمام فى فصل الشتاء بالماء الذى يحسن أن تستحم به ، وهو الماء الساخن ، لتنظف جسمك ، وتزيل طبقات العرق عنه . فماذا تصنع ؟...
إنك تذهب إلى الحمام المفتوح بابه أيضاً على الفناء المكشوف ، وتدخله وتغلق بابك عليك ، وفيه الماء الساخن بحرارته وبخاره ، وتقضى وقت حمامك داخله ، وتغتسل بالماء الساخن ، وتتفتح المسام ، وتتطهر البشرة ، وترتفع درجة الحرارة فى الجسم ، وتنتهى من الحمام وتخرج ... تخرج إلى الجو المكشوف البارد العاصف الريح أحياناً فتصاب بالزكام ، أو النزلات الشعبية ، أو ماقاربها .

أضف إلى ذلك الضيق النفسى ، وشعور الجالس فى البيت بأنه سجين محصور . نعم ، قد يستطيع أن يرى السماء والنجوم فعلا ، ولكن كما يراها الذى سقط فى بئر تحيط به جدرانها ، وإن كانت فوهتها مفتوحة تطل على السماء والنجوم ...

لا لا ياأحباءنا فى الكويت . . . لا لا يا أعزاءنا أبناء لؤلؤة الخليج . . . افتحوا السبيل للشمس والضياء والهواء ... افسحوا الطريق لمقومات الصحة والعافية ... وإنكم لن تعجزوا مع هذا عن تحقيق غرضكم النبيل فى صيانة حرماتكم ، وحفظ أعراضكم ، وستر أهليكم .

وفى الارتفاع ، والستائر ، والأسلاك ، والمصاريع الخشبية ، وتحوير البناء ، وفن المهندس ، ما يجمع بين الحسنيين ، وخاصة أن أغلب بيوتكم من طابق واحد ، وكل منها مستقل يمكن أن يصان من فلتات العيون ...

والحمد لله كثيراً ، فإن بشائر النهضة العظيمة البادية اليوم فى الكويت بهمة أميرها ، وشهامة شيوخها ، وإخلاص معاونيها ، وذكاء أبنائها ، تتجه إلى الأخذ بذلك التوجيه ؛ وقد أخذ بعض الأشقاء فى الإمارة يفتحون فعلا فى حجرات بيوتهم نوافذ ، ولكن الإصلاح العام لا يكون مجديا إلا إذا كان شاملا ، فلنبذل جهودنا ما استطعنا لتعميم النوافذ فى البيوت جديدها وقديمها ، مع الاحتفاظ بما يقتضيه الشرف والفضيلة من ستر وحجاب ...

وفى يوم الاثنين ١٢ يناير : تكررت ملاحظتى لضعف التلميذ الثانوى الكويتى بصفة عامة فى الخط العربى ، وفى قواعد الإملاء ، ويظهر أن سبب هذا هو قلة الحصص للخط والإملاء فى الفترة الابتدائية ، كما لاحظت اختلاف قواعد الإملاء فى قطر عنها فى الآخر ومن الواجب أن يتفق المربون فى البلاد العربية على توحيد قواعد الإملاء .

وفى الأصيل ذهبت مع الأستاذين عبد العزيز حسين ومحمد رجيب إلى (المقوع) ، وهى قبيل الأحمدى ، وشاهدنا بئر النفط التى انفجرت واشتعلت ، فإذا نار هائلة ترتفع نحو خمسين مترا ، والدخان يحجب الأفق ، والرمل من حول البئر قد اسودّ من الدخان والنفط أو (الغاز) الذى ينفجر من القاع بدوى مرعب ، ويحترق ويذهب هباء فى الجو ؛ وقد قيل إن هذا الاشتعال قد حدث من (عقُب سيجارة) ، أو احتكاك بعض القطع الحديدية ، ويظن الفنيون أن المشتعل (غاز) ، ويخشون وصول النار إلى جوف البئر . ولذلك يحاولون حفر مجرى قريب منها ، ليتحول النفط إليه ؛ وكان منظر النار مخيفاً ، وجعل الزميلان يتضاحكان ويتحدثان عن نار جهنم ، وعدنا ونحن نتأسف على الثروة الذاهبة هباء بلا حيلة .

وفى المساء شاهدنا شريط (الرمل الذهبى) بنادى المعلمين ، وهو شريط دعاية عن شركة النفط ، وقد عُرض فى انجلترا والكويت ، وقد حرص صانعوه على إظهار الفروق بين حياة السكان سابقاً ، وبين ما أدخله الأوربى من تحضير ، ففى

الجانب الأول نرى البدو والجمال والأغنام والخيام والأسمال ، وفى الجانب الآخر نرى الآلات والمعدات والحدائق والأنابيب والملاعب والمطاعم والسيارات والمدارس والمعامل والمستشفيات ... إلخ ... ترى أهذا الشريط (للرمل الذهبى) أم عليه ؟!..

وفى يوم الخميس ١٥ يناير : دعينا لندوة علمية فى المعهد الدينى فاستجبنا لهـا ، وقضينا هناك وقتاً نستمع لتلاوة من كتاب (التاج) فى الحديث ، ورأيت الندوة مقصورة على العلماء المصريين ، فاقترحت أن نضم إليها مدرسى المعهد الـكويتيين ، حتى يكون الجمع أشمل والنفع أعم ، واقترحت أن يشهد طلبة المعهد بعض الندوات ليستفيدوا ويتعودوا المباحثة ، كما نفعل فى المباركية ، ورُفض الاقتراحان ؛ وكذلك اقترحت بأن يصدر المعهد مجلة ، والمعارف ترحب بذلك ، فوعدوا بالنظر ! ...

وفى يوم الجمعة ١٦ يناير : خرجنا صباحا إلى المطار لاستقبال عالم الجزائر الشيخ محمد البشير الإبراهيمى والأستاذين الفضيل الورتلانى وحسن العشماوى ؛ وكان بالمطار سمو الشيخ عبد الله المبارك وسمو الشيخ عبد الله الجابر ، وقبل وصول الطائرة بربع ساعة علمنا أن أحد محركيها قد توقف ، وأنها تسير بمحرك واحد ، فجعلنا ندعو لأهلها بالنجاة والسلامة ؛ وبعد دقائق لاحت فى الجو ، ثم هبطت حتى لمست الأرض . . . وفجأة توقف المحرك الآخر ، فلم تدرج الطائرة متراً واحداً ... يالقوة الأقدار وحكمتها !. ما هى المسافة إذن بين الحياة والموت ؟. وذهبنا بالسيارات إلى مكان الطائرة واستقبلنا القادمين ، فإذا الشيخ الإبراهيمى لم يحضر لمرضه ، وحضر الأستاذان الورتلانى والعشماوى . . .

وبعد الصلاة جمعت مائدةُ السيدين عبد العزيز المزينى وعلى المزينى جميعَ الأساتذة الأزهريين ؛ وفى المساء وصل الـكويت العالم الجليل الدكتور عبد الوهاب عزام ، وكان موعد وصوله فى الرابعة فخرجنا لاستقباله ، فإذا بنا نفاجأ بأنه وصل قبل ساعة ؛ وللطيران أحكامه وظروفه ، فرجعنا إلى دار الضيافة ، حيث سعدنا بلقائه وحديثه ، وفى المساء زرنا مع الضيوف النادى الأهلى ونادى المعلمين وجمعية الإرشاد ، حيث استمعنا إلى كلمات الترحيب بالضيوف ، وألقى الدكتور عزام فى كلٍّ منها ردًّا على التحية ؛ وكانت ليلة مباركة طيبة .

وفى يوم السبت ١٧ يناير : زرنا مع الضيوف النادى الثقافى القومى ، ولم تلقَ كلمات ، بل كان حديث مشترك ، ثم ذهبنا إلى جمعية الإرشاد ، حيث ألقى الأستاذ الفضيل محاضرة فياضة عن الدعوة الإسلامية ، وقد أثنى السامعون على المحاضرة كثيراً .

وفى يوم الأحد ١٨ يناير : زار الدكتور عزام المدرسة المباركية فى الصباح ، وحياه ناظر المدرسة وأحد طلبتها بكلمتين ، وطاف الضيف بالمدرسة ، فدخل فصلا كنتُ فيه ، وكان الدرس إنشاء ، والموضوع من وحى المناسبة : « زار بلادك ضيف كبير من قطر عربى شقيق ، وأردت أن تحييه بكلمة تبين له فيها الروابط الكثيرة التى تربط البلاد العربية ، فماذا تقول » ؟. وسُرَّ الدكتور من المفاجأة ، وتكلم الطالبان يوسف محمد النصف ويوسف خالد السهلى فأجادا ؛ وألقى الدكتور فى الفصل كلمة عن إخلاص مصر فى خدمة شقيقاتها ، وذكر صاحبَ هذه السطور بخير ، فقال إن مصر أحوج ما تكون لأمثاله ، ولكنها آثرت به الكويت .

وبعد انتهاء الزيارة دعانى الدكتور لمصاحبته ، فزرنا المعهد الدينى ثم المدرسة القبلية للبنات مع مدير المعارف ومدير ماليتها ، وتناولنا الغداء على مائدة سمو الشيخ عبد الله الأحمد ، وكان هناك عدد كبير من المدعوين الأجانب ، بعضهم نواب إنجليز ، وبعض السيدات الإنجليزيات ، وبعض الجنود البريطانيين ، الذين يضعون على رؤوسهم (العقال والغترة) !...

وفى المساء حضرنا حفل الشاى الذى أقامته دائرة المعارف فى المدرسة الجديدة بالشويخ ، وألقى الأستاذ عبد العزيز الغربللى كلمة ، والأستاذ أحمد أبو بكر إبراهيم قصيدة فى تحية الدكتور[1] ، ورد الدكتور بكلمة شكر ، ثم تجولنا فى المدرسة وزرنا مسجدها ، وأُخذت صور كثيرة ؛ وبعد انفضاض الجمع جلنا مع الدكتور ومدير المعارف فى قريتى الحولى والسالمية[2] .

---

(١) من هذه القصيدة الطويلة قول الشاعر :

عزام ، أين لى البيان ، وأنت فى ... ميدانه للسابقين إمام ؟
عزام ، أين لى البيان ، وطالما ... خشعت لنقدك منصفاً أقلام ؟
وسعيت فى ركب السياسة سابقا ... الفهم ضوء ، والبيان زمام

(٢) بعث الدكتور إلى برسالة يقول فيها : « أخى الأستاذ الشرباصى . السلام عليك وعلى حازم وسائر الأسرة ، وبعد ، فإنى ذاكر بالغبطة والثناء الأيام التى نعمت فيها بصحبتك فى الكويت =

وكان العشاء على مائدة رئيس المعارف الشيخ عبد الله الجابر ، ودُعى إليه أغلب الذين دعوا فى الغداء ...

وفى يوم الاثنين ١٩ يناير : دعانى الدكتور عزام لمصاحبته فى رحلةٍ إلى (كاظمة) مع الأستاذ الفضيل ، وكاظمة يقول عنها القاموس إنها مكان معروف ، ولم يتحدث عنها ياقوت فى معجمه . وقد روى الطبرى فى تاريخه أن خالد بن الوليد كتب قبل خروجه إلى (الابُلَّة) — وهى ثغر على الخليج الفارسى عند مصب دجلة ، وهى قرب البصرة من جانبها البحرى — كتاباً إلى هُرمُز يقول فيه : « أما بعد ، فأسلم تسلم ، أو اعتقد لنفسك ولقومك الذمة ، وأقرر بالجزية ، وإلا فلا تلومن إلا نفسك ؛ فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » . وجمع هرمز جموعه ، ونشبت الحرب بينه وبين خالد فى (كاظمة) ، وانجلت عن قتل هرمز وهزيمة الفرس .

و (كاظمة) هى التى عاش فيها الفرزدق حينا ، وقد أشار إلى نواحيها فى شعره حتى جمعها ، فقال :

ويا ليت زوراء المدينة أصبحت بأحفار فلج أو بسِيف الكواظم

وقال :

وما علم الأقوام مثل أسيرنا أسيراً ، ولا أجدافنا بالكواظم

ودُفن والد الفرزدق غالب بن صعصعة هناك ، وكان الفرزدق كثير التعظيم لقبر أبيه ، فلا يأتيه أحد يستجير به إلا أعانه على بلوغ قصده !! ...

ركبنا سيارة الحكومة ومعنا دليل الطريق ، وخلفنا سيارة احتياطية ، وسرنا فى طريق الجهرة ، وبعد ساعة ونصف بالسير المتوسط بلغنا كاظمة ، بعد أن مررنا على الجهرة ومنطقة المطلع ، ورأينا كاظمة رأساً ممتداً فى الخليج ، وليس فيه إلا بعض أعشاب ، وفُرضة صغيرة للسفن ، وبعض أحجار قيل إنها بقايا المعسكرات التى كانت

= وودت أنها طالت ، ولعلها تعود فى خير الأحوال ، ولست فى حاجة إلى الشكر والإبانة عما فى نفسى من ود وحب . لا أنسى طوافنا بدمنة حين الغروب ، ووقوفنا فى كاظمة وقد متع النهار ، وتخللنا طرق الجهرة ، ووقفتنا على باب قصرها الأحمر . سلامى وشكرى لك وللاخوان . كتبت للأستاذ عبد المجيد والأستاذ عبد العزيز ، فلعلكم تبلغون سائر الإخوان سلامى واعتذارى عن الكتابة إلى كل منهم بكثرة الأشغال والزيارات ... أكرر شكرى وتحيتى والسلام » :

١٩٥٣/٢/١ عبد الوهاب عزام

موجودة فى الحرب العالمية الأولى ، وبعض أكواخ للصيادين ؛ ووقفنا نتطلع إلى الماء مرة ، وإلى الصحراء أخرى ، ونسترجع ذكريات التاريخ ثالثة . واستطعنا أن نرى الجهرة من موقفنا بالمنظار المقرِّب ، وأن نرى رءوس المنازل فى الكويت ؛ وكان الجو صحواً والسماء مشرقة والهواء دافئا ، وأسف الدكتور لأننا لم نصطحب آلة تصوير ؛ ورجعنا والسائق الماهر يمرق بالسيارة المتينة بين المسالك الضيقة التى لم تمهد ، ويحاذر معاطب الرمال ؛ وحيا الدكتور عزام كاظمة ببيتين هما :

بكاظمة طوفت فى ميعة الضحى … وقلبى إلى الماضين جم التشوق
أكاد أرى فى رملها قبر غالب … وأسمع فى الآفاق شعر الفرزدق

وتذكرنا البوصيرى حين قال :

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة … وأومض البرق فى الظلماء من إضم

وبلغنا الجهرة فزرنا مدرستها ، وتجولنا فى القرية ، ودخلنا أحد بساتينها ، وألممنا بالقصر الأحمر ، ثم غادرنا الجهرة إلى (الأحمدى) حيث زرنا الميناء والآبار .

وفى المساء كانت حفلة الشاى التى أقيمت باسم المصريين فى الكويت ، وخطب فيها الأستاذ عبد المجيد مصطفى وألقى الشيخ رياض هلال باسم الأزهر قصيدة فى تحية الدكتور[1] ، وجاءتنى سيارة الإذاعة فى نهاية الاحتفال ، فذهبت وأذعت حديثاً عن (مكانة الأزهر الشريف) أثبته فيما يلى ، وأرجو أن يكرر مطالعته أولئك الذين ينتسبون إلى الأزهر ، لعلهم يؤدون رسالته ، كما أرجو أن يكرر مطالعته أولئك الذين يحسبون الرحيل باسم الأزهر إلى خارج مصر مغنما ، فيفكرون فى كل شىء إلا أن يكونوا أمثلة إسلامية صادقة ، أو ألسنة بالدعوة ناطقة :

---

(١) من قصيدة الشيخ قوله فى مدح الدكتور عزام :

هــو ملء النفوس رأيا وعلما … وهــو الروض تجتنى أزهاره
قد عرفناه فى المعارف بحرا … تتهادى إلى النهى أسفاره
أهــو البحر زاخــراً باللآلى … أم هــو البــدر تجتلى أنواره

ومما قاله فى مدح الكويت وأهليها :

رابض فى الكويت شعب أبى … وشيوخ (الصباح) هم أقماره
ناصروا العلم ، وابتنوا نهضة الشعـ … ـب عليه ، فليس يخشى عثاره



في بيت مصر بالكويت ... الدكتور عزام وعلى يساره سمو الشيخ فهد السالم فالحاج ثنيان الغانم
وعلى يمينه الشيخ كامل الشمسي فالأستاذ الورتلاني فالسيد عزت جعفر



الدكتور عزام بين الشيخ جابر العبد الله الأحمد والأستاذ الورتلاني ... في الكويت

مكانة الأزهر الشريف

لا أريد فى موقف محدود عاجل كهذا أن أُفيض القول عن موضوع جليل متشعب ، قد يحتاج إلى البحوث والأسفار ، وهو مكانة الأزهر الشريف فى العالم ، وإنما أحاول أن أقدم شعاعاً يدل على مصدره الملىء بالأشعة ، وأن أرتشف غرفة تدل على النهر الفياض ، وأظن أنه لا يوجد اليوم فى الدنيا رجل ذو ثقافة دون أن يسمع بالأزهر ، أو يعلم جلاله وخطره .

لقد أتم جوهر الصقلى بناء الأزهر المعمور سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، حينما بنى القاهرة — أعزها الله وأبقاها — ولقد أطلق عليه اسم (الأزهر) تيمناً بالنسبة إلى (الزهراء) فاطمة ، بنت الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، وسيدة نساء العالمين ، والبتول الطاهرة ، ذات النسل الكريم الطيب .

وإذا كان محمد العظيم عليه الصلاة والتسليم قد أقبل على الدنيا المضطربة الحائرة ، كما يقبل الربيع بريه وغيثه على الأرض الماحلة المقفرة ، فجعلها جنة وارفة الظلال مزهرة ؛ وإذا كانت فاطمة الزهراء قد استطاعت بمحامدها ومفاخرها ، وبذريتها العظيمة الطاهرة ، أن تخلد ذكرها العاطر فى تاريخ الإنسانية الماجدة ، والبشرية المؤمنة ، والصفوة الموفقة ، فإن (الأزهر) الشريف — وقد تلمَّسَ اليمن بهذه النسبة — قد هيأه الله تبارك وتعالى ليكون الحصن الأشم ، الذى يتجلى فيه الحفاظ على القرآن ، والحرص على سنة الرسول ، والغيرة على الملة الحنيفية السمحة ، والاعتزاز بلغة العرب التى مجدها الله حينما كتب لها سبب الخلود والبقاء بجعلها لغة القرآن الباقى ما بقى الملوان : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وإذا كان الغرض الأساسى الذى أنشىء من أجله الأزهر قد بدأ محدوداً ، فإن الله جل وعلا الذى يريد الخير لعباده ، ويريد العزة لدينه ، قد فسح الطريق أمام الأزهر ، وبسط له ميدان الجهاد والعمل ، فلم يكن الجامع الأزهر مسجداً مصرياً تفخر به مصر وحدها ، ولا مدرسة وطنية قومية يقتصر خيرها على أبناء بيئتها ، وإنما كان أولاً وقبل كل شىء — خلال تاريخه الطويل — جامعة إسلامية عربية كبرى ، ظلت الحوادث تمر عليها أجيالا بعد أجيال ، وبقيت الأحداث تغاديها وتراوحها ، ومكثت

الفتن والمكائد والنكبات تتربص بها وبأهليها الدوائر ؛ ولكن الأزهر صبر وصابر ، وكافح وثابر ، وظل يدافع ويغالب ، حتى اتفقت كلمة المؤرخين فى كل موطن من مواطن العدل والإنصاف على أن الأزهر بجوهر رسالته ، وصميم فكرته ، وطويل حياته ، وخيرة رجاله وشبيبته ، ظل أكثر من ألف عام وهو أعظم جامعة إسلامية ، تتخذ القرآن الكريم أساساً لدراساتها ، وتؤثر اللغة العربية الكريمة لساناً لها وترجماناً عن أفكارها ، وأن هذه الجامعة الإسلامية هى التى تلخص بما دار فيها وثار حولها ، وتجمّع داخلها ، واستفاض منها ، تاريخَ الحضارة الإسلامية فى أكثر من ألف عام .

وهؤلاء مثلا طائفة من كرام المؤلفين الثقات يعقدون فصلا عن مكانة الأزهر ، فيمجدونه ويقررون أن مصر أصبحت به مركز الثقافة العربية ، والمثابة الأخيرة لعلوم الدين واللغة ، فيقولون :

« وللأزهر الفضل الذى لايجحد فى حفظ علوم الدين واللغة فى الحقبة الطويلة التى ابتليت فيها مصر بالفقر والجهل وسائر ألوان الفساد ، وكان ملاذ الفارين من أبناء اللغة العربية ، وغياث المتعطشين لورود مناهلها من سائر الممالك الإسلامية ، ومصباحاً ينبعث منه نور الهداية إلى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وله عظيم الأثر فى النهضة الحديثة ، إذ كان الملجأ الذى لجأ إليه محمد على فى نهضته ، فاختار من بين طلابه بعوثه إلى البلاد الأوربية للتوسع فى العلوم والفنون ، فعادوا فكانوا أئمة المصلحين ؛ واستعان بعلمائه فى القيام بكثير من شئون مملكته ، كتعليم اللغة والدين بالمدارس التى أنشأها ، والإشراف على طبع الكتب وتصحيحها ، وتحرير الوقائع المصرية ، والمشاركة فى وضع مصطلحات العلوم المترجمة (١) » .

***

وإذا كانت الأفراد تحزن وتسعد ، وتشقى وتهنأ ، فإن الجامعات الكبرى كذلك ، وخصوصاً مايحمل منها عظائم التبعات ، ولقد تداولت على الأزهر عهود السعد وليالى النحوس ، ولكنه على الرغم منها ظل باقياً رابضاً مستأسداً ، وتأذن الله له بالخير منذ حين ، فخرج من اعتكافه ، ووصل قديمه بجديد الناس ، فى غير إسراف

---

(١) انظر كتاب تاريخ العرب .

أو اعتساف ؛ فبعد أن كان مجهوده مقصوراً على الشريعة واللغة ، ضم إليهما مجموعة من علوم العقل وفنون الثقافة ، وصار التعليم فيه على أحدث طرق الجامعات فى التربية والتدريس ، حتى صار الأزهر الشريف برسالته وفكرته الأمل المرجّى من العالمين الإسلامى والعربى .

ولقد أردتُ منذ بضع سنوات أن ألخص رسالة الأزهر ، فقلت فى كتابى : (المحفوظات الأزهرية) هذه الكلمات : « الأزهر الشريف هو ذلك المعهد العتيق ، الذى يرتبط معناه بمعنى الشريعة والفضيلة ، وهو تلك الجامعة الإسلامية الكبرى ، التى أفنت القرون ، وغالبت الأحداث ، وأضحت بتاريخها الطويل رمزاً للدفاع عن الإسلام ، وحصنا لعلوم الدين واللغة . ومن جوف الأزهر الشريف ينبعث الصوت المجلجل الداعى إلى صراط الحق ، المذكِّر بأمجاد السلف ، المحرك إلى النضال . وحماه كعبة يستهدى بها الناس ، وكلمته الحكم الفيصل بينهم ، وعلماؤه الأعلام ورثة الأنبياء ، وفتيانه أشبال الجهاد .

ورسالة الأزهر الشريف هى أن يعرِّف الناسَ قاطبة — بالقول والعمل — أن دين الله دستور للفرد والجماعة ، والعبادة والسيادة ، وأن لغة العرب تتضمن أفضل الآداب ، وأنها جديرة بالذيوع والخلود ؛ وأن يحمل الناس على الأخذ بهذه العقيدة وتنفيذها طوعاً أو كرها .

واليوم تتمثل رسالته واضحة فى كلياته الثلاث ، فهناك كلية الشريعة — حرسها الله معقلا لتشريع السماء — تعمل على إحياء الفقه الإسلامى وتجديده وتطبيقه ، والاستغناء به عن سواه ؛ وهناك كلية أصول الدين — حرسها الله معقلا لدراسات السلف وعلوم الاجتماع — تصل ما انقطع من دراسات الآباء ، مستعينة بما جدَّ من علوم وبحوث نفسية واجتماعية ليكون أبناؤها رسل الهداية والإرشاد ؛ وهناك كلية اللغة العربية — حرسها الله معقلا للغة القرآن وأدب العرب — تصل فى اللغة والأدب بين القديم والجديد ، وتهضم ما تتلقى ، ثم تهذب وتزيد ؛ حتى تسود العربية وتقود !...

أيها الأزهر الشريف ! لقد نوديت لتتصدر ، فحذار أن تتقهقر !!... » .

وهذا أمير الشعراء شوقى يصور مكانة الأزهر بما يستحق الترديد والتكرير ، فيقول فى قصيده المجيد[1] :

قم فى فم الدنيا ، وحى الأزهرا ... وانثر على سمع الزمان الجوهرا
واجعل مكان الدر إن فصلته ... فى مدحـه خرزَ السماء النيرا
واجعله بعد المسجدين ، معظما ... لمساجد الله الثلاثة ، مكبرا
واخشع مليّاً ، واقض حق أئمة ... طلعوا به زُهرا ، وماجوا أبحرا
كانوا أجل من الملوك جلالة ... وأعز سلطانا ، وأفخم مظهرا
زمن المخاوف كان فيه جنابهم ... حرمَ الأمان ، وكان ظلهم الذرا
من كل بحر فى الشريعة زاخرٍ ... ويريكه الخلق العظيم غضنفرا
لا تحذ حـــذو عصابة مفتونة ... يجدون كل قديم شىء منكرا
ولو استطاعوا فى المجامع أنكروا ... من مات من آبائهم ، أو عمرا
من كل ماض فى القديم وهدمه ... وإذا تقدم للبناية قصرا
وأتى الحضارة بالصناعة رثةً ... والعلم نزرا ، والبيان مثرثرا
يا معهداً أفنى القرونَ جداره ... وطوى الليالى ركنه والأعصرا
ومشى على يبس المشارق نوره ... وأضاء أبيض لجها ، والأحمرا
وأتى الزمان عليه يحمى سنة ... ويذود عن نسك ، ويمنع مشعرا
فى الفاطميين انتمى ينبوعه ... عذب الأصول لجدهم ، متفجرا
عين من الفرقان فاض نميرها ... وحياً من الفصحى ، جرى وتحدرا
ما ضرنى أن ليس أفقك مطلعى ... وعلى كواكبه تعلمت السرى
لا والذى وكل البيان إليك ، لم ... أك دون غايات البيان مقصرا
لما جرى الإصلاح قمت مهنئاً ... باسم الخليفة ، بالمزيد مبشرا
إن الذى جعل العتيق مثابة ... جعل الكنانى المبارك كوثرا
العلم فيه ، مناهلا ومجانياً ... يأتى له النزاع ، يبغون القرى
يافتية المعمور ، سار حديثكم ... ندا بأفواه الركاب وعنبرا

---

(١) لم نذكر كل أبيات القصيدة .

المعهـــد القدسى كان نديَّه قطبا لدائرة البلاد ، ومحورا
وُلدت قضيتها على محرابه وحبت به طفلا ، وشبت معصرا
وتقدمت تزجى الصفوف ، كأنها (جاندركُ) فى يدها اللواء مظفرا
هُزوا القرى من كهفها ورقيمها أنتم لعمر الله أعصاب القرى
الغافل الأمى ينطق عنكمُ كالببغاء ، مرددا ومكررا
يمسى ويصبح فى أوامر دينه وأمور دنياه بكم مستبصرا

***

والأزهر الشريف اليوم حريص ما أمكنته الوسائل والطاقات على أداء رسالته فى مصر وفى خارجها ، فهو يذكر ويحذر ، وهو يسهم بنصيبه المذكور المشكور فى النهضة الإسلامية ، وفى الوثبة العربية ، وفى الحملة الثقافية ؛ وهو يرسل بعوثه اليوم إلى الشرق والغرب ، ، ويوفد رجاله إلى أقطار العروبة والإسلام ، ليكون كل منهم لساناً للإسلام ناطقاً ، وصوتاً للهدى صادقاً ، وداعية إلى الخير موفقا ، يتلمس الأسباب المواتية والسبل الملائمة ليحدث الناس عن قرآن ربهم ، وسنة نبيهم ، ولغة قومهم ، ومفاخر آبائهم ، وتبعات حياتهم ، ومقومات نهضاتهم ، ودعائم غدهم المرجى المأمول .

ورجل الأزهر لا يدع فى سبيل رسالته وبثها ميداناً من الميادين دون أن يقدم فيه مجهودا ، فنشاطه غير محدود بزمان أو مكان ؛ إنه يدرس ، ويخطب ، ويكتب ، ويحاضر ، ويحاور ، ويبشر ، وينذر ، ويؤدب ، ويهذب ؛ فى المدرسة ، والمعهد ، والنادى ، والمسجد ، وكل محفل من محافل الثقافة أو التهذيب .

ولو استطاع رجل الأزهر أن يجد مجالاً لدعوته بين المرضى فى المستشفيات ، أو بين العمال فى المصانع ، أو بين اللاهين فى المقاهى والمشارب ، أو بين الفارغين فى البيوت والشوارع ؛ لما تردد أبداً أن يقول كلمة الخير لهؤلاء ، وأن يهديهم إلى شرعة البر ، فهو لا يدعو إلى انحراف أو إسفاف ، وهو لا يحبب فى جمود أو ركود ، وهو لا ينادى إلى الوراء أو القهقرى ، وهو لا يخدع بدعوته الورى ، ولكنه يدعوهم إلى عز الدنيا ، ونعيم العقبى ، إلى نور اليقين ، وصلاح العقيدة ، وقوة الروح ، وسعة الأفق ، وفتوة البدن ، وطهارة القلب ...

يدعوهم إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور » .

أحمد الشرباصى

وفى يوم الثلاثاء ٢٠ يناير : سافر الدكتور عزام إلى مصر فى رعاية الله .

وقد طالت الملاحظة لألوان من الإسراف يقع فيها بعض القوم هنا ، وكأنهم يظنون أن الخيرات لا تنفد ، مع أن جبال الكحل تفنيها المراود ، ومن استكثر غموسه أكل بلا إدام ... أحضر تلميذ أربعةً أصابع من (الطباشير) لدرس ، فقلت له : إصبع تكفى ؛ فقال : ولم ندقق والناس يحرقون الأشياء ويبددونها ؟ . وقال غيره : مال الحكومة وايد ! . . (واجد — أى كثير) . فقلت : احذروا سوء استعمال النعمة ، وإلا انقلبت نقمة ، وإن بقيتم على هذا الإسراف فإننى أبشركم بفقر عاجل ، فستذكرون ما أقول لكم ! .

وفى المساء ألقى الأستاذ الفضيل الورتلانى فى مسجد الملا صالح محاضرة طيبة عن (تعدد زوجات النبى) وقد اجتمع لها عدد كبير .

وفى يوم الخميس ٢٢ يناير : حضرت الجلسة العلمية الثانية لمبعوثى الأزهر ، وعاودنا الاستماع إلى نصوص الأحاديث ، واقترحت ألا نقتصر على مطالعة الأحاديث بدون مناقشة أو بحث ، بل نختار كتاباً له صلة بالأحاديث وله بحث ومنهج ، كأحد كتب ابن القيم أو ابن تيمية .

وفى يوم الأحد ٢٥ يناير : كانت الليلة مباركة ، إذ عقد اجتماع كبير فى ساحة الحسينية لإخواننا الشيعة بالكويت ، وألقيتُ كلمة فى أول الاجتماع عن توحيد الإسلام للمعبود والرسول والكتاب والقبلة والأصل والنهاية ، ثم قدمت الأستاذ الفضيل الورتلانى ، حيث ألقى محاضرته القيمة وعنوانها : (هل من خلاف بين السنة والشيعة) ، وأعقبه الأستاذ عبد الرازق البصير بكلمة ، وتعرفت فى الاجتماع بالسيد ميرازا على من رجال الشيعة .

وقد بعثت اليوم برسالة عن الكويت إلى الأستاذ عبد المنعم العدوى صاحب مجلة (العرب) التى تصدر فى كراتشى ، وفيما يلى نصها ، بعد الصحفة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم
٣ ذي الحجة

من النجف الأشرف
١٣٦٨

العلامة الحبر الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي أيده الله

سلام سار ودعاء آب بار وتحية مشتاق مخلص ورد في كتابك العزيز فوجدته طافحاً
بالعواطف النبيلة والعوارف الجميلة وقد بدأت بالمعروف وتقدمت بالإحسان ببكم
(وكان الفضل للمتقدم) وتجدني جد مرتاح ومغتبط بكتابكم وخطبتكم وقد نافحت خطي
نعم ولكم بذلك حب وكرامة وذمة عبير (إن المعارف في أهل النهى ذمم) وكذلك أخي أعز
على ما تتحفني به من مجموعة مؤلفاتك البارعة لا المتواضعة وهي لمكتبنا العامرة في النجف المشتملة
ما يناهز السبعة الآف مجلد فيها مجلدات من المخطوطات النادرة أنشأنا لها عمارة خاصة
وأمامها غرفة واسعة للمطالعة وجعلناها وقفاً لقاصدات العموم وكلما يهدى لنا من الكتب
فهو لعامة طلاب العلوم ليس لنا خاصة أما مؤلفاتنا فقد تحفناكم في البريد أول خرجها
صغير الجرم ضئيلا وهو (أصل الشيعة) ومنه تعرفون باقي مؤلفاتنا التي نفد أكثرها
لأن مثل الدين والإسلام والمراجعات قد طبع منذ ثمان وثلاثين سنة وعسى تسنح لنا
الظروف بتقديم الميسور منها إن شاء الله وبالختام تقبلوا صميم الإخلاص والاحترام من

أخيكم في الله أو الأخ الروحي
محمد الحسين آل كاشف الغطاء

صورة خطية لرسالة من زعيم الشيعة بالعراق سماحة السيد محمد الحسين آل كاشف الغطاء
إلى المؤلف وهى منذ سبع سنوات (فاتحة عام ١٣٦٨ هـ)

رسالة عن الكويت[1]

أخى الصحفى المجاهد الأستاذ عبد المنعم العدوى صاحب مجلة (العرب) الغراء .

سلام الله عليك ، وأدام الله لك نعمة التوفيق فى خدمة الإسلام والعروبة ، وكتب لمجلتك (العرب) الزهراء ما يتمناه المسلم الغيور من سداد وتأييد ، وجمعنا بك وبالإخوان الكرام — أبناء الباكستان الشقيقة الناهضة — فى وقت قريب ، وفى أكرم المناسبات ، وأطهر الساحات ، ووفق أبناء الإسلام للاعتزاز به ، والعودة إليه ، وحسن فهمه ، والرشاد فى تطبيقه .

إننى لا زلت أذكر بالخير والثناء تلك الأيام الجميلة الطيبة ، التى قضيناها فى العام الماضى بربوع الباكستان الحبيبة ، حيث سعدنا بالمشاركة فى مؤتمر الشعوب الإسلامية الذى نرجو أن يكون مع غيره من المؤتمرات والحلقات الإسلامية بداية طيبة مثمرة لنهضة إسلامية حقيقية شاملة ، تسعد بها البلاد والعباد ، فى ظلال القرآن ، وتحت راية محمد عليه الصلاة والسلام . . .

ولا زلت أذكر بالحمد والشكران فضل الله علينا فى تلك الأويقات المضيئة ، التى فرحنا فيها بلقاء إخوان لنا نحبهم فى الله ، ونعرفهم لوجهه ؛ ولقد كان لقاؤك فى هذه اللحظات مما يبعث الرضى والبهجة ، ويجعلنا نلمس بوضوح ما كنتَ حريصاً عليه من الترحيب بنا والإقبال علينا ، فشكر الله لك ، وجزاك الله خيراً ، وجعلك أهلا لكل مكرمة من مكارم الأخلاق .

والحق أيها الأخ أننى كنت على نية أن أكتب إليك من القاهرة ، عقب عودتى إليها من كراتشى ، وأن أبعث إليك بنسخة من كتابى (عائد من الباكستان)

---

(١) نشرت مجلة (العرب) هذه الرسالة فى عددى جمادى الأولى والآخرة سنة ١٣٧٢ هـ (يناير وفبراير سنة ١٩٥٣) وقدمتها إلى قرائها بالمقدمة التالية : « رسالة كريمة من الكويت — الكويت تستقبل نهضة وثابة مباركة فى عهدها الجديد — حفاوة الكويت بسعادة الدكتور عبد الوهاب عزام — وصول الأستاذ الورتلانى والمشاوى إلى الكويت — وصلتنا هذا الرسالة الكريمة التالية من فضيلة الأستاذ الجليل والمبلغ الإسلامى الكبير الشيخ أحمد الشرباصى مبعوث الأزهر الشريف إلى الكويت ، ونحن ننشرها هنا ، لما فيها من معلومات قيمة عن الكويت البلد الناهض الوثاب ، شاكرين ماخص صاحب العرب به من كلمات ثناء لا يستحقها » .

الذى تحدثت فيه عن زيارتى لها ، وعما دار فى مؤتمر الشعوب الإسلامية الكبير بشىء من التفصيل ، ولكنى لم أكد أستقر فى القاهرة حتى دُعيت باسم المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين إلى رحلة مع بعثة من أعضائه إلى اليونان ، فتركيا ، فسوريا ، فلبنان ؛ وقد كتب الله التوفيق لهذه البعثة ، حتى كانت رحلتها خيراً للاسلام ودعوته .

ولقد اطلعت خلال ذلك على عدد من مجلة (العرب) فرأيتُ فيها البحث الذى ألقيتُه فى مؤتمر كراتشى كاملا ، فكانت تلك عناية من المجلة ومن صاحبها ، ولقد شكرتهما عليها ، وسألت الله أن يجزيهما عنى بما هما له أهل .

وما كدت أعود إلى القاهرة حتى دعيت إلى الكويت — أو لؤلؤة الخليج كما أحب أن أسميها — فوجدت فيها أحبة أعزاء ، طال بيننا وبينهم الارتباط الروحى عن طريق الكتابة والمراسلة ؛ ورأيت مجلة (العرب) هنا وهناك ، فتذكرت ما نسيت ، وهممت أن أكتب ، فإذا الكويت تشغلنى عن ذلك بأعمال ثقيلة ولكنها جميلة ، ومرهقة ولكن يحببها إلىَّ أنها وثيقة الصلة بالإسلام الذى نحيا له ونموت عليه بتوفيق الله — نسأله حسن الخاتمة — ووجدتها وثيقة الصلة بنهضة العروبة التى أعزها الإسلام ، ومجد ما فيها من محامد ، واستنهض هممها لتحمل رسالته إلى أرجاء العالم الفسيح . . .

وأخيراً يقع فى يدى عدد ربيع الأول من (العرب) فأرى فيها تحية طيبة كريمة موجهة إلى شخصى الضعيف ، بمناسبة حلولى فى إمارة الكويت العزيزة الغالية ، وفيها من الثناء ما يخجلنى ويرهقنى ، فلم أر بدا من أن أسارع بالكتابة إليك شاكراً هذا الفضل ، سائلا الحق تبارك وتعالى أن يجعلنى عند حسن ظنك بى ، وأن يغفرلى ما لا تعلم من أمرى .

إن الكويت أيها الأخ الكريم بلد عربى إسلامى ناهض ، كان فى الماضى يغالب الحياة ويصابرها ، ثم شاء الله أن يفجر لأهله ينابيع الثروة من بطن الصحراء القاحلة على غير انتظار ، فكان ذلك الفضل الإلهى الغامر سبباً فى وثبة من هدوء ، ونهضة إلى العلا ، فإذا التعليم والصحة والأمن والاقتصاد والبناء والتعمير يسود الإمارة الحبيبة واللؤلؤة الغالية .

والكويت الآن على مفترق الطرق ، تتلفت يمينا وشمالا ، لتأخذ بما يمضى

بها إلى الأمام ، ولذلك هى تجتاز مرحلة جليلة من تاريخها ، تحتاج إلى الحكمة والحزم ، وتستلزم البصيرة النافذة والبصر البعيد ، حتى تتجنب العثرات والمفاجآت ، وحتى لا يطول انتظارها فى مفترق الطرق ، بل تختار الطريق المستقيم لسيرها قدما ، جامعةً بين عقيدتها وقوميتها وسعادتها فى آن واحد . ويغلب على ظنى أن فى ذكاء الكويتيين ، وغيرتهم على سمعة بلادهم ، وحرصهم على مستقبلها ، وتآخيهم مع أشقائهم العرب ، وتلاقيهم فى العواطف مع إخوانهم المسلمين ، ما يجعلنا نأمل منهم العزم اللازم لهذه النهضة المتوثبة المباركة . . .

ولقد زارنا فى الأسبوع الماضى الرجل العظيم الدكتور عبد الوهاب عزام سفير مصر فى الباكستان ، فاستقبلته الكويت — شعباً وحكومة — بكل حفاوة وترحاب ، واستطاع فى أيام قليلة أن يتعرف إلى الإمارة الناهضة ، وأن يزور أنديتها : جمعية الإرشاد الإسلامية ، ونادى المعلمين ، والنادى الأهلى ، والنادى الثقافى ، وقد رافقناه فى رحلته إلى بقاع الإمارة : كالحولى ، والسالمية ، والجهرة ، وكاظمة ، والأحمدى ، والفحاحيل ، والبرقان ، وغيرها من قرى الكويت ومناطقها . ولقد ذكركم الدكتور عزام بالخير ، وأثنى على نشاطكم ، وطالعتُ ما خصكم به من ذكر شاكرٍ فى مقدمة كتاب (بيام مشرق) لشاعر الإسلام محمد إقبال .

وعندنا الآن فى الكويت المجاهد الإسلامى المعروف الأستاذ الفضيل الورتلانى ، وهو قائم بنشاطه الإسلامى الجم فى المحاضرة والخطابة ، ومعه فى الزيارة الأستاذ حسن محمد العشماوى المحامى ، وهو من خيرة شباب الفكرة الإسلامية فى مصر .

وأنقل إليك بشرى طيبة ، هى أن الكويت ستفتح بمشيئة الله مدرسة عربية فى الباكستان ، وقد سمعت سمادة الشيخ عبد الله الجابر الصباح رئيس المعارف بالكويت يتحدث عن هذا المشروع بحماس وإيمان ، ولاشك أن إنشاء هذا المدرسة سيكون فتحا مباركا فى نشر لغة القرآن فى ربوع الباكستان .

لن أختم رسالتى إليك حتى أحملك واجباً ، هو أن تقرأ السلام على جميع الأصدقاء والأحباء ، بل على كل مَن فى الباكستان من وجوه نضرها ربها بالإسلام ، وعمر صدورها بالإيمان . وسلام الله عليك ورحمته .

أحمد الشرباصى

الكويت { ٩ جمادى الأولى ١٣٧٢ هـ
٢٥ يناير ١٩٥٣ م



في بيت الكويت بالقاهرة ؛ الأستاذ عبد القادر النعماني وعن يساره الأستاذ عبد الله زكريا ، وعن يمينه مؤلف الكتاب فالسيد عبد العزيز العلي ، وجمع من طلبة الكويت واشبالها



في بيت الكويت ؛ سمو الشيخ عبد الله الجابر ، يتوسط جمعاً من أبناء الكويت وأصدقائها ، ويرى في الصورة الأستاذ الفضيل الورتلاني والأستاذ عبد العزيز حسين ، وعلى يسار الأمير مؤلف الكتاب فالأستاذ عبد الله زكريا

وفى يوم الاثنين ٢٦ يناير : ودعنا الأستاذ الفضيل فى المطار ، ووجهته مصر العزيزة صانها الله وحماها . وقد لاحظت أن الكويت بحاجة شديدة إلى توسيع المكتبة العامة (مكتبة المعارف) ، إذ يجب أن تكون أكبر مما هى الآن بثلاثة أضعاف على الأقل ، ويلزم للمدينة قاعة محاضرات كبيرة تصلح للاجتماعات واحتفالات (السينما) والتمثيل والاستقبال والتكريم وغير ذلك ، وأعتقد أن ذلك أهم مائة مرة من الساعة الكبيرة التى يفكرون فى وضعها بميدان الصفاة وتتكلف آلاف الجنيهات .

وفى يوم الثلاثاء ٢٧ يناير : التقيت فى المباركية بالسيد (أقا) أحمد فرامزى النائب الإيرانى ، وتحدثنا عن الشئون الداخلية فى إيران ، وقد لاحظت أن إجابته اصطبغت باللون (الديبلوماسى) الذكى !.. وفى المساء ألقى فضيلة الشيخ على عبد المنعم محاضرة عن (آيات المنافق) ، ثم ألقى الأستاذ خالد أحمد الجسار كلمة حماسية ، وقد قدم حديثاً من مصر ، بعد أن تخرج هذا العام فى تخصص القضاء الشرعى بكلية الشريعة .

وفى يوم الخميس ٢٩ يناير : مكثتُ فى البيت أكتب فى مسرحية (أبى حازم) ، وفى المساء حضرت ندوة المعهد العلمية ، وتلا فضيلة الشيخ البولاقى قراراً أزهرياً وصله وينص على أن يكون رئيس البعثة الأزهرية مشرفا على الأزهريين المندوبين لدائرة المعارف ، فاستمع الجميع وأطاعوا ، وقلت فى نفسى : ليت هذا القرار كان من فاتحة العام للاتفاق عليه ، والأخذ به من أول الطريق ؛ وتذكرت أن مراقب البحوث قال لى وأنا على أهبة السفر : ستكون فى دائرة المعارف ، وأنت مستقل عن بعثة الأزهر !.

وفى يوم الجمعة ٣٠ يناير : جاءتنى سيارة الإذاعة كالعادة ، فذهبت وأذعت حديثاً موضوعه (العزة فى القرآن)[1] واستغرق نصف ساعة ، وأكرر أن جميع الخطب والمحاضرات والكتابات والإذاعات مجانية بلا مكافأة ... أيسمع هؤلاء ؟!...

وفى يوم السبت ٣١ يناير : جاء الشيخان البولاقى ورياض هلال وأبلغا الأستاذ عبد المجيد مصطفى قرار الأزهر ، وطلبا إليه أن لا يفتش على الأزهريين بالمدارس غير الأزهريين ، فغضب الأستاذ عبد المجيد ، وقال إنها تفرقة ، ولم يكن هناك موجب لها ، فخرجا من عنده إلى مدير المعارف ، وأبلغاه القرار فغضب ، وقال إن هنا نظاما ،

---

(١) نشر فى مجلة الأزهر ، عدد صفر سنة ١٣٧٣ هـ .

والموجِّه للتعليم فى الـكويت هو دائرة المعارف ، وفيها رؤساء ومسئولون ، ولا أقبل هذا الوضع أبداً مهما كان ، وسأخاطب الأزهر فيه .

شهر فبراير سنة ١٩٥٣

فى يوم الاثنين ٢ فبراير : أذعتُ بحثاً موضوعه (الحزبية فى القرآن الـكريم). وقد أُخرج الأستاذ معن العجلى العراق من الإذاعة ، وعُيِّن السيد عبد الله النورى مديراً لها .

وفى يوم الثلاثاء ٣ فبراير : زارنى فى المدرسة الأستاذ أحمد أبو بكر مفتش اللغة العربية والدين ، وناقش تلاميذى فنالوا إعجابه ، ومن الظريف أن تلميذاً تلعثم فى إجابة سؤال ، فقال الأستاذ أبو بكر إنه كان تلميذاً فى المدرسة الإلزامية ، وزارهم مفتش ، وطلب منهم مفعولا به جمعاً مذكراً سالمًا ، فأجاب أحد التلاميذ قائلا : « أكلتُ المفتشين » !... واستغرق التلاميذ فى الضحك .

وقد بعث إلىَّ مدير الإذاعة الجديد خطاباً رسمياً يطلب منى فيه موالاة الإذاعة بالكلمات والعظات ؛ وطلبوا منى فى جمعية الإرشاد إلقاء محاضرة الثلاثاء ، فاعتذرت لأفسح لغيرى المجال ، حتى لا يقال إنه استئثار ، وقد ظهر العدد الأول من مجلة (الإيمان) ، وهى لسان النادى الثقافى القومى .

وفى يوم الخميس ٥ فبراير : أذعتُ حديثاً عنوانه (عمر بن عبدالعزيز والقرآن)[١] وشهدتُ ندوة المعهد الحديثية ، وكانت الأحاديث المتلوة عن الإيمان والعمل .

وفى يوم الأحد ٨ فبراير : شاهدتُ فى دائرة المعارف بدعوة من الأستاذ المدير بضعةَ أشرطة رياضية باللغة الإنجليزية لمختلف أعمار التلاميذ ، ويستغرق الشريط نحو ربع ساعة ، وحبذا لو وُضعت ترجمة عربية لهذه الأشرطة ، حتى نستطيع صنع أمثالها لأبنائنا . وقد تعرفت بالأستاذ السيد على الدباغ من كبار رجال الشبان المسلمين بيافا (يوم كانت فلسطين لأهلها !) وهو والد الأستاذ حسن الدباغ مفتش اللغة الإنجليزية بمعارف الـكويت . وعكفت فى المساء على كتابة بحثى عن (أبى عبيدة) ! .

---

(١) نشر فى مجلة الأزهر ، عدد جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ هـ

وفى يوم الاثنين ٩ فبراير : أذعت حديثاً عنوانه (مع إقبال شاعر الإسلام)[١] وقد تحدثت فيه عن الدكتور عزام وكتبه ، وترجمته لديوان إقبال (رسالة المشرق) ، ثم عرضت الديوان بعد ذلك .

وفى يوم الثلاثاء ١٠ فبراير : شاهدنا فى المباركية عقب الدروس بعضَ الأشرطة العلمية (دورة القلب ، الدورة الدموية ، الهضم) وهى دقيقة جميلة ، وأدق ما فيها رؤية القلب البشرى وهو ينبض قاذفا الدم النقى ومستقبلا غيره . ماهذا الإحكام فى جسم الإنسان ؟ ما هذا النظام الدقيق ؟ تبارك الخلاق العظيم !. ليتنا نستخدم أمثال هذه الأشرطة (وسائلَ إيضاح) فى وعظ الناس ! .

وفى يوم الأربعاء ١١ فبراير : وصلتنى رسالة من إذاعة مكة تطلب فيها أحاديث دينية لإذاعتها ، وهى تفعل ذلك منذ أكثر من عام ، فعكفت على كتابة الأحاديث ، وقد أمطرت السماء اليوم مطراً غزيراً ، وبدأتْ فيه منذ الصباح ، وفى الأصيل تدفق الماء كأفواه القرب ، وحاصرنا المطر فى المنازل ، وهذه أغزر مرة ينزل فيها المطر ، ولذلك فرح به الكويتيون ، إذ فى كل بيت بركة تمتلىء منه فينتفعون به ، وبه تخضر الصحراء ، فيكثر اللبن وتنتعش الماشية ، ونحن هنا نعرف قيمة الماء ، ونعرف كيف نقتصد فيه ، وتتجلى لنا حكمة الفقهاء فى النهى عن الإسراف فى استعمال الماء ! .

وفى يوم الخميس ١٢ فبراير : رددت على الرسائل المتجمعة ، وممن يتفضلون بمراسلتى الآن بصفة متكررة السادة الأجلاء الأساتذة الشيخ حسنين محمد مخلوف واللواء محمد صالح حرب والفضيل الورتلانى ومحمد على الطاهر وعبد القادر مختار وعدلى أباظه ومحمد الصواف وحلمى المنياوى ومحمود جبر وغيرهم ؛ وفى المساء أذعت حديثاً موضوعه (دينكم يدعوكم ياشباب)[٢] . وقد أُلغيت جلسة المعهد العلمية لمرض شيخ المعهد ، وذهبنا إلى هناك فلم نجد أحداً ، لأنهم لم يخبرونا بالإلغاء .

وفى يوم الجمعة ١٣ فبراير : كان الجو عاصفاً والهواء بارداً رغم ظهور الشمس . صليت الجمعة فى مسجد البدر ، وكانت الخطبة عن الزنا ، والخطيب هو الشيخ أحمد

---

(١) أغلب هذه الأحاديث نشرت فى مجلات : الأزهر ، والبعثة ، والحج ، واليقظة ، وغيرها .
(٢) انظر صفحة ٣٢٧ من هذا الكتاب .

خميس ، وهو جهير الصوت سريع الإلقاء ، وقد ألقى خطبته من ورقته إلقاء منغَّما كما هي عادة الخطباء فى الكويت .

وفى يوم الأحد ١٥ فبراير : التقيت بالأستاذ درويش المقدادى ، وتحدثنا عن وجوب عقد اجتماع يحضره ممثلون للأندية لوضع خطة للتوفيق والانسجام ، واتفقنا على تنفيذ ذلك قريباً .

وفى يوم الاثنين ١٦ فبراير : أذعتُ موضوعاً عنوانه (حديث القرآن عن اللغو) .

وقد تلقيت قصيدة من الأستاذ محمود جبر أهداها إلىَّ ، وفيها هذه الأبيات :

من وادى النيل إلى وادى الكويت (١)

تُرى من أثار المستهام وروعا … فأجرى على خديه فى الفجر أدمُعا
أما كان يكفيه السهادُ يقوته … ويكفيه أن يلقى فؤاداً تصدعا ؟
أما زالَ يصبو للقاء ، وقد قسا … زمانٌ ، وحبٌ كان كالشمس مطلعا
ألا ليته ينسى ، ويسلو ، ويشتفى … بألا يعيرَ الشامت اليوم مِسمعا
ويذكر بدراً فى الكويتِ أحبَّه … ويذكرَ قلباً دام بالوُدِّ مترعا
ويذكر من أهدى إلى الناس قلبه … مضيئاً بنور العلم والطهر مشبعا
ويسأل ماذا حالَ دون لقائه … وماذا دعا أن يهجرَ البدرُ أربعا
ويهمسُ أحبابُ الكويت بأنه … غدا فى الكويتِ العهد مجداً ممتعا
فهذى صحاريها كنوزٌ مفاضةٌ … وأضحت رمال البيد تبراً مشعشعا
وفجَّرها العلمُ الجديدُ جداولاً … من الذهب الإبريزِ ينساب طيعا
وهاهم بنو «آل الصباح» شموسها … وبات الرعايا فى الرخاء كمن رعى
يسوس نواحيها بعدل وحكمةٍ … ويزجى لأهليها الثراء منوعا
وما دام ربُّ البيتِ براً وصالحاً … رأيتَ ربيبَ الدار للخير مهطعا
تمنيتُ يا ربَّ الكويتِ أمانياً … لعلك يوماً تجمع العرب أجمعا

---

(١) نشرت مجلة الرائد هذه القصيدة فى عدد مارس ١٩٥٣ ، وفى صدرها هذه العبارة : «تحية الشعر من وادى النيل إلى وادى الكويت — مهداة من شاعر الشبان المسلمين إلى فضيلة الشيخ أحمد الشرباصى مبعوث الأزهر إلى الكويت ، ورائد الشبان ، وفيها التحية لنهضة الكويت ورجالها المصلحين » .

وتجعل من هـذا التشتتِ وحدةً — وتوصل منـه ما عسى قد تقطعا
ولا تنحنى رأس الأجانب بيننا — لغير الذى قد صير الأرض مصنعا
وفجرها عيناً تفيض ، وصانها — من الأخطبوطِ الأجنبىِّ مقنعا
وغير قـوى يملكُ المـالَ وفرةً — ويزحم جو الحرب سيـفاً ومدفعا
وغـير شباب عبَّ علماً وحـكمةً — وتحمل أيديه مع البرء مبضعا
وتلقاه صـقراً فى الجـواء محلقاً — وتلقاه تحت الماء « طوربيد » مفزعا
سألتك يارب الـكويت تصونها — وتحفظها حتى أرى الشملَ جمعا
وتهدى ولاةَ العرب فى كل أمرهم — وتجعلهم للشرق حصناً ومرجعا
وأنت أخى يا «أحمد» النور والهدى — أما آن أن تأتى الربوع وترجعا ؟
وتهتف بالمصغين فى الحلبـة التى — رأت فيك مغوار البحوث ومبدعا
عدا بى إليك الشوق حتى رأيتنى — أفيض مع الأشواق فى الفجر مدمعا
و«حرب[1]»ورب البيت قد شاقه اللقا — وكل الألى عندى يرجون مطلعا

ووصلتنى رسالة رقيقة من الدكتور محمد صلاح الدين ، وفيها اهتمام بأبناء الـكويت ، وتعليق للآمال الـكبيرة على نهضتها الحاضرة .

وفى يوم الخميس ١٩ فبراير : قدّمتُ فى المباركية بعض طلبتى ، فقاموا بتمثيل فصل من مسرحية (القائد الذى لم يهزم) أمام التلاميذ ، واشترك فى التمثيل يوسف محمد النصف ، ويوسف خالد السهلى ، وأحمد محمود بدوى ، وداود أبو السعود . وذهبت فى المساء لجلسة المعهد ، فوجدتها ملغاة مرة أخرى لزفاف بعض الأساتذة ، دون أن نعلم !!... وقد أذعت الحديث الأول من سلسلة (أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح) .

وفى يوم الجمعة ٢٠ فبراير : زارنى الأستاذ محمود شوقى الأيوبى والأستاذ عبد العزيز حسين — وأ كثر زيارتهما لى يوم الجمعة — وجلسنا نتحدث فى مختلف الشئون ؛ ثم صليت فى مسجد البدر ، وألقيت بعد الصلاة حديثاً موضوعه (الشعور بالتبعة) . وفى المساء ألقيتُ بجمعية الإرشاد محاضرة فى تفسير الآية : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلـكم تفلحون » .

وقد حضر السيد عبد الله العلى من رحلته فى أوربا فسعدنا بلقائه .

---

(١) هو اللواء محمد صالح حرب الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين .

مصر في ٧ يناير ١٩٥٢

أخي وصديقي العزيز الأستاذ أحمد الشرباصي

تحية طيبة وسلام عاطر. أما بعد فلكم يسعدني أن أكتب إليك شاكراً لك جميل اهتمامك بالكتابة إلي من بلاد الكويت. لقد فرحت بكتابك فرحاً عظيماً وكأنه نفحة منك. فيه سحر روحك العالية ونفسك الراضية وقلبك الودود الكبير. وكله الوفاء الخالص للأصدقاء أصدقائك المخلصين الذين يحبونك كما تحبهم ويقدرونك كما تقدرهم ويتمنون لك كما تتمنى لهم كل خير وسعادة وتوفيق. جزاك الله عني عن مودتك الصادقة أحسن الجزاء وأسمعني دائماً عنك أسعد الأنباء

وختاماً يهمني أن أسمع منك الشيء الكثير عن الكويت وعملك بها. لقد كانت كتابتك الأولى أبلغ استهلال في هذا الشأن ولكني أنتظر المزيد فالكويت على صغرها خطيرة وذلك ستكون لها عظيم الأهمية في كتلة الأمم العربية والإسلامية ويمكن أن تصير مصدر خير عميم لشقيقاتها إذا خلصت نيتها وصحت وجهتها ووقاها الله شر دسائس الكائدين ومطامع الطامعين

والسلام عليكم ورحمة الله

المخلص

محمد صلاح الدين

صورة خطية لإحدى رسائل الأستاذ الكبير الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصرية سابقاً ، وفيها إشارة إلى الكويت وطلب المزيد من أخبارها

وفى يوم الأحد ٢٢ فبراير : عُقدتْ فى المباركية مباريات فى الكرة الطائرة بين مجموعات الأساتذة ، فلعبنا أولا — نحن أساتذة العربية — ضد أساتذة الإنجليزية فغلبونا ، ثم تبارى أساتذة الإنجليزية مع أساتذة العلوم فغلب أساتذة العلوم ، ثم تبارينا أخيراً مع أساتذة العلوم فغلبناهم ! . وقد تحمس الطلبة للمباريات كثيرا .

وفى يوم الاثنين ٢٣ فبراير: اشتركنا فى ندوة عن (الجهل والفقر والمرض) بالمباركية(١) . ولهذه الندوات أثر ظاهر فى التلاميذ .

وفى يوم الثلاثاء ٢٤ فبراير : ألقيتُ محاضرة الثلاثاء فى مسجد النصف ، وكان موضوعها (جعفر بن أبى طالب) ، وكانت الليلة ممطرة ، والعدد قليلا ، وهذه أول مرة ألقى فيها محاضرة الثلاثاء ، منذ ثارت الفتنة المتعلقة بالنشاط .

وفى يوم الأربعاء ٢٥ فبراير : كان اليوم عطلة ، بمناسبة الذكرى لجلوس الأمير وتوليه حكم الكويت ، وقد ذهبنا فى الصباح إلى قصر السِّيف على الشاطئ لتهنئة الأمير ، وسمعنا بعض الأناشيد من كشافة المدارس ، وكلمة تهنئة من الأستاذ عبد العزيز الغربللى ، وقد خطب الأمير فى فرق الكشافة والأشبال فقال لهم : « يا رجال الغد ، أوصيكم وإياى بتقوى الله ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، أرجو لكم التوفيق والسعادة » . ثم صافحنا الشيخ العوَد ، وكان هناك بعض الأجانب ، وسمعنا زغاريد النساء وهتافات الشعب بحياة الأمير وحياة الكويت ؛ وقد التقيتُ فى القصر بالصحفيين المصريين الأستاذين زكريا خليفة ومحمود يوسف اللذين جاءا للمباحثة فى إصدار عدد من جريدة (المصرى) عن الكويت ، وطلب منى الأستاذ زكريا مقالة لذلك العدد ، وقد نظمت الإذاعةُ الليلة سلسلة من الكلمات

قصر السيف الذى يجلس فيه الأمير

(١) انظر صفحة ١٢٩ من هذا الكتاب .

والقصائد التي تدور كلها حول تهنئة الأمير الحاكم وسرد صفاته وأعماله ، وقد اشترك فيها بعض المصريين ، كالأستاذ أحمد عنبر الذى ألقى قصيدة عامرة .



هكذا يؤدى الكشافة والأشبال التحية للأمير

وفى العصر أقيم احتفال فى دائرة الأمن لإهداء وسام بريطانى إلى الأمير ، وجاء الأمير أولا ، وبعد استعراضه فرقة كويتية وأخرى بريطانية جلس ، وتكاثر المصورون على تصويره وهو غير ملق إليهم بالا ، ثم جاء (رئيس الخليج) البريطانى فى ملابسه التقليدية ، واستعرض الفرقتين ثم جلس ، ثم نهض وألقى كلمة قصيرة بالإنكليزية عن إهداء الوسام من الملكة إلى الأمير ، ثم ألقيت ترجمتها ، ثم خطب الأمير شاكراً ، ثم تقدم رئيس الخليج وعلق الوسام على صدر الحاكم ، وألقى الأستاذ كمال ناصر الشاعر الفلسطينى قصيدة حماسية ، ذكر فيها فلسطين بحرارة ، وخرج الجميع فاستعرضوا الجيش فى الساحة ، وطارت طائرات بريطانية فى الجو .

وفى يوم الخميس ٢٦ فبراير : تناولنا الغداء على مائدة الحاج ثنيان الغانم من كبار التجار بالكويت ، وكان معنا الصحفيان المصريان وبعض رجال المعارف والبعثة المصرية

وفى يوم الجمعة ٢٧ فبراير : خرجنا فى رحلة إلى (جليعة العبيد) على شاطىء الخليج ، وكان الجو غائما ، ولما صرنا فى الخلاء تمنينا أن تظهر الشمس ، وما هى إلا لحظات حتى ظهرت ، وأخذت تلفحنا بحرها وتذكرنا بالصيف ، فعدنا نرتجى

سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح فى الاحتفال الذى أقيم لإهداء الوسام إليه من ملكة بريطانيا



حرس الأمير

سترها بشيء من السحب ، وسرعان ماا كتست صفحتها ببعض السحب ، وبعد قليل تمنينا أن تعود إلى الظهور ، فقد برد الجو ، وأنذرت السماء بالمطر ! ! . . .

وهكذا تتبدل الأحوال ، ولا يصبر المرء على حال .

وصلنا (جليعة العبيد) وهى بعد الشعيبة بثلثى ساعة بالسيارة تقريباً ، وبعضهم يسميها (جليعة) فقط ، ولكنها مكتوبة على الخريطة (جليعة العبيد) ، ويقال إنها كانت ثغراً على الشاطىء ، يهبط عندها من السفن العبيد القادمون للاتجار فيهم خلال الزمن القديم ، وقد وجدنا عندها آثار كوخين متهدمين من اللَّبِن ، وعلى مقربة منها قبر قيل إنه لربان سفينة توفى فيها فدفنوه بقرب الشاطىء .

وفى (جليعة العبيد) وجدنا بعض الصخور المتآكلة ، ويظهر أنها كانت فى أول أمرها صخرة واحدة هائلة ، ثم انقسمت ، ولعل هذه الصخرة كانت تستخدم (قُليعة) قديما لعلو مكانها ، ومن هنا جاءت التسمية ؛ وكان الجو عند وصولنا إليها قد اعتدل ، والنسيم جميل رقيق ، والساحل متدرج نظيف سهل ، والمكان يصلح أن يكون مرتبعا أو مصيفا ، وتسابق الجمع إلى تسلق الصخور والتقاط الصور تارة فوق الصخور ، وتارة أمامها ، وتارة يخب بعضنا فى الماء ، كالأستاذ حسين عبد الحميد عبد الرحمن ! .



المؤلف مع الأستاذ لبيب سالم بين صخور جليعة العبيد

وصعدنا الصخرة الكبرى بعد مجهود ، ووقفنا نتطلع ونتأمل ، نتطلع إلى الخليج الذى شهد مختلف الأحداث والحوادث منذ أقدم العصور ؛ ثم رجعنا بعد ذلك إلى (الشعيبة) وقسمنا أنفسنا للعبة الكرة الطائرة ، وكان لطيفا أن ترى بين اللاعبين الأساتذة عبد المجيد مصطفى ومحمد قاسم عبد العزيز وعبد العظيم بدوى والسعيد الشرباصى وزكى سويلم ومحمد فؤاد متولى وصديق عثمان .

وحانت صلاة الجمعة فقصدنا المسجد ، ووجدنا أنهم لم يغيروا جملة « لا إله إلا الله »[1] فكررت التنبيه على ذلك ، وألقيتُ عقب الصلاة كلمة فى شرح الحديث : « إن الله يرضى لكم ثلاثا ، ويكره لكم ثلاثا ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبله ولا تفرقوا ، وأن تنصحوا من ولاه الله عليكم ؛ ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » .

ورجعنا إلى المدرسة فتناولنا الغداء المشترك ، ولا تسل عن تخاطف أفخاذ الدجاج والبيض ، وقد فاز الأستاذ لبيب سالم بنصيب الأسد — كما قال الزملاء — وتحدثوا بأنه (أكال) من الطراز الأول ، مع أن هذا لا يظهر على جسمه ! . . . وبعد الغداء تمددنا على الرمال ، فى تلك الجلسة الأخوية الشاعرية اللطيفة ، وحضر الأستاذ محمود شوقى عبد الله الأيوبى ، وأسمعنا قصيدته فى اللواء محمد نجيب[2] ، وقص علينا بعض ذكرياته فى رحلته إلى مصر وأندونيسيا . وقمنا بعد فترة نتجول على الشاطىء ، وشاهدنا عرسا جلس فيه النساء كاملات الحجاب ، وبعض الرجال فى صفين يرقصون (الدبكة) .

وفى الأصيل حضر الأساتذة المشايخ كامل الشمسى وأحمد خميس وأحمد عطية ، فقضوا معنا وقتا ، ثم رجعنا فى المساء .

وفى يوم السبت ٢٨ فبراير : ألقى فضيلة الأستاذ السعيد الشربينى الشرباصى فى الإذاعة حديثاً موضوعه : (العلم فى خدمة القرآن) ، ثم اشتركتُ فى المحطة فى ندوة (اسأل تجب) ، فرددت على بعض الأسئلة ، وكان معى فيها الأستاذان جميل الصالح ومحمد قاسم عبد العزيز .

شهر مارس سنة ١٩٥٣م

فى يوم الأحد أول مارس : تلبد الأفق فى الأصيل بالسحب ، ثم بدأت السماء تمطر ، فحبستنا فى البيوت أيضاً ، فعكفتُ على كتابة موضوع بعنوان (دستور الطالب) .

وفى يوم الاثنين ٢ مارس : هطلت الأمطار غزيرة طيلة النهار وطول الليل ، ولم تشهد الكويت — كما قالوا — مثل هذا الغيث منذ سنة ١٩٤٨ ، وقد فرح

---

(١) انظر صفحة ٤٦٠ من هذا الكتاب .

(٢) انظر صفحة ٤٣٠ من هذا الكتاب .

الكثيرون بهذا المطر ، لأن ماءه يحفظونه فى البرك للانتفاع به ، ولأن الخضروات مع المطر تزداد ، وتنخفض أسعار الدهن ؛ ولم يخل سقوط المطر من بلايا ، فقد سقطت به بعض المنازل ، وتعطلت الإذاعة ، ولا أدرى كيف تُترك الأجهزة الإذاعية هكذا تحت رحمة المطر ! .

وفى يوم الأربعاء ٤ مارس : زارنى فى الفصل بالمباركية سمو الشيخ عبد الله المبارك الصباح والدكتور فاضل الجمالى وزير الخارجية العراقية وآخرون ، وكان الدرس نصوصا ، وكنا نقرأ فى قصيدة لشاعر النيل حافظ إبراهيم ، وتحدثت أمام الضيوف عن خصائص الشاعر وموضوع قصيدته وأهدافها ، وناقشوا الطلاب فأعجبوا بهم .

وفى المساء جلسنا فى نادى المعلمين نبحث فى سمات اللغة العامية بالكويت .

وفى يوم الخميس ٥ مارس : أذعت الحلقة الثانية من سلسلة (أبى عبيدة) .

وفى يوم الجمعة ٦ مارس : ألقى شقيق الأستاذ السعيد فى الإذاعة حديثاً عن : (آداب الزواج) وكان حديثاً موفقاً ، وصليت الجمعة فى مسجد البدر ، وبعد الصلاة قدمنى أحد الإخوان ، فألقيت كلمة عن محاربة الحفاء ، وعن كرامة البدن فى الإسلام . وبعد صلاة العشاء ألقيتُ فى جمعية الإرشاد تفسيراً لقوله تعالى : « وأنفقوا فى سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » ، وعلق على حديثى الأستاذ درويش المقدادى مساعد مدير المعارف بكلمة توجيهية كان لها وقع جميل .

وفى يوم السبت ٧ مارس : تلقيتُ من نادى المعلمين خطابا يسألنى فيه أن أقوم بتحقيق ديوان فهد العسكر وترتيبه وتقديمه والتعليق عليه ، وتركوا لى مطلق الحرية فى ذلك الشأن ، وأرجو أن أكون عند حسن ظنهم .

وفى يوم الأحد ٨ مارس : بدأتُ بين التلاميذ الدعوةَ إلى محاربة الحفاء بصورة واسعة ، ففى كل فصل أدخله أبدأ لمدة دقائق بالحديث عن أخطار الحفاء ، وأكتب على ركن السبورة بخط كبير : « حاربوا الحفاء ، وخاصة بين الأطفال والنساء » وأكلف التلاميذ بترديدها والوعد بتنفيذها ، وسأحرص بقية هذا الأسبوع على التذكرة الدائمة المنوّعة بشأن هذا الموضوع إذ آلمنى أن يلعب التلاميذ حفاة .

وفى يوم الاثنين ٩ مارس : واصلت الحديث عن مضار الحفاء فى المدرسة

وخارجها ، وأذعتُ من المحطة موضوع (دستور الطالب) واستغرق أربعين دقيقة ، وسجلوه قبل إذاعته فى منزلى ؛ وقد عاد السيد عبد العزيز العلى اليوم من مصر ، فذهبنا للقائه وتنسم ريح مصر الغالية المفداة من أخباره .

وفى يوم الثلاثاء ١٠ مارس: تحدثتُ إلى التلاميذ متسائلا عما فعلوه فى محاربة الحفاء ، فسمعت منهم أخباراً طيبة ؛ فقد تحدثوا بذلك فى كل مكان ، ونجحوا فى نشاطهم ؛ وقد كتبت خطابين للواء صالح حرب ولفضيلة الأستاذ حسن الهضيبى كى يحتفل الشبان والإخوان ببعثة الكويت الذاهبة إلى مصر فى عطلة نصف السنة ؛ وفى صلاة العصر استمع التلاميذ إلى تسجيل (دستور الطالب) ومعهم المدرسون والأستاذان صلاح الدين الباقر رئيس البعثة المصرية التعليمية فى المملكة العربية السعودية ومحمد كامل علوى المفتش فى البعثة ، وقد حضرا اليوم لزيارة الكويت ، إذ كانا فى رحلة مدرسية على الحدود .

وحدثت اليوم أول حادثةِ قتل سمعنا بها منذ جئنا ، فقد قتل أخوان أختاً لهما لأمر يتعلق بالعِرض ، ومن العجيب أنهما طعناها فلم تمت ، ونقلت إلى المستشفى ، فذهبا إليها ، وتظاهرا بالإشفاق عليها ، حتى انفردا بها وذبحاها !.. ليت شعرى ، أتعالج أمور العرض بهذا الأسلوب وحده ؟ أم لابد من الاحتياط والرعاية وحسن التربية وتنظيم الحرية والحجاب والتنفيس عن القوى المكبوتة بالطرق الشريفة المشروعة ؟.. نريد العلاج القويم يا أطباء المجتمع ؟.

وفى يوم الأربعاء ١١ مارس : زار الأستاذان الباقر وعلوى مدارس البنات ؛ ومع ذلك لم نر التظاهر بالغيرة ممن تظاهر بها يوما من الأيام ، فقد حدث أن دُعى أربعة (رجال) من أهل التعليم لزيارة مدرسة بنات ، وفيها زوجة لمدرس غير كويتى ، فاعترض على زيارة أحد هؤلاء الأربعة فقط ! ، لا على الباقين ! ، ولا على الزيارة نفسها ! ! . . ولله فى خلقه شئون[1] ! . وفى المساء زرنا مع الضيفين معسكرا كشفيا لتلاميذ مدرسة (الصباح) بالقرب من قرية (حولِّى) ، وقضينا جانبا من الليل مع المعسكرين .

---

(١) زار مدارس البنات قبل ذلك وبعد ذلك رجال كويتيون وغير كويتيين ، وظهرت المدرسات غير الكويتيات سافرات فى معرض البنات الذى زاره الآلاف من الرجال ، ولم يثر حينئذ اعتراض ولا امتعاض ! ! .

وفى يوم الخميس ١٢ مارس : بدأت عطلة نصف السنة من ١٢ إلى ٢٨ مارس ، وعاونت الأستاذ بهجت البلبيسى فى تسجيل بحثه (طهّروا اقتصادياتنا الملوثة) وهو موجَّه إلى البكباشى أركان الحرب جمال عبد الناصر . وفى المساء أذعت الحلقة الثالثة من سلسلة (أبى عبيدة) . وقد جدت ظروف دعت لتأجيل رحلة البحرين .

وفى يوم الجمعة ١٣ مارس : انتويت الاعتكاف أثناء العطلة فى البيت للقراءة والكتابة فى مسرحيتى (عمر بن عبد العزيز) و (أبو حازم) وغيرهما .

وفى يوم الأحد ١٥ مارس : بدأ الأستاذان عبد العزيز حسين وأحمد البشر فى رحلة استطلاعية فى إمارات الخليج ، للتفاهم على استقدام طلاب من هذه الإمارات للتعلم فى مدارس الكويت على نفقة الكويت ، وهذا عمل نبيل ، يدل على بعد نظر ، وحسن تقدير للأمور ، وصدق فى العاطفة ، ومشاركة فى الخير .

وفى يوم الخميس ١٩ مارس : أذعت فى المساء الحلقة الرابعة من سلسلة (أبى عبيدة) ووجدت أن الأستاذ يعقوب عبد العزيز الرشيد قد عُيِّن مساعداً لمدير الإذاعة .

وفى يوم الجمعة ٢٠ مارس : انعقدت ندوة جمعية الإرشاد ، وألقى الأستاذ أحمد عنبر فيها ثلاث قصائد من شعره ، وتحدثتُ بعده عن العناصر التالية : مكانة المولد النبوى فى الأدب العربى — قيمة المعلم فى المجتمع — محنة فلسطين وكيف نستردها . وبعد انفضاض الندوة عقد اجتماع للأعضاء الجدد ، وألقيت فيهم كلمة عن الإيمان بالدعوة والعمل لها .

وفى يوم الاثنين ٢٣ مارس : زرنا معسكر الكشافة السابع التابع لمعارف الكويت المقام فى الفنيطيس ، وقضينا هناك يوما جميلا : جولة على الشاطئ ومداعبات التلاميذ وقذفهم زملاءهم فى الماء ، وحملهم الأستاذ درويش المقدادى أيضا إلى الماء — صلاة الظهر على الرمل جماعة — الغداء (سمك وأرز وفاكهة) — الاستراحة وشرب الشاى والمسامرة — الاستحمام فى الخليج وهذه أول مرة أستحم فيه ... وكان النظام جميلا ، وتجلى أثر المعسكر فى التلاميذ . وفى المساء أذعت الحلقة الخامسة عن (أبى عبيدة) وعقب ذلك ألقى المذيع السيد حمد المؤمن على المستمعين مقالة (رسالة كريمة من الكويت) التى نشرتها لى (مجلة العرب)[1] .

(١) انظر صفحة ٤٨٥ من هذا الكتاب .

وفى يوم الأربعاء ٢٥ مارس : أتممتُ الليلة الماضية مسرحيتى (الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز) ، ومن عجيب المصادفات أن المسرحية خُتمت بوفاة عمر ، وعمر توفى فى مثل هذه الليلة ، ليلة ١٠ رجب — فى بعض الروايات — ولم ألتفت لهذا المعنى إلا بعد أن انتهيت من المسرحية ، وكتبت فى نهايتها كلمة (ستار الختام) . وقد جاءتنى رسالة من سكرتير الشبان المسلمين العام يخبرنى فيها أن الجمعية أقامت حفلة تكريم لبعثة الكويت . ثم جاءتنى برقية بوفاة المغفور له والدى عليه رحمة الله ، وطلبتِ البرقيةُ أن أعود إلى مصر ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ورضوان الله على ذلك الشيخ الذى بذل ما بذل من أجل أولاده . أخذتُ الطائرة مع أهلى وأهل شقيقى إلى بيروت ، وبتنا فيها ، وفى الصباح رحلنا إلى القاهرة بالطائرة ؛ وقضيت أيام العزاء فى القرية ، ثم قضيت أياما فى القاهرة ، وعدت إلى الكويت فوصلتها صباح الثلاثاء الرابع من إبريل ، بعد أن شهدتُ جوانب من تكريم مصر لسمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح فى زيارته لها .

شهر إبريل سنة ١٩٥٣ م

فى يوم الثلاثاء ٤ إبريل : ألقيت حديث الثلاثاء فى المباركية ، وكان موضوعه (شهر مارس هو شهر الكويت فى مصر) وتعرضت فيه لأثر بعثة المدرسين والطلاب الكويتيين إلى مصر ، وأثر زيارة رئيس المعارف لها . وقد طلبت منى مجلة (البعثة) كتابة كلمة فى رثاء الطالب الكويتى المرحوم عبد الوهاب حسين ، الذى توفى منذ قليل فى مصر ، وكانت معانى الموت لا تزال تراود ذهنى ، فاستجبت للبعثة بكتابة الكلمة التالية :

هلال يتوارى [1]

كل شىء فى الحياة يفقد روعته ودهشته إذا أعيد وتكرر ، اللهم إلا الموت ، فهو مهما تكرر ، ومهما صبَّح الناس ومسَّاهم ، لا يفقد روعته ، ولا يعدم زلزلته ، وذلك أمر عجب أى عجب ! . . .

---

(١) نشرت البعثة هذا المقال مع صورة الفقيد فى عدد مايو سنة ١٩٥٣ .

إن الموت يطالع الأحياء فى مختلف الأمكنة ومتباين الأزمنة ، يسعى إلى الوليد الرضيع ، كما يهاجم الفتى اليافع ، كما ينزل بالشيخ المتهدم ، وأحياناً يأتى وبين يديه بوادره ونذره ، وأحياناً يأتى بلا ميعاد وعلى غير انتظار ، وقد يكون معه السبب الظاهر البادى ، وقد يخفى هذا السبب حتى لا يبين ، والوسائل متعددة ، والطرق متكاثرة ، ولـكن النهاية واحدة :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره   تعددت الأسباب والموت واحد

ونرى القرآن دستورنا يطالعنا بذكر الموت فى مواطن كثيرة ، وينبئنا عنه نبأ القاعدة المسلمة والأمر المحتوم ، فيقول : « كل نفس ذائقة الموت » . ويقول : « أينما تكونوا يدرككم الموت » . ويقول : « كل من عليها فان » . ويقول : « كل شىء هالك إلا وجهه » . ومع ذلك نحن نفر من الموت ، ونهابه ونخشاه ، ونفزع لنزوله ورؤياه ، كأنه أمر غريب طارئ لم نعرفه ولم نسمع به من قبل .

والشعر العربى يحدثنا منذ قرون وقرون بسنّة الموت وعمومها لـكل حى ، فنرى أبا الأسود الدؤلى يقول :

أيهـا الآملُ ما ليس له   ربما غرّ سفيهاً أملُهْ
ربّ من بات يمنّى نفسه   حالَ من دون مناه أجلُهْ
والفتى المختـالُ فيما نابه   ربمـا ضاقت عليه حيَلُهْ
قل لمن قد مان فى أشعاره   يهلك المرء ويبقى مَثَلُهْ
نافسِ المحسنَ فى إحسانه   فسيكفيك مسيئاً عمَلُهْ

ومما تمثل به على رضى الله عنه وهو على قبر الزهراء :

لـكل اجتماع من خليلين فرقة   وكل الذى دون الممات قليل
وإن افتقادى واحداً بعد واحد   دليـل على ألا يدوم خليل

والأعرابية السابقة تقول :

والمنـايا رصـــد للفتى حيث سلك

ومع ذلك نحن نختال ونغتر ، وننسى ونسهو ، وإذا جاء الموت ذُعرنا له ، كأننا لم نسمع عنه من قبل ، أو لم نشاهده مئات المرات .

وكتبُنا وأسفارنا مليئة بأقوال حكمائنا عن سُنة الموت وطبيعة الفناء ، فالحسن

البصرى يعظ الإنسان قائلا : يا ابن آدم ، إنما أنت عدد ، فإذا مضى يومك فقد مضى بعضك . وقيل له : إن فلاناً قد مات فجأة . فأجاب : لو لم يمت فجأة لمرض فجأة ثم مات . . . ومع ذلك فنحن نتزلزل من حادث الموت ، سواء أجاء بتمهيد أم بغير تمهيد ! ! . . . كأننا لم نسمع عنه من قبل ، أو لم نشاهده مئات المرات .

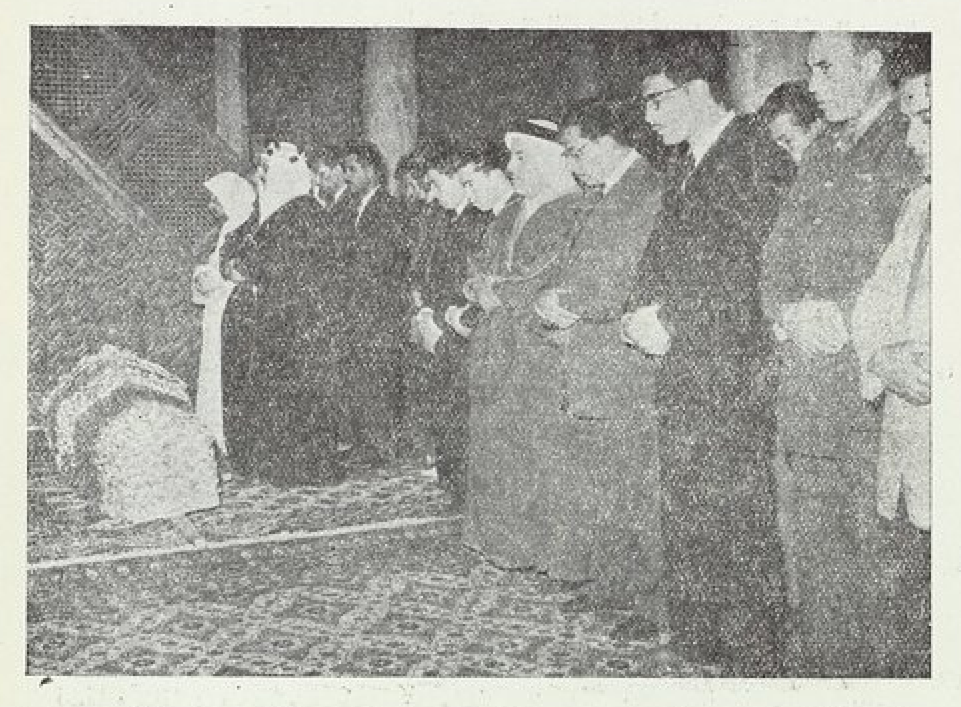
أيكون ذلك من طبيعة النسيان فى الإنسان ، أم من حب الذات والحرص على الحياة ، أم من التفريط وخشية سوء المغبة عند المراجعة والحساب ، أم من روعة الانتقال الفاصل بين عالم الدنيا وعالم الآخرة ، أم من هذه الأسباب جميعاً ؟ . . . أم سر ذلك قد اختص بعلمه على وجهه اللطيف الخبير ؟ ! . . .

جال بذهنى هذا الخاطر المتشعب وأنا أتذكر ذلك الغصن الرطيب الذى هصرته يد المنون وهو ناضر ريان ، المرحوم الشاب عبد الوهاب حسين شهيد الكويت وفقيدها فى مصر ، وقدرتُ وأنا أعالج هذا الخاطر فى نفسى وعقلى مبلغَ الفجيعة فى هذا الطالب الأديب ، حينما يطوى الفناء صفحةَ كتابه ، وهو لا يزال فى ريعان شبابه ، وفى نضرة إهابه ، وهو لا يزال معقد الأمل من بلاده ، ومناط الرجاء من أهليه ! . . ولكنى تعجلت الادكار والاعتبار فقلت لنفسى : أتعيبين على الأحياء نسيانهم لسنة الموت ، وفزعهم عندها ، ثم تقعين أنت فيما تعيبين ؟ . . . فرجعت أقول متأسياً متعزياً : هذه طبيعة الحياة ، وهذا مصير كل حى ، وتلك إرادة الله الحكيمة الغالبة ، ما شاءه كان ، وما لم يشأه لم يكن ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولو كان التفجع يغير من ناموس القضاء شيئاً لأطلناه ، ولو كان الجزع لا يؤدى إلى سيء فى الدين والدنيا لما بالغنا حين نتحاشاه ، ولكن كسب الرضا من صاحب الحول والطول أجمل بنا وأجدى علينا ، ولأن ننال رضوانه مسترجعين صابرين ، خير من أن ننال غضبه جازعين ، أو نحرَم مغفرته فازعين .

ثم ماذا ؟ . . . ثم هناك أطياف خاصة تحيط برحيل هذا الغصن الأملود من واحة الحياة إلى رياض الفراديس . . .

لقد مات عبد الوهاب وهو غريب ، والغربة القويمة المؤمنة رحلة فى سبيل الله ، فإذا وقع الموت خلالها فقد وقع أجر المرء على الله ، وامتزج معنى الموت هنا بمعنى

الشهادة ، فكان ذلك الامتزاج الجميل تخفيفاً وتلطيفاً ، ورحمة ونعمة . . . فلنبحث عن ذلك الامتزاج لننال تلك الدرجة .



سمو الشيخ عبدالله الجابر ، وجمع من الكويتيين والمصريين ، يصلون على فقيد الكويت المرحوم عبد الوهاب حسين

ومالنا ألا نتذكر هنا قول العزيز جل جلاله : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيما » .

ولقد رحل الفقيد عن دنيانا إلى رحاب الرفيق الأعلى وهو يطلب العلم ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن مداد العلماء ليوزن بدماء الشهداء يوم القيامة ، وإن من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله به طريقاً إلى الجنة ، فإذا خرج المرء من داره يقصد النفرة إلى العلم ، ليتفقه ولينذر قومه إذا رجع إليهم لعلهم يحذرون ، ثم جاءه الموت وهو على تلك الحال من الاستقامة والإقامة ، فقد هيأ الله له ميتة كريمة عظيمة لاينالها كل إنسان . . . . فلنسأل الله مثل ذلك .

وما من أمة كبيرة أو صغيرة ، قديمة أو حديثة ، استطاعت — أو تستطيع —

أن تثبت أقدامها فى مراق المجد ومراتب السمو ، دون أن تقدم ثمن ذلك من فلذات أكبادها وقطع قلوبها ؛ تقدمهم تضحيات نبيلة فى مختلف الميادين ، وزكوات جليلة عن حضارتها وعظمتها . . . ومراجعة التاريخ القديم والحديث ترينا قوائم الضحايا التى قدمتها الأمم فى الشرق والغرب ، فى أوقات الحروب وعهود السلام على السواء . وهؤلاء الضحايا الشهداء هم الذين يعطرون تاريخ أممهم ، ويرفعون من شأنها ، ويمجدون سيرتها ، فليكن ذلك الشاب المترعرع الراحل إلى ربه فى عنفوان فتوته أحدَ أولئك الضحايا الذين قدمتهم أمتهم شهداء فى سبيل رفعتها ، وهم فى الوقت نفسه ذخر أى ذخر لأهليهم عند بارئهم الذى لايضيع عنده وزن المثقال . . . .

أفلا يخفف ذلك علينا هول المصاب ؟ .

ثم هذه الضجعة الدائمة الباقية المستقرة فى ثرى مصر العربية الإسلامية ، وفى حمى الوادى الأمين ، وادى النيل الكريم . . .

هذه الضجعة صلة باسمة باكية ، حزينة مستبشرة ، رقيقة عميقة ، بين الوادى الخصيب والإمارة الحبيبة ، فسيذكر الذاكرون من أبناء الكويت جسداً عزيزاً لهم ثوى فى أرض مصر ، وسيختلط هذا الجسد بثرى الوادى ، فتزداد ذكرى الذاكرين تعمقاً وتدفقاً ، وترى وجوههم كلما هاجتهم الذكرى تتلفت إلى حيث رقد الفقيد الشاب رقدته الأخيرة ، وكأنما تطالع هذه الوجوه فى كل رجا من أرجاء المقابر الثاوية بالوادى جزءاً أو شلواً من فقيدهم العزيز :

يقول : أتبكى كل قبر لقيتــــه   لقبر ثوى بين اللوى والدكادك ؟

فقلت له : إن الأسى يبعث البكا   فدعنى فهذى كلها قبر مالك !

ولقد كان من لطيف صنع الله فى هذا المصاب أن استن أبناء الكويت بسنة الإسلام فى دفن الفقيد حيث قبض ، فضمت تربة مصر هذا الشابَّ المتوارى فى ضحاه ، ليكون سبباً من أسباب الإخاء والتلاق بين المشاعر والأرواح . . . .

وكذلك يستطيع ربك الحكيم العليم القدير أن يطوى النعمة خلال البلاء ، بينما لاتأمن النقمة إبان الهناء :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت   ويبتلى الله بعض القوم بالنعم !

***

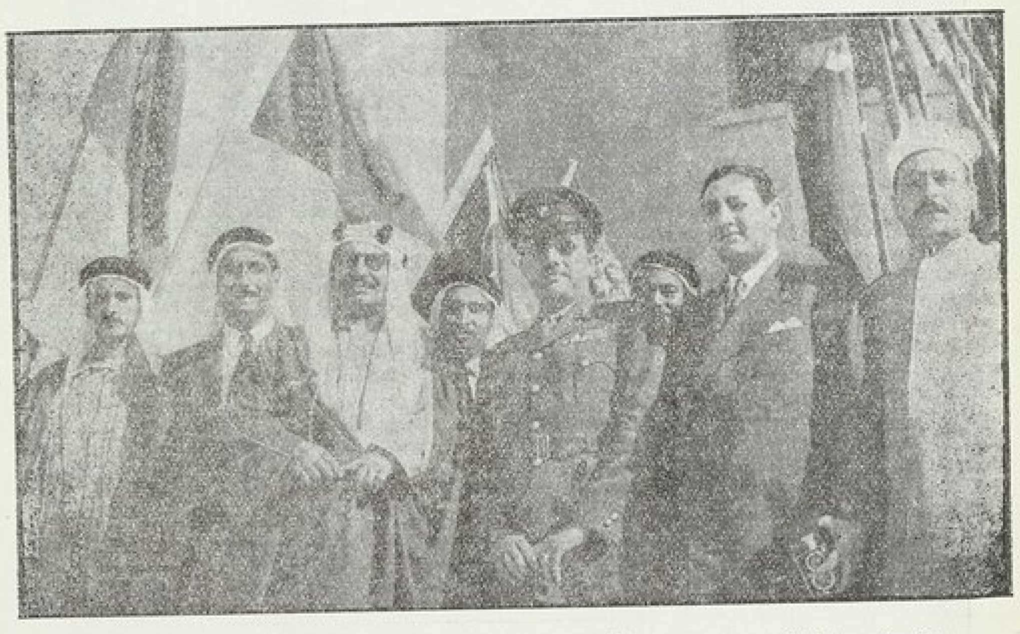


جثمان المرحوم عبد الوهاب حسين محمولا على الأعناق ، ويشترك فى حمله سمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح

أما بعد ، فنى رحمة الله ورضوانه ذلك الهلال الغارب ، وعزاء نبيلا وصبراً جميلا يا أهل الفقيد العزيز ، والله ولى الصابرين ، ومثيب الشاكرين : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزى الله الشاكرين » ! . . .

أحمد الشرباصى
مبعوث الأزهر إلى الكويت

وفى يوم الأربعاء ٨ إبريل : عاد سمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح رئيس المعارف والمحاكم والأوقاف بالكويت من زيارته الحميدة الأثر لمصر ، وكان معه بعثة شرف مصرية مكونة من البكباشى أركان الحرب محمد كمال عبد الحميد والأستاذ حسين يسرى



سمو الشيخ عبدالله الجابر ، وعن يمينه الأستاذ عبد العزيز حسين ، وعن يساره البكباشى كمال عبد الحميد ، فالأستاذ حسين يسرى ، فأحمد الشرباصى مؤلف الكتاب

وفى المساء التقينا بالبعثة فى دائرة المعارف ، وتحدثتُ مع الأستاذ يسرى فى شأن تمثيل مصر فى الكويت ولو بقنصل عام ، فأشار بأن أكتب طلباً بذلك إلى اللواء محمد نجيب ، ويوقع عليه المصريون فى الكويت ، فوعدت بتنفيذ ذلك غداً .

وفى يوم الخميس ٩ إبريل : كتبتُ الطلب ، ووقع عليه الزملاء جميعاً ، وأخذه الأستاذ حسين يسرى لتقديمه إلى اللواء ، ونصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

إلى منقذ مصر البطل اللواء أركان الحرب محمد نجيب .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وكتب الله لكم دوام التوفيق فى إعزاز مصر وتمجيدها . وبعد ، فيتقدم إليكم بالاقتراح التالى البعثة التعليمية المصرية فى الكويت ، آملين أن ينال من رعايتكم ما يبلغ به موطن التحقيق والتنفيذ .

فى الكويت الشقيقة عدد كبير من الأساتذة المصريين يقارب المائة ، ما بين أزهريين وجامعيين ، وهم منبثون فى معاهد الكويت العلمية على اختلاف أنواعها ، والمنتظر أن يزيد هذا العدد إلى مثليه أو أكثر فى الأعوام القادمة ، تحقيقاً لآمال النهوض الشامل الموجود فى الإمارة الشقيقة ، وخاصة فى ميدان التعليم ، كما يوجد بالكويت عدد من المصريين غير المعلمين فى الدوائر ، وهؤلاء المصريون المبعوثون إلى الكويت وإخوانهم لهم مصالح مختلفة تجدُّ بين الحين والحين ، وتحتاج إلى من يقوم عليها وينجزها ، ولذلك نلتمس تعيين قنصل عام لمصر فى الكويت ، يرجع إليه المصريون المقيمون بالكويت فى مصالحهم ، حتى يكون همزةَ وصل بينهم وبين بلادهم من الجهة الرسمية . ونحن نعتقد أن تنفيذ هذا الاقتراح يؤكد الروابط الوثيقة التى تربط مصر بالكويت ، ويزيدها على ممر الأيام عمقاً وأثراً .

والسلام عليكم ورحمة الله » .

وفى الأصيل أقيم الاحتفال المشهود لغرس الشجرتين المصريتين المهداتين من مصر إلى الكويت ؛ وقد غُرستا فى الشويخ أمام المدرسة الثانوية الجديدة ، وسط جموع الكويتيين من أمراء ومديرين ومدرسين وتلاميذ ، وأعضاء البعثة المصرية ، وعندما هم البكباشى كمال بغرس الشجرة الأولى ألقى كلمة بليغة ، وغرسَ الشجرة ، وأخرج زجاجة مملوءة بماء النيل ليسقى منها غرسه ، فقطفرت دموعنا نحن المصريين شوقاً إلى بلادنا ونيلنا ، وألقى الأستاذ عبد العزيز الغربللى كلمة طيبة فى تحية الضيفين ، وفى تمجيد مصر والمصريين ؛ ثم وقفتُ وألقيت الكلمة التالية :

يا أخوىَّ . . . قُولا لمحمد نجيب ! !

بسم الله الرحمن الرحيم :

يا إخوتى فى العروبة والإسلام ... هذا يوم لا يُنسى ، وهذه وايم الحق ساعة خالدة فى تاريخ العروبة والإسلام ، وإن من أيام الحياة والناس أياما يحتفل لها أهلوها ، ويستعدون لها فيطيلون الاستعداد ، ويُعدون من أجلها فيكثرون الإعداد ، ويتكلفون فيها فيسرفون كثيراً فى التكلف ، ومع ذلك لا تكبر آثار هذه الأيام ولا معانيها ، على قدر مظاهرها ومبانيها . . .

وإن من الأيام أياما تأتى فى يسر وسهولة ، ولـكن تحفها العواطف والمشاعر ، وتزكيها الآمال السامية والرغبات العوالى ، فيظهر لها من البهجة والروعة والبهاء ما يأسر الأفئدة ، ويستولى على العقول ؛ ويومنا هذا — أيها الإخوة الأحباب — من بين الأيام السعيدة الباقية بجلالها وجمالها ، على الرغم من أن القوم لم يتكلفوا فيه ، ولم يعلموا بتفاصيله من قبل .



مؤلف الـكتاب يرتجل كلمته فى احتفال غرس الشجرة

نعم ، فأهل الكويت الأشقاء الأبرار لم يكونوا يعلمون أن مصر الناهضة الماجدة قد أعدت لهم هذه المفاجأة الحلوة الجميلة ، ولم يكونوا يدركون أن بعثة الشرف المصرية التى رافقت سمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح فى عودته الميمونة من أرض وادى النيل العزيز ، والممثلة فى الأخوين العزيزين البكباشى أركان الحرب محمد كمال عبد الحميد والأستاذ حسين يسرى ؛ تحمل شجرتين خضراوين من أرض الكنانة المصونة ، إلى أرض لؤلؤة الخليج الغالية (الكويت) ، حتى تكون هاتان الشجرتان تجاوباً حسياً وروحياً جديداً بين البلدين ، ورابطاً مادياً باقياً ماشاء الله أن يبقى بين أرضيهما ، ورمزاً دقيقاً عميقاً فى دلالته على العواطف العربية الإسلامية الصادقة المتبادلة بين الإخوة الأشقاء هنا وهناك ...

ومع ذلك فأنتما — أيها الأخوان العزيزان ، كمال وحسين — تريان الجموع الغفيرة من أبناء الإمارة الحبيبة ، وقد سارت من أمامكم ومن ورائكم ، وتريان السرور البادى والفرح الطاغى ، وتريان شواهد المحبة والإخلاص ، تتمثل فى الوجوه وعلى الأطراف بسمات وحركات ، وتمنيات وتحيات ، وهتافات وكلمات ، وذلك صنع العاطفة والشعور ، لا زخرفة التكلف والتحبير ...



صورة باسمة ... البكباشى محمد كمال عبد الحميد يصافح سمو الشيخ عبد الله الجابر وبينهما الأستاذ عبد المجيد مصطفى ومؤلف الكتاب

وأنا أعلم — كما يعلم غيرى — أن هاتين الشجرتين المباركتين اللتين حُملتا من مصر الفتية القوية إلى الكويت الشقيقة العزيزة لن تزيدا ثروة الكويت الزراعية كثيراً ، ولن تغير الجدبَ الماحل إلى روض آهل فى يوم وليلة ، ولكن المعنى الجليل النبيل الذى قصدته مصر ، وقصده منقذ مصر البطل اللواء محمد نجيب ، وقصده رجال مصر الأحرار الأبطال ... هذا المعنى عند ذوى العقول والألباب أعظم من أى ثروة زراعية أو غيرها ... فخضرة الشجرة ترمز إلى ثروة مصر الأصلية ، وإلى حسن أملها وجميل رجائها ، وماء النيل الذى سُقيت به الشجرتان هو كما شاء الخلاق العليم سبب الحياة والبقاء والنماء والهناء فى الوادى الأمين ، والأخَوان اللذان حملاها من بنى وطنى المجيد يمثلان بنى النيل السعيد فى العهد الجديد ، وغرس الشجرتين هنا رابط حسى بين البقاع والأشباح ، يؤكد الترابط الوثيق المعهود من قبل بين القلوب والأرواح .. ولو أن الكويت كلها استحالت تربتها الصحراوية إلى مزارع ورياض ، وجنات وبساتين ، ثم بعثت مصر المفداةُ هاتين الشجرتين لتُغرسا هنا أو هناك من أرض الكويت الشقيقة ، لكان لهما أيضاً معناه الجليل النبيل ، وأثرها العميق الخالد ...

ولقد عُنيت مصر — وخاصة فى العهد الجديد — بالكويت ، وبتوثيق الروابط بين أبناء الوادى وأبناء الإمارة الناهضة ، ولم تكن تلك العناية المتشعبة الفروع والأغصان مغرضة أو مفتعلة ، ولكنها استجابة صادقة للوعى العربى والأخوة الإسلامية والغيرة القومية ، وإن الكويت — أو لؤلؤة الخليج كما أحب أن أسميها دائما — أهل لهذه العناية وذلك الاهتمام . . .

يا أخوىّ العزيزين — كمال وحُسين — :

قولا لأخى اللواء محمد نجيب منقذ مصر ، وزعيم ثورة الجيش البيضاء المباركة المثمرة بمشيئة الله تعالى ؛ قولا له إن الكويت الإمارة الصغيرة الرقعة الكبيرة الهمة والعزم ، قد استجابت لكم ولصوت العروبة من قبل ، فنفذت ميثاق جامعة الدول العربية ، نفذته عملا لا قولا ، ولستُ فى ذلك مدعيا ولا مجاملا ، فمدارس الكويت ومعاهد تعليمها تضم طلابا وتلاميذ من البلاد العربية المختلفة ، تضم طلابا من مصر ، والعراق ، وسوريا ، ولبنان ، وفلسطين ، والمملكة العربية السعودية ، وإمارات الخليج العربى المختلفة ؛ وهؤلاء الطلاب العرب فى مدارس الكويت يتمتعون بكل ما يتمتع

به أبناء الكويت المحليون فيما يتعلق باللباس والأدوات والطعام والعلاج والرياضة والجوائز والرحلات وغيرها من الميزات ، وستضم معاهد الكويت قريباً طلاباً من الجزائر تنفق عليهم حكومة الكويت فى كل ناحية ، وللكويت مدرسة عربية لتعليم أبناء العروبة فى الهند تنفق عليها الكويت فى كل ناحية ، وستفتح الكويت قريباً مدرسة فى الباكستان تنفق عليها الكويت فى كل ناحية كذلك[١] ، والكويت بعد هذا بلد كريم مضياف ، يكرم وفادة من يقدم إليه من بلاد العروبة والإسلام ...



بين كشافة الكويت .. رئيس المعارف وإلى يمينه البكباشى كمال فالأستاذ عبد العزيز حسين ، وعن يساره الأستاذ حسين يسرى مؤلف الكتاب

قولا — يا أخوىّ العزيزين — لمحمد نجيب : إن الكويت إمارة صغيرة فى حجمها ورقعتها ، ولكنها كبيرة فى عزيمتها وهمتها ، وقصة جهادها فى الحياة ومع الأحياء ممتعة رائعة ، تستوجب التسجيل والتحليل . . .

لقد كان أبناؤها بالأمس يغوصون بجرأة ومغامرة فى أعماق الخليج ، يستخرجون اللؤلؤ فرائدَ وخرائد ، فلما جاءت المنافسة الصناعية فزاحمتهم فى الأسواق العالمية

(١) نفذت الكويت فعلا هذه المشروعات ، ونسأل الله دوام التوفيق .

باللؤلؤ الصناعى من أقصى الشرق — من اليابان — عكفوا على التجارة وما يتبعها من الملاحة والرحلة والاتصال والمجازفة ، فلما عرف طريقَ التجارة مَنْ قَرُبَ ومن بعد ، هيأ الله لهم هذا الذهب الأسمر (النفط) ليواصلوا سيرهم فى سبل الحياة المتعددة ...

وإنكما يا أخوىّ لتُلقيان اليوم النظر يميناً وشمالاً ، فتريان على الرغم من مظاهر العمران البادية ، ومواطن الإنشاء المتعددة — رقعةً فسيحة صحراوية ، ولكنى أومن بأن هذه الرقعة ستزرع عما قليل ، وستتحول عما قريب إلى رياض وجنات ، إذا ما وفق الله تعالى القائمين على أمور الكويت فى توفير الماء اللازم لزراعة هذه البقعة الصالحة للزراعة بتربتها واستوائها ، وتوافر المواد الصالحة للإنبات فيها ، ويوماً ستُهدى الكويت بمشيئة الله تعالى إلى مصر المفداة أشجاراً وأزهاراً ، وسيكون لمصر غابة فى الكويت ، كما للكويت غابة فى مصر ...

قولا — يا أخوىّ — لمحمد نجيب : إن مصر معروفة فى الكويت حق المعرفة ، مدروسة بشئونها وأمورها حق الدراسة ، محفوظة الهيبة والمكانة بين أهليها ، لأنهم من محبيها ، فصحافة مصر ، ومجلات مصر ، وكتب مصر ، وتاريخ مصر ، وزعماء مصر ، وأمورها الداخلية والخارجية ، معروفة مألوفة ، متداولة بالبحث والتعليق فى

الشيخ عبد الله الجابر يسقى شجرة فى غابة الكويت بمصر ... متى نرى غابة مصر فى الكويت ؟ ! ...

بيوت الكويت وأنديتها ومجالسها ودواوينها ، والكويت تعجب بمصر وتعظمها وتثنى عليها ، وتتابعها فى هديها ونهضتها ، وهى لا تفعل ذلك عن مجاملة أو رهبة أوخداع ، ولكنه شعور المحب المخلص المعجب ، الذى يؤمن عن فهم وتقدير بأن مصر فى الطليعة ، وأنها تخدم بجهودها العروبة والإسلام فى كل مكان ، وعلى أى وضع .

وإنّ آذان الأحباء فى الكويت لتصغى على الدوام إلى أنباء مصر وأخبارها ، وكلما نال مصر خير فرح له الأشقاء هنا وسعدوا به ، كأن ذلك الخير قد جرى لهم ، وإن مرت بمصر — لا قدر الله — شدّة ، حزن من أجلنا هؤلاء الأشقاء وألموا ، وكأنهم قد أصيبوا بتلك الشدة بين الناس . . . وما من موقف من المواقف المشهودة فى جانب السراء أو الضراء ، إلا وتطلعت القلوب قبل العيون هنا إلى مصر ، تنتظر منها الكلمة الموجهة والرأى السديد ، وما ذلك إلا ثمرة من ثمرات الأخوة الصحيحة والمحبة العميقة الخالصة بين مصر والكويت . . . فلم لا نتوقع الخير العميم إذن ؟ . ولماذا لا نأمل فى الله مصدر القوة والقدرة خير الأمل ، ونعقد على تأييده وتوفيقه أوسع الرجاء وأفسحه ، فنتطلع إلى الغد المأمول الباسم ، بقلوب مؤمنة مستبشرة ، موقنة بنصر الله العلى الكبير ، الذى يؤيد بنصره من يشاء ، ويكرم بعزته من يصطفى من عباده ؟ . . . « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

قولا يا أخوىّ العزيزين لمحمد نجيب ، ولكل مصرى فى أرض الكنانة ، ولكل ابن من أبناء النيل : إنكم فى مصر قد أكرمتم بعثة الكويت ، وأمير العلم والعدل والأوقاف فى الكويت — الشيخ عبد الله الجابر الصباح — شهراً أو قرابته ، ولكن الكويت الشقيقة تكرم أبناء مصر المقيمين بها رسلا للعقيدة والمعرفة فى سائر الشهور ، ولسنا هنا ـ علم الله ـ غرباء ، على الرغم من شوقنا المستعر إلى رؤية مصر الأرض الغالية السامية التى باركها الله وزكّاها . . .

لسنا هنا — علم الله — غرباء ، فهذه دارى ، وتلك الربوع ربوعى ، وهذا الأمير أخى ، وهؤلاء القوم أهلى وخلانى ، وهذا الحمى الكريم جزء من صميم وطنى ، فلستُ هنا بغريب ، فقولا لمحمد نجيب . . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

أحمد الشرباصى
مبعوث الأزهر الشريف إلى الكويت

وفى المساء أقيم احتفال لبعثة الشرف فى بيت شيرين (بيت مصر) باسم البعثة المصرية ، وقد ألقى فى هذا الاحتفال الأستاذ أحمد أبو بكر إبراهيم قصيدة منها قوله فى مدح الكويت :

أيها الزائران ، هذى بلاد　　كل لحن بها جميل المعانى
أهلها العرب ، فالشمائل غر　　أين من وصفها بليغ البيان ؟
ورعاهم بشرعة الله حام　　هو بر على الرعية حان
إن شكا الشعب هب غضبان كالليث ، فريعت حوادث الأزمان
فإذا العهد بالكويت ثناء　　طيِّب عطره بكل لسان

وألقى فضيلة الشيخ رياض قصيدة منها قوله فى مدح الكويت :

سعى للنيل ميمون الرواح　　أمير العلم من آل الصباح
سعى والشرق يحدوه لشعب　　يرجى العيش فى ظل الكفاح
إذا شعب الكنانة قال هيا　　أجابت فى الكويت ظبا الصفاح
عرفناهم إذا حزبت أمور　　تبلج منهم ضوء (الصباح)

وبعد الاحتفال تناول الجميع العشاء على مائدة الشيخ عبد الله الجابر ، حيث أنشد الأستاذ عبد العظيم بدوى عضو البعثة المصرية قصيدة منها قوله فى مدح الكويت :

فدارهم دار السنا رحبت بنا　　وأهلوه جلوا عن بيانى وأوصافى
تباركتم آل الصباح ، وبوركت　　صحارى كروض بالمكارم مئناف
وبورك (شيخ) أسلمته قيادها الـ　　كويت ، فرواها بعدل وإنصاف
أجل إنه ابن السالم الصارم الذى　　يمزق شمل الخطب تمزيق أسداف

وفى يوم الجمعة ١٠ إبريل : سافرت بعثة الشرف المصرية بوداع مؤثر .

وفى يوم الثلاثاء ١٤ إبريل: ألقيت حديث الثلاثاء فى المباركية عن فلسطين ، فنحن فى آخر رجب ، ودار الحديث حول العناصر الآتية : ذكرى الإسراء والمعراج — مأساة فلسطين — الناحية القومية فيها — الناحية الإسلامية — الناحية الإنسانية — على الشباب أخذ الثأر لفلسطين ... إلخ

وقد هجم الجراد على المدينة كعادته فى كل سنة ، فتجده فى الشوارع والمنازل وكل مكان ، وقد أكل شقيق بعضه مسلوقا ، ولكنى لم أستطع تذوقه .

وفى يوم الجمعة ١٥ إبريل : أذعت حديثى (خواطر عن رحلة كريمة) وهو يهدف إلى توثيق الروابط بين مصر والكويت ، وتجلية العواطف الزكية المشتركة بينهما ، وأثبته فيما يلى :

خواطر عن زيارة كريمة

أصبح من معاد الكلام أن نتحدث عن الروابط القوية المكينة بين البلاد العربية الشقيقة ، فهذه الروابط ليست من صنع إنسان ، ولا من صنع الناس مجتمعين أومتفرقين ، ولكنها من صنع الله رب العالمين ، الذى هيأ بقدرته فى الجنس الواحد ، واللغة الواحدة ، والوطن الواحد ، والتاريخ الواحد ، والعقيدة الواحدة ، والأمل الواحد ، والألم الواحد ، عواملَ الارتباط والاتحاد بين هذه الأمة الكريمة التى جعلها الله وسطا ، وجعل أبناءها شهداء على الناس فى الدنيا والآخرة .

ويظهر مجد هذه الأمة العربية المؤمنة أقوى مايظهر ، إذا ماأرسلت نفسها على سجيتها ، وتصرفت فى أمورها بوحى طبيعتها ، من غير اصطناع أو ابتداع . . . إنها حينئذ تبدو وفيها مكارم أخلاقها ، ومحامد أرومتها ، ومفاخر تاريخها ، ودعائم عقيدتها ، فكأنها جزء من قدر الله ، يسعى فى الكون بجلاله وروعته ؛ وربك يخلق ما يشاء ويختار .

وهذه زيارة سموالشيخ عبدالله الجابر الصباح أميرالعلم والعدل والأوقاف بالكويت الشقيقة إلى مصر الناهضة ، تعد من شواهد هذه الطبيعة العربية الصافية ، التى تتجلى من حين لحين فى أبنائها ، فتبهر بسهولتها كما تبهر بقوتها .

لقد كانت هذه الزيارة مفاجئة ، لم يعلم بها الشعب المصرى أو الشعب الكويتى من قبل ، ومع ذلك أثمرت أطيب الثمار ، وخلفت وراءها أجمل الآثار ، ولقيت من التوفيق والنجاح مالا يتيسر لغيرها من زيارات تقوم وتقعد لها الأفراد والجماعات ، وكانت فاتحةُ الزيارة أبرع استهلال ، ففى أرض المطار الذى هبطت فيه الطائرة التى تقل ضيف مصر الكريم ، مع رجاله وحاشيته ، كان هناك ينتظر بطل مصر ، ومنقذها من الطغيان والفساد ، وزعيم ثورة الجيش المباركة البيضاء ، اللواء محمد نجيب ، زاده الله توفيقاً وتأييداً . . .

ومحمد نجيب وراءه واجباته الثقال ، ووراءه الكثير من الأعمال والأحمال ،

ولكن لقاءه لضيف عربى كريم ، يمثل بلده أفضل تمثيل ، لايقل عن هذه الواجبات قيمة وخطراً ، ومصر المجيدة اليوم لاتزن أمورها بميزان التقاليد والقيود الشكلية ، بل تزنها بموازين الأخوة ، والحقيقة ، والإنصاف . . .



الأمير وعن يمينه الأستاذ الفضيل الورتلانى فأحد الفضلاء فالسيد عبد الله النورى ، وعن يساره سماحة الشيخ الإبراهيمى ، فالأستاذ كامل كيلانى ، مؤلف الكتاب ... وهم أمام مكتبة الكيلانى ...

وكان هذا اللقاء الأخوى الحار الفياض بالعاطفة العميقة والمحبة الصادقة عنواناً — خير عنوان — لزيارة كريمة موفقة ، وتزكية — أجمل تزكية — لخطوات ضيف عزيز فى وادى النيل المجيد ، فلابد من تلاقى الجميع على الحفاوة وحسن اللقاء ، ولذلك لم يكن غريباً ولا عجيباً أن نرى الإذاعة المصرية والصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والنشرات الإخبارية ، تتنافس وتتسابق فى نشر الأنباء المتعلقة بزيارة رئيس المعارف فى بسط وتفصيل . . .

ولقد أفادت هذه الزيارة إمارةَ الكويت — لؤلؤة الخليج — فائدة كبرى من الناحية الأدبية ، فقد كان الأمير الضيف خير سفير لبلاده ، وأبهى عنوان لإمارته ، فى قوله وعمله ، وفى حركاته وسكناته ، وفى اتصالاته وتصرفاته .

وانبسط الحديث عن الكويت بين المصريين أكثر من ذى قبل ، فأصبحتَ ترى رجل الشارع ، ورجل الديوان ، ورجل المصنع ، ورجل العلم ، ورجل الدين ... ترى الكل يتحدثون عن الكويت ، وعن أمرائها ، ونهضتها ، ومستقبلها اللامع ، ويصفونها بأنها ستكون لؤلؤة ساطعة فى عقد العروبة النظيم . . .

وليس من السهل على كل عظيم فى بلد أن يرحل عنها إلى غيرها ، فيحسن تمثيلها ، والسفارة لها ، وتكريم اسمها وسمعتها فى مختلف الأوساط والبيئات . . .

ولقد رُفعت قيود الكلفة والتحفظ بين مصر وضيفها الكريم من أول يوم حل فيه بوادى النيل المجيد ، فلم تتقيد الحكومة المصرية فى هذه الزيارة الأخوية بنظم أو تقاليد أو أوضاع (بروتوكول) ؛ لا فى تحديد المدة ، ولا فى تحديد المنهاج ، ولا فى تقييد الخطوات ، بل كانت هناك الأخوة العميقة الصادقة تسيطر على كل شىء ، وتفسح رحاب كل شىء ، وتعطى الحياة والروح لكل شىء ، مما زاد الزيارة جمالا وبهاء . . .

وهيأت مصر لضيفها منهاجاً مليئاً بالزيارات والحفلات والمشاهدات ، فهناك المقابلات الرسمية ، وهناك الاجتماعات الشعبية ، وهناك زيارة الجامعات والمعاهد والمعامل



سمو الشيخ عبد الله الجابر يخطب فى حفل جمعية الشبان المسلمين

والمصانع والشركات والمتاحف والحدائق والمعسكرات والدواوين ، وغير ذلك من مرافق الدولة العامة . . . وهناك الالتقاء بسائر طبقات الشعب المصرى ، من أول حكامه ووزرائه ، إلى فلاحيه وعماله ، إلى الراقدين فى دور العلاج والاستشفاء ، إلى العاملين فى الجماعات الإسلامية والهيئات الوطنية ، إلى البيئات الفنية البحتة .

والضيف يتنقل ويتحدث ، ويشاهد ويعلق ، ويرد على المحيين والمرحبين ، وهو فى كل ذلك مطبوع على الإمارة الأصيلة الراشدة ... فهو يتذوق المعنى الجميل ، ولكن كرامته وكرامة بلاده نصب الناظر والخاطر ؛ وهو يدرس ما يرى ، ولكنها دراسة الذى يميز الخبيث من الطيب ، ولقد شهد الضيف احتفالا له صبغته الفنية ، فظل يرى ويدرس ما دام الوضع سليما والمنهج قويماً ، فلما هم داعى اللهو الحر أن ينال حظه صرف همته وخطوته إلى مجال آخر من مجالات الدراسة والفحص لمظاهر النهضة فى الوادى الأمين ... وادى النيل العظيم .

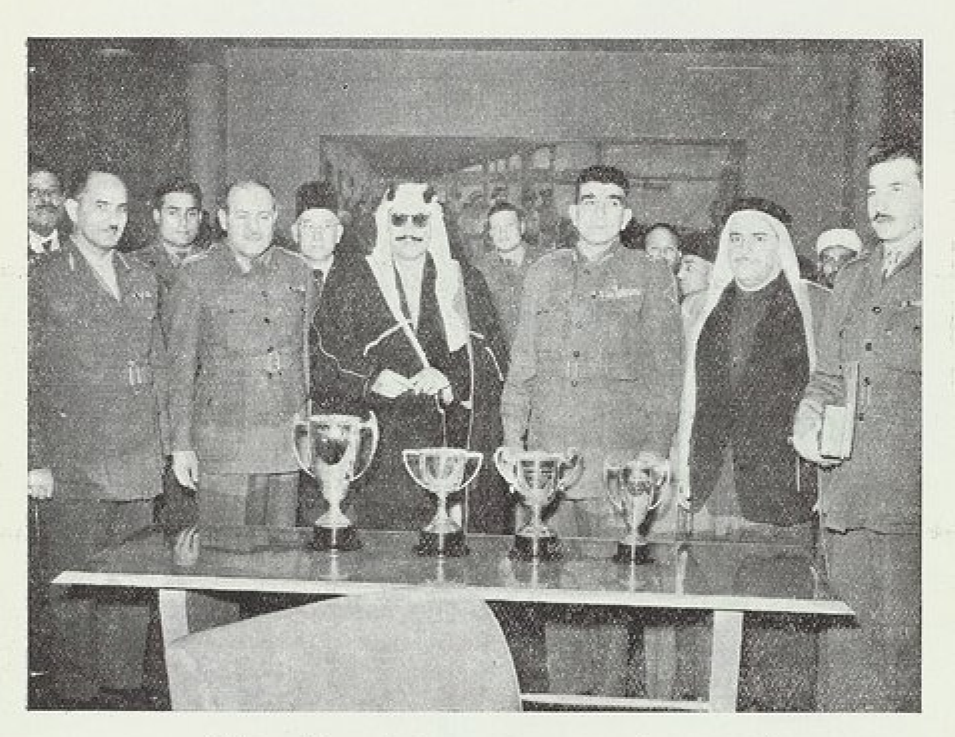
وبذلك انتزع الشيخ إعجاب الشعب مع إعجاب الحاكمين ، وكان كما أسلفت سفيراً موفقاً للؤلؤة الخليج ، وكان دعاية أدبية لها بين أبناء النيل السعيد . . . ولعل حكومة مصر لم تملك بين يديها ما تعبر به عن إعجابها وتقديرها إلا أن تقلد ضيفها أرفع أوسمتها ، ليكون ذلك التقليد غاية التقدير والتمجيد . . .

***

ولقد أدرك الأمير العربى بفطنته أن (هيئة التحرير) بمناهجها وأهدافها فى مصر تعبير جديد قوى عن نهضة مصر ، ورغبتها فى حياة العزة والكرامة ، وأن هذه الهيئة يجب ألا يضيق معناها ومرماها فتكون حزباً سياسياً ، أو تنظيما داخلياً ، أو أمراً عارضاً مؤقتاً ، وإنما هو تبلور للوعى القومى والشعور الوطنى ، وتعبير عن عزائم قوم وهبوا حياتهم وجهودهم لتكريم الإنسان ، وتحرير الأوطان من كل شيطان ، سواء أكان ذلك الشيطان اللئيم هوى نفسياً وضيعاً ، أم حباً للذات خسيساً ، أم خيانة للوطن رخيصة ، أم بيعاً للضمائر فى سوق الغدر والنفاق بيع السماح . . .

ولذلك أعجب الضيف بفكرة (هيئة التحرير) ، وزكى مرماها الإصلاحى السلمى ، وأيد فكرتها التعميرية البنائية ، وأسهم فى إعانتها على تحقيق أهدافها السامية بتبرع كريم ، ستظل له ذكراه ، وسيدوم فيه معناه ، بمشيئة الله .

ولم يقتصر تبرع الضيف خلال زيارته على (هيئة التحرير) ، بل امتد فى حكمة وسماح إلى كثير من جهات البر والخدمة الاجتماعية والشئون العامة فى مصر ، ومن أمثلة ذلك تبرعاته لجمعيات الإخوان المسلمين ، والشبان المسلمين ، ورواق الشوام بالأزهر ، ودار الهلال الأحمر ، وغيرها ...



الأمير عبد الله الجابر الصباح بجانب اللواء محمد نجيب وأمامهما الكؤوس المهداة من الأمير إلى مصر العزيزة

ومما يدلنا على تواضع الأمير العربى ولباقته ، وإنصافه من نفسه ، وحفظه غيب قومه ، أنى شهدتُ حفلا أقيم فى القاهرة لتكريمه ، وهتف هاتفون فقالوا يقصدونه : «عاش أمير الكويت» فما كان منه إلا أن وقف يصحح ذلك فقال : « إن سيدى وأخى الأكبر صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح هو أمير الكويت والحاكم المعظم ، وما أنا إلا جندى من جنود الكويت ، وأخ من إخوته ، يعاونه على النهوض بالكويت العزيزة . . . » .

وما دمنا قد تعرضنا لحديث الضيف فأشهد أنى رأيته يقف ليخطب أو يشكر ، فإذا العبارة الطيعة الموفقة ، وإذا هو لا يعد الكلام ولا يهيئه ، بل يلقيه من وحى الموقف وفيض الخاطر ، مما ينبىء عن البديهة الحاضرة والتفكير السليم .

وللعروبة المؤمنة فى نفوس الصفوة من أبنائها عهود وذمم ، ومن مواثيقهم معها أنهم يقولون الكلمة فيحفظونها ، ويسهل عليهم كل شديد ، ولا يسهل عليهم الرجوع فيها ، ولقد شهدت مجلساً للشيخ فى مصر ، وحوله من يحاول صرفه عن الذهاب إلى احتفال منسوب إلى الأزهر الشريف ، ولكنه لا يمثل تلك الجامعة الإسلامية الكبرى تمثيلا كاملا ، وجعل هؤلاء المحاولون يذكرون الكثير من الأسباب لعدم الذهاب ،



فى مكتبة الكيلانى : الأمير يبحث مع الأساتذة كامل كيلانى وأحمد حلمى (باشا) والدكتور منصور فهمى والأستاذ الورتلانى (عن يمينه) والشيخ البشير الإبراهيمى ومؤلف الكتاب (عن يساره) ، يبحثون الموضوع الخاص بطبع (لسان العرب)

ولـكن الضيف كان قد أعطى وعداً بحضور ذلك الاحتفال ، فما كان منه إلا أن قال : لقد أعطيت وعداً بالذهاب ، فكيف أنقض وعدى ؟ . . . وقطعت جهيزة قول كل خطيب ! ...

وذهب الضيف الوفى ، وكسب فى ذلك الاحتفال مكرمة جديدة ، إذ مد يد البر والإحسان إلى قوم أُخرجوا من ديارهم بغير حق ، وهم أشد الناس حاجة إلى هذا البر وذلك الإحسان . . .

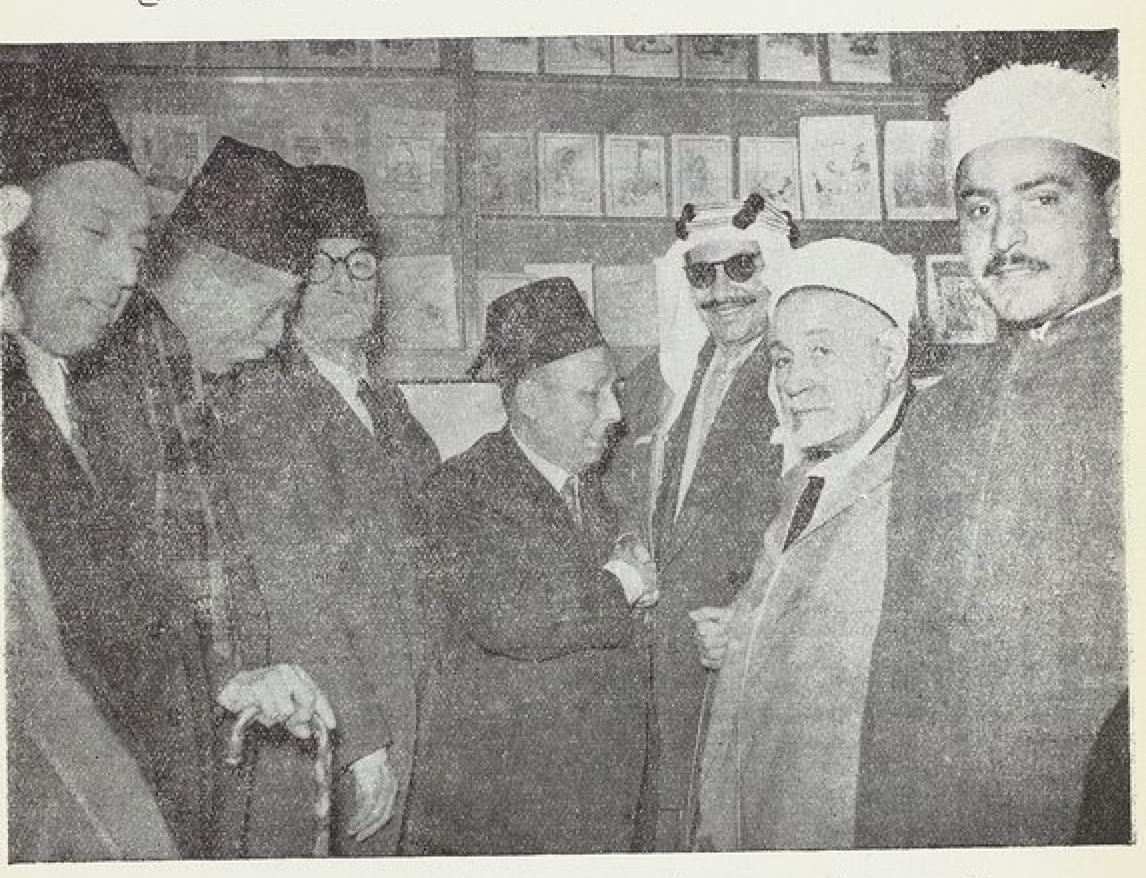
ولقد فاز الأزهر الشريف بنصيب كبير ملحوظ من وقت الشيخ وعنايته ، فقد صلى أول جمعة شهدها بمصر فى الجامع الأزهر ، ورأى هناك وسمع ما أعطاه فكرة حسية عن ماضى الأزهر المجيد وحاضره المأمول ، ثم أقيم له حفل كبير فى قاعة الاحتفالات الكبرى بالأزهر ، حضره جمع غفير من علماء الأزهر وورثة الأنبياء ، ثم أقيم له حفل رسمى آخر باسم الأزهر الشريف ، ثم كانت هناك زيارة كريمة منه لصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر .

ثم يأتى الحديث عن غابة الـكويت فى مصر . . . إن هذه الشجرات التى زرعت باسم الـكويت فى أرض وادى النيل كانت تعبيراً حسياً من حكومة مصر وشعبها عن حب أبناء النيل للـكويت ، واعتزازهم باسمها ، وحرصهم على تذكرها . وأنا أسأل الله العلى القدير أن يحيينى حتى أرى فى الـكويت غابة مخضرة واسعة باسم (غابة القاهرة) والأمل هنا حبيب وقريب ، فستتهيأ أمام الـكويت الفرصة لزراعة أرضها بعد قليل . ولم لا وأمامنا فى الـكويت طرق أربعة لتوفير هذا الماء الـكافى لزراعة تلك الرقعة ؟ . .

الطريق الأول هو جلب الماء بالأنابيب أو الشق من شط العرب ، والطريق الثانى هو التوسع فى عمليات تقطير الماء من الخليج العربى بوساطة الآلات الحديثة ، والطريق الثالث هو التوسع فى عمليات الحفر المنظمة لاستنباط الماء من العيون والآبار ، والطريق الرابع هو التفنن فى جمع ماء السيول والأمطار ، والاحتفاظ بها لأطول وقت ممـكن ؛ وإذا تضافرت هذه الطرق الأربعة وتعاونت ، وعمرها الإخلاص والإيمان والاجتهاد فقد تحقق المأمول بفضل الله . . .

ولقد أقيم لضيف مصر الـكريم استعراض عسكرى رائع فى القاهرة ، قام به نسور النيل وصقوره وأشباله ، الذين نرجيهم ، وندخرهم لمواطن البأس وميادين الـكفاح ،

ورأى الضيف الكريم من براعة الجنود فى الجو وعلى الأرض ما أثار إعجابه وثناءه. ولقد أحسن رجال الجيش فى تمكين ضيفهم من مشاهدة ذلك الاستعراض ، إذ فيه بعث للثقة بقوة مصر واستعداد جيشها فى نفوس أشقائنا من أبناء العروبة ، والشيخ



الشيخ عبد الله الجابر وعن يمينه الأستاذ كامل كيلانى فدولة أحمد حلمى فالدكتور منصور فهمى فالأستاذ الفضيل الورتلانى ، وعن يساره الشيخ البشير الإبراهيمى فمؤلف الكتاب

بعد هذا رجل كفاح ، عمر شبابه بمواقف الإقدام والجرأة ؛ ولقد سمعت أن الشيخ عبد الله الجابر الصباح كان فى طليعة الفرسان الشجعان من أبناء الكويت الذين خاضوا المعارك الكثيرة التى وقعت بين الكويتيين وغيرهم . وحسبك أن تقف على ما دار فى موقعة (الجهرة) مثلا لتعرف الروح الجندية التى تملأ صدره ، وحسبه فخاراً أن يسعى الساعى اليوم إلى (الجهرة) ، ويسمع من أفواه المعمرين قصص الشجاعة والبطولة التى تدور حول همته وإقدامه ، ثم يرى بعد ذلك قبراً متواضعاً على مقربة من (القصر

الأحمر) ، ولـكنه رغم تواضعه يضم رفات بطل خالد فى تاريخ الـكويت ، ذلـكم هو الشيخ جابر عبد الله الصباح والد الشيخ عبد الله الجابر الصباح . . . رحم الله الوالد الشهيد رحمة واسعة ، ومتع ولده بتمام العافية وطول البقاء . . .

أما بعد ، فهذه لمحة خاطفة قبستها من بين خواطر متساوقة متلاحقة ، خطرت للجنان وهو يستعرض شأن هذه الزيارة الموفقة ؛ ولعل فرصة غير هذه تـكون أرحب وأنسب للتفصيل والتسجيل .

عاشت الـكويت ، وعاشت مصر ، وعاشت العروبة المؤمنة أمة واحدة . . .

وفى يوم الجمعة ١٧ إبريل : شاهدنا مباراة كرة القدم النهائية على كأس الأمير الحاكم ، وكانت بين فريق العروبة والنادى الأهلى ، وقد تغلب الأهلى على العروبة بإصابتين لإصابة ، وكان حكم المباراة إنجليزيا ، وعقب المباراة سلم سمو الشيخ عبد الله المبارك الكأس وأوسمة اللاعبين ؛ وقد لاحظت أن التنافس شديد بين اللاعبين ، وأن التشجيع بين الجمهور قوى متلاحق ، ونحب أن تقتصر المنافسة على الإجادة ، لا على الـكسب أو التغلب ، وأن يقتصر التشجيع على الاستحسان مع الحياد .



سمو الشيخ عبد الله المبارك ، فسمو الشيخ عبد الله الجابر ، فالمؤلف ، فى المباراة على كأس الأمير الحاكم

وفى يوم السبت ١٨ إبريل : أذعت حديثاً عن (طوفان نوح) جوابا على سؤال .

وفى يوم الاثنين ٢٠ إبريل : تحدثت مع سمو الشيخ عبد الله الجابر فى موضوع القنصل العام المصرى فى الكويت ، وموضوع فرع التحرير فى الكويت ، فاستحسن تأجيل ذلك إلى أن يزور الأمير الحاكم مصر فى نهاية هذا الصيف كما هو المنتظر . ووافق على أن أكتب بذلك للأستاذين كمال عبد الحميد وحسين يسرى ، وقد فعلت .

وفى يوم الثلاثاء ٢١ إبريل : عطلت المدارس اليوم لمناسبة (عيد الجلوس لملكة بريطانيا)!

وفى يوم الأربعاء ٢٢ إبريل : أذعت الحلقة الأولى من سلسلة (شعراء مصر فى الكويت) وكانت عن الشاعر أحمد عنبر . وقد قدم إلىَّ مدير المعارف اليوم خطاب شكر من سمو الأمير رئيس المعارف على كلمتى فى احتفال غرس الشجرة ، ومع الخطاب هدية منه إلىَّ هى ساعة يد جميلة .

وفى يوم الجمعة ٢٤ إبريل : رحلنا إلى منطقة (الخِيران) ، وكان الجو ينذر بالحرارة الشديدة فى داخل المدينة ، ولكنه اعتدل حينما استقامت السيارة على الطريق ، ومررنا على القوع والأحمدى والشعيبة وقليعة العبيد ، ثم أخذت السيارة فى طريق صحراوى غير مرصوف ، والخضرة القليلة تبدو على الجانبين ، فإذا هى ذات وقع مؤثر ، ووصلنا (المنطقة المحايدة) ، ثم بلغنا (الخيران) وهى جمع (خور) ، والخَوْر فى اللغة المنخفض من الأرض والخليج من البحر ومصب الماء فى البحر ، وهناك أربعة منها ، وهى عبارة عن خلجان صغيرة داخل الصحراء ، وماؤها هادىء وقاعها قريب ؛ وقد استحممنا فى واحد منها ، وجمع الطلاب بعض الأحياء المائية وبعض النباتات الصحراوية ، وتناولنا طعام الغداء على شاطىء الخور فوق الرمال ، وكان الطعام شهيا ، وفى الأصيل زرنا الباخرة (أمين أويل — Aminoil) وهى مقر الشركة الأمريكية التى اهتدت إلى آبار النفط فى المنطقة المحايدة بين الكويت والمملكة العربية السعودية ، ورأينا فى الباخرة (قطع الغيار) الكثيرة ، والثلاجات والمطابخ والمطاعم وغير ذلك مما يحتاج إليه أفراد الشركة . وهكذا نقل الأوربى معه إلى الصحراء كلَّ شىء ! ! .

وفى المساء حضرت ندوة جمعية الإرشاد ، وألقيت كلمة عن (الشبان المسلمين) ، وقد ألقى الأستاذان محمود جبر وأحمد عنبر بعض شعرهما .

وفى يوم الأحد ٢٦ إبريل : خرجنا إلى المطار لاستقبال سماحة الشيخ الإبراهيمى ولكنه لم يحضر ؛ وفى المساء ألقيت الحلقة الثانية من (شعراء مصر فى الكويت) وكانت عن الأستاذ عبد العظيم بدوى ، وذهبت فأحضرت الأستاذ محمود جبر فسجل فى المحطة بعض قصائده ؛ وقد نشرت مجلة الرائد فى عدد إبريل مقالا لى بعنوان (تاريخ صداقة) ، وهو يصور صلة المؤلف الأدبية بالكويت منذ عهد بعيد ، وفيه ذكريات ولمحات ، ولذلك نثبته فيما يلى :

تاريخ صداقة

لبعض الصداقات تاريخ يجب أن يقال ويُكتب ، لما فيه من ذكريات حلوة ، ودلالات معنوية عميقة الأثر ؛ ولأن الإنسان لا يستطيع مهما حاول ، أن يقطع أسبابه من الماضى ، بل لابد له من الالتفات إلى أمس ، يستعرضه ويستعيد حوادثه وأحداثه ، وكثيراً ما يجد لذة عجيبة فى هذا الاجترار ، حتى فى استعادة المواقف العصيبة ، والأحداث الرهيبة ؛ وأى إنسان يستطيع أن يقيم دعائم حاضره بدون استناد على أسس من ماضيه ؟ ! . . .

ولى مع إمارة الكويت (لؤلؤة الخليج كما أحب دائماً أن أنعتها وأسميها) صداقة لها تاريخ ؛ وليس ثمة من عابٍ ، وقد هبطت الكويت مبعوثاً من الأزهر المعمور للتدريس فى معاهدها ، أن أستعيد ذكريات هذه الصداقة ، وأن أسجلها ، ففيها الذكرى ، وفيها التقييد لتاريخ نخشى أن يضيع . . .

فى سنة ١٩٣٩ م تقريباً — أى منذ ثلاثة عشر عاماً تقريباً — هبط مصر المفداة نفر من أبناء الكويت يريدون طلب العلم فى أزهرها الشريف وغيره من الجامعات ، وكان فى طليعة هؤلاء النفر الأساتذة عبد العزيز حسين ويوسف عمر وأحمد العدوانى ؛ وسارع كاتب هذه السطور حين علم بمقدمهم فسعى إليهم وتعرف بهم ، إذ كان يرى من واجبه — وهو شاب عربى مسلم — أن يعرف أكبر عدد ممكن من شباب البلاد العربية والأقطار الإسلامية ، وقد أكثرَ من الحديث عن ذلك فيما كتب وفيما خطب . . . وظلت الصلة بين فتى النيل وفتية الخليج تزداد على الأيام تأصلا وتأكداً ، وبعد أن كانت صلة لقاء غدت صلة إخاء ورابطة قلوب وتقاربَ مشارب ،

حتى تلطف أبناء الخليج فأخذوا ينعتون صاحبهم فتى النيل بأنه (صديق الطلبة الكويتيين فى مصر) . . . وكان فتى النيل يجد فى نفسه سعادة من هذه الصداقة ، وكان يستعين ربه — ما قدر واستطاع — فى أن يؤدى لهذه الصداقة ما تستلزمه وتتطلبه ، حتى يتحقق فيها معنى الصداقة ، وتبادل الطرفان هذا الشعور فآويا من خالص الإخاء إلى ظل ظليل . . .

ومرت الأيام تتلوها إخوتها ، وكان فتى النيل يتناجى مع فتيان الخليج فى جلساتهم ومحاوراتهم ، فيتمنى الجميع لو كثر عدد الطلبة الكويتيين فى مصر ، ولو تعددت الجامعات والمعاهد التى يدخلونها ، ولو أنشئت إدارةٌ لبعثات الكويت فى مصر ، حتى توجهها وتنظم شؤونها وتشرف عليها ، ولو تخرج عدد كبير من أبناء الكويت فى معاهد مصر ، حتى يصيروا أساتذة مربين ، وعلماء مثقفين ، فيعودوا إلى بلادهم ، ليتولوا بأنفسهم قيادة النهضة فيها ، بدل الاعتماد فى الغالب على المدرسين المندوبين من مختلف الأقطار العربية ، وإن كنا لا ننسى ما فى استقدام هؤلاء المدرسين من توثيق الروابط بين البلاد العربية ، ومن تلاقح العقليات العربية ، ولكن (أهل مكة أدرى بشعابها) ، وأبناء البلدة أولى بتوجيه شبابها ، ومن الممكن مع هذا تبادل الأساتذة بين هذه الأقطار بصورة لا تطغى على النشاط القومى، وفى الوقت نفسه تحقق الترابط العربى العام .

وشاء الله أن يتحقق الأمل ، فزادت بعثات الكويت إلى مصر ، ودخل أعضاؤها المدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد المختلفة والجامعات المتعددة ، وصاروا يُعَدُّون بالعشرات بعد أن كانوا أفراداً ، وأنشىء لهذه البعثات (بيت الكويت) فى القاهرة ، واحتل داراً من أفخم الدور فى حى (الزمالك) الأنيق ، وأشرف على البيت وعلى البعثات الزميل الموفق الأستاذ عبد العزيز حسين ، وبدأت خطواتنا تعرف طريقها إلى (بيت الكويت) . .نتعرف إلى أبنائه ، ونتحادث معهم ونحاورهم ، ويسألون فنجيب ، ويسكتون فنثيرهم للحديث ، ويحتفلون فنخطبهم ، ويفرغون فنحاضرهم ، ونجد لذلك متعة ولذة وأثراً طيباً فى نفوسنا وفى نفوسهم ، ويبدأ فتية الخليج يطلقون على صاحبهم فتى النيل لقباً آخر ... إنهم قد بدأوا يسمونه (صديق بيت الكويت) وكان ذلك من بداءة عام ١٩٤٦ م تقريباً . . .

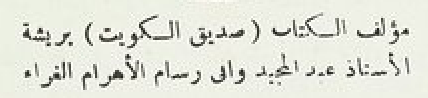
ولله أيام وليال ، بل لله شهور وأعوام قضيناها فى رحاب (بيت الكويت) ، فكانت أطيب من حلاوة المنى وعذوبة الرجاء . . .

وكان من أحلام أبناء الكويت ومن أحلام الذين أحبوهم واتصلوا بهم ، أن يكون للكويت مجلة أدبية اجتماعية ، ينشر فيها نتاج الكويتيين الأدبى ، وتكون لساناً لحالهم ، وحادياً لموكب نهضتهم ، وكنا ونحن نحلم بهذا نقدر ما يحتاج إليه تنفيذه من جهد ومال وتعاون ، وشاء الله أن يتحقق الأمل ، فصدرت مجلة (البعثة) الغراء صوتاً لأبناء الكويت ، وميداناً لأعضاء بعثاتها فى مصر ، ينظمون فيها عقود أشعارهم ، وينثرون على صفحاتها درر مقالاتهم ، وأخذت (البعثة) تطبع فى مصر طباعة حديثة جميلة ، ويوزع بعضها على المعاهد والجمعيات وكبار الشخصيات فى مصر ، ويرسل الباقى منها فى مطلع كل شهر إلى (لؤلؤة الخليج) بالطائرة ، فيشترك أبناء الكويت مع أبناء مصر فى مطالعة نتاج أدبى أغلبه بأقلام أبناء الكويت ؛ وتدرجت المجلة بخطوات سريعة فى مراقى التجدد والتحسن والاتساع ، فزادت صفحاتها ، واتسعت أبوابها ، وكثر كتابها ، وتنوعت موادها ، وصارت تظهر أحياناً فيما يزيد عن الستين صفحة ، بغلاف أنيق مصقول ، وصور جميلة واضحة ، ومعلومات تتناول شئون الكويت كلها ، ثم تتناول بعد ذلك ما يمكن تناوله من شئون العالم العربى ، وأمور العلم والأدب والفن والثقافة العامة ، وزاد (البعثة) أناقة ورشاقة أنها صارت تطبع فى دار للنشر بالقاهرة تعد فى طليعة دور النشر والطباعة ، وهى (دار الكتاب العربى) لصاحبها الحاج محمد حلمى المنياوى .

وكان (صديق بيت الكويت) فرحا بتحقق هذا الأمل ، فتابع مجلة (البعثة) بكلماته ومقالاته ، وظل قرابة ست سنوات وهو يرى الكتابة لمجلة (البعثة) فرضاً موقوتاً مكتوباً ، لا يلقى عليه جزاء ولا ينتظر شكورا ، وإنما هو الاحتساب لوجه الله والإسلام والعروبة . . . وكان (صديق بيت الكويت) يرى من واجبه المحتسب به أيضاً أن يرقب (البعثة) وهى تتجمع موادها ، وأن يلاحظها وهى تطبع ، وأن يراجع تجاربها ، وأن يسهم فى مهمة تصحيحها ومراجعتها ، وعاد أبناء الكويت إلى تلطفهم فأطلقوا على أخيهم المصرى الأزهرى لقباً جديداً ، فأخذوا يسمونه (صديق البعثة) ،

وبدأ ذلك من أواسط عام ١٩٤٧ م ، واعتز فتى النيل بذلك اللقب الجديد اعتزازاً كبيراً .

ومنذ سنة ١٩٤٨ م أخذ (صديق البعثة) يتلقى رسائل من أبناء الكويت المقيمين بها الذين لم يسعد برؤياهم ، ويرد على هذه الرسائل ، وكانت موضوعات هذه الرسائل تدور حول شئون الإسلام والعروبة والأدب ، واتسع نطاق هذا التراسل ، حتى كسب فتى النيل أصدقاء كثيرين فى الكويت ، عرفهم بصلات الروح والقلب والعقل والبيان ، وتلطف هؤلاء الأصدقاء الأوفياء ، فجعلوا يسمون صاحبهم (صديق الكويت) ، فتضاعف اعتزاز الصديق المصرى بالكويت وبأبناء الكويت الميامين ..



مؤلف الكتاب (صديق الكويت) بريشة الأستاذ عبد المجيد وافى رسام الأهرام الغراء

وفى عام ١٩٥٢ م شاءت المقادير أن يهبط (صديقُ الكويت) أرضَ الكويت ، وأن يمتع بصره بأضواء (لؤلؤة الخليج) ، وأن يسعى إليها لينال شرف الإسهام فى نهضتها التعليمية ، فإذا بأغلب أصدقائه يطلقون عليه لقباً جديداً ... لقد أخذوا يسمونه (المصرى الكويتى) ! . . . وإذا بالسيد سليمان العدسانى مدير مالية المعارف بالكويت يقول له : « وهل تستطيع إلا أن تكون مصرياً كويتياً ؟ » . فيقول له صاحبه : « لو لم أكن مصرياً لتمنيت أن أكون كويتياً ! » . وعلى الرغم من اعتزاز فتى النيل بمصريته ، وافتخاره بوطنيته وقوميته ، وعرفانه لمصر الغالية حقها من الولاء والوفاء ، واعتقاده أنها كنانة الله فى أرضه ، وأنه أحد أبنائها وجنودها ، فإنه يسعد بهذه الجنسية الشرفية الكويتية التى يلقيها أبناء الكويت عليه ، حتى إن

سمو الشيخ عبد الله المبارك الصباح يسمع هذا اللقب ينادَى به صاحبُه ، فيتلطف موجهاً الخطاب إليه قائلا : « نعم إنك كويتى وإن كنت مصريا » ...

يا أحباءنا فى الكويت . . . تفضلوا فتقبلوا تحيات (صديق الطلبة الكويتيين فى مصر) ، وتحيات (صديق بيت الكويت) ، وتحيات (صديق البعثة) ، وتحيات (صديق الكويت) ، وتحيات (المصرى الكويتى) ...

وفى يوم الاثنين ٢٧ إبريل : خرجنا مرة أخرى إلى المطار لاستقبال الشيخ الإبراهيمى ، ولم يحضر أيضا ، وإنما حضر السادة أحمد مراد البكرى وأنور السيوفى وعبد الله القبانى ضيوف الشيخ عبد الله الجابر ، ونزلوا فى دار الضيافة .

وفى يوم الثلاثاء ٢٨ إبريل : كان حديث الثلاثاء بالمباركية عن (النفس التواقة) ، وقد تحدثتُ فيه عن عمر بن عبد العزيز ، ثم عرجت على الاستعداد للامتحان .

وفى المساء ألقى الأستاذ الفضيل الورتلانى محاضرة قيمة عن (تذكر الموت) .

وفى يوم الأربعاء ٢٩ إبريل : أذعت حديثاً بعنوان (كلمة إنصاف للسموأل)[1] .

وفى يوم الخميس ٣٠ إبريل : ذهبت إلى ندوة المعهد العلمية ، وكان النور مقطوعا ، فشرَّق القوم وغربوا فى إصدار الأحكام على الناس ، وانصرفنا .

شهر مايو سنة ١٩٥٣

فى يوم الجمعة أول مايو : كان المهرجان الرياضى السنوى ، وكان ضخماً فخماً ، وطُلب منى أن أشترك فى لعبة (شد الحبل) بين أساتذة المباركية وطلابها ، فاشتركت بملابسى الأزهرية ، فتعالى الهتاف والتصفيق ، وكان ذلك أهم شىء استلفت أنظار الجمهور ، وقال الكثيرون إن ذلك تحبيذ عملى للرياضة من رجل الدين ، وقال لى مدير المعارف : إن اشتراكك هذه الدقائق بملابسك الأزهرية فى المهرجان خير من مائة خطبة تلقى فى تشجيع الرياضة ! . . .

وفى يوم الأحد ٣ مايو : أذعت الحلقة الثالثة من (شعراء مصر فى الكويت) وكانت عن فضيلة الشيخ رياض هلال !!...

وفى يوم الأربعاء ٦ مايو : أذعت الحلقة الرابعة من (شعراء مصر فى الكويت)

---

(١) نشرته مجلة الرائد فى عدد مايو سنة ١٩٥٣ م .

وكانت عن الأستاذ عبد الله الدشلوطى . وقد وصل اليوم سماحة الشيخ البشير الإبراهيمى بعد طول انتظاره ...

وفى يوم الخميس ٧ مايو : زرنا المعرض السنوى لمدارس البنات ، وكان الزحام شديداً ، والمدرسات — غير الكويتيات طبعاً — سافرات متزينات متعطرات ، ولا من متظاهر بغيرة (!!) وكان الزحام فى بعض الحجرات أشد من الأخريات . . . لماذا ؟ . . . ألجمال المعروضات ؟ . . . لست أدرى ! وفى المساء ذهبنا إلى مسجد السوق ، وقدمتُ الشيخ الإبراهيمى بكلمة تعرضت فيها لحاضر الجزائر وجهود جمعية العلماء ، ثم ألقى سماحة الشيخ محاضرة علمية دسمة عن سورة (الأنفال) وخصائص التعبير القرآنى فيها .

وفى يوم الجمعة ٨ مايو : شاهدنا المعرض السنوى لمدارس البنين ، وأعجبتنى أشياء كثيرة فيه ، وخاصة معروضات الطالب النابغة طارق السيدفخرى ، ويجب إرساله فى بعثة . وقد بدأت معدتى تضطرب ، إسهال ثم إمساك ، وإمساك ثم إسهال ! . . .

وفى يوم الأحد ١٠ مايو : ألقيت الحلقة الخامسة والأخيرة من سلسلة (شعراء مصر فى الكويت) وكانت عن الأستاذ أحمد أبوبكر إبراهيم . فهل ترانى بتلك السلسلة قضيت حقاً آخر من حقوق مصر ؟ . . .

وفى يوم الثلاثاء ١٢ مايو : ألقيت بالمباركية آخر حديث من أحاديث الثلاثاء فى هذا العام ، وقد ذكرت الطلاب بأهداف الأحاديث السابقة ، وأخلصت لهم النصيحة ، وقلت من يدرى ، لعلنا لا نلتقى ! فبلغ بهم التأثر مبلغه .

وقد ألقى سماحة الشيخ الإبراهيمى فى مسجد السوق محاضرة أخرى من محاضراته البليغة عن (ماضى المسلمين وحاضرهم) .

وفى يوم الأربعاء ١٣ مايو : بدأت فى إذاعة السلسلة الأدبية الأخرى (شعراء الكويت [١]) ، وقد بدأ مرضى يشغلنى عن الانتظام فى كتابة هذه المذكرات .

وفى يوم الخميس ١٤ مايو : كان أول رمضان ، فاللهم عونك ! .

وفى يوم الجمعة ١٥ مايو : أذعت حديثاً عن (تهذيب الصوم للنفوس) ؛ وقد ازداد المرض ، وخارت بسببه قوتى ، ويضاف إلى ذلك الصوم والحر وإرهاق

(١) انظر صفحة ١٥٣ وما بعدها من هذا الكتاب ، فهناك ما يغنى عن التسجيل هنا .

العمل والبعد عن الأسرة والشوق المستعر إلى مصر ! . . والحنين المتزايد إلى رشفات من ماء النيل ! . رعاك الله أيها الشريان المجيد !...

وفى يوم الجمعة ٢٢ مايو : أذعت حديثاً عن (سلوك المسلم مع أهله) .

وفى يوم الأحد ٢٤ مايو : أذعت حديثاً عن (وظيفة اللسان والأذنين عند المسلم) . ومعذرة إذا كررت أن الأحاديث كلها مجانية .

* * *

ثم ازدادت معدتى اضطراباً بعد ذلك ؛ وكنت أذهب فى الإفطار والسحور إلى مطعم لبنانى بالشارع الجديد ، مع الإخوة الأساتذة عبد الله الدشلوطى ومحمد أحمد فتيح والسعيد الشربينى الشرباصى فأقتصر على قليل من الحساء واللبن (الزبادى) ، وجاءت الامتحانات فشغلتنا بوضع الأسئلة والمراقبة والتصحيح ، فكنا نشتغل ليلاً ونهاراً ، ونحن صائمون ، وكنت أختلس ساعة فى المساء يوماً بعد يوم — لأذهب فألقى الحديث الدينى فى محطة الإذاعة ثم أعود ؛ وأضيفَ إلى اضطراب البطن قرحة فى قدمى اليسرى ، وازدادت حرارة الجو ، فكنا لا نطيق الشمس فى الضحى ، ولا نطيق ملابسنا الخارجية ، ونبقى على الداخلية فى ضيق ، وتلقيت من الأزهر الشريف تقريراً رسمياً عن أعمالى خلال السنة الدراسية بالكويت ، والتقدير فى هذه التقريرات ينقسم إلى ثلاث درجات ، وقد أعطونى فى هذا التقرير أعلى تلك الدرجات فى جميع النواحى ، فى القدرة على العمل ، والمواظبة على العمل ، ودرجة الإنتاج ، والمعاملة للجمهور ، والرؤساء ، والزملاء ، والمرءوسين ، ودرجة الكفاية . . .

ولقد سلمنى مدير المعارف بالكويت صورة من تقريره الرسمى المختصر عنى ، وهو الذى بعث به إلى الأزهر ، ومما قاله عنى فى ذلك التقرير : « . . . قام بأداء واجبه على خير وجه وأكمله ، محبوب ومحترم من تلامذته وزملائه ، مرضى عنه من رؤسائه . . . قام بنشاط ملحوظ فى المدرسة ، كما قام بنشاط اجتماعى خارجها ، سواء بإلقاء المحاضرات ، أو حضور الندوات ، أو التحدث فى المذياع .. مثل ممتاز فى الحيوية واجتماعى من الطراز الأول ، وصاحب رسالة لا تقتصر على حدود الوظيفة . . . من خير من مثّل الأزهر فى الخارج ، ومن خير من يرفع رأس الأزهريين فى مهنة التدريس ، وفى النشاط الاجتماعى . . . يسر إدارة المعارف انتدابه عاماً آخر للعمل

بالـكويت . . . » . وهذا التقرير تقرير مختصر كما ذُكر ذلك فى صدره ، وهو بتاريخ ٦ مايو سنة ١٩٥٣ م . . . فماذا كان شعور الأزهر نحو ذلك التقدير يا ترى ؟ . . . ولقد ذكرت لأخى مدير المعارف فى الأيام الأخيرة أن ظروفى قد لاتساعدنى على العودة إلى الـكويت ، فرفض هذا وشدّد فى المطالبة بعودتى ! . . .

وفى يوم الأربعاء ٢٨ رمضان سنة ١٣٧٢ هـ (١٠ يونيه سنة ١٩٥٣ م) غادرنا الـكويت ظهرا مع كثيرين من أعضاء البعثة المصرية ، وخرج كثيرون للوداع ، وركبنا الطائرة المصرية إلى القاهرة حماها الله ، فبلغناها مساء ، وسعدنا برؤية الوطن ، ولقاء الأهل ، وتباشير العيد . . .

وقد غمرتنى جمعية الشبان المسلمين بعطفها وتقديرها ، وحسن استقبال رئيسها العام اللواء محمد صالح حرب ، ودُعيت لحفلة تكريم لى فى المركز العام للشبان المسلمين ، وأُجلت هذه الحفلة مرتين بسبب سفرى إلى (البجلات) لرؤية العائلة ، ثم دُعيت إلى موعدها الثالث ببرقية من الأستاذ الليثى ، وجئت فشهدت حفلا كريما يفيض بالمودة والمحبة وحسن الظن ؛ وتفضل بالاشتراك فى هذا الحفل متكلمون ومستمعون



الدكتور محمد صلاح الدين يتحدث مع المؤلف فى حفل الشبان المسلمين لتكريمه

فضلاء أجلاء ؛ وأكتفى هنا بإثبات نص ما نشرته صحيفة (منبر الشرق)[1] الغراء عن ذلك الاحتفال فى عددها الصادر بتاريخ الجمعة ١٠ يوليه سنة ١٩٥٣ ، قالت :

تكريم الرائد الدينى

للمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين

« أقام المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين فى مساء الخميس ٢ يوليه الحالى حفلة شاى كبرى تكريما لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد الشرباصى ، الرائد الدينى للجمعية ، بمناسبة عودته من الكويت حيث كان مبعوثا للأزهر هناك ، وتقديرا للجهود التى بذلها خلال العام الماضى ، وقد حضر هذه الحفلة عدد كبير من رجال الهيئات الإسلامية ومن أعضاء الشبان المسلمين ، ومنهم السادة الأجلاء الدكتور محمد صلاح الدين والدكتور



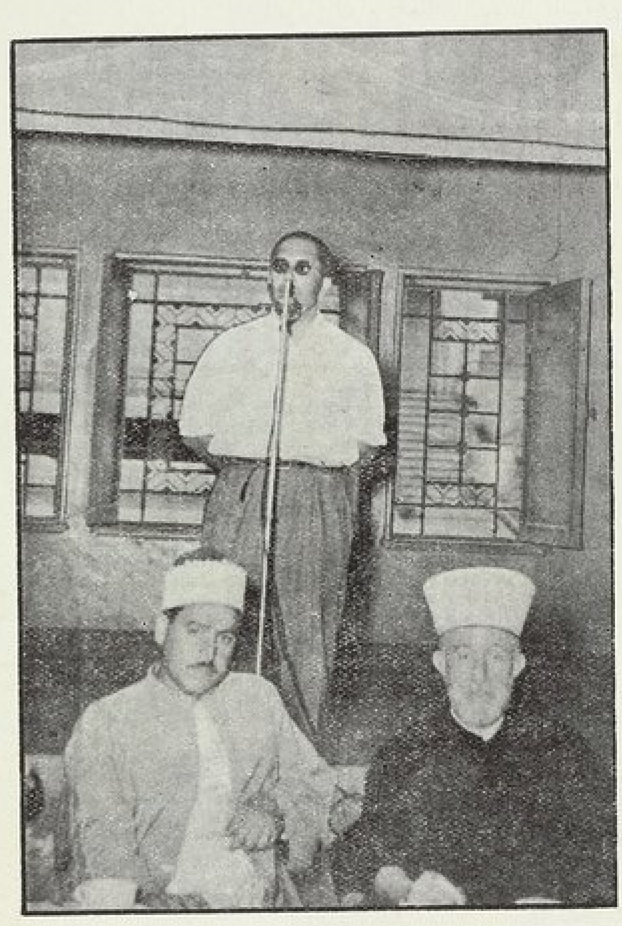
جانب من حفل التكريم ، ويرى المؤلف ، وعن يساره الحاج أمين الحسينى ، فالدكتور منصور فهمى ، فالشيخ صبرى عابدين ، فالأستاذ عبد القادر مختار ، وعن يمينه الدكتور محمد صلاح الدين فالدكتور يحيى الدرديرى

---

(١) نشرت الأهرام والمصرى والصباح والعالم العربى حينئذ كلمات مختلفة عن ذلك الاحتفال ، كما نقلت مجلة الحج بمكة فى عدد أغسطس (١٩٥٣) نص ما نشرته صحيفة منبر الشرق مع مقدمة له كتبتها مجلة الحج الغراء ، فهل يسمع الأزهر الشريف ؟! .

منصور فهمى والحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين الأكبر والدكتور إبراهيم يوسف مدير مستشفيات الحكومة وعبد القادر مختار سكرتير الشبان العام والدكتور يحي الدرديرى مدير البنك التعاونى والشيخ صبرى عابدين الأمين العام للهيئة العربية العليا .

وبعد تناول الشاى والحلوى وقف الأستاذ عزيز بكير المفتش بوزارة المعارف ورئيس القسم الاجتماعى بالشبان ، فألقى كلمة ذكر فيها الأعمال التى قام بها الأستاذ الشرباصى فى الكويت وفى الجمعية ، والدوافع القلبيـة التى دفعت الجمعية — وخاصة الشباب فيها — إلى تكريمه لما لفضيلته من تأثير جذاب فى توجيه الشباب.



الأستاذ عزيز بكير المفتش بوزارة المعارف يلقى كلمته فى تكريم المؤلف

ثم وقف الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية سابقا فألقى كلمة فياضة نوه فيها بجهود الشيخ الشرباصى ، وصفاته التى تهيئه للتوجيه والقيادة ، وأكد أنه ينتظر لرائد الشبان الدينى مكانا مرموقا عاليا فى العلم والاجتماع والوطنية ، ودعا الدكتور صلاح الدين الشباب إلى التشبه بالشيخ الشرباصى .

ثم وقف الأستاذ الكبير الدكتور منصور فهمى فألقى كلمة عن معنى الوفاء الذى استخلصه من هذا الحفل ، وقال إن هذا التكريم النبيل يدل على أن الشباب فى الجمعية يحفظون العهد والميثاق لمعلمهم ورائدهم الدينى ، وذكر الدكتور جانبا مما يعرفه عن الأستاذ الشرباصى فى جهاده وعلمه وخلقه ، ثم وقف بعد ذلك الأستاذ محمود جبر شاعر الشبان

فألقى قصيدة عصماء استعيدت أغلب أبياتها استحساناً ، ومنها قوله فى المحتفل به :

لو شئتُ أُطريك أغريتُ البديع بكم ليستزيد وضــوحا فيه ما عجما
يا جهبذ العلم والأعلام ، لست أرى إلاك ينفث ســحرا أعجز القلما
لو كان (حرب) هنا وفَّاك ممتدحا وأين منى بيان للشموس سما ؟

ثم وقف الأستاذ محمد الليثى المشرف على قسم الطلاب وتكلم ،وتلا تقــرير مدير معارف الـكويت عن فضيـلة الشيخ الشرباصى ، الذى يطالب فيه بعودة فضيلته إلى الـكويت ، وفيه قوله عن الأستاذ الشرباصى : « قام بأداء واجبه على خير وجه،محبوب ومحترم من تلامذته وزملائه ، قام بنشاط ملحوظ فى المدرسة ، كما قام بنشاط اجتماعى خارجها ، سواء بإلقـاء المحاضرات ، أو حضور النـدوات ، أو التحدث فى المذياع ، مثل ممتاز فى الحيوية ،واجتماعى من الطـراز الأول ، وصاحب رسالة لا تقتصر على حدود الوظيفة ، من خير من مثَّل الأزهر فى الخارج ، ومن خير من يرفع رأس الأزهريين فى مهنة التدريس وفى النشاط الاجتماعى . . »(١) .

رجال الشبان يستقبلون المؤلف فى حفل تكريمه ، ويرى الدكتور منصور فهمى فالحاج أمين الحسينى ، فالشيخ صبرى عابدين فالدكتور محمد صلاح الدين والدكتور يحيى الدرديرى (بظهرهما) .

---

(١) هذا آخر ما نشرته جريدة منبر الشرق الغراء .

أما بعد!...

أما بعد فإنى أذكر أن العماد الأصفهانى قد قال: « إنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً فى يومه إلا قال فى غده: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زِيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل؛ وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » ...

ولو أننى استأنفتُ (أيام الكويت) نظرا وطبعا، لأخرتُ وقدمت، وزدت وحذفت؛ ولا أدعى أننى استكملت، فكم من أشياء وددت لو أُضيفت، وكم من سطور حذفتها لهذا الاعتبار أو ذاك، وكم من خطابات عندى بشأن الكويت كنت أريد نشرها ولم أتمكن؛ ولكن مسايرة النهضة — التى ندعو الله أن تسلم وتدوم — قد تهيىء فرصة لمعاودة الحديث؛ وليس هذا الكتاب كتاب دعاية كما قد يظن جاهل أو يفترى مغرض، ولكنه كتاب تاريخ وتصوير، وقد وردت فى تضاعيفه سطور عن أشخاص، ولكن هذه السطور ليست مديحاً، بل أريد بها الهدف العام، لا ذوات الأفراد، وما أكثر التبعات التى حمَّلْناها أولئك الذين تحدثنا عنهم، وطالبناهم بطريق غير مباشر بأن ينهضوا بها ... وأنت حينما تقول للمحسن: أحسنت، تكلفه بكلمتك أن يضاعف ذلك الإحسان !!..

ويسرنى أن أتلقى شاكرا أية معلومات من الخبراء بتاريخ الكويت وشئونها لأستفيد منها وأستزيد . . .

وأرجو أن يكون ذلك الكتاب تحية للكويت فى موضعها، وأن يكون مفحما لأولئك الذين لا يعملون ويسوؤهم أن يعمل الناس . . . وأن يجد مسمعا من بنى الأزهر ... ونحن فى الطريق ... والله خير رفيق ...

من كتب المؤلف

واجب الشاب العربى — المحفوظات الأزهرية — لمحات عن أبى بكر
النيل فى ضوء القرآن — محاضرات الثلاثاء — صلوات على الشاطىء
فى رحاب الصوفية — عائد من الباكستان — مذكرات واعظ أسير

النيل فى ضوء القرآن

« نشرت جريدة المصرى الغراء يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٩٥٢ م الكلمة التالية عن رأيها فى كتاب المؤلف (النيل فى ضوء القرآن) » :

« لوطننا العزيز المفدّى قضايا جليلة متفرعة ، تتطلب العلاج الصحيح ، والدرس العميق ، وخاصة فى العهد الجديد ، الذى يجب أن ينهض على الحرية والكرامة والوحدة وعلى المبادئ الوطنية القويمة المتأصلة فى نفس كل مواطن ، يؤمن بها ويدعو إليها ويعمل لها ؛ ويجب أن يكون له كُتّابه الأحرار ، وحواريّوه الأبرار ، الذين يجيدون التفكير والتعبير ، ورسم الأهداف وتصوير الخطوات ، ولا ريب أن قضية الوحدة فى وادى النيل هى قمة قضايانا ، يلزم لها أن تكون فى الطليعة دائماً ، لا يلفتنا عنها لافت ، ولا يعوقنا عن تحقيقها عائق ؛ وقد توفر الباحث الإسلامى الحر فضيلة الشيخ أحمد الشرباصي الأستاذ بالأزهر ، والرائد الدينى للشبان المسلمين على دراسة (النيل) دراسة إسلامية جديدة مبتكرة ، أراد بها أن يجعل وحدة النيل لجزء من العقيدة الدينية ، فبحث مكانة النيل المقدّس فى ضوء القرآن الكريم ، وأصدر عن ذلك أخيراً كتابه الجديد المبتكر : (النيل فى ضوء القرآن) .

ولا شك أن هذا الكتاب جديد كل الجدة فى موضوعه وطريقته ونتيجته ، فقد أسبغ المؤلف البحاثة على موضوع النيل ظلالا واسعة عميقة ، نسجها من الدين الإسلامى الحنيف وأصوله ، فتحدث أولا حديث الخبير البصير عن قضية النيل ، وعن جلالها وخطرها ، والعوامل التى تؤثر فيها ، وعن النيل فى اللغة والأدب والشعر والتاريخ ، وعن النيل فى الحديث النبوى والقرآن الكريم ، وقد استقصى المؤلف هنا بحثه استقصاء كاملا ، فاستعرض جميع المواطن التى ورد فيها حديث عن النيل وواديه صراحة أو ضمنا ، وعن شواهد وحدة الوادى فى التنزيل المجيد ، ووصل فى ذلك إلى نتائج هامة .

كما عقد المؤلف فصولا عن الماء والأنهار وخصائص النيل ومميزات واديه وخيرات حوضه ، وعقد مقارنات بينه وبين سواه ؛ ثم ذكر قائمة الواجبات الملقاة على أبناء النيل والطريق إلى أدائها ، واستطاع المؤلف الإسلامى أن يجعل من قضية النيل الوطنية قضية إسلامية مقدسة ، مما يلزم لكل ابن من أبناء النيل فى الشمال أو الجنوب أن يدرس هذا الكتاب دراسة التبصر والإمعان ، ليدرك تعاون العقيدة مع الوطنية فى الإجلال من شأن النيل وواديه .

وقد حرصت (دار الكتاب العربى) بالقاهرة على نشر ذلك الكتاب المفيد ، لما تدرك من خطورة موضوعه وتوفيق مؤلفه ، ولا عجب فلفضيلة الأستاذ أحمد الشرباصى قبل ذلك الكتاب مؤلفات تشهد له بطول الباع بين رجال الأزهر الشريف » .

فهرست

من كتب المؤلف

١ — واجب الشاب العربى .
٢ — المحفوظات الأزهرية .
٣ — لمحات عن أبى بكر .
٤ — فى رحاب الصوفية .
٥ — صفوة التصوف (شرح) .
٦ — النيل فى ضوء القرآن .
٧ — محاضرات الثلاثاء .
٨ — صلوات على الشاطىء .
٩ — عائد من الباكستان .
١٠ — مذكرات واعظ أسير .